الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض
أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ

تحقيق

علي محمد البجاوي

الجزء الأول

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كتاب « الشفا » للقاضى عياض من خير الكتب التى عرفت بحقوق المصطفى ؛ فقد أحاط الكتابُ بصفات الرسول عليه السلام ، وما يجب له من حقوق ؛ ونظرة إلى تقديم المؤلف للكتاب ، وبيان أبوابه وفصوله[1] ، وسرده لكثير من الحوادث والأخبار ، تنبئ بإحاطة المؤلف بكل الجوانب التى تتصل بصفات الرسول ، وتجلى لنا سيرة رسولنا النبى الكريم .

وقد اعتمد المؤلف فى ذلك كله على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، يؤيد بها رأيه .

واستدل بآراء المفسرين والمحدّثين والفقهاء فيما جاء به .

وأراه قد سار فى هذا الكتاب سيرة علمية نادرة ؛ إذ عقد لكل موضوع بابا ، ثم فصل الموضوع فى فصول .

وابتدأ كل فصل بإيراد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما ورد عن الصحابة والتابعين ، شأن العلماء الأبرار ، والباحثين الأفذاذ ؛ ونسب كل حديث إلى راويه ، وكل قول إلى قائله ؛ فجاء كتابه مثلا أعلى فى التنسيق والإحاطة والتوثيق .

ولهذا عدّه كثير من أفاضل العلماء وجهابذة المؤرخين والمحققين من خير الكتب فى موضوعه ؛ فقد قال عنه المقرى فى أزهار الرياض[2] :

« مما كمل تأليفه رضوان الله عليه كتاب « الشفا » الذى بلغ فيه الغاية القُصْوى ، وسار صيته شرقا وغربا ؛ ولقد لهجت به الخاصة والعامة ، عجما وعربا ، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمن قربا .

---

(١) من صفحة ٨ ــ ١٢ من هذه المطبوعة للكتاب .

(٢) أزهار الرياض صفحة ٤٨٢ من مخطوطة الكتاب .

ثم قال :

وفضائل هذا الكتاب لاتستوفى. ولا يمترى مَنْ سمع كلامَه العَذْب السهل المنوّر في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، أو وصفَه إعجاز القرآن - أن تلك نَفْحَة ربانية ، ومنحة صمدانية ، خص الله بها هذا الإمام ، وحلّاه بدرها النظيم ؛ وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم .

وقال ابن جابر[1] رحمه الله تعالى :

وقيّدت من خط الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسين عبيد الله أحمد بن عبد الجيد الأزدى الزّندى[2] على كتاب « الشفا » ، وكان نسخه بيده ، ما مثاله :

وقد فزت - والحمد لله - بنسخه وكماله . . . فنسأل الله تعالى أن يجزى مؤلفه خيرا ، ويعظم له بما ألفه . . . فقد جرى رضى الله عنه في ميدان أشرف العلوم جَرْىَ السابق ، ونظم في جيد الزمان سلك المعارف ودرر الحقائق ، وسقى بكتاب « الشفا » قَلْبَ كل مؤمن صادق ، كما كبت به قَلْبَ كل عدوّ منافق ؛ فإذا طالعه المؤمن استنارت في باطنه حقائق أنواره ، وإذا جال في روض معارفه ، تنفست له نفحات نسيمه ، وتبسمت له مباسم أزهاره ؛ فهو كما قال القائل ؛ تعظيما لعمله الكريم ، وتشريفا لحميد آثاره :

كتاب الشفاء شفاء القلوب	قد ائتلقت شمس برهانه
إذا طالع المؤمن مضمونه	رسا في الهدى أصل إيمانه
وجال بروض التُّقَى ناشقا	روائح أزهار أفنانه

قال[3] :

ووجدت بخط الشيخ الحافظ الإمام أبي عبد الله محمد بن سعد التلمساني رحمه الله ما نصُّه : وتواليف القاضى أبي الفضل رحمه الله دالّة على ماله عند الله من الكرامة

(1) أزهار الرياض ٤٨٥ من مخطوطة الكتاب . (2) توفى ببجاية في نحو التسعين وستمائة .
(3) أزهار الرياض ٤٨٦ من مخطوطة الكتاب .

والعناية ؛ فمن تأمّل انتفاعَ المسلمين به شرقا وغربا ، علم أن ذلك من أسرار القُرْب والولاية ، وكتابه « الشفا » هو وسط القلادة ، وبرنامج السعادة ؛ وفيه يقول بعض الفضلاء :

أنس الوحيد ودِيمة الأنداء ونسيم عرف الروضة الغناء[1]

وذكره فى كتاب « مطمح الأنفس » فقال[2] :

هذا وإن كتاب « الشفا » بتعريف حقوق المصطفى كتاب قَدْرُه جليل ، وهو على جلالة مصنفه أدل دليل ؛ فإنه أَجَلُّ أعيانِ الأندلس ؛ جاء بها على قدر ، وسبَق لنَيْل المعانى وابتدر ، فاستيقظ لها والناس نيام ... وقد وفى ببيان ما يجب من آياته ، ونشر على كاهل الدهر ألويةَ الثناء بين يدى صفاته ، مما يحقّ له أن يُكْتَب بالنور فى صحائف وجنات الحور ، وينقش بقلم العقل معانيه ، ويخط على ألواح الأذهان لأطفال الأرواح مبانيه ، صحف أنزعت بشهد حَلَا ، فى كل ذوق لذاك كان شفا ؛ ولعمرى لقد نثر الدرفيه مِنْ فِيه ، وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه،حديث لو أن الميت نودى باسمه لأصبح حيا بعد ماضمه القبر ... ...

وقال القارى[3] :

« كتاب « الشفاء » فى شمائل صاحب الاصطفاء أَجْمَعُ ما صُنّف فى بابه مجملا فى الاستيفاء » .

وقال فى أزهار الرياض[4] :

وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه؛فمن شرحه الإمام الرئيس الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق التلمسانى (٧١٠ - ٧٨١ هـ) ، شرحا واسعا .

وممن علق عليه عدةَ تعاليق الشيخ الإمام محمد ابن الشيخ الربانى الولى الصالح[5] :

(١) وأنشد بعد ذلك فى أزهار الرياض شعرا كثيرا فى مدح هذا الكتاب لطائفة من الأدباء والعلماء (٤٨٦ - ٤٩٠). (٢) شرح الخفاجى : ١ - ٢ (٣) شرح القارى : ١ - ٢

(٤) أزهار الرياض : ٤٩٠ ، من المخطوطة . والأعلام للزركلى .

(٥) سترى بعد بيانا عن شروحه ، وتعليقاته .

وكما اعتنى الناس بذلك اعتنوا أيضا بتصحيحه وضبطه وإتقانه .

* * *

هذا ، وممن عنى بشرح هذا الكتاب أيضا :

١ ـ الشهاب الخفاجى ، وقد شرحه شرحا مطولا ، أسماه : نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ، وقد طبع فى أربعة مجلدات . وسأعرفك بهذا الشرح وبمؤلفه بعد .

٢ ـ المُلّا على القارى ، وقد شرحه شرحا متوسط الطول ، وقد طبع فى جزأين كبيرين ، وسأحدثك عنه وعن مؤلفه بَعْدُ .

٣ ـ الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، وقد شرحه شرحا مختصرا ، وأسماهُ المدد الفياض .

وهذا الشرح بمكتبة الأزهر برقم ٥٥٦ خصوصية ، وهو مطبوع على الحجر سنة ١٢٨٦ هـ . فى جزأين : الأول فى ٣٥٠ صفحة ، والثانى فى ٣١٨ صفحة ؛ قال مصححه :

هذا شرح المدد الفياض بنور الشفاء للقاضى عياض لمولانا الفاضل الأوحد الفريد ، والبحر البسيط الوافر المديد ، خادم السنة ، وضياء الدّجُنّة ، الكوثر الراوى ، أستاذنا الهمام الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، حفظه الله ونفع به .

وفى مقدمته :

الحمد لله الذى أبرز من نور جماله نورا اقتبست منه حقائق الكائنات ، وشفى به صدور قوم بفتح عين بصائرهم ؛ فصاروا هداةً رحمةً للمخلوقات ، والصلاة والسلام على مفتاح رحمة الموجودات . . . وبعد . فيقول أسير الشهوات ، وكثير الهفوات ، حسن العدوى الحمزاوى سامحه الله من التقصير والمساوى : إنه لما تولّع قلبى بحب طبع بعض كتب قطب الواصلين . . . وأخدمه على هامشه من معجمه ، ضابطا لبيان ما أجمع عليه الشراح من النسخ الصحيحة ، حيث إن أغلب نسخه على كثرتها فيها بعض تحريف ، وغير مضبوطة ... ... فجمعتُ ما تيسّر من موادّه من شروح

وحواش ؛ ليكون ذلك أبلغ فى تصحيح نُسخه ، وأنبّه على ما اختلف فيه بعض الشراح من النسخ ، وأعزوه لصاحبه؛وبذلتُ الوُسْعَ على تفتيش أصح المتون منه... أسأل الله الرحمن الرحيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم،وأن يطهّر قلبى من العوائق والأغيار ، بجاه سيد الأخيار ، وعليه الصلاة والسلام .

ومما وقفت عليه من شروح هذا الكتاب وتعليقاته [1] :

٤ ــ كتاب اسمه « مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا » ــ تأليف العلامة تقى الدين أحمد بن محمد بن حسن الشمنى التميمى الدارى الحنفى ، وهو مخطوط بدار الكتب ، ومنه نسخ فيها تحت أرقام : ٣٧٥ ، ٤٢٨ ، ٧٣٦ ، ١٤٥٠ .

٥ ــ كتاب « المقتفى فى حل ألفاظ الشفا »، تأليف العلامة برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن خليل الحلبى سبط ابن العجمى ، وهو مخطوط بدار الكتب برقم ٢٦٩

* * *

ولما كان القاضى عياض قد اعتمد فى مؤلفه « الشفا » على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فقد عنى به السيوطى ، وخرّج أحاديثه فى كتابه « مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا » .

وقد طبع هذا الكتاب فى مجلد طبع حجر بالقاهرة سنة ١٢٧٦ هـ ، وبهامشه بعض حواش ؛ ومنه نحو عشرين نسخة بمكتبة الأزهر ؛ وقد جاء فى مقدمته :

الحمد لله الذى إذا وعد وفى ، إذا أوعد عفا ، والصلاة والسلام على محمد الذى هدى وشفى ، من كان فى الضلالة على شفا وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والوفا .

هذا كتاب نفيس ألّفته، وتأليف شريف وضعته، خرّجت فيه أحاديث «الشفا» للقاضى عياض تخريجا محررا ، سالكا فيه طريقا موجزا مختصرا ، ولم أستمد فيه من شىء من الكتب المؤلفة عليه ؛ بل اعتمدت فيه على حفظى ونظرى ، وراجعتُ

---

(١) فهارس دار الكتب المصرية .

الأصولَ المعتمدة والجوامع ، وسميتهُ « مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا »، وعلى الله الاعتماد ، وإليه الاستناد ؛ وبه الاكتفاء .

وأشير هنــا إلى طريقته فى التخريج ؛ وأقدم لذلك بعض الأمثلة :

فى خطبة الكتاب :

حديث أبى هريرة : من سئل عن علم فكتمه . . . الحديث أسنده المصنف من طريق أبى دواد ، وأخرجه أيضا الترمذى وحسّنه ، وابن حبان ؛ والحاكم وصححه ، وابن ماجه بسند صحيح ، من طريق محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة .

وفى صفحة ٧ :

حديث جابر رضى الله عنه : أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم : فالتقمت خاتم النبوة بفمى ، فكان ينمّ علىّ مسكا . . . ابن عساكر فى تاريخه .

حديث : إنه كان إذا أراد أن يتغوّط انشقّت الأرض . . . البيهقى ، عن عائشة رضى الله عنها ، وقال : موضوع .

فهو كما ترى يذكر مرجع كل حديث ، ولكن ينقصه تحديد الباب ، أو الصفحة من الكتاب ؛ وما كنا ننتظر ذلك منه ومن عصره .

ولهذا أكملت هــذا التخريج بذكر الصفحة فى المراجع التى أشار إليها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، معتمدا فى ذلك على كتب السنة ، وعلى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

مؤلف الكتاب

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون [(١)] بن موسى بن عياض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبى السَّبْتى .

وهو من أهل سبتة ، وأصله من مدينة بسطة[(٢)] .

(١) وعند ابن الأبار : عمرو ــ بدل عمرون : (أزهار الرياض : ٣ ــ ١٧) .
(٢) ووفيات الأعيان : ٢ ــ ١١٧

وكتب القاضي عياض[1] بخطه ؛ فذكر أنه ولد في منتصف شعبان من سنة ست وسبعين وأربعمائة .

وتوفي[2] رحمه الله بمراكش مغربا عن وطنه وسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وقدم الأندلس طالبا للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جلة علمائها ، وأخذ بالمشرق عن القاضي الصدفي، وعن غيره ، وعُني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم،وجمع من الحديث كثيرا ، وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده . . . .

وقد استقضى ببلده - يعني مدينة سَبْتة - مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة فلم تطل مدته بها .

وقال - هو - عن نسب أجداده[4] :

استقر أجدادنا في القديم بجهة بَسْطَة من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أدري أكان قبـــل استقرارهم بالأندلس أم بعده .

قال :

وكان عمرون والد جد أبي رحمة الله على جميعهم ، رجلا خيّرا صالحا ، من أهل القرآن ، انتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة بعد دخول بني عبيد المغرب .

وقال ابنه القاضي أبو عبد الله بن عياض رحمه الله[5] :

نشأ أبي على عفة وصيانة ، مرضيّ الحال ، محمود الأقوال والأفعال ، موصوفا بالنّبْل والفهم والحِذْق ، طالبا للعلم ، حريصا مجتهدا فيه ، معظما من الأشيـــاخ من أهل العلم ، كثير المجالسة لهم ، والاختلاف إليهم ، إلى أن برع أهل زمانه ، وساد جملة أقرانه ؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى ، مع القراءة الحسنة ، والحظ

---

(١) أزهار الرياض ٥١٥ من مخطوطة الكتاب .

(٢) وأزهار الرياض : ٣ - ١٧ ، وفيات الأعيان : ٢ - ١١٨ ، الصلة : ١ - ٤٥٤

(٣) سيأتي حديث موسع عن شيوخه .

(٤) الصلة ١ - ٤٥٣ ، أزهار الرياض : ١ - ٢٨ من المطبوعة .

(٥) أزهار الرياض : ٣ - ٢٧ من المطبوعة .

الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث في وقته ، أصوليا متكلما ، فقيها حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حُلو الدعابة ، صبورا حليا ، حسن العشْرَة ، جوادا سمحا ، دَءوبا على العمل ، صَليبا في الحق . . .

وفى أزهار الرياض يتمثل بقول ابن عاصم في وصف عياض[1] :

قد كان ـ رحمه الله ـ علَمَ الكمال ، ورجـــل الحقيقة ، وقاراً لا يخفّ راسيه ، ولا يعرى كاسيه ، وسكونا لا يُطْرَق جانبُه ، ولا يُرْهب غالبه ؛ وحلْماً لا تزل حصاتُه ، ولا تهمل وَصاته ، وانقباضا لا يُتَعَدّى رسْمُه ، ولا يتجاوز حكمُه ؛ ونزاهة لا ترخصُ قيمتُها ، ولا تلين عزيمتها... ؛ وذهنا لا يخبو نورُه ، ولا يَنْبُو مطروره ؛ وفهما لا يخفى فلقُه ؛ وحفظا لا يُسْبَر غورُه ، ولا يذبل نَوْره . . . وطلبا لا تجحد فنونُه ، ولا تقمين عيونُه ؛ بل لا تحصر معارفُه ، ولا تُقصر مصارفه ... ...

وقال الملاحي[2] :

كان القاضي عياض رحمه الله بَحْرَ عِلْمٍ ، وهضبة دين وحِلْم ، أحكم قراءة كتاب الله بالسبع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرّز في علم الحديث ، وحمل راية الرأى ، ورأس في الأصول ، وحفظ أسماء الرجال ، وثقب في علم النحو ، وقيّد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء وأنحاء العلماء ، وأعراض الأدباء[3] . . .

وقال المقرى في أزهار الرياض[4] :

وكان القاضي أبو الفضل كثير الاعتناء بالتقييد والتحصيل ؛ قال ابن خاتمة : كان لا يبلغ شأوه ، ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم مع حُسن التفنّن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه؛ إلى اضطلاعه بالأداة ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية ؛

---

(١) أزهار الرياض : ٣ـ٦ من المطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٣ـ٧ من المطبوعة .

(٣) وارجع إلى ما قدمناه صفحة ٥ من كلام الخفاجي عنه ، وعن مطمح الأنفس .

(٤) أزهار الرياض ٨ : ٥ من المخطوطة .

وبالجملة فقد كان جمال العصر، ومفخر الأفق، وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة؛ وإذا عدّت رجالات المغرب فضلا عن الأندلس حسبناه منهم . . .

وقال :

وكان - رحمه الله - معظّما للسنّة، عالما عاملا، خاشعا قانتا، قوّالا للحق، لا يخافُ في الله لومة لائم، وكان معتنيا بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها، وكتابه « المشارق » أزكى شاهد على ذلك. وكان حاضر الجواب، حادّ الذهن، متوقّد الذكاء، جامعا للفنون، أخذ منها بالحظ الأوفر، وكان بارع الخط المغربي، حسن العبارة، لطيف الإشارة؛ وتآليفه شاهدة بذلك.

وله في الفقه المالكي اليد الطولى، وعليه المعوّل في حل ألفاظ المدونة، وضبط مشكلاتها، وتحرير رواياتها، وتسمية رواتها.

قال[1] :

وكان القاضي عياض حسن الإلقاء للمسائل، كثير التحرير للنقول، وقد انتفع به من العلماء مَنْ لا يحصى.

قال[2] :

ولما ورد القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقائه، وبرزوا تبريزا ما رأيت لأمير مؤمر مثله . . . .

وقال[3] :

وكان القاضي أبو الفضل عياض - رحمه الله - كثير الإنصاف متواضعا؛ ومما يدل على إنصافه وتواضعه :

كان قاضيا بغرناطة، وفي مجلسه جماعة من الطلبة والأعيان يسمعون تأليفه المسمى بالشفا؛ فلما وصل القارىء إلى هذه الكلمات : « ومن قسم به أقسط » - قرأه ثلاثيا، وكذلك كان في الأم التي كان يقرأ فيها.

---

(١) أزهار الرياض : ٣ - ١٩ من المطبوعة. (٢) أزهار الرياض : ٣-١١ من المطبوعة.
(٣) أزهار الرياض : ٣-١٣ من المطبوعة.

فقال له أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدى : هذا لا يجوز فى هذا الموضع . فقال : ماتقول ؟ قال : إنما هو أقسط ؛ لأن المراد فى هذا الموضع « عدل » ؛ فالفعل منه رباعىّ ، كما قال الله تعالى[1] : « وأقسطوا إن الله يحبُّ المُقْسطين » . وأما قسط فإنما هو جار ؛ كما قال تعالى[2] : « وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حَطَبا » . فتعجب وقال لمن حضر : إن هذا الكتاب قرأه علىّ من العالَم مالا يحصى كثرة ، ولا أقف على منتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحد لهذه اللفظة . . .

وقال ابن خلكان[3] :

وللقاضى عياض شعر حسن ؛ فمنه مارواه عنه ولده أبو عبدالله محمد قاضى دانية، قال : أنشدنى لنفسه فى خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها ريح :

انظر إلى الزرع وخاماتـه[4] ... تحكى وقد ماست أمام الرياح

كتيبة خضراء مهزومـة ... شقائق النعمان فيها جراح

قال : وأنشد أيضا لأبيه :

اللهُ يعلم أنى منـذ لم أركم ... كطائر خانه ريش الجناحين

فلو قدرت ركبت البحر نحوكم ... لأن[5] بعدكم عنى جنى حينى

وله فى لزوم ما لا يلزم :

إذا ما نشرت بساط انبساط ... فعنه ـ فديتك ـ فاطو المزاحا

فإن المزاح على ماحكاه ... أولو العلم قبلى عن العلم زاحا

شيوخه

من هؤلاء الشيوخ[6] :

١ ــ القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن رشد الفقيه ، ذكره ابن بشكوال .

(١) سورة الحجرات ، آية ٩ (٢) سورة الجن آية ١٥
(٣) وفيات الأعيان : ٢ ــ ١٢٦ (٤) الخامة : القصبة الرطبة من الزرع .
(٥) فى المطرب (١ ــ ٨٨) : فإن. (٦) أزهار الرياض ٣ــ٨ ، ٥٩ ــ ١٥٦ من المطبوعة .

٢ — والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي الشهير بابن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة .

٣ — وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري الإشبيلي ، وكان من أهل التفنن في العلوم متقدما في المعارف كلها .

٤ — وأبو عبد الله بن أحمد بن التغلبي ؛ وهو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز ابن أحمد التغلبي .

٥ — وأبو بكر بن عطية الفقيه الحافظ .

٦ — والشيخ الإمام النحوي الأديب اللغوي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، نزيل بلنسية .

٧ — والشيخ أبو علي الجياني ، وهو حسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني ، رئيس المحدثين بقرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلها أبوه في الفتنة ، وأصله من الزهراء .

٨ — والقاضي الشهير أبو علي الصدفي ؛ وهو حسين بن محمد بن فيُّرُّهْ بن حَيُّون ابن سكرة .

٩ — والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد بن عبد الله ابن شِبْرين الجذامي ، من أهل مُرْجيق - حصن من حصون شِلْب .

قال في أزهار الرياض[1] :

وإذا تتبعنا أشياخ القاضي بالتعريف لم يسع ذلك هذا الموضوع ، فهم نحو المائة .

* * *

وممن أجاز القاضي عياضا ولم يَلْقَه[2] :

١ - أبو بكر بن محمد بن الوليد الطرشوشي .

٢ - وأبو بكر المازري : محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (نسبة إلى مازر : بلدة بجزيرة صقلية) .

---

(١) أزهار الرياض ٣-١٥٧ من المطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٥٠٤ من المخطوطة.

٣ ـ وإمام المحدثين أبو الطاهر السلفي : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني .

وغيرهم .

كتبه

من مؤلفات القاضي عياض[١] :

١ ـ كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ وقد عرفناك به ، وسنحدثك عن نسخه بعدُ ، وهو الذى نقدمه لك الآن .

٢ ـ كتاب المستنبطة « فى شرح كلمات مشكلة ، وألفاظ مغلطة مما وقع فى كتاب « المدونة » ، لم يؤلف مثله .

وقد غلب على تسميته ببلاد إفريقية وغيرها : « التنبيهات » .

٣ ـ الغنية فى أسماء شيوخه .

٤ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وهو غريب لم يسبق إليه .

٥ ـ الإلماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع ـ سفر .

٦ ـ إكمال المعلم فى شرح مسلم ـ تسعة وعشرون جزءا .

٧ ـ الإعلام بقواعد الإسلام .

٨ ـ بغية الرائد لما تضمّن حديث أم زَرْع من الفوائد .

٩ ـ المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان ـ فى سفرين .

وغيرها كثير ، وبعضها تركها فى المبيضة ، أو لم يكملها ؛ ومنها :

نظم البرهان على صحة جزم الأذان . الفنون الستة فى أخبار سبتة . غنية الكاتب وبغية الطالب فى الصدور والترسيل . تاريخ المرابطين . الجامع للتاريخ . أجوبة القرطبيين .

---

(١) أزهار الرياض : ٥٠٤ من المخطوطة .

نسخ الكتاب

حين صحّ عزمى على إخراج هذا الكتاب القيّم محققا ، بحثت عن نسخه الخطية ، فوجدت فيضا من النسخ لم أجده لكتاب ؛ ففى مكتبة الأزهر نحو ٤٩ نسخة خطية ، وفى دار الكتب ٤٢ نسخة ؛ صحيح أن بعضها مكرر فى المكتبتين ، ولكنى لم أر مثل هذا العدد من المخطوطات لكتاب .

وكان لابد من الاختيار من هذا الفيض المادّ من النسخ ؛ ووقع اختيارى - بعد البحث والموازنة - على نسختين ، رأيت أنهما أفضل النسخ المخطوطة لهذا الكتاب ، ورمزت إلى الأولى بالحرف (ا) ، وللثانية بالحرف (ب) ، وهما بمكتبة الأزهر ، وأحدثك عنهما فى إيجاز :

١ - النسخة (ا) رقمها ٧٥٦ حديث ، وعدد أوراقها ٢٨٦ ورقة ، فى ١٧ سطرا ، وخطها نسخى جميل ، وأول صفحة منها مذهبة ، وعنوان الكتاب فيها : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم . تأليف الشيخ الإمام ، العالم المحدث ، الزاهد العلامة القاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى رحمه الله .

وقبل هذه الصفحة صفحة كتب عليها : وقف هذا الكتاب - وهو متن الشفا - عبد البر ابن المرحوم العلامة الشيخ أحمد منة الله على أهل العلم بالأزهر ، وجعل مقره بالكتبخانة الأزهرية فى رجب سنة ١٣١٦ هـ . كاتبه الفقير عبد البر أحمد منة الله المالكى الأزهرى عفا الله عنه .

وفى صفحة ٢٥ من هذه النسخة كتبت هذه العبارة :

بلغ مالكها يوسف بن شاهين سبط أحمد بن على بن حجر قراءة على الشيخ شمس الدين الرشيدى ، والجماعة سماعا فى الأول والقراءة فى النسخة الموقوفة . . . فى ذى الحجة سنة ٨٤٠ هـ .

وفى آخر هذه النسخة :

تم كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم،على يد أضعف خلق الله تعالى وأحوجهم إلى لطفه الخفى أحمد بن على بن محمد الحنفى ، عفا الله عنه ، وعن والديه ، وعمن قرأه أو نظر فيه أو سمعه ، ودعا له بالعفو والمغفرة ، وجميع المسلمين ، وذلك فى يوم الاثنين الثالث عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، أحسن الله تقضّيها . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبجانب الصفحة :

الحمـــد لله ، أنهاه قراءة فى شهر رمضان عام خمسة وخمسين . . . أبو الوفا محمد ابن خليل بن إبراهيم الحنفى ، عفا الله عنه ، داعيا لمالكه بطول البقاء .

ثم :

إجازة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

أما بعد فقد سمع جميع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تأليف القاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى رحمه الله تعالى ، على شيخنا الإمام المسند المكثر فقير رحمة ربه ، شمس الدين أبو عبـــد الله محمد الإمام جمال الدين عبد الله ابن الشيخ شمس الدين محمد العلامة برهان الدين إبراهيم بن ... الرشيدى . . . قبل موته قيل له : أخبرك العلامة تقى الدين أبو الفتح محمد بن أحمد ابن حاتم ، وعلاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن السبع ... ...

وأجازه للأخيرين بقراءة كاتبه يوسف بن شاهين الكركى سبط أحمد بن على ابن حجر فى مجالس عدتها تسعة عشر مجلسا آخرهم ! يوم الخميس ثامن عشر من شهر صفر عام خمسين وثمانمائة .

قال ذلك ، وكتب يوسف الشافعى حامدا ومصليا ، ومسلما ومحسبلا ومحوقلا .

وبعده :

الحمد لله على الدوام والصلاة على ... الأنام والسلام . القراءة والسماع والإجازة كل صحيح ، نفع الله تعالى به ونفع بهم . . . وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد ... وصلى الله تعالى على السيد الكامل سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطا متقنا، وعليها تعليقات هامة ، وهى صحيحة كاملة، وعلى هامشها مايدل على قراءتها ومراجعتها؛فهى نسخة أصيلة موثقة،خالية مما يشوبها أو ينقص من قيمتها .

٢ ـ النسخة (ب) فى ٢٣٧ ورقة ، بقلم معتاد قديم بخط أبى بكر أحمد الجعفرى سنة ٧٨٥ هـ ، ومسطرتها ١٩ سطرا ، ورقمها فى المكتبة الأزهرية ٢٠١ حديث .

وفى الصفحة الأولى منها : هـــذا كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تصنيف القاضى الإمام الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطا كاملا ، وفى هوامشها بعض تعليقات ، وبعض تفسير للكلمات ، وتدوين لاختلاف النسخ ، وتعليق .

وفى صفحة ٦٢ من هذه النسخة :

الحمد لله . بلغ الشيخ العالم الصالح خالد بن عبد الله اليمانى نفع الله به ، قراءة على على الفقير ، من أول هـــذا الكتاب إلى هنا . وأجزته أن يروى عنى جميع هذا الكتاب ، ومايجوز لى،وعلى روايته كشرطه عند أهله . وكتبه محمد بن أبى اللطف.

وكثيرا ما تقرأ على هوامش الصفحات مثل هذه العبارات :

بلغت مقابلة . بلغت مقابلة رابعة . بلغ قراءة والجماعة سماعا فى المجلس .

مما يدل على قراءة هذه النسخة ومقابلتها وأصالتها .

وجاء فى آخر هذه النسخة :

بلغ مقابلة وتصحيحا على نسخ عديدة معتمدة بحسب الطاقة والإمكان ، ولله الحمد . . .

وذلك بتاريخ مستهل جمادى الآخرة المبارك سنة تسعين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بالمسجد المعروف . . . . داخل حلب المحروسة .

وبعده :

الحمد لله . قرأت جميع الشفا بحقوق المصطفى ، تأليف الإمام الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى القاضى، على سيدنا ومفيدنا الإمام الحافظ رحلة المحدثين ، بركة المسلمين ، مفيد الطالبين : محيى الدين أبى زكريا يحيى ابن الشيخ جمال الدين يوسف بن شرف الدين بن يعقوب بن أحمد ابن الشيخ . . . الرحبى الشافعى ، بحق سماعه من الشيخ الإمام نجم الدين يوسف بن زين الدين محمد بن أبى الفتوح القرشى ، عرف بالدلاصى ، بسماعه من الشيخ الزاهد تقى الدين أبى الحسن يحيى ابن الشيخ الإمام أبى العباس أحمد بن محمد بن حسن اللواتى عرف بابن . . . بإجازته من الشيخ الإمام الحافظ أبى الحسين يحيى بن محمد بن على الأنصارى الشهير بابن الصائغ بإجازته منه ؛ فذكره عن نفسه وعن شيوخه ، وذلك فى أربعة مجالس آخرها نهار السبت مستهل صفر بمنزل ... ... داخل دمشق المحروسة .

وأجاز لى ما يجوز له روايته .

قال ذلك وكتبه أبو بكر بن أحمد بن عمر الجعفرى العجلوى ، ثم الحلبى من شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وبعده :

صحيح ذلك . وكتب : يحيى بن يوسف الرحبى الشافعى .

وفى أعلى هذه الصفحة الأخيرة :

بلغ مقابلة على عدة نسخ معتمدة أيضا حسب الطاقة . ولله الحمد والمنة ، وذلك فى الثانى والعشرين من رمضان المعظم بالزاوية البسطامية بظاهر حلب المحـــروسة فى سنة . . . وسبع . . .

* * *

ومن هذا البيان تستطيع أن تلم بما حملنى على اختيار هاتين النسختين دون غيرهما من النسخ الكثيرة للكتاب ؛ فكل منهما قد قوبلت على عدة نسخ ، وعلى كل واحدة منهما إجازة أو إجازات ، وما يدل على قراءتها ومراجعتها على نسخ كثيرة .

عملى فى الكتاب

١ ـ راجعت الكتاب على المخطوطتين السابقتين ، وأثبت الخلاف بينهما ـ إن كان ـ فى هوامش الكتاب .

٢ ـ ترجمت لبعض الأعلام ، التى رأيت أن القارىء قد يفيد من ترجمتها .

٣ ـ خرّجت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر .

٤ ـ وضعت للكتاب فهارس فنية منوعة ، تساعد على الإفادة منه ، والرجوع إلى مسائله .

٥ ـ علقت على الكتاب تعليقات تساعد القارىء على الفهم ، وتعاونه فى الكشف عن المعانى الدقيقة ، والإشارات التى وردت فيه .

وقد استعنت فى هذه التعليقات بروافد ثلاثة ، كانت خير مدد لى فيما قصدت إليه من تسهيل لفهم الكتاب وشرح لمراميه :

(ا) وأول هذه الروافد شرح الشهاب الخفاجى للكتاب ، وهو الذى أسماه : نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض .

والشهاب الخفاجى (٩٧٧ ـ ١٠٦٩ هـ) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجي المصري ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة،لأب كان من خيرة علماء عصره، هو محمد بن عمر الخفاجي .

وقد نشأ الشهاب في كنف أبيه يعلمه ويؤدبه ، وعليه تخرج في كثير من الفنون، ثم انطلق إلى رحاب أوسع، فدرس النحو، وعلوم العربية على خاله أبي بكر بن إسماعيل ابن شهاب الدين الشنواني المتوفى سنة تسع عشرة بعد الألف ، ثم درس المنطق ، وبقية علوم العربية ، وكتب المذهبين : الحنفي والشافعي .

وقرأ «الشفا» بتمامه على جمال الدين إبراهيم العلقمي المصري، وأجازه به وبغيره

وله من المؤلفات : أمالي الشهاب الخفاجي . شرح الفرائض . حديقة السحر . خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا . ديوان الأدب . ريحانة الألبا . شرح درة الغواص . شفاء الغليل . نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض . وهو كتابنا الذي نقدمه لك .

وقال في مقدمة شرحه (1) :

هذا ، وإن كتاب « الشفا » بتعريف حقوق المصطفى كتاب قدره جليل ، وهو على جلالة مصنفه أدل دليل . . . فلما كنت قديما وحديثا يحثني حادي الشوق نحوه حثيثا . . . . وكان يصدني عنه ما في الباع من القصر ، وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر .

فلما رأيت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور وإن لم تخل قصورها المشيدة من قصور ، وفي بعضها أغاليط وتطويل ممل وتخليط ، إلا أن تقليـــد الناس لبى صريح ندائها ، والبحث قد أمن على دعائها ؛ فسودت بعض الأمالي رجاء لأن يبيض بها صحف أعمالي . . . ثم عرض لي بغتة ما عرض ، مما أضر بجوهر القوى من العرض، فقصدت شفاء الروح والبدن بإسناد الجسم الصحيح لحديثه الصحيح الحسن ، رجاء الظفر بسعادة الدارين . . . وسميته نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض .

(1) نسيم الرياض : 1-2

ثم ذكر سنده فى هذا الكتاب إلى القاضى عياض .

وقد طبع هذا الكتاب فى أربعة مجلدات سنة ١٢٦٧ هـ ، سنة ١٣١٢ فى استامبول ، وطبع فى القاهرة بالمطبعة الأميرية فى أربعة مجلدات أيضا سنة ١٣٢٥هـ.

وكان هذا الشرح نَبْعا استقيتُ منه كثيرا من التعليقات ، مثبتا فى كل ما نقلته عنه مرجعى هذا .

وهو شرح مستفيض لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقف عندها ، وأفاض فى بيانها .

وهو يترجم لكثير من الرجال ، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويخرج الأحاديث، معتمدا على « مناهل الصفا » للسيوطى ، وسأعرفك به قريبا .

(ب) وثانى هذه الروافد : شرح الملا على القارى على هذا الكتاب (١٠١٤ هـ . ١٦٠٦ م) .

وهو على بن محمد[1] سلطان الهروى المعروف بالقارى ؛ وهو فقيه حنفى من صدور العلم فى عصره . ولد بهراة . وسكن مكة ، وتوفى بها .

قيل : كان يكتب فى كل عام مصحفا ، وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام .

وصنف كتبا كثيرة منها تفسير للقرآن فى ثلاثة مجلدات ، والأثمار الجنية فى أسماء الحنفية . وبداية السالك . وشرح مشكلات الموطأ ، وشرح الشمائل ، وشرح الشفا ، وهو الذى نقدمه لك .

وهذا الشرح طبع فى الآستانة سنة ١٣١٦ هـ فى مجلدين كبيرين ، كما طبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ هـ وقال فى مقدمته[2] :

أما بعد فيقول أفقر العباد إلى كرم ربه البارى على بن سلطان محمد القارى :

---

(١) وورد اسمه على كثير من كتبه : على بن سلطان .

(٢) شرح القارى : ١ ــ ٢

لما رأيت كتاب الشفاء فى شمائل صاحب الاصطفاء ، أجمع ما صنف فى بابه مجملا فى الاستيفاء ، لعدم إمكان الوصول إلى انتهاء الاستقصاء ، قصدتُ أن أخدمه بشرح يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الإعراب والبناء؛ رجاء أن أسلك فى سلك مسالك العلماء يوم الجزاء ؛ فأقول ، وبالله التوفيق .

وهذا الشرح فى نحو ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو يفسر العبارات ، ويترجم للأعلام ، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويضبط - بالحروف - ما يحتاج إلى ضبط ؛ ولكن لا يهتم كثيرا بتخريج الأحاديث .

وعبارته واضحة مشرقة ، فيه هداية للقارئ وملجأ للباحث .

(ج) أما الثالث والأخير فهو كتاب « مناهل الصفا » للسيوطى، وهو مطبوع طبع حجر سنة ١٢٧٦ هـ .

والسيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر ، غنى عن التعريف ، فهو عالم، فقيه، مفسر، مؤرخ ، لغوى ، له مؤلفات قيمة فى فروع العلم . ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ وتوفى بها سنة ٩١١ هـ .

* * *

ومن هذه الروافد الثلاثة وغيرها من كتب اللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والحديث ، والتفسير [١] ، قيدت تعليقاتى على الكتاب ؛ فكان فى حلته الجديدة جامعا لزبدة ما فى هذه الشروح ؛ مما يساعد على الإفادة من الكتاب .

* * *

وهأنذا أقدمه إلى القراء ، محققا تحقيقا فنيا أول مرة ، مع تعليقاته التى تشرح ألفاظه ، وتفسر عباراته ، وتوضح مراميه ، وتخرج آياته وأحاديثه وتكمل رواياته، وتفصل إشاراته ، مختتما بفهارس فنية منوعة تساعد على الرجوع إلى مسائله .

---

(١) ترى ذلك فى الفهرس الخاص بمراجع الضبط والتحقيق والشرح فى آخر الكتاب .

والله أسأل أن يجنبنى الزلل ، ويوفقنى إلى الصواب ، وينفع به بقدر ما قصدت من خير ، وما أردت من نفع .

على محمد البجاوى

مصر الجديدة { غرة المحرم سنة ١٣٩٨ هـ
ديسمبر سنة ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

اللهم صل على محمد وآله وسلم .

قال الفقيه القاضي الإمام الحافظ أبو الفضل عِيَاضُ بن موسى بن عِيَاض اليَحْصُبِي [2] رضيَ الله عنه: الحمدُ لله المُتَفَرِّدِ [3] باسْمِهِ الأَسْمَى [4]، المختصِّ بالمُلْكِ الأعَزِّ الأَحْمَى [5]، الذي ليس دُونَه مُنْتَهى ، ولا وراءه مَرْمى [6] ، الظاهر لا تخيُّلًا ووَهْمًا [7]،

(١) في ب : زيادة : وبه نستعين .

(٢) هو مؤلف الكتاب . وفوق كلمة « اليحصبي » في ا : « معا » ، وضبطت بالحركات الثلاث . وقال القاري : اليحصبي بتثليث الصاد ، والفتح أخف، وهو نسبة إلى يحصب بن مالك: قبيلة من حمير باليمن . وقال : لاشك أن هذا الإدخال من المقال صدر من بعض أرباب الكمال من تلاميذ المصنف ، أو من بعده .

(٣) في ب : المنفرد . وهما بمعنى المتوحد الممتاز عن المشاركة .

(٤) الأسمى : الأعلى ؛ من السمو ؛ وهو العلو ، والارتفاع ؛ أي الممتاز عن المشاركة في اسمه الأعلى .

(٥) الأعز : من العز والمنعة . والعز : حالة مانعة للإنسان عن أن يهان أو يقهر ويغلب . والأحمى: من حميته ، إذا صنته؛ أي هو في غاية المنعة ، ونهاية الحماية بحيث لا يقرب به أحد أولا وآخرا .

(٦) أي ليس بعد الله لطالب مطلب ؛ لأن العقول وقفت ثمة ، فليس وراء الله ، ولا وراء معرفته، والإيمان به — غاية تقصد . وأصل المرمى: الغرض الذي يرمى إليه ، وإليه ينتهي سهم الرامي ، وبه يحوز السبق ، كما أنه إلى الله تنتهي العقول ، وتقف ؛ فليس وراء معرفته والإيمان به ملمتس ولا غاية يرمى إليها .

(٧) يعني أن ظهوره تعالى — والظاهر الذي علم بالبصيرة ، أو الغالب — محقق مكشوف للعقول ، ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الأدلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته ، لا بحسب التخيل والوهم والظن . وفي ب : ولا وهما .

الباطن تَقَدُّسا لا عُدْماً [١] ، وسِعَ كلَّ شيء رحمةً وعِلْماً [٢] ، وأسبغَ على أوليائه نِعَماً عُمًّا [٣] ، وبعث فيهم رسولا من أنفُسِهم ، أنفَسَهم عُرْبا وعُجْما [٤] ، وأزْكاهم مَحْتِداً ومَنْمى [٥] ، وأرجَحَهم عقلا وحِلْما [٦] ، وأوفرهم عِلْما وفَهْما [٧] ، وأقواهم يقينا وعَزْما ، وأشدَّهم بهم رأفةً ورُحْمى [٨] ، وزَكّاه رُوحا وجسما [٩] ،

---

(١) الباطن : الذى لايدرك بالأبصار إدراك إحاطة ؛ والمراد أنه ظاهر بكثرة الأدلة وقوتها وبنعوت ذاته وأفعاله التى لاتخفى . باطن خفى عن إدراك كنه ذاته وحقيقة صفاته . والتقدس : الطهارة والتنزه . أى لتنزهه عن أن يحيط أحد بكنهه ، هذا إن أريد بالباطن الخفى عن البصر فى الدنيا . والعدم : الفقد .

(٢) وسع كل شىء رحمة وعلما : أى أحاط بكل شىء رحمته وعلمه ؛ فإن كل شىء لايستغنى عن رحمته إيجادا وإمدادا ، وعلمه شامل للجزئيات والكليات .

(٣) وأسبغ : أتم وأكمل . والأولياء : جمع ولى . عما : جمع عميمة ، أى عامة ، شاملة تامة .

(٤) أنفسهم — بضم الفاء : جمع نفس . والمراد أنه من جنس البشر ؛ وإنما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة التى أهله الله تعالى بها لأن يكون أهلا لأمانته . وأنفسهم — بفتح الفاء : من النفاسة ، ونفس — بضم الفاء : صار مرغوبا فيه ؛ فهو نفيس عظيم فى النفوس يحرص عليه . وقيل الأنفس الأعلى والأشرف ، والأفضل .

(٥) أزكاهم : أكثرهم وأطهرهم . والمحتد : الأصل . منمى : نسبا أو نموا وزيادة ، وارتقاء . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أشرف العرب والعجم، وأعظمهم نسبا ، وحسبه ونسبه الذى انتمى إليه أزكى وأشرف من جميع الأنساب .

(٦) أرجحهم : رجحان العقل : زيادته . والحلم : قوة توجب الصبر على الأذى ، وضبط النفس عن هيجان الغضب .

(٧) وأوفرهم : أكثرهم وأتمهم .

(٨) فى ا ، ب : ورحمى — مقصور . والرحم ، والرحمى : الرحمة ، والعطف ، والشفقة وهو تعميم بعد تخصيص .

(٩) زكاه : التزكية : التطهير ، والزيادة ؛ أى خلقه الله زائدا على من سواه ، منزها عن دنس البشرية ، وجعله فى أكمل تقويم وأحسن صورة .

وحاشَاهُ عَيْباً ووَصْما(١) ؛ وآتاه حِكمةً وحُكْماً(٢) ، وفتح به أعينا عُمياً ، وقلوبا غُلْفاً(٣) ، وآذانا صُمّا ؛ فآمن به وعزّره(٤) ، ونصره مَنْ جعل اللهُ له فى مَغْنَم السعادة قِسْما(٥) ، وكذّب به وصدَفَ عن آياته مَنْ كتب اللهُ عليه الشَّقاءَ حَتْماً(٦) ، ومَنْ كان فى هذه أعْمَى فهو فى الآخرة أعمى(٧) . صلى الله عليه وسلم صلاةً تَنْمُو وتَنْمَى(٨) ، وعلى آله وسلّم تسليما [كثيرا](٩) .

أما بَعْــدُ أشرقَ اللهُ قلبى وقلبَك بأنوارِ اليقين ، ولطفَ لى ولكَ بما لطف لأوليائه المتّقين ، الذين شرّفهم اللهُ بنُزُل قُدْسِه(١٠) ، وأوحشهم من الخليقة بأُنْسه(١١) ،

---

(١) حاشاه : جنبه ، ونزهه ، وبرأه . والوصم : كل عيب ، وعار .

(٢) آتاه : أعطاه . والحكمة : العدل ، والنبوة ، والكلام الحق . وحكما : قضاء وفصلا للأمور على الحق .

(٣) غلفا : جمع أغلف ؛ أى مغطى . ومعناه أن قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية ، فأزال النبى صلى الله عليه وسلم حجابها ، وكشف غطاءها حتى اهتدت .

(٤) عزره : وقره ، وعظمه ، وأعانه .

(٥) مغنم : بمعنى الغنم والغنيمة ، وهى مايغتنم من كل شىء . قسما : حظا ونصيبا .

(٦) صدف عن آياته : أعرض عن تدبر علامات نبوته .

(٧) فى هذه : فى الدنيا . قال القارى : والمعنى : من كان فى الدنيا لايبصر طريق هدايته لايرى فى العقبى سبيل عنايته .

(٨) تنمو : تزيد : وتنمى : ترفع . وفى ب . وتنمى ـ بالبناء للمجهول ، من الإنماء ؛ أى ويزيدها الله ، أو يزيد ثوابها أبدا ، والمعنى تزيد فى نفسها أو يزاد فيها .

(٩) من ب . قال القارى (٨) : وهو مخل بالسجع المرعى فى الفواصل .

(١٠) النزل ـ بضمتين ، ويسكن الثانى فيها (وهما بالسكون فى ا، ب): الفضل والكرامة. والقدس : من أسماء الله تعالى، بمعنى المنزه عما لايليق به . والمنزل والنزل : ما يهيأ للضيف من الكرامة،والمبارك . وقدس الله : الجنة ؛ أى شرفهم بإكرامه لهم فى جنته ؛ أى بإسكانه إياهم فيها؛ وخصهم بتشريفه ، وعلو منازلهم ، وتطهيره لهم عن النقائص .

(١١) أوحشهم:جعلهم فى وحشة ونفرة عما لا يلائم. والخليقة : الخلق. والأنس : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة . يعنى أن أنسهم بالله واستغراقهم فى مشاهدته تبعدهم عمن سواه .

وخصّهم من معرفته ومشاهدة [٢] عجائب مَلَكُوته وآثار قُدْرتِهِ بما ملأ قلوبَهم حَبْرة ، وولّه عقولَهم [١] فى عَظَمَتِهِ [٢] حَيْرَة ؛ فجعلوا همَّهم به واحداً [٣] ، ولم يروا فى الدارَيْن غَيْرَه [مشاهدا] [٤] ؛ فهم بمشاهدة جَمَالِه وجلالِه [٥] يتنعّمونَ ، وبين آثار قُدْرتِهِ وعجائب عظَمته يتردَّدُون ، وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعزَّزُون [٦] ، لَهِجينَ [٧] بصادقِ قوله [٨] : ﴿ قُل اللهُ ، ثم ذَرْهُمْ فى خَوْضِهم يَلْعبونَ ﴾ [٩] .

فإنكَ [١٠] كرّرت علىَّ السؤالَ فى مجموعٍ [١١] يتضمّن التعريفَ بقَدْر المصطفى عليه [الصلاة] [١٢] والسلام ، وما يجبُ له من توقير [١٣] وإكرام ، وما حُكْم مَنْ لم يُوَفِّ

---

(١) حبرة : مسرة . والوله : الحزن أو ذهاب العقل ؛ أى جعلها والهة متحيرة بتدبرها وتفكرها فى عظمته . (٢) فى ب : من عظمته .

(٣) الهم : العزيمة ، والإرادة ، والقصد ، وكل مطلوب يهمك ويعنيك . والمراد أنهم لما شاهدوا باهر قدرته تحيرت عقولهم فى كبرياء عظمته ، وعلموا أن ماسواه كلا شىء ، فوجهوا جميع وجوه الإرادة والعزيمة إليه ، وجعلوا قبلتهم واحدة ؛ فلا مراد لهم سواه ، لاشتغالهم به عما عداه .

(٤) ليس فى ا . قال القارى : لعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ « مشاهدا » فأسقطه مع أنه لايتم بدونه التسجيع .

(٥) فى ب : كماله . والجلال : العظمة ؛ يعنى أنهم يشاهدون جمال ربهم ، وأنوار ذاته بعيون البصائر فى الآخرة ، فيكونون بذلك فى نعيم .

(٦) يتعززون : التعزز : تفعل من العز ، ضد الذل ، ويكون بمعنى القوة .

قال القارى : وفيه إشارة لطيفة إلى أنهم إلى غيره لا يتذللون ، لأنهم بما آتاهم الله تعالى يرضون ويقنعون . (٧) لهجين : ملازمين مداومين ، مولعين ، متمسكين .

(٨) سورة الأنعام ، آية ٩١

(٩) يعنى أن هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته ، وردهم دائما ذكر الله والإعراض عما سواه ، متمثلين بهذه الآية .

(١٠) فإنك جواب « أما » فى : « أما بعد » التى سبقت .

(١١) مجموع : كتاب يجمع فيه صنف من الشمائل النبوية ، ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية . (١٢) ليس فى ب . (١٣) توقير : تعظيم ، واحترام .

واجبَ[١] عظيم ذلك الْقَدْر ، أو قصَّر فى حق مَنْصِبه الجليل قُلامةَ ظُفْر[٢] ؛ وأن أَجمعَ لكَ ما لأسلافنا وأئمتنا فى ذلك من مَقَالٍ ، وأُبيِّنَهُ بتنزيل[٣] صُوَر وأمثال .

فاعلم ـ أكرمكَ الله ـ أنك حمَّلتنى من ذلك أمراً إِمْراً[٤] ، وأرهقتنى فيما ندبْتَنِى إليه عُسْراً[٥] ، وأرقيتنى بما كلفتنى مُرْتَقًى صَعْباً ، ملأ قلبى رُعبا[٦] ؛ فإنَّ الكلامَ فى ذلك يستَدْعى تقرير أصولٍ وتحرير فصول ، والكشفَ عن غوامِضَ ودقائقَ من عِلْم الحقائق[٧] ، مما يجبُ للنبىّ صلى الله عليه وسلم ويضافُ إليه ، أو يمتنعُ أو يجوز عليه ، ومعرفة النبىِّ والرسول ، والرِّسالة والنبوَّة ، والمحبَّةِ والخُلّة[٨] ، وخصائص هذه الدرجة العليّة ، وها هنا مَهَامِهُ فِيحٌ تحَارُ فيها القَطَا ، وتَقْصُر بها الخُطا[٩] ؛

---

(١) فى ب : يوف ــ بتخفيف الفاء . ويوف : يتم ويكمل .

(٢) قلامة ظفر : تقصيرا قليلا بقدار قلامة الظفر . والظفر للإنسان معروف . والقلامة : ماقطع منه . وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة .

(٣) بتنزيل صور : بتصوير صور وأمثال ، وتقرير محامل يزول به الإشكال ، إيضاحا للمعنى ، وإيصالا إلى الذهن فى المبنى .

(٤) إمرا : عظيما ، أو عجيبا ، أو شاقا ؛ أى كلفتنى أمرا عظيما ؛ أو عجيبا طلبه منى ؛ لأنى لست بأهل له ؛ وفيه تواضع وهضم لنفسه .

(٥) الإرهاق : تكليف ما لا يطاق . ندبتنى إليه : طلبته منى ودعوتنى إليه . عسرا : أمرا عسيرا . (٦) رعبا : خوفا وفزعا .

(٧) فى ب : والكشف عن دقائق غوامض من علم الحقائق .

(٨) الخلة : الصداقة (القاموس) .

(٩) مهامه : جمع مهمه ؛ وهو القفر والمفازة البعيدة . فيح : جمع أفيح أو فيحاء ، وهى الأرض الواسعة . والقطا : جمع قطاة ، طائر ؛ وتوصف بسرعة الطيران والاهتداء فى الظلمات والتبكير . ويضرب بها المثل فيقال : أهدى من القطا . والمعنى أن هذه المهامه مع سعتها وكونها لايعلمها سالكها ، أو لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشى فيها من مد الخطا . والمراد صعوبة ما كلف به . وفى ا : وتقصر ــ بالبناء للمجهول .

ومَجَاهِلُ تَضِلّ فيها الأحلام[1] إن لم تَهْتدِ بعَلَم عِلْمٍ ونَظَرٍ سديد؛ ومَدَاحِضُ تزلّ [٣] بها الأقدام[2] إن لم تعتمدْ على توفيق من الله وتأييد.

لكنى لمَا رجَوتُه لى ولكَ فى هذا السؤالِ والجوابِ من نَوالٍ وثوابٍ[3]، بتعريف قَدْره الجسيم، وخُلُقِه العظيم، وبيان خصائصه التى لم تجتمع قبلُ فى مخلوق، وما يُدَانُ اللهُ تعالى[4] به من حقّه الذى هو أرفعُ الحقوقِ، ليستَيْقِنَ[5] الذين أُوتُوا الكتاب، ويَزْدَادَ الذين آمنُوا إيمانا، ولمَا أخذَ اللهُ تعالى على[6] الذين أوتُوا الكتاب ليُبَيِّنُنّه للناس ولا يَكتمونه؛ ولمَا حدثنا به أبو[7] الوَليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتى عليه؛ قال: حدثنا الحُسَين بن محمد، حدثنا أبو عُمر النَّمَرِى[8]، حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن[9]، حدثنا أبو بكر محمد[10] بن بكر، حدثنا سليمان

---

(١) تضل بها الأحلام: تضل: لاتهتدى. والأحلام: العقول.

(٢) مداحض: مزالق. تزل: تزلق.

(٣) النوال: العطاء. والثواب: الجزاء. (٤) يدان الله: يعبد ويطاع.

(٥) استيقن: علم علما محققا لاشبهة فيه. أى يتيقن أهل الكتاب حقيقة رسالته، ويزداد إيمان المؤمنين من أمته بتحقق ماله صلى الله عليه وسلم من المحامد. والمراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى. والكتاب: التوراة والإنجيل. وغيرهما من الكتب السماوية.

(٦) كانت مكتوبة فى ا: ولما أخذ الله تعالى ميثاق الذين ... وكتب أمامها فى الهامش: على الذين، وعليها علامة الصحة.

(٧) هو الإمام القرطبى الزاهد المحدث المعروف بابن العواد، أحد شيوخ المصنف، وتوفى بقرطبة سنة تسع وخمسمائة. وفى شرح القارى: وهو هشام بن أحمد بن هشام، يعرف بابن بقوة؛ وهو إمام حافظ، وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم فى هذا الكتاب وغيره.

(٨) هو ابن عبدالبر صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة. وهو يوسف بن عبدالله ابن محمد بن عبد البر بن عامر النمرى القرطبى الأندلسى. توفى سنة ٤٦٣ هـ.

(٩) من شيوخ ابن عبد البر. وفى ب: أخبرنا ــ بدل حدثنا. واسمه: عبد الله بن محمد ابن عبد المؤمن. وله ترجمة فى الميزان (٢ ــ ٤٩٨).

(١٠) هو ابن داسة، من مشايخ الحديث المشهورين. وهو أحد رواة سنن أبى داود عنه.

ابن الأشعث[١] ، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حَمّاد[٢] ، حدثنا عليّ بن الحكم، عن عطاء[٣] ، عن أبي هُرَيْرَة رضيَ اللهُ عنه ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ سُئل عن عِلْمٍ فكتَمه[٤] أَلجمه اللهُ بلجام من نارٍ يَوْمَ القِيامة[٥].

فَبادَرْت إلى نُكَتٍ مُسْفِرَة عن وَجْهِ الغَرَض ، مُؤَدِّيا مِنْ ذلك الحقّ المُفْتَرَض[٦] ، اخْتَلَسْتُها على استعجال[٧] ، لما المرء بصَدَدِه من شُغْل البَدَن والبال ، بما[٨] طُوِّقَه مِنْ مَقَاليد المِحْنة التي ابتُلي بها ، فكادت تَشْغَل عن كلّ فَرْضٍ ونَفْلٍ ، وتَرُد بعد حُسْنِ التقويم إلى أسفَلِ سُفْل[٩] ؛ ولو أراد اللهُ بالإنسان خيراً لجعل شُغْلَه وهَمَّه كلَّه فيما يُحْمَد غداً أو يُذَمّ مَحِلّه[١٠] ؛ فليس ثَمَّ سِوَى حَضْرة النّعيم[١١] ، أو عذاب

---

(١) في ب : ابن أشعث . وهو صاحب سنن أبي داود . مات سنة ٢٧٥ هـ .

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار ، أحد الأعلام ، توفي سنة ١٦٧ هـ . وله ترجمة في الميزان : (١ — ٥٩٠) .

(٣) هو عطاء بن أبي رباح ، أو ابن يسار .

(٤) في ب : وكتمه . وفي الترمذي : ثم كتمه .

(٥) المراد بالعلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين ؛ كتعليم حديث عهد بإسلام مايتعلق بالصلاة ، ومستفت في الحلال والحرام . والحديث في سنن الترمذي : ٥ — ٢٩ . وسنن أبي داود : ٢ — ٨٢

(٦) نكت : جمع نكتة ، وهي المعنى الدقيق النادر ، والكلام القليل الحسن . مسفرة : مضيئة وكاشفة . وفي ب : مسفرة ، وأمامها في الهامش : سافرة ، وعليها علامة الصحة . والمفترض : اللازم .

(٧) الاختلاس : اختطاف الشيء بسرعة .

(٨) في ب: مما ، والمراد ما كلفه ولزمه من الأمور الشاغلة ، ومنه تقليد الأعمال السلطانية، من الأمور الدنيوية .

(٩) أي تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين إلى أسفل سافلين .

(١٠) شغله : ما يشغل به نفسه من أفعاله وأقواله . وهمه : ما يهتم به ويعتني به . محله : مكانه . والحاء تفتح وتكسر فيها .

(١١) النعيم : الجنة . وحضرته ، حضوره .

الجحيم، ولكان عليه بخُوَيْصّته ، واستِنقاذِ مُهْجَته[1] وعَملٍ صالحٍ يستزيدُه ، وعِلمٍ نافع يُفيده أو يستفيدُه .

جَبر اللهُ صَدع قُلوبنا[2] ، وغَفَرَ عظيمَ ذنُوبنا ، وجعل جميع [٣] استعدادنا لِمَعَادِنا، وتوفُّرَ دَواعِينا فيما يُنْجِينا ويقرّبُنا إليه زُلْفى[3] ، ويُحْظِينا بمنّه [وكرمِهِ][4] ورحمته .

ولما نويتُ تَقْرِيبه[5]، ودرَّجتُ تَبْويبه[6] ، ومهّدت تَأْصِيله[7]، وخلَّصت[8] تفصيله ، وانتحيتُ حَصْره وتحصيله ، ترجَمْتُه[9] بـ«الشِّفَا بتعريف حقُوقِ المصطفى»؛ وحصرتُ الكلام فيهِ في أقسام أربعة :

القسم الأول – فى تعظيم العليّ الأعلى لقَدْرِ هذا النبيّ قولا وفِعْلا ، وتَوجّه الكلامُ فيه فى أربعة أبواب :

الباب الأول : فى ثنائه تعالى عليه ، وإظهارِهِ عظيمَ قَدْرِه[10] لديه ؛ وفيه عشرةُ فصول .

---

(١) خويصته : نفسه . والمهجة : الروح .

(٢) الجبر : إصلاح ما انكسر . والصدع : الشق .

(٣) زلفى : قربا ، أو تقريبا ، كاملا .

(٤) من ب .

(٥) تحت « نويت تقريبه » فى ب : أى للأفهام .

(٦) تحت كلمة : « درجت تبويبه » أدنيت . والمراد أنه جعل تبويبه مرتبا ومدرجا ، درجة درجة فى التأليف .

(٧) ومهدت تأصيله : التأصيل : ذكر القواعد والأصول . يعنى أنه ذكر فيه قواعد وأدلة تنبنى عليها مشاكل أبوابه . وتحت كلمة « تأصيله » ؛ أى ذكرت أصوله .

(٨) فى ب : ولخصت .

(٩) المراد سميته .

(١٠) الثناء : الوصف بالجميل . وقدر الشيء : مقداره وشرف رتبته .

الباب الثانى : فى تكميله تعالى لَهُ المحاسِنَ خَلْقاً وخُلُقاً، وقِرَانِه جميعَ الفضائل الدينية والدّنيوية فيه نَسَقاً [١] ؛ وفيه سبعةٌ وعشرون فصلا .

الباب الثالث : فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها [٤] بعظِيمِ قَدْرِه عند ربه ومَنْزِلته ، وما خَصَّه به فى الدارين مِنْ كَرَامته [٢] ؛ وفيه اثنا عشَر فَصْلا [٣] .

الباب الرابع : فيما أظهره اللهُ تعالى على يديه من الآيات والمُعْجزات [٤] ، وشرّفه به من الخصائص والكرامات ؛ وفيه ثلاثون فَصْلا [٥] .

القسم الثانى ـ فيما يجب على الأنام [٦] من حقوقه عليه السلام ، ويترتّبُ القولُ فيه فى أربعة أبواب :

الباب الأول : فى فَرْضِ الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سُنَّته ؛ وفيه خمسة [٧] فصول .

الباب الثانى : فى لزوم محبته ومُنَاصحته [٨] ؛ وفيه ستة فصول [٩] .

الباب الثالث : فى تعظيم أَمره ولزوم توقيره وبره ؛ وفيه سبعة [١٠] فصول .

---

(١) قرانه : جمعه . نسقا : المراد أنه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض .

(٢) من كرامته : أى مما فيه تكريم وتبجيل له .

(٣) فى هذا الباب خمسة عشر فصلا ، كما سيأتى . وقال القارى : (١ — ٢٢) هكذا فى كل النسخ التى عليها الرواية والتصحيح والمقابلة، والذى فى هذا الباب من الفصول خمسة عشر، ولعله أراد بالاثنى عشر فصولا مهمة وبزيادة الثلاثة مكملة ومتممة .

(٤) الآيات : جمع آية ، وهى العلامة الدالة على نبوته ؛ والآية والمعجزة يشتركان فى الدلالة على صدقه ، غير أن المعجزة تخص بالتحدى .

(٥) هى تسعة وعشرون فصلا ، كما يأتى .

(٦) الأنام : الخلق ، أو الإنس والجن .

(٧) هى أربعة ، كما سيأتى .

(٨) المناصحة : إرادة الخير للغير ، وإرشاده له .

(٩) هى خمسة كما سيأتى .

(١٠) هى ستة كما سيأتى .

الباب الرابع: فى حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ؛ وفيه عشرة فصول[١] .

القسم الثالث ـ فيما يستحيل[٢] فى حقه ، وما يجوزُ عليه شرعا ، وما يمتنعُ ويصحُّ من الأمور البَشَرِيّة أنْ يضاف[٣] إليه .

وهذا القسم ـ أكرمك الله ـ هو سِرُّ الكِتَاب ، ولُبَابُ ثمرةِ[٤] هذه الأبواب، وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نُورِده فيه من النُّكَت البيِّنات ، وهو الحاكم على ما بعده ، والمُنْجزُ مِنْ غَرض هذا التأليف وَعْدَه ، وعند التقصِّى لموعدته ، والتفصِّى عن عهدته[٥] ، يَشْرَقُ صَدْرُ العدوِّ اللّعين[٦] ، ويُشْرِقُ قلبُ المؤمنِ باليَقِين ، وتملأُ أنوارُه جوانح[٧] صَدره ويَقْدُر العاقلُ النبيَّ حقَّ قدره[٨] . ويتحرّر الكلامُ فيه فى بابين [٥] :

الباب الأول : فيما يختصُّ بالأمور الدينية ، ويتشبَّثُ به القولُ فى العصمةِ[٩] ؛ وفيه ستة عشَر فَصْلا .

---

(١) هى تسعة كما سيأتى . (٢) يستحيل : يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا .
(٣) يضاف إليه : ينسب إليه . (٤) لباب كل شىء : خالصه .
(٥) التقصى: الاستقصاء ؛ وهو بلوغ أقصى الشىء وغايته. وقال الشهاب : أو هى التقضى ــ بالضاد المعجمة ، من تقضى الأمر : إذا تم . والتفصى : الخروج والتخلص .
(٦) يشرق : أصل معناه وقوف الشراب ونحوه فى الحلق ، والمراد يتألم ويغتاظ . والمراد بالعدو اللعين : إبليس ، أو جنس العدو .
(٧) جوانح صدره : الجوانح : جمع جانحة ، وهى الضلوع التى تلى الصدر تحت الترائب .
(٨) يقدره : يعرف مقداره ، ويتصور عظيم مقامه .
(٩) ويتشبث : يتعلق . والعصمة : منع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له ، أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها . والعصمة أيضا تكون بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لايقدرون عليها .

الباب الثانى : فى أحواله الدنيويَّة، وما يجوز طرُوءه عليه من الأعراض البشريَّة[١]؛ وفيه تسعةُ فصول[٢] .

القسم الرابع — فى تصرُّف وُجوهِ الأحكام على مَنْ تنقصَّهُ أو سبَّه[٣] صلّى الله عليه وسلم ، وينقسم الكلام فيه فى بابين :

الباب الأول : فى بيان ما هو فى حقّه سَبٌّ ونَقْص ؛ من تعريض ، أو نَصٍّ ؛ وفيه[٤] عشرةُ فصول .

الباب الثانى : فى حكم شانئه ومُؤذِيه ومُتَنَقِّصه وعقوبتِهِ[٥] ، وذِكْرِ استتابَتِه، والصلاة عليه ، ووِراثته ؛ وفيه عشرةُ فصول .

وختمناهُ ببابٍ ثالث جعلناه تكملةً لهذه المسألة [٥] ، ووُصْلةً للبابين اللذين قَبْله فى حُكم مَنْ سَبَّ اللهَ تعالى ورُسلَه وملائكتَه وكُتُبه ؛ وآل النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه .

واختُصر الكلام فيه فى خمسة[٦] فصول، وبتمامها يَنْتَجز[٧] الكتاب ، وتتمّ الأقسام والأبواب ، وتلُوحُ فى غُرّةِ الإيمان لُمعةٌ منيرة[٨] ، وفى تاج التراجم دُرة

---

(١) طروءه : عروضه وحدوثه . الأعراض: جمع عرض ؛ وهو مايعرض له من الأمور البشرية .

(٢) هى ثمانية ، لاتسعة ، كما سيأتى .

(٣) تنقصه : نسب النقص إليه . والسب : الشتم . (٤) هى تسعة كما سيأتى .

(٥) الشانىء : المبغض . وتنقصه : أتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول أو فعل .

(٦) سيأتى أنها عشرة . (٧) ينتجز : يتم ويكمل .

(٨) يلوح : يظهر . والغرة فى الأصل : بياض فى جبهة الفرس ، واللمعة : من لمع الشىء: أضاء . والمراد أنه إذا تم ما فى كتابه وانتقش فى صحائف الأذهان ازداد نور الإيمان ؛ لأن الإيمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام إذا قرن بتعظيم هذا النبى الكريم ومحبته والعلم بما تؤدى إليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لأعلى عليين .

خَطيرة ، تُزيح كل لَبْس[١] ، وتوضحُ كل تخمين وحَدْس[٢] ، وتَشفِى صُدورَ قومٍ مؤمنين ، وتَصْدعُ بالحق[٣] ، وتُعرض عن الجاهلين ؛ وبالله تعالى ـ لا إله سِوَاه ـ أَستَعِين .

القسم الأول

فى تعظيم العلىّ الأعلى لقَدْرِ هذا[٤] النبىّ قولا وفعلا

قال [الفقيه][٥] القاضى الإمام أبو الفَضل رَضِىَ الله عنه :

لا خفاء على مَنْ مارس شَيْئاً من العِلْم[٦] ، أَو خُصَّ بأَدْنَى لمحة مِنْ فَهْم[٧] ، بتعظيم الله تعالى قَدْرَ نبينا عليه [الصلاة و][٨] السلام ، وخصوصِه[٩] إياه بفضائل

---

(١) تزيح : تزيل . واللبس : الخلط ، والاشتباه .

(٢) للتخمين والحدس : التخمين : قول من غير تحقيق . والحدس : قول صادر عن ظن ووهم .

(٣) تصدع بالحق : تجهر بما يدل على الحق .

(٤) فى ب : لقدر النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا . والمثبت فى ا .

قال الخفاجى: فى هذا الفصل ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا ، وكونه خيرا ورحمة عامة فى حياته ومماته ، وكونه نورا محضا للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ، ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره ، وأنه الصراط المستقيم.

(٥) من ب. وقال فى نسيم الرياض : ماوقع فى النسخ من مثل هذا وما شابهه ، من قوله: الإمام ـ من تلامذته النساخ ؛ لأنه لايمدح نفسه . وقال القارى :فيه إشعار بأنه من كلام غيره.

(٦) مارس : عالج ، ولازم ، وزاول .

(٧) لمحة من فهم : شىء قليل من الفهم . (٨) من ب .

(٩) وخصوصه إياه : وتخصيصه .

ومحاسن ومناقبُ لا تنضبط لزمام(١) ، وتنويهه(٢) مِنْ عظيم(٣) قَدْرِه بما تَـكِلُّ عنه الألسِنةُ والأقلام :

فمنها ما صَرَّح به تعالى فى كتابه ، ونَبَّه به على جَلِيلِ نِصابه(٤) ، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه ، وحضَّ العبادَ على التزامِه(٥) ، وتقلّدِ إيجابه ؛ فـكانَ جلَّ جلالُه هو الذى تفضّل وأَوْلى(٦) ، ثم طَهّر وزَكّى ، ثم مدَحَ بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه الجزاءَ الأوفى(٧) ، فله الفَضْلُ بَدْءًا [٦] وعَوْداً(٨) ، والحمد أُولَى وأُخْرَى(٩) .

ومنها ما أَبْرَزَه(١٠) للعِيان من خَلقه على أتم وجوه الـكمال والجلال ، وتخصيصُه بالمحاسن الجميلة ، والأخلاق الحميدة ، والمذاهب الـكريمة(١١) ، والفضائل العديدة ؛ وتأييدُه

---

(١) لزمام : لضابط يريد ضبطها ، ويقصد ربطها ، ويجتهد فى إحصائها .

(٢) يقال : نوهت باسمه ؛ إذا رفعت ذكره وأشعت تعظيمه .

(٣) فى ب : بعظيم قدره .

(٤) النصاب والمنصب : العلو والرفعة والشرف ؛ أى إن الله جل وعلا بذكره له صلى الله عليه وسلم فى كتابه المنزل نبه على جليل قدره ورفعته وشرفه .

(٥) الحض : الحث والطلب الشديد السريع .

(٦) أولى : أعطى . أو أنعم عليه بما علم المولى بأنه الأولى .

(٧) الأوفى : التام الـكامل .

(٨) بدءا وعودا ؛ البدء : الابتداء . والعود : الرجوع ؛ أى أولا وآخرا .

(٩) أولى وأخرى : أى هو مستحق للحمد فى أول الأمر وآخره . أو فى الدنيا والآخرة .

(١٠) ما أبرزه : ما أظهره ظهورا تاما . والعيان ـ بكسر العين : المعاينة . وفى ب : كتب تحتها بكسر العين .

(١١) المذاهب : جمع مذهب ، وهو الطريق ، ويطلق على ما اختير من الأفعال وغيرها ، كما يقال مذهب الفقهاء . والمراد مسالـكه صلى الله عليه وسلم فى أحواله مع أمته أو فى نفسه .

بالمعجزات الباهرة[١] ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البيِّنة[٢] التى شاهدها مَنْ عاصره ، ورآها من أدركه ، وعلمها علمَ يقين من جاء بعده ، حتى انتهى علمُ حقيقة ذلك إلينا ، وفاضتْ أنواره علينا ، صلى الله عليه وسلَّم كثيرا .

حدثنا القاضى الشهيد أبو على الحُسين بن محمد الحافظ ، رحمه الله ، قراءةً منّى عليه[٣] ؛ قال : أبو الحسين المبارك بن عبد الجبّار ، وأبو الفَضْل أحمد بن خَيْرُون ؛ قالا : حدّثنا أبو يَعْلى البغدادى ؛ قال : حدثنا أبو على السِّنْجِى ؛ قال : حدثنا محمد ابن أحمد بن محبوب ، قال: حدثنا أبو عِيسى بن سَوْرة الحافظ[٤] ؛ قال : حـــدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الرزّاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن قتادة ، عن أَنَس — أن[٥] النبى صلى الله عليه وسلم أُتى بالبُراق[٦] ليلة أُسْرِى به مُلْجَماً مُسْرَجاً[٧] ، فاستَصْعَبَ عليه[٨] ؛ فقال له جبريل : أَبِمُحَمَّد تَفعلُ هذا ؟ فما رَكِبكَ أحدٌ أكرم على الله منه . قال : فارْفَضَّ عرَقاً[٩] .

---

(١) الباهرة : العجيبة ، أو الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ، أو الفائقة الغالبة القاهرة .

(٢) الكرامات : جمع كرامة ، وهى أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة ؛ فيكون للنبى وللولى ، وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى فيها . والبينة : الظاهرة .

(٣) هو شيخ المصنف قرأ عليه بالأندلس . وهو المعروف بابن سكرة ، استشهد بثغر الأندلس سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وكان من أهل الحديث .

(٤) هو الترمذى ، صاحب الجامع الصحيح .

(٥) فى نسيم الرياض : وهذا حديث حسن مسند فى الترمذى وغيره (سنن الترمذى : ٥ — ٣٠١)

(٦) البراق : دابة فوق الحمار ودون البغل ، سمى به لشدة سرعته .

(٧) ملجما مسرجا : مهيأ للركوب بسرجه ولجامه . وفى ب ضبطت الجيم والراء بالكسرة .

(٨) فاستصعب عليه ؛ صعب ، أى إنه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ، أى امتنع وأبى أن يركب بسهولة .

(٩) فارفض عرقا : سال وتصبب عرقه .

الباب الأول

فى ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قَدْرِه لديه

اعلم أن فى كتاب الله العزيز آياتٍ كثيرةً مفصحة[١] بجميل ذكر المصطفى ، وعَدِّ محاسنه ، وتعظيم أمره ، وتنويه قَدْره[٢] ، اعتمدنا منها على ماظهر معناه ، وبانَ فَحْواه ، وجمعنا ذلك فى عشرة فصول :

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مَجىءَ المدح والثناء وتعداد المحاسن ؛ كقوله تعالى[٣] : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفُسِكم عزيز عليه ما عَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾.

قال السَّمَرْقَنْدِى[٤] [٦] : وقرأ بعضهم : من أَنْفَسِكم ـ بفتح الفاء . وقراءةُ الجمهور بالضم .

قال[٥] القاضى الإمام أبو الفضل ـ [وفّقه الله][٦] : أعلَمَ اللهُ تعالى المؤمنين ، أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، على اختلاف المفسرين : مَن المواجَهُ بهذا

---

(١) مفصحة : دالة كاشفة ، مبينة .

(٢) وتنويه قدره : أى رفعة شأنه بإشاعته على وجه التعظيم والتكريم .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢٨ . رسول من أنفسكم : من جنسكم البشرى ، ومن قبيلكم العربى . عزيز عليه ما عنتم : شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم ووقوعكم فى العذاب . حريص عليكم أن تؤمنوا .

(٤) السمرقندى : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى الفقيه المحدث المفسر . وسيأتى فى مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضى بواسطة واحدة .

(٥) هو المؤلف . وانظرها مش رقم ٢ صفحة ٢ .

(٦) ليس فى ب .

الخطاب[1] أنه بعث فيهم رسولا من أنفُسهم يعرفونه[2]، ويتحقّقون مكانه[3]، ويعلمون صدقَه وأمانته؛ فلا يتهمونه بالكذب وترْك النصيحة لهم، لكونه منهم، وأنه لم تكن فى العرب قبيلةٌ إلّا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرَابة[4]، [وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى[5]: ﴿إلّا المودّةَ فى القُربَى﴾][6]: وكَوْنه من أشرَفهم، وأرفَعهم، وأفْضلهم، على قراءة الفتح[7]؛ وهذه نهاية المدح؛ ثم وصفه بعدُ بأوصاف حَميدة، وأثنى عليه بمَحَامد[8] كثيرة؛ من حِرْصه على هدايتهم ورُشدهم وإسلامهم[9]، وشدة ما يُعنِّتُهم[10] ويضُرُّ بهم فى دُنياهم وأُخْراهم، وعزّته ورأفته ورحمته بمؤمنهم.

قال بعضهم: أعطاهُ اسْمَيْنِ من أسمائه: رءوف، رَحيم.

ومثلُه فى الآية الأخرى: قوله تعالى[11]: ﴿لقد مَنَّ اللهُ على المُؤمِنين إذ بَعَثَ فيهمْ رسولًا من أنفُسِهم يَتْلُو عليهم آياتِه ويُزكِّيهم، ويُعلّمهم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفى ضلالٍ مُبين﴾.

---

(١) الخطاب فى الآية السابقة: لقد جاءكم . . .

(٢) يعرفونه: أى يعرفون ذاته وصفاته وأحواله، وذكره فى الكتب القديمة.

(٣) مكانه: قدره ورتبته ومنزلته.

(٤) ولادة أو قرابة: يعنى أن كل قبيلة من العرب فيها للنبى صلى الله عليه وسلم أب أو جد أو أم. أو قرابة له. أو المراد بالولادة: القرابة القريبة، وبالقرابة: القرابة البعيدة.

(٥) سورة الشورى، آية ٢٣.

(٦) ما بين القوسين فى هامش ا، وكتب فيها بعد العبارة: من الأم العتيقة، وليس من الرواية. وليس ما بين القوسين فى ب مما يدل على زيادتها. (٧) فى كلمة: أنفسهم — بفتح الفاء.

(٨) حميدة: محمودة. والمحامد: جمع محمدة، وهى المحمودة أيضا.

(٩) رشدهم: إرشادهم. وإسلامهم؛ أى انقيادهم واستسلامهم.

(١٠) ما يعنتهم: ما يشق عليهم. وفى ب: ما يعنتهم — بضم الياء وسكون العين.

(١١) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

وفى الآية الأخرى(١) : ﴿ هو الذى بعث فى الأُمِّيِّين رسولا منهم يتلو عليهم آياتِه ويُزَكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحِكْمة وإن كانوا من قبلُ لفى ضلالٍ مُبين ﴾ .

وقوله تعالى(٢) : ﴿ كما أرسَلْنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليْكم آياتنا ويُزَكِّيكُم ويعلِّمكم الكتابَ والحكمة ويعلِّمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ .

ورُوى عن علىّ بن أبى طالب ، عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى(٣) : من أنفَسِكم(٤) — قال : نَسباً وصهراً وحَسَبا(٥) ؛ ليس فى آبائى من لَدُن آدم سِفَاح ، كُلّنا(٦) نِكاح .

[قال ابنُ الكلبى(٧) : كتبتُ للنبى صلى الله عليه وسلم خَمْسَمائة أمّ ، فما وجَدْتُ فيهن سِفَاحا ولا شيئاً مما كان عليه الجاهلية .

---

(١) سورة الجمعة ، آية ٢ . قال القارى : فى الأميين ؛ أى العرب الذى غالبهم ماقرأ ولا كتب .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٥١ (٣) سورة آل عمران ، آية ١٦٤

(٤) فى نسيم الرياض : قال ابن المنير : من أنفسهم : من جنسهم يعرفون حاله ، وأنه ماقرأ ولا درس ، وقد جاءه العلم فقص سير الأولين والآخرين على ماهم عليه حرفا بحرف ؛ فيعلم العاقل أنه أمر خارق من عند الخالق ، كل ذلك إبلاغ فى ظهور حجته ووضوح معجزته .

(٥) النسب : القرابة مطلقا ، أو من جهة الآباء . والصهر : واحد الأصهار : أهل بيت المرأة . وقيل : كل أصهار : من كان من قبل الزوج ، ومن كان من قبل المرأة . والحسب : مايعد من المآثر ، والشرف .

(٦) أى ليس فى آبائى من حيث أبو تهم ، ولا فى أمهاتى سفاح ؛ والسفاح : الزنا والفجور . والنكاح هنا عقد النكاح والزواج . وفوق كلمة سفاح فى ب : أى الزنا .

فقد صانه الله وأسلافه عما يشين ، وطهر أرحامهم عن دنس السفاح ، فلم يزل الرسول ينقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطيبة مصفى مهذبا .

(٧) ابن الكلبى : هو محمد بن السائب ، المفسر النسابة الأخبارى (ميزان الاعتدال : ٣ — ٥٥٦) .

وعن ابن عبَّاس رضى الله عنه — فى قوله تعالى[١] : ﴿ وتقلُّبك فى الساجدين ﴾ — قال[٢] : مِنْ نَبىّ إلى نَبىّ ، حتى أخرجَكَ نبيًّا][٣] .

وقال جَعْفر بن محمد : عَلِمَ اللهُ عجْزَ خَلْقِه عن طاعتِه ، فعرَّفَهم ذلك ؛ لكى يَعلَمُوا أنهم لا ينالون الصفو[٤] من خدمته ؛ فأقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم فى الصُّورة ، وألبسه من نَعتْه[٥] [٧] الرأفةَ والرحمة، وأخرجَهُ إلى الخَلْقِ سفيراً[٦] صادقا، وجعل طاعتَه طاعتَهُ ، وموافقته[٧] موافقتَه ؛ فقال تعالى[٨] : ﴿مَنْ يُطع الرَّسول فقد أطاع اللهَ ﴾ . وقال اللهُ تعالى[٩] : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

قال أبو بكر بن طاهر : زَيَّن الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة ؛ فكان كونُهُ[١٠] رحمة ، وجميعُ شمائله وصفاتِه رحمةً على الخَلْقِ ؛ فمن أصابه شىء من رحمته فهو الناجى فى الدَّارَيْنِ من كلِّ مكروه ، والواصلُ فيهما إلى كل محبوب ؛

---

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١٩

(٢) قال السيوطى : هذا الحديث أخرجه ابن سعد ، والبزار ، وأبو نعيم فى الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس ، رضى الله عنهما(١ — ٦٧) . وفى تفسير ابن كثير (٣ — ٣٥٢) : وروى البزار ، وابن أبى حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية يعنى تقلبه من صلب نبى إلى صلب نبى حتى أخرجه نبيا .

(٣) مابين القوسين فى هامش ا ، وكتب بعده : من الأم ، وليست من الرواية . وليس فى ب ، ولا فى هامشه .

(٤) الصفو : الصافى الخالص . وخدمته : عبادته وطاعته .

(٥) نعته : صفته .

(٦) سفيرا : السفير : الرسول .

(٧) بين السطور فى ب : بنزع الخافض ، وقال القارى (١ — ٣٥) : هو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة ؛ وهو أن طاعته عين طاعته . وكذلك قوله: وموافقته موافقته .

(٨) سورة النساء ، آية ٨٠

(٩) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ (١٠) كان كونه : كان وجوده .

أَلَا ترى أَنّ الله يقول(١) : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً للعالَمينَ ﴾ ؛ فكانت حياته رحمةً ، ومماتُه رحمة ؛ كما قال عليه السلام(٢) : حياتى خير لكم وموتى خير لكم . وكما(٣) قال عليه الصلاة والسلام(٤) : إذا أَراد اللهُ رحمةً بأُمّةٍ قبض نبيَّها قَبْلها ؛ فجعله لها فَرَطًا وسَلَفا(٥) . وقال السَّمَرْقَنْدِى : رحمةً للعالمين : يعنى للجن والإِنْس .

وقيل : لجميع الخَلق ؛ للمؤمن رحمة بالهداية ، ورحمةً للمنافق(٦) بالأَمانِ من القَتْلِ ، ورحمةً للكافر بتأخير العذاب .

قال ابنُ عباس رضىَ الله عنهما : هو رحمةٌ للمؤمنين وللكافرين ؛ إذ عُوفُوا مما أَصاب غَيْرهم من الأُمم المكذّبة(٧) .

وحُكى(٨) أَنّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام : هل أصابكَ من

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٢) هذا الحديث رواه ابن مسعود رضى الله عنه بسند صحيح ، ورواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بسند صحيح . (نسيم الرياض) . وفى شرح القارى : رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ، والبزار بإسناد صحيح . ورحمته لهم فى حياته لأنه هداهم لسبيل الخير ، ورحمته لهم فى مماته لتقدمه فرطا لهم .

(٣) فى ب : كما — من غير واو .

(٤) هذا الحديث صحيح متنا وسندا ، رواه مسلم (صحيح مسلم : ١٧٩٢) وفيه : إذا أراد الله رحمة أمة . وبقية الحديث كما فى مسلم : وإذا أراد الله هلكة أمة عذبها ونبيها حى فأهلكها وهو ينظر ، فأقر الله عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره .

(٥) فرطا وسلفا : أى متقدما وسابقا .

(٦) المنافق : من يخفى الكفر ويظهر الإيمان .

(٧) أى المكذبة للأنبياء ؛ فإن الله عاقب من كفر منهم بالاستئصال والخسف والمسخ ، وما نزل عليهم من السماء .

قال فى نسيم الرياض : وقول ابن عباس هذا مسند إليه فى الطبرانى ، ودلائل البيهقى ، وفى تفسير ابن جرير ، وابن أبى حاتم . وكذلك قال القارى فى شرحه (١ — ٣٧) .

(٨) قال فى نسيم الرياض : لم يوجد هذا فى شىء من كتب الحديث .

هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم ؛ كنتُ أَخْشَى العاقبة[(١)] فأَمِنْتُ لِثناءِ[(٢)] الله عز وجل عليَّ بقوله[(٣)] : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِند ذِى العَرْشِ مَكِينٍ[(٤)] . مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ .

ورُوى عن جَعْفر بن محمد الصادق ـ فى قوله تعالى[(٥)] : ﴿ فَسَلَامٌ لكَ من أَصحابِ اليمينِ ﴾ : أى بكَ[(٦)] ؛ إنما وَقعَتْ سلامتُهم مِنْ أَجْـــل كرامةِ محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالى[(٧)] : ﴿ اللهُ نورُ السمٰوات والأرض مَثَلُ نوره كمِشكَاةٍ فيها مصباحٌ . المصباحُ فى زُجَاجة ، الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيّةٍ يكادُ زيتُها يُضىء ولو لم تمسسهُ نارٌ ، نورٌ على نورٍ ، يهدى اللهُ لنورهِ من يشاء ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناس واللهُ بكل شىء عليمٌ ﴾ .

قال كعب[(٨)] ، وابن جُبَيْر : المراد بالنور الثانى هنا محمد عليه السلام [٧] . وقوله تعالى : مَثَل نورِهِ ؛ أى نور محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال سَهْل بن عبد الله[(٩)] : المعنى : اللهُ هادى أهل السمٰوات والأرض ؛ ثم قال :

---

(١) أخشى العاقبة : أى سوء العاقبة .

(٢) إذ ثناء العظيم يقتضى رضاه وقبوله ، وهو لا يرضى ويقبل إلا من كان مرحوما مقربا ، فلما علم ذلك من القرآن الذى هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله عليه وسلم اطمأن خاطره وأمن سوء الخاتمة .

(٣) سورة التكوير ، آية ٢٠ ، ٢١

(٤) مكين : متمكن ذى قدر ومنزلة ، أو صاحب مكانة .

(٥) سورة الواقعة ، آية ٩١

(٦) أى بك : أى بسبب وجودك ، أو بسبب كرمك وجودك .

(٧) سورة النور ، آية ٣٥

(٨) فى ب : قال كعب الأحبار . . .

(٩) هو التسترى ، وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

مَثَل نورِ محمد إذ كان مستودعا فى الأصلاب[١] كَمِشْكَاة[٢] صفتها كذا ؛ وأراد بالمصباح قلبَه ، وبالزجاجة صدره ؛ أى كأنه كوكبٌ دُرِّى[٣] لما فيه من الإيمان والحكمة ، تَوَقَّد[٤] من شجرةٍ مباركةٍ ؛ أى من نور إبراهيم . وضرب[٥] المَثَل بالشجرة المباركة .

وقوله : يكاد زيتها يضىء؛ أى تكاد نبوّة محمد صلى اللهُ عليه وسلم تَبينُ للناس قَبْل كلامه[٦] كهذا الزيت .

وقيل فى هذه الآية غيرُ هذا . والله أعلم .

وقد سماه اللهُ تعالى فى القرآن فى غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا ؛ فقال تعالى[٧] : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ ﴾ .

وقال تعالى[٨] : ﴿ إنا أرسلناكَ شاهدا ومبشِّرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ .

ومن هذا قولُه تعالى[٩] : ﴿ألمْ نَشرح لك صدرك . ووضْعنَا عنكَ وِزركَ . الذى أنقضَ ظهركَ . ورفعنا لك ذكْرَك . فإن مع العسر يسرا. إن مع العُسر يُسرا . فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغَبْ ﴾ .

---

(١) الأصلاب : جمع صلب : الظهر ؛ والمراد أصلاب الآباء .

(٢) المشكاة : كوة غيرنا فذة ؛ أى صفة نور محمد كصفة نور مشكاة . . . .

(٣) كأنه : كأن صدره . والدرى ؛ الكوكب المضىء .

(٤) فى ب : توقد — بالبناء للمجهول .

(٥) وضرب المثل : أى شبه ظهور نبوة محمد المتصلة بأبيه إبراهيم ، بمصباح أضاء بزيت من شجرة مباركة . « وضرب » — فى ا : بالبناء للمجهول . وفى ب : بالبناء للمعلوم .

(٦) قبل كلامه : قبل دعواه النبوة وتحديه .

(٧) سورة المائدة ، آية ١٥

(٨) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٩) سورة الشرح .

شرح: وسّع . والمراد بالصَّدْرِ هنا: القَلْب . قال ابنُ عباس: شرحه بالإسلام[١] .

وقال سَهْل : بنورِ الرسالة .

وقال الحسن[٢] : مَلأه حُكْما[٣] وعِلْما .

وقيل : معناه ألم نُطَهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس[٤] . ووضَعْنا عنك وِزرك الذى أنقض ظهركَ :

قيل : ماسلف من ذَنْبك – يعنى قبل النبوّة .

وقيل : أراد ثِقَل أيام الجاهلية[٥] .

وقيل : أراد ما أثقل ظَهْرَه من الرسالة[٦] حتى بلَّغها . حكاه الماوَرْدِى والسُّلَمِى[٧] .

---

(١) فى ب : شرحه بنور الإسلام .

(٢) هو الحسن البصرى . مات بالبصرة سنة عشر ومائة .

(٣) حكما – بضم الحاء وسكون الكاف : الحكمة . أو حكما – بكسر الحاء وفتح الكاف: جمع حكمة . والحكمة : العلم بالحقائق النافعة والشرعية .

(٤) الوسواس : الشيطان ، أو الوسوسة . وقال القارى (٢ – ٤٣) : أى لا يشوش عليك الموسوسون من الإنس والشياطين .

(٥) ثقل أيام الجاهلية : الثقل ضد الخفة . وثقلها : عدم رضاه بما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام والمحاربة والمقاتلة ، وغير ذلك مما استقبحه النبى بسلامة فطرته .

(٦) من أعبائها ، أى لما قاساه من المشقة فى تلقيه الوحى ؛ من هيبة الملك ، وحفظ مايلقى إليه ، وتكذيب قومه ، وغيرهم ، لما عرض نفسه على القبائل ، وشدة أذيتهم له عليه السلام ولأصحابه ، ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر ، وتسهيل الله ذلك عليه .

(٧) الماوردى : هو أبو الحسن على بن حبيب ، صنف فى الفقه والتفسير والأصول . توفى سنة خمسين وأربعمائة .

والسلمى : هو أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى ، واسمه محمد بن الحسين بن موسى ، النيسابورى ، شيخ الصوفية ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة . (ميزان الاعتدال : ٣ – ٥٢٤ ، وشرح القارى : ١ – ٤٤)

وقيل : عَصَمْنَاكَ ، ولولا ذلكَ لأثقلتِ الذنوبُ ظهركَ[١] ؛ حكاه السَّمَرْقَنْدِى .
ورفَعْنا لكَ ذِكْرك : قال يحيى بن آدم[٢] : بالنُّبوة . وقيل : إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معى قَوْلَ[٣] : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وقيل : فى الأَذَان [٨] .

قال القاضى أبو الفَضْل[٤] : هذا تقريرٌ[٥] مِنَ الله جلَّ اسْمُه لنبيِّه صلّى اللهُ عليه وسلّم على عَظِيم نِعَمه لَدَيْه ، وشَرِيف مَنْزِلَته عِنْدَه ، وكرامَته عليه ؛ بأَنْ شرحَ قَلْبه للإيمان والهداية ، ووسَّعه لِوَعْى[٦] العِلْم ، وحَمْل الحِكْمة ، ورَفَع عنه ثِقل أمور الجاهلية عليه ، وبغَّضَهُ لِسِيَرِها[٧] ، وما كانَتْ عليه بظهور[٨] دِينه على الدِّين كُلِّه ، وحَطَّ عنه عُهدةَ أَعباء[٩] الرسالة والنبوَّة لتبليغه للناس ما نُزِّل إليهم ، وتنويهه بعظيم مَكانه ، وجَليل رُتْبَته ، ورفعه ذِكْرَه ، وقِرَانه مع اسمه [اسْمَه][١٠] .

---

(١) قال القارى : وهذا معنى بديع .

(٢) هو يحيى بن آدم بن سليمان الأموى، مولاهم بالكوفة، أحد الأعلام، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، توفى سنة ثلاث ومائتين .

(٣) قال القارى (١ — ٤٤) : الأظهر أن يقال : فى قوله : لا إله . . .

(٤) هو المؤلف .

(٥) التقرير: تثبيت وتمهيد . والإشارة لما وقع فى سورة ألم نشرح . وهو بيان لحاصلها.

(٦) الوعى : الحفظ .

(٧) لسيرها : السير : جمع سيرة ، والمراد بالسيرة : الحالة والطريقة ، والضمير للجاهلية . وكلمة « بغضه » جاءت بصيغة المصدر فى ا ، والضبط المثبت فى ب .

(٨) ظهور دينه : الظهور بمعنى الغلبة .

(٩) الأعباء : الأحمال والأثقال ، والمعنى هنا أن الله حمله أحمال الرسالة ، وألزمه بإجراء أحكامها وتبليغها ؛ فكان فى أول الأمر فى حرج ومشقة من خوف التقصير ، فلما يسر الله له ذلك انشرح صدره ، واستراح من ثقلها ، وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الأمة ، وأدى الرسالة ؛ فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من أنه أقدره على التحمل والصبر (الشهاب).

(١٠) أى كان ذكرك عين ذكرى، لعدم انفكاكه عنه غالبا . « واسمه » الثانية ليست فى ب.

قال قَتَادة : رفَع اللهُ ذِكْرَهُ فى الدُّنيـــا والآخِرة فليس خطيبٌ ولا متشهِّد ولا صاحبُ صلاةٍ إلَّا يقولُ : أشهدُ أنْ لا إله إلّا الله وأن محمداً رسولُ اللهِ .

وروَى أبو سَعِيد الُخدْرِىّ أن النبىَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم قال: أتانى جبريلُ عليه السلام، فقال: إن رَبّى وربَّك يقولُ: تَدْرِى كيف رفعتُ ذِكْرك؟ قلتُ : الله ورسوله أعْلَم . قال : إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معى .

قال ابنُ عَطَاء[1] : جعلتُ تمامَ الإيمانِ بذِكْرِى معك .

وقال أيضا : جعلتُكَ ذِكْراً من ذِكْرى ، فمَنْ ذَكَرك ذَكَرنى .

وقال جَعْفَر بن محمد الصادق : لا يذكرك أحد بالرسالة إلّا ذكرنى بالربوبيّة[2] .

وأشار بعضهم فى ذلك إلى الشفَاعة .

ومِنْ ذِكْره معه تعالى أن قرَن طاعتَه بطاعته واسْمَه باسْمِه ؛ فقال تعالى[3] : ﴿ أطيعوا اللهَ والرسولَ ﴾ . و﴿ آمِنُوا[4] باللهِ ورسولِه ﴾ ؛ فجمع بينهما بواو العطف المُشَرِّكة .

ولا يجوز جَمعُ هذا الكلام فى غير حقّه عليه السلام .

حدثنا الشيخ أبو على الُحسين بن محمد الجَيّانى[5] الحافظ فيما أجازَنيه [٨] ،

---

(١) ابن عطاء : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، الزاهد البغدادى ، أحد مشايخ الصوفية بالعراق ، مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (القارى : ١ — ٤٦)

(٢) معنى كلام جعفر أنه لا يعترف أحد برسالتك إلا بعد أن يعترف بوحدانية الله وربوبيته ، لأنه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٢ وغيرها .

(٤) سورة النساء ، آية ١٣٦ ، وغيرها .

(٥) الجيانى : نسبة إلى بلدة بالأندلس ، مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (القارى : ١-٤٦) . وقال : « الحافظ » فى اصطلاح المحدثين : من أحاط علمه بمائة ألف حديث .

وقرأته على الثقة عنه ؛ قال [١] : حدثنا أبو عُمَر النَّمَرِى [٢] ؛ قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر بن دَاسَةَ ؛ حدثنا أبو داود السِّجْزِى ، حدثنا أبو الوليد الطَّيالِسِىُّ [٣] ، حدثنا شُعبة ، عن منصور ، عن عبد الله بن يَسار ، عن حُذَيْفَةَ رضِىَ الله عنه ، عن النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم ؛ قال [٤] : لا يَقُولَنَّ أحدُ كم ماشاءَ اللهُ وشاءَ فُلَان ، ولكن ماشاء اللهُ ثم شاءَ فلان [٥] .

قال الخطّابىّ [٦] : أرشدهم صلّى اللهُ عليه وسلم إلى الأدب فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة مَنْ سِوَاه ، واختارها بِثُمّ التى هى للنَّسَق والتراخِى ، بخلاف الواو التى هى للاشتراك .

ومثله [٧] الحديثُ الآخر [٨] : إِنَّ خطيباً [٩] خطب عند النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فقال : مَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُولَه فقد رَشِد ، ومَنْ يَعْصِهما [١٠] .

---

(١) فى ب : فقال .

(٢) هو ابن عبد البر ، صاحب الاستيعاب وغيره .

(٣) مات سنة سبع وعشرين ومائتين .

(٤) فى نسيم الرياض : هذا الحديث روى من طرق كثيرة ، وهو حديث صحيح . (ابن ماجه : ٦٨٤) .

(٥) فى نسيم الرياض : هذا النهى تنزيهى لرعاية الأدب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوى ، بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا .

(٦) الخطابى : هو أبو سليمان البستى ، كان إماما كبيرا تفقه على القفال وغيره . توفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (القارى : ١–٤٧) .

(٧) ومثله : أى مثله فى التنزيه عما يوهم .

(٨) وهو حديث صحيح فى صحيح مسلم ، وسنن أبى داود مسندا . (صحيح مسلم : ٥٩٤)

(٩) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم ، أو ثابت بن قيس .

(١٠) رشد : الرشد : الصلاح ، وهو خلاف الضلال . وأمام هذه العبارة فى ب : « فقد غوى » ، وعليها علامة الصحة . وغوى : ضل عن طريق الهدى .

فقال له النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : بِئْسَ خطيبُ القوم أنتَ ! قُمْ . أو قال : اذهَبْ . قال أبو سليمان[١] : كَرِهَ منه الجَمْعَ بين الاسمين بحَرْفِ الكناية[٢] لما فيه من التسويةِ .

وذهب غَيْرُه إلى أنه إنما كَرِهَ له الوقوفَ على « يَعْصِهما » .

وقولُ أبي سليمان[١] أصَحُّ ؛ لما رُوِي في الحديث الصحيح أنه قال: ومَنْ يَعْصِهما فقد غَوَى ، ولم يذكر الوقوفَ على يَعْصِهما[٣] .

وقد اختلف المفسِّرون وأصحابُ المعاني في قوله تعالى[٤] : ﴿ إنّ اللهَ وملائكتَه يُصلون على النبي ﴾ ؛ هل « يُصلون » [٥] راجعة على الله تعالى والملائكةِ أم لا ؟

فأجازهُ بعضُهم ، ومَنَعَهُ آخَرُون ، لعلّة التشريك[٦] ، وخَصُّوا الضمير بالملائكة ؛ وقَدَّرُوا الآية : إنّ اللهَ يصلِّي ، وملائكته يُصَلون[٧] .

---

(١) هو الخطابي السابق .

(٢) أي كره أن يعبر عنهما بضمير واحد هو ضمير التثنية ، إذ قال : ومن يعصهما .

(٣) في نسيم الرياض : قال النووي : الصواب أن سبب النهي أن الخطبة شأنها الإيضاح واجتناب الرمز ؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم ، لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية ؛ لأنه ورد في مواضع ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ .

(٥) هل يصلون : أي الضمير ، وهو الواو . . .

(٦) لعلة التشريك ؛ أي للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة في ضمير الواو .

(٧) أي من ذهب إلى أن العلة التشريك ، ولم يجوزه مطلقا ــ خص الضمير بالملائكة ، وقدر في الأول ضميرا . وفي ب : والملائكة ــ بدل : وملائكته .

وقد رُوِى عن عُمَر رضِىَ اللهُ عنه أنه قال[1] : مِنْ فَضِيلتك عنْد الله أنْ جعل طاعتَك طاعته ؛ فقال تعالى[2] : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ ﴾ .

وقد قال [٩] تعالى[3] : ﴿ قُلْ إنْ كنتم تُحِبُّون اللهَ فاتَّبِعونى يُحْبِبْكم اللهُ ويَغْفِرْ لكم ذنوبَكم واللهُ غفور رحيم . قل أطيعوا اللهَ والرسولَ فإنْ تَوَلَّوْا فإنّ اللهَ لايحبُّ الكافرين ﴾ .

رُوِى أنه لما نزلت هذه الآيةُ قالوا[4] : إنّ محمداً يريد أن نتّخِذَه حنانا[5] كما اتخذت النصارى عيسى ؛ فأنزل اللهُ تعالى[6] : ﴿ قل أطيعوا اللهَ والرسولَ ﴾ ؛ فقرَنَ طاعته بطاعته رَغْماً لهم[7] .

وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى أُمِّ[8] الكتاب[9] : ﴿ اهْدِنَا الصراط المستقيم صراط الذينَ أنْعمتَ عليهم ﴾ ؛ فقال أبو العالية ، والحسن البَصْرِى : الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخِيار أهل بيته وأصحابه ؛ حكاه[10]

---

(١) فى نسيم الرياض : هذا الحديث قال المخرجون : إنهم لم يجدوه فى شىء من كتب الحديث ، وإن ورد ما هو بمعناه فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى . (سنن النسائى : ٧ — ١٣٨) ، (صحيح مسلم ١٤٦٦) .

(٢) سورة النساء ، آية ٨٠ (٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ ، ٣٢

(٤) الذين قالوا : هم بعض الكفار ، والمنافقون .

(٥) حنانا : رحمة وعطفا ، والرزق والبركة . والمراد أن محمدا يريد أن يجعلنا ممن نتبرك به ، ونخضع له خضوعا يؤدى لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم . وفى هامش ا : الحنان : الرحمة والعطف والبركة ، ومر ورقة بن نوفل ببلال ، وهو يعذب فقال : والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا ؛ أى لأتمسحن به . (٦) سورة آل عمران ، آية ٣٢

(٧) رغما لهم : الرغم : الغيظ ، والتذليل ، والقهر ، والإكراه ؛ أى إرادة ذلك بهم وتحصيله .

(٨) أم الكتاب : الفاتحة . (٩) سورة الفاتحة ، آية : ٦ ، ٧

(١٠) هذا الأثر رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ، وصححه (الشهاب الخفاجى : ١ — ١٧٦ ، والقارى : ١ — ٥٠) .

عنهما أبو الحسن الماوردى، وحكى مكّى عنهما [نحوه][1] ؛ وقال : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

وحكى أبو اللّيث السَّمَرْقَندى مثلَه ، عن أبى العالية ، فى قوله تعالى[2] : ﴿ صِراطَ الذين أنعمتَ عليهم ﴾ ؛ قال : فبلغَ ذلكَ الحسنَ ؛ فقال : صدقَ واللهِ ونَصَح .

وحكى الماوَرْدِى ذلكَ فى تفسير[2] : ﴿ صِراطَ الّذين أنعمتَ عليهم ﴾ ، عن عبد الرحمن بن زَيْد .

وحكى أبو عَبْد الرحمن السُّلَمىّ ، عن بعضهم ، فى تفسير قوله تعالى[3] : ﴿ فقد استَمْسكَ بالعُرْوةِ الوُثْقَى لا انفصامَ لها[4] ، واللهُ سميعٌ عليم ﴾ - أنه محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : الإسلام . وقيل : شهادة التوحيد[5] .

وقال سَهْل فى قوله تعالى[6] : ﴿ وإنْ تَعُدُّوا نعمةَ اللهِ لا تُحصُوها ﴾ - قال : نعمتُه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى[7] : ﴿ والذى جاء بالصِّدْق وصدَّق به أولئكهم المتقون. لهم مايَشاءُون عِندَ رَبِّهم ذلك جَزَاءُ المُحْسِنين ﴾ .

أكثَرُ المفسرين على أن الذى جاء بالصِّدْق هو محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ليس فى ب .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ٧

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٥٦

(٤) استمسك : تمسك . والعروة فى الأصل : النبات الثابت فى الأرض . ويقال لما يعقد فى الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك . ومنه عروة القميص والكوز ، واستعمل هنا لما يستعصم به ويلتجأ إليه . والوثقى : المحكمة . والمراد أن من صدق وآمن به سلم من كل سوء فى الدنيا والآخرة .

(٥) شهادة التوحيد : قول لا إله إلا الله .

(٦) سورة إبراهيم ، آية ٣٤ ، وسورة النحل ، آية ١٨

(٧) سورة الزمر ، آية ٣٣ ، ٣٤

وقال بعضُهم : وهو الذى صدّق به .

وقرئ : صَدَق[1] ـ بالتخفيف .

وقال غيرهم : الذى صدّق[2] به المؤمنون [٩] . وقيل أبو بكر . وقيل علىّ .
وقيل غير هذا من الأقوال .

وعن مجاهد ـ فى قوله تعالى.[3] ﴿ألَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القلوبُ﴾ ـ قال : بمحمد صلى اللهُ عليه وسلم وأصحابه .

الفصل الثانى

فى وصْفِه تعالى له بالشهادةِ[4] وما يتعلق بها من الثناء والكرامة[5]

قال الله تعالى[6] : ﴿ يأيُّها النبىُّ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً ومُبَشِّرا ونَذِيراً . وداعياً إلى اللهِ بإِذْنهِ وسِرَاجاً مُنِيرا ﴾[7] : جمع الله تعالى فى هذه الآيةِ ضُروبا[8] من رُتَب

(١) فوق كلمة « صدق » فى ا : « خف » .

(٢) بالتخفيف أيضا فى ب . (٣) سورة الرعد ، آية ٢٨

(٤) أى بأنه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ إليهم ، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم لهم .

(٥) الكرامة : الإكرام له؛ يعنى أن المقصود فى الأول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا ، وكونه خيرا ورحمة عامة فى حياته ومماته ، وكونه نورا محضا منورا للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ؛ ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وأنه الصراط المستقيم . قال الخفاجى : وسيذكر فى هذا الفصل أن الله جعله شاهدا على أمته وسائر الأمم وأنبيائهم ؛ وما ذكر فيه من الثناء والإكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبته له . وبهذا تتبين مغايرة ما عقد له الفصلان (الشهاب الخفاجى : ١ – ١٨٣) . (٦) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٧) ذكر المؤلف هذه الآية قبل ذلك صفحة ٢١ لتأييد كونه نورا ، ثم ذكرها هنا لكونه شاهدا على التبليغ . (٨) ضروبا : أنواعا .

الأَثَرَة [١] ، وجُمْلَةَ أوصافٍ من المِدْحة [٢] ؛ فجعله شاهداً على أُمَّته لنفْسِه بإبلاغهم الرِّسالةَ ؛ وهي [٣] من خصائصه صلَّى الله عليه وسلم؛ ومُبَشِّراً لأَهْلِ طاعته ؛ ونَذِيرا لأهل معصيته ، وداعِياً إلى توحيده وعبادته ؛ وسِرَاجاً مُنِيرا يُهْتَدى به لِلْحقّ .

حدثنا الشيخ أبو محمد [٤] بن عتّاب رحمه الله ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القابِسيُّ ، حدثنا أبو زَيد المَرْوَزِيّ ، حدثنا أبو عَبْدِ الله محمد ابن يوسف ، حدثنا البخارى ، حدثنا محمد بن سِنَان ، حدثنا فُلَيْح ، حدثنا هلال ، عن عطاء بن يَسار ؛ قال [٥] : لَقِيتُ عَبْدَ الله بن عمرو بن العاص ، قلتُ : أَخْبِرْنى عن صِفَةِ رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم . قال : أَجَل [٦] ، واللهِ ، إنه لموصوفٌ في التَّوْرَاة ببعض صفته في القرآن [٧] : ﴿ يأَيُّها النبيُّ إنا أَرسلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً ﴾ [٧] ، وحِرْزاً للأُمِّيِّين [٨] ، أَنتَ عَبْدِى ورسولى ، سَمَّيتُك المتوكِّلَ ،

---

(١) الرتب : جمع رتبة ، وهى المرتبة والمنزلة . والأثرة — بضم الهمزة وسكون الثاء : المكرمة . وبفتح الهمزة والثاء : الانفراد بالشيء . والمراد أن فى الآية أمورا مخصوصة انفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم . ويرجح الشهاب المعنى الأول . ويرجح النووى المعنى الثانى . وقد جاء الضبط الأول فى ا ، والضبط الثانى فى ب .   (٢) المدحة : الثناء ، والذكر الحسن .

(٣) وهى : أي شهادته عليهم لنفسه بدون بينة .

(٤) قال الشهاب (١ — ١٨٦) : هو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف ، سمع منه فى رحلته للأندلس . وهو من علماء الحديث . توفى سنة عشرين وخمسمائة (والقارى : ١—٥٣) .

(٥) هذا الحديث تفرد به البخارى (البخارى : ٣ — ٨٣) . وقريب من معناه حديث فى الترمذى : ٤ — ٣٦٩ ، وفى هامش ا : قات لعبد الله بن عمرو بن العاص . والمثبت على كل كلمة فيه علامة صح فى ا .

(٦) أجل : نعم .

(٧) قال القارى (١ — ٥٥) : وهذا مذكور فى القرآن ، ولعل معناه مذكور فى التوراة .

(٨) الحرز : أصل معناه : الحفظ ، ثم أطلق على المكان الذى يحفظ به ، فيقال : حرز حريز . والمراد بالأميين العرب : لغلبة الأمية فيهم ، أو لأنهم لا كتاب لهم .

ليس بفَظّ ولا غليظ ولا صَخّاب فى الأسواق [١] ، ولا يدفَعُ بالسيئةِ السيئةَ ، ولكن يَعفُو ويَغفِر [٢] ، ولن يَقبِضَهُ اللهُ حتى يُقيمَ بهِ المِلّةَ العَوْجاءَ [٣] ، بأَنْ يقولوا : لا إلهَ إلّا الله [٤] ، ويَفتَحَ به أَعيُنا عُمْيا ، وآذانا صُمّا ، وقلوبا غُلْفًا [٥] .

وذُكِر مثلُه عن عبد الله بن سَلَام [١٠] وكَعْب الأَحبار ؛ وفى بعض طرُقه ، عن ابن إسحاق [٦] : ولا صَخِب فى الأَسواق ، ولا مُتزَيّن بالفُحْش [٧] ، ولا قَوّالٍ للخَنَا [٨] ؛ أُسدِّدُه لكل جميل [٩] ، وأَهَبُ له كلَّ خلق كريم [١٠] ، وأجعلُ

---

(١) الفظ : الرجل الشديد الغليظ القلب ؛ أى ليست له قسوة قلب ، ولا تشديد على الناس ؛ لأن ملته سمحاء . وليس بغليظ : ليس بعنيف ، والمراد أنه ليس بسيىء الخلق . والصخاب : من الصخب ، وهو ارتفاع الصوت وشدته . والمراد نفى الصخب عنه مطلقا ؛ لأنه إذا انتفى فى المحل المعتاد فيه انتفى فى غيره بالطريق الأولى . والصخاب بالسين فى ا ، والبخارى ، وبالصاد فى ب ، وهما بمعنى واحد .

(٢) لا يسىء لمن أساء إليه ، ويدفع بالتى هى أحسن ؛ وذلك لأن خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، وقد قال الله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله .

(٣) يقبضه : يتوفاه . الملة : الدين . العوجاء : غير المستقيمة . والمراد بالملة هنا ملة إبراهيم عليه السلام التى عوجتها العرب بتغييرها ؛ لأنهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم ، وكانوا يزعمون أنهم على ملته الحنيفية .

(٤) اقتصر على هذا من الدين القيم ؛ لأن العوج الواقع فيها يؤدى إلى الشرك وعبادة الأصنام .

(٥) قلوبا غلفا : لا تعى ماجئت به .

(٦) فى ب : عن إسحاق ، وتراه تحريفا .

(٧) الفحش : القبيح ، وكل شىء جاوز الحد فهو فاحش . والمراد كل قبيح قولا كان أو فعلا ؛ أى لا يتلبس بأمر قبيح ، أو يتجمل ويباهى به .

(٨) الخنا : قبيح الكلام ؛ أى لا يصدر عنه شىء من ذلك .

(٩) أسدده : أوفقه للسداد ، وهو الصواب من القول والعمل .

(١٠) أهب له : أعطيه .

السكينةَ لباسَه، والبرّ شعاره[1]، والتقْوَى ضميره[2]، والحكمةَ مَعْقولَه[3]، والصدقَ والوفاءَ طبيعته[4]، والعفوَ والمعروفَ خُلُقَه، والعَدْلَ سيرتَه، والحقّ شريعته، والهدَى إمامَه[5]، والإسلامَ مِلّته، وأحْمَد اسْمَه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلّم به بعد الجهالة، وأرفعُ به بعد الخمالة[6]، وأسمّي به بعد النَّكْرة[7]، وأكثّرُ به بعد القلّة، وأغْني به بعد العَيلة[8]، وأجمعُ به بعد الفُرْقة، وأؤلّف به بينَ قُلوبٍ مختلفة، وأهواءٍ متشتّتة، وأممٍ مُتفرّقة، وأجعلُ أمّته خَيْر أمةٍ أُخْرِجَتْ للناس[9].

وفى حديث آخر: أخبرنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عن صِفته فى التّوْراة[10]:

---

(١) السكينة: الوقار والطمأنينة. والشعار: اللباس الذى يلى الجسد.

(٢) التقوى: مايقى من العذاب فى الآخرة. والضمير: مايضمر فى القلب وينوى فى خاطره بحيث لاينساه.

(٣) الحكمة: كل كلام جامع لما يرشد إلى الحق. معقوله: المراد أن الحكمة بعقله وإدراكه. أو المراد مايعقله كله حكم ومواعظ وعلوم؛ لأنه لاينطق عن الهوى.

(٤) أى لاينطق بغير ماوافق الواقع، وإذا عاقد أحدا؛ أووعد وعدا لايخالفه؛ وهذا أمر طبيعى له جعله الله فيه.

(٥) إمامه: قد تكون بكسر الهمزة؛ أى قدوته؛ أو بفتح الهمزة، ويكون المعنى أن الهدى أمامه وقدامه، فهو ملاحظ له دائما.

(٦) الخامل: الساقط الذى لانباهة له. والخمالة: الخمول؛ أى بعد أن لم يكن لهم ذكر وقدر وشأن فى الظاهر وإن كانوا فى علم الله خير أمة.

(٧) النكرة: خلاف المعرفة، ويطلق بمعنى المجهول. والمراد: إنى أرسله فى زمان جهالة، وضلالة، وفترة، فيؤمن به أول مساكين الناس وضعفاؤهم وهى على عادة الرسل عليهم السلام؛ فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم.

(٨) العيلة: الفقر.

(٩) أخرجت: أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم.

(١٠) رواه الطبرانى، وأبونعيم فى الدلائل عن ابن مسعود (الدلائل: ١ — ٨٢). والدارمى عن كعب موقوفا، ورواه بإسناد ضعيف. (الشهاب: ١ — ٢٠٣، والقارى: ١ — ٥٩).

عَبْدِى أَحمد المختار ، مَوْلِدُه بمكةَ ، ومُهاجَرُه[١] بالمدينة ، أو قال : طَيْبة[٢] ، أُمَّتُه الحَمّادون[٣] لله على كلّ حال .

وقال تعالى[٤] : ﴿ الذين يتَّبعونَ الرَّسُولَ النبيَّ الأُمِّيَّ الذى يجدُونهُ مَكْتُوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يَأْمرهم بالمعروف ويَنْهاهم عن المُنْكَر ويُحلُّ لهم الطيباتِ ويُحَرِّمُ عليهم الخبائثَ ويضَعُ عنهم إصْرَهم والأَغْلَالَ التى كانَتْ عليهم،فالذين آمنُوا به وعَزَّرُوه ونصرُوه واتَّبعُوا النورَ الذى أُنزِل معه ، أولئكهم المفلحون . قل يأيُّها الناسُ إنى رسولُ اللهِ إليكم جميعا الذى له مُلْكُ السمواتِ والأرضِ لا إلَه إلّا هو يُحْيِى ويُميت ، فآمِنُوا باللهِ ورسولهِ النبيِّ الأُمِّى الذى يُؤْمِنُ باللهِ وكلماته واتَّبِعوه لعلكم تَهْتَدون ﴾ .

وقد قال تعالى[٥] : ﴿ فبِماَ رَحْمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كُنْتَ فظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلكَ ، فاعْفُ عنهم واستَغْفِرْ لهم وشاوِرْهُم فى الأمرِ ، فإذا عزَمْتَ فتوكَّلْ على اللهِ إنَّ اللهُ يحِبُّ المتوكِّلين ﴾ .

قال السمرْقَنْدِى : ذَكَّرهم اللهُ مِنتَّه[٦] أنه جعل رسولَه رحيما بالمؤمنين ، رءوفا

---

(١) مهاجره : محل هجرته التى هاجر إليها .

(٢) طيبة : اسم من أسماء المدينة .

(٣) الحمادون : الكثيرو الحمد .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٥٧ ، ١٥٨

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ ، وذكر المؤلف هذه الآية لتعلقها بما تقدم فى التوراة ؛ من قوله : ليس بفظ ولا غليظ .

(٦) منته : إنعامه وامتنانه عليهم . وفى هامش : ا : كتبت ذكرهم،وعليها علامة الصحة . وفى ا : مننه . والمثبت فى ب .

لَيِّنَ الجانبِ ، ولو كان فَظًّا خَشِنا فى القول لتفرَّقُوا من حوله ، ولـكن [1] جعله الله تعالى سَمْحا سَهْلا ، طَلْقا بَرًّا لطيفا [2] .

هكذا قاله الضحاك .

وقال تعالى [3] : ﴿ وكذلكَ جعلناكُم أمةً وسَطا لتـكونُوا شهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليـكم شهيدا ﴾ .

قال أبو الحسَن القابسى : أبانَ اللهُ تعالى فَضْلَ نبينا صلى الله عليه وسلم ، وفَضْلَ أُمته بهذه الآية، وفى قوله فى الآية [١٠] الأخرى [4] : ﴿ وفى هذا لِيكونَ الرسولُ شهيدا عليـكم وتـكونُوا شُهَداءَ على الناس ﴾ . وكذلك قوله تعـــالى [5] : ﴿ فـكيف إذا جِئْنا من كلِّ أُمَّةٍ [6] بشَهيدٍ وجِئْنَا بكَ على هؤلاءِ شَهِيدا ﴾ .

قوله تعالى : وسطا : أى عدلا خيارا .

ومعنى هذه الآية : وكما هدَيْنَاكُم فـكذلكَ خصَصْنَاكُم وفضَّلْناكم بأَنْ جعلناكم أمةً خِيَارا عدولا ؛ لتشهدوا للأنبياء عليهم السلام على أُمَمِهم ، ويشهدَ لـكم الرسولُ بالصِّدْق .

---

(١) فى ب : لـكن .

(٢) سمحا : سهلا جوادا كريما . طلقا : غير عبوس ، فيه بشاشة وسرور . والبار : من فيه خير وشفقة ورفق وإحسان ورحمة . واللطيف : الشفيق .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٤٣

(٤) سورة الحج ، آية ٧٨

(٥) سورة النساء ، آية ٤١

(٦) الأمة : الجماعة . والشهيد : هو النبى الذى يشهد على ما عملوه . وجئنابك على هؤلاء شهيدا : أى جئنا بك يامحمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم ؛ أو على الأمم ، أو على التبليغ .

وقيل : إنّ اللهَ جلّ جلالُه إذا سأل الأنبياء : هل بلّغتم (١) . فيقولون : نَعَمْ . فتقول أُمَمُهم : ما جاءنا مِنْ بشيرٍ ولا نذيرٍ ؛ فتشهد أُمّةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم للأنبياء؛ ويُزَكّيهم النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم (٢) .

وقيل : معنى الآية : إنكم حُجّةٌ على كلّ مَنْ خالفكم ، والرسولُ حجّةٌ عليكم (٣) . حكاه السمرقندى .

وقال اللهُ تعالى (٤) ﴿ وَبَشِّرِ الذين آمنُوا أَنَّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عند ربِّهم ﴾ .

قال قَتادة ، والحسَن ، وزَيْد بن أسلم : « قَدَم صدق » : هو محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، يشفَعُ لهم (٥) .

وعن الحسَن أيضا : هى مصيبتُهم بنبيِّهم (٦) .

وعن أبى سَعيد الخُدْرى رضىَ الله عنه : هى شفاعةُ نبيِّهم محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ هو (٧) شفيعُ صِدْقٍ عندَ ربهم .

---

(١) هل بلغتم : سؤال الله ليظهر حال الأمم وفضل هذه الأمة ، وإلا فالله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى .

(٢) هذا حديث مرفوع أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى . (صحيح البخارى : ٩ – ١٣٢) .

(٣) أى إجماعهم حجة ، وشهادتهم مقبولة معتبرة ، والنبى صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع .

(٤) سورة يونس ، آية ٢

(٥) قدم صدق : تقدم ورتبة رفيعة عند الله . ويراد بقدم الصدق : تزكيته المقرونة بتصديقه ، وفيه مناسبة تامة لما نحن فيه . وفى تفسير القرطبى (٨ – ٣٠٦) – عن الحسن وقتادة : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه شفيع مطاع يتقدمهم ، كما قال : أنا فرطكم (أى متقدمكم) على الحوض . وارجع إلى القرطبى ففيه أقوال أخرى كثيرة فى معنى « قدم صدق » – إن أردت .

(٦) أى وفاته صلى الله عليه وسلم قبلهم . وهذا المعنى منقول فى القرطبى (٨ – ٣٠٦) عن الحسن .

(٧) فى ب : وهو .

وقال سَهْل بن عبد الله التُّسْتَرى : هى سابقةُ رحمةٍ أودعها اللهُ فى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال محمد بن على التِّرْمِذِى[١] : هو[٢] إمامُ الصادقين والصدِّيقين ، الشفيعُ المُطَاع ، والسائلُ المُجابُ محمد صلى اللهُ عليه وسلم ، حكاه عنه السُّلَمى .

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه إياه مَوْرِدَ الملاطفةِ والمَبَرَّة[٣]

من ذلك قوله تعالى[٤] : ﴿ عفَا اللهُ عنك ، لِمَ أَذِنْتَ لهم ﴾ .

قال أبو محمد مَكِّىّ : قيل هذا افتتاحُ كلامٍ بمنزلة : أصلحكَ الله ، وأعزَّك الله.

وقال عَوْن[٥] بن عبد الله : أخبره بالعَفْو قبل أنْ يُخْبِره بالذَّنْب[٦] .

وحكى السَّمَرْقَنْدى عن بعضهم أنَّ معناه : عافاكَ اللهُ ياسليمَ القلبِ : لِمَ أَذِنْتَ لهم ؟

قال : ولو بدأ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بقوله ، لِمَ أَذِنْتَ لهم لخِيفَ عليه أنْ يَنْشقَّ قلبُه من هيبةِ هذا الكلامِ[٧] ، لكنّ الله تعالى برحمته أَخبره بالعفو حتى

(١) هو الحكيم الترمذى، وهو غير صاحب السنن .

(٢) فى ب : هى — أى القدم . وفى تفسير القرطبى (٨ — ٣٠٦) : وقال الترمذى الحكيم: قدمه صلى الله عليه وسلم فى المقام المحمود .

(٣) أى خطاب الله تعالى لنبيه الكريم . والملاطفة : المعاملة بلطف وشفقة . والمبرة : بمعنى البر ، وهو الإحسان والخير .

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٣

(٥) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى الزاهد الفقيه ، توفى فى حدود سنة ستين ومائة .

(٦) الذنب هنا : خلاف الأولى والأليق ؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(٧) لأنه حينئذ يشعر بأنه وقع فى الآثام .

سكن قَلْبُه ، ثم قال له : لِمَ أَذِنْتَ لهم بالتخلف (١) حتى يتبيَّنَ لك الصادقُ فى عُذْرِه من الكاذب .

وفى هذا من عَظِيمِ منزلته عند اللهِ مالا يَخْفَى على ذى لُبٍّ(٢) .

ومن إكرامه إياه وبِرِّه به ماينقطِعُ دون معرفةِ غايتهِ نِيَاطُ القَلْبِ(٣) . قال نِفْطَوَيْه (٤) : ذهب ناسٌ إلى أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مُعاتَبٌ بهذه الآية ، وحاشاهُ(٥) من ذلك ، بل كان مُخَيَّرًا (٦) فلما أذِنَ لهم أعلمه اللهُ تعالى أنه لو لم يَأْذَنْ لهم لقعَدُوا لنفاقِهم ، وأنه لا حَرَجَ عليه فى الإِذْنِ [لهم](٧) .

قال القاضى (٨) أبو الفضل : يجبُ على المسلم المجاهدِ نَفْسَه (٩) ، الرائضِ بزِمام الشريعةِ خُلُقَه(١٠) أن يتأدَّبَ بأَدَبِ القرآن فى قوله وفعله ، ومُعاطاته(١١) ومُحاوراته ،

---

(١) كان هذا التخلف عن غزوة تبوك .
(٢) اللب : العقل .

(٣) نياط القلب : نياط : عرق غليظ يعلق به القلب من الوتين . وقيل : هو الوتين نفسه ؛ فإذا انقطع مات صاحبه ؛ فلذا كنى به عن الموت .

(٤) نفطويه : هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى النحوى، توفى سنة ثلاث وثلاثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة .

(٥) وحاشاه من ذلك : أى والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن أن يفعل مايستحق العتاب عليه . قال فى نسيم الرياض : لاعتاب فى هذه الآية ، بل فيها إعزاز له وإكرام بالدعاء له ، وتصويب لفعله .

(٦) بل كان مخيرا : بين الإذن وعدمه؛ لقوله تعالى : ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ . وفى ب : مخبرا — بكسر الباء .

(٧) ليس فى ب .
(٨) هو المؤلف ، كما سبق .

(٩) المجاهد نفسه : بتهذيب الأخلاق ، والصبر ، وكسر شهوتها ؛ فإنه الجهاد الأكبر . وفى ب : بنفسه .

(١٠) راض: من رضت الدابة أروضها ؛ إذا ذللتها لتنقاد لما تريد وتلين شكيمتها. والزمام: مايقودها كاللجام .
(١١) معاطاته : المراد بالمعاطاة هنا الأفعال الواقعة منه .

فهو عُنْصُرُ المعارف الحقيقية ،وروضةُ الآداب الدينية والدُّنْيَوية [١] ، ولْيتأَمّلْ هذه الملاطفةَ [٢] العجيبةَ فى السؤال من رَبِّ الأرباب ، المُنْعِم على الكلّ ، المستَغْنِى عن الجميع ، ويَسْتَثِرْ ما فيها من الفوائد [٣]، وكيف ابتدأ بالإكرامِ قبل العَتْبِ، وأَنَّسَ [٤] بالعفو قبل ذِكْرِ الذنب إنْ كان ثَمَّ ذَنْب .

وقال تعالى [٥] : ﴿ ولولا أنْ ثبَّتْنَاكَ لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئا قَليلا ﴾ [٦] .

قال بعضُ المتكلمين : عاتَبَ اللهُ تعالى الأنبياءَ عليهم السلام بعد [١١] الزَّلَّات [٧] ، وعاتب نبيَّنا عليه السلام قبل وُقُوعِه ، ليكونَ بذلك أشدَّ انتهاءً ومحافظةً لشرائطِ المحبَّةِ ، وهذه غايةُ العِنَايَة .

ثم انظُرْ كيف بدأَ بثَبَاتِه [٨] وسلامتِه قبل ذِكْرِ ما عَتَبه [٩] عليه، وخِيفَ أنْ

---

(١) فهو : الضمير للنبى ، أوللقرآن . والعنصر : الأصل . والروضة : أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة .

(٢) وليتأمل : وليتدبر ؛ أى المسلم .

(٣) يستثر : يبرز ويحرك ، أى يظهره لنفسه ولغيره . وفى ب : يتبين ويستثير . وقال القارى :يستثير : من ثار الشىء إذا ارتفع وانتشر، والمراد يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج . ما فيها : أى الملاطفة والآداب القرآنية .

(٤) فى ب : وآنس .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٧٤

(٦) أى لولا أن ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل إلى مرادهم ميلا ما قليلا ؛ ففى هذه الآية تصريح بأن الله عصمه عن الميل إلى خلاف الصواب ، فضلا عن الوقوع فيه. وفيه دليل ظاهر على ماقدمه من أنه لاذنب له رأسا .

(٧) الزلات : جمع زلة ، من الزلل ، وأصله دحوض القدم ، ثم عبر به عن الوقوع فيما لايرضى من غير قصد ؛ ولذا فسر بالخطأ ؛ فإن الزلة ما صدر من سالك الطريق من غير قصد المخالفة .

(٨) أى لم يقل : لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا لولا أن ثبتناك، فبدأ بثباته على الموافقة، وسلامته من المخالفة .

(٩) فى ب : ما عاتبه عليه .

يَرْكَنَ إليه ، ففى أثناء عَتْبِه براءته ، وفى طىّ تخويفه تأمينُه وكرامتُه .

ومثله قولُه تعالى[1] : ﴿ قد نَعْلَمُ إنّه ليَحزُنُكَ الذى يَقُولون ، فإنهم لا يُكَذِّبونَكَ ولكنَّ الظالمين بآياتِ اللهِ يَجْحَدُون ﴾[2] .

قال علىّ رضِىَ الله عنه[3] : قال أبو جهل للنبى صلّى اللهُ عليه وسلم : إنّا لا نُكذِّبُكَ ولكن نُكذِّبُ ما[4] جئتَ به ، فأنزل اللهُ تعالى : ﴿ فإنّهم لا يكذِّبُونكَ ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ اللهِ يَجْحَدُون ﴾ .

ورُوِى أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم[5] لما كذّبه قومُه حَزِن ، فجاءه جبريلُ عليه السلام فقال : مايُحْزِنُك[6] ؟ قال : كذّبنى قومى ! فقال : إنهم يَعْلمون أنكَ صادِق ، فأنزل اللهُ تعالى الآية .

ففى هذه الآيةِ مَنْزَعٌ[7] لطيف المأخَذ ، مِنْ تَسْليتِه[8] تعالى له عليه السلام ، وإلطافه به فى القَوْلِ ، بأَنْ قرَّرَ[9] عنده أنه صادقٌ عندهم ، وأنّهم غَيْرُ مكذِّبين له ، مُعْتَرِفون بصِدْقه قولا واعتقادا ، وقد كانوا يُسمُّونَه — قَبْلَ النبوّة — الأمينَ ،

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٣ (٢) يجحدون : ينكرون .

(٣) فى تفسير القرطبى (٦ — ٤١٦) : قال أبو ميسرة : إن رسول الله مر بأبى جهل وأصحابه فقالوا : يامحمد ، والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ماجئت به ، فنزلت هذه الآية . (٤) فى ب : بما .

(٥) قال السيوطى فى تخريجه هذا الحديث : لم أجده . وقال القارى : حديث جبريل هذا أورده بصيغة روى ، ولم أعرف من رواه .

(٦) فى ب . ما يحزنك — بفتح الياء .

(٧) منزع لطيف : المراد به شىء يرجع إليه . لطيف المأخذ : حسن دقيق أخذه واستنباطه منها .

(٨) التسلية : تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه .

(٩) قرر : بين وأثبت .

فدَفع بهذا التقرير ارْتِماضَ نَفْسِه بِسِمَةِ الكذب[1] ، ثم جعل الذَّم لهم بتسْمِيَتِهم جاحدِينَ ظالمين ، فقال تعالى : ﴿ ولـكنَّ الظالمين بآياتِ اللهِ يَجْحَدون ﴾ .

فحاشاه من الوَصْمِ[2] ، وطوَّقَهم[3] بالمعاندة بتكذيب الآياتِ حقيقةَ الظُّلْم ، إذ الجَحْدُ إنما يكون ممَّنْ علِمَ الشيء ثم أنكره ، كقوله تعالى[4] : ﴿ وجَحَدُوا بها واستَيْقَنَتْها أنفُسهم ظُلْما وعُلُوًّا ﴾ .

ثم عزَّاه وآنَسه[5] بما ذكره عمَّنْ قَبْله ، ووعده النصْرَ بقوله تعالى[6] : ﴿ ولقد كُذِّبَتْ رسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فصبروا على ما كُذِّبوا وأُوذُوا حتى أَتاهم نَصْرُنا ولا مُبَدِّلَ لِكلمات اللهِ ولقد جاءكَ مِنْ نَبَأ المُرْسَلين ﴾[7] .

فمَنْ قرأ[8] « لا يُكْذِبُونَكَ » بالتخفيف ، فمعناه : لا يَجِدونكَ كاذبا . وقال[9] الفرّاء ، والكسائي : لا يقولونَ إنكَ كاذب .

وقيل : لا يَحْتَجّون على كَذِبك ، ولا يُثْبِتُونه .

ومن قرأ بالتشديد[10] فمعناه : لا يَنْسُبُونَكَ إلى الكذب . وقيل : لا يعتقدون كَذِبَكَ .

---

(١) الارتماض : أصل الارتماض من الرمضاء ، وهي شدة الحرارة ، شبه بها مااشتد عليه وأقلقه من ألم قلبه . والسمة : العلامة .

(٢) حاشاه من الوصم : أي نزه الله النبي وبرأه من الوصم ؛ وهو النقص والعيب . والمراد به الكذب المذكور في الآية .

(٣) وطوقهم : وألزمهم . (٤) سورة النمل ، آية ١٤

(٥) التعزية : تسلية المصاب بما يخفف حزنه . وآنسه : أذهب وحشته وقلقه بما لقيه منهم .

(٦) سورة الأنعام ، آية ٣٤

(٧) لكلمات الله : أي مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا ﴾ .

(٨) وهو نافع ، والكسائي . (٩) في ب : قال . (١٠) وهم الباقون .

ومما ذُكِر من خصائصه [1] وبرِّ اللهِ تعالى به أن الله تعالى خاطبَ جميعَ الأنبياء بأسمائهم ، فقال تعـــالى : يا آدم ، يا نوح ،[يا موسى][2] ، ياداود ، يا عيسى ، يا زكريا ، يا يحيى . ولم يخاطَبْ هو إلّا : يأيّها الرسولُ ، يأيها النبيُّ ، يأيها المُزَّملُ ، يأيها المُدَّثِّر .

الفصل الرابع

فى قَسَمِهِ تعالى بعظيم قَدْرِه

قال الله تعالى [3] : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ [4] يَعْمَهُونَ ﴾ .

اتّفقَ أهلُ التفسير فى هذا أنه قَسَمٌ من الله جلَّ جلالُه بمُدَّةِ حياةِ محمد صلى الله عليه وسلم ، وأصْلُه ضَمُّ العين ، مِن العُمْرِ ، ولكنها فُتحت لكثرة [5] الاستعمالِ . ومعناه : وبقائكَ يا محمد . وقيل : وعَيْشِكَ . وقيل : وحيَاتِكَ .

وهذه نهايةُ التعظيم ، وغايةُ البرِّ والتشريف . قال ابنُ عباس رضى الله عنهما : ما خلقَ اللهُ تعالى ، وما ذَرَأَ [6] ، وما بَرَأَ نفساً — أكرمَ عليه مِنْ محمد [7] صلّى اللهُ عليه وسلم ، وما سمعتُ اللهَ تعالى أقسم بحياةِ أحدٍ غَيْرِه [8] .

وقال أبو الجَوْزَاء [9] : ما أَقْسَمَ اللهُ تعالى بحياةِ أحَدٍ غَيْرِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أكْرَمُ [10] البريّةِ عنده .

---

(١) خصائص : جمع خصيصة . وهى ما خص به دون غيره تمييزا له وتفضيلا له على غيره .

(٢) ليس فى ا . (٣) سورة الحجر ، آية ٧٢

(٤) سكرتهم : غفلتهم . يعمهون : يتحيرون ويترددون .

(٥) فى ب : بكثرة . (٦) ذرأ : خلق . وبرأ : خلق .

(٧) فى ب : غير محمد صلى الله عليه وسلم .

(٨) قول ابن عباس هذا رواه البيهقى فى دلائله، وأبو نعيم، وأبو يعلى .

(٩) أبو الجوزاء : أوس بن عبد الله الرابعى البصرى ، يروى عن عائشة وغيرها ، وعنه قتادة وعدة ، وهو ثقة ، كما قال الحاكم . وتوفى سنة ثلاث وثمانين . وفى ب : أبو الحبر .

(١٠) البرية : الخليقة .

وقال تعالى[1] : ﴿ يٰس . والقرآن الحكيم . . . ﴾ الآيات .

اختلف المُفَسِّرون فى معنى « يٰس » على أقوال ؛ فحكى أبو محمد مَكِّىّ [أنه][2] رُوِىَ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لى عند رَبِّى عشرةُ أسماء ، ذكر منها : طه ويٰس - اسمانِ له[3] .

وحكى أبو عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، عن جَعْفر الصادق - أنه أراد : ياسيّدُ ، مخاطبةً لنبيه صلى اللهُ [١٢] عليه وسلم .

وعن ابن عباس : يٰس - يا إنْسَان[4] ، أرادَ محمدا صلى اللهُ عليه وسلم ، وقال : هو قَسَمٌ ، وهو من أسماء الله تعالى[5] .

وقال الزجَّاجُ[6] : قيلَ معناه : يامحمد . وقيل : يارَجُل . وقيل : يا إنسان .

وعن ابْنِ الحَنَفِيّة : يٰس : يا محمد .

وعن كَعْب : يٰس : قَسَمٌ أقسم اللهُ تعالى به قَبْلَ أنْ يخلُقَ السماء والأرضَ بألْفَىْ عام : يا محمَّدُ إنكَ لَمِنَ المُرْسَلِين . ثم قال : والقُرآنِ الحكيمِ إنكَ لَمِنَ المُرْسَلِين .

---

(١) سورة يس ، آية ١ ، ٢ (٢) ليس فى ا .

(٣) اسمـــان له : أى هما اسمان له صلى الله عليه وسلم . وقال القارى (١ - ٧٤) : ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح ، وقد ضعفه القاضى أبو بكر بن العربى . وقال الشهاب . (١ - ٢٤٠) : فى سنده مقال .

(٤) رواه ابن أبى حاتم . وعن مقاتل إنها لغة حبشية ، يسمون الإنسان « يس » . وعن ابن عباس إنها لغة طيء .

(٥) قال السيوطى : أخرجه ابن جرير .

(٦) الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد شيخ العربية ، الإمام فى الأدب . توفى سنة ست أو إحدى عشرة وثلاثمائة (الشهاب : ١ - ٢٤٣) . وقال القارى (١ - ٧٥) : توفى سنة عشر وثلاثمائة ببغداد .

فإنْ قُرّر أنه بين أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وصَحَ فيه [١] . أنه قسَمٌ كان فيه من التعظيم ما تقدّم [٢] . ويؤكّدُ فيه القَسَمَ عطفُ القَسَمِ الآخَرِ عليه ، وإنْ كان بمعنى النداء فقد جاء قَسَمٌ آخَر بعْدَه لتحقيقِ رِسالته ، والشهادةِ بهدايته : أقسم اللهُ تعالى باسْمِه [٣] وكتابِه إنه لَمِنَ المُرْسَلين بوَحْيِه إلى عِبَادِه ، وعلى صراطٍ مستقيم من إيمانِه ، أى طريقٌ لا اعْوِجَاجَ فيه ، ولا عُدولَ عن الحق .

قال النّقاشُ [٤] : لم يُقسِم اللهُ تعالى لأحَدٍ من أنبيائه بالرسالةِ في كتاب إلّا له ، وفيه مِنْ تعظيمه وتَمْجِيدِه — على تأويل مَنْ قال : إنه ياسيد — ما فيه ؛ وقد قال عليه السلامُ : أنا سيِّدُ ولَدِ آدمَ ، [ولا فَخْرَ] [٥] .

وقال تعالى [٦] : ﴿ لا أُقْسِمُ بهذَا الْبَلَدِ ، وأَنْتَ حِلٌّ بهذا الْبَلَدِ ﴾ .

قيل : لا أُقْسِمُ به إذا لم تَكُنْ فيه بعد خُروجِكَ منه ، حكاه مَكّيّ [٧] .

وقيل : « لا » زائدة ؛ أى أُقسم به وأَنْتَ به يا محمد حَلَالٌ [٨] . أو حِلٌّ لكَ ما فَعلْتَ فيه على التفسيرين .

---

(١) أنه : الضمير لـ « يس » . (٢) ماتقدم : أى من القسم بقوله : لعمرك .

(٣) باسمه : وهو يس : العلم الدال على ذاته .

(٤) النقاش : أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى البغدادى المفسر المقرىء توفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

(٥) ما بين القوسين ليس فى ب . والفخر : ادعاء العظمة والشرف والإعلان بذكره ؛ أى لا أقول ذلك تبجحا ولا افتخارا بل تحديثا بنعم الله وشكرا له . والحديث فى مسلم (١٧٨٢) ، وابن ماجه (١٤٤٠) . (٦) سورة البلد ، آية ١ ، ٢

(٧) أى « لا » نافية ، والبلد : مكة . وفى شرح القارى (١ — ٧٧) : هذا الذى حكاه مكى لايستقيم تنزيله على الآية ، لأنه عكس مقتضاها ، ألا ترى أن الواو من قوله تعالى : وأنت حل . واو الحال ، وإذا كانت كذلك فيكون معنى الآية : لا أقسم بهذا البلد إذا كنت فيه ، وهو ضد ما قال مكى .

(٨) حلال : مقيم .

والمرادُ بالبلد عند هؤلاء مَكَّة .

وقال الوَاسِطِىُّ : أى نَحْلِف لك بهذا البلدِ الذى شَرَّفْتَه بمكانك فيه حيًّا ، وببركتك مَيِّتا – يَعْنِى المدينة .

والأولُ أصحُّ ؛ لأنّ السورةَ مكية ، وما بعده يُصَحِّحُه : قوله تعالى : ﴿ وأَنْتَ حِلٌّ بهذا البلد ﴾ .

ونَحْوُه قولُ ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى[١] : ﴿ وهذا الْبَلَدِ الأمين ﴾ قال : أَمَّنها اللهُ تعالى بمُقامِه فيها وكَوْنِه بها ، فإنَّ كَوْنَه[٢] أَمَانٌ حيثُ كان .

ثم قال[٣] : « وَوَالدٍ وما وَلَد » : ومَنْ قال : أراد آدم فهو عامٌّ[٤] ؛ ومَنْ قال : هو إبراهيم وما وَلَد – إنْ شاءَ اللهُ – إشارةٌ إلى محمد صلى اللهُ عليه وسلم ، فتتضمّنُ السورةُ القَسَم به صلى الله عليه وسلم فى موضعين[٥] .

وقال تعالى[٦] : ﴿ الٓمٓ . ذلكَ الكتَابُ لا رَيْبَ فيه ﴾ :

قال ابنُ عباس : هذه الحروفُ أقسام[٧] أقسم اللهُ تعالى بها . وعنه وعن غَيْرِه فيها غَيْرُ ذلك .

وقال سَهْل بن عَبْد الله التُّسْتَرى[٨] : الألف هو الله تعالى . واللام جبريل . والميم محمد صلى اللهُ عليه وسلم .

(١) سورة التين ، آية ٣
(٢) فإن كونه ، أى وجوده . أمان : موجب للأمانة . حيث كان : حيث وجد بذاته الشريفة .
(٣) سورة البلد ، آية ٣
(٤) فالقسم على هذا بنوع الإنسان ، لأنه أشرف مخلوقاته .
(٥) أحدهما فى البلد الذى هو محله ، والثانى فى قوله : ومولود – على هذا التفسير .
(٦) سورة البقرة ، آية ١ ، ٢
(٧) الأقسام : جمع قسم ، بمعنى المقسم به .
(٨) رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وحكى هذا القولَ السمرقنديُّ ، ولم ينسبه إلى سَهْل ، وجعل معناه : اللهُ أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا رَيْبَ فيه .

وعلى الوجْه الأول [١] يحتمـــلُ القسَمُ أنَّ هذا الكتابَ حقٌّ لا رَيْبَ فيه ، ثُمَّ فيه مِنْ فَضيلة قِرَان اسْمِه باسمه نحو ما تَقَدَّم .

وقال ابنُ عطاء ـ في قـــوله تعالى [٢] : ﴿ قٓ والقرآنِ المجيد ﴾ ـ أقسم بقُوَّةِ قَلْب [٣] حبيبه [محمد] [٤] صلى اللهُ عليه وسلم حيث حَمَل [٥] الخِطَابَ والمشاهدةَ ولم يؤثر ذلك فيه لِعُلوِّ حاله [٦] .

وقيل : هو اسْمٌ للقرآن . وقيل : هو [٧] اسْمٌ لله تعالى [٨] . وقيل : جَبَلٌ مُحِيط بالأرض . وقيل غير هذا .

وقال جَعْفَر بن محمد ـ في تَفْسِير [٩] : ﴿ والنَّجْمِ إذَا هَوَى ﴾ : إنه محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وقال [١٠] : النجم قَلْبُ محمد صلّى اللهُ عليه وسلم : انشرح من الأنوار .

---

(١) الوجه الأول الذى رواه عن ابن عباس ، وهو القسم بالحروف .

(٢) سورة ق ، آية ١

(٣) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما في قوله : قلت لها قفى قالت قاف .

(٤) ليس في ب .

(٥) حمل : تحمل ، وأطاق خطاب الله ليلة الإسراء ومشاهدة الملكوت ومهابته .

(٦) أى إن له صلى الله عليه وسلم حالا في ثبات جنانه ورفعة شأنه ، لما أودع في قلبه من اليقين .

(٧) هو : أى ق .

(٨) على نحو ما مر من إطلاق حرف من الاسم على مسماه ، فهو على هذا بمعنى قيوم ، أو قدير ، ونحوه .

(٩) سورة النجم ، آية ١

(١٠) وقال : أى جعفر ، فله فيه تفسيران ، أو عنه فيه روايتان .

وقال : انقطعَ[1] عن غَيْرِ الله .

وقال ابنُ عطَاء ـ فى قوله تعالى[2] : ﴿ والفَجْرِ ولَيَالٍ عَشْر ﴾ ـ الفَجْر : محمد صلَّى اللهُ عليه وسلم ، لأنّ منه تفَجرَ الإيمانُ[3] .

الفَصْلُ الخَامِسُ

فى قَسَمِه تعالى [١٣] جَدُّهُ ، له ، ليُحَقِّقَ مكانتَه عنده[4]

قال جَلَّ اسْمُه : ﴿ والضُّحَى . واللَّيلِ إذَا سَجَى . ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى . وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ، ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتيماً فآوَى . ووَجدكَ ضالًّا فَهَدَى . ووَجَدكَ عائِـــلًا فأَغْنَى ، فأَمَّا اليتيم فلا تَقْهَر . وأما السائلَ فلا تَنْهَرْ . وأما بنعمةِ رَبِّكَ فحدِّثْ ﴾ .

اختلف فى سبب نزول هذه السورة[5] ؛ فقيل : كان تَرْكُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قيامَ الليلِ لعُذْرٍ نزل به ، فتكلمت امرأةٌ[6] فى ذلك بكلام . وقيل : بَلْ تكلَّمَ

---

(١) هذا تفسير آخر لقوله : هوى . وهذا المعنى الأخير أظهر ، لأنه من هوى النجم : إذا سقط من بين النجوم ، وهو إذا انقطع إلى ربه فارق الناس .

(٢) سورة الفجر ، آية ١

(٣) قال فى نسيم الرياض : من فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالى العشر بعشر رمضان . ثم قال : والذى عليه المحققون من المفسرين أنه على حقيقته ، أو هو بتقدير مضاف : أى وصلاة الفجر . والليالى العشر : عشر ذى الحجة .

(٤) تعالى جده : عظمته . له : متعلق بالقسم . والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم .

(٥) سبب النزول : أمر حادث فى زمن النبوة ينزل القرآن فى حقه ، ويجوز تعدده .

(٦) روى أن هذه المرأة هى أم جميل بنت حرب ، امرأة أبى لهب .

به المشركون عند فَـتْرَة [١] الوحى ، فنزلت السورةُ .

قال القاضى الإمام أبو الفضل : تضَمَّنَتْ هذه السورةُ من كرامةِ اللهِ تعالى له ، وتَنْوِيهِه [٢] به وتعظِيمه إياه ستَّةَ وجوه :

الأول : القَسَمُ له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى : «والضحى . والليل إذا سجى» [٣] ، أى وربِّ الضحى ، وهذا من أعظم درجات المَبَرَّة [٤] .

الثانى ـ بيَانُ مكانته عنده وحُظْوَته لدَيْه بقوله تعالى [٥] : ﴿ ما وَدّعك ربُّكَ وما قَلَى ﴾ ؛ أى ماترككَ وما أبْغَضك . وقيل : ما أهملك بعد أن اصْطَفاك [٦] .

الثالث ـ قوله تعالى [٧] : ﴿ وللآخِرَةُ خَيْرٌ لكَ من الأُولى ﴾ ؛ قال ابن إسحاق : أى مالكَ فى مَرْجِعِكَ عند اللهِ أعظَمُ مما أعطاكَ من كرامةِ الدُّنيا .

وقال سَهْل : أى ما ما ذَخَرْتُ لكَ من الشفاعة والمَقَام المحمـــود [٨] خيرٌ لكَ مما أعطيتُكَ فى الدنيا .

الرابع ـ قوله تعالى [٩] : ﴿ ولسَوْفَ يُعْطِيكَ ربُّكَ فترْضَى ﴾ .

---

(١) أصل الفترة : مدة قليلة بين الشيئين ، والسكون . والمراد انقطاع الوحى عنه مدة . وكان الوحى قد تأخر عن النبى صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما . وقيل : كانت المدة سنتين ونصفا . والأول أصح . فقالت قريش ، إن محمدا ودعه ربه وقلاه .

(٢) كرامة الله : إكرامه ، أى توقيره . وتنويهه به ، أى رفعة قدره ، وإشاعة فضله .

(٣) الضحا : جمع ضحوة ـ كقرية : وهى أول النهار . سجى : دخل وأظلم . أو سكن .

(٤) المبرة : بمعنى البر ، وهو الإحسان ، وكل أمر مرضى .

(٥) سورة الضحى ، آية ٣

(٦) اصطفاك : اختارك وقربك .

(٧) سورة الضحى ، آية ٤

(٨) المقام المحمود : مقام الشفاعة العظمى الذى يحمده فيه الأولون والآخرون .

(٩) سورة الضحى ، آية ٥

وهذه آيةٌ جامعةٌ لوجـــوهِ الـكرامة ، وأنواعِ السعادة ، وشَتَاتِ الإنْعَام في الدّارَين . والزيادةِ[١] .

قال ابن إسحاق : يُرْضِيه بالفَلَج [٢] في الدنيا ، والثوابِ في الآخرة :

وقيل : يُعْطيه الحَوْضَ والشفاعة .

ورُوى عن بعض آلِ النبيّ [٣] صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس آيةٌ في القرآن أَرْجَى منها[٤] ، ولا يَرْضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يدخلَ أحدٌ من أمته النار .

الخامس — ماعدّدهُ تعالى عليه من نِعَمه ، وقرّره من آلائه[٥] قِبَلَه في بقية السورة؛ من هدايته إلى ما هداهُ له ، أو هدايةِ الناسِ به على اختلاف التفاسير ، ولا مالَ له ؛ فأغناه بما آتاه ، أو بما جعَلَه في قَلْبِه من القناعة والغنى ، ويتيما فَحَدِبَ عليه عمُّه وآواه[٦] إليه .

---

(١) شتات الإنعام : متفرقاته ، والزيادة : أى والزيادة على ذلك بما خصه به . أو الزيادة على النعم المعروفة بلقائه ورضوانه .

(٢) في أ : بالفاج — بضم الفاء ، وسكون اللام . وفي هامش ب : الفلج : النصر . والفلج : الفوز والظفر بالأعداء ، فالمراد أنه يفوز في الدنيا وينصره الله ويحميه .

(٣) هو على رضى الله عنه . أو الحسن بن محمد ابن الحنفية ، أو غيرهما : قال في النسيم: وطرقه متعددة فهى تعضده ، وهو في تفسير القرطبي : ٢٠ — ٩٦ ، وانظر أيضا صحيح مسلم : ٢١٣٦

(٤) منها : أى من قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى . وارجع إلى القارى (١—٨٦)، ففيه حديث طويل عن أرجى آية في القرآن — إن أردت .

(٥) آلائه : نعمه .

(٦) فحدب . المراد العطف والشفقة . وعمه : هو عمه أبو طالب . وآواه : ضمه إليـه لتربيته وحمايته . وفي هامش ب : فجدب عليه — بالجيم وضم الدال ؛ أى رق عليـه . ولم أقف عليه .

وقيل : آواه إلى الله[١] . وقيل : يتيما : لا مِثَالَ لك ، فآواك إليه .

وقيل : المعنى : ألم يَجِدكَ فهدَى بكَ ضالّا ، وأغنى بكَ عائلا ، وآوَى بك يتيما[٢] - ذَكَّرَهُ بهذه المِنَن[٣] ، وأنه على المعلوم من التفسير لم يُهْمِلْه في حال صغره وعَيْلَته[٤] ويُتْمه وقَبْلَ معرفته به ، ولا ودَّعه ولا قَلَاه[٥] ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه !

السادس : أَمْرُه بإظهار نعمته عليه وشُكْرِ ما شرَّفَه بنَشْرِه وإشادةِ[٦] ذِكْرِه بقوله تعالى : « وأَمَّا بنعمة ربِّكَ فحدِّثْ » ؛ فإنّ مِنْ شُكْرِ النعمة الحديثَ بهـا ؛ وهذا خاصٌّ له ، عامٌّ لأمته .

وقال تعالى[٧] : ﴿ والنَّجْمِ إذا هَوَى . ماضَلَّ صاحِبُكم وما غَوَى . وما يَنْطِقُ عن الهوَى . إنْ هوَ إلّا وَحْيٌ يُوحَى . علَّمه شدِيدُ القُوَى . ذو مِرَّةٍ فاسْتَوى . وهو بالأُفُقِ الأعْلَى . ثم دَنَا فتَدَلَّى . فكان قَابَ قَوْسَيْن أو أدْنَى . فأَوْحَى إلى عَبْدِه ما أَوْحَى . ما كذَبَ الفُؤَادُ ما رَأى . أفتُمارُونَه على ما يَرَى . ولقد رآهُ نَزْلَةً أُخْرى . عند سِدْرَةِ المُنْتَهَى . عندها جنَّةُ المَأْوَى . إذ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى . ما زاغَ البَصَرُ وما طَغَى . لقد رأى مِنْ آياتِ رَبِّه الكُبْرى ﴾ .

---

(١) أى قيل فى تفسير هذه الآية : إن معناها آواه الله ، أى ضمه إلى نفسه ، ولم يحوجه لحماية أحد وإيوائه .

(٢) فى نسيم الرياض : حكاه بـ « قيل » إشارة إلى ضعفه ، لأن هذا القول لايساعده إعراب ، ولا يصحبه صواب ، فالأولى تركه .

(٣) المنن : جمع منة ، وهى الإحسان .

(٤) لم يهمله : لم يتركه . والعيلة : الاحتياج والفقر .

(٥) ماودعه ولا قلاه : ماتركه ولا أبغضه ، وقد تقدم .

(٦) بنشره : بإذاعته ، وإظهاره للناس . وأصل معنى الإشادة : رفع الصوت ، والمراد : إعلام الثقلين .

(٧) سورة النجم ، آية ١ ، وما بعدها .

اختلف المفسرون في قوله تعالى : « والنجم » بأقاويلَ معروفة ، منها النَّجْم على ظاهره ، ومنها القرآن[١] .

وعن جعفر بن محمد أنه محمدٌ عليه السلام ؛ وقال : هو قَلْبُ محمد[٢] .

وقد قيل في قوله تعالى[٣] : ﴿ والسماء والطَّارِق . وما أدْراكَ ما الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثاقب ﴾[٤] — إن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حكاه السُّلَمِيّ .

تضمَّنت هذه الآياتُ من فَضْله وشرفِهِ العِدِّ ما يقف دونه العَدُّ[٥] ، وأقسم جلَّ اسْمُه على هدايةِ المصطفى ، وتَنْزِيهه عن الهوى[٦] ، وصِدْقِهِ فيما تَلا ، وأنَّه وَحْى يُوحَى أَوْصَلَه إليه — عن الله — جبريل ، وهو الشديدُ القُوَى .

ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء[٧] ، وانتهائه إلى سِدْرَةِ[٨] المُنْتَهى ،

---

(١) لأنه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح .

(٢) قال الخفاجي : إطلاق النجم على قلب النبي لإشراقه بالأنوار الإلهية ، وهو منبعها ومنبع الهداية ، وفيه خفاء. وقال القارى (١ — ٩٠) : ولعل المراد بهواه على هذا : ميله إلى ربه وغيبته عن غيره ، واستغراقه في حبه . وقد تقدم هذا القول لجعفر بن محمد .

(٣) سورة الطارق ، آية : ١ — ٣

(٤) الطارق : أصل معناه : الذى يأتى ليلا ، لأنه يطرق الباب المغلق ليلا . أو يطرق الأرض برجله ، ثم غلب على النجم لظهوره ليلا . والثاقب: المضيء ؛ وكأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه .

(٥) العد — بكسر العين: الكثير. العد — بفتح العين : الإحصاء . وفى هامش ب : العد — بكسر العين : الذى يقف دونه الحصر ، والماء الكثير الذى له مادة لا تنقطع ، والله أعلم . والعد — بفتح العين : العدد .

(٦) هذا مادل عليه قوله تعالى : ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى .

(٧) قال الشهاب (١ — ٢٧٢) الإسراء : إسراؤه من مكة لبيت المقدس . والمعراج : عروجه إلى الملأ الأعلى ، وإن كان كل منها يطلق على الآخر . وابتداء القصة من قوله : « فاستوى . . . » إلى قوله : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى . . . » في المعراج . وقال القارى : بقصة الإسراء ، أى بقصة المعراج المبتدأ بعد الإسراء إلى المسجد الأقصى ، كما أشار إليه بقوله : وانتهائه إلى سدرة المنتهى .

(٨) سدرة المنتهى : شجرة .

وتصديق بَصَرِه فيما رَأى[1] ، وأنه رأى من آيات رَبِّه الكبرى . [١٤] . وقد نَبَّه على مثل هذا فى أول سورة الإسراء .

ولما كان ما كاشفَهُ به عليه السلام من ذلك الجَبَرُوت[2] ، وشاهَدَهُ من عجائب المَلَكُوت لا تُحيطُ به العبارات ، ولا تستقِلُّ بحَمْل سَمَاعِ أدناه[3] العقولُ — رمَزَ عنه تعالى بالإيماءة والكناية الدالَّة على التعظيم[4] ؛ فقال تعالى[5] : ﴿ فأَوْحَى إلى عَبْدِه ما أَوْحى ﴾ .

وهذا النوعُ من الكلام يُسمِّيه أهلُ النقد والبلاغة بالوَحْى والإشارة ، وهو عندهم أبْلَغُ أبوابِ الإيجاز .

وقال تعالى : ﴿ لقد رأى من آياتِ رَبِّه الكُبْرى ﴾ — انحسرت الأفهامُ عن تفصيل ما أَوحى ، وتاهَت[6] الأحلامُ فى تعيين تلكَ الآياتِ الكبرى .

قال القاضى أبو الفضل[7] : اشتملت هذه الآياتُ على إعلام الله تعالى بتَزْكِيَةِ[8] جُمْلته عليه السلام ، وعِصْمَتِها من الآفاتِ فى هذا المَسْرَى[9] ، فزَكّى فؤادَه ولسانَه

---

(١) أى تصديق الله له فى رؤيته فى قوله تعالى : « ما زاغ البصر . . . » ؛ أى ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع .

(٢) كاشفه : عاينه . أى عاين الجبروت واطلع عليه . والجبروت : بمعنى العظمة والجلالة .

(٣) لا تستقل : لاتنفرد ولا تقوى . وأدنى : أقل .

(٤) رمز : أشار . والكناية : مايراد به لازم معناه الحقيقى مع جواز إرادته . والكناية : ما يقابل الصريح ، وهو المراد هنا .

(٥) سورة النجم ، آية ١٠

(٦) انحسرت : أعيت وكلت . وتاهت : ضلت وتحيرت . والأحلام : العقول .

(٧) هو المصنف .

(٨) التزكية : تطهيره عن النقائص البشرية . والمراد بتزكية جملته : تطهير ذاته ، وتنمية صفاته .

(٩) وعصمتها : حفظها . والآفات : جمع آفة ، مايعرض من المفاسد . والمسرى : مكان السرى .

وجوارحه : [فزكى][1] قلبه بقوله : ﴿ما كذبَ الفؤاد ما رأى﴾ . ولسانه بقوله: ﴿وما ينطِقُ عن الهوَى﴾ . وبصره بقوله : ﴿ما زاغَ البَصَرُ وما طغَى﴾[2] .

وقال تعالى[3] : ﴿فَلَا أُقسِمُ بالخُنَّسِ. الجَوَارِ الكُنَّسِ[4]. واللَّيْلِ إذا عَسْعَس. والصُّبْحِ إذا تنفَّس[5]. إنه لقَوْلُ رسولٍ كريمٍ . ذى قُوَّة عند ذى العرْشِ مَكين[6]. مُطَاعٍ ثَمَّ أمين. وما صاحِبُكم بمجنون . ولقد رآهُ بالأُفُقِ المبين. وما هُوَ على الغيْبِ بضَنِين . وما هُوَ بقَوْلِ شيطانٍ رَجِيم﴾ .

« لا أقسم » : أى أُقسم . « إنه لقول[7] رسُولٍ كَريم » ؛ أى كريم عند مرسله. « ذِى قُوَّةٍ » على تبليغ ما حمله من الوَحْى ، « مكين » : أى متمكِّنُ المنزلة من ربّه ، رَفِيعِ المَحَلِّ عنده ؛ « مُطَاعٍ ثَمَّ » : أى فى السماء . « أمين » على الوَحْى .

قال على بن عيسى[8] وغيره : الرسولُ الكريمُ هنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم ؛ لجميعُ الأوصافِ بَعْدُ على هذا له .

---

(١) من ب .

(٢) أى ما مال بصره يمينا ولا شمالا ، ولا تجاوز حده فى نظره لما هو أمامه . وفى هذا بيان لثبات جنانه ، أو كمال أدبه ، وهو فى رؤيته لربه فى معراجه .

(٣) سورة التكوير : الآيات من ١٥ — ٢٥

(٤) الخنس الجوار الكنس : الكواكب التى تخنس بالنهار : أى ترجع . (مفردات القرآن) . والكنس : التى تغيب فى مغاربها .

(٥) عسعس : أقبل وأدبر ، وذلك فى مبدأ الليل ومنتهاه . فالعسعسة : رقة الظلام ، وذلك فى طرفى النهار ، وسيأتى ذلك .

(٦) ذى قوة : هو جبريل — وقيل : هو النبى .

(٧) إنه ، أى القرآن .

(٨) هو على بن عيسى الرمانى النحوى ، وهو من أصحاب ابن دريد ، وصاحب كتاب النكت فى إعجاز القرآن ، إمام مشهور فى سائر العلوم ، توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (القارى : ١ — ٩٤) .

وقال غيره[١] : هو جبريل ، فترجع الأوصافُ إليه .

ولقد رآه ـ يعنى محمّدا . قيل : رأى ربَّه . وقيل : رأى جبريل فى صورته .

« وما هو على الغيب بظنين » ، أى : بمتهم . ومن قرأها بالضاد فمعناه : ما هو ببخيل بالدعاء به ، والتذكير بحكمه[٢] وبعلمه ، وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق .

وقال تعالى[٣] : ﴿ نٓ . والْقَلَمِ وما يَسْطُرونَ . ما أَنْتَ بنعمةِ رَبِّكَ بمَجْنُون . وإنَّ لكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُون . وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم . فستُبْصِرُ ويُبْصِرُون . بأَيِّكم الْمَفْتُون . إنَّ ربَّكَ هو أعلمُ بمَنْ ضَلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بالْمُهْتَدِين . فلا تُطِعِ المكذِّبين . ودُّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنون . ولا تُطِعْ كُلَّ حلَّافٍ مهين . هَمَّازٍ مَشَّاء بنَمِيم . مَنَّاعٍ للخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيم . عُتُلٍّ بعد ذلكَ زَنِيم . أَنْ كان ذا مالٍ وبَنِين . إذا تُتْلَى عليه آياتُنا قال أساطِيرُ الأوّلين . سنَسِمُهُ على الْخُرْطوم ﴾ .

أقسم اللهُ تعالى بما أقسم به مِنْ عظيمِ قَسَمِه على تنزيه المصطفى بما غَمَصَتْه[٤] ، الكفَرةُ به ، وتكذيبهم له ، وأَنَّسَه[٥] ، وبسط أَمَلَه[٦] بقوله ـ محسنا خطابَه : « ما أَنْتَ بنعمة ربِّكَ بمجنون » .

وهذه نهايةُ الْمَبَرَّةِ فى المخاطبة ، وأعلى درجاتِ الآداب فى الْمُحَاورة ؛ ثم أَعْلَمَهُ بماله عنده مِن نعيمٍ دائم ، وثَوَابٍ غَيْرِ منقطع ، لايأخذه عَدٌّ[٧] ، ولا يُمْتَنُّ به عليه ؛ فقال تعالى: ﴿ وإنَّ لك لأَجْراً غير مَمْنُون ﴾[٨] .

---

(١) وهم الأكثرون من العلماء ، وهو قول جمهور المفسرين .
(٢) الدعاء : بمعنى الدعوة . والتذكير : التنبيه أو الوعظ .
(٣) سورة القلم ، الآيات من : ١ — ١٦ (٤) غمصته : عابته وحقرته .
(٥) هذا الضبط فى أ ، ب . والمراد أنه جعله ذا أنس بقربه ، ومستأنسا بحبه .
(٦) وبسط أمله : الأمل : الرجاء ؛ وبسطه : توسيعه .
(٧) لايأخذه عد : أى لايحصى ولا يعد .
(٨) غير ممنون : غير منقطع ، أو غير ممنون عليك به من غيرك ، لأنه موهبة إلهية .

ثم أثنى عليه بما منحه من هِبَاته ، وهدَاهُ إليه ، وأكّد ذلك تتميما للتمجيد[١] ، بحرْفَي التأكيد[٢] ؛ فقال تعالى: ﴿ وإنكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيم ﴾ . قيل: القرآن . وقيل: الإسلام . وقيل : الطَّبْعُ الكريم . وقيل : ليس لك هِمّة[٣] إلا الله .

قال الواسطى : أَثْنَى عليه بحُسْنِ قبوله لما أَسْدَاهُ[٤] إليه من نِعَمِه ، وفضَّله بذلك على غيره ؛ لأنه جَبَلَهُ[٥] على ذلك الْخلق ؛ فسبحان اللطيفِ الكريم ، المحسنِ الجواد ، الحميد الذى يَسَّر للخير[٦] وهدَى إليه ، ثم أثنى على فاعله ؛ وجازاه عليه سُبْحانه ، ماأَغْمَرَ نَوَالَه[٧] ، وأوْسع إفْضَالَه[٨] ؛ ثم سلَّاه عن قولهم بعد هذا بما وَعده به من عُقْبَاهُم[٩] ، وتوعَّدهم بقوله : ﴿ فستُبْصِر ويُبْصِرون. بأيِّكم المَفْتون . إنّ ربَّكَ هو أعلم بمن ضَلَّ عن سبيله وهو أَعْلَمُ بالمُهْتدين ﴾ .

ثم عطف[١٠] بعد مَدْحِه على ذَمِّ عَدُوّه[١١] ، وذِكْرِ سوء خُلقه ، وعَدِّ معايبه ، متولِّيا ذلك بفَضْله ، ومُنْتَصِرا لنبيه ؛ فذكر بضْعَ عشرةَ خصلةً من خصالِ الذمّ فيه

---

(١) التمجيد : التعظيم . (٢) حرفا التأكيد هما : إن ، واللام .

(٣) ليس لك همة : الهمة : العزم والمقصد . وفى أ : همه — بالهاء .

(٤) أسداه : أسدى : أعطى .

(٥) جبله : خلقه مطبوعا .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : « أعطى كل شى خلقه ثم هدى » . وتيسير الخير : تسهيله بتهيئة أسبابه ، كما قال تعالى : ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ .

(٧) ما أغمر نواله : ما أكثر عطاءه .

(٨) وأوسع إفضاله : الإفضال : الإنعام .

(٩) فى ب : عقباهم . وفى هامشه : خ : فى عقباهم ، يشير إلى ما فى نسخة أخرى . وعقباهم : سوء عاقبتهم .

(١٠) عطف : التفت وعاد .

(١١) قيل : هو الأخنس بن شريق . وقيل: الوليد بن المغيرة ، أو أبو جهل : أو المراد به جنس العدو .

بقوله[1] : ﴿ فلا تُطِـع المُـكَذِّبين . وَدُّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنُون [2] . ولا تُطِـعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِين[3] . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيم[4] . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيم[5] . عُتُلٍّ[6] بعد ذلك زَنِيم . أَنْ كان ذا مالٍ وبنين . إذا تُتْلَى عليه آياتُنا قال أساطير الأوَّلين ﴾[7] .

ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بَوارِه[8] بقوله : ﴿ سنَسِمُهُ على الخرْطُوم ﴾[9] ؛ فـكانت نُصْرةُ اللهِ [١٥] له أتمّ من نصرته لنفسه ، وردُّه تعالى على عدوه أبلغ من ردِّه ، وأثبت في دِيوان مَجْدِه[10] .

---

(١) سورة القلم ، آية ٨ — ١٥

(٢) ودوا لو تدهن فيدهنون : أى لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك فيميلون إليك في بعض ما تدعوهم إليه .

(٣) حلاف : كثير الحلف حقا وباطلا . مهين : ذو مهانة وحقارة .

(٤) هماز : عياب في أعراض الناس . مشاء بنميم : نقال للحديث على وجه السعاية للفساد .

(٥) مناع للخير : كثير المنع منه . أثيم : كثير الإثم .

(٦) عتل : جاف غليظ . زنيم : دعى ، كالوليد بن المغيرة ، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده .

(٧) أساطير : جمع أسطورة ، أو إسطار ، والمراد : الأباطيل المنسوبة إلى المتقدمين .

(٨) البوار : الهلاك والدمار .

(٩) سنسمه على الخرطوم : الوسم : العلامة والكي . والخرطوم : الأنف هنا . والمراد : التشهير بالقبائح في الدنيا أو في الآخرة ، أو فيهما .

(١٠) وأثبت في ديوان مجده : أى أعظم وأقوى ثباتا وأبقى في صحف الدهر من أن يثبته هو لنفسه .

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى فى جهته عليه السلام موردَ الشفقة والإكرام[1]

قال تعالى[2] : ﴿ طه . ما أنزلنا عليكَ القرآنَ لِتَشْقَى ﴾ .

قيل : طه : اسم من أسمائه[3] عليه السلام . وقيل : هو اسمُ الله ، وقيل : معناه يارَجُل . وقيل : يا إنسان . وقيل : هى حروفٌ مقطَّعة لِمَعَانٍ .

وقال الواسطىُّ : أراد يا طاهر ، يا هادى[4] . وقيل : هو أمرٌ من الوطء . والهاء كناية عن الأرض ؛ أى اعتمد على الأرض بقدميك ، ولا تُتعِب نَفْسك بالاعتماد على قدم واحدة ، وهو قولُه تعالى : « ما أنزلنا عليكَ القرآنَ لتَشْقَى » .

نزلت الآية فيما كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يتكلَّفُه من السَّهَر والتعب وقيام الليل .

أخبرنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن[5] ، وغَيْرُ واحد ، عن القاضى أبى الوليد الباجى إجازة ، ومن أَصْله نقلتُ ؛ قال : حدثنا أبو ذَرّ الحافظ ، حدثنا أبو محمد الحَمُّوِىّ[6] ، حدثنا إبراهيم بن خُزَيم[7] الشاشى ، حدثنا عَبْدُ بن حُمَيد ، حدثنا هاشم بن القاسم ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ؛ قال : كان النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم إذا صلَّى قام على رِجْل ورفَع الأخرى ؛ فأنزل اللهُ تعالى : طه —

(١) يعنى ما جاء فى القرآن من الآيات الدالة على إكرام الله له والشفقة به ، والرحمة له .

(٢) سورة طه : ١ ، ٢

(٣) من أسمائه : أى من أسماء النبى .

(٤) فالطاء فى « طه » من طاهر ، والهاء فيها من هادى وفى أ : ياهاد . والمثبت فى ب .

(٥) أحد العلماء الصالحين ، من رجال الأندلس . مات سنة ثلاث وخمسمائة بإشبيلية .

(٦) هذا الضبط فى الخفاجى والقارى مؤكدا بالعبارة .

(٧) عليها علامة الصحة بهامش أ ، وفى هامش ب : بالزاى .

يعنى طَأْ الأرضَ يا محمد ، « ما أنزَلْنا عليكَ القرآنَ لِتَشْقَى . إلَّا تَذْكِرةً لِمَنْ يَخْشَى . تنزيلا مِمَّنْ خلقَ الأرضَ والسموات العُلَى » .

ولا خفاء بما فى هذا كلِّه من الإكرام وحُسْنِ المعاملة .

وإن جعلنا « طه » من أسمائه عليه السلام كما قيل ، أو جُعِلت قسما لَحِق الفَصْلُ بما قبله[1] .

ومثلُ هذا من نَمَطِ[2] الشفقةِ والمَبَرَّة قولُه تعالى[3] : ﴿ فلعلَّكَ باخِـعٌ نَفْسَكَ على آثارهم إنْ لم يؤمِنوا بهذا الحديثِ أسَفا ﴾؛ أى قاتل نفسَكَ لذلك غَضَبا أو غيظا ، أو جزَعا .

ومِثْلُه قولُه تعالى أيضا[4] : ﴿ لعلك باخِـعٌ نَفْسَكَ ألَّا يَكُونوا مؤمنين ﴾ ؛ ثم قال[5] : ﴿ إنْ نَشَأْ نُنَزِّل عليهم من السماء آيةً فظلَّتْ أعناقُهم لها خاضِعِين ﴾[6] .

ومِنْ هذا الباب قولُه تعالى[7] : ﴿ فاصدَعْ بما تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عن المشركين . إنّا كَفَيْناكَ المستهزئين . الذين يَجْعَلُونَ مع الله إلهاً آخَرَ فسوف يَعْلَمون . ولقد نَعْلَمُ أنكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بما يقولون ﴾ .

وقوله[8] : ﴿ ولقد استُهْزِئَ برسُلٍ من قَبْلِكَ فحاقَ[9] بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ .

---

(١) أى التحقت هذه الآية المذكورة فى هذا الفصل بالفصل الذى قبله، لإتيانه بما أقسم به تعالى، تحقيقا لمكانته عنده، وبما أفاده من نهاية المبرة فى مخاطبته، وأعلى درجات الأدب فى محاورته.

(٢) النمط : الطريق ، وهو هنا النوع . (٣) سورة الكهف ، آية ٦

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣ (٥) سورة الشعراء ، آية ٤

(٦) الخضوع : التذلل والانقياد . (٧) سورة الحجر ، الآيات : من ٩٤ — ٩٧

(٨) سورة الأنعام آية ١٠ ، وسورة الأنبياء ، آية ٤١ . قال فى نسيم الرياض : ويحتمل أن تكون آية الرعد (٣٢) وتمامها: ﴿فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾، أى أمهلتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ، ثم أخذتهم فكيف كان عقابى إياهم ؟

(٩) حاق : أحاط بهم حيث أهلكوا .

قال مَكّي : سلّاه بما ذكر ، وهوّن عليه ما يلقى من المشركين ، وأعلمه أنّ مَنْ تمادى[1] على ذلك يحُلُّ به ما حلَّ بمَنْ قبْله .

ومثْلُ هذه التسلية قولُه تعالى[2] : ﴿ وإنْ يُكذّبوكَ فقد كُذّبت رسلٌ مِنْ قبْلك ﴾ .

ومِنْ هذا قولُه تعالى[3] : ﴿ كذلكَ ما أتى الذين مِنْ قبْلهم مِنْ رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجْنُون ﴾ .

عزّاه اللهُ تعالى بما أخْبَر به عن الأمَمِ السالفة[4] ومقالِها لأنبيائهم قبْله ، ومحْنَتهم بهم ؛ وسلّاه بذلك من محنَته[5] بمثله من كفّار مكة ، وأنه ليس أوّلَ مَنْ لقى ذلك ، ثم طيّبَ نفسه ، وأبَان عُذْرَه بقوله تعالى[6] : « فتولّ عنهم » ؛ أى أعْرِض عنهم ؛ « فما أنْتَ بمَلُوم » ؛ أى فى أداء ما بلّغْتَ وإبلاغ ما حُمِّلت .

ومثلُه قوله تعالى[7] : ﴿ واصْبِرْ لحُكْمِ ربِّكَ فإنّكَ بأعْيُنِنا ﴾ ؛ أى اصبِرْ على أذاهم فإنكَ بحيث نراكَ ونحفظك[8] .

سلّاه الله تعالى بهذا فى آيٍ كثيرة من هذا المعنى .

---

(١) تمادى : تطاول ، وأصر ، واستمر .

(٢) سورة فاطر ، آية ٤

(٣) سورة الذاريات ، آية ٥٢

(٤) السالفة : المتقدمة .

(٥) المحنة : الاختبار والابتلاء .

(٦) سورة الذاريات ، آية ٥٤

(٧) سورة الطور ، آية ٤٨

(٨) أى دم على الصبر فى تنفيذ ما حكم الله تعالى به ، ولا تحزن ، ولا تخف من الأعداء؛ فإنك محفوظ محروس ، لا يصلون إليك .

الفصل السابع

فيما أخبر اللهُ تعالى[1] به فى كتابه العزيز من عظيم قَدْرِه وشَريف منزلته على الأنبياء وحظوة رُتْبَته

قوله تعالى[2]: ﴿وإذْ أَخذَ اللهُ ميثاقَ النَّبيّين[3] لَمَا آتَيْتُكم من كتابٍ وحِكْمة، ثم جاءكم رسولٌ مُصدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لتُؤْمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّه، قال: أأقْرَرْتُم وأَخذْتُم على ذلكُمْ إصْرِى[4]؟ قالوا: أقْرَرْنا. قال: فاشْهَدُوا وأنا مَعَكم مِنَ الشاهدين﴾.

قال أبو الحسن القابسىّ: استخصّ[5] اللهُ تعالى [١٦] محمدا صلى الله عليه وسلم بفَضْلٍ لم يُؤْته غيره، أَبانَهُ به[6]، وهو ما ذكره فى هذه الآية؛ قال المفسرون: أَخذَ اللهُ الميثاقَ بالوَحْى[7]، فلم يَبْعَث نبيا إلا ذكر له محمدا ونَعْتَه[8]، وأخذَ عليه ميثاقَه إنْ أَدْرَكه ليؤمِنَنّ به.

وقيل: أنْ يُبَيِّنَه لقومه، ويأخذَ ميثاقَهم أن يُبَيِّنُوه لِمَنْ بعدهم.

وقوله: «ثم جاءكم»: الخطابُ لأهـل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) فى ب: فيما أخبر به تعالى...

(٢) سورة آل عمران، آية ٨١

(٣) وإذ أخذ الله ميثاق النبيين: يحتمل أن يراد: أخذ الله الميثاق على النبيين، أو أخذ الله على الأمم الميثاق الذى شرع النبيون تعظيمه، فأضيف إليهم. أو هو بتقدير مضاف؛ أى ميثاق أمم النبيين.

(٤) إصرى: عهدى وميثاق.

(٥) استخص: خص، واختص.

(٦) أبانه به: أى أظهر ذلك الفضل له. أو فضله وميزه به عن غيره.

(٧) بالوحى: أى إلى الأنبياء.

(٨) ونعته: النعت: الصفة. وهذا رواه ابن جرير، وابن كثير، بإسناد صحيح.

قال عليّ بن أبي طالب رضي اللهُ عنه : لم يبعث اللهُ نبيئا من آدمَ فمَنْ بَعْده إلا أَخذَ عليه العَهْدَ في محمد صلى اللهُ عليه وسلم: لئن بُعِثَ وهو حيٌّ ليؤمِنَنَّ به ولينصُرنَّه، ويأخذَ العَهْدَ بذلك على قومه .

ونحوه عن السُّدِّي وقتَادة في آيٍ[1] تضمنت فَضْلَه من غير وَجْه واحد .

قال اللهُ تعالى[2]: ﴿وإذْ أَخَذْنا من النبيِّين ميثاقَهم[3] ومنْكَ ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخَذْنَا منهم ميثاقا غَليظا﴾[4].

وقال تعالى[5]: ﴿إنّا أَوْحَينا إليكَ كما أَوْحينا إلى نوحٍ والنبيّين مِنْ بَعْده وأَوْحَيْنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ، وإسحاقَ، ويعقوبَ والأسباطِ، وعيسى وأيوبَ ويونُسَ وهارونَ وسليمانَ، وآتينا داود زَبُوراً . ورسُلًا قد قَصَصْناهم عليكَ من قَبْلُ ورسُلا لم نَقْصُصْهُمْ عليكَ وكلَّمَ اللهُ موسى تكليما. رُسُلا مبشِّرين ومُنْذِرين لئلا يكونَ للناس عَلَى اللهِ حجةٌ بعد الرسل وكان اللهُ عزيزا حكيما. لكنِ اللهُ يشهَدُ بما أَنْزَلَ إليك أَنزلَهُ بعلْمِه والملائكةُ يشهدون وكفى بالله شَهيدا﴾ .

رُوى عن عمر[6] بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام زَكَّى[7] به

---

(١) في آي : جمع آية . أي هذا المذكور مروى في جملة آيات . وهذه الرواية عنهما أثبتها ابن جرير . (٢) سورة الأحزاب ، آية ٧

(٣) قيل : أخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة ، وتصديق بعضهم بعضا ، وقيل : بأن يعلنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويعلمن محمد بأنه لانبي بعده، ففيها تفضيل له صلى الله عليه وسلم .

(٤) ميثاقا غليظا : عظيما شأنه . (٥) سورة النساء آية : ١٦٣ – ١٦٦

(٦) قال السيوطي : لم أجده في شيء من كتب الأثر . وقال في نسيم الرياض : لكن صاحب اقتباس الأنوار وابن الحاج في مدخله ، ذكراه في ضمن حديث طويل ، وكفى بذلك سندا لمثله ، فإنه ليس مما يتعلق بالأحكام . وهذا الكلام مما قيل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قاله عمر بعد تحققه – من أبي بكر رضي الله عنه – موت النبي صلى الله عليه وسلم.

(٧) في ب : بكى : أي رثاه بعد موته .

النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم، فقال(١) بأَبِي أنتَ وأُمي يارسولَ الله ! لقد بلغ من فَضِيلتك عند الله أَنْ بعثك آخِرَ الأنبياء ، وذَكَرك في أولهم ، فقال : ﴿ وإذْ أَخَذْنَا من النبيّين ميثاقَهم ومنكَ ومن نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ابنِ مريم وأَخَذْنا منهم ميثاقا غَلِيظا ﴾ .

بأَبِي أَنْتَ (٢) وأُمّي يارسولَ الله ! لقد بلغ من فضيلتك عنده أنَّ أهلَ النار يودُّون أن يكونوا أطاعُوكَ وهم بين(٣) أَطْباقها يعذَّبون يقولون(٤) : ﴿ ياليْتَنا أَطَعْنا اللهَ وأَطَعْنا الرسولَا ﴾ .

قال قَتَادة : إنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : كنْتُ أَوّل الأنبياء في الخلْق ، وآخرهم في البَعْث ، فلذلك وقع ذِكْرُه مقدما هنا قبل نوح وغيره .

قال السَّمَرْقَنْدِي : في هذا تفضيلُ نبينا صلى اللهُ عليه وسلم ، لتخصيصه بالذِّكْر قَبْلَهم ، وهو آخِرُهم .

المعنى : أخذ اللهُ تعالى عليهم الميثاقَ ، إذ أخرجهم من ظَهْرِ آدم كالذَّرّ (٥) .

---

(١) أول هذا الكلام : بأبي أنت وأمي يارسول الله ! لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه ، فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم ، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن. فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم . بأبي أنت وأمي يارسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال الله تعالى : من يطع الرسول فقد أطاع الله . . .

(٢) بأبي أنت وأمي : هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه وإظهار محبته ، أى لو نزل بك أمر يقبل فيه الفداء بأحد من البشر بذلت في فدائك أبوي فضلا عن المال وغيره .

(٣) أطباقها : طبقات النار .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦٦

(٥) الذر : جمع ذرة ، وهي النملة الصغيرة البيضاء أو الحمراء ، أو جزء من مائة وأربعة وعشرين جزءا من شعيرة ، وقيل : جزء من ألف وسبعة وعشرين جزءا منها . وقيل : أصغر شيء لا يعلمه إلا الله .

وقال تعالى[١] : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بعضَهم على بَعْض ، منهم مَنْ كلَّمَ اللهُ ورفع بعضَهم درَجاتٍ ، وآتينــا عيسى ابْنَ مَريم البيِّنَات وأيَّدناه برُوح القُدُس ولوشاء اللهُ مااقتتل الذين مِنْ بعدهم مِنْ بعد ما جاءَتْهُم البينات ولـكن اختلفوا ﴾.

قال أهلُ التفسير : أراد بقوله : ﴿ورفَع بعضَهم درَجاتٍ﴾ ـ محمدا صلى اللهُ عليه وسلم ؛ لأنه بُعِث إلى الأحمر[٢] والأسود ، وأُحِلّت له الغنائمُ[٣] ، وظهرت على يديه المعجزاتُ ، وليس أحدٌ من الأنبياء أُعطى فضيلةً أو كرامةً إلا وقد أُعْطِى محمدٌ صلى الله عليه وسلم مِثْلَها[٤] .

قال بعضهم : ومن فضله أنَّ اللهَ تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم، وخاطبه بالنبوّة والرسالة في كتابه ، فقال : ﴿ يأيها النبى ﴾ ، و﴿ يأَيُّها الرسول ﴾ .

وحكى السَّمَرْقَنْدِىّ عن الـكَلْبى ـ فى قوله تعالى[٥] : ﴿وإنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبراهيم﴾ ـ أن الهاءَ عائدةٌ على محمد ؛ أى إنّ من شِيعَة[٦] محمد لَإبراهيم ؛ أى على دِينه ومِنْهَاجِه[٧] . وأجازه الفرّاء ، وحكاه عنه مَـكّىّ[٨] . وقيل : المرادُ نوح عليه السلام[٩] .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٣

(٢) الأحمر والأسود : أى جميع الناس . أو العرب والعجم . أو العرب وغيرهم .

(٣) الغنائم : جمع غنيمة ، وهى ما يؤخذ من مال الـكفار قهرا ، ولم تـكن الغنيمة تحل للأمم السالفة كما تحل لهذه الأمة.

(٤) مثلها ، أى ما هو من جنسها ونوعها ، وما هو مشابه لها بحسب الظاهر وإن كان أعظم منها فى الحقيقة .

(٥) سورة الصافات ، آية ٨٣ (٦) الشيعة : الأتباع ، والمعروف فى كلام العرب إطلاقه على المتأخر زمانا ، وقد يطلق على المتقدم ، كقول الـكميت :

وما لى إلا آل أحمــد شيعة   وما لى إلا مذهب الحق مذهب

(٧) منهاجه : طريقه الواضح . (٨) أشار بهذا إلى أنه قول صحيح منقول عن المفسرين ؛ لأن منهم من ضعفه وادعى أنه بعيد .

(٩) قال فى نسيم الرياض : هو القول الصحيح . والمراد بكونه من شيعته أنه من نسله وعلى منهاجه فى الدين والتوحيد .

الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خَلْقَه بصلواته[1] عليه وولايته له ورَفْعه العذابَ بسببه

قال اللهُ تعالى[2] : ﴿وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهم وأنتَ فيهم﴾ ؛ أي ما كنتَ بمكة ، فلما خرج النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم من مكة ، وبَقِيَ فيها مَنْ بقى من المؤمنين نزل[2] : ﴿وما كان اللهُ مُعَذِّبَهم وهُمْ يستغفرون﴾ .

وهذا مِثْلُ قوله[3] : ﴿لو تَزَيَّلُوا[4] لَعَذَّبْنَا الذين كفرُوا منهم عذابا أليما﴾ .

وقوله تعالى[5] : ﴿ولولا رِجَالٌ مؤمنون ونساءٌ مُؤْمناتٌ لم تَعْلَموهم أَنْ تَطَئُوهم فتُصِيبَكم منهم مَعَرَّةٌ بغير عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ في رحمته مَنْ يشاء﴾ : فلما هاجر المؤمنون نزلت[6] : ﴿وما لهم أَلَّا يُعَذِّبَهم اللهُ﴾ .

وهذا من أَبْيَنِ ما يُظْهِرُ مكانتَه صلّى اللهُ عليه وسلم ، وَدَرأَ[7] به العذابَ عن أهل مكة بسبب كَوْنه[8] ، ثم كَوْنِ أصحابه بعده [١٧] بين أَظْهُرِهم[9] ، فلما خلَتْ مكةُ منهم عذّبهم [اللهُ][10] بتسليطِ المؤمنين عليهم ، وغَلَبَتهم إياهم ، وحَكّم فيهم سيوفَهم ، وأورثهم أَرْضَهم ودِيَارَهم وأموالَهم .

---

(١) في ب : بصلاته .
(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٣
(٣) سورة الفتح ، آية ٢٥
(٤) تزيلوا : تفرقوا . (المفردات) .
(٥) سورة الفتح ، آية ٢٥
(٦) سورة الأنفال ، آية ٣٤
(٧) درأ به : دفع به . وفي ب : درأته — بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء ؛ وفسره القاري (١ — ١١٣) فقال : أي ومن أبين ما يظهرها دفعه سبحانه العذاب .
(٨) بسبب كونه : بسبب وجوده .
(٩) بين أظهرهم ، أي يقيمون معهم .
(١٠) ليس في ب .

وفى الآية أيضا [1] تأويلٌ آخر :

حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه اللهُ بقراءتى عليه ، قال : حدثنا أبو الفضل ابن خَيْرون ، وأبو الحسين الصَّيْرفى ،قالا : حدثنا أبو يَعْلى ابن زَوْج الحُرّة ، حدثنا أبو على السِّنْجى ، حدثنا محمد بن محبوب المَرْوَزى ، حدثنا أبو عيسى [2] الحافظ ، حدثنا سفيان بن وَكيع ، حدثنا ابن نُمَير [3] ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر ، عن عبّاد بن يوسف ، عن أبى بُرْدة بن أبى موسى ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: أنزلَ اللهُ علىّ أمانَين لأُمتى [4]:﴿وما كان اللهُ ليُعَذِّبَهم وأنتَ فيهم وما كان اللهُ مُعَذِّبَهم وهم يَسْتَغْفِرُون ﴾ [5] فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفارَ [6].

ونحوٌ منه قولُه تعالى [7] : ﴿ وما أرْسَلْناكَ إلّا رَحْمَةً للعالَمِينَ ﴾.

وقال عليه السلام [8] : أنا أمانٌ لأصحابى . قيل : من البِدَع . وقيل : من الاختلاف والفِتَن .

(١) الآية هى : وما كان الله ليعذبهم . . . وقد سبقت .

(٢) هو الإمام الترمذى ، صاحب السنن .

(٣) ضبطت « نمير » — ضبط قلم — بفتح النون وكسر الميم فى ا ، والضبط المثبت فى الخفاجى والقارى .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٥) أى أوحى الله بقرآن يدل على شيئين فيهما ما يدل على أن الله أمن أمتى من العذاب بهما . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ — ٢٧٠ ، وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف فى الحديث .

(٦) فإذا مضيت : ارتحلت إلى الآخرة ؛ أى إذا مت بقى فيكم الأمان الآخر ، وهو الاستغفار . والاستغفار : هو الدعاء بالمغفرة . وقيل المراد به الصلاة . وقيل الإسلام .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٨) قال القارى (١ — ١١٥) : أنا أمان لأصحابى ، وفى لفظ : أنا أمنة لأصحابى ، وهو حديث صحيح رواه مسلم (مسلم : ١٩٦١) .

قال بعضُهم : الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم هو الأمانُ الأعظم ماعاشَ ، ومادامت سنّتُه[١] باقيةً فهو باقٍ ، فإذا أُميتت سنّتُه فانتظِرِ البلاءَ والفِتَن[٢] .

وقال الله تعالى [٣] : ﴿ إنّ اللهَ وملائكتَه يصلّونَ على النبيّ ، يأيُّهَا الذين آمَنُوا صَلُّوا عليه وسلِّمُوا تَسْليما ﴾ .

أبانَ اللهُ تعالى فَضْلَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بصلواته عليه ، ثم بصلاةِ ملائكتِه ، وأَمَرَ عبادَه بالصلاة والتسليم عليه .

[وقد حكى أبو بكر بن فُورَك أن بعضَ العلماء تأوَّل قولَه عليه السلام: وجُعِلَت قُرّةُ عَيْنِي فى الصلاة على هذا ؛ أى فى صلاةِ الله تعالى عليّ وملائكتِه وأَمْرِه الأُمةَ بذلك إلى يوم القيامه][٤] . والصلاةُ من الملائكة [استغفَار][٥] ، ومنّا له دعاء ، ومن الله عزّ وجلّ رحمة .

وقيل : يُصَلُّون : يُبَارِكون[٦] .

وقد فرّقَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم — حين علَّم الصلاةَ عليه بين لفظِ الصلاة والبركة .

وسنذكر حكم الصلاة عليه .

وذكر بعضُ المتكلمين [٧] فى تفسير حروف « كهيعص » — أن الكافَ من

---

(١) سنته : طريقته التى شرعها .

(٢) أميتت : تركت ولم يعمل بها ، ولم يحرص الناس على تعلمها . والبلاء : المصائب ، كالطاعون ، والظلم . والفتن : محاربة الناس بعضهم بعضا .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ (٤) ما بين القوسين كتب أمامه فى هامش ا : من الأم بخطه رضى الله عنه ، وليس من الرواية . (٥) ليس فى ب .

(٦) يباركون : يعطيه الله البركة، والملائكة يطلبونها له . والبركة : النمو والخير الكثير .

(٧) بعض المتكلمين : يريد المفسرين .

« كاف » [1] ، أى كفاية الله تعالى لنبيه ، قال تعالى[2] : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَه ﴾ . والهاء هدايتُه له ، قال[3] : ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُستقيما ﴾ . والياء تأييده ، قال[4] : ﴿ هو الذى أَيَّدَكَ بِنَصْرِه ﴾ . والعين عِصْمَتُه له ، قال[5] : ﴿ واللهُ يَعْصِمُكَ من الناس ﴾ . والصاد : صلواته عليه ؛ قال[6] : ﴿ إنّ اللهَ وملائكتَه يصلُّونَ على النبى ﴾ .

وقال تعالى[7] : ﴿ وإنْ تَظَاهَرَا[8] عليه فإنّ اللهَ هو مولاه[9] وجبريلُ وصالحُ المؤمنين ، والملائكةُ بعد ذلكَ ظَهِير[10] ﴾ ؛ مولاه أى وليّه . وصالحُ المؤمنين : قيل : الأنبياء[11] . وقيل[12] : الملائكة . وقيل[13] : أبو بكر ، وعُمر . وقيل[13] : علىّ . وقيل : المؤمنون على ظاهره[14] .

---

(١) أى الكاف حرف من « كاف » الذى هو اسم الله تعالى : الكافى .

(٢) سورة الزمر ، آية ٣٦

(٣) سورة الفتح ، آية ٢

(٤) سورة الأنفال ، آية ٦٢

(٥) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ ، وفى هذه الحروف أقوال أخر ؛ أحدها أنه من المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله . وقيل : إنها أسماء للسور . . .

(٧) سورة التحريم ، آية ٤

(٨) تظاهرا عليه : تعاونا وتناصرا .

(٩) الولى ، والمولى : المعين والناصر .

(١٠) ظهير : نصير ومعين . قال فى نسيم الرياض : وأفرد كلمة « ظهير » — لأنه جمل من ذكروا لاتفاقهم على ذلك — كالواحد ؛ أو لأن فعيلا قد يقع للواحد وغيره .

(١١) هذا التفسير مروى عن قتادة .

(١٢) رواه القرطبى عن أبى زيد .

(١٣) رواه القرطبى والثعلبى عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبى صلى الله عليه وسلم .

(١٤) واختاره الإمام الرازى .

قال فى نسيم الرياض : والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له ، الذى هو من مقاصد هذا الفصل .

الفصل التاسع

فيما تضمّنته سورةُ « الفتح » من كراماته صلى اللهُ عليه وسلم

قال الله تعالى[١] : ﴿ إنّا فتحْنا لكَ فتْحاً مُبينا[٢] . ليغْفِرَ لكَ اللهُ ما تقدّمَ من ذَنْبِكَ وما تأخّرَ ويُتِمَّ نِعْمَتَه عليكَ ويَهْدِيَكَ صِراطا مستقيما . ويَنْصُركَ اللهُ نصرا عزيزا . هو الذى أنزل السكينةَ فى قلوبِ المؤمنينَ ليزْدَادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنودُ السمواتِ والأرضِ وكان اللهُ عليما حكيما . ليُدْخِلَ المؤمنين والمؤمناتِ جناتٍ تجْرِى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ويُكَفِّرَ عنهم سيئاتِهم ، وكان ذلكَ عند الله فَوْزاً عظيما . ويعذِّبَ المنافقين والمنافقاتِ والمشركين والمشركاتِ الظانِّينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عليهم دائرةُ السَّوءِ ، وغَضِبَ اللهُ عليهم ولعَنَهم وأعدَّ لهم جهنَّمَ وساءت مَصيرا . ولله جنودُ السمواتِ والأرضِ وكان اللهُ عزيزا حكيما . إنّا أرسلناكَ شاهدا ومُبَشِّرا ونَذيرا . لتُؤْمِنُوا باللهِ ورسولهِ وتُعَزِّروهُ وتُوَقِّروه وتُسَبِّحوه بُكْرَةً وأصيلا . إنَّ الذين يُبَايعونكَ إنما يُبايعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيديهم ﴾ .

تضمّنت هذه الآياتُ من فضله والثناء عليه وكريمِ منزلته عند الله تعالى، ونعْمتِه لديه – ما يَقْصُر الوصْفُ عن الانتهاء[٣] إليه ؛ فابتدأ جَلّ جلالُه – بإعلامه بما قَضَاهُ له من القضاء البَيِّن[٤] بظهوره ، وغلبته على عدوّه، وعُلوّ كلمته وشريعته ، وأنه مغفورٌ له، غيرُ مُؤاخَذٍ بما كان وما يكون[٥] .

---

(١) سورة الفتح، الآيات : ١ – ١٠

(٢) من فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود ، والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديبية . ومن فسره بالحديبية سماه فتحا لأنه وسيلة لما بعده من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الإشارة .

(٣) الانتهاء إليه : أى بلوغه والوصول إلى نهايته .

(٤) القضاء البين : أى المقضى الظاهر الذى لايشتبه .

(٥) أى إعلامه بأنه مغفور له بقوله : ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر .

قال بعضُهم : أراد غُفْرَان ما وقع وما لم يَقَعْ[1] ، أى إنك مغفور لك .

وقال مَكّى : جعل اللهُ المِنَّةَ سببا المغفرة ، وكلٌّ[2] مِنْ عنده ، لا إله غيره ، [١٨] مِنَّةٌ بعد مِنّة ، وفضلا بعد فَضْل .

ثم قال : « ويُتِمَّ نعمتَه عليكَ » : قيل : بخضوع مَنْ تكبّر عليك[3] .

وقيل : بفَتْح مكةَ والطائف . وقيل: يرْفَع ذِكْرك فى الدنيا وينصرك ويغفرلك؛ فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبِّرى عدوِّه له ، وفَتْح[4] أهمِّ البلاد عليه وأحبها له[5] ، ورَفْع ذكره، وهدايتِهِ الصراطَ المستقيم المبلِّغَ الجنةَ والسعادةَ ، ونَصْرِهِ النصرَ العزيز[6]، ومِنّتِه على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التى جعلها فى قلوبهم، وبشارتِهم بمالهم بَعْدُ[7]، وفَوْزِهم العظيم[8]، والعَفْوِ عنهم، والسترِ[9] لذنوبهم، وهلاكِ عدوِّه[10] فى الدنيا والآخرة ، ولَعْنِهم وبُعْدِهم من رحمته ، وسوءِ مُنْقَلَبهم[11] .

---

(١) أى مما يصح أن يعاتب عليه ، كما فى قوله تعالى : « لعلك باخع نفسك على آثارهم » . و « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » .

(٢) وكل : أى المنة والمغفرة حاصل من عنده تعالى . والمراد بالمنة الامتنان أو النعمة التى هى الفتح ، أو قضاؤه ، ولما كان الفتح ناشئا عن جهده وسعيه مع ما يترتب عليه من الأمور العظيمة صار سببا للمغفرة .

(٣) الخضوع: الانقياد . وفى ا : لك ، وعليها علامة الصحة .

(٤) فى ب : بفتح .

(٥) وهى مكة .

(٦) النصر العزيز : المعز لصاحبه ، أو العزيز : قليل النظير .

(٧) بعد : أى بعد ذلك ، أو بعد الحياة الدنيا من النعيم الخالد فى الجنة .

(٨) الفوز : النجاة والظفر بالخير . وذلك فى قوله تعالى : « وكان ذلك عند الله فوزا عظيما » .

(٩) فى قوله تعالى : « ويكفر عنهم سيئاتهم » .

(١٠) بقوله تعالى : « ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء » .

(١١) بقوله تعالى : « وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » .

ثم قال: ﴿ إنا أَرْسلناكَ شاهدا ومُبَشِّرا ونَذِيرا ودَاعِيا إلى الله بإذْنه وسِرَاجاً مُنِيراً . لتؤْمِنُوا بالله ورسوله وتُعَزِّرُوه وتُوَقِّرُوه وتُسَبِّحُوه بُكْرَةً وأَصِيلا ﴾ .

فَعَدَّ محاسنَه وخصائصه[1] ؛ من شهادتِه على أُمته لنفسه ، بتَبْليغه الرسالةَ لهم .

وقيل : شاهِداً لهم بالتوحيد ، ومُبَشِّرا لأُمته بالثواب . وقيل : بالمغفرة .

ومُنْذِرا عدوَّه بالعذاب .

وقيل : مُحَذِّرا من الضلالات ليُؤْمِن بالله ، ثم به صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ سبقت له من الله الُحسْنى .

ويُعَزِّرُوه ؛ أى يُجِلُّونه . وقيل : ينصرونه . وقيل : يبالغون فى تَعْظيمه .

ويُوَقِّرُوه ؛ أى يعظموه .

وقرأَهُ بعضُهم : تُعَزِّزُوه ـ بزاءين : من العِزّ ، والأكثر والأظهرُ[2] أنّ هذا فى حقّ محمد صلى اللهُ عليه وسلم ؛ ثم قال : « وتُسَبِّحوهُ » ؛ فهذا راجعٌ إلى الله تعالى.

قال ابنُ عطاء : جُمِع للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نِعَمٌ مختلفةٌ ؛ من الفَتْح المُبين ، وهو من أعلام[3] الإجابة . والمَغْفِرةُ[4] ، وهى من أعلام المحبّة ، وتمامُ النعمة ، وهى من أعلام[5] الاختصاص . والهدايةُ ، وهى من أعلام الولاية[6] ، فالمغفرةُ تبرئةٌ من العيوب ، وتمامُ النعمةِ إبلاغُ الدرجةِ الكاملة ، والهدايةُ وهى الدعوةُ إلى المشاهدة .

---

(١) خصائصه : فضائله .

(٢) يعنى أنهم اختلفوا فى هذه الضمائر : هل كلها لله ، أو للرسول ، أو بعضها لله وبعضها للرسول . واختار المؤلف أن يكون الضمير فى « يعزروه » ، و « يوقروه » ـ للرسول .

(٣) أعلام: جمع علم ؛ وهو الأمارة والدليل. الإجابة: أى إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم.

(٤) ضبط هذه الكلمة وما بعدها مما عطف عليها فى ا ، ب .

(٥) أى دليل على أنه تعالى جعله من خواص أنبيائه لإنعامه عليه بما لم ينله غيره .

(٦) أى إن الله تعالى تولى أموره ؛ إذ هداه إلى الطريق الموصل إلى قربه .

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته عليه أنّ جعله حَبِيبه[١] ، وأقسم بحياته[٢] ، ونَسخ به شرائعَ غيره ، وعرَج[٣] به إلى المَحلّ الأعلى ، وحفِظَه فى المعراج حتى مازاغَ البَصَرُ وما طَغَى ، وبعثه إلى الأحمر والأسود[٤] ، وأحلّ له ولأمته الغنائم ، وجعله شَفِيعاً مُشفَّعا ، وسيِّدَ وَلدِ آدم ، وقرَنَ ذِكْرَه بذكره[٥] ، ورِضاه برضاه[٦] ، وجعله أحدَ رُكْنى التوحيد .

ثم قال[٧]: ﴿إِنَّ الذينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُون اللهَ﴾ — يعنى بيعةَ الرضوان[٨] ؛ أى إنما يبايعونَ اللهَ بِبَيْعَتِهم إياكَ .

﴿يَدُ اللهِ فوْقَ أيديهم﴾ : يريد عند البَيْعَة. قيل: قوة الله[٩]، وقيل: ثوَابه[١٠]. وقيل[١١] : مِنّته . وقيل[١٢] : عَقْده ، وهذه استعارةٌ ، وتجنيس[١٣] فى الكلام ، وتأكيد لعَقْد بَيْعَتهم إياه . وعِظَم شأنِ المُبايَع صلى اللهُ عليه وسلم .

---

(١) أى اصطفاه . وخصه وأكرمه إكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : أنا حبيب الله ولا فخر . (سنن الترمذى : ٥ — ٥٨٨) .

(٢) وأقسم بحياته فى قوله تعالى : «لعمرك» — على أحد الأقوال .

(٣) عرج : صعد . (٤) الأحمر والأسود : جميع الخلق .

(٥) قرن ذكره بذكره : فى التشهد والأذان ، وفى مواضع فى القرآن .

(٦) فى مثل قوله تعالى: «والله ورسوله أحق أن يرضوه» . (٧) سورة الفتح، آية ١٠

(٨) بيعة الرضوان كانت بالحديبية ، وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » . والمبايعة كانت على ألا يفروا ؛ أو على الموت ؛ أو على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر ،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . . (٩) أى قوة الله وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم .

(١٠) أى ثواب الله لرسوله فوق ثوابهم فى مبايعتهم والوفاء بعهدهم .

(١١) منته : أى نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى الآخرة فوق منتهم عليك ، بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم .

(١٢) يعنى أن الله تعالى أوجد هذه البيعة وتممها .

(١٣) تجنيس فى الكلام : تفنن فى العبارات الإيمائية .

وقد يكون مِن[1] هذا قولُه تعالى[2] : ﴿ فلَمْ تَقْتُلوهم ولكنَّ اللهَ قَتلَهم ، وما رَمَيْتَ إذْ رمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رمَى ﴾[3] ؛ وإنْ كان الأول فى باب المجاز[4] ، وهذا[5] فى باب الحقيقة ، لأنَّ القاتل والرامى بالحقيقة هو الله، وهو خالقُ فِعْله ورمْيه، وقُدْرته عليه ومسبِّبُه[6] ، ولأنه ليس فى قدرة البشَر توصيلُ تلك الرَّمية حيثُ وصلَتْ ، حتى لم يَبْقَ منهم مَنْ لم تملأْ عَيْنَيه[7] ، وكذلك قَتْلُ الملائكة لهم حقيقة[8] .

وقد قيل فى هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربىّ[9] ، ومقابلةِ اللفظ ومناسبتِه ؛ أى ما قتلتموهم ، وما رمَيْتَهم أنتَ إذ رميت وجوهَهم بالحَصْباء والتراب، ولكنّ الله رمَى قلوبَهم بالجزَع[10] ، أى إنّ [١٩] منفعةَ الرَّمْى كانت من فِعْل الله ؛ فهو القاتلُ والرامى بالمعنى وأنتَ بالاسم .

---

(١) من هذا ؛ أى من قبيل جعل فعل العبد عين فعل الله .

(٢) سورة الأنفال ، آية ١٧

(٣) أى لم تقتلوا قريشا إذ سلطكم الله عليهم ونصركم ، ولكن الله قتلهم ؛ إذ هو الخالق لهذا الفعل فيكم وإن كنتم مباشرين له .

وهذه الآية نزلت فى بدر ، أو فى حنين (الشهاب : ١ — ٣٥٤) .

(٤) الأول : يد الله فوق أيديهم .

(٥) وهذا : أى القتل والرمى .

(٦) ضبطت الباء فى ب بشدة مفتوحة .

(٧) أى من لم تملأ الرمية عينيه من التراب .

(٨) وكذلك قتل الملائكة : أى هو مثل إسناد القتل إلى الأفراد البشرية ، فقدرة الملائكة مثل القوى البشرية فى الاحتياج إلى القوة الإلهية ، والمخلوقات بأسرها متساوية فى رتبة العبودية .

(٩) المجاز العربى : يريد المجاز اللغوى فى الاصطلاح العربى ، وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى المجازى والحقيقى . والعلاقة هنا السببية (القارى : ١—١٢٩) .

(١٠) الجزع : الرعب والفزع .

الفصل العاشر

فيما أظهره اللهُ تعالى فى كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده ، وما خصّه اللهُ به من ذلك سِوَى ما انتظم[1] فيما ذكرناه قبل

من ذلك ما قصّه تعالى فى قصة الإسراء فى سورة : سبحان ، والنجم ؛ وما انطوت عليه القصةُ من عظيم منزلته وقُرْبه ومشاهدته ما شاهدَ من العجائب .

ومن ذلك عِصْمَتُه من الناس بقوله تعالى[2] : ﴿ واللهُ يَعْصِمُكَ من الناس ﴾ . وقوله تعالى[3] : ﴿ وإذْ يَمْكُرُ بكَ الذين كفروا لِيُثْبِتُوكَ أو يقتلوك أو يُخْرِجُوك ويَمْكُرون ويَمْكُر اللهُ ، واللهُ خَيْرُ الماكِرين ﴾ .

وقوله[4] : ﴿ إلَّا تَنْصروه فقد نصره اللهُ إذْ أخرجه الذين كفروا ثانىَ اثنين إذْ هما فى الغار إذْ يقولُ لصاحبه لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا فأنزل اللهُ سكينتَه عليه وأيَّده بجنودٍ لم تَرَوْها ، وجعل كلمةَ الذين كفروا السُّفْلَى وكلمةُ اللهِ هى العليا واللهُ عزيزٌ حكيم ﴾ . وما رفع اللهُ به عنه فى هذه القصة من أذاهم بعد تحزُّبهم[5] لِهُلْكه وخلوصِهم نَجِيًّا فى أمره[6] ، والأخذِ على أبصارهم[7] عند خروجه عليهم ، وذهولِهم

---

(١) أى غير ما دخل فيما قبله من الفصول .

(٢) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٠

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ ، وقوله : إلا تنصروه ؛ أى إن لم تنصروه وتخرجوا معه إلى غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه ، إذ أخرجه الذين كفروا وليس معه إلا أبو بكر ، وهذا كان لما بايع الأنصار النبى بالعقبة ، وأمر أصحابه بالذهاب إلى المدينة ، وأشفقت قريش من ظهور النبى ، فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة فى أمره . . . . . ثم هجرته إلى المدينة ونجاته من مكرهم .

(٥) تحزبهم : تجمعهم فى مشاورتهم مع أحزابهم .

(٦) وخلوصهم ؛ أى بعد إخلاصهم فى أذيته منفردين فى دار الندوة للمشاورة فى أمره متناجين فى ذلك .

(٧) أخذ الله على أبصارهم : منعها من رؤية النبى مع ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم .

عن طلبه فى الغار ، وما ظهر فى ذلك من الآيات[1] ، ونزولِ السكينة عليه ، وقصةِ سُرَاقة بن[2] مالك حسبَ ما ذكره أهلُ الحديث والسِّير فى قصة الغار ، وحديثِ الهجرة .

ومنه قوله تعالى[3] : ﴿ إنّا أعطيناكَ الكَوْثر . فصَلِّ لربكَ وانْحَر . إنّ شانِئكَ هو الأبْتَر ﴾ .

أعلمه اللهُ تعالى بما أعطاه . والكوثرُ حَوْضُه . وقيل : نهر فى الجنة[4] . وقيل : الخير الكثير . وقيل : الشفاعة . وقيل : المعجزات الكثيرة . وقيل : النبوة . وقيل : المعرفة .

ثم أجاب عنه عدوَّه ، وردّ عليه قوله[5] ، فقال تعالى : ﴿ إنّ شانئكَ هو الأَبْتَر ﴾ ؛ أى عدوك ومُبْغِضك . والأبتر : الحقير الذليل ، أو المفرد الوحيد ، أو الذى لاخير فيه .

وقال تعالى[6] : ﴿ ولقد آتيناكَ سبْعاً من المَثَانِى[7] والقرآنَ العظيم ﴾ .

قيل : السبع المَثَانِى السُّوَر الطوال الأُوَل . والقرآن العظيم : أم القرآن[8] . وقيل[9] : السبع المثانى : أمُّ القرآن[10] . والقرآنُ العظيم : سائره[11] . وقيل : السبع

---

(١) من الآيات الدالة على نبوته كنسج العنكبوت وتعشيش الحمام وبيضه . . .

(٢) كان سراقة يتبع النبى بعد خروجه ، لينال مكافأة جعلتها قريش لمن يأتى به .

(٣) سورة الكوثر . والأبتر : مقطوع الخير والبركة .

(٤) فى نسيم الرياض : وهو الصحيح .

(٥) رد عليه قول عدوه : إنه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه . . .

(٦) سورة الحجر : آية ٨٧

(٧) المثانى : جمع مثنى . وقال القارى : السبع المثانى : السور الطوال . وهو منقول عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود .

(٨) أم القرآن : هى الفاتحة . وهذا التفسير مروى عن ابن عباس .

(٩) فى نسيم الرياض : وعليه أكثر الصحابة والتابعين ؛ وهو قول جمهور المفسرين .

(١٠) فى القارى (١ — ١٣٦) : وهو ما يقتضيه حديث البخارى : أم القرآن هى السبع المثانى (صحيح البخارى : ٦ — ١٠٢) .

(١١) سائره : باقيه بعد الفاتحة .

المثانى : مافى القرآن ، من أَمْر ، ونهى ، وبُشْرى ، وإنذار ، وضَرْب مثَل ، وإعداد نِعَم[١] ، وآتيناكَ نبأ القرآن العظيم[٢] .

وقيل : سميت أُمّ القرآن مَثَانى لأنها تُثنَّى فى كل ركعة . وقيل : بل اللهُ تعالى استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذخَرَها له دون الأنبياء[٣] .

وسُمّى القرآنُ مثانى ؛ لأن القصص تثنَّى فيه[٤].

وقيل: السبع المثانى : أكرمناك بِسَبْع كرامات[٥] : الهدى، والنبوة ، والرحمة، والشفاعة ، والولاية ، والتعظيم ، والسكينة .

وقال[٦]: ﴿ وأنزَلْنا إليكَ الذّكْرَ لتبيِّنَ للناس مانُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾.

وقال[٧] : ﴿ وما أرْسلناكَ إلا كافَّةً للناس بشيرا ونذيرا[٨] ﴾ .

وقال تعالى[٩] . ﴿ قُلْ يأيها الناسُ إنى رسولُ الله إليكم جميعا الذى له مُلْكُ السمواتِ والأرضِ لا إلهَ إلّا هو يُحيي ويُميت ، فآمِنُوا بالله ورسولِه النبىِّ الأُمّىِّ الذى يُؤْمِن بالله وكلماته واتَّبِعُوه لعلكم تهتدون ﴾ .

قال القاضى[١٠] : فهذه[١١] من خصائصه .

---

(١) وإعداد نعم : تعداد نعم كثيرة .

(٢) أى أعطيناك علم مااشتمل عليه من قصص ومواعظ .

(٣) فالمثانى من الاستثناء المعروف ، واستثناها : ميزها وخصها من بين الآيات . والمراد أنه اختارها ، أو حفظها ، ولم يبذلها لغيره من الرسل ، ولم يدخرها ويعطها غيره لتميزه من بينهم .

(٤) تثنى : تكرر .

(٥) وهذا مروى عن الإمام جعفر الصادق .

(٦) سورة النحل ، آية ٤٤ (٧) سورة سبأ ، آية ٢٨ (٨) كافة : جميعا .

(٩) سورة الأعراف ، آية ١٥٨

(١٠) هو المؤلف .

(١١) فهذه : أى البعثة العامة لم يشاركه فيها غيره من الرسل .

وقال تعالى [١] : ﴿ وما أرسلنا مِنْ رَسول إلا بلسان [٢] قَومِه ليبيِّنَ لهم ﴾ ؛ فخصّهم بقومهم ، وبعث محمداً صلى اللهُ عليه وسلم إلى الخَلْق كافّة ، كما قال عليه السلام: بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود [٣] .

وقال تعالى [٤] : ﴿ النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أَنْفُسهم [٥] وأزواجُه أُمهاتُهم ﴾ . قال أهلُ التفسير : أولى بالمؤمنين من أنفسهم: أى ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماضٍ عليهم كما يَمْضِي حُكْم السيد على عبده .

وقيل [٦] : اتباعُ أمره أَوْلَى من اتباع رَأْى النّفْس .

وأزواجُه أمهاتهم ؛ أى هنّ فى [٧] الحُرْمة كالأمهات ؛ حرّمَ نكاحهنّ عليهم بعده ؛ تَكْرِمة [٨] له وخُصوصية ، ولأنهن له أزواجٌ فى الآخرة .

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٤ (٢) بلسان قومه : بلغة من بعث إليهم .

(٣) أى إلى العرب وغيرهم ، أو الإنس والجن — كما تقدم. والحديث فى صحيح مسلم: ٣٧١

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦

(٥) يعنى أنه — صلى الله عليه وسلم — مقدم عند كل أحد على نفسه .

(٦) وهذا التفسير مروى عن ابن عباس ؛ فالأولى هنا بمعنى أولية اتباعه . وقيل: أولية محبته . وقيل : معناه أرأف وأعطف . قال فى نسيم الرياض (١ — ٣٧٢) : والأحسن ما فى الكشاف من أنه — صلى الله عليه وسلم — أولى بهم فى جميع أمور الدين والدنيا من غيره ؛ فإنه سبب حياتهم الأبدية . وفى البخارى أنه — صلى الله عليه وسلم قال : ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ؛ اقرءوا إن شئتم : النبى أولى بالمؤمنين . . . فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك دينا أو ضَياعا فليأتنى وأنا مولاه (صحيح البخارى : ٦ — ١٤٥) .

قال القرطبى : هذا تفسير الولاية .

(٧) فى ب : من .

(٨) هذا فى ب . وفى هامشه : مكرمة . وفى ا : كتب فوقها «معا» ؛ أى هى تكرمة، ومكرمة .

وقد قرئ[1] : وهو أبٌ لهم . ولا يُقرأ[1] به الآن [٢٠] لمخالفته المصحف .

وقال الله تعالى[2] : ﴿ وأنزلَ اللهُ عليكَ الكتابَ والحكمة[3] ، وعلَّمك ما لم تكُنْ تعلم ، وكان فَضْلُ اللهِ عليكَ عظيما ﴾ .

قيل : فَضْلُه العظيم بالنبوة[4] . وقيل : بما سبق له فى الأَزَل[5] . وأشار الواسطىّ إلى أنها إشارةٌ إلى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى ، صلى الله عليهما[6] .

---

(١) فهى قراءة شاذة .

(٢) سورة النساء ، آية ١١٣

(٣) الكتاب : القرآن . والحكمة : الشريعة والسنة .

(٤) فضله العظيم : أى فى هذه الآية بالنبوة ؛ فإنها أعظم النعم .

(٥) الأزل : القدم ، والوجود الذى لا أول له .

(٦) هذا فى ا ، ب .

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسنَ خَلْقا وخُلقا ، وقِرَانه[1] جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نَسَقاً[2]

اعلم أيُّها المحبُّ لهذا النبيّ الكريم صلّى اللهُ عليه وسلم، الباحثُ عن تفاصيل جُمَل قَدْرِه العظيم — أنّ خصالَ الجلال والكمال[3] في البشَر نوعان : ضَرُورِي دُنْيوي[4] اقتضَتْهُ الجِبلّة[5] وضرورةُ الحياةِ الدنيا ؛ ومكْتَسَب دِيني ؛ وهو ما يُحْمَد فاعلُه ، ويقَرِّب إلى الله تعالى زُلْفَى .

ثم هي على فَنَّيْن[6] أيضا : منها ما يتخلَّصُ لأَحد الوصفين[7] . ومنها ما يتمازَجُ ويتداخل .

فأَما الضروريّ المَحْض[8] فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب ، مِثْلُ ما كان في جبِلّته من كمالِ خِلْقَته ، وجمالِ صورته، وقوةِ عقله ، وصحّةِ فهمه ، وفصاحة لسانه، وقوةِ حواسّه وأعضائه، واعتدالِ حركاته ، وشَرفِ نسبه[9]، وعِزّةِ قومه، وكَرَم أرضه[10] ؛ ويلحَقُ به[11] ما تدعوه ضرورةُ حياته إليه ، من غذَائه ونومه ، وملبسه ومسكنه ، ومَنْكَحه ، وماله وجاهه .

---

(١) قرانه : جمعه . (٢) نسقا : أى جميع الفضائل فيه متناسبة منتظمة .

(٣) الجلال : العظمة . والكمال : التمام .

(٤) دنيوى : لايتعلق به ثواب ؛ أو مما لابد منه فيها .

(٥) اقتضته الجبلة : دعت إليه . والجبلة : ماجبله الله عليه وخلقه . وفى هامش ب : جبلة — بالتشديد والتخفيف . (٦) ثم هى : أى خصال الجلال والكمال على ضربين .

(٧) لأحد الوصفين : أى الضرورة والمكتسب المفهومين من التقسيم السابق .

(٨) المحض : الخالص . (٩) شرف نسبه : أى شرفه الحاصل له بسبب نسبه .

(١٠) وكرم أرضه : التى هى موطنه ومولده : مكة .

(١١) يلحق به ؛ أى بالضرورى .

وقد تلحَقُ هذه الخِصَالُ الآخرة(١) بالأُخْرَوِيّة إذا قصد بها التقوى ومَعُونة البدن على سلوك طريقِها(٢) ، وكانت على حدودِ(٣) الضرورةِ وقوانين الشريعة(٤).

وأما المكتَسبة الأخروية فسائرُ الأخلاقِ العَلِيّة(٥) ، والآدابِ الشرعية : من الدِّين والعلم(٦) ، والحلم، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والزُّهد ، والتواضع ، والعَفْو ، والعِفّة ، والجُود ، والشجاعة ، والحياء ، والمروءة ، والصمت ، والتُّؤَدة(٧) ، والوَقَار والرحمة ، وحُسْن الأدب والمعاشرة(٨) ، وأخواتها ، وهى التى جِمَاعُها(٩) حسن الخُلُق.

وقد يكونُ من هذه الأخلاقِ ما هو فى الغَرِيزة(١٠) وأَصْلِ الجِبِلّة لبعض الناس . وبعضُهم لا تكون فيه ، فيكتَسِبها ، ولكنه لابدّ أن يكونَ فيه من أصولها فى أصل الجِبِلّة شعبة(١١) كما سنُبَيِّنُه إن شاء الله .

---

(١) فى ب : الأخيرة . (٢) سلوك طريقها ؛ أى طريق الآخرة .

(٣) معنى كونها على حدودها أن يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة وإسراف ونقص وتفريط .

(٤) المعنى أن يكون ما يفعله من هذه الأمور على وفق الشريعة المطهرة ؛ فإنه إن لم يكن كذلك لاتنفعه نية التقرب إلى الله تعالى ؛ وذلك كمن يأكل حراما ويلبس مغصوبا ، ليتعبد به ، أو يتصدق بمال حرام . (٥) العلية : الشريفة المحمودة .

(٦) والعلم : أى العلم بماله وما عليه ، مما به نظام معاشه ومعاده .

(٧) والصمت : المراد ترك الكلام فيما لاينبغى وترك الفضول . والتؤدة : التأنى وترك العجلة .

(٨) والمعاشرة : أى حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس ، وترك التحجب وهجر الإخوان بغير داع .

(٩) التى جماعها : التى يشملها ويجمعها .

(١٠) الغريزة : الطبيعة ، والجبلة . والمراد تكون فى بعض الناس من غير تعلم من أحد.

(١١) شعبة : حصة . وأصل معناه الفرقة والقطعة .

وتكون هذه الأخلاقُ دُنيوية إذا لم يُرَدْ بها وجْهُ اللهِ والدارُ الآخرة ؛ ولكنها كلّها محاسنُ وفضائلُ باتّفاق أصحابِ العقول السليمة ، وإن اختلفوا فى موجب[١] حُسْنها وتفضيلها .

فصـــل

إذا[٢] كانت خصالُ الكمال والجمال ما ذكرناه ، ووجدنا الواحدَ منا يَشْرُف بواحدة منها أو باثنتين إن اتفقت[٣] له — فى كلِّ عصر ، إمّا من نَسَبٍ أو جمال ، أو قوة ، أو عِلْم ، أو حِلْم ، أو شجاعة ، أو سماحة ، حتى يعظُمَ قَدْره ، ويُضْرَب باسمه الأمثال ، ويتقرَّر له بالوصف بذلك فى القلوب أُثْرَةٌ[٤] وعظمة ، وهو منذ عصورٍ خَوَالٍ رِمَمٌ بَوَالٍ[٥] ، فما ظنُّك بعظيمِ قَدْرِ من اجتمعت فيه كلُّ هذه الخصال إلى مالا يأخذه[٦] عَدٌّ ، ولا يعبِّرُ عنه مَقَال ، ولا يُنال بكَسْبٍ ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال[٧] ، مِنْ فضيلةِ[٨] النبوة والرسالة ، والخُلَّة[٩] والمحبة ، والاصطفاء[١٠]

---

(١) موجب : سبب . وقد ضبطت فى ا بفتح الجيم . وفى ب بكسرها . وقال الشهاب : بكسر الجيم لابفتحها ، وكذلك قال القارى .

(٢) هذا الفصل معقود لخصال محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم ، مقتبسة من الكتاب والسنة . (٣) اتفقت له : حصلت له على وجه يشرف به بغير كسب .

(٤) أثرة — بضم الهمزة وفتحها وكسرها ، وسكون المثلثة وبفتحها ؛ والمأثرة والمكرمة من تلك الخصال التى وصف وانفرد واستأثر بها عن غيره .

(٥) رمم بوال : الرمم جمع رمة ، أو رميم ؛ وهى العظام وأجزاء البدن البالية . بوال : جمع بالية . (٦) مالا يأخذه عد : لا يحيط به . والمراد : لا يعد لكثرته .

(٧) أى ينال بأن يخص الله به من يشاء . (٨) هذا بيان لقوله : مالا يأخذه عد .

(٩) الخلة : المخالة والصداقة .

(١٠) إشارة إلى ما ورد فى الحديث : إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم وإسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم . والحديث فى صحيح مسلم : ١٧٨٢ .

والإسراء، والرؤية (١) ، والقُرْب والدنوّ ، والوحى ، والشفاعة والوسيلةِ ، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام (٢) المحمود،والبُرَاق والمعراج،والبعث إلى الأحمر والأسود(٣)، والصلاة بالأنبياء (٤) ، والشهادةِ بين الأنبياء والأمم ، وسيادةِ ولدِ آدم [٢١] ، ولواء الحَمْد ، والبشارة ، والنِّذَارة (٥) والمكانة عند ذى العَرْش والطاعة ثَمَّ (٦) ، والأمانة والهداية ورحمة للعالمين . وإعطاء الرضا والسُّؤْل(٧) ، والكَوْثر ، وسماع القول(٨) ، وإتمام النعمة والعفو عما تقدّم وتأخر ، وشَرْح الصَّدْرِ ، ووضع الوِزْر ، ورَفْع الذكر وعِزّة النصر ، ونزول السكينة ، والتأييد بالملائكة ، وإيتاء الكتاب والحِكْمة والسَّبْع المثانى والقرآن العظيم ، وتزكية(٩) الأمة والدعاء إلى الله ، وصلاة اللهِ تعالى والملائكة ، والحُكم بين الناس بما أَرَاهُ اللهُ ، ووَضْع(١٠) الإصْرِ والأغلال عنهم ، والقَسَم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجَمادات والعُجْم(١١)، وإحياء الموتى، وإسماع الصُّمّ ، ونَبْع الماء من بين أصابعه ، وتكثير القليل ، وانشقاق القمر ، ورَدّ

(١) الرؤية : رؤية ربه . أو رؤية آياته الكبرى . أو رؤيته جبريل فى صورته الأصلية .

(٢) والمقام المحمود : هو مقام يقوم فيه النبي للشفاعة العظمى ، فيحمده فيه الأولون والآخرون . (٣) أى عموم رسالته .

(٤) إمامته لهم حين اجتمع بهم فى المسجد الأقصى حين أسرى به .

(٥) أى كونه بشيرا ونذيرا . (٦) ثم : هناك . (٧) السول : كل مسئول .

(٨) سماع القول : أى سماع الله لقوله صلى الله عليه وسلم وقبوله الوارد فى حديث الشفاعة الطويل ، بقوله : قل يسمع لك . وسل تعط . وحديث الشفاعة سيأتى فى بابها .

(٩) إشارة إلى الآية الكريمة : يتلو عليهم آياته ويزكيهم . . .

(١٠) وضع الإصر : أى ثقل التكاليف التى كانت فى الأمم السابقة .

(١١) تكليم الجمادات كما ورد فى الحديث :إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على(صحيح مسلم : ١٧٨٢) : قيل : هو الحجر الأسود . وقيل غيره . والعجم : المراد به الحيوان الذى ليس من شأنه النطق .

الشمس ، وقلْب الأعيان[١] ، والنصر بالرعب[٢] ، والاطلاع على الغيب ، وظل الغَمام[٣] ، وتسبيح الحَصا ، وإبراء الآلام[٤] ، والعِصْمة من الناس ، إلى ما لا يَحْويه مُحْتفِل[٥] ، ولا يحيط بعلمه إلا مانِحُه ذلك ومفضِّلُه به[٦] ، لا إله غيره ، إلى ما أَعَدَّ له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القُدْس[٧] ، ومراتب السعادة والحُسْنى والزيادة التي تَقِفُ دونها العقول ويحار دون أدانيها الوهم[٨] .

فصل

إنْ قلت ـ أكرمكَ الله : لا خفاء على القَطْع بالجُمْلة[٩] أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قَدْراً ، وأعظَمُهم محَلّا ، وأكملهم محاسِنَ وفضلا ، وقد ذهبتَ في تفاصيل خِصَالِ الكمال مذهبا جميلا شوَّقَني إلى أنْ أقِفَ عليها من أوصافه صلى اللهُ عليه وسلم تفصيلا . . . فاعلم ـ نوَّرَ اللهُ قلبي وقلبَك ، وضاعفَ في هذا النبيِّ الكريم حُبِّي وحبَّكَ ـ أنكَ إذا نظرتَ إلى خصَالِ الكمالِ التي هي غَيْر مُكْتَسبة وفي جِبِلَّة الخِلْقَة

(١) الأعيان : جمع عين ، وهي ذات الشيء نفسه . (٢) الرعب : الخوف .

(٣) ظل الغمام : تظليلها له عليه السلام لئلا يؤذيه حر الشمس .

(٤) الآلام : جمع ألم ؛ وهو الوجع . والمراد ما يعم الأمراض والأوجاع .

(٥) يحويه: يشمله ويجمعه فيحتوي عليه. والمعنى أن من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها لا يمكنه الإحاطة بها .

(٦) وهو الله تعالى .

(٧) القدس : أصل معناه الطهر . وقد ضبط في ا ، ب بالسكون. وقال القاري(١–١٤٩): القدس ـ بضم وبضمتين ؛ أي المنزهة عن النقصان والزوال في الجنة .

(٨) الأداني : جمع أدنى ، بمعنى أسفل ، أو أقرب ، أو أنزل ؛ أي لا يدرك العقل سافلها فضلا عن عاليها ، ولا يصل لما يقرب منها فضلا عما يبعد عنها . وفي هامش ب : خ : الفهم .

(٩) على القطع : على سبيل القطع . والجملة بمعنى الإجمال ، ضد التفصيل . والمراد أن هذا المجمل قطعي .

وجَدْته حائزا لجميعها ، مُحيطا بشَتَاتِ[1] محاسنها دونَ خلافٍ بين نَقَلَةِ الأخبار لذلك؛ بل قد بلغ بعضُها مَبْلَغَ القَطْعِ[2] .

أما الصورةُ وجمالُها ، وتناسبُ أعضائه فى حُسْنِها ، فقد جاءت الآثارُ الصحيحةُ والمشهورةُ الكثيرةُ بذلك ، من حديثِ علىّ ، وأَنسٍ بن مالك ، وأبى هُـريرة ، والبَرَاء بن عازب ، وعائشة أم المؤمنين ، وابن أبى هَالَةَ ، وأبى جُحَيْفَة ، وجابر ابن سَمُرَة ، وأمّ مَعْبَد ، وابن عبـاس ، ومُعَرِّض بن مُعَيْقِيب[3] ، وأبى الطُّفَيْل ، والعَدَّاء بن خالد ، وخُرَيْم[4] بن فاتك ، وحَكيم بن حِزَام ، وغـيرهم ، من أنه صلى الله عليه وسلم كان أَزْهَرَ اللون[5] ، أَدْعَجَ ، أَنْجَـل ، أَشْكَل[6] ، أَهْدَب الأَشْفار[7] ، أَبْلَج ، أَزَجّ ، أَقْنَى[8] ، أَفْلَج[9] ، مُدَوَّر الوجه ، واسع الجَبِين ،

---

(١) شتات محاسنها : المتفرق من محاسنها .

(٢) مبلغ القطع : القطع : الجزم ؛ وذلك لتواتره وكثرة رواته المؤدية إلى الجزم .

(٣) فى ب : ومعرض ـ وضبطه بكسر الميم وسكون العين وبفتح الراء ـ وفى هامشه: خ: ومعرض ـ وضبطه كما أثبتنا . وفى ا : ومعرض ـ وضبطه بفتح الميم وسكون العين وفتح الراء ، وتحتها « من الام » .وفى الهامش : ومعرض ـ وضبطه كما أثبتناه وعليها صح . وقال القارى : وقال الغسانى : معرض ـ بكسر الميم وفتح الراء ، وهو مخالف للأصول المصححة ، وللحواشى المصرحة . (٤) فى ا ، ب : خريم ، وفى هامش ا ، ب : صح بالراء .

(٥) أزهر اللون : قيل نير . وقيل حسن . وقيل أبيض . أو أبيض مشرب بحمرة . وفى الصحيح: عن أنس، لم يكن بالأبيض الأمهق ؛ أى الخالص البياض كلون الجير فإنه غير محمود. وفى الشمائل للترمذى: فسر الأزهر بالأبيض المنير المشرق . وفى نسيم الرياض (١ ـ ٤٠٧) : والحق أنه كان أبيض مشربا بحمرة ، وهو أحسن الألوان .

(٦) أدعج : الدعج : شدة سواد العين مع سعتها . وقيل سواد السواد وبياض البياض . أنجل أشـكل : النجلة : سعة شق العين مع حسنها . والشـكلة : حمرة يسيرة فى بياض العين.

(٧) أهدب الأشفار : الأهدب : الطويل الشعر النابت على الجفن. والأشفار :جمع شفر : طرف الجفن . (٨) أبلج : البلج : نقاء مابين الحاجبين من الشعر . أزج : مقوس الحاجب مع طول امتداد . والأقنى : طول أنفه ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه .

(٩) أفلج : الفلج : تباعد ما بين الثنايا ، أو مابين الأسنان .

كَثَّ اللحيةِ[١] تملأ صدْرَه ، سوَاءَ البطْنِ والصدْرِ[٢] ، واسعَ الصَّدْرِ ، عظيم المَنْكِبين[٣] ، ضَخْم العِظَام ، عَبْلَ العَضُدَين والذراعين والأسَافِل[٤] ، رَحْب الكفَّين والقدَمين[٥]، سائلَ الأطراف[٦] ،أنوَر المُتَجَرَّد [٧]، دَقيق المَسْرُبة [٨] ، رَبْعَةَ القدّ[٩] ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردِّدِ[١٠] ، ومع ذلك فلم يكن يُمَاشِيه أَحَدٌ يُنْسَبُ إلى الطول إلا طَالَهُ[١١] صلى الله عليه وسلم ، رَجِلَ الشَّعْر[١٢]، إذا افْتَرَّ ضاحكا[١٣] افْتَرَّ عن مِثْلِ سنا البَرْقِ ، وعن مِثْلِ حَبِّ الغَمام[١٤] ،

---

(١) كث اللحية : لحيته كثيفة غير خفيفة .

(٢) سواء : مستويهما . وفى هذا إشارة إلى اعتدال خلقهما وعدم خروجها أو أحدهما عن الاعتدال ؛ فإن البطن إذا كان بارزا أو مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة ، وكذلك إذا برز الصدر أو تطامن . (٣) المنكب : مجمع عظم العضد والكتف . أى إنه ضخمهما .

(٤) عبل : ضخم قوى . والعضدين :مثنى عضد ،وهو ما بين المرفق والكتف. والأسافل: جمع أسفل ؛ يريد رجليه ، أو الفخذين والساقين . (٥) رحب : واسع .

(٦) سائل الأطراف : أى ممتدهما امتدادا معتدلا بغير إفراط ولا تفريط . والمراد بالأطراف الأصابع .

(٧) أنور : نير . والمتجرد : الجسد الذى من شأنه أن يتجرد من الثياب .

(٨) دقيق المسربة : المراد ليس بعريض ولا متكاثف الشعر . والمسربة : شعر مستطيل من الصدر للسرة ؛ فهو خط من الشعر بينهما .

(٩) ربعة القد : القد بمعنى القامة . وربعة : معتدل ، أى مربوع القامة .

(١٠) ليس بالطويل البائن. البائن: الظاهر ؛ أى لم يكن مفرط الطول. والمتردد : المتناهى فى القصر .

(١١) ينسب إلى الطول : يوصف به . طاله : غلبه فى الطول وزاد عليه .

(١٢) رجل الشعر : يقال شعر رجل : فيه تثن قليل . فشعره بين الجمودة والسبوطة .

(١٣) إذا افتر ضاحكا :كشف عن أسنانه متبسما وضاحكا. والسنا :اللمعان؛ أى إذا كشف النبى عن أسنانه فى حال ضحكه ظهر فمه وبياض أسنانه كلمعان البرق .

(١٤) عن مثل حب الغمام : حب الغمام هو البرد ؛ أى مثله فى بياضه ونقائه وصفائه .

إذا تكلَّم رُئى كالنور يخرجُ من ثنَايَاه ، أَحسن الناسِ عُنُقا ، ليس بمُطَهَّم ولا مُكَلْثَم [١] ، مُتَماسِك البَدَن ، ضَرْب اللَّحْم [٢] .

قال البَرَاء [بن عازب] [٣] : ما رأيتُ من ذِي لِمَّة [٤] في حُلَّة حمراء أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] .

وقال أبو هُريرة رضى الله عنه : ما رأيْتُ شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٢] ، كأنّ الشمسَ تجرى فى وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ فى الجُدُر [٦] .

وقال جابر بن سَمُرة — وقال له رجُل: كان وجْهُ [٧] — صلى الله عليه وسلم — مِثْلَ السَّيْف [٨] ؟ فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديرا .

وقالت أمُّ مَعْبد [٩] — فى بعض ما وصفَتْه به : أَجملُ الناسِ من بَعيد ، وأَحْلاه وأحسنُه من قريب [صلى الله عليه وسلّم تسليما كُلّما ذَكَره الذاكرون ، وغَفَل عن ذِكْرِه الغافلون] [١٠] .

---

(١) المطهم : السمين الفاحش السمن ، والنحيف الجسم الدقيقه ، فهو من الأضداد . والمكلثم : البادن كثير اللحم .

(٢) ضرب اللحم : أي قليل لحم البدن خفيفه لا إلى حد الهزال .

(٣) فى هامش ب ، وعليها علامة صح .

(٤) اللمة — بكسر اللام وتشديد الميم : ما طال من شعر الرأس فى أحد جانبيه .

(٥) فى نسيم الرياض (٤١٧) : هذا الحديث رواه الترمذى وصححه . وهو فى سنن الترمذى (٥ — ٥٩٩) .

(٦) التلألؤ : اللمعان والإضاءة . جدر : جمع جدار ، والناس تستعمله بمعنى الأساس . أى نور وجهه الشريف يشرق إشراقا يصل إلى الجدران المقابلة له .

(٧) فى ب : كان وجه رسول الله .

(٨) وتشبيهه بالسيف هنا فى البريق واللمعان .

(٩) هى عاتكة بنت خالد الصحابية التى كانت نازلة بخباء فى طريق المدينة ، وقد نزل عليها النبى فى هجرته لما خرج من غار ثور ، وكان زوجها غائبا ، فلما أتاها أخبرته به ، فاستوصفها إياه ، فنعتته له فى كلام بليغ .

(١٠) من ب .

وفى حديث ابْنِ أَبى هَالَة : يتلألأ (١) وجْهُهُ تَلَأْلُؤَ القمر ليلة البَدْرِ .

وقال علىّ رضى الله عنه فى آخر وصْفِهِ له (٢) : مَنْ رآه بديهةً هابَهُ (٣) ، ومَنْ خالطه معرفةً (٤) أحبَّه ، يقول ناعِتُهُ (٥) : لم أَرَ قبله ولا بعده مِثْلَه صلى الله عليه وسلم.

والأحاديثُ فى بَسْطِ صفتِه مشهورةٌ كثيرة ، فلا نطوِّل بسَرْدِها .

وقد اختصرنا فى وصْفِه نُكَتَ (٦) ما جاء فيها ، وجُمْلةً مما فيه الكفايةُ فى القَصْد إلى المطلوب ، وختمنا هذه الفصولَ بحديثٍ جامع لذلك تَقِفُ عليه هناك إن شاء الله .

فصــــل

وأما نظافةُ جسمه ، وطِيبُ رِيحِه وعَرَقِه ، ونزاهَتِه (٧) عن الأقذار وعَوْرَاتِ (٨) الجسد ـ فكان قد خصَّه اللهُ فى ذلك بخصائصَ لم توجَدْ فى غيره ، ثم تمَّمَها بنظافة الشَّرْعِ (٩)

---

(١) يتلألأ : يضىء ويشرق .

(٢) فى نسيم الرياض : رواه الترمذى والبيهقى عن محمد بن الحنفية فى حديث مرسل ضعيف. (الترمذى : ٥ — ٥٩٩) ، وبعده قال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ليس إسناده بمتصل .

(٣) بديهة : فجأة . هابه : خافه ، وعظمه ، ووقره .

(٤) خالطه : صاحبه وعرفه .

(٥) ناعته : واصفه .

(٦) النكت : اللطائف والدقائق الخفية .

(٧) نزاهته : بعده ، وخلوه منها ، وتنزهه عنها .

(٨) عورات : جمع عورة ؛ وهى كل مايوجب خللا فيه ، أو يُستر ويستحيى منه ، مما يشين وينقص .

(٩) أى تمم ما فطر عليه من ذلك ، وما خصه به ـ بما شرعه له من النظافة الدينية كالوضوء؛ فاتصف بالنظافة الكاملة .

وخِصَال الفِطْرَة العَشْرِ[١] ، وقال[٢] : بُنِيَ الدِّينُ على النظافة .

حدثنا سُفْيان بن العاصى وغيرُ واحد ، قالوا : حدثنا أحمد بن عُمر . حدثنا أبو العباس الرازىّ ، حدثنا أبو أحمد الجُلُودى[٣] ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم ، [قال][٤] : حدثنا قُتيبة ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال[٥] : ما شممْتُ عَنْبَراً قطُّ ، ولا مِسْكا ، ولا شيئا أطْيَبَ من رِيح[٦] رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

وعن جابر بن سَمُرَة أنه[٧] صلى اللهُ عليه وسلم مسح خدَّه ؛ قال : فوجدتُ لِيَدِه بَرْداً ورِيحا ، كأنما أخرجها مِنْ جُونَةِ[٨] عطَّار .

---

(١) الفطرة : الطبيعة والجبلة التى خلق عليها ، وكونها عشرا ، رواه مسلم فى حديث مرفوع : عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء .

قال مصعب : نسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة — قال القاضى : المنسى الختان . (صحيح مسلم : ٢٢٣) .

والبراجم : عقد الأصابع من ظهر الكف . وغسل البراجم : إزالة وسخها . وانتقاص الماء : هو الاستنجاء .

(٢) وقال : أى النبى .

(٣) فى هامش ا ، ب : الجلودى — بضم الجيم هو الصحيح .

(٤) من ب . (٥) صحيح مسلم : ١٨١٤ (٦) ريح : رائحة .

(٧) قال الخفاجى : هذا الحديث أخرجه مسلم . وأول الحديث : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وأنا معه ، فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خدى أحدهم واحدا واحدا ، وأما أنا فمسح خدى ، فوجدت ليده بردا أو ريحا .

واقتصر المؤلف على بعض هذا الحديث لمناسبته للفصل .

والحديث فى مسلم : ١٨١٤ ، قال فى نسيم الرياض : وكان من عادة النبى مسح وجوه الأطفال تأنيسا لهم ، وتطييبا لقلوب والديهم ، وشفقة عليهم .

(٨) الجونة : شبه صندوق صغير مغشى بأدم يضع فيه العطار عطره .

قال غيره (١) : مسَّها بطِيب أو لم يمسّها (٢) ، يُصافحُ المُصافَحَ فيظلُّ يومَه يجدُ رِيحَها ؛ ويضَعُ يدَه على رأس الصبيّ فيُعْرَف من بين الصبيان بريحها(٣) .

ونام(٤) رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى دار أنس فعرِق، فجاءت أُمُّه بقَارُورة(٥) تجمَعُ فيها عرَقَه ، فسألها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : نجعلُه فى طِيبنا ، وهو مِنْ أطيبِ الطيب .

وذكر البخارى فى تاريخه الكبير ، عن جابر : لم يكن النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يمرُّ فى طريقٍ فيَتْبَعه أحد إلا عُرِف أنه سلكه من طِيبه(٦) .

وذكر إسحاقُ بن رَاهَوَيه أنَّ تلك(٧) كانت رائحته بلا طيب ، صلّى اللهُ عليه وسلم .

[وروى المُزَنى (٨) ، عن جابر : أَرْدَفنى (٩) النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم خَلْفه ، فالتقَمْتُ(١٠) خاتَم النبوة بفَمِى ، فكان يَنِمُّ (١١) على مِسْكا](١٢) .

---

(١) قال الخفاجى : هذا الحديث رواه البيهقى ، وأبو نعيم ، بسند فيه ضعف .

(٢) فى هذا إشارة إلى أن طيبه صلى الله عليه وسلم ذاتى .

(٣) أى برائحتها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به تكرمة له .

(٤) هذا بعض من حديث رواه مسلم ، واقتصر المؤلف منه على ما يناسب المقام اختصارا ، والحديث فى صحيح مسلم : ١٨١٥

(٥) القارورة : إناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه .

(٦) أى من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به ، الباقية فيه .

(٧) أى تلك الرائحة التى كانت تشم منه وتبقى فى الطريق .

(٨) فى ب : المرى . وفى هامشه : هكذا وقع المرى . والمثبت فى ا .

(٩) أردفنى : أركبنى خلفه .

(١٠) الالتقام : أخذ الشىء وجعله فى فيه ، سواء ابتلعه أم لا .

(١١) نم المسك : سطع .

(١٢) فى هامش ب : مابين القوسين كتب أمامه : هذا المعلم من الأم، وليس من الرواية.

وقد حكى بعضُ المُعتنين(١) بأخباره وشمائله صلى اللهُ عليه وسلم أنه كان إذا أراد أنْ يتغوّطَ (٢) انشقّت الأرضُ فابتلعت غائطَه وبَوْلَه ، وفاحت لذلك رائحةٌ طيبة . صلى اللهُ عليه وسلم .

[وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدى فى هذا خبرا عن عائشة رضِيَ اللهُ عنها أنها قالت للنبى صلى اللهُ عليه وسلم : إنكَ تأتى الخَلَاءَ (٣) فلا نرى منكَ شيئا من الأذَى! فقال : يا عائشة ، أو ما علمتِ أنَّ الأرضَ تبتلعُ ما يخرج من الأنبياء ، فلا يُرَى منه شىء](٤) .

وهذا الخبَرُ وإنْ لم يكن مشهورا(٥) فقد قال قومٌ من أهلِ العلم بطهارة الحدَثَيْنِ منه صلى اللهُ عليه وسلم. وهو قولُ بعضِ أصحابِ الشافعية ، [حكاه الإمام أبو نصر ابن الصبّاغ فى شامِلِهِ](٦) .

وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك أبو بكر بن سابق المالكى فى كتابه البديع فى فروع المالكية ، وتخريج ما لم يقَعْ لهم منها على مذهبهم من تفَارِيع الشافعية .

وشاهدُ هذا(٧) أنه صلى اللهُ عليه وسلم لم يكن منه شىء يُكْرَه ، ولا غَيْرُ طيب .

---

(١) هو البيهقى ــ عن عائشة ، كما فى نسيم الرياض الذى قال : إنه موضوع .

(٢) يتغوط : يأتى الغائط ، وهو المكان المنخفض ، على عادتهم فى البراز ؛ لأنه أستر .

(٣) الخلاء : المكان الخالى البعيد عن البيوت ، لأنهم كانوا قبل وضع المراحيض يأتونه لقضاء الحاجة ، ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ، ثم صار عرفا اسما للبناء المعد لذلك.

(٤) فى هامش ا ، ب : ليس من الأصل .

(٥) قال ابن دحية : سنده ثابت ، وهو أقوى ما فى الباب ، فلهذا نفى المصنف عنه الشهرة دون الصحة .

(٦) فى هامش ا ، ب : ليس من الرواية . والشامل : اسم كتاب له .

(٧) وشاهد هذا : أى دليل القول بالطهارة .

ومنه حديث[1] على رضى الله عنه[2]: غسلتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فذهبتُ أنظرُ ما يكونُ من الميت فلم أجِدْ شيئا؛ فقلت : طِبْتَ حيّا وميتا ،[قال : وسطعت[3] منه ريحٌ طيِّبة لم نجدْ مثلَها قطّ][4] .

ومثلُه[5] قال أبو بكر رضى الله عنه حين قبَّلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعد موته .

ومنه شُرْبُ مالك[6] بن سنان دمَه يوم أُحُد ، ومَصُّه إياه [٢٣] ، وتسويغُه[7] صلى الله عليه وسلم ذلك له ، وقوله : لن تُصيبه النار .

ومثلُه شُرْبُ عَبْدِ الله بن الزّبير دمَ حِجَامته ؛ فقال له عليه السلام : وَيْلٌ لك[8] من الناس ، ووَيْلٌ لهم منك . ولم ينكره عليه[9] .

---

(١) ومنه: أى من الشاهد على أنه لم يكن منه — صلى الله عليه وسلم — شيء يكره ولا غير طيب.

(٢) قال الشهاب : رواه ابن ماجه ، وأبو داود ، فى مراسيله : (ابن ماجه : ٤٧١) .

(٣) سطعت : ظهرت وارتفعت . (٤) فى هامش ا ، ب : من الأم، وليست من الرواية.

(٥) ومثله : أى قول على : طبت حيا وميتا . (٦) فى ب : ملك .

(٧) وتسويغه : أى تجويزه له من غير إنكار . (٨) ويل : للتحسر والتألم .

(٩) هذا محط الدليل ؛ فإن عدم إنكاره صلى الله عليه وسلم دليل على جوازه وطهارته .

وفى نسيم الرياض : (١ — ٤٤٨) قال السخاوى : سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ، ومالك بن سنان ، وقوله للأول : ويل لك ، وقوله لمالك : لا تمسك النار — ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب ؟

فأجاب بأن ابن الزبير شرب دم الحجامة وهو قدر كثير ، فعلم صلى الله عليه وسلم أنه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع أعضائه منه قوى من قوى النبى، فتورد به غاية قوة البدن والقلب، وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة، فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدل وقلة ناصره، وتمكن الظلمة وكثرة أعوانهم؛ فيحصل له ما أشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنتهك بها حرمته؛ أى الناشئة من حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق ، فقيل : ويل له لقتله وانتهاك حرمته ، وويل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسفيههم .

وأما مالك فازدرد ما مصه من الجرح الذى فى وجه النبى ، وهو أقل من دم الحجامة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه يستشهد فى ذلك اليوم ، فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبر به، فأعلمه بالأهم بما يتلقاه من أنواع مسرات الجنان .

وقد رُوى نحوٌ من هذا عنه فى امرأة شرِبَتْ بَوْلَه ؛ فقال لها : لن تشتكى وَجَع بَطْنِك أبدا . ولم يأمر واحدا منهم[١] بغَسْلِ فَمٍ ، ولانَهاه عن عَوْدةٍ[٢] .

وحديثُ هذه المرأةِ التىشربت بَوْلَه[٣] صحيح ألزم الدارَقُطْنى مسلما والبخارى إخراجَه فى الصحيح ، واسم هذى المرأة بَرَكَة . واختلفت فى نسبها .

وقيل : هى أمّ أيمن[٤] : وكانت تَخْدُم النبىَّ صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : وكان لرسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدَحٌ من عَيْدَان[٥] يوضَع تحت سريره يَبُولُ فيه من الليل ، فبال فيه ليلةً ، ثم افتقده[٦] ، فلم يجد فيه شيئا . فسأل بَرَكةَ عنه ؛ فقالت : قمْتُ وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم .

روَى حديثَها ابن جُرَيج وغيره .

وكان صلى الله عليه وسلم قد وُلِدَ مَخْتُونا مقطوعَ[٧] السُّرَّة .

[ورُوى عن أمّهِ آمنة أنها قالت : قد ولدتُه نظيفا ما به[٨] قَذَر][٩] .

---

(١) واحدا منهم : أى ممن شرب دمه ، وممن مصه ، وممن شرب بوله .

(٢) ولو كان نجسا لأمر به ، ونهاه أن يعود لمثله .

(٣) فى نسيم الرياض : هو فى أعلى درجات الصحة . والحديث فى سنن النسائى : ١ — ٣١

(٤) مولاته وحاضنته ومرضعته .

(٥) القدح : هو الإناء الذى يشرب منه . عيدان : نخلة طويلة .

وفى هامش ب : العيدان : شجر كبار ، تكون باليمن ، صغارها تسمى الرتم ، ومنه قول الشاعر :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت ... عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

(٦) افتقده : طلبه وبحث عنه .

(٧) فى نسيم الرياض (١ — ٤٥٢) : سند هذا الحديث ضعيف جدا ، والذى صححه المحدثون — كما فى التمهيد لابن عبد البر — أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه ، وجعل له مأدبة وسماه محمدا .

(٨) ما به قذر ؛ أى ولدته نقيا من الوسخ .

(٩) فى هامش ا ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

وعن عائشة رضى اللهُ عنها : ما رأيتُ فَرْجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .

وعن عليّ رضى اللهُ عنه[١] : أوصانى النبيُّ صلى الله عليه وسلم لا يغسله[٢] غيرى؛ فإنه لا يَرى أحدٌ عَوْرتى إلا طُمِسَتْ عيناه[٣] .

وفى حديث عِكْرمة ، عن ابن عباس رضِىَ اللهُ عنهما ـ أنه صلى اللهُ عليه وسلم نامَ حتى سُمِعَ له غَطِيط[٤] ، فقام فصلّى ولم يتوضأ[٥] ـ قال عِكْرِمة : لأنه صلى اللهُ عليه وسلم كان محفوظا[٦] .

فصـــــل

وأما وفُورُ عَقْله[٧]، وذكاء لُبِّه[٨] ، وقوةُ حواسّه ، وفصاحةُ لسانه ، واعتدالُ حركاته ، وحُسْن شمائله ـ فلا مِرْيَةَ[٩] أنه كان أعقلَ الناسِ وأذكاهم .

ومَنْ تأمّل تدبيره أمْرَ بواطنِ الخلْقِ وظواهرهم ، وسياسةَ العامة والخاصة[١٠] ، مع عجيب شمائله ، وبديع سِيَرِه، فَضْلا عما أفاضَه[١١] من العلم ، وقرّرَه من الشرع دونَ

(١) قال الشهاب : هذا الحديث رواه البزار والبيهقى .

(٢) فى ا : ضبطت السين مشددة وغير مشددة . وفوقها « معا » .

(٣) طمس العين : إزالة ضوئها .

(٤) الغطيط : صوت النائم إذا ارتفع نفسه .

(٥) فى نسيم الرياض : والأحاديث الدالة على أن نومه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا ينقض، وأنه تنام عينه ، ولا ينام قلبه ـ كثيرة صحيحة .

(٦) حاصله أن النوم ليس ناقضا بنفسه ؛ وإنما نقض ، لأنه مظنة الحدث ، والله تعالى حفظه عن أن ينام قلبه .

(٧) وفور عقله : تمامه ، وزيادته على عقل غيره .

(٨) لبه : عقله .

(٩) لا مرية : لا شك ، ولا شبهة ، ولا جدال .

(١٠) سياسة العامة والخاصة : تدبير أمورهم والتصرف فيها .

(١١) أفاضه : أذاعه .

تعلُّمٍ سبق ، ولا مُمارسة[١] تقدمت ، ولا مُطالعةٍ للكتب منه، لم يَمْتَرِ [٢] فى رُجْحان عقله ، وثُقُوبِ[٣] فهمه لأول بَدِيهة[٤] ؛ وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه[٥] .

وقد قال وَهْب بن مُنَبِّه : قرأتُ فى أحد وسبعين كتابا ، فوجدتُ فى جميعها أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أرجحُ الناسِ عقلا ، وأفضلُهم رأيا .

وفى رواية أخرى [٦] : فوجدتُ فى جميعها أنّ اللهَ تعالى لم يُعْطِ جميعَ الناس من بَدْءِ الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جَنْبِ عقله صلى اللهُ عليه وسلم إلا كحَبَّةِ رَمْلٍ من [بَين][٧] رمال الدنيا .

وقال مجاهد [٨] : كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إذا قام فى الصلاة يَرَى مَنْ [٩] خَلْفه كما يرى مَنْ بَيْنَ يديه ، وبه فُسِّرَ قولُه تعالى [١٠] : ﴿ وتَقَلُّبَكَ فى الساجدين ﴾ .

وفى الموطّأ عنه عليه السلام[١١] : إنى لأراكم من وَراءِ ظَهْرِى .

---

(١) الممارسة : معالجة الأمر ومزاولته ؛ أى لم يتعلم من غيره ، ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد فى استخراجه بعقله .
(٢) لم يمتر : لم يشك .
(٣) ثقوب فهمه : نفوذه وظهوره .
(٤) لأول بديهة : لأول نظرة نظرها .
(٥) لتحقيقه : بالمشاهدة فى عصره ، والتواتر بعد ذلك، بحيث لايشك فيه مسلم وعاقل . وفى ب : لتحققه ، وعليها علامة الصحة .
(٦) عن وهب أيضا .
(٧) من ب .
(٨) هذا الحديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .ورواه مالك ،وأحمد ،وغيرهما. وفى لفظه اختلاف . والمعنى متفق . والحديث فى مسلم : ٣١٩
(٩) فى ب ضبطت الميم بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » .
(١٠) سورة الشعراء ، آية ٢١٩
والمعنى : نرى تقلب بصرك فى المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون . وسياق الحديث للاستدلال به على قوة حواسه — صلى الله عليه وسلم ؛ فيناسب التفسير بأنه يراهم بعينه حقيقة .
(١١) فى الموطأ : ١ — ١٦٦ ، وصحيح مسلم : ٣١٩

ونحوه – عن أنس فى الصحيحين[١] ، وعن عائشة مثله ؛ قالت : زيادةٌ زاده اللهُ إياها فى حُجَّته[٢] .

وفى بعض الروايات[٣] : إنى لأنظُرُ من[٤] ورائى كما أنظر إلى مَنْ بين يدى .

وفى أخرى[٥] : إنى لأُبْصِرُ مِنْ قَفَاى كما أُبصر من بين يدى .

وحكى بَقِيّ بن مَخْلَد ، عن عائشة ؛ [قالت][٦] : كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يرى فى الظُّلْمة كما يَرى فى الضوء[٧] .

والأخبارُ كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى اللهُ عليه وسلم للملائكة والشياطين[٨] .

ورُفِع[٩] النجاشىُّ له حتى صلّى عليه[١٠] ، وبيتُ [٢٤] المقدسِ حين وصفَه لقُريش ، والكعبةُ حين بنى مسجده[١١] .

---

(١) صحيح مسلم : ٣٢٠ ، وفيه : من بعد ظهرى .

(٢) فى حجته: المراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته وصدقه . وقيل : فى حجته على الكفار ؛ لأن هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة .

(٣) لعبد الرزاق ، والحاكم .

(٤) فى ب : ضبطت الميم بالفتحة والكسرة وكتب فوقها « معا » .

(٥) لمسلم ، فيه – صفحة ٣١٩ : من ورائى ومن بعدى ، و « من بعد ظهرى » بدل « من قفاى » صفحة ٣٢٠

(٦) ليس فى ب .

(٧) فى نسيم الرياض : رواه الثقات كابن مخلد ؛ فلا وجه لإنكاره . وقد أخرجه البيهقى عن عائشة أيضا . ونقل ابن دحية فى كتابه الآيات البينات – عن ابن بشكوال – أنه ضعفه لأن فى سنده ضعيفا .

(٨) فى نسيم الرياض : وهذا مالا شبهة فيه .

(٩) يعنى أن الله تعالى رفع بيت النجاشى وجنازته – وهو ببلاد الحبشة – فرآه النبى من المدينة وصلى على جنازته .

(١٠) قال السيوطى : إنه لم يجده فى كتب الحديث .

(١١) أى رفعت له الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها . قال السيوطى : رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار فى أخبار المدينة ، عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم ، مرسلا . وقال فى نسيم الرياض : والمعروف أن جبريل عليه السلام أعلمه بحقيقة القبلة ، وأراه سمتها ؛ لا أنه رفع له الكعبة حتى رآها . وبهذا جاءت الآثار .

وقد حُكي عنه صلى اللهُ عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحدَ عشر نجْمًا [١] .

وهذه كلُّها محمولةٌ على رؤية العين ، وهو قولُ أحمد بن حنبل وغيره .

وذهب بعضُهم إلى ردِّها [٢] إلى العِلْم ، والظواهرُ تخالفُه [٣] ، ولا إحالَةَ [٤] في ذلك ، وهي [٥] من خواصِّ الأنبياء وخِصالِهم ، كما أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن أحمد العَدْل من كتابه؛ حدثنا أبو الحسن المقرئُ الفَرْغَاني، حدثتنا أمُّ القاسم بنت أبي بكر [٦] عن أبيها، حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحَسَنيّ، حدثنا محمد بن محمد بن سَعِيد، حدثنا محمد بن أحمد بن سُليمان، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا همّام [٧] ، قال: حدثنا الحسَن ، عن قَتادة ، عن يحيى بن وَثّاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : لما تجَلَّى [٨] اللهُ لموسى عليه السلام كان يُبْصِرُ النملةَ على الصَّفَا [٩] في الليلة الظلماء مَسِيرة عشرة فراسخ [١٠] : ولا يبعدُ على هذا أنْ يختصَّ نبيُّنا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحُظْوَة [١١] بما رأى من آيات ربِّه الكبرى .

---

(١) قال السيوطي : هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث .

(٢) إلى ردها : أي إلى تأويل الرؤية بالعلم وصرفها عن ظاهرها .

(٣) والظواهر تخالفه : أي ظاهر العبارة يخالفه ، ولا مقتضى لصرفها عن الظاهر .

(٤) ولا إحالة في ذلك: أي ليس في حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضي العدول لأجله.

(٥) وهي : أي قوة البصر والحواس . (٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي .

(٧) في ب : هانيء ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : كانت في الأصل همام كما كتبت. وهو هانيء بن يحيى . وقال الشهاب (١ — ٤٧٢) : ولفظ همام وقع في كثير من النسخ . والصواب هانيء كما أصلح .

(٨) التجلي هنا : الظهور بلا كيف . (٩) الصفا : الحجر الصلد الأملس .

(١٠) في نسيم الرياض (١ — ٤٧٣) : تحقيقه أن الله تعالى لما قربه حتى سمع كلامه حصل له قوة روحانية ، واتصل به نور إلهي أثر في روحه الحيوانية، وزاد في نورها الذي بانتشاره في البدن يحصل الإدراك ؛ فأدرك بذلك إدراكا خارقا للعادة .

(١١) الحظوة : زيادة القرب مع المحبة .

وقد جاءت الأخبار[١] بأنه صَرَعَ رُكَانة أشدَّ أهلِ وقته، وكان دعاه إلى الإسلام، وصارعَ أبا رُكَانة في الجاهلية ، وكان شديدا، وعاوده ثلاثَ مرات، كل ذلك يصرعُه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو هريرة : ما رأيتُ أحدا أسرعَ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَشْيه ، كأنما الأرضُ تُطْوَى له ، إنا لنَجْهَدُ أنفسنا وهو غيرُ مُكْتَرِث[٢] .

وفي صفته أنَّ ضَحِكه كان تبسُّما، إذا التفتَ الْتَفَت معا[٣]، وإذا مشى مشَى تَقَلُّعا[٤] كأنما ينْحَطُّ من صَبَبٍ[٥] .

فصـــــل

وأما فصاحةُ اللسانِ ، وبلاغةُ القول ، فقد كان صلى اللهُ عليه وسلم من ذلك بالمحلِّ الأفضل والموضع الذى لا يُجْهَل ، سلاسةَ طَبْعٍ ، وبَرَاعةَ مَنْزَعٍ[٦] ،

(١) هذا إثبات لتفوقه على غيره في قوته البدنية بعدما أثبت قوة إدراكه صلى الله عليه وسلم. والخبر في سنن الترمذي : ٤ — ٢٧٤

(٢) مكترث : الاكتراث : المبالاة والاعتناء بالأمر ؛ أي إننا نتعب أنفسنا في مساواة مشيه، وهو — صلى الله عليه وسلم — مستريح لا يرى به مشقة . أو إنا نبذل وسعنا وطاقتنا ، وهو غير مبال بمشيه .

(٣) التفت معا : أي يقبل جميعا ويدبر جميعا . ومعنى « معا » بجميعه .

(٤) تقلعا : المراد أنه — صلى الله عليه وسلم — يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا من غير مقاربة للخطى ؛ فإنه مشي النساء والمختالين .

(٥) ينحط من صبب : ينحدر من موضع مرتفع . والحديث في سنن الترمذي: ٥ — ٥٩٨

(٦) السلاسة : السهولة ؛ أي كانت سليقته صلى الله عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة من غير تكلف .

والبراعة : من برع الرجل ؛ إذا فاق غيره، وكثيرا ما تستعمل بمعنى الفصاحة . والمنزع — بفتح الميم والزاى: المأخذ، وما يرجع إليه الرجل من رأيه وأمره. والمراد أصله ومقره، يعني إنه صلى الله عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم هم أفصح الناس .

وإيجازَ مَقْطَع [١]، ونَصاعَةَ لَفْظ، وجزَالَةَ قول [٢]، وصحَّةَ مَعَانٍ، وقلَّةَ تَكَلُّف، أُوتِيَ جوامِعَ الكَلِمِ، وخُصّ ببدائع الحِكَم [٣]، وعلِمَ ألسنةَ العرب [٤]، يخاطِبُ كلّ أمة منها بلسانها، ويُحاوِرُها بلُغَتها، ويباريها في مَنْزَع بلاغتها [٥]، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير مَوْطِن [٦] عن شَرْح كلامِه وتفسير قوله .

ومَنْ تأمل حديثَه وسيرَه عَلِم ذلك وتحقَّقه ؛ وليس كلامُه مع قريش والأنصار، وأهلِ الحجاز ونَجْد ككلامِه مع ذي المِشْعَار الهَمْدَاني [٧]، وطِهْفَة النَّهْدي [٨]، وقَطَن بن حارثة العُلَيْمي [٩]، والأشعث بن قيس [١٠]، ووائل بن حُجْر

(١) الإيجاز : التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل . مقطع : أي موجز في محل القطع والفصل للأمور . أي ومقطعا موجزا ، من أوجز : أتى بكلام قلت مبانيه وكثرت معانيه .

(٢) النصاعة : الخلوص والوضوح ؛ أي إن لفظه خالص من كل بشاعة، وواضح لكل أحد لمخاطبته كل واحد على قدر عقله وبلغته . والجزالة : القوة والإتقان .

(٣) أوتي جوامع الكلم : آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني . وقيل المراد القرآن والحديث .

وخص ببدائع الحكم : أي خص النبي بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق إليها .

(٤) ألسنة العرب : لغاتهم . (٥) يباريها : يعارضها ويجاريها .

(٦) في غير موطن : أي في مواطن كثيرة . وفي أعلى كلمة « أصحابه » علامة الصحة ، وكتب أمامها في الهامش : الصحابة : وعليها صح .

(٧) ذو المشعار وفد على النبي مرجعه من تبوك ، وكتب له النبي كتابا سيأتي بعد قليل . وفي ا : المشعار — بالعين المهملة والغين المعجمة وكتب فوقها « معا » .

(٨) طهفة النهدي : هو خطيب نهد ووافدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب .

(٩) هو صحابي قدم على النبي وافدا لقومه ، فكتب له كتابا . والكتاب في نسيم الرياض : ١ — ٤٨٢

(١٠) الأشعث بن قيس وفد على رسول الله سنة عشر في ستين راكبا ، فأسلموا ورجعوا إلى اليمن . وله قصة مع أبي بكر في نسيم الرياض : ١ — ٤٨٣

الـكِنْدى[1] ، وغيرهم من أَقْيَال [2] حَضْرَمَوْت وملوكِ اليمن .

وانظر كِتابه إلى هَمْدان[3] : إن لـكم فِرَاعَها ووِهَاطَها وعَزازَها[4] ، تأكلون عِلَافها[5] وترْعَوْن عَفَاءَها[6] ، لنا من دِفْئهم وصِرَامهم ماسلَّموا بالميثاق والأمانة[7] ، ولهم من الصَّدَقة الثِّلْبُ والنابُ والفَصِيل[8] ، والفارض والدَّاجِن[9] ،

---

(١) وائل بن حجر : من أقيال حضرموت ، وأبوه ملك من ملوكهم . وفد على رسول الله مسلما . وقد بشر الرسول أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام . وقد كتب له رسول الله كتابا ـ وهو فى ١ ـ ٤٨٤ من نسيم الرياض .

(٢) الأقيال : جمع قيل ؛ وهو الملك من ملوك حمير واليمن .

(٣) كتبه النبى لما وفد عليه ذو المشعار الهمدانى ، وارجع إليه فى الفائق : ٣ ـ ٩٤ ، إن شئت .

(٤) فراعها : ما ارتفع من الأرض من مرتفعات البقاع أو أعالى الجبال ـ يعنى أن النبى أقطعهم ذلك . ووهاطها: ماسفل وانخفض من الأرض . وعزازها:ماشتد وصلب من الأرض مما لا ملك لأحد عليه .

(٥) علافها : جمع عاف ، وهو ماتأكله الماشية .

(٦) عفاءها : ماليس لأحد فيه ملك ولا أثر .

(٧) الدفء : المراد الإبل والغنم . والصرام : جمع صرمة ؛وهى القطعة من النخل ،ويجوز أن يكون التمر نفسه ، لأنه يصرم من النخل ؛ أى يجذ ويقطع . ماسلموا : ما داموا يعطون من الزكاة المفروضة .

(٨) المراد بالصدقة : الزكاة . والثلب : الجمل المسن الهرم الذى سقطت أسنانه . والناب : مثل الثلب إلا أنه مخصوص بالنوق الإناث . والفصيل : ولد الناقة الصغير الذى فصل عن رضاع أمه .

(٩) الفارض والداجن . الفارض : البقرة المسنة . والداجن : الذى يربض حول المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل . والمعنى أن ما ذكر يترك لهم ولا يؤخذ منهم .

والكَبْشُ الحوَرِي[١] وعليهم فيها الصالغ والقارح[٢] .

وقوله لنَهْد[٣] : اللهم بارِكْ لهم في مَحْضِها ومَخْضِها ومَذْقِها[٤] ، وابعَثْ راعِيَها في الدَّثْر[٥] ، وافجُرْ له الثَّمَد[٦] ، وبارِكْ له في المال والولد ، مَنْ أقامَ الصلاةَ كان مُسْلما ، ومَنْ آتى الزكاةَ كان مُحْسنا ، ومن شَهِد أن لا إلهَ إلا الله كان مُخْلصا[٧] ، لكم يا بني نَهْد ودائعُ الشِّرْك ، ووَضائع المِلْك[٨] ، لا تُلْطِطْ في الزكاة[٩] ،

---

(١) الكبش : الذكر الكبير من الغنم الذى يقودها غالبا . والحورى : المراد الكبير من الغنم؛ وهو لا يؤخذ في الصدقة لكونه أنفسها، ولأنه مما يحتاج إليه للضراب،وفي ا: الحوارى– بضم الحاء وتشديد الواو . والحوارى : الأبيض .

(٢) الصالغ : هو من البقر والغنم : ما كمل وانتهى سنه في السنة السادسة. والقارح: الفرس الذى دخل في الخامسة .

(٣) هذا إشارة إلى ما قاله النبي لطهفة النهدى السابق ذكره حين وفد على النبي وشكا له ما أصاب قومه من القحط .

(٤) المحض : الخالص . والمخض : أصله تحريك السقاء الذى فيه اللبن حتى يتميز زبده فيؤخذ منه . والمذق : أصل معناه الخلط والمزج ، ثم استعمل في اللبن المخلوط بالماء . يدعو لهم الرسول بأن يبارك الله لهم في ألبانهم بأقسامها : ما كان خالصا لم يتميز زبده ، وما ميز منه زبده ، وما مزج بالماء . وذلك كله كناية عن خصب أرضهم وسمنها ؛ فإن الألبان إنما تكثر بنبات المرعى ، وهو إنما يكون بالمطر ؛ فكأنه قال : اللهم اسق بلادهم ،واجعلها مخصبة ملبنة.

(٥) ابعث راعيها في الدثر : ابعث : أرسل . والدثر : الإبل الكثيرة . وقيل : الدثر : الخصب وكثرة النبات .

(٦) وافجر له الثمد : الفجر : من تفجير الماء ، وهو جعله جاريا . والثمد : الماء القليل . فالمراد كثر ما قل من مائه .

(٧) كان مخلصا : أى كان مخلصا في إيمانه .

(٨) ودائع الشرك : المراد بها العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار في المهادنة. وقيل:يجوز أن يكون المراد أن ما استودعوه من أموال الكفار حلال لهم.
ووضائع الملك : الوضائع : جمع وضيعة – بمعنى موضوعة . والملك – بكسر الميم؛ أى ما كان يوضع على الأملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين ؛ يلزمكم ما يلزمهم من الوظائف من غير زيادة ولا نقص .

(٩) لا تلطط في الزكاة : لا تمنعها .

ولا تُلْحِد[١] في الحياة ، ولا تتثاقَلْ عن الصلاة .

وكتب لهم : في الوَظيفةِ الفَرِيضة[٢] : ولكم الفارِضُ والفَرِيش[٣] ، وذُو العِنَان الرَّكُوب[٤] ، والفَلُوّ[٥] الضَّبِيس [٢٥] ، لا يُمْنَع سَرْحُكم ، ولا يُعْضَد طَلْحُكم ، ولا يُحْبَسُ دَرُّكُم[٦] ما لم تُضْمِروا الرِّمَاقَ ، وتأكلوا الرِّبَاق[٧] ، مَنْ أَقرَّ فله الوفاء بالعهد والذِّمّة ، ومَنْ أبى فعليه الرِّبْوَة[٨] .

ومن كتابه لوائل بن حُجْر[٩] :

---

(١) ولا تلحد : ألحد إلحادا : جار وعدل عن الحق .

(٢) لهم : لبني نهد . والوظيفة : المعين في كل يوم ، أو في زمان معين ، من الطعام وغيره من الرزق . ويطلق على العهد والشرط ، والمراد الأخير ؛ أي كتب لهم في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم . والفريضة : ما فرض عليهم .

(٣) الفريش : الحديث العهد بالنتاج . وقيل : ما لا يطيق حمل الأثقال من الإبل لصغره .

(٤) الركوب : المركوب الذلول . يعني : لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه ، وكذا الصغير .

(٥) الفلو : المهر الصغير من الخيل ، لا يؤخذ في الزكاة . والضبيس : المهر العسر الركوب الصعب ، وكأنه كنى به عن صغره .

(٦) سرحكم : السرح : الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى . والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها . يعضد : يقطع . والطلح : شجر عظام يقال له العضاه . دركم : الدر : اللبن ، والمراد به هنا الأنعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان تجتمع فيه لتحشر إلى المصدق . وفي ب : سرجكم — بالجيم .

(٧) تضمروا : تخفوا وتكتموا . الرماق : النفاق . والرباق : المراد العهود . والمعنى : إن هذا أمر مقرر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الإسلام ، فإذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة ؛ فالمراد ما لم تضمروا النفاق ، ثم تظهروا نقض العهد . وفي ب : الإرماق . وفي الفائق : وروى : الرماق ، والمراد النفاق .

(٨) هذا في ا ، ب . أي يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له .

(٩) ارجع إليه — إن شئت — في الفائق : ١ — ٤

إلى الأَقْيال العَبَاهِلَة ، والأَرْوَاع المَشَابِيب(١) .

وفيه(٢) : في التِّيعَة شاة ، لا مُقْوَرَّة الأَلْياطِ ، ولا ضِناكَ(٣) ،وأَنْطُوا الثَّبَجَة(٤) ، وفي السُّيُوب الخُمْس(٥) . ومن زَنَى مِم(٦) بِكْر فاصْعَقُوه مائةً(٧) ، واستَوْفِضوه عاما(٨) ، ومَنْ زنى مِم(٦) ثَيِّب فضَرِّجُوه بالأَضَامِيم(٩) ، ولا تَوْصِيمَ في الدِّين(١٠) ، ولا غُمَّـــةَ في فرائض الله(١١) ، وكلُّ مُسْكِر حرام . ووائلُ بن حُجْر يترَفَّلُ على الأقيال(١٢) .

---

(١) الأقيال : الملوك . العباهلة : المقرون على ملكهم ، فلم يزالوا عنه . والأرواع : السادة الزهر الألوان الحسان الوجوه . وقيل : هم الذين يروعون الناس ؛ أى يعجبونهم لمنظرهم وجمالهم وهيئاتهم . والمشابيب : جمع مشبوب ، وهو الحسن الأزهر اللون .

(٢) وفيه : في هذا الكتاب .

(٣) التيعة : الأربعون من الغنم ، وقيل : الخمس من الإبل . وقيل : هى أدنى ماتجب فيه الصدقة من الغنم والإبل . مقورة الألياط : مقورة : مسترخية الجلد من الهزال ؛ فلا تؤخذ في الصدقة لرداءتها . والمقورة : السمينة أيضا ؛ وهذه لاتؤخذ أيضا لأنها أعلى ؛ والمأمور بأخذه الوسط . والألياط : جمع ليط ــ بكسر اللام ؛ وهو قشر العود ، والمراد الجلد . ولا ضناك : الضناك : الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها .

(٤) أنطوا : أعطوا ــ لغة لأهل اليمن ، أو لبني سعد . الثبجة : الوسط .

(٥) السيوب : جمع سيب ؛ وهو الركاز ، وهو المال المدفون الجاهلي .

(٦) مم : من . (٧) فاصعقوه : فاضربوه . (٨) واستوفضوه : انفوه .

(٩) فضرجوه بالأضاميم : أى ارجموه حتى يسيل دمه ويقتل . والأضاميم : الحجارة ، واحدها إضامة ، أو أضموم .

(١٠) ولا توصيم : التوصيم : من الوصم ؛ وهو العار والعيب ؛ أى لا كبر ، ولا عيب ، ولا عار ، ولا كسل في إقامة حدود الله ؛ فلا تحابوا فيها .

(١١) ولا غمة في فرائض الله : أى لا تخفى ولا تستر فرائضه تعالى ؛ بل تظهر ويجهر بها .

(١٢) يترفل على الأقيال : أصل الترفل : تطويل الرداء والثوب ، وهو كناية عن جعله رئيسا عليهم محكما فيهم وفي أخذ صدقاتهم ؛ أى جعله النبي واليا على أمورهم وقبض صدقاتهم .

أينَ هذا من كتابه لأنس فى الصدقة[١] المشهور . لمَّا كان كلامُ هؤلاء على هذا الحدّ ، وبلاغتُهم على هذا النَّمط [٢] ، وأكثرُ استعمالِهم هذه الألفاظ استعملها معهم ، لِيُبَيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم ، وليحدِّثَ الناس بما يعلمون .

وكقوله فى حديث عطيّة السَّعْدِى[٣] : فإن اليدَ العليا هى المُنْطِيَة[٤] واليدَ السُّفْلَى هى المُنْطَاة .

قال [٥] : فكلَّمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلُغتنا .

وقوله فى حديث العامرىّ[٦] حين سأله ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : سَلْ عنك . أى سَلْ عمّ شئْتَ ، وهى لغةُ بنى عامر .

وأما كلامُه المعتاد ، وفصاحتُه المعلومة ، وجوامعُ كَلِمِه ، وحِكَمُه المأثورة — فقد ألَّفَ الناسُ فيها الدواوين وجُمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب، وفيها ما لا يُوَازَى[٧] فصاحةً ، ولا يُبَارَى بلاغةً [٨] ؛ كقوله : المسلمون تتكافأُ دِمَاؤهم [٩] ، ويَسْعَى بذِمَّتِهم أدْناهم [١٠] ، وهم يَدٌ على مَنْ سِوَاهم [١١] .

---

(١) انظر هذا الكتاب فى شرح الخفاجى : ١ — ٥٠٢ إن شئت . (٢) النمط : الطريقة.

(٣) قدم على رسول الله فى ناس من بنى سعد ، وهو أصغرهم ، فخلفوه فى رحالهم ، فأمرهم الرسول أن يبعثوا إليه ، فأتاه ، فلما رآه قال : ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا ، فإن اليد ... وارجع إلى هذا القول فى الفائق : ٣ — ١٠٣ ، وقال : هذه لغة سعد .

(٤) المنطية : المعطية . والمنطاة : المعطاة .

(٥) قال : أى عطية السعدى .

(٦) هذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل .

(٧) يوازى : يماثل ، ويقابل .

(٨) لايبارى : لا يعارض فيؤتى بمثله .

(٩) تتكافأ دماؤهم : التكافؤ : التماثل ؛ أى هم متساوون فى القصاص والدية ؛ فشريفهم ومشروفهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، وفقيرهم وغنيهم ، وأميرهم وسوقتهم سواء .

(١٠) يسعى بذمتهم أدناهم : المراد بالذمة العهد والأمان ؛ وأدناهم : أقلهم مقدارا : أى إذا أمن أحد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين ، لايجوز نقضه لأحد منهم .

(١١) وهم يد على من سواهم : معناه أنهم مجتمعون على أعدائهم، يعاون بعضهم بعضا ؛ أى هم مستولون قاهرون لغيرهم .

وقوله : الناسُ كأسنان المُشْط [١] . والمَرْء مع مَنْ أحبّ [٢] . ولا خير فى صُحْبة مَنْ لايرى لكَ ماتَرى له [٣] . والناسُ مَعَادن [٤] . وما هلك امرؤٌ عرف قَدْرَه [٥] . والمستشار مُؤْتَمن ، وهو بالخيـــارِ ما لم يتـكلَّم [٦] . ورحِمَ اللهُ عبدا قال خيرا فغَنِم أو سكت فَسَلِم .

وقوله : أَسْلِمْ تَسْلَم ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجرَكَ مرّتين [٧] . وإنّ أحبَّكم إلى

---

(١) هذا مثل فى تساويهم فى الأحكام الشرعية . أو المراد تساويهم فى الأنساب ، فإنهم كلهم أولاد آدم . والميم من كلمة «المشط» ضبطت فى ب بالـكسرة والضمة ، وعليها « معا » .

(٢) وهو حديث صحيح رواه الشيخان عن أنس . والمرء مع من أحب ، والمراد أنه معه فى الحشر ومنازل الآخرة ، فيرتقى من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة . والحديث فى مسلم : ٢٠٣٤ ، وسنن الترمذى : ٤ — ٥٩٥

(٣) حديث رواه ابن عدى فى الـكامل بسند ضعيف ، كما قال السيوطى فى تخريجه .

(٤) رواه الشيخان عن أبى هريرة . والمعادن : جمع معدن : منبت الذهب والفضة ونحوه ، ويطلق على مكان كل شىء فيه أصله ، وعلى كل أصل ، وعلى بيوت العرب . والحديث فى مسلم : ١٩٥٨ . ويعنى صلى الله عليه وسلم بذلك أن بنى آدم يختلفون باختلاف أصلهم ، فمن كان أصله شريفا أعقب مثله ، وسرى طيب عرقه لفرعه ؛ ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ، ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا .

(٥) قال السيوطى : قال السمعانى : إنه حديث روى مسندا عن على . وفى سنده من لا يعرف حاله .

(٦) وهو بالخيار ما لم يتـكلم : معناه أنه مخير إن شاء أشار عليه بما شاوره فيه ، وإن شاء سكت ولم يتـكلم . فإذا تـكلم لزمه بيان رأيه ونصحه ، وذكر الصواب عنده . وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود .

(٧) من حديث رواه الشيخان فى كتابه الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم . والـكتاب فى نسيم الرياض : ١ — ٥١١ . وفى صحيح مسلم : ١٣٩٤ ، والبخارى : ٤ — ٥٧

وأقرَبِكم مني مجالسَ يوم القيامة ، أحاسِنُكُمْ أخلاقا الموطَّئون أكنافاً [١] الذين يَأْلَفُون ويُؤْلَفون [٢] .

وقوله : لعله [٣] كان يتكلمُ بما لا يَعْنِيه ، ويبخَلُ بما لا يُغْنيه .

وقوله [٤] : ذو الوَجْهَيْن لايكون عند الله وَجِيها .

ونَهْيه [٥] عن قِيل وقال ، وكثرةِ السؤال ، وإضاعةِ المال ، ومَنْعٍ وهاتٍ ، وعقوق الأمهات [٦] ، ووَأْد البنات [٧] .

---

(١) هذا الحديث رواه الترمذى عن ابن مسعود : سنن الترمذى : ٤–٣٧٥ ، والموطئون : الموطأ : من فيه لين ورفق وسهولة . والأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية ؛ أى من يلين جانبه لغيره .

(٢) أى الذين يألفهم الناس ويألفونهم .

(٣) هذا حديث صحيح روى من طرق . والضمير فى «لعله» راجع لرجل مذكور فى أول الحديث : إن رجلا من الصحابة استشهد بأحد ، فقالت أمه : يابنى ، ليهنئك الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها : ما يدريك لعله . . . ويعنيه : يهمه وينفعه .

(٤) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار . وانظر سنن أبى داود : ٢ – ١٩٣ . والوجيه : الذى له قدر ومنزلة .

(٥) هذا حديث صحيح رواه الشيخان ، عن مغيرة بن سهم . والحديث فى مسلم : ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، وقيل وقال : مصدران بمعنى القول ، أو فعلان أحدهما مبنى للمجهول والآخر غير مجهول . ومعناه : النهى عن كثرة الكلام لما يؤول إليه من الخطأ . وكثرة السؤال : أى سؤال الناس ما بأيديهم استعطاء . أو السؤال عن أخبار الناس وأحوالهم . ومنع : المراد منع بذل ما يجب أو يستحسن . وهات : أى طلب ما عند غيره وسؤاله . والضبط المثبت فى ا . وفى ب : قيل وقال — بفتح لامها .

(٦) العقوق : مخالفة الوالدين وإيذاؤهم ، وخص الأمهات مع أن عقوق الوالدين من الكبائر ؛ لأنهن أكثر حقا ، وأشد شفقة على الولد . . والضبط المثبت فى ب . وفى ا : ومنع وهات — بكسرة واحدة فيهما .

(٧) الوأد : دفن البنات فى حياتهن .

وقوله : اتّقِ اللهَ حيثُما كُنْتَ ، وأَتْبِـعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها ، وخَالِقِ الناسَ بخُلقٍ حَسَنٍ(١) .

[وقوله](٢) : وخَيْرُ الأمورِ أوساطها(٣) .

وقوله : أَحْبِبْ حبيبَكَ هَوْنًا ما عسى أَنْ يَـكُونَ بَغِيضَكَ يوما(٤) ما .

وقوله : الظُّلْمُ ظُلماتٌ يوم القيامة(٥) .

وقوله في بعض دُعائه:اللهم إِنّي أَسْأَلك رحمةً من عندكَ تَهْدِي بها قَلْبي،وتجمَعُ بها أَمْري ، وتَلُمُّ بها شَعَثِي(٦) ، وتُصلِحُ بها غائبي ، وتَرْفع بها شاهدِي(٧)،وتزكّي بها عَمَلي ، وتُلْهِمني بها رُشْدي(٨)، وتردُّ بها أُلْفَتِي(٩) ، وتَعْصِمني بها من كلّ سوء.

---

(١) خالق الناس : عاشرهم ، وخالطهم وعاملهم .
وهذا الحديث رواه أحمد ، والترمذى، والحاكم عن أبي ذر (سنن الترمذى: ٤-٣٥٥).

(٢) من ب .

(٣) هذا الحديث أخرجه السمعانى فى ذيل تاريخ بغداد عن على كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم . وابن جرير فى تفسيره ، عن مطرف بن عبد الله ، وكذا أخرجه البيهقى بلا سند ، وذكره الديلمى بلا سند عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) الهون : من هان عليه الشىء : خف وسهل . أرشد النبى المتحابين إلى الاقتصاد فى المحبة وعدم المبالغة فيها ، وأن يكونوا فى ذلك على قدر متوسط ، فإن خير الأمور الوسط .
وهذا الحديث أخرجه البخارى فى الأدب . والترمذى عن أبى هريرة .وقال الترمذى: الأصح أنه موقوف على على . (سنن الترمذى : ٤ — ٣٦٠) .

(٥) هذا الحديث أخرجه البخارى : ٣ — ١٦٠ ، والترمذى : ٤ — ٣٧٧

(٦) الشعث : انتشار الأمر . أى تجمع ما تشعث وتفرق من أمرى .

(٧) غائبى : باطنى ، أو ماخفى من أمورى ، أو قلبى . شاهدى: ظاهرى . ومعنى ترفع : أى تجعلها عالية رفيعة بالأعمال الصالحة ، والصفات الحسنة .

(٨) الرشد : السداد والاستقامة .

(٩) ترد بها ألفتى : ترد وتعيد وترجع ألفتى إلى ماكانت عليه . والمراد عشيرته وأقرباؤه وأهل جلدته ، فدعا الله أن يؤلفهم ويهديهم إلى الإسلام .

اللهم إنى أسألُكَ الفَوْزَ فى القضاء [١] ، ونُزُلَ الشهداء [٢] ، وعَيْش السُّعداء ، والنَّصْرَ على الأعداء [٣] .

إلى ما رَوَتْه الكافَّةُ عن الكافة من مَقاماته [٤] ، ومُحاضراته ، وخُطَبه ، وأدْعِيته ، ومخاطباته وعهوده ، مِمّا لا خلافَ أنه نزل من ذلك مَرْتَبةً [٥] لا يُقاس بها غَيْرُه ، وحاز فيها سَبْقاً لا يُقْدَر قَدْرُه [٦] .

وقد جمعْتُ من كلماته التى لم يُسْبَق إليها ، ولا قَدَر أحدٌ أن يُفرِغ فى قالبه [٧] [٢٦] عليها ؛ كقوله : حَمِىَ الوَطِيس [٨] . ومات حَتْفَ أَنْفه [٩] . ولا يُلْدَغ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين [١٠] . والسعيد مَنْ وُعِظَ بغيره . . . فى أخواتها مما يُدْرِك الناظرَ

---

(١) الفوز : النجاة : سأل الله النجاة من كل سوء ؛ أى مما قضيته وقدرته على من البلاء .

(٢) ونزل الشهداء: النزل : اسم لما يعد للضيف إذا نزل، من القرى والكرامة .وضبطت الزاى فى ا بالسكون ، وفى ب : بالسكون والضم .

(٣) تمام هذا الدعاء فى نسيم الرياض : ١ — ٥٢٢

(٤) المقامات : جمع مقامة : اسم لمكان القيام ، وتوسعوا فيه فاستعملوه لمطلق المكان ، وزادوا فى التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه « مقامة » . فالمراد به الكلام الصادر منه فى مجالسه ، وخطاب أمته فى حال حكمه ، وحروبه .

(٥) فى ب : مرقبة — بالقاف . وفى هامشه : كذا وقع بالقاف ؛ وصوابه بالتاء . وقال : المرقبة : الموضع المشرف العالى . (٦) قدره : مقداره . أى سبق كثير لايلحقه فيه أحد .

(٧) القالب : مايصب فيه ما يذاب من الجواهر ليصاغ، والمراد بالقالب هنا الألفاظ،لأنها قوالب المعانى . عليها : على هيئاتها .

(٨) حمى : اتقد . الوطيس : التنور ، أو شىء يشبهه .

(٩) مات حتف أنفه : الحتف : الهلاك . والمعنى أنه مات من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحوه — على فراشه ، كأنه سقط على أنفه فمات . وهذا بعض حديث رواه عبد الله بن عتيك .

(١٠) هذا حديث صحيح رواه أبو هريرة ، يعنى أن المؤمن الفطن لاينخدع مرة بعد مرة (سنن ابن ماجه : ١٣١٨) .

العجَبُ فى مُضمَّنِها(١) ، ويذهبُ به الفِكْرُ فى أدَانى (٢) حِكَمِها .

وقد قال له أصحابُه : ما رأينا الذى هو أفصحُ (٣) منك . فقال : وما يَمْنَعُنى ؟ وإنما أُنزِلَ القرآنُ بلسانى ، لسانٍ عَربىٍّ مُبِين .

وقال مرة أخرى(٤) : بَيْدَ أنى (٥) من قريش ، ونشأتُ فى بنى سَعْد ؛ فجُمِع له بذلك — صلى اللهُ عليه وسلم — قوةُ عارِضَةِ البادية وجَزَالتِها (٦) ، ونَصَاعةُ ألفاظِ الحاضرة ورَوْنَقُ كلامها ، إلى التأييد الإلهىّ (٧) الذى مَدَدُه الوَحْىُ الذى لا يُحيط بعلمه بَشَرِى (٨) .

وقالت أُمُّ مَعْبد (٩) فى وصْفِها له :

---

(١) مضمنها : ما تضمنته من المعانى والتراكيب البديعة . وفى ا : ضبطت الميم بشدة مكسورة .

(٢) فى أدانى : فى أقل ماتضمنته من الحكم .

(٣) هذا الحديث رواه البيهقى فى شعب الإيمان مسندا .

(٤) قال السيوطى : هذا الحديث أورده أصحاب الغريب ، ولا يعرف له إسناد .

(٥) بيد : غير .

(٦) العارضة : التجلد والقدرة على الكلام . والجزالة : يقال كلام جزل ؛ أى قوى شديد ؛ أى حلاوة كلام أهل البادية .

(٧) النصاعة : الخلوص . والمراد خلوصها من التعقيد والغرابة والوحشية . والرونق : البهاء والحسن . وفى هامش ا أمامها : وفصاحة ألفاظ .

فكلام أهل البادية قوى متين لعدم تصنعهم ، وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف ؛ فجمع كلامه صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموما ذلك إلى التأييد الإلهى .

(٨) بشرى : أى إنسان ؛ منسوب إلى البشر ، وهم بنو آدم .

(٩) أم معبد : كانت تنزل بين مكة وجبالها ، فنزل عليها النبى صلى الله عليها وسلم وأبو بكر رضى الله عنه لما هاجرا فقدمت لهما القرى ، فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له . وحديث أم معبد فى الفائق : ١ — ٧٦

حُلْوُ المنطق ، فَصْلٌ لا نَزْر ولا هَذْر(١) ، كأَنَّ منطقَه خَرَزاتُ نُظِمْنَ(٢) . وكان ﷺ جَهِيرَ الصوت ، حسن النَّغْمة صلى اللهُ عليه وسلم(٣) .

فصـــــل

وأما شرَفُ نسبِه وكرَمُ بلده ومَنْشَئه فممّا لا يحتــاجُ إلى إقامة دليل عليه ، ولا بَيَانِ مُشْكل ولا خَفِيّ منه ؛ فإنه نُخْبَة بنى هاشم ، وسُلالة قريش وصَمِيمُها(٤) ، وأشْرف العرب(٥) ، وأعزهم نَفَرا من قبل أبيه وأمه(٦) ، ومن أهل مكةَ مِنْ أكرم بلادِ(٧) اللهِ على الله وعلى عباده .

حدثنا قاضِى القُضاة حُسَيْن بن محمد الصَّدَفى رحمه الله ، قال : حدثنا القاضى أبو الوليد سُليمان بن خلف ، حدثنا أبو ذَرّ عَبْدُ بن أحمــــد ، حدثنا أبو محمد السَّرْخَسى ، وابن إسحاق ، وأبو الهيثم : [قالوا](٨) : حدثنا محمد بن يوسف ، [قال](٨) : حدثنا محمد بن إسماعيل ، [قال](٨) : حدثنا قُتَيبة بن سَعِيد ؛ [قال](٨) : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عَمْرو ، عن سَعِيد المَقْبُرى ، عن أبى هريرة — أن رسولَ

---

(١) فصل : أى فاصل بين الحق والباطل . نزر : قليل لا يفهم . والهذر : الهذيان ، وضبطت الذال فى ا ، ب بالفتح .

والهذر — بالسكون : مقابل للنذر ، أى ولا كثير فيمل . وهو الضبط فى الفائق .

(٢) منطقه : ماينطق به . خرزات نظمن : أى متناسبة ، لها رونق كالعقد المنظوم .

(٣) جهير الصوت : عالى الصوت ، ليس فيه خفاء ولا تكسر .

(٤) النخبة : المختار . والصميم : الخالص .

(٥) فى ب : وأفضل العرب . وفى ا : وأشرف ، وعليها علامة الصحة . وفى هامشه أمامها : وأفضل .

(٦) نفرا : قوما . وفى ب : وأعزها .

(٧) هذا فى ا . وفى ب : أكرم . . . وفى هامشه : خ : من .

(٨) من ب .

الله صلى الله عليه وسلم قال : بُعِثْتُ من خير قُرونِ بني آدم قَرْناً فقَرْناً ، حتى كُنْتُ من القَرْن الذى كُنْتُ منه[١] .

وعن[٢] العباس ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ خلق الْخَلْقَ فجعلنى مِنْ خيرهم ، مِنْ خير قَرْنِهم ، ثم تخيَّرَ[٣] القبائلَ فجعلنى من خير قَبيلة ، ثم تخيَّر البيوتَ فجعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خَيْرُهم[٤] نَفْساً ، وخيرهم بيتاً[٥] .

وعن واثلة بن الأسقع ، قال[٦] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى من وَلد إبراهيم إسماعيل، واصْطَفَى من ولَدِ إسماعيل بنى كِنانَة ، واصطفى من بنى كِنانَة قُريشاً ، واصطفى من قُريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم .

قال الترمذى[٦] : وهذا حديث صحيح .

وفى حديث عن ابن عُمر ، رواه الطبرى ـ أنه صلى الله عليه وسلم قال : إنّ اللهَ اختار خَلْقَه[٧] ، فاختار منهم بنى آدم ، ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العربَ ، ثم اختار العربَ فاختار [منهم قريشاً ، ثم اختار قريشاً فاختار منهم][٨] بنى هاشم ، ثم اختار بنى هاشم فاختارنى منهم ، فلم أَزَلْ خِياراً من خِيار ، أَلَا مَنْ أَحبَّ العربَ فبِحُبّى أَحبّهم ، ومن أبغض العرب فبِبُغْضِى أبغضهم .

(١) هذا حديث صحيح انفرد البخارى بإخراجه (صحيح البخارى : ٥-٣، ٤-٢٢٩). والقرن : مقدار من الزمان ، ويطلق على أهله . أراد تقلبه فى أصلاب آبائه من إبراهيم — عليه السلام — إلى عبد الله بن عبد المطلب .

(٢) هذا الحديث رواه البيهقى مسندا فى دلائله. والترمذى وحسنه. (سنن الترمذى: ٥-٥٨٤).

(٣) تخير : اختار . (٤) نفسا : روحا وذاتا .

(٥) وخيرهم بيتا : أي حسبا وشرفا وأصلا .

(٦) صحيح مسلم : ١٧٨٢ ، وسنن الترمذى : ٥ — ٥٨٣، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٧) إن الله اختار خلقه ؛ أى أراد أن يخلق خلقه ويوجدهم ، فلما أوجدهم تخيرهم .

(٨) ما بين القوسين ليس فى ا .

وعن ابن عباس [١] : إنّ قُرَيشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل أنْ يَخلق آدَم بألفى عام ، يُسبِّح ذلك النورُ ، وتسبيح الملائكةُ بتسبيحه [٢] ، فلما خلق اللهُ آدمَ أَلقَى ذلك النورَ فى صُلْبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطنى الله إلى الأرْضِ فى صُلْب آدم، وجعلنى فى صُلْب نوح ، وقذف بى فى صُلْب إبراهيم ؛ ثم لم يَزَلْ الله تعالى يَنْقُلُنى من الأصلاب [٣] الكريمةِ والأرحام الطاهرة [٤] ، حتى أخرجنى من بين أبوىّ [٥] لم يَلْتَقِيا على سِفَاح قَطّ [٦] .

ويشهدُ لصحةِ [٧] هذا الخبر شِعْرُ العباس فى مَدْح النبى صلى الله عليه وسلم المشهور [٨] .

فصـــــل

[٢٧] وأما ما تَدْعُو ضرورةُ الحياةِ إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب [٩] : ضَرْبٌ الفَضْلُ فى قِلّته ، وضَرْبٌ الفضلُ فى كَثْرته ، وضَرْبٌ تختلف الأحوالُ فيه .

فأما ما التمدُّحُ والكمالُ بقلَّته اتفاقا ، وعلى كل حال ، عادةً وشريعةً ، كالغذاء والنوم، ولم تَزَلِ العَرَبُ والحكماء تتمادح [١٠] بقِلَّتهما ، وتَذُمُّ بكثرتهما ؛ لأنَّ كثرةَ

(١) قال السيوطى : هذا الحديث رواه ابن أبى عمرو العدنى فى مسنده .
(٢) بتسبيحه : بتقديسه وتنزيهه .
(٣) الأصلاب : يعنى أصلاب أجداده .
(٤) فى ب : إلى الأرحام . وفى هامشه : خ : والأرحام .
(٥) إخراجه من بين أبويه : تولده منهما ، وخلقه من نطفتهما .
(٦) السفاح : الزنا ؛ أى أبوا النبى — من ولد آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة .
(٧) فى ب : بصحة . (٨) أول هذا الشعر :

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث يخصف الورق

وسيأتى بعد فى كلام القاضى .
(٩) ضروب : جمع ضرب : قسم ، ونوع . (١٠) تتادح : تمدح بكثرة . أو تفاخر .

الأكل والشرب دليلٌ على النَّهَم[١] والحِرْص والشَّرَه[٢] ، وغَلبةُ الشهوةِ مسبِّبٌ لمَضَارِّ الدنيا والآخرة ، جالب لأَدْوَاء[٣] الجسد وخَثَارةِ النفس[٤]،وامتلاء الدِّماغ؛ وقِلّتُه دليل على القناعةِ ، ومِلْك النفس ؛ وقَمْعُ الشهوة[٥] مسبِّبٌ للصحة ، وصفاء الخاطر، وحدَّةِ الذِّهْن[٦] ،كما أنَّ كثرةَ النوم دليلٌ على الفُسُولَة[٧] والضعف ؛ وعدمُ الذكاء والفِطْنة ، مسبِّبٌ للكَسل ، وعادةِ العجز ، وتضييع العُمْر في غير نَفْع ؛ وقَساوةِ القلب وغَفْلته ومَوْته .

والشاهدُ على هذا ما يُعْلم ضرورةً ، ويوجد مشاهدةً ، ويُنْقَل متواتِراً[٨] من كلام الأُمم المتقدمة ، والحكماء السابقين،وأشعار العربِ وأخبارِها،وصحيحِ الحديثِ، وآثارِ مَنْ سلف وخلَف ، مما لا يُحْتاج إلى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العِلْمِ به[٩] .

---

(١) النهم : الإفراط في شهوة الطعام . (٢) الشره : الحرص على الأكل والشرب .

(٣) أدواء : جمع داء ، وهو المرض .

(٤) خثارة النفس : ثقلها وعدم نشاطها . وقد ضبطت الخاء في ا ، ب : بالفتح . وفي هامش ب ، خثرت نفسه — بالفتح : اختلطت .

(٥) قمع الشهوة : القمع : القهر ؛ أي قهر شهوته ، وغلبتها حتى لا تخالفه .

(٦) حدة الذهن : سرعة الفهم .

(٧) الفسولة : عدم الهمة في أمور الدنيا والآخرة . وفي هامش ب : الفسل من الرجال، وقد فسل فسلا وفسولة .

(٨) أي نقلا متواترا متتابعا ، مرة بعد مرة .

(٩) كقول الحارث بن كلدة — حكيم العرب: أفضل الدواء الإزام ؛أي قلة الأكل. وقول داود :إياك وكثرة النوم فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.وقول قيصر لقس بن ساعدة: ما أفضل الأكل ؟ قال : ترك الإكثار .

ومن الشعر :

قارب فديتك إن أكلـ ـت وإن شربت وإن عشيتا
وأنا الكفيل لك الحيـا ة وأن تعافى ماحييتا

وكان النبى صلى اللهُ عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنَّيْنِ بالأقلّ[١] .

هذا مالا يُدْفَعُ من[٢] سيرته ، وهو الذى أمر به، وحَضَّ عليه ، لاسيما بارتباط أحدِهما بالآخر .

حدثنا أبو على الصَّدَفى الحافظ بقراءتى عليـــه ، حدثنا أبو الفَضْل الأصبهانى ، حدثنا أبو نُعيم الحافظ ، حدثنا سُليمان بن أحمـــد ، حدثنا أبو بكر بن سَهْل ، حدثنا عَبْدُ الله بن صالح ، حدثنى معاويةُ بن صالح ـ أنَّ يحيى بن جابر حدَّثه عن المِقْدَام ابن مَعْدِيكرب ـ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال[٣] : ما مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وعاءً شرًّا من بطنه[٤] ، حَسْبُ ابنِ آدمَ أُكلات[٥] يُقِمْنُ صُلْبَه[٦] ، فإنْ كان لا محالةَ[٧] فثُلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسه[٨] .

ولأنَّ كثرةَ النوم مِنْ كثرة الأكل والشرب .

قال سفيان الثَّوْرى : بقِلَّة الطعام يُمْلَكُ سهرَ الليل .

---

(١) أخذ من هذين الفنين ؛ أى النوعين ، وهما الأكل والشرب .

(٢) مالا يدفع : مالا ينازع فيه .

(٣) هذا الحديث رواه الترمذى، وابن حبان. والحديث صحيح (سنن الترمذى: ٤ـ٥٩٠).

(٤) فى ب : من بطنه ؛ كما أثبتناه . وفى هامشه : من بطن ، وعليها علامة الصحة .
وفى الترمذى (٤ ـ ٥٩٠) : من بطن أيضا .

(٥) الكاف من « أكلات » ضبطت بالفتحة والضمة وعليها « معا » فى ا ، وفى هامشه: قال الحافظ المزى : الأكلة ـ بفتح الهمزة :المرة من الأكل، وبضم الهمزة مع سكون الكاف: ما يجعل فى الفم ، وجمعه أكلات ـ بفتح الكاف وضمها مع ضم الهمزة . وقد ضبطت الكاف فى الترمذى بالفتح .

(٦) حسب : كفى . يقمن : يقوين . صلبه : عظام سلسلة ظهره .

(٧) لا محالة : لابد ، ولا حيلة .

(٨) بعد الحديث فى الترمذى : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال بعضُ السَّلَف : لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا ، فترقُدوا كثيرا ، [فتخْسَرُوا كثيرا][(١)] .

وقد رُوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان أحبّ الطعام إليه ما كان على ضَفَفٍ؛ أى كثرة الأيْدى[(٢)] .

وعن عائشة رضِىَ الله عنها : لم يمتلئْ جوفُ النبىّ صلى الله عليه وسلم شِبَعاً قطّ ، وأنه كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يَتَشَهّاه ، إنْ أطعموه أكل ، وما أطعموه قَبِلَ ، وما سقَوْه شرب[(٣)] .

ولا يُعْتَرَضُ على هذا بحديث بَرِيرَة[(٤)] ، وقوله : ألَمْ أرَ البُرْمةَ فيها لَحْم؛ إذ لعلّ سببَ سؤالِه ظَنُّه صلى الله عليه وسلم اعتقادَهم أنه لا يحِلُّ له ؛ فأراد بيانَ سُنَّتِه[(٥)] ، إذْ رآهم لم يُقَدِّموه إليه ، مع عِلْمِه أنهم لا يستأثِرُون عليه[(٦)] به ، فصدّق عليهم ظَنَّه[(٧)] ، وبيّنَ لهم ماجَهِلوه من أمْرِه بقوله : هو لها صدَقةٌ ولنا هديّة .

---

(١) ليس فى ا .

(٢) قال السيوطى: هذا الحديث رواه أبو يعلى عن أنس وجابر رضى الله عنهما بسند جيد .

(٣) قال فى نسيم الرياض (١ — ٥٥٠): وهذا كان غالب حاله ، فلا ينافى ما وقع له نادرا على خلاف مقتضى طبعه .

(٤) مولاة عائشة . وحديثها هذا أخرجه مالك فى الموطأ ، ورواه الشيخان ، وفيه : ودخل رسول الله على أهل بيته والبرمة تفور باللحم ، فقربوا له خبزا وإداما من إدام البيت ، فقال : ألم أر البرمة فيها لحم ؟ فقالوا : بلى ، يارسول الله ، ولكن هو لحم تصدق به على بريرة، وأنت لاتأكل هذا اللحم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية . والبرمة : قدر ينحت من الحجارة . وقيل أعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما . وارجع إلى صحيح مسلم: (١١٤٤ ، والموطأ : ٥٦٢ ، والبخارى : ٧ — ٦١).

(٥) سنته : أى طريقته المشروعة له ، وهى جواز أكل الهدية ، وإن كانت صدقة .

(٦) لايستأثرون عليه به: لا يخصون أنفسهم ويقدمونها على النبى فى شىء من الطعام وغيره .

(٧) أى صدق فى ظنه أنهم يجهلون ذلك .

وفى حِكْمة لُقمان : يا بنى ، إذا امتلأت المَعِدَة نامت الفِكْرةُ ، وخَرِست الحِكْمةُ ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقال سُحْنُون(١) : لا يَصْلُح العِلْمُ لمَنْ يأكلُ حتى يَشْبَع .

وفى صحيح الحديث(٢) قولُه صلى الله عليه وسلم : أما أنا فلا آكلُ مُتَّكِئاً .

والاتِّكاء : هو التمكّن للأكل ، والتَّقَعْدُدُ(٣) فى الجلوس له كالمتربّع ، وشِبْهِه مِنْ تمكُّن الجلسات التى يعتمدُ فيها الجالسُ على ما تَحْتَه [٢٨] ، والجالسُ على هذه الهيئة يستدعى الأكْلَ ويَسْتَكْثِرُ منه .

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسُه للأكل جلوسَ المُسْتَوْفِز مُقْعِياً(٤) ، ويقول : [إنما](٥) أنا عبدٌ آكُلُ كما يأكل العَبْد ، وأجلس كما يجلسُ العبد(٦) .

وليس معنى الحديث فى الاتِّكاء الميلُ على شِقّ عند المحققين .

---

(١) سحنون : فقيه مالكى . وهذا لقبه ، واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخى . انتهت إليه الرياسة فى العلم بالمغرب ، وأدرك مالكا ، ولم يقرأ عليه ، وصنف كتاب المدونة فى مذهب مالك . توفى سنة أربعين ومائتين . وقيل : سنة خمس وأربعين ومائتين .

(٢) سنن ابن ماجه : ١٠٨٦ ، والبخارى : ٧ — ٩٣ ، وسنن الترمذى : ٤ — ٢٧٣

(٣) التقعدد : التثبت والتمكن من القعود .

(٤) المستوفز : الذى لا يكون مطمئنا ، بل مستعجلا للقيام . والإقعاء : معناه أن يلصق إليته بالأرض ، وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره ، وربما يكون مع وضع يده على الأرض ، يشبه جلوس البدوى المصطلى ، أو أن ينصب قدميه واضعا على عقبيه إليته ضاما ساقية وفخذيه واضعا ركبتيه على الأرض . وإقعاء النبى للأكل كان بإلصاق مقعده بالأرض ناصبا ساقيه .

(٥) ليس فى ا .

(٦) المعنى أنى لست مخلوقا للدنيا وترفها ، فنظرى إنما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره ، فلا ألتفت إليها ؛ وإنما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع ، كالعبد الموكل بخدمة سيده .

وكذلك نَوْمُه صلى الله عليه وسلم كان قليلا ، شَهِدت بذلك الآثارُ الصحيحةُ ، ومع ذلك فقد قال[١] : إنّ عينيّ تناما ولا ينامُ قَلْبي .

وكان نومُه على جانبه الأيمن استظهاراً[٢] على قلّةِ النوم ؛ لأنه[٣] على الجانب الأيسر أَهْنأ[٤] ، لهُدُوّ القلبِ وما يتعلّقُ به من الأعضاء الباطنة حينئـذٍ ، لمَيْلِها إلى الجانب الأيسر ؛ فيستدعى[٥] ذلكَ الاستثقالَ فيه والطُّول[٦] .

وإذا نام النائمُ على الأيمن تعلَّقَ القلب وقَلِقَ ، فأسرع الإفاقةَ[٧] ولم يَغْمُره الاستغراق .

فصل

والضَّرْبُ الثانى ما يتّفِقُ المدحُ[٨] بكثرته ، والفَخْر بوفوره[٩] ، كالنكاح والجاهِ[١٠] : أما النـكاحُ فمتّفَق فيه[١١] شَرْعاً وعادةً ؛ فإنه دليلُ الـكمال ، وصحةِ الذُّكورية[١٢]، ولم يَزَل التفاخرُ بكثرته عادةً معروفة ، والتمادحُ به سيرة ماضيةً .

وأما فى الشّرع فسُنّةٌ مأثورة ؛ وقد قال ابنُ عباس[١٣] : أَفضلُ هـذه الأمةِ أكثرُها نساءً ـ يشير إليه صلّى الله عليه وسلم .

---

(١) سنن أبى داود : ١ ــ ٢٠ ، ومسلم : ٥٢٨

(٢) استظهارا : استعانة . (٣) لأنه ؛ أى النوم .

(٤) أهنأ : أسهل وألذ . وفى ب : أهدأ . (٥) فيستدعى ذلك : فيقتضى ذلك .

(٦) الاستثقال فيه : ثقل بدنه فى نومه ، وغلبة النوم حتى يستغرق فيه . والطول ؛ أى طول نومه . (٧) الإفاقة : التيقظ .

(٨) الضرب الثانى مما تدعو ضرورة الحياة إليه . وفى ب : التمدح . (٩) بوفوره : بزيادته .

(١٠) الجاه : علو القدر عند الناس ، والمهابة ، وتفوذ الـكلمة ، والاشتهار بذلك .

(١١) فيه : فى مدحه وثنائه .

(١٢) صحة الذكورية : قوتها ، وسلامتها من الضعف والآفة .

(١٣) حديث صحيح رواه البخارى (صحيح البخارى : ٧ ــ ٤)

وقد قال عليه السلام : تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا ، فإني مُبَاهٍ[١] بكم الأُمَمَ يوم القيامة .

ونَهَى عن التَّبَتُّلِ[٢] مع ما فيه من قَمْعِ الشَّهْوة ، وغَضِّ البصر اللَّذَيْن نَبَّهَ عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله: مَنْ كان ذا طَوْل[٣] فليتزوج ؛ فإنه أَغَضُّ للبصر ، وأَحْصَنُ للفرج ، حتى لم يَرَهُ العلماء مما يَقْدَحُ[٤] في الزهد .

قال سَهْل بن عبد الله : قد حُبِّبْنَ[٥] إلى سيد المرسلين ، فكيف يُزْهَد فيهن ؟ ونحوُه لابن عُيينة .

وقد كان زُهَّادُ الصحابة كثيري الزوجات والسَّرارِي[٦] ، كثيري النكاح .

وحُكِي في ذلك عن عليّ ، والحسن[٧] ، وابن عُمر ، وغيرهم غَيْرُ شيء .

وقد كرِه غير واحد أَنْ يَلْقَى الله عزَبا[٨] .

فإن قُلْتَ : كيف يكون النكاحُ وكثرتُه من الفضائل ، وهذا يَحْيَى بن زكريا عليه السلام قد أَثْنَى اللهُ تعالى عليه أنه كان حَصُوراً[٩] ؛ فكيف يُثْنِي اللهُ بالعَجْز عما تَعُدُّه فضيلةً ؟

---

(١) تناكحوا : التناكح : التزوج . والمباهاة : المفاخرة .
وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف . ورواه الطبراني في الأوسط من حديث سهل بن حنيف .

(٢) الحديث صحيح ، رواه الشيخان : مسلم : ١٠٢٠ ، والبخاري : ٧ ـ ٥ ، وسنن النسائي: ٦ ـ ٤٨ . والتبتل : الانقطاع عن النكاح . وقمع الشهوة : قهرها .

(٣) ذا طول : الطول : سعة الرزق والمال بحيث تكون له قدرة على نفقة زوجته وأهله. وارجع إلى البخاري : ٧ ـ ٣

(٤) القدح : الطعن ؛ أي ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس .

(٥) حببن : أي النساء . (٦) السراري : جمع سرية ، والسرية : هي الأمة المنكوحة .

(٧) الحسن بن علي . (٨) عزبا : ليست له امرأة .

(٩) في قوله تعالى : « وسيدا وحصورا » ـ سورة آل عمران ، آية ٣٩

وهذا عيسى عليه السلام تبتّل[١] عن النساء ، ولو كان كما قرنته لنكح[٢] ؟

فاعلم أنّ ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حَصُورٌ ليس كما قال بعضهم :

إنه كان هَيُوبا[٣] ، أو لا ذَكَر له[٤] ؛ بل قد أنكر هذا حُذّاقُ المفسرين ونقّادُ العلماء ، وقالوا : هذه نَقيصةٌ وعَيْب ، ولا تَليقُ بالأنبياء .

وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى لا يأتيها ، كأنه حُصِر عنها[٥] .

وقيل : مانعا نفسه من الشّهَوات .

وقيل : ليستْ له شهوةٌ فى النساء .

فقد بانَ لكَ من هذا أنّ عدَمَ القدرة على النكاح نَقْص ، وإنما الفَضْلُ فى كونها موجودة ، ثم قَمْعُها[٦] ؛ إمّا بمجاهدةٍ ، كعيسى عليه السلام ، أو بكَفايةٍ من الله تعالى ، كيحيى عليه السلام ـ فضيلةً زائدةً لكونها شاغِلةً[٧] فى كثير من الأوقات حاطّةً إلى الدنيا[٨] .

ثمّ هى[٩] فى حقّ مَنْ أُقْدِر عليها ومُلِّكَها وقام بالواجب فيها[١٠] ، ولم تَشْغَلْه عن ربّه ـ درجةٌ عُلْيا ، وهى درجةُ نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لم تَشْغَلْه كثرتُهنّ عن عبادة ربّه ؛ بل زادَهُ ذلك عبادةً ، لِتَحْصِينِهِنّ[١١] ، وقيامِهِ بحقوقهنّ ، واكتِسابِه لهُنّ ، وهدايته إياهنّ ؛ بل صرّحَ أنها ليست من حظُوظِ [٢٩] دُنْياه هو ، وإن

(١) تبتل عن النساء : انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج .
(٢) لنكح : لتزوج .
(٣) هيوبا : جبانا عن النكاح .
(٤) فى ب : معه .
(٥) حصر عنها : منع .
(٦) قمعها : منعها .
(٧) فى ب : مشغلة . وفى هامشه أمامها : شاغلة .
(٨) أى تنزل الإنسان إلى شهوات الدنيا الدنية .
(٩) هى : أى الشهوة فى الجماع .
(١٠) أى من ملك شهوته ، ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه .
(١١) لتحصينهن : أى جعلهن محصنات بنكاحه صلى الله عليه وسلم لهن .

كانَتْ من حظوظِ دُنْيا غيره ؛ فقال(١) : حُبِّبَ(٢) إلىّ مِنْ دُنياكم . . فدلّ على أنّ حُبَّه لِمَا ذَكَر من النساء والطِّيب اللَّذَين هما من أُمور دُنيا غيره ، واستعماله لذلك ليس لدُنْيـاهُ ، بل لآخِرَته ؛ للفوائد الذى ذكرناها فى التزويج ، وللقاء الملائـكةِ فى الطِّيب ؛ ولأنه(٣) أيضا مما يَحُضُّ على الجِماع ، ويُعِين عليه ، ويحرِّكُ أسبابَه .

وكان حبُّه لهاتين الخصلتين(٤) لأجْل غيره ، وقَمْع شَهْوته ؛ وكان حبُّه الحقيقىُّ المختصّ بذاته فى مشاهدة جَبَرُوت مَوْلاه ومناجاته(٥) ؛ ولذلك ميَّزَ بَيْنَ الحُبَّيْن(٦) ، وفَصَل بين الحالَيْن ؛ فقال : وجُعِلت قُرَّةُ عَيْنى(٧) فى الصلاة ؛ فقدساوى يحيى وعيسى فى كفايةِ فتنتهنّ(٨) ، وزادَ فضيلةً بالقيام بهنّ(٩) .

---

(١) فى ب : وقال .

(٢) الحديث : حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة . قال السيوطى ، هذا الحديث رواه الحاكم ، والنسائى ، عن أنس . ورواه أحمد عن عائشة . (سنن النسائى : ٦ — ٤٤) .

(٣) ولأنه : أى الطيب .

(٤) الخصلتان : هما الجماع والطيب .

(٥) الجبروت : المراد عظمة الله تعالى سيده ومولاه . والمناجاة : المسارة بتلقى وحيه ، وقراءة القرآن .

(٦) ميز : فرق وفصل . بين الحبين : أى حب ما هو من أمور الدنيا ظاهرا ، وبين ما هو حقيقه لله .

(٧) قرة العين : ما يسر من ينظره .

(٨) يعنى أن يحيى وعيسى تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء ، وهى تمكن حبهن فى القلب والاشتغال بهن عن العبادة ؛ وهن لم يشغلن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يمنعنه عنها فى حال من الأحوال ؛ فساواهما فى عدم الاشتغال ، حتى كان الوحى ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو فى فراش زوجاته ؛ وأعانته خديجة رضى الله عنها فى أول أمره .

(٩) بالقيام بهن : أى له — صلى الله عليه وسلم — فضيلة زائدة على ما ذكر بقيامه على زوجاته ، وكسبه لهن ، وهدايته لهن ، مع عدم غفلته — صلى الله عليه وسلم — طرفة عين عن الله تعالى .

وكان صلى الله عليه وسلم ممن أُقْدِرَ على القوة فى هذا ، وأُعْطِىَ الكثيرَ منه ؛ ولهذا أُبيح له من عدَدِ الحرائر ما لم يُبَحْ لغيره[١] .

وقد رَوَيْنَا عن أنس أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يَدُورُ على نسائه فى الساعة[٢] من الليل والنهار ، وهنّ إحدى عشرة[٣] .

[وعن طاوُس : أُعْطِىَ عليه السلام قوةَ أربعين رجلا فى الجماع .

ومثله عن صَفْوَان بن سُلَيم .

وقالت سَلْمى مولاتُه : طاف النبىّ[٤] صلى الله عليه وسلم ليلةً على نسائه التسع ، وتطَهَّرَ من كل واحدة قبل أن يَأْتِىَ الأُخْرى ؛ وقال : هذا أَطيب وأَطْهر][٥] .

قال أنس : وكُنّا نتحدَّثُ أنه أُعْطِىَ قوةَ ثلاثين رجلا . خرّجه النسائى ، ورُوى نحوه عن أبى رافع .

وقد قال سليمان ـ عليه السلام[٦] : لأطوفنّ الليلةَ على مائة امرأة أو تسع وتسعين ، وأنه فَعَل ذلك .

قال ابنُ عباس : كان فى ظَهْرِ سُليمان ماء مائةِ رجل أو تسع وتسعين ، وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيّة[٧] .

---

(١) هذا من خصائصه بالنسبة لأمته ؛ فأبيح له أن ينكح من النساء ماشاء [فى أول أمره ، ثم حرم الله عليه بعد ذلك أن يزيد على ما فى عصمته من أزواجه ، فقال : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ماملكت يمينك » .

(٢) فى الساعة : أى مقدار ساعة . والحديث فى البخارى : ١ ـ ٧٣ ، ٧ ـ ٤٤

(٣) قال ابن حبان : كانت زوجاته تسعا ، وكانت عنده جاريتان (نسيم الرياض ١ ـ ٥٧١)

(٤) سنن ابن ماجه : ١٩٤ ، والبخارى : ٧ ـ ٤

(٥) مابين القوسين عليه علامة الصحة فى ا . وفى ب : من الأم من غير الرواية .

(٦) الحديث فى صحيح مسلم : ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، وروايته : على سبعين . . . مرة ، وعلى تسعين . . . مرة أخرى .

(٧) السرية : الأمة التى بوأتها بيتا (القاموس) .

وحكى النقّاش وغَيْرُه سبعمائة امرأةٍ وثلاثمائة سُرِّيّة .

وقد كان لداود عليه السلام على زُهْده وأَكْلِه من عَمَلِ [١] يده تِسعٌ وتسعون امرأةً ، وتَمّت بزوج أُوريا [٢] مائة .

وقد نبَّهَ على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله تعالى [٣] : ﴿ إنَّ هذا أَخِي له تِسْعٌ وتسعون نَعْجَةً ﴾ .

وفى حديث أنس عنه ، عليه السلام : [٤] فُضِّلْتُ على الناس بأربع : بالسخاء ، والشجاعةِ ، وكثرةِ الجِماع ، وقُوّةِ البَطْش .

وأما الجاهُ [٥] فمحمودٌ عند العقلاء عادةً وبقَدْرِ جاهِه عِظَمُه فى القلوب [٦] .

وقد قال الله تعالى فى صفة عيسى عليه السلام [٧] : ﴿ وَجِيهاً [٨] فى الدُّنيا والآخِرَة ﴾ ؛ لكن آفاتُه كثيرة [٩] ؛ فهو مضِرٌّ لبعض الناس لعُقْبَى الآخرة [١٠] ، فلذلكَ ذمَّه مَنْ ذمَّه ، ومدح ضِدَّه [١١] .

---

(١) ألان الله له الحديد ، فكان يصنع منه الدروع ويبيعها ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك .

(٢) الضبط فى ب . وأورياء: اسم رجل — يمد ويقصر، وزوجته هى المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى: « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة . . . » . (٣) سورة ص ، آية ٢٣

(٤) قال السيوطى : رواه الدارقطنى فى الأوسط بسند جيد .

(٥) الجاه : كونه وجيها عند الناس ، بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له، بحيث يقدر على استعمال أربابها فى مقاصده ؛ وهى لا تنقاد إلا باعتقاد الكمال التام عندها .

(٦) أى يعظم الإنسان ذو الجاه فى القلوب بمقدار عظمة جاهه .

(٧) سورة آل عمران ؛ آية ٤٥

(٨) وجيها : أى عظيما ذا جاه عند الله فى الدارين .

(٩) أى يعرض له — أى الجاه — مايفسده ويجعله مذموما كثيرا .

(١٠) أى لما يعقبه ويترتب عليه فى الآخرة .

(١١) ضده : هو الخمول وعدم الشهرة بين الناس .

ووردَ فى الشّرْعِ مدحُ الخمول (١) ، وذَمُّ العُلُوّ فى الأرض .

وكان صلى الله عليه وسلم قد رُزِقَ من الحِشْمَة(٢)، والمكانةِ فى القلوب، والعظمةِ قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذِّبُونه ويُؤذون أصحابَه ، ويَقْصِدون أذاه فى نفسه خُفْيَةً حتى إذا واجَهَهُم أَعْظَموا أَمْرَه ، وقضَوْا حاجتَه(٣) .

وأخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها .

وقد كان يُبْهَتُ (٤) ويَفْرَقُ لرؤيته(٥) مَنْ لم تره ، كما رُوِى عن قَيْلَةَ (٦) أنها لما رأته أُرْعِدَت من الفَرَق ؛ فقال : يامِسْكينة ، عليك السكينة(٧) .

وفى حديث أبى مسعود (٨) أنَّ رجلا قام بين يديه فأُرْعِد ؛ فقال : هَوِّنْ عليكَ فإنى لستُ بَملِك . . . الحديث(٩) .

---

(١) كما ورد فى حديث : رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره . وفى حديث : إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا .

(٢) يريد بالحشمة : المهابة والعظمة فى أعين الناس .

(٣) أى لأنهم لمهابته صلى الله عليه وسلم، وعظمته فى قلوبهم، لايواجهونه بالأذى . وضبطت الخاء فى كلمة « خفية » فى ا بالضم والكسر ، وعليها « معا » .

(٤) يبهت : يتحير ويدهش . ويفرق : يخاف ويفزع .

(٥) فى ب : من رؤيته .

(٦) هى قيلة بنت مخرمة . وحديثها مذكور فى شمائل الترمذى ، وفى سنن أبى داود ، وأخرجه ابن سعد بتمامه . وهو أنها رأته صلى الله عليه وسلم فى المسجد،وهو قاعد القرفصاء؛ قالت : فلما رأيته متخشعا فى الجلسة أرعدت من الفرق . . .

(٧) أرعدت : أى لحقتها رعدة من الخوف . والسكينة : الطمأنينة ، وعدم الخوف .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقى من طريق قيس عنه موصولا . وعن قيس مرسلا . وأخرجه الحاكم مثله وصححه .

(٩) وتمامه : وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد .
وهون عليك : لا تخف .

فأما عِظَمُ قَدْرِه بالنبوة، وشريفُ منزلته بالرسالة، وإنافَةُ رُتْبته [١] بالاصطفاء والكرامةِ فى الدنيا فأمْرٌ هو مبلَغُ النهاية [٢] ، ثمّ هو فى الآخرة سَيّدُ وَلَدِ آدم [٣] .

وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم [٤] بأسره .

فصـــــل

وأما الضّرْبُ الثالث ، فهو ما تختلفُ الحالاتُ فى التمدُّح به والتفاخرُ بسببه ، والتفضيل [٣٠] لأَجْله ، كـكَثْرَةِ المال ـ فصاحبُه [٥] على الجملة مُعَظَّم عند العامة ، لاعتقادِها توصُّلَه به إلى حاجاته ، وتمكنَ أغراضه بسببه ، وإلّا فليس فَضِيلَةً فى نفسه ، فمتى كان المالُ بهذه الصورةِ ، وصاحبُه مُنْفِقاً له فى مُهمات من اعـــتراه [٦] وأمّله [٧] ؛ وتصريفُه فى مواضعه مُشْتريا به المَعالى والثناءَ الحسن [٨] ، والمنزلةَ فى القلوب [٩] ـ كان فضيلةً [١٠] فى صاحبه عند أهل الدنيا ، وإذا صرّفه فى وجوهِ البر، وأنفقه فى سبيل الخير، وقصد بذلك اللهَ والدّارَ الآخرة ، كان فضيلةً عند الـكلّ بكل حال [١١] ، ومتى كان صاحبُه مُمْسِكا له غير موجِّهه وجوهَه [١٢] ، حريصا على جَمْعه ،

---

(١) إنافة : علو ، وارتفاع .

(٢) فأمر هو مبلغ النهاية : أى هو نهاية النهاية ليس فوقه مرتبة أخرى .

(٣) هذا بعض من حديث فى سنن ابن ماجه (١٤٤٠)؛ وهو: أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

(٤) هذا القسم ؛ أى القسم الأول من الـكتاب ؛ أى جعلنـــاه موضوعا لبيانه . بأسره : جميعه .

(٥) فصاحبه : صاحب المال .

(٦) من اعتراه : من ورد عليه ، وقصده من الضيوف والإخوان وأرباب الحاجات .

(٧) وأمله : ورجاه ، ورجا إحسانه وإكرامه .

(٨) الثناء الحسن : الذكر الجميل .

(٩) فى ب : من القلوب .

(١٠) كان فضيلة : أى أمرا فاضلا محمودا .

(١١) عند كل الناس من أهل الدنيا وغيرهم ، من العامة والخاصة . بكل حال : أى سواء اكتسب به المعالى والثناء أم لا .

(١٢) غير موجهه وجوهه : غير صارف له فى مصارفه من مهماته ووجوه الخير .

عاد كُثْرُه كالعَدَم[١]، وكان مَنْقَصة فى صاحبه[٢]، ولم يقِفْ به على جَدَد[٣] السلامة؛ بل أوقعه فى هُوَّة[٤] رذيلةِ البُخْل، ومذَمَّةِ النَّذالة[٥]؛ فإذا التمدُّح بالمال وفضيلتُه عند مُفَضِّله ليست لنفسه، وإنما هو[٦] للتوصُّل به إلى غيره، وتصريفِه فى مُتَصَرَّفاته[٧]، فجامعُه إذا لم يضَعْه مواضِعَه، ولا وجَّهَهُ وجوهَه غَيْرُ مَلِيء[٨] بالحقيقة ولا غَنِىّ بالمعنى، ولا مُمْتَدَح عند أحدٍ من العقلاء؛ بل هو فقير أبدا غَيْرُ واصلٍ إلى غَرَض من أغراضه؛ إذ ما بيَدِه من المال الموصِّل لها[١٠] لم يسلَّطْ عليه[١١]، فأشبه خازنَ مالِ غيره، ولا مالَ له؛ فكأنه ليس فى يده منه شىء.

والمنفِق مَلِىء[١٢] وغنِىّ بتحصيله فوائدَ المال، وإنْ لم يَبْقَ فى يده من المال شىء.

فانظُرْ سيرةَ نبينا صلى الله عليه وسلم وخُلُقَه فى المالِ تجِدْه قد أُوتى خزائنَ الأرض،

---

(١) كثره: كثيره. كالعدم: إنما كان كالعدم؛ لأنه لم ينتفع به؛ فإنه خازن لغيره، حارس لنعمته، يستعجل الفقر الذى هرب منه، ويفوته الغنى الذى طلبه؛ فيعيش عيش الفقراء، ويحاسب عليه حساب الأغنياء.

(٢) وكان منقصة: وذلك لذم الناس له، ووصفه بالبخل.

(٣) الجدد: الأرض الصلبة، والمراد الطريق المسلوكة؛ أى لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم.

(٤) أصل الهوة: الحفرة العميقة.

(٥) النذالة: الدناءة والخسة. (٦) وإنما هو: أى المال.

(٧) قال فى نسيم الرياض: وفى الحديث (سنن الترمذى: ٤ - ٥٧٢): يقول ابن آدم مالى؛ وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت. فمن لم يتوصل بماله إلى ما ذكر ولم ينتفع به يكون كمن لا مال له.

(٨) غير ملىء: غير غنى. وفى ب: غير ملى؛ أى غير ثقة.

(٩) فى ب: ولا متمدح.

(١٠) لها: أى لأغراضه.

(١١) لم يسلط عليه: لم يقدره الله على الإنفاق منه فى أغراضه.

(١٢) فى ب: ملى.

ومفاتيحَ البلاد[١] ، وأُحلَّت له الغنائم [٢] ، ولم تحِلَّ لنبيّ قبله ، وفُتح عليه فى حياته صلى اللهُ عليه وسلم بلادُ الحجاز واليمن، وجميعُ جزيرة العرب، وما دَانَى ذلك [٣] من الشام والعراق ، وجُلِبَتْ إليه من أَخْماسها وجِزْيتها [٤] وصدقاتها ما لا يُجْبَى [٥] للملوك إلا بعضُه ، وهادَتْه [٦] جماعةٌ من ملوك الأقاليم [٧] فما استأثر بشىء منه [٨] ، ولا أمسكَ منه درهماً ؛ بل صرَّفه مصارِفَه ، وأغنى به غَيْرَه ، وقوَّى به المسلمين ؛ وقال : مايسرُّنى أنَّ لى أُحُدا [٩] ذهبا يبيتُ عندى منه دِينار، إلا دينارا أُرْصُده [١٠] لدَيْن .

[وأتته دنانير مرةً فقسمها، وبقِيَتْ منه سِتّة [١١] ؛ فدفعها لبعض نسائه ، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها ، وقال : الآن استرحت] [١٢] .

---

(١) خزائن الأرض : دفائنها ومعادنها .

(٢) الغنيمة : مايؤخذ من الـكفار بقتال .

(٣) ما دانى ذلك : ماقرب منه .

(٤) من أخماسها : من غنائمها ؛ لأن الغنائم تجعل خمسة أجزاء ، خمس للإمام ، وأربعة أخماس للجند . والجزية : مايؤخذ من الـكفار من الخراج على الرءوس .

(٥) يجبى : يجمع .

(٦) هادته : أهدت إليه . والهدية : ما يبعث بلا عوض للمهدى إليه إكراما .

(٧) أراد بالأقاليم : النواحى والبلدان .

(٨) فما استأثر : ما اختص نفسه بشىء منها دون أصحابه .

(٩) أحد : جبل قريب من المدينة ،كانت فيه غزوة أحد المعروفة .

(١٠) أرصده : أجعله معدا لسداد دين .

وهذا الحديث فى الصحيحين وشروحهما . (صحيح مسلم : ٦٨٧) .

(١١) فى ب : وبقى منها بقية .

(١٢) ما بين القوسين كتب عليه فى ا ، ب : ليس من الرواية .

ومات ودرعُه مرهونةٌ في نفقةِ عِيالِه [١] .

واقتصر من نفقته ومَلْبَسه ومسكنه على ماتدْعُو ضرورَتُه إليه .

وزَهِد فيما سِوَاه [٢] ، فكان يَلْبس ما وجده ؛ فيَلْبَس في الغالب الشَّمْلَة [٣] ، والكساء الخشِن ، والبُرْدَ [٤] الغليظ ، ويَقْسِم على مَنْ حضره أَقْبِيَةَ الديباج المُخَوَّصَةَ [٥] بالذهب ، ويرفَعُ لِمَنْ لم يحضره [٦] ؛ إذ المُبَاهاة [٧] في الملابس والتزيُّنُ بها ليست من خصال الشرف والجَلَالة ، وهي من سِمَات [٨] النساء .

والمحمودُ منها نَقَاوَة [٩] الثوبِ ، والتوسُّط في جِنْسه [١٠] ، وكونُه لِبْس مِثْلِه [١١] ،

(١) عياله : من تلزمه مؤونته والإنفاق عليه . وحديث رهن الدرع مذكور في صحيح البخاري (٤ — ٤٩) ، وهو : عن عائشة قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير .

(٢) أى فيما سوى مقدار الضرورة .

(٣) الشملة : كساء يشتمل به .

(٤) البرد : ثوب فيه خطوط .

(٥) الأقبية : جمع قباء ، وهو المخيط من اللباس . والديباج : نوع من أقبية الحرير . والمخوصة : المنسوجة بأعلام من ذهب كالخوص .

(٦) ويرفع لمن لم يحضره : أى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة . وهو إشارة لقصة مخرمة التى رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة ؛ (صحيح مسلم: ٧٣١، ٧٣٢ ، وصحيح البخارى : ٨ — ٣٨) ؛ قال : قال لى أبى : يا مسور ، بلغنى أنه صلى الله عليه وسلم جاءته أقبية ، فاذهب بنا إليه ، فذهبنا فوجدناه فى منزله ، فقال : ادعه لى . فأعظمت ذلك ؛ فقال: يابنى ، إنه ليس بجبار . فدعوته صلى الله عليه وسلم ، فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب ؛ فقال : يامخرمة ، خبأت لك هذا ؛ فجعل رسول الله يريه محاسنه، ثم أعطاه له . فنظر إليه وقد رضى . وفى ب : لم يحضر .

(٧) المباهاة : إظهار الفخر .

(٨) سمات النساء : خصال النسوة ، وعلاماتهن .

(٩) منها : من الملابس . ونقاوة الثوب : كونه نقيا من الوسخ والنجاسة .

(١٠) أى لا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا .

(١١) أى كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه . قال فى نسيم الرياض (١ — ٥٩٠) : واللازم أن يلبس كل أحد على قدر حاله ؛ فلا يلبس الغنى ماهو دون حاله ، ولا الفقير ماهو فوق حاله.

غير مُسْقِط لمروءة جنْسِه[١] مما لا يُؤَدِّى إلى الشُّهرة فى الطَّرَفَيْن[٢] .

وقد ذمَّ الشرعُ ذلك[٣] ؛ وغايةُ الفَخْر فيه فى العادة عند الناس إنما يعودُ إلى الفخر بكثرةِ الموجود ، ووُفُور الحال[٤] .

وكذلك التَّباهِى بجَوْدة المسكن ، وسعَةِ المنزل ، وتكثير[٥] آلاته وخَدَمه ومركوباته .

ومَنْ ملك الأرضَ ، وجُبِىَ[٦] إليه ما فيها ، فترك ذلك زُهْداً وتنزُّها[٧] ، فهو حائز لفضيلة المالِ ، ومالكٌ للفخر بهذه الخَصْلة إن كانت فضيلةً زائد عليها فى الفخر ، ومُعْرِق[٨] فى المدح بإضْرَابِه عنها ، وزُهْدِه فى فانيها ، وبَذْلِها فى[٩] مظانِّها .

فصـــــل

وأما الخصالُ المكتسبة من الأخلاقِ الحميــدة [٣١] والآدابِ الشريفة التى اتَّفق جميعُ العقلاء على تفضيل صاحبِها ، وتعظيمِ المتَّصِف بالخُلُق الواحدِ منها ،

(١) فى ب : لمروءة حسبه .

(٢) فى الطرفين : غاية التعظيم ، وغاية الخسة ؛ فيكون بين بين ،وخير الأمور أوسطها. والشهرة : اسم من الاشتهار ؛ وهو الظهور بين الناس. وقال النووى : كانوا يكرهون الشهرتين: الثياب الجدد ، والثياب الرذلة ؛ إذ الأبصار تمتد إليهما جميعا .

(٣) ذلك : إشارة إلى المباهاة فى الملابس والتزين بها .

(٤) الغاية : النهاية . وكثرة الموجود : المراد به كثرة ما عنده من المال والملبس ونحوه . ووفور الحال : المراد به قوة حاله وقدرته على مالا يقدر عليه غيره .

(٥) وتكثير آلاته : المراد بالآلات هنا : الفراش والأوانى .

(٦) جبى : جمع .

(٧) الزهد: الرغبة عن الدنيا مع القدرة ، رغبة فى الآخرة . وهذا فى ا . وفى ب: زاهدا بالنصب والرفع وعليها « معا » .

(٨) معرق : أصل فى الحسب وأكرم .

(٩) بذلها : إعطاؤها . مظانها : جمع مظنة : الموضع الذى يظن كونها فيــه . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم يبذلها فى محالها الذى يرجى فيه ؛ كمحال البر والصدقة .

فَضْلًا عما فوقه[١] وأثنى الشرعُ على جميعها، وأمَر بها، ووعَد السعادةَ الدائمةَ للمُتخَلِّق[٢] بها، ووصف بعْضَها بأنه من أجزاء النبوة[٣]، وهى المُسمَّاة بحُسْن الخُلق؛ وهو الاعتدالُ فى قُوَى النفس وأوصافها، والتوسُّطُ فيها دون المَيْل إلى مُنْحَرِف[٤] أطرافها؛ فجَمِيعُها قد كانت خُلُقَ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها، والاعتدالِ إلى غايتِها، حتى أَثْنَى اللهُ بذلك عليه، فقال تعالى[٥]: ﴿ وإنَّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

قالت عائشةُ - رضِىَ الله عنها: كان خلُقُه القرآن، يَرْضَى برِضَاه، ويَسْخَط بسَخَطِه[٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق[٧].

قال أنس[٨]: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناسِ خُلقا.

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه مِثْلُه.

---

(١) عما فوقه: أى عما زاد على الواحد منه.

(٢) المتخلق بها: الذى اتخذها خلقا، واتصف بها.

(٣) كما ورد فى الحديث: السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة (الموطأ: ٩٥٤). والمراد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء وفضائلهم.

(٤) المنحرف: المائل. أى إلى أطرافها المنحرفة.

(٥) سورة القلم، آية ٤

(٦) الحديث فى صحيح مسلم: ٥١٣؛ أى كان صلى الله عليه وسلم متمسكا بأوامر القرآن ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها؛ فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط كل ما لا يرضاه، كل ذلك لله، لا لحظ نفسه. وفى هامش ب: يعنى التأدب بأدبه، والتخلق بمحاسنه، والالتزام لأوامره وزواجره.

(٧) الحديث فى الموطأ: ٩٠٤، قال ابن عبد البر: هو حديث مدنى صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره. ومكارم الأخلاق كانت موجودة قبله - لاسيما فى العرب - فتممها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة، وزاد فيها ما لم يسبق إليه، وجمع ما تفرق منها فيه وفى أمته.

(٨) الحديث فى مسلم: ١٨٠٥

وكان[١] فيما ذكره المحقِّقون مَجْبُولاً[٢] عليها فى أَصْل خِلْقَته وأَوَّل[٣] فِطْرته ، لم تحصُلْ له باكتسابٍ ولا رِيَاضة إلا بجُودٍ إلهىّ ، وخصوصيةٍ رَبّانية .

وهكذا لسائر[٤] الأنبياء ، ومَنْ طالعَ سِيَرَهم منذُ صِبَاهم إلى مَبْعَثهم حقَّق[٥] ذلك ، كما عُرِف من حال عيسى وموسى ، ويحيى ، وسليمان ، وغيرهم عليهم السلام .

بل غُرِزَتْ فيهم هذه الأخلاقُ فى الجِبِلَّة ، وأُودِعُوا العِلْمَ والحِكْمة فى الفِطْرة ، قال الله تعالى[٦] : ﴿ وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

قال المفَسِّرون : أُعْطِيَ يحيى العِلْمَ بكتاب الله تعالى فى حال صِبَاه .

وقال مُعَمَّر : كان [يحيى][٧] ابنَ سنتين أو ثلاث ، فقال له الصِّبْيَان : لِمَ لاتلعبُ؟ فقال : أَلِلَّعبِ خُلِقْتُ[٨] !

وقيلَ فى قوله تعالى[٩] : ﴿ مُصَدِّقاً بكلمةٍ مِنَ الله ﴾ : صَدَّق يحيى بعيسى ؛ وهو ابنُ ثلاث سنين ، فشَهِدَ له أنه كَلِمةُ اللهُ ورُوحه .

وقيل : صدَّقه وهو فى بَطْنِ أمه ؛ فكانت أُمُّ يحيى تقولُ لمريم : إنِّى أَجد ما فى بطنى يسجُدُ لما فى بطنك ؛ تَحِيَّةً اه .

---

(١) وكان : أى النبى .

(٢) مجبولا : مخلوقا مطبوعا .

(٣) أى من غير تكلف ولا تعلم .

(٤) فى ب : وسائر . وسائر : باقى .

(٥) حقق ذلك : عرف أن مكارم الأخلاق فيهم جبلية طبيعية .

(٦) سورة مريم ، آية ١٢

(٧) من ب، وعليها علامة الصحة. وكلمة «معمر» ضبطت فى ب بضم الميم الأولى وتشديد الميم الثانية المفتوحة . وفى التبصير (١٣٠٣) : بفتح الميمين وسكون العين .

(٨) قال السيوطى: رواه الديلمى عن معاذ بن جبل ولم يسنده. والحاكم فى التاريخ ، عن ابن عباس مرفوعا ، وسنده واه . وأخرجه أحمد فى الزهد ، وابن أبى حاتم فى تفسيره عن معمر .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٣٩

وقد نصَّ اللهُ تعالى على كلامِ عيسى لأُمه عند ولَادتها إياه بقوله لهـــا[١] : « أَلَّا تَحْزَنِي » ـ على قراءة « من قرأ » مَنْ تحتها ، وعلى قول مَنْ قال: إن المنادِيَ عيسى .

ونَصَّ على كلامه في مَهْدِه[٢] ، فقال[٣] : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانيَ الكتابَ وجعلني نبياً ﴾ .

وقال[٤] : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سليمانَ وكُلًّا آتينا حُكْماً وعِلْماً ﴾ .

وقد ذُكِر من حِكَم سليمانَ وهو صبي يلعَبُ في قصة المَرْجُومة[٥] ، وفي قصة

---

(١) سورة مريم ، آية ٢٤

(٢) المهد كالمهاد بمعنى الفراش الممهد للنوم ، ثم خص بما ينام فيه الطفل ويقر فيه .

(٣) سورة مريم ، آية ٣٠

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٧٩ . آتيناه حكما :أى معرفة بموجب الحكومة .وعلما:بسائر القضايا الشرعية. قال في نسيم الرياض: فهذا وأشباهه مما يدل على أنها أمور جبلية غير كسبية.

(٥) قال في نسيم الرياض (١ — ٦٠٢): قصة المرجومة كما حكاها التلمسانى أن امرأة كانت بارعة الجمال ــ وهى من أهل الدين ، ولها حق ، فرفعت أمرها لأحد قضاة بنى إسرائيل ، فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ؛ ثم ذهبت لثان وثالث ورابع فكل راودها عن نفسها ؛ فأتت نبي الله دواد فحجبت عنه ، فأجمع الأربعة أن يقولوا لداود : إن لها كلبا تمكنه من نفسها ويزنى بها ، ففعلوا فأمر برجمها فرجمت .

فبينما داود عليه السلام يوما فى علية له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان ، وفيهم صبى جميل ، فجعلوا سليمان قاضيا ، والصبى كامرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة ، وفعلوا مثل تلك القصة بعينها من المراودة والتهمة ؛ وذلك بمرأى من داود عليه السلام ــ كما فى قصة المرجومة ــ ففرقهم سليمان ، وقال لأحدهم : مالونه ؟ فذكر لونا ، ودعا كلا بانفراده فذكر كل منهم لونا مخالفا للآخر ؛ فأمر الصبيان فضربوهم .

فقال داود : لعل القضية هكذا ، فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد ، فاختلفوا كالصبيان فأمر بهم فقتلوا . (وانظر أيضا القصة فى شرح القارى : ١ — ٢٢٦).

الصبي[1] ما اقتدى به داودُ أبُوه .

وحكى الطبرى أنَّ عمره كان حِينَ أُوتى المُلْكَ اثنى عشر عاما .

وكذلك قصةُ موسى مع فرعون وأَخْذُه بِلِحْيَته وهو طِفْل .

وقال المفسرون — فى قوله تعالى[2] : ﴿ ولقد آتَيْنَا إبراهيمَ رُشْدَه[3] من قَبْلُ ﴾ ؛ أى هَدَيْناه صغيرا[4] ؛ قاله مُجاهد وغيره .

وقال ابنُ عطاء : اصطفاه قبل إبداء خَلْقه .

وقال بعضهم : لَمّا وُلِد إبراهيم عليه السلام بعثَ اللهُ تعالى إليه مَلَكا يأمرُه عن الله أنْ يَعْرِفَه بِقَلْبه ، ويذْكُره بلسانه ؛ فقال : قد فعلْتُ ، ولم يَقُلْ أفعل ؛ فذلك رُشْده[5] .

---

(١) فى نسيم الرياض (١ — ٦٠٢) : وقصة الصبي رواها البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ؛ قال: كانت امرأتان معهما ابنان لهما ، فأخذ ذئب أحدهما ، فتحاكما إلى داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى . فدعاهما سليمان ، وقال : هاتوا سكينا أشقه بينكما ؛ فقالت الصغرى : رحمك الله ، هو ابنها لا تشقه ، فقضى به لها لشفقتها عليه، ورضيت الأخرى بشقه لتتشاركا فى المصيبة. ونص الحديث فى : (صحيح مسلم: ١٣٤٤ ،والبخارى : ٨-١٩٥). ثم قال الخفاجى : وهذا مما لاشبهة فى صحته . وأما الحديث الأول (قصة المرجومة) فالله أعلم بصحته ، وقد ورد فى الإسرائيليات على غير رواية ابن عساكر .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ٥١

(٣) الرشد : الاهتداء لوجوه الصلاح .

(٤) هذا أحد التفاسير لقوله تعالى : من قبل . وقيل : قبل موسى وهارون . وقيل : قبل محمد عليه السلام .

(٥) يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل أمره ؛ فيكون المعنى آتيناه رشده قبل أمره ، فيدل ذلك على أن الإيمان واشتغاله بذكر ربه أمر مجبول عليه ؛ وقيل : إنه بالغ فى الامتثال حتى عبر بالماضى عن الحال .

وقيل : إن إلقاء إبراهيم عليه السلام فى النار ومحنته[١] كانت وهو ابنُ ستّ عشر سنةً ، وإنّ ابتلاء إسحاق[٢] بالذّبح كان وهو ابنُ سبع سنين ؛ وإن استدلالَ إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابنُ خمسةَ عشر شهرا[٣] .

وقيل : أُوحِيَ إلى يوسف وهو صبيّ[٤] عندما همّ إخوتُه بإلقائه فى الجُبِّ ، يقول اللهُ تعالى[٥] : ﴿ وأَوْحَيْنَا إليه لَتُنَبِّئَنَّهم[٦] بأمرهم هذا وهم لا يَشْعُرون ﴾ .

[٣٢] إلى غير ذلك مما ذَكَرْنَا من أخبارهم[٧] .

وقد حكى أهلُ السير أنّ[٨] آمنةَ بنتَ وَهْب أخبرت أنّ نبيَّنا محمدا صلى الله عليه وسلم وُلد حين وُلد باسطاً يديه إلى الأرض ، رافعا رأْسَه[٩] إلى السماء .

وقال فى حديثه — صلى اللهُ عليه وسلم[١٠] : لمّا نشأْتُ بُغِّضَتْ إليّ الأوثانُ ، وبُغِّضَ إلى الشِّعْر ، ولم أهُمّ بشيء مما كانت الجاهليةُ تَفْعَله إلا مرتين[١١] ، فعصمنى اللهُ منهما ، ثم لم أعُدْ .

---

(١) ومحنته : التى وقعت له مع نمرود .

(٢) قال فى نسيم الرياض : وهذا بناء على أن الذبيح إسحاق ، كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين . والمشهور — وهو مذهب الجمهور — أن الذبيح إسماعيل؛ وهو قول أكثر الصحابة ، كابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، وهو الظاهر .

(٣) فى ب : سنة ؛ وفى هامشه : الصواب شهرا .

(٤) وعن الحسن : وله سبع عشرة سنة .

(٥) سورة يوسف ، آية ١٥

(٦) لتنبئنهم : لتخبرن إخوتك .

(٧) من أخبارهم : أى أخبار الأنبياء الدالة على أنهم مجبولون على الكمال من ابتداء أمرهم فى صغرهم .

(٨) مما يدل على هذه الصفة فى الأنبياء . وهذا رواه ابن الجوزى فى الوفا ، عن أبى الحسين مرسلا .

(٩) فى ب : رافعا يديه ينظر إلى السماء .

(١٠) هذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن شداد بن أوس (الدلائل لأبى نعيم: ٢٣٦)

(١١) فى نسيم الرياض: (١ — ٦٠٩):وهذا إشارة إلى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن على كرم الله وجهه ، ولفظه : ماهممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين =

ثم يتمكنُ الأمرُ لهـــم ، وتترادفُ نفحاتُ اللهِ عليهم[١] ، وتُشرِقُ أنوارُ المعارفِ فى قلوبهم ، حتى يَصِلوا الغايةَ، ويَبْلُغوا ـ باصطفاء اللهِ تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخِصالِ الشريفة ـ النهايةَ دُونَ مُمارسة ولا رِياضة[٢] ؛ قال الله تعالى[٣] : ﴿ولما بلغَ أَشُدَّه آتيناهُ حُكْما وعِلْما[٤]﴾ .

وقد نجدُ غيرهم يُطْبَع على بعض هذه الأخلاق دونَ جميعها ، ويُولَد عليها ، فيسهلُ عليه اكتسابُ تمامِها عنايةً من الله تعالى ، كما نشاهِدُ من خِلْقَةِ بعضِ الصبيان على حُسْنِ السَّمْت ، أو الشهامة[٥] ، أو صِدْق اللسان ، أو السَّماحة ؛ وكما نجدُ بعضهم على ضِدِّها ؛ فبالاكتساب يكمُل ناقِصُها ، وبالرياضة والمجاهدة يُستَجْلَب[٦] معدومُها ،

= كل ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد ؛ ثم ما هممت بعدهما بشىء حتى أكرمنى الله تعالى برسالته .

ورواه الحاكم فى المستدرك بلفظ آخر : قلت ليلة لفتى من قريش كان بأعلى مكة يرعى غنما لأهله : أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان ، فجئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : فلان يتزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتنى عينى ، فما أيقظنى إلا حر الشمس . ثم رجعت إلى صاحبى ، فقال لى : ما فعلت ؟ فأخبرته .

ثم فعلت الليلة الأخرى كذلك . والله ما هممت بغيرها مما تفعله الجاهلية . قال فى نسيم الرياض : وروى أن الله ألقى عليه النوم فى المرتين صيانة له ، وليس فى هذا ارتكابه لمحرم . وكذلك جاء فى شرح القارى : ١ — ٢٢٩

(١) لهم : أى للأنبياء . ويتمكن : يقر ويثبت . والمراد بالأمر ما أودع فيهم من الكمال . وتترادف : المراد تتوالى . والنفحات : جمع نفحة ، وهى بمعنى الهبة والعطية .

(٢) دون ممارسة : أى من غير تكرار عمل ومزاولته . والرياضة : التمرين فى العمل .

(٣) سورة يوسف ، آية ٢٢ (٤) حكما : نبوة . وعلما : معرفة بالدين وسياسة الأمة .

(٥) السمت : الطريقة ، وهيئة أهل الخير . يقال : ما أحسن سمته . أى هديه وسيرته . والشهامة : حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاذ فى الأمور . يقال : رجل شهم إذا كان سيدا نجيبا نشيطا فى اكتساب المعالى ، وعدم الالتفات للملاحاة والخصومة .

(٦) يستجلب : يكتسب ويحصل لمن لم يطبع على شىء منها وطبع على ضدها .

ويعتدلُ مُنْحَرِفُها ، وباختلاف[1] هذين الحالين يتفاوتُ الناسُ فيها[2] . وكلٌّ مُيَسَّر لما خُلِق له[3] . ولهذا ما [قد][4] اختلف السلفُ[5] فيها : هل هذا الخُلق جِبِلَّة أو مُكْتَسبة[6] ؟

فحكى الطبريّ عن بعض السَّلف أنَّ الخلُقَ الحسن جِبِلَّةٌ وغريزة في العَبْد، وحكاه عن عَبْدِ الله بن مسعود ، والحَسَن ، وبه قال هو .

والصواب ما أصَّلْناه[7] .

وقد رَوى سعدٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : كلُّ الخِلَال[8] يُطْبَع عليها المؤمن إلا الخيانةَ والكذب[9] .

وقال عُمر بن الخطاب رضيَ الله عنه في حديثه : والجُرْأة ، والجُبْن[10] غرائز يضَعُها اللهُ حيث يشاء .

وهذه الأخلاقُ المحمودة والخِصَال الجميلة[11] كثيرةٌ ، ولكنا نذكر أُصولها ، ونُشير إلى جميعها ، ونحقِّقُ وَصْفَه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى .

---

(١) هذين الحالين : أى الجبلى والكسبي . (٢) فيها : أى فى الصفات الحميدة .

(٣) هذا بعض من حديث صحيح : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . . . وهو فى صحيح مسلم: ٢٠٤١، وميسر: معد مهيأ . (٤) ليس فى ب . (٥) السلف : من تقدم من العلماء .

(٦) الخلق: أى الحسن الذى يحمد به الناس. وهذا فى ب . وفى ا : جبله أو مكتسبه... — بالهاء .

(٧) ما أصلناه : قدمناه وجعلناه أصلا وقاعدة ؛ من أن منها ماهو جبلة غير مكتسبة ، ومنها ماهو مكتسب بالعلم والرياضة . (٨) الخلال : الخصال والصفات .

(٩) فى نسيم الرياض (١ — ٦١٣) :هو حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده، والبيهقى فى شعب الإيمان ، وابن أبى شيبة فى المصنف. والخيانة : ضد الأمانة . يعنى أن هذين لا يكون كل منهما طبيعة مخلوقة فى المؤمن مطلقا ؛ لأن المؤمن جبلته وفطرته سليمة ، وهاتان الخصلتان فى غاية القبح . (١٠) الجبن : عدم الإقدام للخوف .

(١١) عليها علامة الصحة فى ا ، وأمامها فى هامشه : الشريفة .

فصــــل

[في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقق وصف النبي بها[(١)]]

أمّا أَصلُ فروعها[(٢)] ، وعُنْصُر ينابيعها[(٣)] ، ونُقْطة دائرتها — فالعقلُ الذى منه ينبعثُ[(٤)] العِلْمُ والمعرفةُ ، ويتفرّع عن هذا ثقُوبُ[(٥)] الرأى ، وجَوْدةُ الفِطْنة[(٦)] ، والإصابةُ ، وصِدْقُ الظنّ ، والنظرُ للعواقب ومصالح النفس ، ومجاهدةُ الشهوة[(٧)] ، وحسنُ السياسةِ والتدبير ، واقتناء الفضائل[(٨)] ، وتجنُّب الرذائل .

وقد أشرنا إلى مكانه[(٩)] منه عليه السلام ، وبلوغه منه ومن العلم الغايةَ التى لم يبلغها بَشَرٌ سواه ، وإذ جَلالةُ محلّه من ذلك ، ومما تفرّع منه[(١٠)] — متحقِّق[(١١)] عند من تتبّع مجارِيَ أحواله[(١٢)] ، واطِّرادَ سِيَره ، وطالعَ جوامع كلامه[(١٣)] . وحُسْنَ شمائله ، وبدائعَ سِيَره ، وحِكَم حديثِه ، وعِلْمَه بما فى التوراة والإنجيل والكتب المنزّلة ، وحِكَمِ الحكماء ، وسِيَرِ الأمم الخالية[(١٤)] ، وأيامها[(١٥)] وضَرْبِ الأمثال ،

---

(١) هذا الفصل معقود لبيان أصول الأخلاق صريحا، والإشارة إلى جميعها تلويحا، لتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها توضيحا .

(٢) فروعها : أى الأخلاق . (٣) عنصر : أصل . (٤) ينبعث : ينشأ ويخرج .

(٥) ثقوب الرأى : نفاذ الرأى فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الأمور .

(٦) الفطنة : الحذق ، وحسن الفهم .

(٧) مجاهدة الشهوة : مدافعتها وممانعتها عما تريده ؛ فإنه جهاد أكبر .

(٨) اقتناء الفضائل : اكتسابها والتحلى بها .

(٩) إلى مكانه منه : إلى مكان النبى ومحله من كمال العقل .

(١٠) ما تتفرع منه من الأخلاق الشريفة وثمراتها . (١١) هذا فى ا ، ب .

(١٢) مجارى أحواله : المراد ماجرت به عادته فى أحواله .

(١٣) جوامع كلامه : الكتب الجامعة للحديث الشريف . أو كلماته الجامعة للحكم التى تتحير فيها عقول البلغاء والحكماء .

(١٤) الخالية : الماضية . (١٥) وأيامها : أى وقائعها فى حروبها ومجادلاتها .

وسياسات الأنام[١] ، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب[٢] النفيسة، والشِّيَم الحميدة[٣] إلى فنون العلوم التى اتخذ أهلُها كلامَه عليه السلام فيها قدوةً ، وإشاراتِه حجّةً ؛ كالعبارة[٤]، والطبّ ، والحسابِ ، والفرائض ، والنَّسَب[٥] ، وغير ذلك مما سنُبيِّنه فى معجزاته إن شاء الله ، دون تعليم ولا مُدَارسة[٦] ، ولا مطالعة كتُب مَنْ تقدّم ، ولا الجلوس إلى علمائهم؛ بل نبيّ أميّ[٧] لم يُعْرَف بشىء [٣٣] من ذلك، حتى شرح اللهُ صدْرَه، وأبَانَ أمْرَه ، وعلَّمه ، وأقْرأه[٨]، يُعلَمُ ذلك[٩] بالمطالعة والبحث عن حاله ضَرورةً، وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً ؛ فلا نُطوِّلُ بسَرْدِ[١٠] الأقاصيص ، وآحادِ القضايا ؛ إذ مجموعُها مالا يأخذه حَصْر ، ولا يُحيط به حِفْظُ جامع ، وبحَسبِ عَقْله كانت معارفُه صلى اللهُ عليه وسلم إلى سائر ما علَّمه اللهُ تعالى ، وأطلعه عليه مِنْ عِلْمِ ما يكون وما كان ، وعجائبِ قدرتِه ، وعظيم ملَكُوته[١١] ، قال تعالى[١٢] : ﴿ وعلَّمكَ ما لم

(١) الأنام : الخلق .

(٢) وتأصيل : وتأسيس؛ أى بيان أصول الآداب التى تتأدب بها الناس فى مجالسهم ومحاوراتهم.

(٣) والشيم الحميدة : الشيم : جمع شيمة ؛ وهى العادة ، والخلق .

(٤) العبارة : المراد تعبير الرؤيا . وفى ا : العبادة — بالدال .

(٥) الفرائض : علم يعرف به أحوال المواريث . والنسب : معرفة أنساب الناس .

(٦) ولا مدارسة : أى لم يعرفه بأخذه من الأفواه وحفظه لشىء من العلوم عن غيره .

(٧) الأمى : منسوب إلى الأم ؛ لأنه كيوم ولدته أمه : من غير قراءة وكتابة ؛ أو إلى أم القرى . أو أمة العرب ؛ لأن القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم . والأمى : الذى لا يكتب ولا يقرأ الكتب .

(٨) أقرأه : أقدره على القراءة بما أوحاه إليه بواسطة الملك؛ إذ قال الله له: اقرأ وربك الأكرم: ...

(٩) يعلم ذلك : أى ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم .

(١٠) السرد : تعداد أمور من القصص ونحوها متتابعة متوالية .

(١١) المراد ما أطلعه الله عليه فى الإسراء من خلق الملائكة والسموات وإقداره على ذلك فى برهة من الزمن .

(١٢) سورة النساء ، آية ١١٣

تكُنْ تَعْلَمُ ، وكان فَضْلُ اللهِ عليكَ عظيما[١] ﴾ .

حارت العقولُ فى تقدير[٢] فَضْله عليه ، وخَرِسَت الألسن دونَ وصْفٍ يحيط بذلك أو ينتهى إليه .

فصل

وأما الحِلْمُ[٣] والاحتمالُ ، والعفْوُ مع القدرة ، والصبْرُ على ما يُكْرَه ؛ وبَيْنَ هذه الألقاب فرقٌ ، فإنّ الحلْم حالةُ توقُّر[٤] وثَبات عند الأسباب المحرِّكات[٥] . والاحتمالُ[٦] : حبْسُ النفس[٧] عند الآلام والمؤذيات . ومِثْلُها الصبر ، ومعانيها متقاربةٌ .

وأما العفْوُ فهو تَرْكُ المؤاخذة[٨] .

وهذا كلُّه مما أدّب اللهُ تعالى به نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، فقال[٩] : ﴿ خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عن الجاهلين[١٠] ﴾ .

رُوِىَ[١١] أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآيةُ سأل جبريل عليه السلام عن تأْوِيلها[١٢] ، فقال له : حتى أَسْأَل العالِمَ[١٣] .

---

(١) أى علمك ما لم يكن من شأنك ومما لم يكن فى قدرتك علمه .
(٢) فضله عليه المذكور فى الآية السابقة .
(٣) الحلم : ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب وعدم إظهاره .
(٤) توقر : إظهار الوقار ، وهو السكون . (٥) الأسباب المحركات ، كالغضب مثلا .
(٦) ضبطت اللام فى ب بالفتحة والضمة وعليها « معا » .
(٧) المراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها به .
(٨) المؤاخذة : الجزاء على ما فعل غيره . (٩) سورة الأعراف ، آية ١٩٩
(١٠) العفو : المساهلة والمسامحة . والعرف : المعروف . وأعرض عن الجاهلين : بترك المقابلة .
(١١) هذا الحديث ـ كما قال السيوطى ـ رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ ، فى تفاسيرهم .
(١٢) عن تأويلها : عن تفسيرها . (١٣) يعنى الله عز وجل .

ثم ذهب فأتاه[1] ، فقال : يا محمد ، إنّ الله يأمرك أن تَصِلَ مَنْ قطعك ، وتُعْطِيَ مَنْ حرمك ، وتعْفُوَ عمّن ظلمك .

وقال له[2] : ﴿ واصْبِرْ على ما أصابكَ ، إنّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأمور ﴾ .

وقال تعالى [3] : ﴿ فاصْبِرْ كما صبَرَ أُولو العَزْم من الرُّسل ﴾ .

وقال [4] : ﴿ ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا ألَا تُحِبُّون أنْ يَغْفِرَ اللهُ لكم ، واللهُ غفورٌ رحيم ﴾ .

وقال[5] : ﴿ ولمَنْ صبَر وغفَر إنّ ذلكَ لمِنْ عَزْمِ الأُمور[6] ﴾ .

ولا خفاء بما يُؤْثَر[7] من حِلْمِه واحتماله ، وأنّ كلّ حليم قد عُرِفَتْ منه زَلَّة[8] ، وحُفِظَتْ عنه هَفْوة[9] ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيدُ مع كثْرة الأذى إلا صَبْرا ، وعلى إسراف الجاهل[10] إلا حِلْمًا .

حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن على التَّغْلبى [11] وغيره ، قالوا : حدثنا محمد ابن عتّاب ، حدثنا أبو بكر بن وافد [12] القاضى وغيره ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا

---

(١) فى ب : ثم أتاه .

(٢) سورة لقمان ، آية ١٧ . من عزم الأمور ؛ أى مفروضاتها وواجباتها التى لا رخصة فى إهمالها لأرباب كمالها .

(٣) سورة الأحقاف ، آية ٣٥ ، وأولو العزم : أصحاب الثبات والحزم من الرسل .

(٤) سورة النور ، آية ٢٢ (٥) سورة الشورى ، آية ٤٣

(٦) لمن عزم الأمور : من أهم الأمور التى ينبغى التصميم والعزم عليها .

(٧) يؤثر : ينقل ويروى من حلمه وتحمله للأذى ، فإنه شائع غير خفى على أحد .

(٨) الزلة : السقطة والخطيئة . (٩) هفوه : سقطة .

(١٠) المراد بالجاهل هنا السيئ الخلق المجازف فى أموره ، فهو خلاف الحلم . والإسراف : الزيادة ومجاوزة الحد .

(١١) فى ا : الثعلبى . والتغلبى فى ب ، عليها علامة الصحة . وقال القارى (١ — ٢٣٦) : وقع فى بعض النسخ بالثاء المثلثة والعين المهملة ؛ وهو تصحيف فى المبنى وتحريف .

(١٢) بالفاء ، وعليها علامة الصحة فى ا ، ب .

عُبيد الله ، قال : حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن عُرْوَة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت [١] : ما خُيِّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أمرين قطُّ إلا اختار أَيْسَرهما[٢] ما لم يكن إثْما ، فإن كان إثْما [٣] كان أبعدَ الناسِ منه ، وما انتقم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسه [٤] إلا أن تُنْتَهَكَ حُرْمةُ الله تعالى ، فينتقم لله [٥] بها .

ورُوِى أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم لما كُسِرتَ رَبَاعِيَتُه [٦] وشُجَّ وَجْهُهُ [٧] يوم أُحُد شَقَّ ذلك على أصحابه شديدا ، وقالوا : لو دعَوْتَ عليهم ! فقال : إنى لم أُبْعَث لَعَّانًا[٨] ، ولكنى بُعِثْت داعيا ورحمة[٩] . اللّهُمَّ اهْدِ قومى فإنهم لا يَعْلَمُون .

ورُوِى عن عُمر رضى[١٠] الله عنه أنه قال فى بعض[١١] كلامه : بأَبِى أَنْتَ وأُمّى يارسولَ الله[١٢] ! لقد دعا نوحٌ على قومه ، فقال : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأرضِ من

(١) الحديث فى الموطأ : ٩٠٣ ، والبخارى : ٤ – ٢٣٠ ، ومسلم : ١٨١٣

(٢) فى هذا الحديث الأخذ بالأسهل والأرفق ، ما لم يكن حراما أو مكروها .

(٣) أى موجب إثم من حرام أو مكروه .

(٤) أى لا يعاقب أحدا بتقصير وقع منه فى حقه هو .

(٥) حرمة الله : ما حرمه وجعله محرما ممنوعا . وانتهاكه : التعدى والتجاوز فيه . والحديث فى صحيح مسلم : ١٨١٣ ، ١٨١٤

(٦) رباعيته : سن بين الثنية والناب . والرباعيات أربع . وقد كسرها عتبة بن أبى وقاص .

(٧) شج وجهه : الشجة : جراحة فى الوجه أو الرأس . وقد شجه عبد الله بن شهاب الزهرى . وارجع فى تفصيل ذلك إلى سيرة ابن هشام : ٣ – ٢٧ ، ٢٨ إن أردت .

(٨) لعانا : داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمه الله .

(٩) داعيا ورحمة : أى داعيا للناس إلى الله ، ورحمة للناس أجمعين ، بإخراجهم من الكفر للإيمان ، وبتأخير العذاب عمن كفر ، لا لطردهم عن رحمة الله ، وإبعادهم عنه . والحديث فى صحيح مسلم : ٢٠٠٦ ، وصحيح البخارى : ٨ – ١٥

(١٠) قال السيوطى : إن هذا لا يعرف عن عمر فى شىء من كتب الحديث .

(١١) أى حين رأى ما أصابه صلى الله عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه فى غزوة أحد .

(١٢) معناه : إنى أجعل أبوى فداء دونك وأبذلهما فى حمايتك .

الـكافرين دَيَّاراً[١] ﴾ . ولو دعوتَ علينا مثلَها لهلَـكْنا من عند آخِرنا[٢] ، فلقد وُطِئَ ظهرُك ، وأُدْمِيَ وجْهُك[٣] ، وكُسرت رَبَاعِيتُك ، فأبيتَ أنْ تقولَ إلا خيرا، فقلْتَ : اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لا يعلمون .

قال القاضى أبو الفضل[٤] وفقه الله : انْظُرْ فى هذا القول من جِمَاع[٥] الفضل ، ودرجاتِ الإحسان ، وحُسْنِ الخلق ، وكَرَمِ النفس ، وغايةِ الصبر [٣٤] والحِلْم ، إذْ لم يقتصِرْ صلى اللهُ عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عَفَا عنهم ، ثم أَشْفَق[٦] عليهم ورَحِمهم ، ودعا وشفَع لهم ، فقال : اغْفِرْ ، أو اهْدِ ، ثم أظهر سببَ الشفقةِ والرحمة بقوله : لقَوْمى[٧] ، ثم اعتذر عنهم بجَهْلِهم ، فقال : فإنهم لا يَعْلَمون .

ولما قال له الرجل[٨] : اعْدِلْ ، فإنَّ هذه قِسْمةٌ ما أُرِيد بها وَجْهُ الله ـ لم يزِدْهُ فى جوابه أن بَيَّنَ له ما جَهِلَه .

ووعظ نَفْسه، وذكَّرها[٩] بما قاله ، فقال : وَيْحك[١٠]! فمن يَعْدِلُ إنْ لم أعدل! خِبْتُ وخَسِرْتُ[١١] إن لم أعدل ! ونهى مَنْ أراد من أصحابه[١٢] قَتْلَه .

---

(١) لاتذر : لاتترك . ديارا : أحدا . (سورة نوح ، آية ٢٦) .
(٢) لهلـكنا من عند آخرنا : المراد لهلـكنا من أولنا إلى آخرنا ؛ أى جميعنا .
(٣) أدمى وجهك : جرح وجهك وسال منه الدم . (٤) هو المؤلف .
(٥) جماع الفضل : مايجمع كل فضل . (٦) أشفق عليهم : أبدى شفقته ورحمته لهم .
(٧) فإن الطبع البشرى يقتضى العطف والحنو على الأهل والأقارب بأى حال كانوا .
(٨) هو ذو الخويصرة التيمى ، وهو حرقوص بن زهير . وفى صحيح البخارى : هو عبد الله بن ذى الخويصرة التيمى . قال فى نسيم الرياض : الصواب أن والده هو القائل . وهو حديث صحيح رواه مسلم : ٧٣٩ ، وأبو داود : ٢ ـ ١٨٥ ، والبخارى : ٨-٤٧ وأخرجه البيهقى أيضا . (٩) أي عدل عن وعظ القائل إلى وعظ نفسه ؛ وهو نهاية الحلم .
(١٠) ويح : كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى . أو كلمة مدح وتعجب . فترحم له لما خالف رضاء الله تعالى عليه ، أو تعجب من صدور مثله من مسلم .
(١١) ضبطت التاء فى « خبت » ، و« خسرت » ـ بالضم والفتح ، فى ا ، ب ، وعلى كل منها فى النسختين « معا » . وفى هامش ا : الصواب بالفتح .
(١٢) عمر بن الخطاب هو الذى أراد قتله وقيل : خالد بن الوليد .

ولمّا تصدّى[١] له غَوْرَث بن الحارث ليَفتِكَ به[٢]، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُنْتَبِذٌ[٣] تحت شجرةٍ وحْدَه قائلا، والناسُ قائلون[٤]، في غَزَاةٍ، فلم يَنْتَبِهْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صَلْتاً[٥] في يده، فقال: مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟ فقال: الله. فسقَط السيفُ مِنْ يده، فأخذه النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقال: من يَمْنَعُكَ مني؟ قال: كُنْ خَيْرَ آخذٍ[٦]، فتركه وعفا عنه. فجاء إلى قومه فقال: جئتُكم مِنْ عند خَيْرِ[٧] الناسِ.

ومِنْ عظيم خَبَرِه في العَفْوِ عَفْوُه عن اليهودية[٨] التي سمّتْه في الشاة بعد اعترافها — على الصحيح من الرواية. وأنه لم يؤاخِذْ لَبيد بن الأعْصَم[٩] إذ سحره، وقد أُعلم به وأُوحى إليه بشَرْح أمره، ولا عتَب عليه فضلا عن معاقبته.

وكذلك لم يؤاخِذْ عبدَ الله بن[١٠] أبيّ وأشباهَه من المنافقين بعظيم ما نُقل عنهم في جهته قولا وفعلا؛ بل قال لمن أشار بقتل[١١] بعضهم: لا يُتحدَّثُ أن محمدا يقتل أصحابه.

---

(١) تصدى: تعرض.

(٢) هذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة.

(٣) منتبذ: جالس في ناحية منفرد.

(٤) قائلا: أي مستريحا في وقت القيلولة، وهي وسط النهار إذا اشتد الحر. والناس قائلون: أي كل منهم في قيلولة منفردا عن أصحابه.

(٥) صلتا: مسلولا مجردا من غمده.

(٦) خير آخذ: أي خير رجل أخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه، أي متصفا بالحلم والعفو والكرم.

(٧) صحيح مسلم: ١٧٨٦، والبخاري: ٥ — ١٤٧، ٤ — ٤٨

(٨) هي زينب بنت الحارث بن سلام، وحديثها في «أبو داود»: ٢ — ١٥٩

(٩) هو رجل من بني زريق، وهم بطن من الأنصار وحديث هذا السحر في البخاري: ٧—١٧٦

(١٠) كان رأس المنافقين.

(١١) هو عمر بن الخطاب.

وعن أنس رضيَ الله عنه[١] : كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه بُرْدٌ[٢] غليظ الحاشيةِ ، فجَبَذَه الأعرابى[٣] بردائه جَبْذَةً شديدة حتى أثّرت حاشيةُ البُرْدِ فى صفحة عاتِقِه[٤] ، ثم قال : يا محمد ، احمِلْ لى على بعيرىّ هذين مِنْ مالِ اللهِ الذى عندك ، فإنك[٥] لا تحمِلُ لى من مالكَ ومالِ أبيك .

فسكت النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : المالُ مالُ الله ، وأنا عَبْدُه[٦] ، ثم قال : ويُقَادُ[٧] منكَ يا أعرابىّ ما فعلتَ بى . قال : لا . قال : لِمَ ؟ قال : لأنكَ لا تُكافِئ بالسيئة السيئةَ .

فضحك النبىّ صلى اللهُ عليه وسلّم ؛ ثم أمر أن يُحْمَلَ له على بعير شعيرٌ ، وعلى الآخر تمرٌ .

قالت عائشةُ رضى الله عنهما : ما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منتصرا[٨] من مَظْلَمَة ظُلِمها قطُّ ما لم تكن حُرْمةً من محارم الله . وما ضرب بيدِه شيئا قطُّ إلا أن يُجاهِدَ فى سبيل الله . وما ضرب خادما قطُّ ولا امرأةً .

---

(١) قال السيوطى : هذا الحديث رواه الشيخان إلى قوله الآتى : من مال الله الذى عندك. قال : فضحك وأمر له بعطاء . وأخرجه بلفظ المصنف البيهقى فى الأدب من حديث أبى هريرة. وارجع إلى الحديث أيضا فى سنن النسائى : ٨ – ٣٠ ، وأبو داود : ٢ – ١٨٥

(٢) برد : كساء كانت العرب تلتحف به . والحاشية : جانب الثوب .

(٣) جبذه : جذبه . وفى ب : أعرابى .

(٤) صفحة عاتقه : الصفحة : الجانب . والعاتق : ما بين العنق والكتف .

(٥) لاتحمل لى : لا تعطينى .

(٦) وأنا عبده : أتصرف فى ماله بإذنه ، وأعطى من يأمرنى بإعطائه . وهذا ألطف رد.

(٧) يقاد منك : ويقتص منك ؛ والمراد تجازى على ترك أدبك .

(٨) منتصرا : منتقما وناصرا لنفسه على غيره .

وجىء إليه برجل[١]، فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: لن تُرَاعَ، لن تُرَاعَ[٢]، ولو أردتَ ذلك لم تسلَّطْ علىّ[٣].

وجاءه زيد بن سَعْنَة[٤] قبل إسلامه يتقاضاه دَيْنا عليه، فجَبَذَ ثوبَه عن مَنْكِبه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: إنكم، يا بنى عبد المطلب، مُطْلٌ[٥]، فانتهره[٦] عُمر، وشدَّد له فى القول، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم يبتسم.

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أنا وهُوَ كُنَّا إلى غير[٧] هذا أحْوج منك يا عمر، تأمرنى بحُسْنِ القضاء، وتأمره بحُسْن التقاضى[٨].

ثم قال: لقد بقِىَ من أجَله ثلاثٌ، وأمر عُمر يَقْضِيه[٩] مالَه ويزيده عشرين صاعا لما رَوَّعَه[١٠]؛ فكان سببَ إسلامه.

---

(١) قال السيوطى: هذا الحديث أخرجه أحمد، والطبرانى بسند صحيح؛ ولم يسميا الرجل.

(٢) لن تراع: أى لا تخف منى ولا من غيرى، وكرره ليطمئن قلبه. والروع: الخوف والفزع.

(٣) لم تسلط على: لأن الله عصمنى، فلن ينالنى ما أردته أنت ولا غيرك.

(٤) هو حبر من أحبار اليهود. وفى ب: سعنة، وسعية، وعليها «معا». وفى ا: سعنة، وفوقها «معا» أيضا. وفى هامشه: سعنة — بالنون، وكان من أحبار يهود، وبنو سعية — بالياء باثنتين: من أهل الكتاب أيضا.

وأسيد بن سعية منهم، رويت عنه المغازى، وهو من أسلم، وعنه يروى ابن إسحاق. ويقال فى زيد بن سعية — بالياء أيضا، والدارقطنى ذكره بالنون.

(٥) مطل: جمع ماطل، ومطول. والمطل: التطويل فى تأخير الحق، أو خاف الوعد فيه مرارا، والتسويف فى العدة والدين.

(٦) انتهره: زجره، والانتهار: الإغلاظ فى القول مع صياح.

(٧) إلى غير هذا: أى غير هذا المقال.

(٨) بحسن التقاضى: الطلب بلطف.

(٩) فى ب: يقضيه — بكسر الضاد، وبتشديده.

(١٠) لما روعه: أى لأجل ترويع عمر وتخويفه له.

وذلك أنه كان يقول[١] : ما بَقِيَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرَفْتُها في[٢] محمد إلا اثنتين لم أَخْبُرْهما[٣] : يسبقُ حِلْمُه جهله [٣٥] ، ولا تزيده شدّةُ الجهل إلا حِلْمًا . فاختبره[٤] بهذا ، فوجده كما وُصِف .

والحديثُ عن حِلْمه عليه السلام وصَبْرِه وعَفْوِه عند القدرة[٥] أكثَرُ من أن نأتي عليه ، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنَّفات الثابتة إلى ما بلغ متواترًا مبْلَغَ اليقين : مِنْ صبره على مُقَاساة[٦] قريش ، وأذَى الجاهلية[٧] ، ومُصابرته الشدائدَ الصعبةَ معهم إلى أن أظْفره[٨] اللهُ عليهم، وحكَّمه فيهم، وهم لا يشُكُّون في استئصال شأْفَتِهم[٩] ، وإبادة خَضْرائهم[١٠] ؛ فما زاد على أنْ عفا وصفح، وقال: ما تقولون[١١] أنّي فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خَيْراً ؛ أخٌ كريم ، وابنُ أخٍ كريم ، فقال : أقولُ كما قال أخي يوسف : ﴿ لا تَثْرِيبَ[١٢] عليكُمُ اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لكم وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمين ﴾ ، اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء[١٣] .

---

(١) كان يقول: الذى كان يقول هو يزيد بن سعنة اليهودى المتقدم . (٢) فى ب : من .
(٣) لم أخبرهما : لم أعرفهما . (٤) فى ب : فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف .
(٥) فى ب : المقدرة . (٦) مقاساة قريش : المقاساة : معالجة أمور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها ، وهذا فى أول بعثه .
(٧) وأذى الجاهلية : أى أذى أهل الجاهلية ، وهم الكفار . (٨) فى ب : أظهره .
(٩) استئصال شأفتهم : الاستئصال : قطع الشىء من أصله وإزالته بالكلية . والشأفة : قرحة تخرج فى أصل القدم فتكوى فتذهب . والمراد : إهلاكهم أجمعين .
(١٠) وإبادة خضرائهم : الإبادة : الإهلاك . والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم . والمراد هلاكهم جميعا، وتفريق جمعهم . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم فى حال تيقنوا هلاكهم بأسرهم بحيث لا يبقى منهم أحد . (١١) ما تقولون : ماتظنون .
(١٢) سورة يوسف، آية ٩٢ . والتثريب : التعيير والتوبيخ ؛ أى لا أوبخكم وأعيركم بما يخجلكم . أو لاعتب عليكم .
(١٣) الطلقاء : جمع طليق، وهو الأسير يطلق ويخلى سبيله . وقد قال النبى هذا القول لما فتح مكة . وارجع — فى ذلك — إلى سيرة ابن هشام : ٤ — ٣٢ إن أردت .

وقال أنس : هبط ثمانون رجلا من التَّنْعِيم (١) صلاةَ الصبح لِيَقْتُلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأُخِذوا ، فأعتقهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأنزل اللهُ تعالى(٢) : ﴿ وهو الذى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عنكم وأَيْدِيَكُم عنهم ببَطْنِ مكّةَ مِنْ بعدِ أنْ أَظْفَرَكم عليهم (٣) ، وكان اللهُ بما تعملونَ بَصِيرا ﴾ .

وقال لأبى سُفيان — وقد سِيقَ إليه بعد أن جلَبَ إليه الأحزابَ (٤) ، وقتل عمَّه وأصحابَه ومَثَّلَ بهم (٥) ؛ فعفا عنه ، ولاطَفَه فى القـــول : ويحَكَ يا أبا سفيان ! أَلَمْ يَأْنِ (٦) لك أنْ تعلمَ أنْ لا إله إلا الله : فقال : بأبى أنتَ وأمّى ! ما أحْلَمَكَ وأَوْصلك وأكرمكَ ؟

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبعدَ الناسِ(٧) غضَبا ، وأسْرعهم(٨) رِضاً ، صلى الله وسلّم .

---

(١) التنعيم : موضع على أربعة أميال من مكة ، وهو طرف الحرم من جهة المدينة .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٤

(٣) بطن مكة : الحديبية . أظفركم عليهم : أظهركم ونصركم عليهم .

قال السيوطى : وحديث أنس هذا رواه مسلم والترمذى وأبو داود .

(٤) جلب : ساق وجمع . الأحزاب : جمع حزب : الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ، وذلك فى غزوة الخندق .

(٥) مثل بهم : شوه خلقتهم بقطع الأطراف وشق البطن وإخراج القلب ونحوه . وكان قتل عمه فى أحد .

وقاتل حمزة هو وحشى بن حرب ، والتى مثلت به زوجة أبى سفيان هند ؛ ونسب هذا وذاك لأبى سفيان ؛ لأنه الباعث عليه والسبب لذلك القتال والمهيج له .

(٦) ألم يأن لك : ألم يدن وقت علمك ؟

(٧) أى غضبه بعيد لايكون منه إلا بعد أمور كثيرة ، بخلاف رضاه فإنه يرضى بأقل شىء .

(٨) فى ا : وأسرعه ، وعليها علامة الصحة . وفى الهامش أمامها : وأسرعهم ، وعليها علامة الصحة أيضا .

فصــــل

وأما الجودُ والكرمُ ، والسخاء والسَّماحةُ ـ فمعانيها متقاربة . وقد فرّق بعضُهم بينها بفروق ؛ فجعلوا الكَرَم الإنفاقَ بطيبِ النفس فيما يعظُم خَطَره[١] ونَفْعُه ، وسمّوه أيضا حُرِّية[٢] ، وهو ضدُّ النَّذَالة[٣] .

والسماحةُ : التَّجَافى[٤] عما يستحقُّه المرء عند غيره بطِيب نَفْس ، وهو ضدُّ الشَّكَاسَة[٥] .

والسخاء : سهولةُ الإنفاق ، وتجنُّبُ اكتسابِ ما لا يُحْمَد ، وهو الجود ، وهو ضدُّ التَّقْتِير[٦] .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يُوَازَى فى هذه الأخلاقِ الكريمةِ ، ولا يُبَارَى[٧] ، بهذا وصفَه كلُّ مَنْ عَرَفَه .

حدثنا القاضى الشهيد أبو على الصَّدَفى رحمه الله ، حدثنا القاضى أبو الوليدِ الباجىُّ ، حدثنا أبو ذَرّ الهَرَوِى ، حدثنا أبو الهيثم الكُشْمَيْهَنِى[٨] ، وأبو محمد السَّرْخَسِى ،

---

(١) يعظم خطره : خطره : قدره ووقعه .

(٢) فى نسيم الرياض (٢ – ٣٩) : أما تسمية الكرم حرية فلأن الحر خلاف العبد ؛ فالحرية الخلاص من منن الناس ، فإذا طوقهم مننه خلصت له الحرية ، لأن الإنسان عبد الإحسان .

(٣) النذالة : الخسة والحقارة ، وهى من لوازم البخل المقابل للكرم .

(٤) التجافى : التباعد والترفع .

(٥) الشكاسة : سوء الخلق . وقيل : البخل . وفى هامش ب : أى صعب الخلق .

(٦) التقتير : التضييق فى الإنفاق . قال الشهاب (٢ – ٤٠) : واعلم أن كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ، ولا أدرى من أين أخذه ؛ فالمعروف فى اللغة أن الجود ضد البخل . والتقتير : التضييق فى الإنفاق ، وهو ضد الإسراف والتبذير .

(٧) لايوازى : لايساوى ولا يقابل . ولا يبارى : لايعارض . والمعارضة : أن تفعل مثل ما يفعل .

(٨) هذا الضبط فى ا ، ب . وضبطه اللباب ، والشهاب (٢ – ٤٠) بكسر الميم .

وأبو إسحاق البَلْخي ؛ قالوا : حدثنا أبو عبد الله الْفِرَبْرِي ؛ قال : حدثنا البُخَارِي، قال : حدثنا محمد بن كَثِير ، حدثنا سفيان ، عن ابن المُنْكَدِر، سمعتُ جابر بن عبد الله، يقول : ما سُئل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن شيء[1] فقال : لا[2] .

وعن أنس ، وسَهْل بن سعد مثلُه .

وقال ابنُ عباس : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس بالخير[3] ، وأجودُ ما كان[4] في شَهْرِ رمضان ، وكان إذا لَقِيَه جبريلُ عليه السلام أجودَ بالخير من الرِّيحِ[5] المُرْسَلة .

وعن أنس أنَّ رجلا[6] سأله فأعطاه غَنَما بين جَبَلَيْن[7] ، فرجع إلى بلده[8] ، وقال : أَسْلِموا ؛ فإنَّ محمدا يُعْطِي عطاءَ مَنْ لا يَخْشَى فاقَةً[9] . وأعطى غَيْرَ واحد[10]

---

(١) عليها علامة الصحة في ا ، وفي هامشه : شيئا وعليها « صح » ، و « معا » . وفي هامش ب : قال المزى : المعروف شيئا .

(٢) صحيح مسلم : ١٨٠٥ ، وفيه : شيئا .

(٣) بالخير : أي بما فيه نفع للناس .

(٤) في ب : ما يكون . وفي هامشه : ما كان . وفي هامش ب : أجود بالرفع ، بل يتعين، وليس للنصب وجه مستقيم ، ذكره ابن الحاجب رحمه الله .

(٥) إرسال الرياح : إطلاقها بإذن الله . والحديث في صحيح مسلم : ١٨٠٣ ، قال : المراد كالريح في إسراعها وعمومها .

(٦) هو صفوان بن أمية الجمحى .

(٧) بين جبلين : مالئة واديا بين جبلين . والمراد أنها كثيرة ، كأنها تملأ ما بين جبلين ، والحديث في صحيح مسلم : ١٨٠٦

(٨) إلى بلده : مكة .

(٩) فاقة : فقرا .

(١٠) ممن أعطاهم النبي مائة ناس كثير، منهم أبو سفيان ،وابنه معاوية، والحارث بن هشام، وقيل : إنهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم .

مائةً من الإبل. وأعطى صفوانَ مائةً ثم مائةً ثم مائةً. وهذه كانت حالُه[١] صلى الله عليه وسلم قبل أَنْ يُبْعث.

وقد قال له وَرَقَةُ بن نَوْفل[٢] : إنك تحملُ الكَلَّ وتَكْسِبُ المعدومَ.

وردَّ على هَوَازن سَبَايَاها، وكانوا ستةَ آلاف.

وأعطى العباسَ من الذهب ما لم يُطِقْ حَمْلَه.

وحُمِلَ إليه تسعون ألفَ درهمٍ، فوُضعت على حَصير، ثم قام إليها يَقْسِمُها، فما ردَّ سائلا حتى فرغَ منها.

وجاءه رجلٌ، فسأله، فقال: ما عندى شىء، ولكن ابْتَعْ[٣] علىَّ، فإذا [٣٦] جاءنا شىء قَضَيْنَاه...

فقال له عُمر: ما كَلَّفَكَ اللهُ ما لا تَقْدِر عليه.

فكرِهَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذلك. فقال رجل من الأنصار: يارسولَ الله؛ أَنْفِقْ ولا تَخَفْ من ذِى العرش إقْلالا[٤] :

فتبسَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وعُرِف البِشْرُ فى وجهه، وقال: بهذا[٥] أُمرت، ذَكره الترمذى[٦].

وذُكِرَ عن مُعَوِّذ ابن[٧] عَفْراء، قال: أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بقِنَاع

---

(١) فى ب: خلقه، وعليها علامة الصحة.

(٢) هذا بعض من حديث فى صحيح مسلم: ١٤١. والكل: الإعياء والثقل.

(٣) ابتع: اشتر، واستلف مقدار ما تختاره حوالة على. والمراد اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علىَّ وفى ذمتى.

(٤) الإقلال: الفقر. وذو العرش: هو الله تعالى.

(٥) بهذا أمرت: أى بالإنفاق من غير مخافة فقر.

(٦) ذكره الترمذى فى شمائله.

(٧) فى هامش ب: صوابه الربيع بنت... وفى نسيم الرياض (٢ — ٤٨): قال السيوطى: ذكر هذا الحديث الترمذى فى الشمائل، والطبرانى، عن الربيع بنت معوذ، وسنده حسن.

من رُطب – يريد طَبَقا ، وأَجْرِ زُغْب [١] – يريد قِثّاء ، فأعطانى مِلْء كفه حَلْياً وذَهبا .

وقال أنس[٢] : كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم لا يدّخِرُ شيئا لغَدٍ .

والخبَرُ بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير .

وعن أبى هُريرة : أتى رجلٌ النبىَّ صلى الله عليه وسلم يسألُه ، فاستَسْلَف[٣] له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم نِصْفَ وَسْقٍ[٤] ، فجاء الرجلُ يتقاضاه ، فأعطاه وَسْقاً، وقال[٥] : نِصْفُه قَضَاءٌ ونِصْفُه نائل[٦] .

فصـــــل

وأما الشجاعةُ والنجـــدةُ فالشجاعةُ فَضيلةُ قوةِ[٧] الغضبِ وانقيادِها للعَقْل ،

(١) وأجر : قثاء صغار . والزغب : جمع أزغب ؛ أى ذوات زغب ، أى صغار الريش والشعر ؛ فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد: ٤–٥٨٠، وقال: قال أبوعيسى: هذا حديث غريب. وقد روى هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا .

(٣) السلف والقرض بمعنى . (٤) الوسق : ستون صاعا .

(٥) القائل هو الرسول . (٦) نائل : عطاء .

(٧) فى نسيم الرياض (٢ – ٥٠) : هذا معنى ما قاله الحكماء فى علم الأخلاق : إن الله تعالى ركب فى الإنسان قوة هى مبدأ الإقدام على الأهوال والمهالك لتصوره أن من خاطر بالنفس ربما يهلك النفس ، وأنه لا يغنى حذر من قدر ، وهى القوة الغضبية الشنيعة . والشجاعة : انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ؛ ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا ؛ وإفراطها التهور وهو الإقدام حيث لا ينبغى ؛ وتفريطها الجبن. وبهذا عرفت معنى الشجاعة .

والجراءة أعم منها . وفسرها ابن القوطية بالإقدام ؛ وهو تفسير لفظى بالأعم .

والنَّجْدَةُ[١] : ثقةُ النفس عند استرسالها[٢] إلى الموت حيث يُحْمَدُ فعلُها دونَ خوف .

وكان صلى اللهُ عليه وسلم منهما [٣] بالمكان الذى لا يُجْهَل ؛ قد حضر المواقفَ الصعبةَ[٤] ، وفرَّ الكُمَاةُ[٥] والأبطالُ عنه غَيْرَ مرّة ، وهو ثابتٌ لا يَبْرَح ، ومُقْبِل لا يُدْبِر ولا يتزحزح[٦] . وما شجاعٌ إلّا وقد أُحْصِيت له فَرَّةٌ ، وحُفِظَت عنه جَوْلة[٧] ، سِوَاه .

حدثنا أبو على الجَيَّانى[٨] فيما كتب لى[٩] ؛ قال : حدثنا القاضى سِراج ، حدثنا أبو محمد الأَصيلى ، قال : حدثنا أبو زَيْد الفقيه ، حدثنا محمدُ بن يوسف ، حدثنا محمدُ ابن إسماعيل ، حدثنا ابن بشّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شُعْبة ، عن أبى إسحاق : سَمِعَ البَرَاءَ وسأله رجلٌ[١٠] : أفررْتُم يوم حُنَين عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكِنْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يَفِرّ .

---

(١) النجدة : شدة البأس .

(٢) استرسالها : انطلاقها ؛ أى إن الشجاعة جراءة وإقدام يخوض به المهالك ، والنجدة : ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه ، حتى يقضى الله له بإحدى الحسنيين : الظفر ، أو الشهادة ؛ فيحيا سعيدا أو يموت شهيدا .

(٣) منهما : أى من الشجاعة والنجدة . (٤) المواقف الصعبة : مواضع القتال الشديدة .

(٥) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع . (٦) لا يتزحزح : لا يزول عن مقره .

(٧) الجولة : المرة من الجولان فى المكان ، وقيل الانكشاف والزوال عن الموقف .

(٨) هذا الضبط فى نسيم الرياض (٢ — ٥٢) . وقال : هو الإمام الحافظ أبو على الغسانى الجيانى — بفتح الجيم وتشديد التحتيانية ثم ألف ونون وياء : نسبة لبلدة جيان .

وقال القارى فى شرحه (١ — ٢٥٤) : حدثنا أبو على الحيانى — بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية وفى آخره نون ثم ياء النسبة ، وهو الحافظ الغسانى . وقيل بكسر الجيم ، والظاهر أنه تصحيف . (٩) فى ب : فيما كتب إلى .

(١٠) هذا الحديث فى صحيح البخارى (٤ — ٣٩) ، ورواه مسلم فى المغازى (١٤٠١) ، والترمذى فى سننه : ١٩٩

ثم قال : لقد رأيتُه على بَغْلته البيضاء وأبو سفيان [١] آخذٌ بلجامها ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبيُّ لا كَذِبْ ، وزاد غيره : أنا ابْنُ عبدالمطلّبْ [٢] .

قيل : فما رُئي يومئذ أحدٌ كان أشدَّ منه .

وقال غَيْرُه [٣] : نزل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن بغلته .

وذكر مسلم ـ عن العباس ، قال [٤] : فلما الْتقَى المسلمون والكفّار وَلَّى المسلمون مُدْبِرين ، فطفِقَ [٥] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركضُ بَغْلَته [٦] نحو الكفار ، وأنا آخِذٌ بلجامها أكُفُّها [٧] إرادةَ ألّا تُسْرِع ، وأبو سفيان آخِذٌ بركابه ، ثم نادى : يا لَلْمُسلمين [٨] . . . . . الحديث .

---

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي ، وأخوه من الرضاع .

(٢) هذا الضبط في ب ، ومسلم ، والترمذي . وفي ا ـ بكسر الباء . قال القاري (١ـ٢٥٦) : هو بسكون الباء ، مع أنها في أصل الإعراب بالجر . ومن قرأه بالكسر أراد إخراجه من وزن الشعر .

(٣) أي غير البخاري ، ففي رواية مسلم رواه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ؛ قال : لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل بها وجوههم ، وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا ، وهزمهم الله .

ولا شك أن النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى .

(٤) صحيح مسلم : ١٣٩٨

(٥) طفق : جعل ، وشرع .

(٦) يركض بغلته : يسوقها ويسرع بها ، ويضربها برجله لتسرع . وفي صحيح مسلم : قبل الكفار .

(٧) أكفها : أمنعها من السرعة .

(٨) قال في نسيم الرياض (٢ ـ ٥٧) : وهذا الحديث نقله المصنف عن مسلم بالمعنى .

وقيل : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غضِب ـ ولا يَغْضَبُ إلا لله ـ لم يَقُمْ لغَضَبِه شىء[(١)] .

وقال ابنُ عمر : ما رأيتُ أَشْجع ، ولا أَنْجَد ، ولا أَجْود ، ولا أَرْضى [(٢)] ، [ولا أَفْضَل] [(٣)] مِن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم .

وقال علىٌّ رضى الله عنه : إنّا كنّا إذا حَمِى البَأْس[(٤)] ـ ويروى : اشتدّ البأس ـ واحمرَّت الحدَقُ[(٥)] اتَّقَينا برسول اللهِ[(٦)] ؛ فما يكون أحدٌ أَقْرَبَ إلى العدوّ منه ، ولقد رأيتُنى يوم بَدْرٍ ونحن نَلُوذُ[(٧)] بالنبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، وهو أَقْرَبُنَا إلى العدو ، وكان من أشدّ الناسِ يومئذ بَأْسا .

وقيل : كان الشجاعُ[(٨)] هُو الذى يَقْرُبُ منه صلى الله عليه وسلم إذا دَنا العدوُّ ، لِقُرْبه منه[(٩)] .

---

(١) فى هذا إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة أحيانا ،ولكن ذلك كان غيرة على حدود الله لا لنفسه .

ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة أن الغضب مقتض للبطش والإقدام ، وهو من نمطها .

وهذا بعض من حديث صحيح فى شمائل الترمذى .

(٢) ولا أرضى : ولا أكثر رضا منه . (٣) من ب .

(٤) حمى البأس : المراد اشتد القتال . وفى صحيح مسلم : ١٤٠١ : احمر البأس .

(٥) الحدق: جمع حدقة ، وهى ما تحت الأجفان . واحمرارها يكون عند الغضب . والمراد: اشتد القتال ودام مدة .

(٦) اتقينا برسول الله : جعلناه وقاية لنا من العدو ، بأن يتقدم علينا ، فيدفع العدو ونحن خلفه .

(٧) نلوذ : نستتر ونلتجىء إليه .

(٨) هذا الضبط فى ب . وفى ا ضبطت العين بالفتحة .

(٩) أى لقرب النبى من العدو .

وعن أنس(١) : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناسِ ، وأجودَ الناسِ ، وأشجعَ الناسِ ؛ لقد فزِعَ أهلُ المدينة ليلةً ، فانطلق ناسٌ قِبَل(٢) الصوت ، فتلقّاهم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم راجعاً ، قد سبقهم إلى الصوتِ ، واستبرأ الخبَرَ(٣) على فرَسٍ لأبي طَلْحة عُرْيٍ(٤) ، والسيفُ [٣٧] في عُنقه ، وهو يقول : لن تُرَاعُوا(٥).

وقال عِمْران بن حُصين : ما لَقِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كَتِيبةً(٦) إلّا كان أوّلَ من يَضْرِب .

ولما رآه أُبَيُّ بن خَلَف يوم أُحُد وهو يقول : أين محمد ، لا نَجَوْتُ إن نَجَا(٧) .

وقد كان يقولُ(٨) للنبيّ صلى الله عليه وسلم - حين افتَدَى(٩) يومَ بَدْر : عندي فرسٌ أعلِفُها كلَّ يوم فَرَقاً من(١٠) ذُرَةٍ أَقْتُلكَ عليها .

فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلكَ إن شاء الله .

فلما رآه يوم أُحُد شدّ(١١) أُبيّ على فرسه على رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فاعترضه رجالٌ من المسلمين ، فقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : هكذا(١٢) ، أي خَلُّوا

---

(١) الحديث في صحيح البخاري : ٨ - ١٦ ، وسنن ابن ماجه : ٩٢٦

(٢) قبل الصوت : جهته ونحوه . (٣) استبرأ الخبر : وقف على حقيقته .

(٤) عرى : ليس على ظهره شيء ، من سرج أو غيره .

(٥) لن تراعوا : الروع : الخوف ؛ أي ليس هناك شيء تخافونه .

(٦) كتيبة : جماعة عظيمة من الجيش .

(٧) دعاء على نفسه بالهلاك إن نجا النبي .

وارجع في هذه الحادثة إلى المغازي للواقدي : ٢٥١ ، وسيرة ابن هشام : ٣ - ٣٢

(٨) القائل هو أبي بن خلف .

(٩) افتدى : أي افتدى آسيرا له ، وهو ابنه عبد الله . والافتداء : إعطاء الفدية لافتكاك الأسير . (١٠) الفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلا (النهاية) .

(١١) شد : عدا وأسرع . (١٢) هكذا : اتركوا سبيله .

طريقه ؛ وتناول الحَرْبَةَ من الحارث بن الصِّمَّة ، فانتفض بها انتفاضةً تطايَرُوا عنه تطايُرَ الشَّعْرَاء عن ظَهْر البعير إذا انتفض[١] ، ثم استقبله النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فطعنه فى عُنقه طعنةً تَدَأْدَأَ منها[٢] عن فَرَسِه مِرَاراً .

وقيل : بل كسر ضِلَعًا من أضلاعه ، فرجع إلى قريش يقول : قتلنى محمد ، وهم يقولون : لا بَأْسَ بكَ . فقال : لو كان[٣] ما بى بجميع الناس لقتلهم ، أليس قد قال : أنا أقتلُكَ ، والله لو بصَقَ علىّ لقتلنى . فمات بسَرَف فى قفولهم إلى مكّة[٤] .

فصـــل

وأما الحَياء والإغْضاء : فالحياء[٥] رِقّةٌ تَعْتَرِى وجْهَ الإنسان عنـــد فِعْل ما يُتَوقَّعُ كراهتُه[٦] ، أو ما يكونُ تَرْكُه خيرا من فِعْله .

والإغضاء : التغافل[٧] عما يَكْرَه الإنسانُ بطبيعته .

وكان النبىُّ صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناس حيـــاء ، وأكثرهم عن العَوْرَاتِ إغضاء[٨] ؛ قال اللهُ سبحانه[٩] : ﴿ إنَّ ذلِـكُمْ كان يُؤْذِى النبىَّ فيَسْتَحْيِي منـكم ، والله لا يَسْتَحْيِي من الحقّ . . . ﴾ الآية .

---

(١) انتفض بها انتفاضة : قام بها قومة سريعة . تطايروا : تفرقوا فارين مسرعين . والشعراء : ذبابة لها إبرة (هامش ا ، ب) . وفى المغازى : تطاير الشعارير ، والشعارير : جمع الشعراء . قال ابن هشام : الشعراء : ذباب صغير له لدغ . وفى النهاية : فى الحديث : تطاير الشعر – بضم الشين وسكون العين ، وهو جمع الشعراء . وروى : الشعارير ، وقياس واحده شعرور .

(٢) تدأدأ : تدحرج ، وسقط ، ومال . وقال ابن هشام : تدأدأ : يقول تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج .

(٣) فى المغازى : لوكان الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون .

(٤) سرف : اسم جبل قريب من مكة . قفولهم : رجوع الكفار إلى مكة .

(٥) فى ا : والحياء .

(٦) مايتوقع كراهته : المراد ما من شأنه أن يكره .

(٧) التغافل : المراد التجاوز .

(٨) العورات : كل ما يقبح إظهاره ، وهو جمع عورة . إغضاء : سكوتا وتجاوزا .

(٩) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

حدثنا أبو محمد بن عتّاب ، بقراءتى عليه ؛ قال: حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسَن القابسىّ ، حدثنا أبو زَيْد المَرْوَزى ، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عَبْدان ، حدثنا عَبْدُ الله [مولى أنس](١)، حدثنا شُعبة ، عن قَتَادة ، سمعتُ عَبْد الله مولى أنس ، يحدِّثُ عن أبى سعيد الخُدْرى رضِىَ الله عنه : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياء من العَذْراء فى خِدْرِها(٢) . وكان إذا كَرِه شيئا عرَفْناهُ فى وَجْهه .

وكان صلى الله عليه وسلم لطيفَ البَشَرة(٣) ، رقيقَ الظاهر(٤) ، لا يشافِه(٥) أحداً بما يكرهُه حياء وكَرم نَفْس .

وعن عائشةَ رضى الله عنها : كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحَدٍ ما يكرهُه لم يقُلْ : ما بالُ(٦) فلان يقول كذا ؟ ولكن يقول: ما بالُ أقوام يصنعون، أو يقولون(٧) كذا ! يَنْهَى عنه ، ولا يُسمِّى فاعِلَه(٨) .

ورَوَى أنَس أنه دخل عليه رجُلٌ به أثَر صُفْرة(٩) ، فلم يقُلْ له شيئـــا — وكان

(١) من ب .

(٢) الخدر : البيت أو الستر فى جانب البيت ، أو قبة تضرب لها . والحديث فى ابن ماجه :١٣٩٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠٩ ، والبخارى : ٨ — ٣٥

(٣) البشرة : ظاهر جلد الوجه والجسد كله .

(٤) الظاهر : مايظهر من بدنه رقيق ، يظهر فيه بسرعه آثار الانفعالات النفسية .

(٥) لايشافه أحدا : لايكلم أحدا ولا يواجهه .

(٦) البال : هو الحال والشأن .

(٧) إشارة وكناية عما يكره ، فلا يعين الصانع أو القائل .

(٨) ولا يسمى فاعله: أى يصرح اسمه، بل يكنى عنه. ونهيه عما أنكره مأخوذ من الاستفهام الإنكارى ، وسياق الكلام فى قوله : مابال فلان . والحديث فى سنن أبى داود : ٢ — ١٨٦

(٩) المراد بالصفرة لون الورس والزعفران ،يعنى أنه كان خضب بذلك فبقى عليه بقيةمنها.

لا يواجِهُ أحدا بما يكره ـ فلما خرج قال : لو قلتُم له : يغسِلُ هذا[١] ـ ويُروى : يَنزَعُها[٢] .

قالت عائشة فى الصحيح[٣] : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا مُتفَحِّشا[٤] ، ولا سَخَّابا بالأسواق[٥] ، ولا يَجْزِى بالسيئة السيئَة ، ولكن يعفو ويصفحُ .

وقد حُكِىَ مثلُ هذا الكلام[٦] عن التوراة ، ومن رواية [عبدالله][٧] بن سَلَام ، وعبد الله بن عَمْرو بن العاص .

ورُوى عنه أنه كان من حَيَائه لا يُثْبِتُ بصرَه فى وَجْهِ أحد ، وأنه كان يَكْنِى عما اضطره الكلامُ إليه مما يُكْرَه .

وعن عائشة : ما رأيتُ فَرْج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .

فصـــل

وأما حُسْنُ عشرتِه وأدبُه وبَسْطُ خلْقِه[٨] صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخَلْقِ فبحيثُ انتشرت[٩] به الأخبارُ الصحيحة .

---

(١) هذا : أى أثر الصفرة والخضاب .

(٢) ينزعها : يزيلها . والشك من الراوى . والحديث فى سنن أبى داود : ٢ — ١٨٦

(٣) فى الحديث الصحيح المروى عنها، كما أخرجه البخارى : ٨ — ١٥ ، والترمذى : ٤ — ٣٤٩

(٤) الفحش : كل أمر قبيح ، أو شديد القبح قولا وفعلا ، والفاحش : من يصدر ذلك عنه . والمتفحش : من يتعمده ويبالغ فيه ؛ والظاهر أن المراد به بذاءة اللسان هنا .

(٥) صخاب : من الصخب ، وهو رفع الصوت بمبالغة فيه ؛ وخص الأسواق ، لأنه فيها أقبح ، ولأنها محله ، وأما فى المنزل ونحوه فلا حاجة إليه . وهو بالسين ، والصاد .

(٦) مثل هذا : الذى قالته عائشة . (٧) من ب .

(٨) بسط خلقه : المراد سعة خلقه . وقد ضبطت الطاء بالضمة والكسرة وعليها «معا» فى ا .

(٩) انتشرت : كثرت واشتهرت .

قال عليّ رضى الله عنه [٣٨] فى وَصْفِهِ عليه الصلاة والسلام : كان أوسعَ الناسِ صَدْرا ، وأصدقَ الناسِ لَهْجَةً ، وأَلْيَنَهم عَرِيكةً ، وأكرمهم عِشْرة[١] .

حدثنا أبو الحَسن على بن مُشَرِّق[٢] الأَنماطى فيما أجازَنيه ، وقرأته على غيره ، قال : حدثنا أبو إسحاق الحبَّال ، حدثنا أبو محمد بن النحاس ، حدثنا ابنُ الأعرابى ، حدثنا أبو دَاود ، حدثنا هشام أبو مَرْوَان ، ومحمد بن المثنى : قالا : حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا الأَوزَاعى ، سمعت يحيى بن أبى كثير يقول : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن أَسْعد بن زُرَارَة ، عن قَيْس بن سعد ، قال : زارَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وذكر قصةً فى آخرها[٣] : فلما أراد الانصرافَ قرَّبَ له سعدٌ حماراً ، وَطَّأَ عليه[٤] بقَطِيفة ، فركب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال سَعْد : يا قيس ؛ اصحَبْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قال قيس : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اركَبْ ، فأَبَيْتُ . فقال : إمّا أَنْ تركبَ وإما أَنْ تنصرفَ . فانصرفتُ .

---

(١) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم. واللهجة: المراد الكلام . أصل العريكة : السنام ، والمراد أنه أسهل الناس طبعا ، وأنه سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لاتهور فيه . وفى ا : أجود ، وعليها علامة الصحة . وفى هامشه : أوسع ، وعليها «صح» أيضا . (٢) هذا الضبط فى ا ، ب . وهو بالفاء فى ميزان الاعتدال: ٣-١٥٦

(٣) هى ما وقع له مع عبدالله بن أبى بن سلول؛ إذ مر به وهو جالس مع أخلاط المسلمين وغيرهم ، فغشى المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم ، فخمر ابن سلول أنفه بردائه ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتغبروا علينا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه ؛ فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا أن يتواثبوا ، فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضى الله عنه ، وذكر ذلك له ، فقال له : يارسول الله؛ اعف عنه واصفح ، فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه ، فلما رد الله ذلك بالحق الذى جئت به شرق بذلك ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... (نسيم الرياض : ٢-٧١)

(٤) وطأ عليه بقطيفة : القطيفة : كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار ليركب عليه.

[وفى رواية أخرى : اركَبْ أمامى ، فصاحبُ الدابّةِ أولى بمُقدَّمِها][1] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلّفهم ، ولا يُنفّرُهم[2] ، ويُكْرِم كريمَ كلّ قوم ويُولّيه عليهم ، ويُحَذِّر[3] الناسَ ، ويحترسُ منهم من غير أن يطْوِىَ عن أحدٍ منهم بِشْرَه[4] ولا خُلُقَه ؛ يتفقّدُ أصحابَه[5] ، ويعطى كلَّ جلسائه نَصيبَه ، لا يَحْسَبُ جليسُه أنّ أحدا أكرمُ عليه منه . مَنْ جالسه أو قاربَه لحاجةٍ صابَرَه[6] حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومَنْ سأله حاجةً لم يَرُدّه إلا بها ، أو بمَيْسورٍ[7] من القول ؛ قد وسِعَ الناسَ بَسْطُه[8] وخُلُقه ، فصار لهم أبًا ، وصاروا عنده فى الحقّ سواء .

بهذا وصفَه ابنُ أبى هَالَة ؛ قال : وكان دائمَ البِشْر[9] ، سَهْل الخُلُق ، ليِّنَ الجانب ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ[10] ، ولا سَخّاب ، ولا فَحّاش[11] ولا عَيّابٍ ، ولا مدّاح ، يتغافَلُ عمّا لا يشتهى ولا يُؤْيِسُ منه[12] .

---

(١) ما بين القوسين كتب عليه فى ا ، ب : من غير الرواية .

(٢) يؤلفهم : يؤلف المسلمين بإيناسهم ومداراتهم ليزداد إيمان من كان قريب عهد بالإسلام، وليحس من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد إليه .

ولا ينفرهم : أى لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم .

(٣) فى ا : ويحذر — بتشديد الذال . وفى ا : يحذر — بفتح الياء والذال .

(٤) بشره : بشاشته .

(٥) يتفقد أصحابه : أى من فقده من أصحابه يسأل عنه أو يزوره ، أو يرسل إليه من يتعهده .

(٦) صابره : أى صبر على سؤاله وعلى ذكر حوائجه .

(٧) بميسور من القول: كوعده ، أو تسليته . (٨) بسطه: سرور ظاهره ، وطيب باطنه .

(٩) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، لا يعبس فى وجه أحد . وابن أبى هالة : هو هند ربيبه من خديجة . (١٠) الفظ : الكريه الخلق . والغلظ : ضد الرقة .

(١١) صخاب — بالصاد والسين : كثير الصياح . فحاش : ذا فحش فى قوله أو فعله .

(١٢) لا يؤيس منه : لا ييأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه .

وقال الله تعالى[1] : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم ولو كُنْتَ فَظًّا غليظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا[2] من حَوْلِكَ ﴾ .

وقال تعالى[3] : ﴿ ادْفَعْ بالتي هي أَحسنُ السيئةَ ، نحن أعلم بما يَصِفُونَ ﴾ .

وكان يُجيب مَنْ دَعاه ، ويقبلُ الهدّية ولو كانت كُرَاعا[4] ويُكافِئ عليها[5] .

قال أنس : خدمْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عَشْر سنين ، فما قال لى أفٍّ قَطُّ[6] ، وما قال لشيء صنَعْتُهُ : لم صنَعْتَه ؟ ولا لشيء تركْتُهُ : لم تركْتَه[7] ؟

وعن عائشة رضى الله عنها : ما كان أحدٌ أحسنَ خُلُقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا أهلِ بيته إلّا قال : لَبَّيْك[8] .

وقال جَرِير بن عبد الله : ما حجبنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمتُ، ولا رآنى إلّا تبسَّم .

وكان يمازِحُ أصحابَه ، ويُخَالِطهم ويحادثهم ، ويُداعِبُ[9] صِبْيانهم ، ويُجْلِسهم فى حِجْرِه[10] ، ويجيب دعوةَ الحرِّ والعبدِ والأَمةِ والمسكين ، ويعودُ المرضى فى أقصى[11] المدينة ، ويقبلُ عُذْرَ المعتذر .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩

(٢) انفضوا : تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ، ولكنك بلين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٩٦

(٤) كراعا : الكراع : ماتحت الركبة إلى الخف والحافر والظلف . وفى هامش ب : الكراع — من الدواب : مادون الكعب . والمراد أنه يقبل الهدية ولو كانت حقيرة .

(٥) ويكافئ عليها : يجازى على الهدية بشىء مثلها أو أكثر .

(٦) أف : كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه . وفى مسلم : أفا .

(٧) الحديث فى صحيح مسلم (١٨٠٤) ، وأبو داود : ٢ — ١٨٥

(٨) لبيك : كلمة يجاب بها المنادى . والحديث رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة بسند واه .

(٩) المداعبة : الممازحة مع لعب .

(١٠) هذا فى ب . وفى ا : حجزه — بضم الحاء ، والزاى . وحجر الإنسان — بالفتح والكسر : حضنه وثوبه (اللسان — حجر) . والحجز : الناحية .

(١١) فى أقصى المدينة : فى أبعد مكان منها .

قال أنس : ما الْتَقَمَ أحدٌ[١] أُذُنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فينَحِّي رأسَه حتى يكون الرجلُ هو الذى يُنَحِّى[٢] رأسَه ، وما أخذ أحدٌ بيده فيرسِل[٣] يده حتى يُرْسِلَها الآخر[٤] ؛ ولم يُرَ مُقَدِّما رُكْبتيه بين يدَىْ جَلِيسٍ[٥] له .

وكان يبدأ مَنْ لَقِيَه بالسلام ، ويبدأ أصحابَه بالمُصافحة ، ولم يُرَ قطُّ مادًّا رجليه بين أصحابه حتى يُضَيِّقَ بهما على أحد . يكرم من يدخلُ عليه ، وربما بسطَ له ثَوْبَه ، ويُؤْثِرُه[٦] بالوسادة التى تحته ، ويَعْزِمُ عليه فى الجلوس عليها إنْ أَبَى ، ويُكَنِّى أصحابَه[٧] ، ويدعوهم بأَحَبِّ أسمائهم تكرمةً لهم ، ولا يقطَعُ على أحد حديثَه حتى يتجوّز[٨] فيقطعه بنَهْيٍ أو قيام — ويروى : بانتهاء أو قيام .

ويروى أنه كان [٣٩] لا يجلسُ إليه أحدٌ وهو يصلِّى إلّا خففَ صلاتَه ، وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد إلى صلاته .

وكان أكْثَرَ النـــاسِ تبسُّما ، وأطيبَهم نَفْسا ، ما لم ينزل عليه قرآنٌ أو يَعِظْ أو يخطبْ[٩] .

---

(١) ما التقم أحد أذن رسول الله : ما جعل أحد أذنه محاذية لفمه فتحاذيه ، والمراد ما حدثه أحد عند أذنه . والحديث فى سنن أبى داود : ١٨٧

(٢) ينحى رأسه : أى يبعدها ويجعلها فى ناحية منه .

(٣) فيرسل يده : أى يطلقها ويفكها من يده .

(٤) عليها علامة الصحة فى ا ، ب . وفى هامشها : الآخذ .

(٥) ولم ير مقدما ركبتيه: المراد أنه يخفض ركبتيه تعظيما لجلسائه . وقيل المراد بالركبتين الرجلين؛أى كان لايمد رجليه بين أصحابه ؛ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان يساوى جليسه ، ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجيء فلا يعرفه ويسأل عنه .

(٦) ويؤثره ، الإيثار : تقديم غيره على نفسه فى بعض الأمور ؛ أى يفضل غيره .

(٧) يكنى أصحابه : يضع لهم كنية ،كأبى فلان ، أو يدعوهم بالكنية تكريما لهم .

(٨) حتى يتجوز : حتى يكثر فيتجاوز الحد . أو يخرج إلى ما لا يليق .

(٩) هذا الضبط فى ا . وفى ب ضبطت الظاء فى « يعظ » والباء فى « يخطب » بالضم .

قال عبدُ الله بن الحارث : ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس[١] : كان خَدَمُ المدينةِ يأتون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى الغَدَاة[٢] بآنيَتهم فيها الماء ، فما يُؤتَى بآنية إلا غَمس يدَه فيها ، وربما كان ذلك في الغَدَاة[٣] الباردة - يريدون به التَّبَرُّكَ[٤] .

فصـــــل

وأما الشفقةُ والرأفةُ والرحمةُ لجميع الخلْق[٥] فقد قال الله تعالى فيه[٦] : ﴿ عَزِيزٌ عليه ماعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رَحِيم ﴾[٧] .

وقال تعالى[٨] : ﴿ وما أرسلْنَاكَ إلا رحمةً للعالمين ﴾ .

قال بعضُهم : من فَضْلِه عليه السلام أنَّ الله تعالى أعطاه اسْمَيْنِ من أسمائه ، فقال : « بالمؤمنين رءوفٌ رَحِيم » .

وحكَى[٩] نحوه الإمام أبو بكر بن فُورَك . حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخُشَنِي بقراءتي عليه ، حدثنا إمام الحرَمَيْنِ[١٠] أبو على الطَّبَري ، حدثنا عبدُ الغافر

---

(١) صحيح مسلم : ١٨١٢ (٢) الغداة : صلاة الصبح .

(٣) الغداة : أول النهار .

(٤) بعده في ب : صلى الله عليه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

(٥) قال في نسيم الرياض (٢ - ٨٢) : الفرق بين هذه الثلاثة أن الشفقة رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه . والرأفة : التلطف بمن يريد إكرامه بالبشر والإيناس ، وليست أشد من الرحمة كما توهمه بعضهم .

(٦) سورة التوبة ، آية ١٢٨

(٧) ما عنتم : العنت : المشقة ؛ أي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٩) في ب : قال : حدثنا نحوه . . .

(١٠) في ب : إمام الحرمين حدثنا أبو على الطبري .

الفارسى ، حدثنا أبو أحمـــد الجُلُودِى ، حدثنا إبراهيم بن سفيان ، حدثنا مسلم ابن الحجاج ، حدثنا أبو الطاهر ، أنبأنا يونس ، عن ابن شِهَاب ، قال : غزَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوةً ، وذكر حُنَيْنًا [١] ، قال : فأعطى رسولُ الله صلى الله وسلم صفوان بن أمية مائةً من النَّعَم [٢] ؛ ثم مائة ، ثم مائة .

قال ابنُ شهاب ، حدثنا سعيد بن المُسَيَّب أنّ صفوان قال : والله لقد أعطانى ماأعطانى وإنه لأبْغَضُ الخلْقِ إلىّ ، فما زال يُعْطِينى حتى إنه لأَحَبّ الخلْقِ إلىّ [٣] .

ورُوِى أنَّ أعرابيا جاءهُ يطلبُ منه شيئا ، فأعطاه ؛ ثم قال : أحسنْتُ إليكَ ؟ قال الأعرابى : لا ، ولا أجْمَلْتَ [٤] .

فغضِبَ المسلمون وقاموا إليه [٥] ، فأشار إليهم أنْ كُفُّوا ، ثم قام ودخل منزلَه ، وأرسل إليه ، وزادَه [٦] شيئا ، ثم قال : أحسنْتُ إليك ؟ قال : نعم ، فجزاكَ اللهُ من أهلٍ [٧] وعشيرةٍ خيرا .

(١) من غزوات الرسول . وحنين : واد بين مكة والطائف . وكانت هذه الغزوة فى شوال سنة ثمان (شرح القارى : ١ – ٢٧٥) . والحديث فى صحيح مسلم : ١٨٠٦

(٢) النعم : اسم جامع للإبل ، لا واحد له من لفظه ، وجمعه أنعام : وقال العزيزى : هو الإبل والبقر والغنم .

(٣) كان أشد الناس عداوة له لقتل أبيه يوم بدر ، ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ؛ فبينما هو يسير فى الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان — جعل صفوان ينظر إلى شعب ملىء نعما وشاء — وأدام النظر إليها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه . فقال له : أبا وهب ؛ يعجبك هذا الشعب ؟ قال : نعم . قال : هو لك وما فيه .
فقال صفوان : ما طابت بهذا إلا نفس نبى ! أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وارجع إلى الإصابة (٣ – ٤٣٣) .

(٤) أجملت : فعلت فعلا جميلا محمودا .

(٥) وقاموا إليه ليضربوه ويجازوه بما يستحقه .

(٦) زاده شيئا : أى على ما أعطاه أولا .

(٧) من أهل وعشيرة خيرا : المراد بدلا من أهلى وعشيرتى الذين لم يحسنوا إلى .

فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إنكَ قلْتَ ما قُلْتَ وفى أنفُس أصحابى من ذلكَ شيء ، فإن أحْبَبْتَ فقُلْ بين أيديهم ما قلْتَ بين يدىّ حتى يذهب ما فى صدورهم عليك .

قال : نعم . فلما كان الغَدُ أو العَشِىّ(١) جاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذا الأعرابىَّ قال ما قال ، فزِدْنَاهُ فزعم أنه رَضِىَ ، أكذلكَ ؟ قال : نعم ، فجزاكَ اللهُ من أهلٍ وعشيرةٍ خيرا .

فقال صلى الله عليه وسلم : مَثَلِي ومَثَل هذا مَثَلُ رجلٍ له ناقةٌ شَرَدَتْ(٢) عليه ، فاتَّبَعَهَا الناسُ فلم يزيدوها إلّا نُفورا ، فناداهم صاحبها : خَلُّوا بينى وبين(٣) ناقتى ، فإنى أرْفَقُ بها منكم وأعلم(٤) ، فتوجَّه لها بين يديها(٥) ، فأخذَ لها من قُمَامِ الأرض(٦) ، فردَّها حتى جاءت واستناخت(٧) ، وشَدَّ عليها رَحْلها(٨) ، واستوى(٩) عليها ، وإنّى لو تركتُكم حيثُ قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النارَ(١٠) .

---

(١) فلما كان الغد أو العشى : المراد بالغد صبيحة اليوم الذى بعد اليوم الذى كلمه فيه النبى . والغداة من طلوع الفجر إلى الزوال . والعشى : ما بعد الزوال إلى الغروب . والشك هنا من الراوى .

(٢) شردت ناقته : نفرت منه وذهبت فى الأرض .

(٣) خلوا بينى وبين ناقتى : لاتتبعوها واتركونى أحتال فى إمساكها .

(٤) أى أنا أشفق عليها وأعلم بحالها منكم .

(٥) أى جاءها من أمامها .

(٦) قمام الأرض : القمام : جمع قمامة : كناسة . والمراد بها النبات الذى ترعاه الدواب .

(٧) استناخت : بركت ومكثت عنده .

(٨) رحلها : الرحل للإبل كالسرج للفرس .

(٩) واستوى عليها : ركبها .

(١٠) دخل النار عقوبة له بإساءته إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

قال فى نسيم الرياض : وهذا الحديث رواه البزار ، وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وابن حبان فى صحيحه ، وابن الجوزى فى الوفا .

ورُوِى عنه[١] أنه صلى الله عليه وسلم قال : لا يُبَلِّغنِى[٢] أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابى شيئا ، فإنى أُحِبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصدر[٣] .

ومن شفقته على أمته عليه السلام تَخْفيفُه وتسهيله عليهم ، وكراهتُه أشياء مخافةَ أنْ تُفْرَضَ عليهم ، كقوله : لولا أنْ أَشُقَّ على أمتى [٤] لأَمَرْتُهم بالسواكِ مع كل وضوء[٥] .

وخَبَرُ صلاةِ الليل[٦] ، ونَهْيِهم عن الوِصَال[٧] ، وكراهتِه دخولَ الكعبة لئلا يُعَنِّتَ[٨] أمته ، ورغبتِه لربه أنْ يجعلَ سبَّه ولَعْنَه لهم رحمةً بهم ، وأنه كان يسمعُ بكاءَ الصبى فيتجوَّز[٩] فى صلاته .

ومن شفقته صلى الله عليه وسلم[٤٠] أنْ دَعَا ربَّه وعاهده ، فقال : أَيُّمَا رجُلٍ

---

(١) الراوى له أبو داود والترمذى عن ابن مسعود (سنن أبى داود : ٢ – ١٩٢) .

(٢) ضبطت الباء بالسكون وبالفتحة ، وكتب عليها « معا » فى ب .

(٣) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس فى قلبه بغض ولا غضب على أحد .

(٤) لولا أن أشق على أمتى : لولا مخافة المشقة عليهم .

(٥) هذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة . (صحيح مسلم : ٢٢٠)

(٦) قال لهم النبى : خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها .

(٧) الوصال فى الصوم : هو أن يصوم يومين أو أكثر من غير أكل وشرب بينهما ،ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين (صحيح مسلم : ٧٧٤)

(٨) يعنت : من العنت ؛ وهو المشقة والإثم . وفى ب ضبطت : يعنت كما أثبتنا ، وضبطت أيضا بسكون العين وكسر النون ، وكتب عليها « معا ». وفى هامشه : خ : يتعب . وفى ا : يعنت كما أثبتنا ، وعليها علامة الصحة .

وحديث كراهته دخول الكعبة فى حديث رواه أبو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها وصححاه ، وكذا رواه ابن خزيمة ، والحاكم عنها أيضا مصححا مسندا . (سنن أبى داود : ١ – ٢٠١)

(٩) المراد هنا أنه يخففها ويسرع فيها .

سَبَبْتُه أو لعنتُه [(١)] فاجعَلْ ذلك له زكاةً ورحمةً [(٢)] ، وصلاةً وطَهُورا ، وقُربةً تقرِّبُه بها إليك يوم القيامة [(٣)] .

ولما كذَّبه [(٤)] قومُه أتاه جبريل عليه [(٥)] السلام ، فقال له : إنّ الله تعالى قد سمع قولَ قومِك لكَ ، وما ردُّوا عليكَ ، وقد أمر مَلَكَ الجبال لتأمُرَه بما شئْتَ فيهم ، فناداه مَلَكُ الجبالِ وسلّم عليه ، وقال : مُرْنى بما شئْتَ ، وإن شئْت أنْ أُطْبِق عليهم الأَخْشَبَيْن [(٦)] .

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : بل أَرجو أنْ يخرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبدُ الله وحده ولا يشرك به شيئا .

ورَوَى ابنُ المُنْكَدِر أنّ جبريلَ عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنّ اللهَ تعالى أمر السماءَ والأرضَ والجبالَ أنْ تُطيعك . فقال : أُؤَخِّر عن أمتى لعل اللهَ أَنْ يتوبَ عليهم [(٧)] .

قالت عائشة : ما خُيِّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أَيْسرها [(٨)] .

---

(١) اللعن : أصل معناه الطرد والإبعاد ، ثم خص بالبعد من رحمة الله .

(٢) زكاة : تطهيرا له مما ارتكبه . (٣) صحيح مسلم : ٢٠٠٧

(٤) وهذا من عظيم شفقته أيضا . وهذا الحديث فى البخارى : ٤ — ١٤٠

(٥) فى ب : عليهما .

(٦) الأخشبان: مثنى أخشب : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى، فيقال : أخشبا مكة، وأخشبا منى ، وهما أبو قبيس وقعيقعان . وفى هامش ا : الأخاشب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل أخشب . وأنشد أبو عبيد : كأن فوق منكبيه أخشبا .

(٧) أى يرجعوا عن المعاصى ، ويقبل الله منهم ذلك .

(٨) أيسرهما : أسهلهما وأهونهما على الأمة شفقة ورحمة منه عليهم . وبقية الحديث : مالم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه . والحديث فى صحيح مسلم: ١٨١٣ ، وصحيح البخارى : ٤ — ٢٣٠

وقال ابنُ مسعود رضى الله عنه : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتخوَّلُنا[١] بالموعظة مخافةَ السآمةِ علينا .

وعن عائشة أنها ركبتْ بعيرا وفيه صعوبةٌ ، فجعلت ترَدِّدُه[٢] ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عليكِ بالرِّفْقِ[٣] .

فصـــــل

وأما خُلُقه صلى الله عليه وسلم فى الوفاء ، وحُسْنِ العَهْد ، وصِلَة الرحم[٤] ـ فحدثنا القاضى أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتى عليه ؛ قال : حدثنا أبو بكر محمد بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الحَبَّال ، حدثنا أبو محمد بن النحاس ، حدثنا ابن الأعرابى ، قال: حدثنا أبو داود ؛ قال : حدثنا محمد بن يحيى ؛ قال : حدثنا محمد بن سِنَان ؛ قال : حدثنا إبراهيم بن طَهْمَان ، عن بُدَيل ، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شَقِيق ، عن ابنه ، عن عبد الله بن أبى الحَمْسَاء[٥] ، قال : بايعْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ببَيْع[٦] قبل أنْ يُبْعث ، وبقِيَتْ له بقيةٌ ، فوعدتُه أنْ آتيَه بها فى مكانه ، فنَسِيت[٧] ، ثم ذكَرْتُ

---

(١) يتخولنا : يتعهدنا . والحديث فى صحيح مسلم : ٢١٧٢

(٢) ترده : تمشى به وترجع ؛ وإنما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها .

(٣) فهذا دليل على شفقته . وهذا الحديث فى صحيح مسلم : ٢٠٠٤

(٤) الوفاء : ضد الغدر ونقض العهد . وحسن العهد : أى ماعاهد عليه والتزمه . وصلة الرحم : الإحسان إلى الأقارب والأصهار والرفق بهم والعفو عن زلاتهم ، ونصحهم والتودد لهم .

(٥) فى هامش ب : قال الحافظ المزى : بعضهم يرويه أبى الحسماء — بتقديم السين على الميم . والأول أصح . والله أعلم . وقال القارى (١ — ٢٨١) : وهو بتقديم السين تصحيف .

(٦) أى باع مبيعا للنبى صلى الله عليه وسلم .

(٧) فنسيت : أى الوعد الذى جرى بيننا .

بعد ثلاث ، فجئتُ فإذا هو فى مكانه[١] ، فقال : يافتى ، لقد شققْتَ علىّ ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظِرُك[٢] .

وعن أنس : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أُتِى بهدية قال : اذهبوا بها إلى بَيْتِ فُلانة ؛ فإنها كانت صديقةً لخديجة ، إنها كانت تحبُّ خديجة[٣] .

وعن عائشة قالت : ما غِرْتُ على امرأة ما غِرْتُ على خديجة ، لِمَا كنتُ أسمعه يَذْكُرها ، وإن كان لَيَذْبَحُ الشاةَ فيُهديها إلى خَلَائلها[٤] .

واستأذنَتْ عليه أختُها[٥] فارتاحَ إليها .

ودخلت عليه امرأةٌ ، فهَشَّ[٦] لها ، وأحسنَ السؤالَ عنها ، فلما خرجت قال : إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة ، وإنّ حُسْنَ العَهْدِ من الإيمان[٧] .

ووصفه بعضُهم ، فقال : كان يَصِلُ ذَوِى رَحِمه من غير أنْ يُؤْثِرهم[٨] على مَنْ هو أفضلُ منهم .

---

(١) فإذا هو فى مكانه : فإذا النبى فى مكانه لم يفارقه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود (٢ — ٢٠٣) ، وهو من أفراده ، قال السيوطى : وأخرجه ابن مندة فى المعرفة ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق .

(٣) هذا الحديث رواه البخارى فى الأدب .

(٤) خلائلها : جمع خليلة ، بمعنى الصاحبة والصديقة .

والحديث فى البخارى : ٥ — ٤٨ ، وفيه : وإن كان ليذبح الشاة فيهدى إلى خلائلها منها ما يسعهن .

وخلائلها : جمع خليلة ، أى صديقاتها .

(٥) أختها : أخت خديجة ، وهى هالة بن خويلد .

(٦) هش لها : فرح وأظهر المسرة بدخولها .

(٧) حسن العهد : أى رعاية العهود القديمة ، ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك . من الإيمان : من مقتضيات الإيمان .

(٨) يؤثرهم : يخصهم ويقدمهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن آلَ أبى فلان ليسوا لى بأولياء غير أنَّ لهم رَحِماً سأَبُلُّها بِبِلَالِها[١] .

وقد صلَّى عليه السلام بأُمَامة ابنةِ ابنته يَحْمِلُها على عاتقه ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حمَلَها[٢] .

وعن أبى قَتادة : وفَد وَفْدٌ للنجاشى ، فقام النبىُّ صلى الله عليه وسلم يخْدُمهم ، فقال له أصحابُه : نَكْفِيك[٣] . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمين[٤] ، وإنى أُحِبُّ أنْ أُكافئهم[٥] .

ولما جِئَ بأخْتِه من الرضاعة الشَّيْماَء فى سبَايا[٦] هَوَازن ، وتعرَّفَتْ له بسط لها رِدَاءه ، وقال لها : إنْ أحبَبْتِ أَقَمْتِ عندى مُكرَّمةً مُحَبَّة ، أو متَّعْتُك[٧] ورجعتِ إلى قومك ؛ فاختارَتْ قومَها فمتَّعها .

وقال أبو الطفيل [٤١] : رأيتُ النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت

---

(١) الآل : الأهل والأتباع . والمراد هنا أبو العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان منافقا فى أول أمره ، ثم حسن إسلامه . والأولياء : جمع ولى ، وهو القريب ومن يتولى أمره ؛ أى لا أتولاهم ولا أحسبهم من أوليائى لما علمت منهم .
أن لهم رحما : أى قرابة . سأبلها : سأصلها بصلتها اللائقة بها . والبلال : الرطوبة والنداوة وكل مايبل الحلق من المائعات . والمراد الصلة والإحسان . والحديث فى صحيح مسلم : ١٩٢ ، وصحيح البخارى : ٨ — ٧ ، وقال فى البخارى : أبلها ببلالها ؛ يعنى أصلها بصلتها .

(٢) عاتقه : كتفه . وهذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه (١ — ١٣٠)

(٣) نكفيك : أى نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطى خدمتهم .

(٤) لأصحابنا الذين هاجروا لأرض الحبشة .

(٥) قال السيوطى : هذا الحديث رواه البيهقى فى دلائله مسندا .

(٦) هى بنت حليمة السعدية التى أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم . والسبايا : جمع سبية ، أى مأسورة .

(٧) متعتك : أى يحسن إليها ويعطيها . وهذا منه صلة رحم .

امرأةٌ حتى دنَتْ(١) منه ، فبسط لها رداءَهُ ، فجلست عليه ، فقُلْتُ : مَنْ هذه ؟ قالوا : أُمُّه التى أرضعته .

وعن عُمر بن السائب(٢) — أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما ، فأقبل أبوه(٣) من الرَّضَاعة ، فوضع له بعْضَ ثوبه ، فقعد عليه ؛ ثم أقبلت أُمُّه فوضع لها شِقَّ(٤) ثوبه من جانبه الآخر فجلستْ عليه ، ثم أقبل أَخوه من الرضاعة ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

[وكان يبعثُ إلى ثُوَيْبَةَ(٥) مولاةِ أبى لَهَب مرضعته بِصِلَةٍ وكسوة ، فلما ماتت سأل : مَنْ بقى من قرابتها . فقيل : لا أحد](٦) .

وفى حديث خديجة رضى الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم(٧) : أَبْشِرْ ، فوالله لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدا ، إنك لَتَصِلُ الرَّحِم ، وتحمل الكَلَّ ، وتَكْسِبُ(٨) المعدوم ، وتَقْرِى الضيفَ ، وتُعِين على نوائبِ الحقّ .

---

(١) دنت منه : قربت من مكانه الجالس فيه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود (٢ — ٢١٧)

(٣) هو الحارث بن عبد العزى .

(٤) شق ثوبه : جانبا من ثوبه .

(٥) ثويبة : أول من أرضعته مع ابنها مسروح أياما قبل حليمة . والخبر فى الإصابة (٧—٥٤٩) .

(٦) فى هامش ا مابين القوسين من غير الرواية .

(٧) تقدم هذا وشرحه صفحة ١٤٦ ، والحديث فى صحيح مسلم : ١٤١ .

(٨) ضبطت التاء فى ا بالضمة والفتحة ، وعليها « معا » . وفى هامشه : تكسب — بالفتح التاء — أحسن . يقال ، فلان يكسب المعدوم ، إذا كان مجدودا ينال مايحرمه غيره . ويقال : هو آكلكم للمأدوم ، وأكسبكم للمعدوم ، وأعطاكم للمحروم .

وفى هامش ب : تكسب — بفتح التاء — أحسن أيضا .

فصـــل

وأما تواضعُه[1] صلى الله عليه وسلم ، على علُوِّ مَنْصِبه[2] ورفعةِ رُتبه ـ فكان أشدَّ الناس تواضُعا ، وأقلّهم[3] كِبْرا.

وَحَسْبُك[4] أنه خُيِّر بين أن يكون نبيا مَلِكا أو نبيا عَبْدا ، فاختار أن يكون نبيًّا عَبْداً ، فقال له إسرافيل عند[5] ذلك : فإنَّ الله قد أعطاكَ بما تواضعْتَ[6] له أنك سيِّدُ ولدِ آدم يوم القيامة ، وأولُ مَنْ تنشقُّ الأرضُ عنه ، وأول شافع[7] .

حدثنا أبو الوليد بن العوَّاد الفقيه ـ رحمه الله ـ بقراءتى عليه فى منزله بقُرْطبة سنةَ سبع وخَمْسمائة ، حدثنا أبو على الحافظ ، حدثنا أبو عُمَرَ ، حدثنا ابن عبدالمؤمن ، حدثنا ابنُ دَاسَة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عبدُ الله ابن نُمَيْر ، عن مِسْعَر ، عن أبى العَنْبَس ، عن أبى العَدَبَّس ، عن أبى مرزوق ، عن أبى غالب ، عن أبى أُمامة ، قال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم متوكِّئا على عصا ، فقمنا له . فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجمُ[8] ، يعظِّمُ بعضُها بعضا .

وقال : إنما أنا عَبْدٌ[9] آكُلُ كما يأكلُ العبد ، وأَجْلسُ كما يجلسُ العبد .

---

(١) التواضع : إظهار أنه وضيع ، وهو أشرف الناس (الشهاب الخفاجى) .

(٢) المنصب : الأصل والحسب .

(٣) فى ب : وأعدمهم كبرا ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى (٢ – ٢٨٧) : ذكر الحجازى أنه رواية . والمعنى أفقدهم كبرا .

(٤) حسبك : يكفيك فى إثبات ما ذكر .

(٥) عند ذلك : عند اختياره العبودية .

(٦) بما تواضعت له : أى بسبب تواضعك له .

(٧) فى صحيح مسلم (١٨٨) : أنا أول شفيع فى الجنة .

(٨) الأعاجم : من عدا العرب ، وقد يختص بفارس .

(٩) أى لست بسلطان .

وكان يركبُ الحمار ، ويُرْدِفُ[١] خلفه ، ويَعُودُ المساكينَ ، ويُجالس الفقراء ، ويُجيبُ دَعْوةَ العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلسُ جلس .

وفي حديث عُمَر عنه : لا تُطْرُوني[٢] كما أَطْرَت النصارى ابنَ مريم ، إنما أنا عبدٌ فقولوا : عَبْدُ الله ورسوله .

وعن أنس[٣] أن امرأةً كان في عَقْلِها شيء[٤] جاءته ، فقالت : إنَّ لي إليك حاجةً[٥] . قال : اجلسي يا أمَّ فلان في أيِّ طُرقِ المدينة شِئْتِ أجلس إليك حتى أَقْضِيَ حاجَتَكِ .

قال : فجلست ، فجلس النبيُّ صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغَتْ من حاجتها .

قال أنس : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركبُ الحمار ، ويُجيب دعوةَ العبد ؛ وكان يوم بني قُرَيْظَة[٦] على حمار مخطوم[٧] بحَبْلٍ من ليف عليه إكاف[٨] .

قال : وكان يُدْعَى إلى خُبْزِ الشعير ، والإهالَة السَّنِخَة فيُجيب[٩] .

قال : وحجّ صلى الله عليه وسلم على رَحْل رَثّ[١٠] ، وعليه قَطِيفة[١١] ما تساوي

---

(١) يردف : يحمله رديفا له ؛ أي راكبا خلفه على دابته التي ركبها .

(٢) أطراه : بالغ في مدحه وجاوز الحد ؛ أي لا تمدحوني .

(٣) الحديث في سنن أبي داود : ٢ — ١٨٩ (٤) كان في عقلها شيء : أي من جنون .

(٥) أي لي إليك حاجة أريد أن أنهيها إليك وأعلمك بها .

(٦) يوم بني قريظة : اليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة . وبنو قريظة : قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي قبل غزوة الخندق . (٧) مخطوم : الخطام : ما يقاد به الدابة .

(٨) إكاف : رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه ، أو البردعة .

(٩) الإهالة : كل ما يؤتدم به من الدهن . أو الدسم الجامد . أو ما يذاب من الإلية ، والسنخة : متغيرة الرائحة .

(١٠) الرحل للجمل كالسرج للفرس ، ورث : بال خلق .

(١١) قطيفة : كساء من صوف له خمل .

أربعةَ دراهم ؛ فقال : اللهم اجعله حَجًّا لا رِياءَ فيه ولا سُمْعَة[١] .

هذا ، وقد فُتِحت عليه الأرضُ ، وأَهْدَى فى حجِّه ذلك مائةَ بَدَنَةٍ[٢] .

ولما فُتِحت عليه مكّةُ ودخلها بجيوش المسلمين طَأْطَأَ على رَحْلِه[٣] رَأْسَه حتى كاد يَمَسُّ قادِمتَه تواضُعاً لله تعالى[٤] .

ومِنْ تواضُعه صلى الله عليه وسلم قَوْلُه[٥] : لا تفَضِّلونى على يونُسَ بن متى ، ولا تُفَضِّلوا بَيْنَ الأنبياء ، ولا تُخَيِّرونى على موسى ، ونحنُ أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم ، ولو لبِثْتُ ما لَبِثَ يوسف [٤٢] فى السجن لأَجَبْتُ الدَّاعى[٦] .

وقال للذى قال له : يا خَيْرَ البَرِيّة : ذاك[٧] إبراهيم .

وسيأتى الكلامُ على هذه الأحاديث بعد هذا إنْ شاء الله .

وعن عائشة ، والحسن ، وأبى سعيد ، وغيرهم — فى صِفَتِه ، وبعضُهم يزيدُ على

---

(١) الرياء : ما يفعل من عبادة ونحوها لأجل أن يراه الناس فيمدحوا صاحبه به . والسمعة : مايفعل ليشيع ويسمع الناس به .

(٢) أهدى : بعث الهدى ؛ وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به من الإبل والبقر ، وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة ، وأكثر ما تطلق على الإبل ؛ وسميت بدنة لكبر بدنها .

(٣) فى هامش ا : راحلته . وفى ب : راحاته ، وفى هامشه : رحله .

(٤) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب . وقادمة الرحل : مقدمه .

(٥) قال فى نسيم الرياض : قال السيوطى : لم أقف عليه بهذا اللفظ ؛ والذى فى البخارى ، عن ابن مسعود رضى الله عنه : لايقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى . وفى سنن أبى داود : ما ينبغى لنبى أن يقول : أنا أفضل من يونس بن متى .

(٦) لبث فى السجن بضع سنين . والمراد بإجابة الداعى : رسول الملك الذى دعاه للخروج .

(٧) خص إبراهيم ؛ لأن الله أمره باتباع ملة إبراهيم .

بعض : كان فى بيته فى مَهْنَة[١] أهله يُفَلِّى ثَوْبَه[٢] ، ويَحْلُب شاته ، ويَرْقَع ثَوْبَه ، ويَخْصِفُ نَعْلَه[٣] ، ويخدمُ نَفْسه ، ويَقُمُّ البيتَ[٤] ، ويَعْقِلُ البعير ، ويَعْلِفُ نَاضِحَه[٥] ، ويأكلُ مع الخادم ، ويَعْجِنُ معها ، ويحملُ بضاعتَه من السوق .

وعن أنس : إنْ كانت الأَمَةُ من إمَاء أهلِ المدينة لتأخذُ بيَدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يَقْضِىَ حاجتَها .

ودخل عليه رجلٌ فأصابته من هَيْبَتِه رِعْدَةٌ[٦] ، فقال له : هَوِّن عليكَ ، فإنى لستُ بملك ، إنما أنا ابْنُ امرأةٍ من قريش تأكلُ القَدِيدَ[٧] .

وعن أبى هُرَيرة : دخلتُ السوقَ مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سَرَاوِيل[٨] وقال للوزّان: زِنْ وَأَرْجِحْ[٩] ـ وذكر القصةَ ـ قال: فوثب[١٠] إلى

---

(١) مهنة أهله : المهنة : الخدمة . وكلمة «مهنة» ضبطت ميمه بالفتحة والكسرة، وكتب فوقها « معا » فى ا ، ب . وفى هامش ب : بفتح الميم ، وخفضها خطأ ؛ قاله شمر عن مشايخه . وقال غيره : بالكسر وأنكر الفتح. قال الحافظ المزى : كسر الميم أحسن، لأن مهنة على وزن خدمة ومعناه. وفى البخارى (٨ — ١٧) : . . . سألت عائشة : ما كان النبى يصنع فى أهله ؟ قالت : كان فى مهنة أهله ، وإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

(٢) قيل : المراد بفليه : تفتيشه لخرق فيه ، أو تعلق شىء به من شوك ونحوه ، وكل ذلك للتشريع وإظهار التواضع .

(٣) يخصف نعله : يخرزها . (٤) يقم البيت : يكنسه ويزيل قمامته .

(٥) ويعلف ناضحه : الناضح : البعير الذى يستقى عليه .

(٦) رعدة : الرعدة : أن يرجف الإنسان ويضطرب .

(٧) القديد : هو اللحم الذى يقطع ويجعل فى الشمس حتى ييبس .

(٨) قال السيوطى : قد رأيت الذى ذكره المصنف فى معجم الطبرانى الأوسط ، ومسند أبى يعلى ؛ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لبسها . والسراويل تذكر وتؤنث .

(٩) للوزان : أى الذى يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفى . وأرجح : أى زد له حتى يترجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدراهم ، فالرجحان : نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها .

(١٠) الذى وثب هو الوزان كما فى القارى (١ — ٢٩٤) .

يَدِ النبي صلى الله عليه وسلم يُقبِّلها، فجذَب يَده ، وقال: هذا تفعلُه[1] الأعاجمُ بملوكها، ولستُ بملك ، إنمـــا أنا رجل منكم . ثم أخذ السراويلَ ، فذهبت لأَحمِلَه ، فقال : صاحِبُ الشيء أحقُّ بشَيْئِه أنْ يحمِلَه .

فصـــــل

وأما عَدْلُه صلى اللهُ عليه وسلم وأمانَتُه وعفَّتُه وصِدْقُ لَهْجَته[2] ـ فـكان صلى الله عليه وسلم آمَنَ الناس ، وأعدلَ الناس ، وأعفَّ الناس ، وأصدقَهم لَهْجَةً منذ كان ، اعترف له بذلك مُحَادُّوه[3] وعِدَاهُ .

وكان يُسَمَّى قبل نبوّته الأَمِين .

قال ابن إسحاق[4] : كان يسمَّى الأمينَ بما جمَعَ اللهُ فيه من الأخلاق الصالحة .

وقال تعالى[5] : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِين ﴾ : أكثرُ المفسرين[6] على أنه محمد صلى الله عليه وسلم .

ولما اختلفت قريشٌ وتحازبت[7] عنـــد بناء الـكعبة فيمَنْ يضَعُ الحَجَرَ حكَّموا[8] أولَ داخلٍ عليهم، فإذا بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم داخل ـ وذلك قَبْلَ نبوته ؛ فقالوا : هذا محمد الأمين قد رَضِينا به .

---

(١) هذا : أي التقبيل .
(٢) اللهجة : اللسان والـكلام .
(٣) محادوه : جمع محاد ـ بتشديد الدال المهملة ؛ وهو المعادى والمخالف له ؛ وهو المحارب أيضا . وعداه : أعداؤه ومعادوه .
(٤) قال السيوطى : هذا حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ، والحاكم ، والطبرانى عن على كرم الله وجهه .
(٥) سورة التكوير ، آية ٢١ . مطاع : مكرم . ثم : عند الملأ الأعلى . أمين : موصوف بالأمانة .
(٦) وكثير منهم على أنه جبريل .
(٧) تحازبت : صارت أحزابا وفرقا لاختلاف آرائهم . وفى ا : تحاربت ـ بالراء . والمثبت فى ب .
(٨) حكموا : ارتضوا بأن يكون الحاكم فى ذلك أول داخل .

وعن الربيع بن خُثَيْم : كان يُتَحاكَمُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الإسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم : واللهِ إنى لأَمِين فى السماء أَمِينَ فى الأرض (١) .

حدثنا أبو على الصَّدَفِى الحافظ بقراءتى عليه ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون ، حدثنا أبو يَعْلى ابن زَوْج الحُرّة ، حدثنا أبو على السِّنْجِىّ ، حدثنا محمد بن محبوب المَرْوَزى ، حدثنا أبو عيسى (٢) الحافظ ، حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن علىّ — أن (٣) أبا جَهْل قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم: إنا لا نُكَذِّبُكَ ، ولكن نكَذِّبُ بما جئْتَ به ، فأنزل الله تعالى (٤) : ﴿ فإنَّهُم لا يُكَذِّبُونكَ ولكنَّ الظالمين بآياتِ اللهِ يَجْحَدُون ﴾ (٥) .

ورَوى غيره : لا نُكَذِّبُكَ ولا أنْتَ فينا بمُكَذَّب .

وقيل : إنّ الأخْنَس بن شَرِيق لقِيَ أبا جهل يوم بَدْر ، فقال له : يا أبا الحَكَم ، ليس هنا غيرى وغَيْرُك يسمَعُ كلامنا ، تُخْبِرنى عن محمد ؛ صادِق [هو] (٦) أم كاذب؟ فقال أبو جهل : واللهِ إنّ محمدا لصادق ، وما كَذَب محمدٌ قَطُّ .

وسأل هِرَقْل (٧) عنه أبا سفيان ، فقال : هل كنتم تتَّهِمونه بالكذب قبل أنْ يقولَ ما قال ؟ قال : لا .

---

(١) يعنى أنه مشهور بذلك بين الملأ الأعلى وبين أهل الأرض ؛ لأنه لم يتهم قط بكذب وجور فى أحكامه . وهذا الحديث رواه ابن أبى شيبة فى مسنده عن أبى رافع .

(٢) هو الترمذى . (٣) سنن الترمذى : ٤ — ٢٦١ (٤) سورة الأنعام ، آية ٣٣

(٥) المراد : لا يكذبونك : لا يحكمون عليك بأن سجيتك الكذب ، لأنك موصوف بالصدق عندهم فى جميع شئونك ما عدا قولك الذى جئت به من عند الله — وهو الآيات — فإنهم يجحدونه . (٦) من ب .

(٧) قصة أبى سفيان مع هرقل مروية فى الصحيحين مفصلة . وارجع إليها فى صحيح البخارى : ١ — ٧ إن أردت .

وقال النَّضْر بن الحارث [١] لقُريش : قد كان محمد فيكم غلاما حدَثا [٢] ، أَرْضاكُمْ فيكم ، وأَصْدقكم حديثا ، وأَعْظَمكم أمانةً حتى [٤٣] إذا رأيتم فى صُدْغيْه الشَّيْبَ [٣] ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحِر . لا ، واللهِ ، ما هو بساحر.

وفى الحديث عنه : ما مَسَّتْ يَدُه يدَ امرأةٍ قط لا يملكُ رِقَّها [٤] .

وفى حديث علىّ - فى وصفه صلى الله عليه وسلم : أصدقُ الناسِ لَهْجَةً .

وقال فى الصحيح : وَيْحَكَ ! فمَنْ يعـدلُ إنْ لم أَعْدِلْ ، خِبْتُ وخَسِرْتُ إنْ لم أعدل [٥] .

قالت عائشة [٦] : ما خُيِّرَ رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم فى أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثْماً ، فإنْ كان إثما كان أَبْعَدَ الناسِ منه .

قال أبو العباس المبرِّد : قَسَم [٧] كِسْرى أيامَه؛ فقال : يصلحُ يَوْمُ الريحِ للنَّوم [٨] ، ويومُ الغَيْمِ للصيد [٩] ، ويومُ المطر للشُّرْبِ واللَّهْو [١٠] ، ويومُ الشمس للحوائج [١١] .

---

(١) فى حديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقى ، عن ابن عباس . وكان النضر شديد الأذية للمسلمين . (٢) حدثا : شابا .

(٣) كنى بذلك عن أنه تمت رجوليته ، وكمل عقله بمجاوزته سن الشباب .

(٤) وهذا من عفته. وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة: صحيح البخارى: ٩-٩٩

(٥) قد تقدم ذكر هذا الحديث، وشرح غريبه صفحة ١٣٨ ، وقد ضبطت التاء فى الكلمتين هنا أيضا بالضمة والفتحة وعليها « معا » فى ا ، ب .

(٦) تقدم أن هذا الحديث فى صحيح مسلم صفحة ١٨١٣

(٧) ضبطت السين فى ا بالفتحة ، وشددت فى ب .

(٨) للنوم والتغطية حتى يسلم من مس الريح الشديد .

(٩) لعدم أذية الشمس وحرها .

(١٠) لقلة المصالح فيه ، والسلامة من البلل ، والنظافة من الوحول . والمراد باللهو : سماع الغناء ومنادمة الندماء .

(١١) المراد بالحوائج : مصالح الناس ، وإنما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه .

قال ابنُ خالَوَيْه : ماكان أعرفَهم بسياسة دُنْياهم، يعلمون ظاهرا من الحياةِ الدنيا وهم عن الآخرةِ غافلون ، ولـكن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم جزَّأ نهارَه ثلاثة أجزاء ، جزءًا لله(١)، وجُزْءًا لأهله(٢)، وجزءًا لنفسه ، ثم جزَّء جُزْأَه بينه و بين الناس، فـكان يستعين بالخاصة على العامة ، ويقول : أَبْلِغُوا (٣) حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغى ؛ فإنه مَنْ أَبْلغَ حاجةَ مَنْ لايستطيع [إبلاغَها](٤) آمنَهُ آللهُ يوم الفزَعِ الأكبر(٥).

وعن الحسَن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يأخُذُ أحدا بقَرْفِ أحد(٦) ، ولا يُصَدِّقُ أحداً على أحد .

وذكر أبو جعفر الطَّبَرى (٧) عن علىّ عنه صلى اللهُ علية وسلم : ماهمَمْتُ بشىء مما كان أهْلُ الجاهلية يعملون به غير مَرَّتين ، كلُّ ذلك يحولُ اللهُ بينى و بين ما أُريدُ من ذلك ، ثم ما همَمْتُ بسوء حتى أكرمنى آللهُ برسالته ؛ قلت ليلةً لغلام كان يَرْعَى معى : لو أبصرتَ لى غَنَمِى حتى أدخُلَ مكةَ فأسْمُرَ بها كما يَسْمُرُ(٨) الشباب ،

فخرجتُ كذلكَ حتى جئتُ أولَ دارٍ من مكة سمعتُ عَزْفاً بالدُّفُوف والمَزَامِير لعُرْسِ بعضهم . فجلستُ أنظرُ ، فضُرِب على أُذُنِى (٩) فنِمْتُ ، فما أيقظنى إلّا مَسُّ

---

(١) جزءا لله : أى لعبادة الله وتلقى وحيه . (٢) وجزءا لأهله : لمصالح أهل بيته .

(٣) فى ا : أبلغونى . (٤) من ب .

(٥) يوم الفزع الأكبر: هو يوم البعث والحشر، وحيث يكون الناس كلهم فى فزع وخوف من العذاب . وسيأتى هذا الحديث بعد . وهو فى شمائل الترمذى ، وغيره ، كما سيأتى .

(٦) قال السيوطى هذا الحديث رواه أبوداود فى مراسيله. والأخذ : المراد به هنا العقوبة. والقرف : التهمة . والذنب ، والـكسب . وهذا من عدله . وفى هامش ا ، ب : قرفت الرجل بسوء : ظننته به ، أو رميته به . وقرفه بالأمر ، إذا أضافه إليه .

(٧) قد تقدم هذا الحديث صفحة ١٣٠ ؛ وإنما أعاده المصنف هنا لبيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللهو، وأن الله عصمه عن ذلك من أول أمره. وهو هنا فيه زيادة (دلائل النبوة للبيهقى : ١ — ٣٨٠) . (٨) السمر : التحدث بالليل . (٩) ضرب على أذنى : نمت .

الشمس [١] ، فرجعت ولم أقْضِ شيئا . ثم عَرَانى [٢] مرةً أخرى مثلُ ذلك ، ثم لم أَهُمّ بعد ذلك بسوء .

فصـــــل

وأما وقَارُه [٣] صلى الله عليه وسلم وصَمْتُه وتُؤَدَته ومروءته وحسْنُ هَدْيه [٤]

فحدثنا أبو على الجيّانى الحافظ إجازةً ، وعارضْتُ بكِتابه [٥] ؛ قال : حدثنا أبو العباس الدِّلائى ، أنبأنا أبو ذَر الهَرَوى ، أخبرنا أبو عبد الله الورّاق ، حدثنا اللؤلؤىُّ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عبدُ الرحمن بن سلّام ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن عبدالرحمن ابن أَبِى الزِّنَاد عن عُمر بن عبد العزيز بن وُهَيب [٦] : سمعتُ خارجةَ بن زَيْد يقول : كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم أَوْقَرَ الناسِ فى مجلسه [٧] ، لا يكادُ يُخْرِجُ شيئا من أطرافه [٨] .

ورَوَى أبو سَعِيد الخُدْرى : كان [٩] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس احْتَبى بيديه ، وكذلك كان أكثَرُ جلوسِه صلى الله عليه وسلم مُحْتَبِيا [١٠] .

---

(١) مس الشمس : مس حرها . (٢) عرانى : طرأ على ، وعرض لى .

(٣) وقاره : سكونه وطمأنينته ورزانته .

(٤) حسن هديه : سيرته وطريقته .

(٥) وعارضت بكتابه : قابلت نسختى بنسخته حال القراءة . فالمعنى أنه حدثه به قراءة منه ، وهو مقابل له ، وفى يده كتابه .

(٦) عليها علامة الصحة فى ا ، وفى هامشه : أهيب .

(٧) أى أعظمهم وقارا إذا برز للناس وجالس معهم ، بخلاف ما إذا خلا مع أهله أو مع خاصته فإنه ينبسط معهم ويلاطفهم .

(٨) من أطرافه : أى أطراف بدنه كرجليه . (٩) سنن أبى داود : ٢ — ١٩٠

(١٠) الاحتباء : أن يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه . وفى هامش ب : الحبوة : ضم الساق إلى البطن بثوب . وفى ب : احتبى بثوبه .

وعن جابر بن سَمُرة أنه تَرَبَّع [١] ، وربما جلس القُرْفُصاء [٢] ، وهو فى حديث قَيْلَة [٣] ؛ وكان كثير السكوتِ لا يتكلم فى غير حاجةٍ ؛ يُعْرِضُ عمن تكلَّم بغير جميل، وكان ضَحِكُه تبسُّما ، وكلامُه فَصْلا [٤] ، لا فُضُولَ ولا تقصير [٥] ، وكان ضحكُ أصحابه عنده التبسُّم ؛ توقيرا له ، واقتداء به . مجلِسُه مجلسُ حِلْمٍ وحَيَاء [٤٤] ، وخَيْرٍ وأمانةٍ [٦] ، لا تُرْفَعُ فيه الأصواتُ ، ولا تُؤْبَنُ فيه الْحُرَم [٧] ، إذا تكلَّمَ أَطْرَقَ جلساؤه كأنما على رءوسهم الطَّيْر [٨] .

وفى صفته : يَخْطُو تَكَفُّؤًا [٩] ، ويَمْشِي هَوْنا ، كأنما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَب [١٠] .

وفى الحديث الآخر : إذا مشى مَشَى مجتمعا [١١] ، يُعْرَف فى مِشْيَته أنه غَيْرُ غَرِض ولا وَكِل [١٢] ؛ أى غير ضَجِرٍ ولا كَسْلان .

---

(١) تربع : جلس متربعا ، وهو أن يعقد الرجل على وركيه ، ويمد ركبته اليمنى إلى جانب يمينه ؛ وقدمه اليمنى إلى جانب يساره ، وركبته اليسرى إلى جانب يساره، وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه ، وهذا فى خارج الصلاة .

(٢) جلس على أليته كجلوس المحتبى بيديه من غير احتباء . وفى هامش ب : القرفصاء : جلسة المحتبى بيديه ، يقال : قرفص اللص : إذا شد يديه تحت رجليه .

(٣) أى ورد فى حديثها ، وانظر سنن أبى داود : ٢ — ١٩١

(٤) فصلا : فاصلا بين الحق والباطل . أو مفصلا لتمهله فيه .

(٥) لا فضول : لازيادة . ولا تقصير ولا نقصان فيه عن قدر الحاجة ؛ فيخل بفهم السامع .

(٦) وأمانة : يأمن المتكلمون فيه على أسرارهم .

(٧) تؤبن : أبنه : عابه ورماه بقبيح . والحرم : جمع حرمة ؛ وهى كل ما يحرم هتكه .

(٨) وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش . (٩) تكفأ : مال إلى قدام . أو مال يمينا وشمالا كمشى المختال . (١٠) الصبب : هو الموضع المنحدر .

(١١) مجتمعا : ينقل أعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه ويديه .

(١٢) غرض : من الغرض، وهو الضجر والملل، وسيأتى للمؤلف . وفى ا ضبطت الكاف فى « وكل » بالفتحة والكسرة وعليها « معا » . وفى ب ضبطت الكاف بالفتحة فقط . وفى هامشه : الوكل — بالفتح : الرجل الذى يتكل على غيره .

وقال عبد الله بن مسعود : إنَّ أحسَن الهَدْى هَدْىُ [١] محمد صلى الله عليه وسلم.

وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما : كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْتيلٌ أو تَرْسِيل [٢] .

قال ابنُ أبى هَالَة : كان سكوتُه على أربع : على الحِـلْم ، والحَذَر ، والتقدير ، والتفكّر [٣] .

قالت عائشة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحدّث حديثا لوعَدَّهُ العادُّ أحصاه [٤] .

وكان صلى الله عليه وسلم يحِبُّ الطِّيبَ والرائحةَ الحسنة ، ويستعملها [٥] كثيرا ، ويحضُّ عليهما [٦] ، ويقول [٧] : حُبِّبَ إلىّ من دُنياكم النساء ، وجُعِلت قُرَّة عينى فى الصلاة .

ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نَهْيُه عن النَّفْخ فى الطعام والشَّراب [٨] ، والأمرُ

---

(١) الهدى : السمت والسيرة والطريقة والحالة التى يكون عليها .

(٢) ترتيل أو ترسيل: يبين الكلام من غير عجلة ولا غموض حتى يسبق فهم السامع إليه . وقيل الترتيل : التبيين . والترسيل : التؤدة .

(٣) أى يقع على أربع خصال فيه : على الحلم : أى يسكت تارة لحلمه ، أو الاحتراس من كلام ربما أدى لأمر يخشى منه، أو ليقدر النبى فى نفسه وسكوته مايليق به وبغيره ، أو للتفكر فى مصنوعات الله .

(٤) وذلك لقلته ؛ ولتثبته ، وعدم سرعته فيه .

(٥) هذا فى ا ، ب . وفى هامش ب : ويستعملهما .

(٦) فى ب : ويحض عليها .

(٧) قد تقدم هذا الحديث ، وتخريجه : صفحة ١١٧

(٨) مروءته : إنسانيته ، ومعناها التلبس بما يليق بالرجال ، وترك ما يخل به ؛ فارتكاب مايكرهه الصاحب مخل بالمروءة . والنفخ فى الطعام والشراب قد يخرج منه ريق فيكره تناوله.

بالأكْلِ ممّا يَلِي ، والأمرُ بالسواك (١) ، وإنْقَاء البَرَاجِم والرَّوَاجِب (٢) ، واستعمال خِصَالِ الفِطْرَة (٣) .

فصــــل

وأما زُهْدُه (٤) في الدنيا فقد تقدَّم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي . وحَسْبُك (٥) من تَقَلُّلِه منها ، وإعراضِه عن زَهْرَتِها (٦) ؛ وقد سِيقَتْ إليه بحَذَافِيرها (٧) ، وترادَفَتْ (٨) ،

---

(١) الأمر بالسواك : أمر ندب . وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم .

(٢) إنقاء : أنقاه : إذا نظفه . البراجم : مفاصل الأصابع التي بينها ، والسلاميات من ظهر الكف : التي ترتفع إذا قبض الإنسان كفه ، فهي المفاصل الظاهرة ، والبراجم : الباطنة . والرواجب : هي المفاصل التي تلي الأنامل . ونقل عن أبي عبيد أن البراجم والرواجب جميعا : مفاصل الأصابع كلها . قال في نسيم الرياض : وهو اللائق بكلام المصنف .

وفي هامش ا : البراجم : رءوس السلاميات من ظاهر الكف ؛ إذا قبض القابض كفيه نشزت ، واحدتها برجمة .

والرواجب : بطون السلاميات ، واحدتها راجبة . والسلاميات : واحدتها سلامى ، وهي العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع .

(٣) الفطرة : الخلقة ، والمراد السنة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم . وخصال الفطرة — فيما رواه الشيخان : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط : (صحيح مسلم : ٢٢١) .

(٤) قال في نسيم الرياض (٢ — ١٣٨) : الزهد : معناه ترك الدنيا رغبة فيما عند الله ؛ وهو ثلاثة أقسام : ترك الحرام وهو زهد العوام ، وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص ، وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين .

(٥) حسبك : يكفيك .

(٦) عن زهرتها : أي تركه صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا .

(٧) بحذافيرها : بجملتها وكليتها من جميع نواحيها ، وجوانبها .

(٨) ترادفت : تتابعت وتوالت ؛ فأتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنائم والأموال والأرزاق الواسعة الطيبة ، بحيث لو أراد توسع فيها وأنفق واقتطف زهرتها ، ولكنه لم يرضها ، واكتفى بأقل قليل منها .

عليه فتوحُها إلى أن تُوفِّى صلى الله عليه وسلم ودِرْعُه مرهونةٌ عند يهودىٍّ فى نفقةِ عِيَاله[١] ، وهو يدعو ويقول : اللهم اجعَلْ رِزْقَ آلِ محمدٍ قُوتاً[٢] .

حدثنا سفيانُ بن العاصى ، والُحسين بن محمد الحافظ ، والقاضى أبو عَبْد الله التميمى ؛ قالوا : حدثنا أحمد بن عُمر ، قال : حدثنا أبو العباس الرازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الُجلُودى ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا أبو الحسين [مسلم][٣] بن الحجاج ؛ حدثنا أبو بكر بن أبى شَيْبَةَ[٤] ، حدثنا أبو معاوية عن الأَعْمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة[٥] ؛ قالت : ما شَبِع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تِباَعا[٦] من خُبْزٍ حتى مضَى لسبيله[٧] .

وفى روايةٍ أخرى : من خُبْزِ شعير يومين مُتَواليين ، ولو شاء اللهُ لأعطاه مالا يَخْطُر ببَال[٨] .

وفى روايةٍ أخرى : ماشَبِع آلُ رسولِ الله صلى الله عليهوسلم من خُبْزِ بُرٍّ حتى لقِيَ اللهَ تعالى .

وقالت عائشة: ما ترك[٩] رسولُاللهِ صلىالله عليه وسلم دِينارا ولادِرْهما ولا شاةً ولا بَعيرا .

---

(١) العيال : أهل البيت ومن تلزمهنفقته .وهذا الحديث فى صحيحالبخارى : ٤-٤٩، وفى هامش ب : اليهودى اسمه أبو النجم .

(٢) القوت : كل مايتقوت به الإنسان من الطعام ؛ أى اجعله بما يسد الرمق من غير زيادة . والحديث فى سنن الترمذى : ٤ — ٥٨٠ ، وصحيح البخارى : ٨ — ١٣٢

(٣) من ب . (٤) فى هامش ب : ابن أبى شيبة صاحب المصنف .

(٥) الحديث فى صحيح مسلم : ٢٢٨٤ ، والبخارى : ٨ —١٢١، وسننالترمذى: ٤-٥٧٩

(٦) تباعا : متتابعة متوالية . (٧) مضى لسبيله : توفى .

(٨) البال : القلب والعقل والفكر . وخطر : ذكر وتصور ؛ أى يعطيه منها كل نفيس لم يتصوره أحد من الناس لجلالته وعظمته . (٩) ماترك : ماخلف تركة .

وفى حديث عَمْرو بن الحارث[١]: ماترك إلّا سلاحَه وبَغلَته وأرضاً جعلها صَدَقة.
قالت عائشة : ولقد مات وما فى بيتى شىء يأكلُه ذُو كَبِدٍ[٢] إلا شَطْرُ شَعِير[٣] فى رَفّ لى[٤].

وقال لى : إنى عُرِضَ علىّ أن تُجْعَلَ لى بَطْحاء مكة[٥] ذهبا . فقلتُ : لا،يارب، أجوعُ يوما وأَشْبع يوما ، فأمّا اليـومُ الذى أجوعُ فيه فأتضرّع إليك وأدعوك ، وأما اليومُ الذى أَشْبَع فيه فأَحْمَدك وأُثنى عليك .

وفى حديث[٦] آخر إنّ جبريلَ نزل عليه ، فقال له : إنّ ٱللهَ تعـالى يُقرِئك السلامَ، ويقول لك :أتُحِب أنْ أجعلَ هذه الجبالَ ذهبا، وتـكونُ معك حيثما كنْتَ، فأطرق[٧] ساعةً ، ثم قال : ياجبريلُ ، إنّ الدنيا دارُ مَنْ لا دَارَ له[٨] ، ومالُ مَنْ

---

(١) الحديث فى البخارى : ٨ – ١١٩ (٢) ذو كبد : ذو حياة .

(٣) أراد به نصف مكوك ، أو نصف وسق . والمـكوك : المد ، وقيل : الصاع . وضبطت الراء فى شطر بالفتحة والضمة وعليها « معا » فى ب .

(٤) فى رف لى : الرف : شبه الطاق فى الحائط . ويطلق على خشبة عريضة ترفع عـن الأرض تعد لوضع مايراد حفظه .

(٥) البطحاء والأبطح : واد تجرى فيه السيول . أو بطن واد فيه رمل وحصى . والمراد بجعله ذهبا أن يملأ به ، أو أن يقلب حصاه ورماله ذهبا .

(٦) فى نسيم الرياض (٢ – ١٤٣) : قال السيوطى : لم أجده هكذا . ولـكن البيهقى أخرجه فى الزهد من طريق عطاء ، عن ابن عباس ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما : ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق ، فأتاه إسرافيل عليه السلام ، فقال : إن الله سمع ماذكرت ، فبعثنى إليك بمفاتح الأرض ، وأمرنى أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة ياقوتا وذهبا وفضة ، فقلت . . .

قال : فما ذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة أحاديث .

(٧) أطرق ساعة : طأطأ رأسه يفـكر فيما يجيبه به صلى الله عليه وسلم .

(٨) دار من لا دار له : لأنها فانية لايقيم فيها أحد .

لا مالَ(١) له ، قد يجمَعُها مَنْ لا عَقْلَ له .

فقال له جبريل : ثبَّتَكَ اللهُ يا محمدُ بالقول الثابت(٢) .

وعن عائشة (٣) قالت : إنْ كنَّا آلَ محمد لَنَمْكُثُ شهرا ما نستوْقِدُ (٤) نارا ؛ إنْ هو إلا التَّمْرُ والماء .

وعن عبدالرحمن بن عوف(٥) : هلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[٤٥]، ولم يشْبَعْ هو وأهلُ بيته من خُبْزِ الشَّعِير .

وعن عائشة وأبى أُمَامة(٦) ، وابن عباس نحوه .

قال ابنُ عباس : كان صلّى اللهُ عليه وسلم يَبِيتُ هو وأهلُه الليالىَ المتتابعةَ طاوِياً(٧) لا يجدون عَشاء .

وعن أنس (٨) : ما أكلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على خِوَانٍ ولا فى سُكُرُّجَةٍ (٩) ، ولا خُبِزَ له مُرَقَّق (١٠) ، ولا رأى شاةً سَمِيطا قطّ(١١) .

---

(١) ومال من لا مال له: أى إن ما يملكه المرء فيها سيسلب منه ، فهو عارية أو وديعة ، فصاحبه لا ملك له حقيقة ، فكل غنى فيها فقير . (٢) بالقول الثابت: الحق ؛ لأنه دائم لا يزول .

(٣) فى حديث صحيح فى البخارى : ٨ — ١٢١

(٤) هذا كناية عن أنهم ليس عندهم مايطبخ .

(٥) هذا الحديث رواه الترمذى فى سننه : ٤ — ٥٨٠

(٦) حديث أبى أمامة فى سنن الترمذى : ٤ — ٥٨٠ ، وحديث ابن عباس هو الآتى بعد ، وهو فى سنن الترمذى أيضا : ٤ — ٥٨٠

(٧) طاويا : جائعا . (٨) فى حديث رواه البخارى : ٨ — ١٢١

(٩) خوان : مائدة . والسكرجة : قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ .

(١٠) المرقق: رقيق الخبز. كالرقاق . وفى ب: مرقق — بالرفع والنصب، وعليها كلمة «معا» .

(١١) فى نسيم الرياض (٢—١٤٧): أى لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم شاة بتمامها بعد سمطها — أى غليها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها، ثم تشوى. وظاهر كلامهم أنها لم تسلخ، وأن ماذكر فى الحملان الصغيرة . وقال القارى (١ — ٣١٠) : سميطا ؛ أى مسموطا ، يعنى مشويا بجلده .

وعن عائشة [١] : إنما كان فِرَاشُه الذى ينامُ عليه أَدَماً [٢] حَشْوهُ لِيف .

وعن حَفْصة [٣] قالت : كان فِرَاشُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته [٤] مِسْحاً [٥] نَثْنيه ثِنْيتَيْن [٦] ، فينام عليه ، فثنيناه له ليلةً بأربع ، فلما أصبح قال : ما فَرَشْتُمُ [٧] لى الليلة ؟ فذكَرْنَا ذلكَ له ، فقال : رُدُّوه بحاله ، فإنّ وَطْأَتَه [٨] منعتنى الليلةَ صلاتى .

وكان صلى الله عليه وسلم ينامُ أحيانا على سَرِير مَرْمُول [٩] بِشَرِيط حتى يؤثِّرَ فى جَنْبِه [١٠] .

وعن عائشة قالت : لم يمتلئْ جَوْفُ النبىّ صلى الله عليه وسلم شِبَعاً قطُّ ، ولم يَبُثّ [١١] شكوى إلى أحَدٍ ، وكانت الفاقةُ [١٢] أحبَّ إليه من الغِنَى ، وإن كان ليظلُّ جائعا

---

(١) الحديث فى البخارى : ٨ — ١٢١ (٢) أدم : جلد مدبوغ لين .

(٣) حديث حفصة رواه الترمذى فى الشمائل منقطعا . قال فى نسيم الرياض : وحديثها لا ينافى حديث عائشة المتقدم ، لجواز أن كلا منهما ذكرت فراشه الذى كان عندها .

(٤) فى ب : فى بيتى . وفى هامشه : فى بيته .

(٥) مسحا : المسح : ثوب للفراش شبه الكساء . وقيل : من شعر أسود . قال الشهاب (٢ — ١٤٧) : وهو على كل حال شىء غليظ يتنزه عن مثله أهل الترفه .

(٦) ضبطت التاء فى ا بالكسرة . وفى ب : ثنيين . وضبطت التاء بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « معا » .

(٧) فى ا ، ب : ما فرشتمونى . وفى هامش ب : ما فرشتمو لى .

(٨) وطاءته : لينه تحت جنبى . وضبطت الواو فى ب بالكسرة . وفى ا : وطأته — بفتح الواو وسكون الطاء .

(٩) مرمول ، ومرمل ، ورمال : ينسج فى وجهه بالسعف وغيره ويشد بشريط ونحوه .

(١٠) كان يؤثر فى جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه . وهذا الحديث فى صحيح مسلم : ١٩٤٤ ، والترمذى : ٤ — ٥٨٨ ، وابن ماجه : ١٣٩٠ .

(١١) لم يبث : لم يذكر ويظهر . (١٢) الفاقة : الحاجة والفقر .

يلتوى طولَ ليلته من الجوع فلا يمنعُه صيامَ يومه ، ولو شاء سأل ربه جميعَ كنوزِ الأرضِ وثمارِها ورَغَدِ عيشها ، ولقد كنتُ أبكى له رحمةً مما أرى به ، وأمسحُ بيدى على بطنه مما به من الجوع ، وأقولُ : نفسِى لك الفداء ؛ لو تبلّغت من الدنيا بما يقوتك[1] ! فيقول : ياعائشةُ ؛ مالى وللدُّنيا ، إخوانى من أولى العزْم من الرسُل صبَروا على ماهو أشدُّ مِنْ هذا، فمضَوْا على حالِهم[2] ، فقدِمُوا على رَبِّهم ، فأكرَم مآبَهم[3] ، وأجْزَل ثوابَهم[4] ؛ فأجِدُنى أستحيِى إنْ ترفّهتُ[5] فى معيشتى أنْ يُقصَّر بى غدا دونَهم[6] ، وما مِنْ شىء هو أحبُّ إلىّ من اللُّحُوق بإخوانى وأخِلّائى[7] .

قالت : فما أقام بعْدُ إلا شهرا حتى تُوفّى صلى الله عليه وسلم .

فصـــل

وأما خَوْفُه ربَّه ، وطاعتُه له ؛ وشدةُ عبادته ، فعلى قَدْرِ علْمِه بربه[8] ، ولذلك قال فيما حدثناه أبومحمد بن عتّاب قراءةً منى عليه .قال:حدثنا أبو القاسم الطَّرابلسىّ،

---

(١) التبلغ : من البلاغ ، وهو مقدار الكفاية. والمراد : لو اكتفيت من الدنيا بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة .

(٢) مضوا على حالهم : استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم إلى أن ماتوا .

(٣) مآبهم : مرجعهم إليه .

(٤) أجزل ثوابهم : أكثر لهم العطاء والجزاء فى دار المقام .

(٥) إن ترفهت : تنعمت وتوسعت فى العيش .

(٦) فيكون مقامى دون مقامهم ، وتنزل مرتبتى عن مرتبتهم .

(٧) المراد بالإخوان والأخلاء : الأنبياء عليهم السلام .

(٨) فى نسيم الرياض (٢ ـ ١٥٣) : قال القشيرى : من عرفه صدق فى معاملاته ،وتنقى من ردىء أخلاقه وآفاته ؛ ومن أمارات المعرفة حصول الخوف مع الإجلال .

وإلى ذلك أشار المصنف ؛ فإن من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه ، وأطاعه وعبده على قدر طاقته ؛ وإنما يعصى الله من جهل ربه ونفسه ؛ فإن الإيمان محبة الله ، ومن أحبه أطاعه .

حدثنا أبو الحسن القابِسيّ ، حدثنا أبو زيد المَرْوَزى ، حدثنا أبو عَبْد الله الفِرَبْرِى، حدثنا محمدُ بن إسماعيل،حدثنا يحيى بن بُكَيْر ،عن الليث،عن عُقَيل،عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ـ أنَّ أبا هريرة كان يقول[١] : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعْلَمُ لضَحِكْتُم قليلا ، ولَبَكَيْتُمْ كثيرا .

زاد في روايتنا ، عن أبي عِيسى التّرمذى [٢] ـ رفَعَه إلى أبي ذَرّ : إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ، وأسْمَعُ مالا تسمعون ، أطَّتِ السماء وحُقّ لها أنَّ تئِطَّ[٣]،مافيها موضِعُ أربع أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهته ساجدا لله ، والله لو تعلمون ما أعلمُ لضَحِكْتُمْ قليلا ولَبَكَيْتُم كثيرا ، وما تلذَّذْتُم بالنساء على الفُرُش ، ولَخرَجْتُم إلى الصُّعُدَاتِ تجْأرُون إلى الله [٤] ، لوَدِدْتُ أني شجرةٌ تُعْضَدُ [٥] .

رُوِى هذا الكلامُ : ودِدْتُ أني شجرة تُعْضَد ـ من قول أبي ذَرّ نَفْسِه [٦] ، وهو أصحُّ .

وفي حديث المغيرة[٧]:صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قَدَماه[٨]

---

(١) هذا الحديث في سنن الترمذى : ٤ ـ ٥٥٧ (٢) سنن الترمذى : ٤ ـ ٥٥٦

(٣) أطت السماء : أصل معنى الأطيط : صوت الإبل إذا حنت ، والقتب إذا ضغطه ثقل ما عليه ، ونحو ذلك ؛ أى إن السماء لكثرة ما عليها من الملائكة إذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله عليه وسلم . وحق لها أن تئط : أى تصوت ، ويسمع لها صرير لثقل ما عليها . وهذا إيذان بكثرة ما في السماء من الملائكة . والمراد تقرير عظمة الله .

(٤) الصعدات : الطرقات . تجأرون : تضجون وتصيحون ، وتستغيثون الله ، وتتركون أهلكم ومساكنكم . وفي هامش ا : تجأرون : ترفعون أصواتكم بالدعاء .

(٥) تعضد : تقطع من أصلها . والمراد تمنيه أن يكون غير ذى روح فلا يبعث ولا يسأل.

(٦) أى هذه العبارة من قول أبي ذر لا من الحديث وكلام النبي .

(٧) صحيح مسلم : ٢١٧١

(٨) انتفخت قدماه : ورمت من طول القيام .

وفى روايةٍ[١]: كان يصلِّى حتى تَرِمَ قَدَمَاهُ؛ فقيل له: أتَكَلَّفُ[٢] هذا وقد غُفِر لكَ ما تقدَّم من ذنبكَ وما تأخَّر! قال: أفلا أكونُ عَبْداً شَكُورا[٣].

ونحوه عن أبى سَلَمة، وأبى هُريرة.

وقالت عائشة[٤]: كان عَمَلُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم دِيمَةً[٥]، وأيُّكم يُطِيق [٢٦] ما كان يُطِيق!

وقالت: كان يَصُومُ حتى نقولَ: لا يُفطِر. ويُفْطِر حتى نقول: لا يَصُوم.

ونَحْوُه عن ابن عباس، وأم سَلَمة، وأنس[٦].

وقالت[٧]: كنْتَ لا تشاء أنْ تَرَاهُ من الليل مُصَلِّيا إلا رأيتَه مُصليا، ولا نائما إلا رأيتَه نائما.

وقال عَوْف بن مالك: كنْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً فاسْتَاكَ ثم توضأ، ثم قام يُصَلِّى، فقُمْتُ معه، فبدأ فاستفتح[٨] البقرةَ، فلا يَمُرُّ بآيةِ رَحْمةٍ إلا وقف فسأل[٩]، ولا يَمُرُّ بآيةِ عذابٍ إلّا وقف فتعوّذَ، ثم ركع، فمكث بقَدْرِ قِيَامِه، يقول: سبحانَ ذِى الجَبَرُوت[١٠] والملكوت والعظمةِ، ثم سجَد وقال مِثْلَ ذلك؛ ثم قرأ آلَ عمران، ثم سورةً سورةً، يفعلُ مِثْلَ ذلكَ[١١].

(١) صحيح مسلم: ٢١٧٢ (٢) أتكلف: أتتكلف؛ أى تتحمل مشقته وكلفته.
(٣) أى أأترك الصلاة لمغفرته، وهى سبب موجب للعبادة لا لتركها.
(٤) صحيح مسلم: ٥٤١ (٥) ديمة: دائما متصلا.
(٦) قال فى نسيم الرياض: والأحاديث التى رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف فى بعض ألفاظها، وكلها صحيحة مروية فى الصحيحين وابن حبان.
(٧) فى ا: وقال؛ أى قال كل منهم. وفى ب: وقالت؛ أى عائشة فيما روياه عنها أيضا.
(٨) استفتح البقرة: شرع فى قراءتها. (٩) فسأل: سأل الله الرحمة.
(١٠) الجبروت والملكوت: الجبروت: مبالغة فى الجبر، وهو القهر. والملكوت: الملك العظيم.
(١١) سنن أبى داود: ١ — ٨٨

وعن حُذَيْفَة مثلَه ، وقال : سجد نحْواً من قِيامه ، وجلس بين السجْدَتَيْن نحوا منه ، وقال : حتى قرأ البَقَرَةَ ، وآل عِمْران ، والنساء ، والمائدة[١] .

وعن عائشة : قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بآيةٍ من[٢] القرآن ليلةً .

وعن عَبْد الله بن الشِّخِّير : أتيتُ رسولَ آللهِ صلى الله عليه وسلم وهو يصلِّى ، ولجوْفِه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَل[٣] .

وقال ابنُ أبى هالَة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُتواصِلَ الأحزان ، دائمَ الفِكْرَة[٤] ، ليست له راحَةٌ .

وقال عليه السلام : إنى لأسْتَغْفِرُ آللهَ فى اليوم مائةَ مرة — ورُوِى سبعين مرة .

وعن علىّ رضِىَ آللهُ عنه،قال : سألْتُ رسولَ الله صلى آللهُ عليه وسلم عن سُنَّتِه[٥]، فقال: المعرفةُ رأْسُ مالِى[٦] ، والعَقْلُ أصلُ دينى[٧] ، والحبُّ أساسى[٨] ، والشوقُ

---

(١) أى قرأ فى كل ركعة بسورة من هذه السور : سنن أبى داود : ١ — ٨٨

(٢) الآية التى رددها طول ليله هى من سورة المائدة : إن تعذبهم فإنهم عبادك . . . . (شرح القارى : ١ — ٣١٧) .

(٣) جوف كل شىء : باطنه ، والمراد به ما تحت صدره وأضلاعه ، والأزيز : صوت الغليان إذا اشتد . والمرجل : القدر . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم — لشدة خوفه وخشيته من الله — يسمع حركة قلبه .

(٤) دائم الفكرة : يفكر دائما فى أمره وأمر أمته ، وفى عاقبة الأمر .

(٥) سننه : طريقته التى هو عليها .

قال فى نسيم الرياض : وهذا الحديث ذكره فى الإحياء . وقال الحافظ العراقى : إنه لا أصل له . وقال السيوطى : إنه موضوع ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وهو يشبه كلام الصوفية (نسيم الرياض : ٢ — ١٦١) .

(٦) المعرفة : المراد بها معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الأمور مما لم يكن يعلمه .

(٧) أى دينه وشرعه ، أى ما تعبد به وتدين قبل البعثة مبنى على ما أودعه الله تعالى فيه من كمال عقله الذى هداه إلى النظر فى مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته .

(٨) والحب : محبة الله أساس ما يبنى عليه أموره فى اتباع أوامر الله ونواهيه .

مَرْكَبى[١]، وذِكْرُ اللهِ أَنيسى[٢]، والثقةُ كَنْزِى ، والحزْنُ رَفِيقى ، والعِلْمُ سِلَاحى ، والصَّبْرُ رِدَائى ، والرضا غَنِيمتى ، والعَجْزُ فَخْرِى ، والزُّهْدُ حِرْفَتى[٣] ، واليقينُ قُوَّتى ، والصِّدْقُ شَفِيعى ، والطاعةُ حَسْبِى ، والجِهادُ خُلقى ، وقُرَّةُ عينى[٤] فى الصلاة .

وفى حديث آخر : وثَمرةُ فؤادى فى ذِكْرِه ، وغَمِّى لأجْل أُمتى ، وشوقى إلى ربِّى .

فصــــل

اعلم وفّقنا اللهُ وإيّاك أنّ صفات جميع الأنبياء والرسل صلواتُ الله عليهم ؛ من كمال الخلْقِ ، وحُسْنِ الصُّورة ، وشَرفِ النسب ، وحسن الخُلُق ، وجميع المحاسن ، هى هذه الصفة ؛ لأنها صفاتُ الكمال[٥] ، والكمالُ والتمامُ البَشَرِىّ والفَضْلُ[٦] الجميعُ لهم صلواتُ الله عليهم ؛ إذ رُتبَتُهم أشرفُ الرتب ، ودرجاتُهم أرفعُ الدرجات ، ولكِنْ فَضّلَ اللهُ بعضَهم على بعض ؛ قال اللهُ تعالى[٧] : ﴿ تلكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بعضَهم على بَعْض ﴾ . وقال[٨] : ﴿ ولقد اخترْنَاهم على عِلْمٍ على العالَمِين ﴾ .

وقد قال عليه السلام[٩] : إنّ أول زُمْرَة[١٠] يدخلون الجنة على صُورة القمر ليلة البدْرِ[١١] ؛

---

(١) والشوق مركبى : أى شوقى إلى المطالب العالية ، وإلى لقاء الله تعالى — هو الذى حركنى حتى وصلت لمرادى .

(٢) وذكر الله أنيسى : يعنى أنه يأنس فى خلوته وجلوته بذكر الله ؛ لأنه إذا أكثر من ذكره صار نصب عينيه حتى كأنه معه ، ومن كان الله معه أنس به ، واستوحش مما عداه .

(٣) الحرفة : الصناعة التى يرتزق منها الإنسان .

(٤) قرة عينى : مسرتها وفرحتها فى الصلاة .

(٥) المعنى أن كمال الخلق ، وحسن الصورة ، وشرف النسب ، وحسن الخلق — صفات جامعة لجميع المحاسن ، وهى صفة الرسل عليهم السلام ، وهى على الوجه الأتم الأكمل لا تجتمع فى غيرهم .

(٦) والفضل الجميع : أى الفضل جميعه .

(٧) سورة البقرة ، آية ٢٥٣

(٨) سورة الدخان ، آية ٣٢

(٩) فى حديث رواه مسلم : ٢١٧٨ ، ٢١٧٩

(١٠) زمرة : طائفة ؛ وجماعة . والمراد بهذه الزمرة : الأنبياء ، أو الأنبياء والأولياء .

(١١) على صورة القمر : أى وجوههم مشرقة مضيئة . والقمر ليلة البدر يكون أضوأ ما يكون .

ثم قال آخِرَ الحديث : على خَلْقِ رجلٍ واحد ، على صُورة أبيهم آدم ، طولُه ستون ذِراعا فى السماء .

وفى حديث أبى هُريرة[١] : رأيتُ موسى فإذا هو رجُلٌ ضَرْبٌ، رَجِل، أَقْنَى كأنه مِنْ رجال شَنُوءَةَ[٢] ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رَبْعَة ، كثيرُ خِيْلَانِ الوجه ، أحمرُ كأنما خَرج مِنْ دِيْمَاس[٣] .

وفى حديث آخر : مُبَطَّن مِثْلُ السيف[٤] ؛ قال : وأنا أَشْبَهُ وَلدِ إبراهيم به .

وقال فى حديثٍ آخر فى صفِة موسى : كأحسن ما أنْتَ راءٍ من أُدْمِ[٥] الرِّجال.

وفى حديث أبى هُريرة ، عنه صلى الله عليه وسلم : ما بعث اللهُ تعالى من بَعْدِ لوطٍ نبيا إلا فى ذرْوَة من قومه[٦] .

---

(١) فى صحيح مسلم : ١٥٣

(٢) ضرب : جسمه بين الهزال والسمن ، رجل : شعره متكسر قليلا ، ليس بسبط ، أقنى : طويل الأنف دقيق أرنبته . شنوءة : اسم قبيلة .

(٣) ربعة : بين الطول والقصر ، معتدل القامة . والخيلان : جمع خال ، وهو الشامة السوداء المعروفة . الديماس : الحمام . والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه . وكلمة « دماس » ضبطت الدال فيها بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » فى ا .

وفى هامش ا ، عن الغريبين للهروى: الديماس : السكن؛ أى كأنه مخدر لم يرشمسا . وقال بعضهم : الديماس : السرب . ومنه يقال : دمسته ؛ إذا قبرته . ويقال : الديماس : الحمام .

وانظر أيضا : النهاية : ٢ — ٣٢ ، والفائق : ١ — ٤١١

(٤) مبطن : ضامر البطن ، مثل السيف : فى استوائه ودقته .

وفى هامش ا : والمبطان ضده . والمبطون : الذى يشتكى بطنه .

(٥) أدم الرجال : من الأدمة ، وهى سمرة اللون . وجمع آدم : أدم .

(٦) الذروة : أعلى شىء ؛ أى بين قوم له ، ذوى جدة وسعة وشرف ، لا غرباء ، ولا من قوم ليسوا كذلك . وأشار بهذا الحديث إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم فى علو النسب ، وشرف القوم .

ويروى [٤٧] : فى ثَرْوَةٍ ؛ أى كَثْرةٍ وَمَنَعَةٍ[١] .

وحكى الترمذى[٢] ، عن قتادة ، ورواه الدّارَقُطْنى من حديث قتادة عن أنس : ما بعث اللهُ نبيا إلا حسنَ الوَجْهِ ، حسنَ الصوتِ ، وكان[٣] نبيُّكم أحسنَهم وَجْها ، وأحسنهم صَوْتا .

وفى حديث هِرَقْل[٤] : وسألتُكَ عن نَسَبِهِ ، فذكَرتَ أنه فيكم ذو نَسبٍ[٥] ، وكذلك الرسلُ تُبْعَثُ فى أنساب[٦] قومها .

وقال تعالى فى أيوب[٧] : ﴿ إنّا وَجَدْنَاهُ صابرا نِعْمَ العَبْدُ إنه أوَّابٌ ﴾[٨] .

وقال تعالى[٩] : ﴿ يا يَحْيَى ، خُذِ الكتابَ بقُوَّةٍ[١٠] وآتيناه الحُكْم صَبِيًّا . وحَنَانًا من لَدُنَّا وزكاةً[١١] وكان تَقِيًّا . وبَرًّا بوالديه ولم يَكُنْ جبَّاراً عَصِيًّا . وسلامٌ عليه يوم وُلِدَ ويوم يَمُوتُ ويوم يُبْعَثُ حيًّا ﴾ .

---

(١) ومنعة : أى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الحديث المذكور فى الشمائل وغيرها مرسلا .

(٣) فى ب : فكان .

(٤) هذا الحديث رواه البخارى : ١ – ٧ ، وكان هذا حين أرسل هرقل إلى أبى سفيان وهو بالشام للتجارة فى ركب من قريش فى مدة محادة رسول الله لكفار قريش ، فأتوه بإيليا ، فدعاهم وحوله عظماء الروم ، فسألهم عن أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول ما سأله عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقال : هو فينا ذو نسب .

(٥) ذو نسب : ذو نسب عظيم .

(٦) أى كل نبى له نسب عال فى قومه .

(٧) سورة ص ، آية ٤٤

(٨) أواب : كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه ، وامتثال أوامره ونواهيه .

(٩) سورة مريم ، الآيات من ١٢ – ١٥

(١٠) بقوة : أى بقوة فهم ، وعزيمة على العمل بما فيه .

(١١) حنانا : فى طبعه الرحمة . وزكاة : مطهرا من النقائص .

وقال[٢] : ﴿ أَنَّ آللهَ يبشِّرُكَ بيَحْيَى مصدِّقاً بكلمةٍ من آللهِ وسيِّداً وحَصُوراً[٢] ونبيًّا مِنَ الصالحين ﴾ .

وقال[٣] : ﴿ إِنَّ آللهَ اصْطَفَى آدمَ ونُوحا وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمْرانَ على العالمين. ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وآللهُ سَمِيعٌ عَلِيم ﴾ .

وقال ـ فى نوح[٤] : ﴿ إنه كان عَبْداً شَكُوراً ﴾ .

وقال[٥] : ﴿ إن آللهَ يُبَشِّرُكِ بكلمةٍ منه اسْمُه المسيحُ عيسى بن مريم وَجِيهاً فى الدُّنيا والآخرةِ[٦] ومن المُقَرَّبين . ويُكَلِّمُ الناسَ فى المَهْد وكَهْلا ومِنَ الصالحين ﴾.

وقال[٧] : ﴿ إنِّى عَبْدُ آللهِ آتانِىَ الكتابَ وجعلنى نَبِيًّا . وجعلنى مُبَارَكاً أينما كُنْتُ وأوصانى بالصلاةِ والزكاةِ ما دُمْتُ حيًّا ﴾ .

وقال تعالى[٨] : ﴿ يأَيُّها الذين آمَنُوا لا تكونوا كالَّذِين آذَوْا موسى فبَرَّأَهُ[٩] آللهُ مما قالوا وكان عنْدَ آللهِ وَجِيها ﴾ .

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: كان مُوسى رجُلا حَيِيًّا سِتِّيراً[١٠] ما يُرَى من جَسده شىء استحياء . . . الحديث[١١] .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٣٩

(٢) وحصورا : الحصور الذى لا يأتى النساء ، إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد فى إزالة الشهوة ، والثانى أظهر فى الآية لأنه بذلك يستحق المحمدة (المفردات ١٢٠) .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ ، ٣٤ (٤) سورة الإسراء ، آية ٣

(٥) سورة آل عمران ، آية ٤٥ ، ٤٦ ، وهذه الآية فى عيسى .

(٦) وجيها : شريفا قدره فى الدارين . (٧) سورة مريم ، آية ٣٠

(٨) سورة الأحزاب ، آية ٦٩

(٩) عابوه ـ لشدة تستره حياء من الله ، بأن فى بدنه برصا أو به أدرة ، فبرأه الله من ذلك وبين أنه كامل الخلق والخلق .

(١٠) حييا : كثير الحياء . ستيرا : شديد الستر لبدنه .

(١١) الحديث رواه الترمذى فى صحيحه: ٥ـ٣٥٩ ، وتتمته أنه كان يكثر التستر ويغتسل =

وقال تعالى – عنه[١] : ﴿ فوهَبَ لِي رَبّي حُكْماً[٢] وجعلني مِنَ المُرْسَلين ﴾ .

وقال في وصْفِ جماعةٍ منهم[٣] : ﴿ إنّي لكم رسُولٌ أَمين ﴾ .

وقال[٤] : ﴿ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمين ﴾ .

وقال[٥] : ﴿ فاصْبِرْ كما صَبر أُولو العَزْمِ من الرُّسُل ﴾ .

وقال[٦] : ﴿ ووهَبْنا له إسحاقَ ويعقوبَ كُلًّا هدَيْنا ونوحا هدَيْنا من قَبْلُ ومِنْ ذُرِّيَّتِه داودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ وكذلك نَجْزِي المُحْسِنين . وزَكريّا ويَحْيَى وعيسى وإلْيَاسَ كلٌّ من الصالحين. وإسماعيلَ والْيَسَعَ ويونسَ ولوطا وكُلًّا فضَّلْنا على العالَمين . ومِنْ آبائهم وذُرِّيّاتِهم وإخوانِهم واجْتَبَيْناهُمْ وهدَيْناهُمْ إلى صراطٍ مُسْتَقيم . ذلكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي به مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِه ولو أشْرَكُوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يَعْمَلُونَ . أولئكَ الذين آتيناهم الكتابَ والحُكْمَ والنبوّةَ فإنْ يَكْفُرْ بها هؤلاء فقد وكّلْنَا بها قوما لَيْسُوا بها بكافِرِين. أولئكَ الذين هدَى اللهُ فبِهُدَاهُمْ اقْتَدِه . . . ﴾

فوصفَهم بأوصافٍ جَمَّةٍ من الصَّلاح والهُدَى والاجتباء والحُكْم والنبوّة[٧] .

= وحده؛ قالوا: إنه إنما يفعل هذا لبرص أو أدرة، فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر، فلما أراد أن يلبسه فر الحجر ، وجرى خلفه يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى مر على بني إسرائيل، فرأوه أكمل الناس وأصحهم بدنا ، فبرئ مما سموه وآذوه به .

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١ (٢) حكما : علما ونبوة .

(٣) سورة الشعراء، آية ١٠٧ ، وغيرها .

(٤) القائل هو موسى لشعيب . سورة القصص ، آية ٢٦

(٥) سورة الأحقاف ، آية ٣٥

(٦) سورة الأنعام ، الآيات من ٨٤ – ٩٠

(٧) جمة : كثيرة . والصلاح: صفة جامعة لكل خير . والاجتباء : الاصطفاء والاختيار للرسالة . والحكم : الحكمة ، أو فصل الأمر على مقتضى الحق .

وقال[١] : فبَشَّرْناه بغُلام حَلِيم . وعَلِيم .

وقال[٢] : ﴿ ولقد فَتَنَّا[٣] قَبْلَهم قومَ فِرْعون وجاءهم رسولٌ كَرِيم. أنْ أدُّوا إلىَّ عبادَ ٱللهِ إنّى لكم رسولٌ أمِين ﴾ .

وقال[٤] : ﴿ ستَجِدُنى إنْ شاءَ ٱللهُ منَ الصَّابِرِين ﴾[٥] .

وقال[٦] ـ فى إسماعيل : ﴿ إنه كان صادِقَ الوَعْدِ وكان رسولا نَبِيًّا . وكان يأْمُر أهلَه بالصلاةِ والزكاةِ وكان عند رَبِّه مَرْضِيًّا ﴾ .

وفى موسى[٧] : ﴿ إنَّه كان مُخْلَصاً ﴾[٨] .

وفى سليمان[٩] : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إنه أوَّابٌ ﴾ .

وقال[١٠] : ﴿ واذْكُرْ عبادَنا إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقُوبَ أولى الأيْدِى والأبْصار[١١]. إنّا أخْلَصْناهم بخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار[١٢]. وإنّهم عندنا لمِنَ المُصْطَفَيْن الأَخْيَار ﴾[١٣] .

---

(١) سورة الصافات ، آية ١٠١ . وفى الذاريات ، آية ٢٨ : وبشروه بغلام عليم . والمبشر : هو إسحاق .

(٢) سورة الدخان ، آية ١٧ ، ١٨ (٣) فتنا : المراد بالفتنة الاختبار والامتحان .

(٤) سورة الصافات ، آية ١٠٢ ، والقائل هو إسماعيل لوالده إبراهيم .

(٥) من الصابرين على الذبح مسلما لله ، ولذلك سلمه الله وفداه .

(٦) سورة مريم ، آية ٥٤ ، ٥٥ (٧) سورة مريم ، آية ٥١

(٨) ضبطت اللام فى « مخلصا » بالكسرة فى ا ، قال القارى (١ ـ ٧٢٣) : وفى قراءة للسبعة بفتح اللام ؛ أى أخلصه الله واختاره ، واصطفاه .

(٩) سورة ص ، آية ٣٠ ، ٤٤ . والأواب : كثير الرجوع إلى ربه .

(١٠) سورة ص ، آية : ٤٥ ـ ٤٧

(١١) الأيدى : جمع يد ، بمعنى القوة . والأبصار : جمع بصر ، بمعنى بصيرة .

(١٢) جعلناهم خالصين بسبب أنهم لا يذكرون إلا الدار الآخرة .

(١٣) الأخيار : جمع خير .

وفى داود[1] : ﴿ إنه أوّاب ﴾ . ثم قال[2] :﴿ وشَدَدْنَا مُلْكَه وآتيناه الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَاب ﴾[3] .

وقال ـ عن يوسف[4] : ﴿ اجْعَلْنى على خَزائنِ الأرضِ إنّى حَفِيظٌ عَلِيم ﴾ .

وفى موسى[5] : ﴿ ستَجِدُنى إنْ شاءَ اللهُ صابِراً ﴾ .

[وقال تعالى[6] ـ عن شُعَيب : ﴿ سَتَجِدُنى إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصالحين ﴾][7] .

وقال[8] : ﴿ وما أُرِيدُ أنْ أُخَالِفَكم إلى ما أَنْهَاكُمْ عنه إنْ أُرِيدُ إلا الإصلاحَ ما استَطَعْتُ ﴾ .

وقال[9] : ﴿ ولوطاً آتيناه حُكْما وعِلْما ﴾ .

وقال[10] : ﴿ إنّهُمْ كانوا يُسارِعُون فى الخَيْرَاتِ ويَدْعُوننا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خَاشِعين ﴾[11] .

قال سفيان : هو[12] الحُزْنُ الدائم.

---

(١) سورة ص ، آية ١٧ ، ١٩ (٢) سورة ص ، آية ٢٠

(٣) شددنا ملكه : قويناه . وفصل الخطاب : الكلام الفاصل بين الحق والباطل .

(٤) سورة يوسف ، آية ٥٥ (٥) سورة الكهف ، آية ٦٩

(٦) سورة القصص ، ، آية ٢٧ ، والمخاطب فى قوله تعالى : « ستجدنى » ـ هو موسى .

(٧) ما بين القوسين ساقط فى ا .

(٨) سورة هود ، آية ٨٨ . أخالفكم : من قولهم : خالفت فلانا إلى كذا ، إذا قصدته مع إعراضه عنه . والمعنى : ما أريد أن آتى مانهيتكم عنه لأستبد به لعلمى أنه خطأ ، وفى ارتكابه خطر ، فلو كان صوابا لآثرته ، ولم أتركه فضلا عن أن أنهى غيرى عنه .

(٩) سورة الأنبياء ، آية ٧٤

(١٠) الأنبياء : ٩٠ ، إنهم : أى الأنبياء المذكورون فى سورتهم .

(١١) شأنهم المبادرة إلى فعل أنواع الخير، وسؤال الله تعالى فى الرغبة والرهبة ؛ أى للرغبة فى المثوبة والقربة ، والرهبة عن العقوبة .

(١٢) هو تفسير الخشوع فى قوله تعالى : وكانوا لنا خاشعين .

فى آيٍ كثيرة ، ذكر فيها مِنْ خِصالهم ومَحَاسِنِ أخلاقهم الدالةِ على كمالهم .

وجاء مِنْ ذلك فى الأحاديث كثير ، كقوله[١] : إنما الكريمُ ابنُ الكريمِ ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، نبيٌّ ابن نبي ابن نبي ابن نبيٍّ .

وفى حديث أنس[٢] : وكذلك الأنبياء تنامُ أعْيُنهم ولا تنام قلوبُهم .

وروى أنَّ سليمان[٣] كان مع ماأُعْطِيَ من المُلك لايرفَعُ بصره إلى السماء تخشُّعاً وتواضُعاً لله تعالى . وكان يُطْعِمُ الناسَ لذائذَ الأطعمةِ ويأكل خُبْزَ الشَّعِير .

وأوْحَى آللهُ إليه : يا رَأْسَ العابدِين[٤] ، وآبْنَ مَحَجَّة الزاهدين[٥] .

وكانت العجوزُ تَعْتَرِضُه[٦] — وهو على الرِّيحِ فى جنوده ، فيأمر الريحَ فتقِفُ فينظر فى حاجتها ويَمْضِي .

وقيل ليوسف : مالكَ تجُوعُ وأنتَ على خزائنِ الأَرْضِ ؟ قال : أخافُ أنْ أَشْبَع فأنْسَى الجائع [٤٨] .

وروى أبو هريرة عنه[٧] صلى الله عليه وسلم : خُفِّفَ على داوُد القرآن[٨] ، فكان يأمر بدوابّه ، فتُسْرَج ، فيقرأ القُرآنَ قبل أنْ تُسْرَج[٩] ، ولا يأكل إلا مِنْ عَمَلِ يده .

---

(١) هذا الحديث فى صحيح البخارى بدون : «إنما» (صحيح البخارى : ٤ — ٢٢٤) .
(٢) فى حديث رواه البخارى : ٤ — ٢٣٢
(٣) رواه الطبرانى ، عن أبى هريرة .
(٤) رأس العابدين : أعلاهم ورئيسهم .
(٥) محجة الزاهدين : مقصدهم ومقتداهم الذى يأنسون بسنته ومسلكه .
(٦) تعترضه : تجىء له وتقف مقابلته .
(٧) رواه البخارى : ٦ — ١٠٧
(٨) المراد قراءة كتابه ، وهو الزبور . والمراد بتخفيفه سرعة قراءته فى زمن يسير .
(٩) قيل هذا من البركة فى الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير .

قال الله تعالى[١] : ﴿ وأَلَنَّا لَهُ الحديدَ . أنِ اعْمَلْ سابِغَاتٍ وقَدِّرْ في السَّرْدِ ﴾[٢] .

وكان[٣] سأل رَبَّه أنْ يرزقَه عَمَلًا بيده يُغْنِيه عن بَيْتِ المالِ .

وقال عليه السلام[٤] : أَحَبُّ الصلاةِ إلى اللهِ صلاةُ داود . وأَحبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داود : كان ينامُ نِصْفَ الليل ، ويقوم ثُلثه ، وينام سدُسَه ، ويصوم يوما ويفطر يوما . وكان يلْبَسُ الصوفَ ، ويفترشُ الشَّعَر ، ويأكل خُبْزَ الشعير بالمِلْح والرماد ، ويَمْزُجُ شرابَه بالدموع[٥] ، ولم يُرَ ضاحكا بَعْدَ الخطيئة[٦] ، ولا شاخِصاً ببصره إلى السماء ، حَيَاءً من رَبّه ، ولم يزل باكيا حياتَه كلَّها .

وقيل : بَكَى حتى نبت العُشْبُ من دموعه[٧] ، وحتى اتخذت الدموعُ في خَدِّه أُخْدُودا[٨] .

وقيل : كان يخرجُ متنكِّراً يتعرَّفُ سيرتَه ، فيستمع الثناء عليه ، فيزداد تواضُعاً .

وقيل لعيسى عليه السلام : لو اتخذْتَ حِمَارا . قال : أنا أكرمُ على اللهِ مِنْ أن يشغلني بحِمَار .

وكان يلبس الشَّعَر ، ويأكل الشَّجَر ، ولم يكن له بيت أينما أدركه النومُ نام .

وكان أَحَبُّ الأسامِي إليه أنْ يُقال له مِسْكين[٩] .

---

(١) سورة سبأ ، آية ١٠ ، ١١

(٢) سابغات : دروعا طويلة تامة . السرد : سرده : نسجه وعمله . ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير ، وكون المسامير غير رقيقة فتفلق ، ولا غليظة فتكسر الحلق .

(٣) وكان : أي داود . (٤) صحيح مسلم : ٨١٦ (٥) لكثرة بكائه .

(٦) الخطيئة : تزوجه بامرأة أورياء . قال في نسيم الرياض : وليست هذه خطيئة ، ولكن علو مقامه وزهده يقتضي خلاف ذلك ؛ فلذا عوتب عليه .

(٧) هذا رواه ابن أبي حاتم عن أنس رضي الله عنه مرفوعا ، وعن مجاهد وغيره موقوفا .

(٨) الأخدود : الشق المستطيل في الأرض . والمراد أثرت أثرا في خده .

(٩) رغبة في التواضع لعظمة الله . وقد ضبطت الباء في «أحب» بالضمة وعليها علامة الصحة في ا .

وقيل : إنّ موسى عليه السلام لما وردَ ماء مَدْين كانت تُرَى خُضْرَةُ البَقْلِ (١) فى بطنه من الهُزَال .

وقال عليه السلام : لقد كان الأنبياء قبلى يُبْتَلَى أحدُهم بالفقر والقَمْلِ ، وكان ذلك أَحَبَّ إليهم من العطاء إليكم .

وقال عيسى عليه السلام — لخنْزِير لَقِيه : اذهب بسلام . فقيل له فى ذلك ، فقال : أَكْرَهُ أنْ أُعوِّدَ لسانى المنطقَ بسُوء .

وقال مجاهد : كانَ طعامُ يحيى العُشْبَ .

وكان يَبْكِى من خشية ٱللهِ حتى ٱتخذ الدمعُ (٢) مجرى فى خدّه ، وكان يأكلُ من الوَحْشِ لئلا يُخَالِطَ الناسَ .

وحكى الطبرىُّ ، عن وَهْب ، أنّ موسى كان يستظلُّ بعَرِيش (٣) ، ويأكل فى نُقْرَةٍ من حَجَر ، ويَكْرَعُ فيها (٤) إذا أراد أن يشرب كما تَكْرَع الدابّةُ ، تواضعا لله بما أكرمه ٱللهُ به من كلامه .

وأخبارُهم فى هذا كلّه مسطورةٌ ، وصفاتُهم فى الكمالِ وجميلِ الأخلاقِ ، وحسْنِ الصُّوَر والشمائلِ معروفةٌ مشهورةٌ ؛ فلا نُطَوِّلُ بها ، ولا تَلْتَفِتْ إلى ما تجده (٥) فى كتُب بعضِ جهلةِ المؤرّخين والمفسرين مما يخالفُ هذا .

---

(١) البقل : ما ليس بشجر من النبات مما تبق أرومته وأصوله بعد أخذه .
(٢) فى ب : الدموع .
(٣) العريش : هو ما يستظل به خيمة كانت أو خشبا أو نباتا .
(٤) يكرع فيها : أى يضع مايشرب فى نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه .
(٥) فى هامش ب : نجده — بالنون .

فصـــل

قد أتيناكَ ـ أكرمكَ الله ـ من ذِكْرِ الأخلاقِ الحميدة ، والفضائلِ المجيدة ، وخصالِ الكمالِ العديدة ، وأرَيناك صِحّتَها[١] له صلى الله عليه وسلم ، وجَلَّينا[٢] من الآثار مافيه مَقْنَع ، والأمرُ أوسع؛ فمجالُ هذا الباب في حقّه صلى الله عليه وسلم مُمتدٌّ ، تنقطعُ دون نفادِه الأدِلّاء[٣] ، وبحرُ علْمِ خصائصِه زاخرٌ لا تُكدِّرُه الدِّلاء[٤] ، لكنا أتينا فيه بالمعروف[٥] مما أكثرُه في الصحيح والمشهورِ من المصنَّفات؛ واقتصرنا في ذلك بقُلٍّ من كُلٍّ[٦] ، وغَيْضٍ من فيْض[٧] ، ورأينا أنْ نختِمَ هذه الفصولَ بذكرِ حديثِ الحسن[٨] ، عن أبي هالَةَ ، لجمْعِه من شمائله وأوصافِه كثيرا ، وإدْماجِه جُمْلةً كافيةً من سِيَرِه وفضائله ، ونَصِلُه بتنبيهٍ لطيفٍ على غَرِيبه ومُشْكِله .

حدثنا القاضي أبو على الحُسَين بن محمد الحافظ ـ رحمه الله ـ بقراءتي عليه سنةَ ثمانٍ وخمسمائة [٤٩] ؛ قال : حدثنا الإمامُ أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميميّ قراءةً عليه ، أخبركم الفقيهُ الأديبُ أبو بكر محمد بن عبدالله بن الحسن النيسابوري ، والشيخُ الفقيهُ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المُحمَّدى ، والقاضي أبو على الحسَنُ بن على بن جعفر

---

(١) أي كونها صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم .

(٢) جلينا : روينا ونقلنا ، وأوردنا وشرحنا .

(٣) الأدلاء : جمع دليل ، وهو من يتقدم الركب ليهديهم إلى الطريق .

(٤) الدلاء : جمع دلو . وهو ما يؤخذ به الماء . وعدم تكديره : عبارة عن عدم بلوغ آخره ؛ لأنه إذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه . (٥) المعروف : المشهور الذي يعرفه الناس .

(٦) القل : القليل ، بمعنى القلة ؛ أي ذكرنا أمرا قليلا منه لا كثيرا ، أو دون الجميع ، لأنه لا يمكن الإحاطة به . وكلمة « كل » فوقها علامة الصحة في ب . وفي هامشه : كثر .

(٧) الغيض : المراد القليل . الفيض : المراد به الكثير .

(٨) رواه الترمذي في شمائله صفحة ٤ من نسختى المخطوطة . وهو في دلائل النبوة للبيهقي (١ ـ ٢٣٩) .

الوَحْشِيّ ؛ قالوا: حدثنا أبو القاسم عليّ بن أحمد بن محمد بن الحسن الخُزَاعى ، أخبرنا أبو سعيد الهَيْثم بن كُليب الشاشى، أنبأنا أبو عيسى بن سَوْرَة الحافظ ؛ قال : حدثنا سُفْيَان بن وَكِيع، حدثنا جُمَيْع بن عُمر بن عبد الرحمن العِجْلى إملاء من كتابه ؛ قال: حدثنى رجلٌ من بنى تميم من وُلْدِ أبى هالَة زَوْجِ خديجةَ أمِّ المؤمنين رضى الله عنها، يكنى أبا عبد الله ، عن ابنٍ لأبى (١) هالَةَ ، عن الحسن بن على بن أبى طالب رَحمه الله ؛ قال : سألتُ خالى هِنْدَ بن أبى هالَةَ .

قال القاضى أبو على رحمه الله(٢): وقرأتُ على الشيخ أبى طاهر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن خُذَاداذ(٣) الكَرَجِيّ (٤) الباقِلّانى ؛ قال : وأجاز لنا الشيخُ الأجلّ أبو الفضل أحمد بنُ الحسين بن خَيْرُون ؛ قالا : حدثنا أبو على الحسَنُ بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذَان بن حَرْب بن مِهْرَان الفارسى قراءةً عليه فأقَرّ به ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسَن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جَعْفر ابن عبيد الله (٥) بن الحُسَين بن على بن [الحسين بن على] (٦) بن أبى طالب المعروف بابن أخى طاهر العَلَوى ، قال : حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد

---

(١) قال الذهبى : إن هذا الرجل لا يعرف اسمه ؛ فهذا الحديث منقطع ، لأن فيه راويا مجهولا (نسيم الرياض : ٢ — ١٨٣) .

(٢) فروى هذا الحديث من طريقين . والقاضى هذا هو ابن سكرة .

(٣) فى ب : خذاداد. وفى هامشه : معناه بالفارسية : عطاء الله. وقال الشهاب (٢—١٨٣): إنه خذادادا — بألف مقصورة آخره .

(٤) عليه علامة الصحة فى ب . وقال فى هامشه : كذا وقع الكرجى — بالجيم . وضبطه كذلك الشهاب (٢ — ١٨٣) . وفى ا : الكرخى — بالخاء . وضبطه القارى (١ — ٣٣٥) بسكون الراء ، ورواه بالجيم .

(٥) هذا فى ا ، ب . وفى شرح القارى ، وشرح الخفاجى : عبد الله .

(٦) من ب ، وعليه علامة الصحة .

ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ؛ قال : حدثنى علىّ بن جعفر بن محمد بن على ابن الُحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن على ، عن على بن الُحسين ، قال : قال الحسن بن علىّ — واللفظ لهذا السَّنَد[1] : سألتُ خالى هِنْدَ بن أبى هالة عن حِلْيَة[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان وصَّافاً[3] — وأنا أرْجُو أنْ يصِفَ لى منها شيئا أتعلَّقُ[4] به ، قال[5] :

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَخْماً مُفَخَّماً[6] ، يتلألأ وجْهُه تَلأْلُؤَ القمرِ ليلةَ البَدْرِ[7] ، أطولَ من المَرْبُوع[8] ، وأقصر من المشَذَّب ، عظيم الهامة[9] ، رَجِلَ الشَّعْرِ ؛ إن انفرقَتْ عَقِيقَتُه فَرَق ، وإلّا فلا يجاوزُ شَعره شَحْمةَ أذُنه[10] ، إذا هو وفَّره ، أزْهَر اللون ، واسع الجبين ، أزَجَّ الحواجب ، سوابغَ ، من غير قَرَن ، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه[11] الغَضَب ، أقْنَى العِرْنِيْن ، له نُورٌ يَعْلُوه ، ويَحْسِبه[12] مَنْ لم يتأمَّلْه

---

(١) وهو الطريق الثانى فى الإسناد، وهو فى شمائل الترمذى صفحة ٤ من مخطوطتى المحققة، وصفحة ١٨ من المواهب ، وسنن الترمذى : ٥ — ٥٩٢

(٢) الحلية : ما يتحلى به من الصفات .

(٣) كان وصافا : كان فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه . أو كان معروفا بذكر صفات النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) أتعلق به : أحفظه وأتمسك به تبركا .

(٥) سيأتى تفسير لغريب هذا الحديث فى الفصل التالى ؛ ولهذا لن نشرح إلا ما تركه المصنف — فيما يأتى فى ذلك الفصل .

(٦) الفخم : العظيم ، والمراد أن أعضاءه صلى الله عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة . مفخما : المراد أنه معظم فى العيون الناظرة إليه .

(٧) يتلألأ وجهه : يشرق ويضىء .

(٨) المربوع : الذى بين الطول والقصر .

(٩) الهامة : الرأس .

(١٠) شحمة الأذن : مالان منها حيث يعلق القرط .

(١١) سوابغ : طوال كاملة . قرن: اقتران واتصال. يدره الغضب : المراد أنه يظهره لغليان الدم بالغضب بعد ما كان خفيا .

(١٢) يحسبه : يظنه .

أَشَمّ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ(١) ، أَدْعج ، سَهْل الخدَّين(٢) ، ضَلِيعَ الفم ، أَشْنَب ، مُفَلَّج الأَسْنان ، دَقِيقَ المَسْرُبة ، كأَنَّ عنقَه جِيدُ دُمْية فى صفاء الفِضَّة(٣) ، معتدلَ الخلْق ، بادِناً ، مُتَماسكا ، سواءَ البطْنِ والصَّدْرِ ، مُشِيحَ الصَّدْر ، بَعيدَ ما بين المَنْكِبين ، ضَخْم الكَرَاديس ، أَنْوَرَ المُتَجرِّد(٤) ، موصول ما بين اللَّبَّةِ والسُّرَّة بشَعرٍ يجْرى كالخطِّ ، عارِى الثدْيَيْنِ ، ما سِوَى ذلك(٥) ، أَشْعَرَ الذِّرَاعين(٦) والمَنْكِبين وأَعَالى الصدر ، طويلَ الزَّنْدَيْنِ ، رحْبَ الراحةِ ، شَثْنَ الكَفَّيْن(٧) والقَدَمين ، سائلَ الأطراف — [أو قال : سائِنَ الأَطْراف](٨) ، سَبْطَ العَصَب(٩) ، خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْن ، مَسِيحَ القَدَمين ، يَنْبُو عنهما الماءُ ، إذا زال زال تَقَلُّعاً ، ويخطو تَكَفُّؤاً ، ويمشى هَوْناً ، ذَرِيعَ المِشْيَة ، إذا مشى كأنما يَنْحَطُّ من صَبَب ، وإذا التفت التفت جميعا(١٠) ، خافِضَ الطَّرْفِ(١١) ، نَظَرُه إلى الأرض أطولُ مِنْ نظرِه إلى السماء ، جُلُّ نظرِه

---

(١) كث اللحية : لحيته كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر .

(٢) سهل الخدين : غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما .

(٣) جيد : عنق . والدمية : الصورة من رخام أو عاج ، والمراد شدة بياضه وطوله .

(٤) أنور المتجرد : يعنى ما خفى من البدن . وأنور : نير ، مشرق .

(٥) ماسوى ذلك: أى ماسوى الشعر الذى بين السرة واللبة. واللبة: النحر. وقيل الصدر. وقيل موضع القلادة . وفى ب : مما سوى ذلك .

(٦) أشعر الذراعين : أى كثير شعرهما .

(٧) شثن الكفين : الشثن : الضخم الممتلىء لحما .

(٨) مابين القوسين كتب أمامه ، فى هامش ا : ليس من الرواية . وفى ب : أو قال : هو سائن .

(٩) سبط العصب : سبط : ممتد ليس به تعقد .

(١٠) التفت جميعا : إذا أراد أن يدور إلى خلفه أو فى جانبه لايلوى عنقه ؛ بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا .

(١١) خافض الطرف : الطرف : العين .

الملاحظةُ[1] ، يسوقُ أصحابَه[2] ، [٥٠] ويبدأ مَنْ لقِيَه[3] بالسلام .

قلت : صِفْ لى مَنْطِقَه[4] .

قال: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأحزانِ[5] ، دائمَ الفِكْرَة ، ليست له راحة ، ولا يتكلَّمُ فى غير حاجةٍ ، طويلَ السكوت ، يفتتح الكلامَ ويختِمه بأشْدَاقِه ، ويتكلَّم بجَوَامع الكَلِم فَصْلا[6] ، لافُضُولَ[7] فيه ولا تَقْصير ، دَمِثاً ليس بالجافى ولا المَهِين[8] ، يعظِّم النعمة وإن دقَّت[9] ، لا يذمُّ شيئا ، لم يكن يذُمُّ ذَوَاقا[10] ، ولا يمدَحُه ، ولا يُقَامُ لغضَبه إذا تُعرِّضَ للحق بشىء[11] حتى ينْتَصِرَ له ، ولا يغضَبُ لنفسه ولا يَنْتَصِر لها ، إذا أشارَ أشار بكفِّه كلِّها ، وإذا تعجَّب قَلَبَها[12] وإذا تحدَّث

(١) جل نظره الملاحظة : جل : معظم ، وأكثر . والملاحظة : النظر باللحظ ، وهو طرف العين مما يلى الصدغ .

(٢) يسوق أصحابه : يمشى خلفهم ، ولا يدع أحدا منهم يمشى خلفه ، كما هى عادة المتكبرين .

(٣) فى ب : لقى .　　(٤) منطقه : نطقه وكلامه .

(٥) أى لم يكن كلامه بفرح وبطر ، بل بحزن وأسف . وفى نسيم الرياض (٢ — ١٩٢) : قال ابن قيم الجوزية : قول أبى هالة : متواصل الأحزان — لم يثبت عنه ، وفى سنده مجهول ؛ كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه ، ونهاه عنه بقوله : لاتحزن ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلا خوف عليه ، ولا حزن فى الدنيا والآخرة ؛ فمن أين يأتيه الحزن ؟

(٦) فصلا : كلاما فاصلا للخصومة ، وفارقا بين الحق والباطل .

(٧) لا فضول : لا زيادة .

(٨) دمث : من الدماثة ، وهى سهولة الخلق . والجافى : غليظ الطبع . وقد ضبطت الميم فى كلمة « المهين » فى ب — بالضمة . وفى النهاية : بالضم من الإهانة ؛ أى لا يهين أحدا من الناس ، وبالفتح من المهانة ؛ أى الحقارة .

(٩) دقت : صغرت .

(١٠) ذواقا : ما يذاق من مأكول ومشروب .

(١١) أى لايثبت له أحد إذا غضب . إذا تعرض : إذا تعرض أحد للحق بما يبطله .

(١٢) فى ب ضبطت اللام بالتشديد .

اتَّصَل[١] بها، فضرب بإبْهَامه اليُمْنى راحتَه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشَاح[٢] ، وإذا فرح غَضَّ طَرْفَه ، جُلُّ[٣] ضَحِكه التبسُّم ، ويفتَرُّ عن[٤] مِثْلِ حَبِّ الغَمَام .

قال الحَسَن : فكتمتها الحُسَين بن على زمانا، ثم حدَّثْتُه فوجدتُه قد سبقنى إليه[٥] ، فسأل أباه عن مَدْخَل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومَخْرجه ومَجْلسه وشَكْله[٦] ، فلم يَدَعْ منه شيئا .

قال الحُسين : سألتُ أبى عن دخولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان دخولُه لنفسه مأذونا له فى ذلك[٧] ، فكان إذا أَوَى إلى منزله جَزَّأَ دخوله[٨] ثلاثةَ أجزاء : جُزْءا لله، وجُزْءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزَّأَ جُزْأَه بينه وبين الناس ، فيردُّ ذلك على العامَّةِ بالخاصة[٩] ، ولا يدَّخِرُ عنهم شيئا ، فكان من سيرته فى جُزْءِ الأُمَّة[١٠] إيثارُ أهلِ الفَضْلِ بإذْنِه[١١] وقِسْمَتُه على قَدْرِ فَضْلهم

(١) اتصل بها : لا يزال يحركها ، أو وصل إحدى يديه بالأخرى . والمراد أنه كان إذا حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيدا له .

(٢) أشاح : صرف وجهه ، أو مال وانقبض . (٣) جل : أكثر ، ومعظم .

(٤) يفتر : من قولهم : افتر ضاحكا ، إذا أبدى أسنانه . (٥) إليه : إلى الحديث .

(٦) المراد خروجه صلى الله عليه وسلم للناس ، ودخول بيته ؛ وجلوسه عندهم . وشكله : أى هيئته ، أو هى بكسر الشين بمعنى الهدى والسمت .

(٧) دخوله لنفسه : أى دخوله منزله ليجتمع بأهله لمصالحه وقضاء مآربه وقيلولته . مأذونا له فى ذلك : من الله إذنا عاما بحيث يدخل أى بيت من بيوته فى أى وقت .

(٨) جزأ دخوله : قسم زمن دخوله لبيته .

(٩) العامة : ما عدا الخاصة . ويرد : يوصل ويعطى ، كأنه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ منهم ثم رد إليهم . والمراد أن الخاصة كانت تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن مما لا ينبغى كتمه عنهم . (١٠) وهو الجزء الذى جعله للناس .

(١١) الإيثار : تقديم ما يؤثره على غيره . والمراد بإذنه أنه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته .

فى الدِّيْنِ[١] ؛ منهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجَتَيْنِ ، ومنهم ذوالحَوائج ، فيتشاغل بهم ، ويَشْغَلُهم فيما أصلحهم[٢] ، والأُمَّةَ مِنْ مسألته عنهم وإخبارهم بالذى ينبغى لهم؛ ويقول : لِيُبَلِّغ الشاهدُ منكم الغائب،وأَبْلِغُونى حاجةَ مَنْ لايستطيعُ إبلاغى حاجتَه ، فإنه مَنْ أَبْلَغَ سلطانا حاجةَ مَنْ لا يستطيع إبلاغها ثَبَّتَ اللهُ قدميه يوم القيامة[٣] ، لا يُذْكَر عنده إلا ذلك ، ولا يَقْبَلُ مِنْ أحد غيره .

وقال[٤] فى حديث سُفْيان بن وَكِيع : يدخلون رُوَّادا[٥] ، ولا يتفرَّقُون إلَّا عن ذَوَاق[٦] ، ويخرجون أدِلَّة – يعنى فقهاء[٧] .

قلت[٨] : فأخبرنى عن مَخْرَجِه[٩] كيف كان يصنَعُ فيه ؟

قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخْزُنُ لسانه إلَّا مِمَّا يَعْنِيهِم[١٠] ويُؤَلِّفُهُم ولا يُفَرِّقُهم؛ يُكْرِم كريمَ كلِّ قوم،ويُوَلِّيه عليهم ، ويحذَرُ الناسَ ، ويحترس منهم ،

---

(١) أى قسمته جزأه فى حديثه معهم واشتغاله بأحوالهم على قدر تفاوتهم فى الدين ، لأن أكرمهم عند الله أتقاهم .

(٢) أى مافيه صلاحهم .

(٣) على الصراط يوم تزل الأقدام ، والمراد نجاته من أهوال الموقف .

(٤) وقال : أى على رضى الله عنه فى رواية فى حديث سفيان بن وكيع .

(٥) روادا : جمع رائد ، والمراد طالبين محتاجين للإرشاد . أو هى رواد – بكسر الراء وتخفيف الواو ؛ أى ملتجئين لائذين به . وفى هامش ا : لواذا . ولواذا : ملتجئين إليه ، ومتحصنين ممتنعين به ، أو متقربين عنده .

(٦) ولا يتفرقون إلا عن ذواق : لايتفرقون من مجلسه إلا عن علم وأدب هو غذاء لأرواحهم . وفى ب : لايفترقون .

(٧) فقهاء : عالمين بأمور الدين ، هداة مرشدين للناس ، يهتدى بهم غيرهم .

(٨) قلت : قائله الحسين لأبيه رضى الله عنه .

(٩) عن مخرجه : عن حاله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من منزله .

(١٠) يخزن لسانه : يصونه . يعنيهم : يهمهم وينفعهم .

مِنْ غير أَنْ يَطْوِيَ عن أحد بِشْرَه[1] وخُلُقه ، ويتفقَّدُ أصحابَه[2] ، ويسأل الناسَ عما فى الناس ، ويحسِّنُ الحسَنَ ويُصَوِّبه . ويقَبِّحُ القبيحَ ويُوهِّنُه[3] ، معتدلَ الأمْرِ غير مختلف[4] ، لا يَغْفُل مخافةَ أَنْ يغفلوا أو يَملُّوا ، لكل حالٍ عنده عَتَاد[5] ، لا يُقصِّرُ عن الحق ، ولا يجاوزُه إلى غيره ، الذين يَلُونَه[6] من الناس خِيارُهم ، وأفضلُهم عنده أعمُّهم[7] نصيحةً ؛ وأعظمُهم عنده منزلةً أحسنُهم مواساةً ومُوَازرةً[8] .

فسألتُه عن مَجْلِسه : عمّا كان يَصْنَعُ فيه .

فقال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقُومُ إلا على ذِكْر[9] ، ولا يُوطِنُ الأماكنَ ، ويَنْهَى عن إيطانها[10] ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيثُ يَنْتَهِي به المجلسُ ، ويَأْمُرُ بذلك ، ويُعْطِي كلَّ جُلَسائه نَصيبَهُ حتى لا يَحْسِبُ[11] ، جليسُه أنّ أحدا أكْرَمُ عليه فيه ، مَنْ جالسه أو قَاوَمَهُ لحاجةٍ صابره حتى [٥١] يكونَ هو المُنْصَرِفَ عنه[12] .

---

(١) يطوى : يخفى ويمنع . وبشره : طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيسا له وتأليفا لقلبه وإذهابا لخوف مهابته . (٢) يتفقد أصحابه : يسأل عمن لم يحضر عنده منهم .

(٣) يوهنه : أى يقول هو فعل قبيح وضعيف وساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا .

(٤) غير مختلف : على سنن واحد فى جميع أوقاته .

(٥) العتاد : العدة ، والحاضر المعد لإصلاحه وتداركه إذا وقع .

(٦) الذين يلونه : أى يقربون منه فى مجلسه .

(٧) فى ب : أحسنهم . وفى هامشه : أعمهم .

(٨) المواساة : إعطاء من يريد مايحتاج إليه . والموازرة : إعانة من يلجأ إليه .

(٩) على ذكر لله ، أو إفادة علم ، أو بيان حمد وشكر .

(١٠) المراد أنه لايلازم مكانا بخصوصه فى غير بيته . (١١) لا يحسب : لا يظن .

(١٢) قاومه : قام مع قيامه لعرض حاجته أو لغير ذلك . صابره : صبر عليه، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو ؛ كل ذلك لتطييب قلوبهم .

مَنْ سأله حاجةً لم يردّه إلا بها أو بمَيْسُورٍ من القول[١] . قد وسِعَ الناسَ ، بَسْطُه وخُلُقه[٢] ؛ فصار لهم أَبًا ، وصاروا عنده فى الحقّ سواء ، متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى .

وفى الرواية الأُخرى : صاروا عنده فى الحقّ سواء ، مَجْلِسُه مجلسُ حِلْمٍ وحَيَاء ، وصَبْرٍ وأمانة ؛ لا تُرْفَعُ فيه الأصواتُ ، ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَم[٣] ، ولا تُنْثَى فَلَتَاتُه[٤] ، وهذه الكلمةُ[٥] ، من غير الروايتين .

يتعاطَوْنَ فيه بالتقوى متواصفين[٦] ، يُوَقِّرُونَ فيه[٧] الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويَرْفِدون[٨] ذا الحاجةِ ، ويرحمون[٩] الغريب .

فسأَلتُه عن سيرته صلى الله عليه وسلم فى جلسائه .

فقال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دائمَ البِشْر[١٠] ، سَهْلَ الخُلُق ، ليِّنَ

---

(١) بميسور من القول : أى رده بقول لين سهل لاغلظة فيه .

(٢) بسطه : أى بسط يده ، وسماحته ، وطلاقة وجهه ، وإبداء سروره ، وحسن خلقه .

(٣) لاتؤبن فيه الحرم : لاتؤبن : لاتذكر بسوء . والحرم : جمع حرمة ، وهى ما لا يحل ، والمراد النساء .

(٤) لا تنثى : لا تذكر . فلتاته : جمع فلتة ؛ وهى الزلة ، أى القبيح الذى يقع بغتة . والمراد أنه لا قبيح فيه حتى يذكر . أو أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر ؛ بل تستر .

(٥) وهذه الكلمة: يريد قوله: لاتنثى فلتاته — من غير روايتى الحسن عن خاله ، ورواية الحسين عن أبيه .

(٦) يتعاطون بالتقوى : يعطف بعضهم على بعض ، ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله ، لا رياء ولا سمعة ولا خوفا واتقاء شر .

(٧) فيه : أى فى المجلس .

(٨) يرفدون : يعينون ويواسون . وفى ب : يرفدون — بضم الياء ، ويرفدون بفتحها وعليها « معا » .

(٩) فى ب : ويحفظون . وفى هامشه : ويرحمون . ويؤثرون .

(١٠) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، وإظهار السرور .

الجانب ، ليس بِفَظٍّ ولا غَلِيظ[1] ، ولا سَخَّاب[2] ، ولا فَحَّـاش ، ولا عَيَّاب ولا مَدَّاح[3] ، يتغافَلُ عما لا يَشْتَهِي ولا يُوئِس منه[4] ، قد ترك نَفْسَه مِنْ ثلاث : الرياء[5] ، والإكثار ، ومالا يَعْنيه . وَتَرَكَ الناسَ من ثلاث : كان لا يذُمُّ أحدا ، ولا يُعَيِّرُه ، ولا يطلب عَوْرَته[6] ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابَه ، إذا تـكلَّم أطرقَ جلساؤه كأنما على رُءوسِهم الطَّيْر[7] ، وإذا سكت تـكلَّموا ، لا يتنازَعُون عنـده الحديثَ[8] . مَنْ تـكلَّم عنده أنْصَتُوا له حتى يَفْرُغ ، حديثُهم حـديثُ أوَّلِهم[9] ، يضحكُ ممّا يَضْحكون منه ، ويتعجَّبُ مما يتعجّبون[10] منه ، ويَصْبِرُ للغريب على

---

(١) الفظ : السيء الخلق . والغليظ : الشديد المتوعد .

(٢) ولاسخاب ــ بالسين والصاد : لا يرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها .

(٣) ولا فحاش : لا يتكلم بقبيح كالشتم . ولا عياب : ولا يذكر عيوب النـــاس ونقائصهم . ولا مداح : أى لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة .

(٤) ولا يوئس منه : يعنى إذا سئل عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس ، أو يبين له أنه سأل ما لا يليق فيخجل سائله . وهذا الضبط فى ا . وفى ب : يوئس ــ وضبطت الهمزة بالفتحة والـكسرة ، وكتب فوقها « معا » . وقال فى هامشه : فى نسخة يؤيس ــ مبنى لما لم يسم فاعله . والصحيح ما فى الأصل .

(٥) ترك نفسه : نزهها ، وأبعدها ، ومنعها . والرياء : إظهار ما فيه من الصفات الحميدة والأفعال الجميلة للناس حتى يحمد بها ويشيع ذلك عنه .

(٦) لا يطلب عورته : لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها .

(٧) كأنما على رءوسهم الطير : بسكون ووقار من غير طيش ولا خفة .

(٨) لا يتنازعون عنده الحديث : إذا كانوا فى مجلسه لا يديرون الحديث بينهم، فيحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا فى ناد .

(٩) حديثهم حديث أولهم ؛ أى حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله ، يعنى أنه لا حديث له معه يقطعه . وفى ب : حديث أوليتهم . وفى هامشه : أولهم .

(١٠) فى ب : يعجب مما يعجبون .

الجَفْوَة[١] فى المنطق ، ويقول : إذا رأيتمْ صاحبَ الحُجَّةِ يطلبها فأَرْفِدُوه[٢] ، ولا يطلب الثناء إلّا مِنْ مُكافِىء ، ولا يقطعُ على أحد حديثَه حتى يتجوَّزَه فيقطعُه بانتهاء أو قِيام .

هنا انتهى حديثُ سفيان بن وَكيع .

وزاد الآخر[٣] : قلتُ : كيف كان سكوتُه صلى الله عليه وسلم ؟

قال : كان سكوته على أربع : على الحِلْمِ ، والحذَر ، والتقدير ، والتفكر . فأما تقديرُه ففى تَسْوِية النظَرِ والاستماعِ بين النـــاس[٤] ، وأمّا تفكُّره ففيما يَبْقَى و يَفْنَى .

وجُمِعَ له الحِلْمُ صلى الله عليه وسلّم فى الصبر ، فكان لا يُغْضِبُه شىء يستفزُّه[٥] . وجُمِعَ له فى الحذَر أربعٌ : أَخْذُه بالحسَنِ[٦] ليُقْتَدى به ، وتَرْكُه القَبِيحَ ليُنْتَهَى عنه ، واجتهادُ الرَّأْى[٧] بما أَصلح أُمَّته ، والقيامُ[٨] لهم بما جَمَع لهم أمْرَ الدنيا والآخرة .

انتهى الوصف بحَمْدِ اللهِ وعَوْنه .

---

(١) الجفوة : الغلظة والتكلم بما لا يليق ، أو بما يؤلم .

(٢) أرفدوه : أعينوه وأعطوه . وفى ا : فارفدوه — بهمزة وصل

(٣) الآخر : صاحب الرواية الأخرى التى هى من رواية أبى على الحافظ ابن سكرة .

(٤) تسوية النظر بين الناس : جعلهم متساوين فى النظر إليهم ، والاستماع إلى حديثهم ؛ وفى ب : من الناس .

(٥) يستفزه : يستخفه ، بحيث يبدو منه خفة وقلق لأمور الدنيا .

(٦) أخذه بالحسن : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .

(٧) واجتهاد الرأى : أى اجتهاده فيما يراه رأيا يصلح أمته .

(٨) والقيام لهم : القيام : التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل ما فى وسعه وطاقته من أجل إصلاحهم . ولا خلاف فى أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فى أمور الدنيا ويرجع إلى رأى غيره فى ذلك .

فصل

فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله : المُشَذَّب ، أى البائن[١] الطُّول فى نحافة ، وهو مثْلُ قوله فى الحديث الآخر : ليس بالطويل المُمَّغط[٢] .

والشَّعَر الرَّجِل : الذى كأنه مُشِط فتكَسَّر قليلا ؛ ليس بسَبْطٍ ولا جَعْد[٣] .

والعَقِيقَة : شعر الرأس[٤] ، أراد إن انفرقَتْ مِنْ ذاتِ نفسها[٥] فَرَقها ، وإلَّا تركها مَعْقُوصةً[٦] . ويُرْوَى : عَقِيصَته[٧] .

وأزهر اللَّوْن : نَيِّره . وقيل : أزهر : حَسَن . ومنه زَهْرَة الحياةِ الدنيا ، أى زينتها .

وهذا كما قال فى الحديث الآخر[٨] : ليس بالأبيض الأَمْهَق ، ولا بالآدَمِ .

والأَمْهَق : هو الناصع البياض . والآدَم : الأسمر اللَّون .

---

(١) البائن : الظاهر . وفى هامش ا : لم يكن بالطويل الممغط ؛ أى لم يكن بالبائن الطول . قال أبو زيد : يقال : امغط النهار ؛ أى امتد ، ومغطت الحبل فانمغط وامغط . وقال أبو تراب فى كتاب الاعتقاب : ممغط ومعمط — بالغين والعين (من الغريبين — للهروى) .

(٢) الممغط : الذى ليس بفائق الطول .

(٣) السبط : المرسل . والجعد : الذى فيه التواء وتقبض . وهو ضد المسترسل . وفى ب ضبطت الباء فى « سبط » بالسكون والكسرة ، وعليها « معا » .

(٤) أصله شعر المولود ، ثم أطلق على غيره . (٥) فى ب : من ذاتها .

(٦) معقوصة : العقص : ضفر الشعر على الرأس وليه ؛ أى إن لم تنفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها .

(٧) أى بدل عقيقته ، وهى الشعر المعقوص ، أى المضفور .

(٨) الحديث الآخر عن أنس ، فى صحيح مسلم : ١٨٢٤

ومثلُه فى الحديث الآخر : أَبيض مُشْرَب[١] ؛ أى فيه حُمْرة .

والحاجِبُ الأزَجّ : المقوّس الطويل الوافر الشعر .

والأَقْنَى : السائل الأنف ، المرتفع وسَطُه .

والأَشَمُّ : الطويل قَصَبةِ الأنف .

والقَرَن : اتّصالُ شَعر الحاجِبين[٢] . وضدّه البَلَج .

ووقع فى حديث أُمّ مَعْبد وصْفُه بالقَرَن .

والأَدْعَجُ : الشديد سَوادِ الحَدَقة .

وفى الحديث الآخر[٣] : [٥٢] أَشْكَل العَيْن ، وأَسْجَر العَيْنِ[٤] ، وهو الذى فى بياضها حُمْرة .

والضّلِيع : الواسِع .

والشّنَب : رَوْنَقُ الأسنان ، وماؤها[٥] .

وقيل : رِقّتُها وتحزيزٌ[٦] فيها ، كما يُوجَدُ فى أَسنانِ الشبابِ .

والفَلَجُ : فَرْقٌ بين الثنايا .

ودَقِيقُ المَسْرُبة : خيط الشّعر الذى بين الصّدْرِ والسُّرّة .

---

(١) مشرب : الإشراب : خلط لون بلون ، وأكثر ما يقال فى الحمرة .

(٢) قال فى نسيم الرياض (٢ – ٢٠٨) : المشهور خلافه ، ويؤيده أن العرب تكرهه . وقال القارى (١ – ٣٥٣) : وقد جمع بينهما بأن أم معبد رأته من بعد ، فظنت أنه أقرن ، لقرب طرفيهما التقاء ، فوصفته بالقرن ؛ وعلى كرم الله وجهه حققها من قرب ، فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالبلج .

(٣) صحيح مسلم : ١٨٢٠

(٤) فى هامش ا : عين سجراء – بالجيم : إذا كانت فى بياضها حمرة . وفى صحيح مسلم (١٨٢٠) قال : قلت : ما أشكل العين ؟ قال : طويل شق العين . قال شارحه : هذا وهم من سماك باتفاق وغلط ظاهر ، وصوابه – كما قال القاضى – أن الشكلة حمرة فى بياض العين ، وهو محمود .

(٥) ماؤها : صفاؤها .

(٦) أو المراد بتحزيزها كون أطرافها دقيقة .

بادِن : ذو لَحْمٍ مُتَماسِك ، معتَـــدل الخَلْق ، يمسكُ بعضُه بعضا ، مثل قوله في الحديث الآخر : لم يكن بالمُطَهَّم ، ولا بالمُـكَلْثَم ؛ أي ليس بمُسْتَرْخِي اللحم [١] .
والمُـكَلْثَم : القَصِير الذَّقَن .

وسَوَاء البطن والصَّدْرِ ؛ أي مستويهما .

ومُشِيح الصَّدْرِ ؛ إنْ صحَّت هذه اللفظةُ فتـكون من الإقبال ، وهو أحد معاني [٢] «أشاح» ؛ أي إنه كان بادِيَ الصَّدْرِ ، ولم يكن في صدره قَعَس ، وهو تَطَامُنٌ فيه [٣] ، وبه يتَّضِح [٤] قولُه قبـــل : سَوَاء البَطْن والصدر ؛ أي ليس بمُتَقاعس الصَّدْرِ ، ولا مُفَاضِ البَطْنِ [٥] .

ولعل اللفظة [٦] : مَسِيح – بالسين ، وفتح الميم ، بمعنى عَرِيض ، كما وقع في الرواية الأخرى . وحكاهُ ابْنُ دُرَيد .

والـكَرَادِيس : رءوس العِظَام ، وهو مثلُ قوله في الحديث الآخَر : جَلِيل [٧] المُشَاش والـكَتِدِ [٨] .

والمُشَاش : رءوس المناكب . والـكَتَد : مجتمع الـكتفين .
وشَثْنُ الـكَفَّين والقَدمين : لَحِيمهما .
والزَّنْدَان : عَظْما الذرَاعين [٩] .

---

(١) المطهم : فاحش السمن منتفخ الوجه .
(٢) ومن هذه المعاني أعرض .
(٣) فيه ؛ أي في الصدر . والتطامن : الانخفاض .
(٤) في ب : وبه يصح . وفي هامشه : وبه يتضح .
(٥) مفاض البطن : ضخم البطن .
(٦) في ب : اللفظ . والمثبت في ا .
(٧) جليل : عظيم . والمشاش : رءوس العظام ، كالمرفقين والـكتفين والركبتين .
(٨) ضبطت التاء في كلمة « الـكتد » بالفتح والـكسر ، وعليها « معا » في ب .
(٩) في ب : عظما الذراع . وفي هامشه : الذراعين .

وسائل الأطراف ؛ أى طويل الأصابع .

وذكر ابْنُ الأنبارى أنه رُوى سائل الأطراف ؛ وقال : سائن – بالنون ؛ [قال][1] : وهُمَا بمعنًى ، تُبْدَل اللام من النون ، إنْ صحت الروايةُ بها[2] .

وأما على الرواية الأُخرى : وسائر الأطراف – فإشارة إلى فخامة جَوَارِحه ، كما وقعت مُفَصَّلةً فى الحديث .

ورَحْب الراحة ؛ أى واسِعُها . وقيل : كنى به[3] عن سعة العَطاء والُجود .

وخُمْصَانُ[4] الأَخْمَصَيْن : أى مُتَجافِى أَخْمص القَدَم ؛ وهو الموضعُ الذى لاتنالُه الأرضُ من وسط القَدَم .

مَسِيح القَدَمين : أى أملسهما ، ولهذا قال : يَنْبُو عنهما الماء .

وفى حديث أبى هُريرة خلافُ هذا ؛ قال فيه : إذا وطِئَ بقدمه وَطِئَ بِكُلِّها ، ليس له أَخْمَص[5] .

وهذا يوافِقُ معنى قوله : مَسِيح القَدَمين ، وبه قالوا : سُمِّىَ المسيح [عيسى][6] ابن مريم ، أى [إنه][6] لم يكن له أَخْمَص .

وقيل مَسِيح : لالحم عليهما .

---

(١) ليس فى ب . (٢) فى ب : بهما .

(٣) فى ب : كناية . وأثبت فى هامشه الرواية هنا : كنى به .

(٤) ضبطت الخاء فى ب بالفتحة ، وعليها علامة صح . والضبط المثبت فى ا ، والنهاية لابن الأثير ، وشرح القارى ، والقاموس . وقال الخفاجى (٢ – ١٩٠) : بضم الخاء وفتحها .

(٥) قال القارى (١ – ٣٥٦) : ويمكن الجمع بينهما بأن مراد أبى هريرة أنه وطئ بكلها لا ببعضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء ؛ وأن قوله : ليس له أخمص محمول على نفى المبالغة . أو أنه مدرج من الراوى بحسب ما فهمه من الحديث ؛ وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث قال : وهذا . . .

(٦) من ب .

وهذا أيضا يخالفُ قوله : شَثْن القَدَمين (١) .

والتقلع : [هو](٢) رَفْع الرِّجْلِ بقُوَّة .

والتَّكفُّؤُ : الميل إلى سَنَنِ المَشْى ، وقَصْدِه .

والهُونُ : الرِّفْق والوَقار .

والذَّرِيع : الواسع الخطْو ؛ أى إنّ مَشْيَه كان يرفَعُ فيه رجليه بسرعة ، ويمدّ خَطْوَه ، خلاف مِشْيَةِ المُختال ، ويقصِدُ سَمْتَه ؛ وكل ذلك برِفقٍ وتثبُّت دون عَجَلَة، كما قال : كأنما ينْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ (٣) .

وقوله : يفْتَتح الكلام ويختمه بأشداقه : أى لسعَةِ فَمِه . والعربُ تَمادحُ بهذا وتَذُمُّ بصِغَرِ الفم .

وأشاح : مال وانقبض .

وحبّ الغمَام : البَرَد .

وقوله : فيردّ ذلك بالخاصة على العامة ؛ أى جعل من جُزْءِ نفسه ما يُوصِّلُ الخاصةَ إليه فتُوَصِّلُ عنه للعامّة .

وقيل : يجعل منه للخاصة ، ثم يُبْدِلها فى جُزْءٍ آخر بالعامة .

ويدخلون رُوّاداً ؛ أى محتاجين إليه وطالبين لما عنده .

ولا يتفرقون إلا عن ذَوَاق: قيل:عن عِلْمٍ يتعلمونه؛ويُشْبِهُ أن يكونَ على ظاهره، أى فى الغالب والأكثر .

والعَتَاد : العُدَّة ، والشيء الحاضر المُعَدّ .

والمُوازَرة : المعاونة.

---

(١) فى نسيم الرياض (٢ — ٢١٠) : إذا فسر بلحيمهما . وأما إذا فسر بميلهما إلى الغلظ والقصر، أو بغلظ الأصابع فلا .

(٢) من ب .

(٣) صبب : منحدر .

وقوله : لا يُوطِن[1] الأماكن ؛ أى لا يتخذ لمُصَلّاه موضعا معلوما .

وقد [٥٣] وردَ نَهْيُه عن هذا مفَسَّرا[2] فى غير هذا الحديث .

وصابَرَه : أى حبس نَفْسه على ما يريدُ صاحبُه .

ولا تُؤْبَن فيه الحُرَم : أى لا يُذْكَرْنَ[3] فيه بسُوء .

ولا تُنْثَى فَلَتاتُه ؛ أى لا يُتَحدَّثُ بها ؛ أى لم تكن فيه فَلْتةٌ ، وإن كانت من أَحَدٍ سُتِرَتْ .

ويَرْفِدون[4] : يُعينون .

والسخَّاب : الكثير الصِّيَاح .

وقوله : ولا يَقْبَلُ[5] الثناء إلا من مُكَافِئ . قيل مقتصد فى ثنائه ومَدْحِه .

وقيل : إلّا مِنْ مسلم .

وقيل : إلا من مُكافِئ على يَدٍ[6] سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له .

ويستفزُّه : يستخفُّه .

وفى حديث آخر فى وصْفِه[7] : منهوس العَقِب ؛ أى قليلُ لَحْمها .

وأَهْدَب الأشفار[8] ؛ أى طويل شَعرها[9] .

---

(١) هذا الضبط فى ا ، ب . وفى القارى (١ — ٣٥٨) : بتشديد الطاء وتخفيفها .

(٢) مفسرا : مصرحا به ومبينا .

(٣) فى ا بالتاء ، وفى ب بالياء .

(٤) يعينون ذا الحاجة . وقد ضبطت الياء فى ا بالفتحة ، وفى ب بالضمة .

(٥) فى هامش ب : ولا يطلب . (٦) اليد — هنا : النعمة .

(٧) فى صحيح مسلم : ١٨٢٠

(٨) الأشفار : حروف الأجفان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب .

(٩) هنا فى ب : انتهى التفسير . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا .

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قَدْرِه عند ربه[١]
ومنزلته، وما خصّه به فى الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم

لاخلافَ أنه أَكْرَمُ البشر ، وسيّدُ وَلَدِ آدم ، وأفضلُ الناس[٢] منزلةً عندالله، وأعلاهم دَرَجةً ، وأقربهم زُلْفَى[٣] .

واعلم أنّ الأحاديثَ الواردة فى ذلك كثيرةٌ جدا، وقد اقتصرنا منها على صَحِيحِها ومُنْتَشِرِها[٤] وحَصَرْنا معانِيَ ما ورد منها فى اثنى عشر فصلا[٥] :

الفصل الأول

فيما ورد من ذِكْرِ مكانَتِه عندرَبِّه ، والاصطفاء[٦]، ورِفْعَة الذِّكْرِ ، والتفضيل وسيادة وَلَدِ آدم ، وما خَصَّه به فى الدنيا من مَزَايا[٧] الرُّتَب وبَرَكَةِ اسْمِه الطيب :

أخبرنا الشيخ أبو محمد عَبْد الله بن أحمـــد العَدْل إذْناً بلفظه ؛ قال : حدثنا أبو الحَسَن[٨] الفَرْغانى ، حدثتنا أمُّ القاسم بنت أبى بكر بن يعقوب ، عن أبيها ، قال : حدثنا حاتم — هو ابن عَقِيل ، عن يحيى — هو ابن إسماعيل ، عن يحيى الحِمَّانى ، قال : حدثنا قيس ، عن الأعمش، عن عَبَايَة بن رِبْعِيّ، عن ابن عباس ؛ قال[٩] : قال رسولُ

(١) عليها فى ب علامة « صح » . وفى هامشه : الله .
(٢) فى هامش ب : وأفضل الخلق .
(٣) زلفى : قربى . (٤) منتشرها : مشهورها .
(٥) بعد هذا فى ا : والحمد لله وحده .
(٦) والاصطفاء : أى اختياره صلى الله عليه وسلم على غيره وتقديمه .
(٧) مزايا : جمع مزية ، وهى الفضيلة التى تقدمه على غيره .
(٨) هذا فى ب ، والقارى (١ — ٣٥٩) . وقال الشهاب (٢ — ٢١٤) : أبو الحسين ، ووقع فى بعض النسخ : أبو الحسن . والأصح الأول . (٩) دلائل النبوة للبيهقى : ١ — ١١٣

الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ قسم الخلقَ قسمين ، فجعلني مِنْ خيرهم قِسْماً [(١)] ؛ فذلك قولُه [(٢)] : ﴿أصحاب اليمين﴾ ، و﴿أصحابُ الشِّمَال﴾ ؛ فأنا من أصحابِ اليمين ، وأنا خَيْرُ أصحابِ اليمين .

ثم جعل القسمين أثلاثا ؛ فجعلني في خيرها ثُلثا ، وذلك قولُه تعالى [(٣)] : ﴿فأصحاب الميمنة﴾ . و ﴿ أصحاب المَشْأَمَة ﴾ ، و ﴿ السابقون السابقون ﴾ [(٤)] ، فأنا مِنَ السابقين ، وأنا خَيْرُ السابقين ، ثم جعل الاثلاث قبائلَ ؛ فجعلني من خيرها قبيلة ، وذلك قوله [(٥)] : ﴿ وجعلناكُمْ شُعُوباً [(٦)] وقبائلَ لتعارَفُوا إنَّ أكرمكم عند الله أتْقَاكُم ﴾ .

فأنا أتقَى وَلدِ آدم ، وأكرمُهم على الله ولا فَخْرَ [(٧)] .

ثم جعل القبائلَ بيـــوتا ، فجعلني من خَيْرِها بَيْتا [(٨)] ؛ فذلك قولُه تعالى [(٩)] : ﴿ إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ [(١٠)] أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكم تطهيرا ﴾ .

وعن أبي سَلَمَة ، عن أبي هُرَيرة [(١١)] ، قال : قالوا : يارسولَ الله ، متى وجبَتْ [(١٢)] لكَ النبوّة ؟ قال : وآدمُ بين الرُّوح والجسد .

وعن وَاثِلَة بن الأَسْقَع قال [(١٣)] : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ اصطفى [(١٤)] من وَلد إبراهيم إسماعيل . واصطفى من ولدِ إسماعيل بني كِنَانَة ، واصطفى

---

(١) من خيرهم قسما : أي من القسم الذي هو خير — يعني أصحاب اليمين .

(٢) سورة الواقعة ، آية ٢٧ ، ٤١ (٣) سورة الواقعة ، آية ٨ ، ٩

(٤) سورة الواقعة ، آية ١٠ (٥) سورة الحجرات ، آية ١٣

(٦) شعوبا : جمع شعب ، وهو أكثر من القبيلة .

(٧) ولا فخر : أي لا أقول هذا تفاخرا ومباهاة .

(٨) في ب : فجعلني خيرها . (٩) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(١٠) الرجس : النجس المستقذر ، والمراد المعاصي . وأهل البيت : الأقرباء .

(١١) سنن الترمذي : ٥ — ٥٨٥ (١٢) وجبت لك النبوة : في أي زمان ثبتت لك .

(١٣) سنن الترمذي : ٥ — ٥٨٣ ، ودلائل النبوة للبيهقي : ١ — ١٠٨

(١٤) اصطفى : اختار .

من بني كِنَانة قُرَيشا ، واصطفى من قُرَيش بني هاشم ، واصطفاني مِنْ بني هاشم .

ومن حديث أَنَس[١] : أَنا أَكْرَمُ[٢] ولدِ آدم على رَبِّي ولافَخْر .

وفي حديث ابن عباس[٣] : أَنا أَكْرَمُ الأَوّلين والآخِرين ولا فَخْر .

وعن عائشة[٤] ، عنه عليه السلام . أَتاني جبريل ، فقال : قَلَّبْتُ[٥] مشارقَ الأرض ومغارِبَها فلم أَرَ رجلا أفضلَ من محمد ، ولم أَرَ بني أَبٍ أفضلَ من بني هاشم.

وعن أَنَس[٦] : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بالبُرَاق[٧] ليلةَ أُسْرِي به ، فاستَصْعَبَ[٨] عليه ، فقال له جبْرِيل : بِمُحَمَّدٍ تفعلُ [٥٤] هذا ؟ فما رَكِبَكَ أحَدٌ أكرمُ على الله منه ، فارْفَضَّ[٩] عرَقاً .

وعن ابن[١٠] عباس ، عنه عليه السلام : لمَّا خلق اللهُ آدمَ أهبطني في صُلْبِه إلى الأرْض ، وجعلني في صُلْب نوح في السفينة ، وقذَفَ بي في النار في صُلْبِ إبراهيم ، ثم لم يزَلْ يَنْقُلُني في الأصلابِ الكريمة إلى الأرحام الطاهرةِ حتى أخرجني بين أبوَيّ لم يَلْتَقِيا على سِفَاح[١١] قطّ .

---

(١) سنن الترمذي : ٥ — ٥٨٥

(٢) أكرم ولد آدم : أعزهم وشرفهم .

(٣) سنن الترمذي : ٥ — ٥٨٨

(٤) رواه الطبراني ، وأبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل مسندا (دلائل النبوة للبيهقي: ١ — ١٢١).

(٥) قلبت : فتشت . وقد ضبطت اللام مشددة في ب ، وبالفتح في ا .

(٦) قد تقدم .

(٧) البراق — كما سبق : على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل ؛ سمى به لسرعته كالبرق الخاطف .

(٨) استصعب عليه : لم ينقد له وامتنع منه .

(٩) ارفض عرقا : سال عرقه .

(١٠) رواه ابن الجوزي في الوفا ، وأبو نعيم في الدلائل (١ — ٦٦) ، وقال السيوطي : رواه ابن عمرو المعدني في مسنده . (نسيم الرياض: ٢ — ٢١٩) .

(١١) على سفاح: المراد بالسفاح نكاح بغير عقد (دلائل النبوة لأبي نعيم : ٦٥).

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله[1] :

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ فى الظِّلالِ وفى مستَوْدَعٍ حيثُ يخْصَفُ الوَرَقُ[2]
ثُم هبَطْتَ البِلادَ لا بَشَرٌ أنْتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ[3]
بَلْ نُطْفَةٌ تركَبُ السَّفِينَ وقَدْ ألْجَمَ نَسْرًا وأهْلَه الغَرَقُ[4]
تُنْقَلُ مِنْ صالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضَى عالَمٌ بدَا طَبَقُ[5]

---

(١) هذا الشعر رواه الطبرانى . وقد أنشد العباس هذا الشعر حين رجع النبى من غزوة تبوك . وهو فى الاستيعاب : ٤٤٧

(٢) من قبلها : من قبل هذه النشأة . طبت : تطهرت من الأدناس البشرية لطيب عنصرك . والظلال : جمع ظل : يعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم قبل أن يهبط إلى الأرض . والمستودع : المحل الذى كان فيه آدم من الجنة . أو المراد به الرحم . وخصف الورق : إلصاق بعضه ببعض . والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم .

(٣) هبطت البلاد : هبطت ونزلت فى صلب آدم من الجنة إلى الدنيا . لابشر : أى لم تكن جسدا كأجساد البشر . والمضغة : قطعة لحم غير مخلقة . والعلق : جمع علقة ؛ وهى دم متجمد .

(٤) النطفة : الماء الصافى ، والمنى فى الأصلاب . والسفين : جمع سفينة ، وهى المركب . وألجم : وصل إلى الفم ، وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس . والنسر : الطائر المعروف ، سمى به صنم كان يعبده قوم نوح . والمراد بالغرق : الماء المغرق . وفى الاستيعاب : وأهلها . والمثبت فى اللسان أيضا — نسر . وقال : قال ابن الأثير : يريد الصنم الذى كان يعبده قوم نوح .

(٥) صالب : صلب ؛ أى فقار الظهر . والرحم : مقر الولد من المرأة . العالم : المراد به هنا : قرن من القرون . بدا : ظهر ووجد . وطبق : بمعنى قرن أيضا ؛ أى لاتزال تظهر فى عالم بعد عالم .

وفى نسيم الرياض : ويروى هنا بيت هو :

وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها ولست تحترق

مكتتما : محفوظا فى كنف ؛ أى تحيط بك نارها ؛ ولست تحترق .

فى بعض النسخ أبيات أُخَر ، وهى قولُه[1] :

حتى احتوى بيتُكَ المُهَيْمن مِنْ خِنْدِف عَلْياءَ تحتها النُّطُقُ[2]
وأنتَ لمّــا وُلِدْتَ أشرقت الـْ أَرْضُ وضاءتْ بنُورِكَ الأُفُقُ
فنَحْنُ فى ذلكَ الضياء وفى النّـ ورِ وسُبْلِ الرَّشاد نَخْتَرِقُ[3]
يا بَرْدَ نارِ الخليلِ ياسَبَباً لعِصْمَةِ النارِ وهْى تَحْتَرِقُ[4]

[النطُق : أوسطُ الجبالِ العالية[5]] .

ورَوَى[6] عنه صلى اللهُ عليه وسلم ، أبو ذَرّ ، وابن عُمر ، وابن عباس ، وأبو هُريرة ، وجابر بن عبد الله ـ أنه قال : أُعطِيت خمسا ، وفى بعضها[7] ستًّا لم يُعْطَهُنّ نَبِيٌّ قبلى : نُصِرْتُ بالرُّعْب مسيرةَ شَهْر[8] ، وجُعلت لىَ الأرضُ مسجدا وطَهُورًا ،

---

(١) فى ب : تمام الأبيات من غير الرواية . وذكر الأبيات الثلاثة الأولى وحدها فى الهامش . وفى هامشه : ذكر ابن عبد البر هذه الأبيات ، وزاد عليها ثلاثة الأبيات . وفى الاستيعاب ذكرت الأبيات الثلاثة الأولى وحدها .

(٢) احتوى : حاز . والبيت بمعنى الشرف والنسب . والمهيمن : الشاهد على فضلك ، أو الأمين . وخندف : يريد القبيلة . والنطق : جمع نطاق ، وهو مايشد فى الوسط كالمنطقة ، استعارته العرب لجبال واسعة ؛ أى إن شرفك وعلو نسبك وأصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشاهقة . أو المراد أنه أعلى قومه ، وهم دونه كالنطاق له .

(٣) نخترق : نقطعها ونجاوزها .

(٤) هذا البيت ليس فى ا ، ولا فى الاستيعاب كما تقدم . وفى شرح القارى : وزاد بعضهم بيتا آخر وجد بخط أبى على الغسانى ، وهو : يابرد نار . . .

(٥) من ا . (٦) صحيح مسلم : ٣٧٠

(٧) أى فى بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواياتها . والحديث فى صحيح مسلم : ٣٧١

(٨) أى نصرنى الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بشدة الخوف الذى ألقاه الله فى قلوبهم ، فإذا سمع بى من بينى وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوى له .

وأيُّما [١] رجلٍ من أُمتى أدركته الصلاةُ فليصلِّ [٢] ، وأُحِلَّت لى الغنـــائمُ [٣] ، ولم تُحَلّ لنبىٍّ قَبْلى ، وبُعِثت إلى الناس كافّةً ، وأُعطيت الشفاعة .

وفى رواية ـ بدل هذه الكلمة [٤] : وقيل لى : سَلْ تُعْطَه .

وفى رواية أخرى : وعُرِض عَلَىَّ أُمتى فلم يخف علىّ التابع مِنَ المتبوع [٥] .

وفى رواية [٦] : بعثْتُ إلى الأحمر والأسود . قيل: السود : العرب ؛ لأَنَّ الغالبَ على ألوانهم الأُدْمَة [٧] ؛ فهم من السُّودِ . والحُمْر : العَجَم .

وقيل : البيضُ والسود من الأُمم .

وقيل : الحُمْر : الإِنْس . والسود : الجنّ .

وفى الحديث الآخر [٨] ـ عن أبى هريرة : نُصِرت بالرعب ، وأُتيت جوامِعَ الكلم [٩] ، وبَيْنَا أنا نائم إذ جِيء بمفاتيح خزائن الأرضِ [١٠] فوُضِعت فى يدىّ [١١] .

---

(١) هذا فى ا ، ب . وفى هامش ب : فإنما . وفى صحيح مسلم : فأيما رجل .

(٢) قال القرطبى : هذا مما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلاة فى مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس. وقال فى نسيم الرياض (٢ـ٢٢٢): الخاص بهذه الأمة مجموع الأمرين لا كل واحد منهما ؛ لأن الأنبياء السالفة وأممهم كانت لهم صلاة مفروضة، وكانوا يسافرون، فلولم تجز لهم الصلاة إلا فى مساجدهم لزمهم إما ترك الصلاة، أو عدم صحتها ، وهو مخالف للظاهر ، فالخاص بهذه الأمة مجموع الأمرين لا كل واحد منهما.

(٣) الغنائم : جمع غنيمة : ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه .

(٤) أراد بالكلمة قوله : وأعطيت الشفاعة .

(٥) التابع من المتبوع : أى الشريف من الوضيع .

(٦) صحيح مسلم : ٣٧١ (٧) الأدمة : السمرة . (٨) صحيح مسلم : ٣٧٢

(٩) جوامع الكلم : جوامع : جمع جامعة ؛ لجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل . وقال الهروى : يعنى به القرآن .

(١٠) المراد ما فى الأرض من الكنوز والأموال .

(١١) فى صحيح مسلم : بين يدى . وفى رواية أخرى له : فى يدى ـ كما هنا .

وفى رواية[١] – عنه : وخُتِمَ[٢] بى النبيّون .

وعن عُقبَة بن عامر أنه قال : قال عليه السلام : إنّى فَرَطٌ[٣] لكم ، وأنا شهيد عليكم . وإنّى والله لأَنْظُرُ إلى حَوْضِى الآن[٤] ، وإنى قد أُعطِيت مفاتيح خزائن الأرض . وإنى – والله – ما أَخافُ عليكم أنْ تُشرِكُوا بعدى[٥] ، ولكنى أخافُ عليكم أنْ تنافَسُوا فيها[٦] .

وعن[٧] عَبْدِ الله بن عمرو أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا محمد النبىُّ الأُمِّىّ[٨] ، لا نَبِىَّ بعدى ، أُوتِيت جوامِعَ الكلم وخواتمه ، وعلمتُ خَزَنَةَ[٩] النار وحَمَلةَ العَرْشِ .

---

(١) فى صحيح مسلم أيضا : ٣٧١

(٢) فى ب : وختم – بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليها « معا » .

(٣) فرط : الفرط ، والفارط : الذى يتقدم القوم ليهيئ لهم فى منازل أسفارهم الماء والكلأ ونحوه مما يحتاجون إليه . والحديث فى صحيح البخارى : ٤ – ٢٤٠ ، وفيه : إنى فرطكم .

(٤) لأنظر إلى حوضى الآن : أى أشاهده الآن .

(٥) بعدى : بعد موتى ؛ لأن من ذاق حلاوة الإيمان لا يرجع عنه .

(٦) فيها : أى فى الدنيا ؛ أى أخاف عليكم من رغبتكم فى نفائس الدنيا وانهماككم فى تحصيلها حتى يؤدى بكم ذلك إلى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى .

(٧) قال السيوطى: رواه الإمام أحمد بسند حسن(مسند أحمد: ٢-١٧٢، ٢١٢،وغيرها).

(٨) هو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، نسبة لأمه ؛ كأنه على حاله يوم ولدته أمه ؛ أو إلى أم القرى ؛ لأن الكتابة كانت عزيزة فى أهلها ، أو إلى أمة العرب . قال فى نسيم الرياض (٢ – ٢٢٧) : وهذه الصفة فى حقه صلى الله عليه وسلم من أجل النعم عليه ، وأعظمها ؛ إذ أعطاه علم الأولين والآخرين وحفظ هذا الكتاب الذى لم يعادله كتاب ، وهو لا يقرأ ولا يكتب ؛ ولم يدارس ، ولم يلاق أحدا له شغل بذلك .

(٩) خزنة النار : الملائكة الموكلون بها . وضبط كلمة « علمت » بالتخفيف فى ا : وفى هامش ب : قال الحافظ المزى رحمه الله : يجوز «علمت خزنة النار » مخففا، ولكن التضعيف أحسن ، كلفظ القرآن فى قوله تعالى : « وعلمك مالم تكن تعلم » .

وعن ابن عمر : بُعِثْتُ بين يدى الساعة[١] .

ومن رواية ابن وَهْب[٢] ـ أنه عليه السلام قال : قال الله تعالى : سَلْ يامحمد . فقلتُ : ما أسأل يارب ؟ اتخذتَ إبراهيمَ خليلا[٣]، وكلّمتَ موسى تكليما، واصطفيْتَ نوحا ، وأعطيْتَ سليمان مُلْكا لا ينبغى لأحَدٍ من بعده[٤] ، فقال اللهُ تعالى : ما أعطيتُك خَيْرٌ من ذلك ؛ أعطيتُكَ الكَوْثَر[٥] ، وجعلتُ اسْمَك مع اسْمِى[٦] ، يُنَادَى به فى جَوْف السماء[٧] ، وجعلتُ الأرضَ طَهوراً لكَ ولأمتك ، وغَفَرتُ لك ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبك وما تأخَّر ؛ فأنْتَ تَمْشى فى الناس مغفورا لك ، ولم أصْنَع ذلك لأحدٍ قبلكَ ، وجعلتُ قلوبَ أمتك مَصاحِفَها[٨] ، وخبأْتُ لكَ شفاعتَك ، ولم أخْبأها لنبىٍّ غيرك .

وفى حديث آخَر رواه حُذَيفة[٩] . بَشَّرنى ـ يعنى ربَّه : أول من يدخُل الجنةَ

---

(١) قال السيوطى : رواه أحمد بسند حسن . والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم بين يدى الساعة أنه قدامها وقريب من وقوعها .

(٢) هذا بعض من حديث الإسراء الطويل الذى رواه البيهقى فى الدلائل وغيره عن أبى هريرة . وسيأتى بعد حديث الإسراء مفصلا .

(٣) اتخذت إبراهيم خليلا : اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها .

(٤) لا ينبغى لأحد من بعده : لا يتيسر لغيره من الرسل والملوك ؛ لتسخير الجن والإنس والريح . . .

(٥) الكوثر : نهر فى الجنة . وقيل هو القرآن ، وقيل النبوة ، وقيل غير ذلك .

(٦) وجعلت اسمك مع اسمى : مقرونا باسم الله فى التشهد والأذان . وكلمة الشهادة وغير ذلك .

(٧) تنادى الملائكة به فى السماء .

(٨) أى مننت عليك بأن جعلت فى أمتك حفظة لم يكن فى غيرهم من الأمم السالفة ، حتى إن حفظة القرآن والحديث من هذه الأمة لايحصون فى كل عصر . والمراد أنه جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرآن .

(٩) قال الخفاجى : هذا الحديث رواه ابن عساكر فى تاريخه . وارجع إلى ابن ماجه : ١٤٣٣

ومعى مِنْ أُمتى [٥٥] سبعون ألفا ، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألْفاً ليس عليهم حساب ؛ وأعطانى ألَّا تجوع أُمتى ولا تُغْلَب ، وأعطانى النصر والعزَّةَ والرُّعْبَ يسعى بين يدى أُمتى[١] شَهْراً ، وطيَّبَ لى ولأُمتى المغانمَ[٢] ، وأحلَّ لنا كثيرا مما شدَّدَ على مَنْ قَبْلنا ، ولم يجعل علينا فى الدِّين مِن حَرَج[٣] .

وعن أبى هريرة[٤] ، عنه عليه السلام : ما مِنْ نبىٍّ من الأنبياء إلا وقد أُعْطِىَ من الآيات ما مِثْله آمَنَ عليه البَشَرُ[٥] ؛ وإنما كان الذى أُوتيتُ وحْياً أَوْحَى اللهُ إلىّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرهم تابعا يَوْمَ القيامة[٦] .

معنى هذا عند المحقِّقين بقاء معجزته ما بَقِيت الدنيا ، وسائرُ معجزاتِ الأنبياء ذهبت لِلْحِين[٧] ، ولم يشاهدها إلا الحاضِرُ لها ، ومعجزةُ القرآنِ يقِفُ عليها قَرْنٌ بعد قَرْن عِيانا[٨] لا خَبَراً إلى القيامة .

وفيه[٩] كلامٌ يطولُ هذا نُخْبَتُه[١٠] . وقد بسطنا القولَ فيه ، وفيما ذُكِرَ فيه سِوَى هذا آخِرَ باب المعجزات .

---

(١) أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا .

(٢) طيب لى : أحل لى ولأمتى . (٣) من حرج : من ضيق وشدة .

(٤) الحديث فى ابن ماجه : ١٤٣٨ ، وصحيح مسلم : ١٨٨

(٥) أى كل نبى جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس ، كعصا موسى ، وإحياء الموتى لعيسى .

(٦) وذلك لأن هذه المعجزة ــ وهى القرآن ــ لما كانت باقية إلى يوم القيامة، وهى باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم أكثرية من آمن به واتبعه عليه السلام على من آمن بغيره من الرسل ، وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره ، فإذا مات انقطع التحدى بمعجزته . (٧) ذهبت للحين : المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده .

(٨) عيانا : مشاهدة ؛ أى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها .

(٩) وفيه : أى فى هذه الحديث ومعناه . (١٠) نخبته : مختاره وزبدته .

وعن عليّ رضي الله[1] عنه : كل نبي أُعطِيَ سبعة نُجباء ، وأُعطي نبيُّكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نَجيبا[2] ، منهم أبو بكر ، وعُمر ، وابن مسعود ، وعمّار .

وقال صلى الله عليه وسلم[3] : إنّ الله قد حبَس عن مكّة الفِيل[4] ، وسلّط عليها رسولَه والمؤمنين ؛ وإنّها لا تَحِلّ[5] لأحدٍ بعْدِي ، وإنما أُحِلّتْ لي ساعةً من نهار[6] .

وعن العِرْباض[7] بن سارِيَة : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني عَبْدُ الله وخاتَمُ النبيين ؛ وإنّ آدمَ لمُنْجَدِلٌ[8] في طِينَتِه ، وعِدَةُ أبي إبراهيم[9] ، وبِشارَةُ عيسى ابن مريم[10] .

---

(١) في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . (سنن الترمذي : ٥ – ٦٦٢) .

(٢) النجيب : الكريم الحسيب ، ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدائد ؛ وهو المراد هنا . وفي هامش ب كمل عددهم – من الاستيعاب – فقال : وعلي ، والحسن ، والحسين ، وسلمان ، وحمزة ، وأبو ذر ، وحذيفة ، والمقداد ، وجعفر ، وبلال .

ولفظ الترمذي : قلنا : من هم ؟ قال : أنا وابناي ، وجعفر ، وحمزة ، وأبو بكر ، وعمر ، ومصعب بن عمير ، وبلال ، وسلمان ، وعمار ، وابن مسعود .

ولم يذكر ابن عبد البر : مصعبا . وزاد تكملة لهم : حذيفة ، وأبا ذر ، والمقداد .

وارجع في ذلك أيضا إلى شرح القاري (١ – ٣٧٠) إن أردت .

(٣) حديث رواه مسلم عن أبي شريح ؛ قاله يوم فتح مكة (صحيح مسلم : ٩٨٨) .

(٤) حبس : منع .

(٥) ضبطت كلمة « تحل » في ب بضم التاء – بالبناء للمجهول ، و « تحل » بفتح التاء وكسر الحاء وكتب عليها « معا » . والضبط الأخير في صحيح مسلم .

(٦) كان حل القتال للنبي في ساعة من نهار يوم الفتح .

(٧) قال الخفاجي : في حديث رواه أحمد ، والبيهقي ، والحاكم ، وقال : إنه صحيح الإسناد (مسند أحمد : ٤ – ١٢٧) . (٨) لمنجدل في طينته : أي مختلط في تربته ، أو ساقط فيها ، أو مطروح على الجدالة ، وهي الأرض الصلبة ، والمراد بطينته .

(٩) وعدة أبي إبراهيم ؛ أي وعده بمقتضى دعائه بقوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ...

(١٠) وبشارة عيسى ابن مريم : يعني في قوله تعالى – حكاية عنه : ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .

وعن ابن عباس[١]، قال: إنّ اللهَ فضَّلَ محمدا صلى اللهُ عليه وسلم على أهل السماء، وعلى الأنبياء صَلَوَاتُ اللهِ عليهم؛ قالوا: فما فَضْلُه على أهل السماء؟ قال: إن اللهَ تعالى قال لأهل السماء[٢]: ﴿ ومَنْ يَقُلْ[٣] مِنْهُم إنّي إلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾.

وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم[٤]: ﴿ إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ ﴾.

قالوا: فما فَضْلُه على الأنبياء؟ قال: إنّ اللهَ تعالى قال[٥]: ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾.

وقال لمحمد[٦]: ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إلّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾.

وعن خالد بن مَعْدَان أنَّ نَفَرًا من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا[٧]: يارسولَ اللهِ، أَخْبِرْنا عن نفسك.

وقد رُوى نحوه عن أبي ذَرّ، وشدّاد بن أَوْس، وأنس بن مالك، فقال: نعم، أنا دَعْوَةُ أَبِي إبراهيم — يعني قوله[٨]: ﴿ رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِم رَسُولًا مِنْهُم ﴾.

---

(١) قال الخفاجى والقارى: فى حديث رواه البيهقى، والدارمى، وابن أبى حاتم.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٢٩ (٣) منهم: من أهل السماء.

(٤) سورة الفتح، آية ١، ٢. ووجه الفضل أنه جعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر منه. أو وجه الفضل أنه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله، وهذا يدل على علو رتبته فوق رتبتهم.

(٥) سورة إبراهيم، آية ٤

(٦) سورة سبأ، آية ٢٨، وهذه الآية تدل على عموم رسالته، والآية التى قبلها تدل على تخصيص رسالة كل رسول بقومه.

(٧) قال الخفاجى: هذا الحديث روى من طرق، كما أشار إليه المصنف.

(٨) سورة البقرة، آية ١٢٩

وبُشْرَى[1] عيسى . ورأتْ أمّي حين حملَتْ بِي أنه خرج منها نورٌ أضَاءَ له قصور بُصْرَى من أرض الشام ، واستُرْضِعْتُ في بني سَعْد بن بكر[2] ، فبينا أنا مع أخٍ لي خَلْفَ بيوتنا نَرْعَى بَهْماً[3] لنا إذ جاءني رجُلان عليهما ثيابٌ بيض .

وفي حديث آخر : ثلاثةُ رجال بِطَسْتٍ من ذهب مملوءة[4] ثَلْجاً ، وأَخذَاني فشقّا بَطْني .

قال في غير هذا الحديث : من نَحْرِي إلى مَرَاقّ بطني[5] ، ثم استخرجا منه قلبي ، فشقّاه ، فاستخرجا منه علقةً سَوْدَاء[6] فطرحاها ، ثم غَسلا قلبي وبَطْني بذلك الثلج حتى أنقَيَاه[7] .

قال في حديث آخر : ثم تناول أحدُهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نُورٍ[8] يحارُ الناظرُ دونه ، نختم به قلبي ، فامتلأ إيمانا وحِكْمة ، ثم أعاده مكانَه ، وأَمَرَّ الآخرُ يدَه على مَفْرِق صَدْري فالتأم[9] .

وفي رواية : إنّ جبريل قال : قَلْبٌ وَكِيع ؛ أي شديد ، فيه عينان تُبْصِرَان ، وأذُنان سَمِيعتان ؛ ثم قال أحدُهما [٥١] لصاحبه : زِنْهُ بعشرة من أمتـــه ، فوزَنَني فرجَحْتُهم[10] ، ثم قال : زِنْهُ بمائة من أمته ، فوزنني بهم فوزَنْتُهم ؛ ثم قال : زِنْهُ

---

(١) في هامش ب : خ : وبشر بي . (٢) أرضعته حليمة السعدية .

(٣) بهما : جمع بهمة : اسم لأولاد الضأن .

(٤) هي بالتاء في ا ، ب. قال القارى (١ — ٣٧٣): لعل التاء للمبالغة أو باعتبار كونه آنية.

(٥) النحر : أعلى الصدر . ومراق البطن : ما رق ولان من البطن . وفي هامش ا : المراق — بتشديد القاف : أسفل البطن وما حوله حين استرق الجلد .

(٦) العلقة : دم متجمد كالعلقة المعروفه في دود الماء . (٧) أنقياه : جملاه نقيا نظيفا .

(٨) من نور : يتلألأ ويضيء إضاءة زائدة ، حتى كأنه مجسم من نور .

(٩) مفرق صدرى : محل الشق والافتراق الذى كان منه . التأم : انضم واجتمع حتى لم تبق فرجة من الشق . وانظر في ذلك أيضا دلائل النبوة لأبي نعيم : ١ — ٢٠٢

(١٠) رجحتهم : الرجحان : زيادة مافى الكفتين وثقله ، فينزل الراجح ويعلو مقابله . والمراد بأمته : من اتبعه وآمن به .

بألفٍ من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ؛ ثم قال : دَعْهُ عنــكَ ، فلو وزَنْتَه بأمته لوزَنَها [1] .

قال فى الحديث الآخَر : ثم ضمُّونى [2] إلى صدورهم ، وقَبَّلُوا رأسى ، ومابين عينىَّ ، ثم قالوا : ياحبيبُ ، لم تُرَعْ [3] ، إنك لو تَدْرِى مايُرَادُ بكَ من الخير لقرَّتْ عيناكَ [4] .

وفى بقية هذا الحديث من قولهم [5] : ما أكرمكَ على الله ! إنَّ اللهَ معكَ وملائــكتَه .

قال فى حديث أبى ذرّ : فما هو إلّا أنْ وَلَّيَا عنى [6] ، فــكأنما أرى الأمْرَ مُعَاينة [7] .

وحكى أبو محمد مَــكّى ، وأبو الليث السمرْقَنْدِى وغيرهما ـ أنَّ آدمَ عند معْصِيته قال : اللهم بحقّ محمدٍ اغفر لى خطيئتى .

ويُرْوَى [8] : تقبَّلْ توبتى . فقال له اللهُ : مِنْ أين عرفْتَ محمدا ؟ فقال : رأيتُ فى كل موضع من الجنة مكتوبا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

ويُرْوَى : محمد عَبْدِى ورسولى ؛ فعلمتُ أنه أكرَمُ خَلْقك عليك ، فتاب اللهُ عليه ، وغفر له .

---

(١) لوزنها : لرجحها وغلبها فى الوزن .

(٢) ضمونى إلى صدورهم : عانقونى إظهارا لمحبتهم وتــكريمهم لى .

(٣) لم ترع : لم تخف وتفزع . أى إنه حصل لك من قوة القلب ما لا يعتريك بعده خوف من شىء . والمراد تطمين قلبه بعد ماوقع من الشق له . وفى هامش ب : لن تراع .

(٤) لقرت عيناك : لسررت سرورا عظيما .

(٥) من قولهم : أى قول الملائــكة .

(٦) وليا عنى : رجعا وانصرفا عنى .

(٧) كأنما أرى الأمر معاينة : المراد بالأمر هنا ما أكرمه الله به ، وما سيكرمه به ، من مقدمات النبوة وإرهاصاتها ، وما زاد فى فطنته وعلمه .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر بسند فيه ضعف .

وهذا (١) عند قائله تأويلُ قوله تعـــالى (٢) : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فتابَ عليه ﴾ .

وفى روايةِ الآجُرّى (٣) [قال] (٤) : فقال آدم ، لمّا خَلَقْتَنى رفعتُ رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب : لا إله الله محمد رسولُ الله ؛ فعلمتُ أنه ليس أحدٌ أعظمَ قَدْراً عندك ممن جعلتَ اسمه مع اسمك ، فأوحى اللهُ إليه : وعِزَّتى وجلالى ، إنه لآخِرُ النبيين من ذُرِّيتك ولَوْلَاهُ ما خلقتُكَ .

قال : وكان آدمُ يُـكْنَى بأبى محمد ، وقيل : بأبى البشر .

ورُوى عن سُرَيْج بن يونس أنه قال : إنّ للهِ ملائـكةً سَيَّاحين (٥) عِيَادتُها (٦) كلّ دارٍ فيها أحمد ، أو محمد ، إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم .

ورَوَى ابنُ قانع (٧) القاضى ، عن أبى الحَمْرَاء ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لمَّا أُسْرِىَ بى إلى السماء إذا على العرش مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أَيَّدْتُه بعلىّ (٨) .

(١) وهذا : أى الحديث المذكور . تأويل : تفسير . (٢) سورة البقرة ، آية ٣٧

(٣) هذا فى ا ، ب . قال القارى : قال الحلبى : الظاهر أنه الإمام القدوة أبو بكر محمد ابن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة فى السنة ، والأربعين ، وغيرها . روى عنه أبو نعيم الحافظ ، وكان عالما عاملا ، سكن مكة ، ومات بها سنة ستين وثلاثمائة .

(٤) من ب .

(٥) سياحين : من السياحة ، وهى السير الطويل ، والمشى فى الأرض ، والسفر من غير مقصد وللنظر فى المصنوعات وغير ذلك .

(٦) عيادتهم : زيارتهم . وفى ب : عبادتها ــ بالباء الموحدة . وفى هامشه : عيادتها . وقال : زيارتها ــ تفسير لقوله : عيادتها . وفى ا : على كل دار .

(٧) ابن قانع : اسمه عبد الباقى بن مرزوق ، صاحب معجم الصحابة ، وكتاب اليوم والليلة ، وتاريخ الوفيات من أول سنة الهجرة ، فروى معجم الصحابة له هذا .

(٨) التأييد : التقوية والنصر .

وفى التفسير ، عن ابن عباس – فى قوله تعالى [1] : ﴿ وكان تحته كنزٌ لهما ﴾ – قال : لَوْحٌ من ذهَب فيه مكتوب : عجباً لمن أيقَنَ بالقَدَر كيف يَنْصَب [2] ! عجبا لمن أيقَن بالنار كيف يضحك [3] ! عجبا لمَنْ رأى الدنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها ! أنا الله ، لا إله إلا أنا ، محمد عَبْدِى ورسولى .

وعن ابن عباس [4] : على باب الجنـــة مكتوب : إنى أنا الله ، لا إله إلا أنا ، محمد رسول الله ، لا أعذِّبُ مَنْ قالها .

وذُكِرَ أنه وجد على الحجَارة القَدِيمة مكتوب : محمد تَقِىٌّ مصلح ، وسيدٌ أمين .

وذكر السِّمِنْطَارِى [5] أنه شاهدَ فى بعض بلاد خُراسان مولودا وُلد على أحد جَنْبَيْه مكتوب : لا إله إلا الله ، وعلى الآخر : محمد رسول الله .

وذكر الأَخْبَارِيّون [6] أنّ ببلاد الهند وَرْداً أحمر مكتوبا عليه بالأبيض : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

---

(١) سورة الكهف ، آية ٨٢ . تحته : أى الجدار . كنز لهما : لليتيمين .

(٢) النصب : التعب . أى كيف يتعب نفسه فى تحصيل رزقه ، وما قدر له لا يتخلف عنه مقدار ذرة أو لحظة .

(٣) أى من تيقن وجود النار ، وعلم أنه لا يخلو من زلة يعاقب عليها كيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا ، وهو لا يعلم أشقى هو أم سعيد ، والموت أقرب له من حبل الوريد .

(٤) قال القارى (١ – ٣٧٧) : قال الدلجى : لا أعلم من رواه عنه .

(٥) هذا الضبط فى ب ، توفى سنة ٤٦٤ هـ وقال الشهاب (٢ – ٢٤٧) : قال التلمسانى : إنه من الأجلة ، ومن قال : لم أرله ترجمة ونحن فى غنية عما نقل عنه – فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع ، وقد ضبط بفتح السين فى ا .

وكذلك ضبطه ياقوت (٥ – ١٣١) ، ضبط قلم ، وقال : سمنطار : قيل : هى قرية فى جزيرة صقلية . وارجع إلى ياقوت إن شئت .

أما ضبط السين بالكسر فهو فى ب ، وأيده القارى (١ – ٣٧٨) ، والخفاجى : (٢–٢٤٦)

(٦) المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء بأخبار الأمم السالفة .

وروى عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ : ألا لِيَقُمْ من اسْمُه محمد ، فليدخل الجنةَ لكرامةِ اسْمِه عليه السلام .

وروى ابنُ القاسم[١] فى سَماعِه ، وابنُ وَهْب فى جامعه ، عن مالك : سمعتُ أهْلَ مكة يقولون : ما مِنْ بيتٍ فيه اسْمُ محمد إلّا قَدْ وُقُوا[٢] .

وعنه عليه السلام[٣] : ما ضَرَّ أحدَكم أن يكونَ فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة[٤] .

وعن عَبْدِ الله بن مسعود : إنَّ اللهَ نظر إلى قلوب العباد ، واختار منها قَلْبَ محمد عليه السلام ، فاصطفاه لنفسه[٥] ، فبعثه برسالته .

وحكى النقَّاشُ أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم لما نزلت[٦] : ﴿ وما كانَ لكم أنْ[٧] تُؤْذُوا رسولَ الله ولا أنْ تَنْكِحُوا أزواجَه مِنْ بَعْدِه أبدا إنَّ ذلكم كان عندَ اللهِ عظيما ﴾ ـ قام خطيبا ، فقال : يا مَعْشَر أهلِ الإيمانِ ، إنّ الله تعالى فَضَّلنى عليكم تفضيلا ، وفضَّلَ نسائى على نسائكم تفضيلا ... الحديث .

---

(١) ابن القاسم اسمه عبد الرحمن ، جمع بين الزهد والعلم ، وصحب مالكا عشرين سنة ، ومات بمصر . أخرج له البخارى ، وأبو داود ، والنسائى .

(٢) فى هامش ا ، ب : وفى نسختين صحيحتين : إلا نما ورزقوا . وفى هامش ب : خ : إلا رزقوا ورزق جيرانهم .

(٣) فى حديث مرفوع مسند ، كما قاله السيوطى ، وذكر سنده .

(٤) ونفى الضرر المراد به وجود النفع .

(٥) اصطفاه لنفسه : جعله صفيا له مقربا عنده .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

(٧) وما كان لكم : لاينبغى لكم ، ولا يحل ، ولا يجوز .

فصـــــل

فى تفضيله بما تضمنته كرامةُ الإسراء من المناجاة والرؤية[1]، وإمامة الأنبياء، والعرُوج به إلى سِدْرَةِ[2] المنتهى، وما رأى من آيات رَبِّه الكُبْرى

ومن خصائصه ـ عليه السلام قصةُ الإسراء وما انطوت عليـــه من درجاتِ الرِّفْعة مما نبَّهَ عليه الكتابُ العزيزُ، وشرحته صِحَاحُ الأخبار؛ قال الله تعالى[3]: ﴿ سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الحرام إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الذى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتنا إنه هو السَّمِيعُ البَصِير ﴾.

وقال تعالى[4]: ﴿ والنَّجْمِ إِذَا هَوَى. ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وماغَوَى. وما يَنْطِقُ عن الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى. ذو مِرَّةٍ فاسْتَوَى. وهو بالأُفُقِ الأَعْلَى. ثم دَنَا فتَدَلَّى. فكان قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى. ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى ما يَرَى. ولَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عندها جَنَّةُ الْمَأْوَى. إذ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى. مازاغَ البَصَرُ وما طَغَى. لقد رأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى ﴾.

فلا خِلَاف بين المسلمين فى صحة الإسراء به عليه السلام، إذ هو نَصُّ القرآن، وجاءت بتفصيله، وشرح عجائبه، وخَوَاصِّ نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديثُ كثيرة

---

(١) المناجاة: الكلام سرا. وتختص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه. والرؤية: أى رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه. أو رؤية ما فى الملأ الأعلى من العجائب.

(٢) العروج: الصعود فى جهة العلو. وسدرة المنتهى: شجرة فى السماء السابعة، وسميت سدرة المنتهى؛ لأنه ينتهى إليها مايهبط من فوقها وما يصدر من تحتها. وقيل: إنه ينتهى إليها علم الخلائق. وقيل: لأن من وصل إليها انتهى لأقصى الكرامة.

(٣) سورة الإسراء، آية ١، والمسجد الأقصى: بيت المقدس.

(٤) سورة النجم، آية ١ ـ ١٨

منتشرة - رأينا أنْ نقدّمَ أكملَها[١]، ونُشيرَ إلى زيادةٍ من غيره[٢] يجبُ ذِكْرُها :

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي، والفقيه أبو بَحْر بسماعي عليهما، والقاضي أبو عَبْد الله التميمي، وغَيْرُ واحدٍ من شيوخنا ؛ قالوا : حدثنا أبو العباس العُذْرِي، [قالوا][٣]: حدثنا أبو العباس الرازي، حدثنا أبو أحمد الجُلُودي، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا شَيْبَان بن فرّوخ، حدثنا حمّاد بن سَلَمة، حدثنا ثابت البُنَاني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال[٤]: أُتيتُ بالبُرَاق، وهو دابّة[٥] أبيضُ طويل، فوق الحمار، ودون البَغْلِ، يضَعُ حافِرَهُ عند منتهى طَرْفِه[٦] - قال : فركبتُه حتى أتيتُ بيْتَ المقدس، فربطتُه بالحَلْقةِ التي يَرْبِطُ بها الأنبياء، ثم دخلتُ المسجدَ فصلّيتُ فيه ركعتين، ثم خرجتُ، فجاءني جبريلُ بإناءٍ من خَمْر وإناء من لَبَن، فاخترتُ اللبنَ، فقال جبريل : اخترْتَ الفِطْرَةَ[٧].

---

(١) أي الحديث الذي هو أكملها وأجمعها لهذه القصة وأصحها . وهذا الحديث رواه مسلم : ١ - ١٤٥

(٢) من غيره : من غير هذا الحديث . وقعت روايتها لغير مسلم، ولكنها مهمة .

(٣) من ب .

(٤) حديث الإسراء هذا في صحيح مسلم : ١٤٥، وصحيح البخاري : ٤ - ١٣٣، ومسند أحمد : ٢٥٧، ٣٠٩، ٣١٠، وسنن الترمذي : ٥ - ٣٠٠ وما بعدها، ٣٠٧، وسيرة ابن هشام : ٢ - ٣٦، وطبقات ابن سعد : ١ - ١٤٢، وتفسير ابن كثير : ٣ - ١٠٨، والنويري : ١٦ - ٢٨٣، والسيرة الحلبية : ١ - ٤٧٨، وغيرها .

(٥) وهو دابة : على صورتها . والدابة : تذكر وتؤنث .

(٦) منتهى : انتهاء . والطرف : العين، والمراد به النظر .

(٧) الفطرة : الجبلة والطبيعة التي فطر عليها الناس، أي ما اخترته هو الموافق للخلقة الإنسانية التي خلق الناس عليها، وللطبائع المستقيمة ؛ فإن اللبن شراب لذيذ، وطعام نافع موافق للإنسان . وقيل : المراد بالفطرة هنا الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيباً سائغا للشاربين سليم العاقبة، بخلاف الخمر .

ثم عَرَج[١] بنا إلى السماء ، فاستَفْتَح[٢] جبريلُ ، فقيل : مَنْ أنتَ ؟قال: جبريل. قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِث إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففُتِحَ لنا ، فإذا أنا بآدَم صلى الله عليه وسلم ، فرحَّبَ بى ، ودعا لى بخير .

ثم عَرَج بنا إلى السماء الثانية ، فاستَفْتَح جبريلُ ، فقيل : مَنْ أنتَ : قال : جبريل . قيل : وَمَن معكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِث إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه. ففُتِحَ لنا ، فإذا أنا بابْنَي الخالة : عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما؛ فرحَّبَا بى ، ودعَوَا لى بخير .

ثم عَرَج بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مِثْل الأول ، ففُتِح لنا ، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو قد أُعْطِى شَطْرَ الحُسْنِ[٣] ، فرحَّب بى، ودعا لى بخير.

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مِثْلَه ، فإذا أنا بإدريس ، فرحَّبَ بى ، ودعا لى بخير ، قال الله تعالى[٤] : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكاناً عَلِيًّا ﴾ .

ثم عَرَج بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مِثْلَه ، فإذا أنا بهارون ، فرحَّبَ بى ، ودعا لى بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مِثْلَه ، فإذا أنا بموسى ، فرحَّبَ بى ، ودعا لى بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مِثْلَه ، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِداً ظهرَه إلى البيت المعمور[٥] ، وإذا هو يَدْخُلُه كلَّ يوم سبعون ألف ملك، لايعودون[٦] إليه.

---

(١) فى ب : ثم عرج بى . والمثبت فى صحيح مسلم أيضا : وعرج : صعد .

(٢) فاستفتح جبريل : أى طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها .

(٣) الشطر : النصف . (٤) سورة مريم ، آية ٥٧

(٥) فى نسيم الرياض (٢ — ٢٦٠) : وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة ، وهو محاذ للكعبة . وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه .

(٦) لايعودون إليه : لأن حجه مرة كفرض الحج علينا ، أو لاشتغال غيرهم .

ثم ذهب بى إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى[١] ، وإذا ورَقُها كآذانِ الفِيَلة ، وإذا ثَمَرُها كالقِلَال[٢] ، قال : فلما غَشِيَها من أمر الله ما غَشِيَ تغيرت[٣] ، فما [٥٨] أحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يستطيعُ أنْ يَنْعَتَها من حُسْنها ؛ فأوحى اللهُ إلىَّ ما أَوْحَى ، ففرضَ علىَّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلتُ إلى موسى ، فقال : ما فَرَضَ ربُّك على أمتك؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربِّكَ فاسأله التخفيفَ ، فإنَّ أمتك لا يُطِيقون[٤] ذلك ، فإنى قد بَلَوْتُ[٥] بنى إسرائيل وخَبَرْتُهم .

قال : فرجعتُ إلى رَبِّى ، فقلتُ : يارب ، خَفِّفْ عن أمتى . فحَطَّ عنى خمسا ، فرجعتُ إلى موسى ، فقلت : حَطَّ عنى خمسا ، قال : إنَّ أمتك لا يُطِيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال : فلم أَزَلْ أَرْجِعُ بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال : يا محمد ، إنهنَّ خَمْسُ صلواتٍ كلَّ يوم وليلةٍ لكل صلاةٍ عَشْرٌ ، فتلك[٦] خمسون صلاةً[٧] ؛ ومن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتِبت له حسنةً[٨] ، فإن عملها كُتِبت له عَشْرا . ومَنْ هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تُكْتَبْ شيئاً ، فإنْ عملها كُتِبت سيئة واحدة .

---

(١) فى صحيح مسلم : إلى السدرة المنتهى .

(٢) القلال : جمع قلة ، وهى الجرة الكبيرة .

(٣) غشيها : طرأ عليها وغطاها . من أمر الله : الظاهر أن المراد بأمر الله وحيه ، أو تجليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها بذلك أشرق عليها نور إلهى ، فزهت به ، وحسنت حسنا لاينعت ، وظهر عليها نور لا يمكن أن تقابله الأبصار . تغيرت : أى عن حالها التى كانت عليه .

(٤) لايطيقون ذلك : يشق عليهم فيقصرون فيه .

(٥) بلوت بنى إسرائيل : خبرتهم . (٦) فى صحيح مسلم : فذلك خمسون صلاة .

(٧) فى الثواب والاعتبار ، لأن الحسنة بعشر أمثالها .

(٨) لنيته عملها . والهم : القصد .

قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فقلت[١] : قد رجعتُ إلى ربى حتى استحْيَيْتُ[٢] منه .

قال القاضى – رضى الله عنه : جوَّدَ ثابتٌ رضى اللهُ عنه هذا الحديثَ عن أنس ما شاء ، ولم يَأْتِ أحدٌ عنه بأصوب من هذا .

وقد خلَّطَ فيه غيره عن أنس تخليطا[٣] كثيرا ، لا سيَّما من رواية شَرِيك ابن أبى نَمِر ؛ فقد ذكر فى أوله مجىء الملك له ، وشَقَّ بَطْنِهِ ، وغَسْلَه بماء زمزم ؛ وهذا إنما كان وهو صبىّ ، وقَبْل الوحى .

وقد قال شَرِيك فى حديثه : وذلك قبل أن يُوحَى إليه ؛ وذكر قصةَ الإسراء. ولا خلاف أنها كانت بعد الوَحْى .

وقد قال غَيْرُ واحد : إنها كانت قبل الهجرة بسنة ، وقيل : قَبْل هذا .

وقد رَوَى[٤] ثابت عن أنس ، من رواية حمّاد بن سلَمَة أيضا مجىء جبريل إلى النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم وهو يلْعَب مع الغِلْمان عند ظِئْره[٥] ، وشَقَّه قَلْبَه – تلك القصة مفردةً من حديث الإسراء كما رواه الناسُ ، فجَوَّدَ فى القصتين ، وفى أنَّ الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سِدْرَةِ المنتهى كان قصةً واحدة ، وأنه وصل إلى بيت

---

(١) فى ب : قلت . والمثبت فى ا ، وصحيح مسلم .

(٢) فى ا : استحيت منه . والمثبت فى ب ، وصحيح مسلم ؛ أى استحييت منه أن أراجعه فى السؤال بعد ذلك .

(٣) المراد أنهم أدخلوا فى حديث الإسراء ماليس منه كشق الصدر ؛ كما يأتى .

(٤) صحيح مسلم : ١٤٧

(٥) عند ظئره : الظئر : المرضعة التى ليست بأم ؛ وهى حليمة السعدية .

المَقْدِس ، ثم عَرَجَ[١] به من هناك ، فأزاح كلّ إشكال أوهَمَهُ غيره[٢] .

وقد رَوَى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس ، قال[٣] : كان أبو ذَرّ يحدّث أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فُرِجَ[٤] سَقْفُ بيتى ، [وأنا بمكة][٥] ، فنزل جبريلُ ، ففَرج صَدْرِى ، ثم غَسله مِنْ[٦] ماءِ زمزم ، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ ممتلىء حكمةً وإيمانا ، فأفرغها فى صَدْرى ، ثم أطْبَقه ، ثم أخذ بيدى فعرَج بنا إلى السماء . . . فذكر القصةَ .

وروى قَتَادة[٧] الحديثَ ، بمثله ، عن أَنَس ، عن مالك بن صَعْصَعة ، وفيها تقديم وتأخير وزيادةٌ ونَقْصٌ ، وخلافٌ فى ترتيب الأنبياء فى السموات .

وحديثُ ثابت ، عن أنس — أتقن وأجْوَدُ .

وقد وقَعَتْ فى حديث الإسراء زياداتٌ نَذْكُرمنها نُكَتًا مفيدة[٨] فى غرضنا :

منها فى حديث ابن شهاب ، وفيه : قولُ كل نبيّ له : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح[٩] .

---

(١) فى ب : عرج — بالبناء للمجهول .

(٢) أوهمه غيره : أوقعه فى ذهن الناس ووهمهم . غيره : غير ثابت .

(٣) هذا الحديث فى صحيح مسلم : ١٤٨

(٤) فرج : شق ، أو رفع جانب منه حتى صار مكشوفا .

(٥) من صحيح مسلم .

(٦) فى ب : بماء زمزم . والمثبت فى ا ، وصحيح مسلم .

(٧) فى صحيح مسلم : ١٤٩

(٨) النكت : جمع نكتة . والمراد كل معنى دقيق يحصل بالفكر .

(٩) فى صحيح مسلم : ١٤٩

وفيه – من طريق[١] ابن عباس : ثم عَرَجَ بى حتى ظهَرْتُ[٢] بمستوًى أسمعُ فيه صريفَ[٣] الأقلام .

وعن أنس[٤] : ثم انطلق بى حتى أتيتُ سِدْرة المُنْتَهى ، فغَشِيَها ألوانٌ لا أدرى ماهى ؟ قال : ثم أُدْخِلْتُ الجنةَ .

وفى حديث مالك بن صعصعة : فلما جاوَزْتُه[٥] – يعنى [٥٩] موسى – بكى ، فنُودِى : ما يُبْكِيك ؟ قال : رب ، هذا غلامٌ بعثْتَه بَعْدِى يَدْخلُ من أُمته الجنةَ أكثَرُ ممّا يدخلُ من أمتى[٦] !

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه[٧] : وقد رأيْتُنى فى جماعةٍ من الأنبياء ، فحانت[٨] الصلاةُ ، فأَمَمْتُهم[٩] ، فقال قائل : يا محمد ، هذا مالكٌ خازنُ النار ، فسلِّمْ عليه . فالتفتُّ[١٠] فبدأنى بالسلام .

وفى حديث أبى هُريرة : ثم سار حتى[١١] أتى إلى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسَه إلى صخرةٍ ، فصلّى مع الملائكة ، فلما قُضِيت الصلاةُ قالوا : ياجبريل ؛ مَنْ هــذا معك ؟ قال : هذا محمد رسولُ اللهِ خاتَم النبيين . قالوا : وقد أُرْسِــل إليه ؟ قال :

---

(١) فى ب : حديث . وهو فى صحيح مسلم : ١٤٩ (٢) ظهرت : علوت وصعدت .

(٣) صريف الأقلام : الصريف : المراد به صوت القلم على الورق ؛ أى انتهى – صلى الله عليه وسلم إلى محل سمع فيه صرير أقلام الملائكة الكتبة . وهى تكتب ما تنقله من اللوح ، أو ما يؤمر بكتابته من الوحى وغيره . صحيح مسلم : ١٤٩

(٤) فيما رواه مسلم : ١٤٩ (٥) جاوزته : فارقته .

(٦) صحيح مسلم : ١٥٠

(٧) فى حديث الإسراء الذى رواه البيهقى وغيره .

(٨) حانت الصلاة : دخل وقتها ، وجاء حينها .

(٩) فأممتهم : صليت بهم جماعة وأنا إمام لهم .

(١٠) فالتفت : أى إلى مالك . (١١) ثم سار : أى جبريل .

نعم . قالوا : حيَّاهُ اللهُ[1] مِنْ أخٍ وخليفةٍ ، فنِعْمَ الأخُ ونعم الخليفة ! ثم لَقُوا أرواحَ الأنبياء فأَثْنَوْا على رَبِّهم ، وذكر كلامَ كلِّ واحدٍ منهم ، وهم إبراهيم ، وموسى وعيسى ، وداود ، وسُليمان .

ثم ذكر كلامَ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: وإنَّ محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربِّه عزّ وجل فقال : كلكم أَثْنَى على ربّه ، وأنا أُثْنِي على ربِّي . الحمد لله الذى أرسلنى رحمةً للعالمين ، وكافَّةً للناس بشيرا ونَذيرا[2] ، وأنزل عليَّ الفُرْقان فيه تِبْيانُ كلِّ شىء[3] . وجعل أمتى خَيْرَ أمة ، وجعل أمتى أمةً وَسَطًا[4] ، وجعل أمتى هم الأوّلون ، وهم الآخِرون[5] ، وشرح لى صَدْرى ، ووضَع عنى وِزْرِى[6] ، ورفع لى ذِكْرِى[7] ، وجعلنى فاتحا وخاتما[8] .

فقال إبراهيم : بهذا فَضَلَكم محمد .

---

(١) حياه الله : هى تحية ودعاء بالبقاء والسلامة .

(٢) بشيرا ونذيرا : مبشرا بالخير لمن آمن واتقى ، محذرا من كفر وعصى .

(٣) تبيان كل شىء : مبين لكل شىء .

(٤) أمة وسطا : عدولا أخيارا جامعين بين العلم والعمل ، وسائر الصفات التى بين التفريط والإفراط .

(٥) علق الشيخ محمد حسنين مخلوف هنا — فى النسخة ب — قال: الأولون؛ أى فى دخول الجنة ، والآخرون ؛ أى فى الوجود فى الدنيا . وقال الشهاب الخفاجى : هم الأولون وهم الآخرون : معنى أوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور وفى دخول الجنة وفصل القضاء . وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى .

(٦) ووضع عنى وزرى: طهر قلبى من حظ الشيطان،وعصمنى فلا أرتكب مالايرضى الله.

(٧) ورفع ذكرى : جعلنى مذكورا فى الملأ الأعلى ، وجعل اسمى مقرونا مع اسمه على كل لسان ، وعلى المنابر فى كل إقامة وأذان .

(٨) وجعلنى فاتحا وخاتما : للنبوة ؛ إذ خلق روحى قبل الأرواح ، ونبأها قبل كل نبى . وجعلنى خاتم النبيين .

ثم ذكر أنه عَرَج به إلى السماء الدُّنيا ، ومن سماءٍ إلى سماء ، نحو ما تقدم .

وفى حديث ابن مسعود[١] : وانْتُهِيَ بى إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ، وهى فى السماء السادسة ، إليها يَنْتَهِى ما يُعْرَجُ[٢] به من الأرض فيُقْبَضُ[٣] منها ، وإليها يَنْتَهِى ما يَهْبِطُ من فوقها[٤] فيُقْبَضُ منها ؛ قال[٥] : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى ﴾ ، قال : فَرَاشٌ من ذَهَب[٦] .

وفى رواية[٧] أبى هريرة ، من طريق الربيع بن أنس : فقيل لى : هذه السِّدْرَةُ[٨] المُنْتَهَى يَنْتَهِى إليها كلُّ أحد من أُمَّتك خَلَا على سبيلك[٩] ، وهى السِّدْرَةُ المنتهى ، يخرجُ من أصلها أنهارٌ من ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ[١٠] ، وأنهارٌ من لَبَنٍ لم يتغيَّرْ طَعْمُه ، وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لذَّةٍ للشاربين[١١] ، وأنهارٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى ، وهى شجرةٌ يسير الراكبُ فى ظلِّها سبعين عاما ، وإنَّ ورَقةً منها مُظِلَّةٌ الخَلْقَ[١٢] ، فغَشِيَها نور ، وغشيتها الملائكةُ .

---

(١) الذى رواه ابن عرفة فى جزأيه ، وأبو نعيم فى الدلائل . وهو فى صحيح مسلم : ١٥٧
(٢) ما يعرج به : ما تصعد به الملائكة من أمور الأرض .
(٣) فيقبض منها : تقبضه الكتبة وتكتبه .
(٤) من فوقها : من العرش بواسطة الملائكة المقربين .
(٥) سورة النجم ، آية ١٦
(٦) الفراش : دويبه ذات جناحين تتهافت فى ضوء السراج ، واحدته فراشة .
(٧) فى ب : وفى حديث أبى هريرة . . . (٨) هذا فى ا ، ب .
(٩) خلا : مضى . على سبيلك : على طريقتك وسنتك ؛ أى من مات من أمتك مؤمنا بك عرج بروحه مع الملائكة إليها . وفى ا : خلى — بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة .
(١٠) غير آسن : لا يتغير طعمه ولونه ورائحته أصلا ، وإن طال مكثه وعدم جريانه .
(١١) لذة للشاربين : أى ليس كخمر الدنيا المستكره شربها .
(١٢) مظلة الخلق : كناية عن سعة ظلها .

قال : فهو قوله[1] : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى ﴾ .

فقال اللهُ تبارك وتعالى له : سَلْ . فقال : إنكَ اتخذْتَ إبراهيمَ خليلا وأعطيته مُلْكا عظيما . وكلّمْتَ موسى تكليما ، وأعطيت داود مُلْكا عظيما ، وألَنْتَ له الحديدَ ، وسخَّرتَ له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخَّرت له الجنَّ والإنسَ والشياطين والرِّياح[2] ، وأعطيته مُلكا لا ينبغى لأحد مِنْ بَعْدِه ، وعلَّمت موسى التوراة والإنجيل[3] ، وجعلتَه يُبْرِئ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ[4] ، وأعَذْتَه وأمّه من الشيطان[5] الرَّجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل .

فقال له ربُّه تعالى : قد اتخذتكَ خليلا[6] . فهو مكتوبٌ فى التوراة[7] : محمد حبيب الرحمن ، وأرسلتُك إلى النـــاس كافّةً ، وجعلتُ أُمّتكَ هم الأولون ، وهم الآخرون ، وجعلتُ أُمتك لا تجوزُ لهم خُطْبة[8] حتى يشهدوا[9] أنكَ عبدى ورسولى ، وجعلتُك أوّلَ النبيين خَلْقًا ، وآخرهم بَعْثا ، وأعطيتُكَ سبعا من المَثـــانى[10] ، ولم أُعْطِها نبيّا قبلكَ ، وأعطيتُكَ خواتيمَ سورةِ البقرة مِنْ كَنْزٍ تحت عرشى لم أُعطِها نبيا قبلكَ [٦٠] ، وجعلتُك فاتحا وخاتما .

---

(١) سورة النجم ، آية ١٦ (٢) فكانت تجرى بأمره كما يشاء .

(٣) قال القارى : علمت موسى التوراه تبعية والإنجيل أصلية .

(٤) الأكمه : الذى ولد أعمى . ويروى : وعلمت موسى التوراة وعيسى الإنجيل .

(٥) وأعذته : حفظته وأجرته .

(٦) هذا فى ا ، وعليها علامة الصحة . وفى هامشه : حبيبا ، وبجانبها « صح » وكلمة « معا » . وفى ب بالعكس . (٧) هذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة .

(٨) خطبة : هى كلام يقال على رءوس الأشهاد للإعلام بأمر مهم .

(٩) حتى يشهدوا . . . : أى لايعتد بخطبهم إلا إذا أتوا فيها بكلمة الشهادة .

(١٠) سبعا من المثانى : أى الفاتحة ، لأنها سبع آيات ، أو هى تثنى وتكرر فى كل ركعة . أو السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والتوبة وحدها أو مع الأنفال بناء على أنهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما ؛ لتكرير المواعظ والعبر فيها .

وفى الرواية الأُخرى[١] قال : فأُعْطِىَ رسولُ الله صلى الله عليـــه وسلم ثلاثا : أُعْطِىَ الصلواتِ الخمسَ ، وأُعْطِىَ خَوَاتيم سورةِ البقرة ، وغُفِر لمَنْ لا يُشْرك بالله شيئا من أمته المُقْحِمات[٢] .

وقال[٣] : ﴿ ما كذبَ[٤] الفُؤادُ مَا رَأَى . أفتُمَارُونَه على ما يرى . ﴾ : رأى جبريل فى صورته له ستمائة جَنَاح .

وفى حديث شَريك أنه رأى موسى فى السابعة ـ قال : بتفضيل كلام الله[٥] .

قال[٦] : ثم عَلَا به فَوْقَ ذلك بما لا يعلمه إلا الله ؛ فقال موسى : لم أَظُنّ أنْ يُرْفَع علىّ أحد .

وقد رُوِى عن أنس أنه صلى اللهُ عليه وسلم صلّى بالأنبياء ببيت المقدس .

[وعن أَنس رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بينما أنا قاعد ذاتَ يوم إذْ دخـــل جبريل ، فوكَزَ[٧] بين كتِفَىّ ، فقمْتُ إلى شجرة فيها مِثْلُ وَكْرَى الطائر[٨] ، فقعد فى واحدةٍ وقعدتُ فى الأخرى[٩] ، فنمَتْ حتى سدّت

(١) التى رواها مسلم : ١٥٧

(٢) المقحمات : المراد الكبائر التى تلقى صاحبها فى النار . وبين السطور فوقها فى ب : المهلكات .

(٣) وقال : أى ابن مسعود فى الحديث الذى رواه .

(٤) سورة النجم ، آية ١١ ، ١٢

(٥) بتفضيل كلام الله ؛ أى علو مرتبته عليه الصلاة والسلام ، وصعوده للسابعة إنما هو لفضله على غيره بكونه كليم الله .

(٦) قال : شريك فى الحديث .

(٧) وكز بين كتفى : وكز : ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره . وقيل : الوكز : الضرب بجمع الكف .

(٨) الوكر للطير كالبيت للإنسان : العش .

(٩) قال فى نسيم الرياض : قيل أنثه لأنه كالعش يذكر ويؤنث ، والغالب على ألسنة أهل مكة تأنيثه . أو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوها .

الخافقين[1]. ولو شئتُ لَمَسَسْتُ[2] السماء، وأنا أُقلِّبُ طَرْفى[3]، ونظرتُ جبريلَ كأنه حِلْسٌ لاطىءٌ[4]، فعرفتُ فَضْلَ علمه بالله علىّ[5]، وفُتِحَ لى بابُ السماء، ورأيتُ النورَ[6] الأعظم، ولُطَّ دونى[7] الحِجَاب، وفُرَجُه الدُّرُّ والياقوت[8].

ثم أوحى اللهُ إلىّ ما شاء أنْ يُوحِىَ][9].

وذكر البَزَّار عن على بن أبى طالب رضى الله عنه[10]: لما أراد اللهُ تعالى أن يُعَلِّمَ رسولَه الأذان جاء جبريل بدابَّةٍ يقال لها البُرَاق، فذهب يركبُها، فاستصعبت عليه، فقال لها جبريل: اسْكُنِى، فواللهِ ما رَكِبكِ عَبْدٌ أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم؛ فركبها حتى أتى إلى الحجاب الذى يَلِى الرحمنَ تعالى، فبينما هو كذلك إذ خرج مَلَكٌ من الحِجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياجبريل، مَنْ هذا؟

---

(١) فنمت: فزادت الشجرة وارتفعت. والخافقان: المشرق والمغرب.

(٢) لعلوها وقربى منها. (٣) تقليب طرفه: نظره فى جوانبها.

(٤) حلس لاطىء: الحلس: كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط فى البيت. لاطىء: لاصق بالأرض. والمراد أنه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالأرض من الغشى الذى هو فيه، والنبى صلى الله عليه وسلم لم تمسه روعة كما غشى جبريل عليه السلام. وفى ا: لاطئا.

(٥) الملائكة المقربون قد يعرفون من أحوال الملكوت مالا يعرفه غيرهم.

(٦) النور الأعظم: قيل هو نور العرش، أو الله تعالى.

(٧) لط دونى الحجاب: أرخى (هامش ب). يعنى أنه صلى الله عليه وسلم بعد ماشاهد النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه. وفى ا: وإذا دونى...

(٨) وفرجه: جمع فرجة؛ وهى مابين الشيئين من خلاء، أو بين أجزاء شىء مفتوحة؛ أى فرج الحجاب. وطاقاته التى يخرج منها نوره.

(٩) مابين القوسين فى هامش ب تحت كلمة: حاشية. وهو فى ا أصلا.

(١٠) هذا الحديث رواه بسند متصل لعلى رضى الله عنه، قال القارى (١ — ٣٩٩): وفى سنده زياد بن المنذر، وهو كذاب.

قال : والذى بعثكَ بالحق ، إنى لأقربُ الخَلْقِ مكاناً ، وإن هذا الملك ما رأيتُه منذ خُلِقْتُ قبل ساعتى هذه . فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر . فقيل له مِنْ وراء الحجاب : صدَق عبدى ، أنا أكبر . أنا أكبر .

ثم قال الملَك : أشهد أن لا إله إلا الله . فقيل له مِنْ وراء الحجاب : صدق عَبْدى ، أنَا اللهُ لا إله إلا أنا .

وذكر[1] مِثْلَ هذا فى بقية الأذَان ، إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله : حىّ على الصلاة . حى على الفلاح .

وقال[1] : ثم أخذ الملَكُ بيد محمد ، فقدّمه ، فأمّ أهلَ[2] السماء ، فيهم آدمُ ونوح .

قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين ، راويه[3] : أكمل اللهُ تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرفَ على أهل السمواتِ والأرْض[4] .

قال القاضى — رضى الله عنه : ما فى هذا الحديث من ذِكْرِ الحجاب فهو فى حقّ المخلوق لا فى حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارِى جلّ اسْمُه منزّه عما يَحْجُبه ، إذ الحجُب إنما تُحِيطُ بمقدَّرٍ محسوس[5] ؛ ولكن حُجُبه على أبصار خَلْقه وبصائرهم

(١) وذكر : أى الراوى . (٢) فأم : صار إماما يؤم .

(٣) روايه : أى راوى هذا الحديث الذى رواه عن أبيه ، عن جده .

(٤) قال فى نسيم الرياض (٢ — ٢٨٣) : بقى هنا أن ما ذكر يدل على أن الأذان شرع ليلة الإسراء قبل الهجرة مع أنهم جزموا بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم رأى بعض الصحابة من دله على الأذان ، فأمر الرسول بلالا أن يؤذن . وذلك يدل على أن الأذان كان بدؤه فى المدينة ، وهما متعارضان . قال : إلا أن الثانى صحيح ، والأول ضعيف .

(٥) بمقدر محسوس : أى بذى مقدار له طول وعرض فى جهة تحس بتوجه الناظر ؛ فيقتضى الجهة ، وهو — تعالى — منزه عن ذلك .

وإدراكاتهم بما شاء[1] وكيف شاء، ومتى شاء، كقوله تعالى[2] : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ .

فقوله فى هذا الحديث : « الحجاب » ، « وإذْ خرج ملك من الحجاب » ـ يجب أنْ يقال[3] : إنه حجابٌ حجَبَ به[4] مَنْ ورَاءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه[5] من سُلْطانه وعظمته، وعجائب ملكوته وجَبَرُوته[6] .

ويدلُّ[7] عليه من الحديث قولُ جبريل ـ عن المَلَك الذى خرج من ورائه : إنّ هذا المَلَك ما رأيتُه منذ خُلقْتُ قبل ساعتى هذه .

فدلَّ على أنَّ هذا الحجابَ لم يختصّ بالذات[8] .

ويدلُّ عليه قولُ كعب فى تفسير : « سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى » ـ قال : إليها ينتهى عِلْمُ الملائكة، وعندها يجدون أَمْرَ الله، لا يجاوزُها عِلْمُهم .

وأما قولُه : الذى يَلِى الرحمن فيُحْمَلُ على حَذْفِ المضاف، أى يَلِى عَرْشَ الرحمن، أو أَمْراً مّا من عظيم آياته، أو مبادِئَ حقائق معارفه[9]، مما هو أعلمُ به، كما قال تعالى[10] : ﴿ واسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ ؛ أى أهلها .

---

(١) الحجب : جمع حجاب، أى منعهم عن رؤيته وإدراك ذاته، ومعرفة حقيقته، ليس بحجاب كحجاب البشر ؛ بل بسبب إرادة وكيفية لا يدركها، فى أى زمان أراده .

(٢) سورة المطففين، آية ١٥ (٣) أن يقال فى تفسيره . (٤) حجب به الله .

(٥) على مادونه : أى ما خلفه وما وراءه من جانب الغيب وباطنه، فهو الباطن الظاهر .

(٦) المراد بملكوته عالم غيب الغيب ؛ أى ما غيب عن الملائكة . وبجبروته : عظائم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره .

(٧) ويدل عليه : يدل على أن الحجاب لغيره لا لذاته .

(٨) بالذات : أى بذات الله .

(٩) أى أمرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله .

(١٠) سورة يوسف، آية ٨٢

وقوله : فقيل من وراء الحجاب : صدق [٦١] [عَبْدِي][1] ، أنا أكبر - فظاهرُه أنه سمع فى هذا الموطن كلامَ الله ، ولكن مِنْ وراءِ حجاب ، كما قال[2] : ﴿وما كان لبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلّا وَحْياً أو مِنْ وراءِ حجاب﴾؛ أى وهو[3] لا يراه، حجَبَ بصرَه عن رُؤْيتِه .

فإن صَحّ القولُ[4] بأنّ محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه - عزّ وجلّ - فيُحْتَمل أنه فى غير هذا المَوْطِنِ بعد هذا أو قَبْلَه ، رُفِعَ الحجابُ عن بصره حتى رآه . والله أعلم .

فصـــــل

ثم اختلف السلَفُ[5] والعلماء : هل كان إسراء برُوحه أو جسده ؟ على ثلاث مقالات[6] :

فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالرُّوح ، وأنه رُؤْيا منام ، مع اتفاقهم أنّ رؤيا الأنبياء حقّ ووَحْى ، وإلى هذا ذهب معاوية[7] .

وحُكِى عن الحسن[8] ، والمشهور عنه خلافه[9] ، وإليه أشار محمد بن إسحاق ، وحجتُهم قولُه تعالى[10] : ﴿وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التى أَرَيْنَاكَ إلّا فِتْنَةً للنّاسِ﴾ .

---

(١) ليس فى ا . (٢) سورة الشورى ، آية ٥١ (٣) وهو : أى البشر .

(٤) ارجع إلى صحيح مسلم فى ذلك : ١٥٨ ، وما بعدها . وشرح القارى : ١ - ٤٠٢

(٥) المراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم ، وبالعلماء من بعدهم . وهذا الفصل تحقيق فى الإسراء . (٦) أى الاختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف .

(٧) معاوية بن أبى سفيان، كما رواه عنه ابن جرير، وابن إسحاق. وهو صحابى ابن صحابى.

(٨) الحسن البصرى .

(٩) له قولان : أشهرهما أنه كان يقظة . وحديث الإسراء فى الطبقات الكبرى: ١-١٤٢ كما تقدم .

(١٠) سورة الإسراء ، آية ٦٠

وما حَكَوْا[1] عن عائشة رضى الله عنها : ما فقدْتُ[1] جسدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله : بينا أنا نائم .

وقول أنس : وهو نائم فى المسجد الحرام ... وذكر القصّة، ثم قال فى آخرها[2] : فاستيقظْتُ وأنا بالمسجد الحرام .

وذهب مُعْظَمُ السّلَف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفى اليقظة ، وهذا هو الحقُّ ، وهو قولُ ابنِ عباس ، وجابر ، وأنس ، وحُذَيفة ، وعُمر ، وأبى هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبى حَبَّة البَدْرى ، وابن مسعود، والضحاك ، وسعيد بن جُبير، وقَتَادة ، وابن المسيب ، وابن شهاب ، وابن زَيْد ، والحسن، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعِكْرمة ، وابن جُرَيج ، وهو دليلُ قول عائشة[3] ، وهو قولُ الطبرى ، وابن حنبل ، وجماعةٍ عظيمة من المسلمين . وقولُ[4] أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدِّثين والمتكلمين والمفسرين .

---

(١) وما حكوا : أى ومما احتجوا به أنها رؤيا منام . وستأتى الإشارة إلى هذا بعد . قال فى نسيم الرياض (٢ — ٢٨٨) : وفى نسخة : مافقد — بالبناء للمفعول . وفى رواية : لم يفقد — مجهول أيضا . قال التلمسانى : وهى الأشبه بالصواب ؛ فهو إخبار منها عن غيرها ، لأنها لم تكن حينئذ زوجته ؛ بل لم توجد .

(٢) فى حديث الإسراء الذى رواه البخارى : ٤ — ١٣٣ ، وهو يدل على أنه كان مناما.

(٣) قال فى نسيم الرياض (٢ — ٢٨٩) : قيل : كيف يكون الإسراء يقظة دليل قول عائشة : ما فقدت جسده الشريف الدال على أنه كان مناما لا يقظة ؟ فهذا سهو منه بلا ريبة .

وقد يقال : إنه سقط منه شىء ؟ وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة ، لأنه لم يثبت نقله عنها .

وقد يقال : مراده أنه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه أكثر الصحابة ، وأنها قائلة بأنه يقظة كالجمهور ، كما سيأتى ؛ فالمراد إبطال ما نقلوه عنها .

وهذا الرد الأخير أسهل من تغليط المصنف ؛ وهو الأنسب بقوله بعد : وهو قول الطبرى.

(٤) فى ا : وهذا .

وقالت طائفة (١) : كان الإسراء بالجسد يَقَظةً إلى بيت (٢) المقدس ، وإلى السماء بالرُّوح ، واحتجُّوا بقوله تعالى (٣) : ﴿ سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المسجدِ الحرام إلى المسجد الأقْصَى ﴾ ، فجعل « إلى المسجد الأقصى » غايةَ (٤) الإسراء الذى وقع التعجُّبُ فيه بعظيم القُدْرة ، والتمدُّح بتشريف النبى محمد صلى الله عليه وسلم به (٥) ، وإظهار الكرامةِ له بالإسراء إليه .

قال هؤلاء (٦) : ولو كان الإسراء بجسده إلى زائدٍ على المسجد الأقصى لذكره ؛ فيكون أبلغَ فى المدح .

ثم اختلفت هذه الفرقتان (٧) : هل صلَّى ببيت المقدس أم لا ؟

ففى حديث أنس وغيره ماتقدم مِنْ صلاته فيه . وأنكر ذلك حذيفةُ بن اليمان ، وقال : واللهِ ما زالا (٨) عن ظَهْرِ البُرَاقِ حتى رجعا .

---

(١) هذا هو القول الثالث . (٢) فى ب : إلى المسجد الأقصى . وعليها علامة الصحة.

(٣) سورة الإسراء ، آية ١

(٤) أى إنه لما جعل المسجد الأقصى غاية اقتضى أنه لم يجاوزه إلى السماء ببدنه الشريف . قال فى نسيم الرياض (٢ — ٢٩٠) : ولا حجة فيه ، لأن كونه غاية مسيره فى الأرض لاينافى صعوده لما يحاذيه فى جهة العلو .

وقيل : إن الحكمة فى تخصيص المسجد الأقصى أن تسأل قريش على سبيل الامتحان — عن الأعلام التى عرفوها ، والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس ؛ وقد علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر إليها قط ، فيجيبهم بما عاين ، ويوافق مايعلمون ؛ فتقوم الحجة عليهم؛ وكذلك وقع . ولذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى فى السماء ؛ إذ لاعلم لهم بذلك .

(٥) به : بالإسراء .

(٦) قال هؤلاء : أى قال هؤلاء الذاهبون إلى أن الإسراء بجسده إلى المسجد الأقصى ، وهم أصحاب المذهب الثالث .

(٧) الفرقتان الثانية والثالثة . وفى هامش ب أمام هذه : خ : هاتان .

(٨) ما زالا : لم ينفصلا وينزلا . والضمير لجبريل وللنبى .

قال القاضى [١] : والحقُّ من هذا والصحيح إنْ شاء الله — أنه إسراء بالجسد والرُّوح فى القصة كلِّها ، وعليه تدلُّ الآيةُ ، وصحيح الأخبار ، والاعتبار [٢] ، ولا يُعْدَلُ عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وليس فى الإسراء بجسده وحالِ يقظته استحالة ؛ إذ لو كان مَناما لقال [٣] : بِرُوحِ عَبْدِه ، ولم يَقُلْ : « بِعَبْدِه » . وقوله تعالى [٤] : ﴿ما زاغَ البَصَرُ وما طَغَى﴾ ، ولو كان مناما لما كانت فيه آيةٌ ولا معجزةٌ ، ولما استبعده الكُفَّار ، ولا كذَّبوه فيه ، ولا ارتدَّ به ضُعفاء مَنْ أسلم ، وافْتَتَنُوا به [٥] ؛ إذ مثْلُ هذا من المنامات لا يُنْكَر ؛ بل لم يكن منهم [٦] ذلك [٦٢] إلا وقد علموا أنَّ خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته ، إلى ما ذُكِر فى الحديث من ذِكْرِ صلاته بالأنبياء ببيت المقدس فى روايةِ أنس — أو فى السماء على ما رَوَى غَيْرُه ، وذِكْرِ مجئ جبريل له بالبُرَاق ، وخَبَرِ المعراج ، واستفتاح [٧] السماء ؛ فيقال : مَنْ معك ؟ فيقول : محمد ، ولقائه الأنبياء فيها [٨] ، وخَبَرِهم معه ، وتَرْحيبهم به ، وشأنه فى فَرْضِ الصلاة ومراجعته مع موسى فى ذلك .

---

(١) هو المؤلف .

(٢) والاعتبار : المراد به التتبع لأقوال السلف أو دقيق الفكر والتأمل فى الأحاديث المروية والقصة . يعنى أنه يدل على ذلك العقل والنقل . وفسر القارى الاعتبار بالمقايسة ، وقال (١ — ٤٠٥) : يعنى إذا ثبت إسراؤه من الحرم إلى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز إسراؤه إلى السماء بالمقايسة المقرونة بالأحاديث الثابتة ؛ إذ لا فرق .

(٣) أى فى قوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده — سورة الإسراء ، آية ١

(٤) سورة النجم ، آية ١٧ ؛ إذ ليس للروح بصر . ومعنى الآية : ما مال بصره يمينا ولا شمالا فى مقام أدبه مع ربه ، وما جاوز ما أمره . (القارى : ١ — ٤٠٦) .

(٥) افتتنوا به : وقعوا فى فتنة وبلية عظيمة توقعهم فى العذاب ، لردتهم ، وتكذيبهم له ، وإنكارهم لما أخبر به النبى بما هو خارق للعادة ؛ وهو قد أخبر به لأنه معجزة تحداهم بها .

(٦) فى ا : ذلك منهم .

(٧) واستفتاح السماء : أى طلب فتحها له .

(٨) فيها : أى فى السماء .

وفى بعض هذه الأخبار[1] : فأخذ – يعنى جبريل – بيدى فعَرَج بى إلى السماء ... إلى قوله : ثم عَرَج بى حتى ظهرتُ[2] بمُسْتوًى أسمعُ فيه صَرِيفَ الأقلام ، وأنه وصل إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ، وأنه دخل الجنةَ ، ورأى فيها ما ذَكره .

قال ابن عباس : هى رُؤيا عَيْنٍ رآها النبىُّ صلى الله عليه وسلم لا رُؤيا مَنام .

وعن الحسن[3] فيه : بينا أنا نائم فى الحِجْر[4] جاءنى جبريل فهمزنى بعَقِبه[5] ، فقمتُ فجلستُ فلم أرَ شيئا ، فعُدْت لمَضْجَعى[6] – ذكر ذلك[7] ثلاثا ، فقال فى الثالثة : فأخذ بعَضُدِى[8] فجرّنى إلى بابِ المسجد فإذا بدَابّة ... وذكر خبر البُرَاق[9] .

وعن أمِّ هانئ : ما أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو فى بيتى ، تلكَ الليلة صلى العِشاَء الآخِرة[10] ، ونام بيننا ، فلما كان قُبَيل الفَجْرِ أهبَّنا[11] رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فلما صلّى الصبح وصلَّينا قال : ياأُمَّ هانئ ، لقد صليتُ معكم

(١) فى الحديث الذى رواه الشيخان عن أنس ، وقد تقدم .

(٢) ظهرت : علوت وصعدت .

(٣) رواه ابن إسحاق وابن جرير مرسلا عن الحسن البصرى .

(٤) الحجر : بجنب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير . وفى ب : جالس ، وفى هامشه : نائم . والعكس فى ا .

(٥) همزنى : مسنى بشدة لينبهنى . والعقب : مؤخر الرجل .

(٦) لمضجعى : أى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم .

(٧) فى ب : فذكر ، والمثبت فى ا .   (٨) العضد : ما فوق المرفق .

(٩) وهذا رواه ابن إسحاق ، وابن جرير ، والطبرانى . وعلق القارى (١ – ٤٠٧) على هذا بقوله : قال الدلجى : الله أعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن أن يفعل ذلك .

(١٠) العشاء الأولى : المغرب .   (١١) أهبنا : أيقظنا (هامش ب) .

العِشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادى[1]، ثم جئتُ بيْتَ المقدس فصلَّيتُ فيه، ثم صليتُ الغَدَاةَ معكم الآن كما تَرَوْن .

وهذا بَيِّنٌ فى أنه بجسمه .

وعن أبى بكر من رواية شدّاد بن أَوْس عنه ـ أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلةَ أُسرى به : طلبتكُ يا رسولَ الله البارحةَ فى مكانك فلم أجِدْك[2] . فأجابه : إن جبريلَ عليه السلام حملنى[3] إلى المسجد الأقصى .

وعن عُمر رضى الله عنه[4] ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صلّيتُ

---

(١) بهذا الوادى : بمكة ، وهى واد لإحاطة الجبال بها وانخفاضها .

قال فى نسيم الرياض (٢ ـ ٢٩٥) : قالوا : وهذا مشكل من وجوه ؛ لأنها إنما أسلمت عام الفتح، فكيف تكون قد صلت معه العشاء . وأيضا إن الصلاة إنما فرضت فى الإسراء ؛ ولهذا أشار المصنف لتضعيف هذا فى الفصل الذى يليه. وأيضا المغرب لا تسمى عشاء لغة وشرعا. ثم قال : أقول الذى يظهر لى فى التوفيق بين الآراء والجواب عما ذكر ـ أن النبى صلى الله وسلم كان ببيت أم هانىء ، ثم خرج إلى الحرم للصلاة ، فغشيه نوم ، ثم استيقظ وعرج به .

وأما قول أم هانىء : «وصلينا» فيدفع إشكاله المذكور أنها بنت أبى طالب ، وأبو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله عليه وسلم معتقدين صدقه ولم يظهروا ذلك ؛ ولذا أسلم على فى صباه ، فلما خرج النبى من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلا شك أنه كان يصلى قبل الإسراء بالغداة والعشى صلاة غير الخمس المفروضة ؛ فقولها : « صلينا » كقولهم : بنو فلان قتلوا قتيلا ، والقاتل واحد منهم ؛ لأن الفعل المرضى لجماعة إذا وقع من أحدهم ينسب للجميع ؛ أى صلى معه بعض آلنا ، وهو على .

أو يقال : إنها كانت مسلمة سرا ، كما نقل عن العباس .

فاندفاع الإيراد الذى ظنوه غير مندفع ظاهر .

(٢) البارحة : الليلة الماضية قبل ليلتك . ومعنى طلبتك : إنى تفقدت جسدك فى مضجعك .

(٣) فى ا : حمله . (٤) كما رواه ابن مردويه من طرق .

ليلةَ أُسرى بى فى مقدَّمِ المسجد (١) ، ثم دخلتُ الصخرة(٢) فإذا بِمَلَكٍ(٣) قائم معه آنيةٌ ثلاث(٤) ... وذكر الحديث .

وهذه التصريحاتُ ظاهرةٌ(٥) غيرُ مستحيلة ، فتُحْمَلُ على ظاهرها(٦) .

وعن أبى ذَرّ(٧) ، عنه صلى اللهُ عليه وسلم : فُرِجَ سقفُ بيتى وأنا بمكةَ ، فنزل جبريلُ ، فشرح صَدْرِى ، ثم غسله بمــاء زَمْزم . . . إلى آخر القصة (٨) ، ثم أخذ بيدى ، فعرَجَ بى .

وعن أنس : أُتيتُ فانْطُلِق (٩) بى إلى زمزم ، فشُرِح عن صدرى .

وعن أبى هُريرة رضى اللهُ عنــه : لقد رأيتُنى فى الحِجْرِ ، وقريشٌ تسألنى عن مَسْرَاىَ(١٠) ، فسألتنى عن أشياء لم أُثْبِتْها ، فــكُرِبْتُ كَرْباً ما كُرِبْتُ مثله قطُّ(١١) ، فرفعه اللهُ لى أنظرُ إليه .

ونحوه عن جابر .

---

(١) المسجد : المسجد الأقصى .

(٢) ثم دخلت الصخرة : أى دخلت المسجد الذى تحت الصخرة .

(٣) فى ا : فإذا ملك .

(٤) يعنى إناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من ماء ، وأنه خير فيه فاختار اللبن ، وقيل له : اخترت الفطرة ، ولو اخترت الخمر غوت أمتك — وقد تقدم .

(٥) ظاهرة : فى أنه كان يقظة .

(٦) أى ولا يعدل إلى التأويل مع عدم الحاجة إليه .

(٧) يؤيد ظهور الرأى بأن الإسراء كان يقظة .

(٨) فرج : كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ، ولم يبق حائل بينه وبين السماء . وقد تقدمت .

(٩) فى ا : أتانى آت فانطلقوا بى .

(١٠) عن مسراى : أى يسأله كفار قريش عن علاماته بعد ما كذبوه .

(١١) الكرب : الغم والحزن الشديد ، مع القلق والاضطراب .

وقد رَوَى عُمر بن الخطاب رضيَ اللهُ عنه فى حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثم رجعتُ إلى خديجة وما تحوَّلتْ عن جانبها [١] .

فصـــل

فى إبطال حُجَج من قال إنها نوم

احتجُّوا بقوله تعالى[٢] : ﴿ وما جَعَلْنَا الرُّؤيَا التى أَرَيْنَاكَ إلّا فِتْنَةً للناس ﴾ ، فسمَّاها رؤيا ؟

قلنا : قولُه سبحانه وتعالى[٣] : ﴿ الذى أَسْرَى بعَبْدِه ﴾ – يردُّه ؛ لأنه لا يُقَال فى النوم : أَسْرَى[٤] .

وقوله : ﴿ فِتْنَةً للناسِ ﴾ . يؤيِّدُ أنها رُؤيا عَيْن ، وإسراء بشَخْص[٥] ؛ إذ ليس فى الحِلْمِ فِتْنةٌ . ولا يكذِّبُ به أحد ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يرى مثْلَ ذلك فى منامه من الكَوْنِ فى ساعةٍ واحدة فى أقطار متباينة [٦٣] .

على أنَّ المفسِّرين قـــد اختلفوا فى هذه الآية : فذهب بعضُهم إلى أنها نزلت فى قَضِيَّةِ الحُدَيْبِيَة ، وما وقع فى نفوسِ الناسِ من ذلك[٦] . وقيل غَيْرُ هذا .

---

(١) وما تحولت عن جانبها : الذى كانت عليه حين فارقها النبى . وهذا يقتضى أنه كان فى بيت خديجة . وقد تقدم أنه كان فى بيت أم هانىء . وفى رواية إنه كان فى الحجر ، وفى أخرى : فى الحطيم .

قال القارى (١ – ٤٠٩) : وفيه إشعار بتقليل زمن الإسراء . ثم قال : ولعله أول ما رجع دخل على خديجة ، ثم ذهب إلى أم هانىء فى بيتها .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٦٠ (٣) سورة الإسراء ، آية ١

(٤) إذ الإسراء هو السير ليلا ، وهذا إنما يكون يقظة . (٥) فى ا : وإسراء شخص .

(٦) من ذلك : من صلح الحديبية حتى راجعه فى ذلك عمر مرارا . وقضية الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أنه دخل المسجد الحرام ؛ فصده المشركون فى ذلك . ولكن النبى لم يقل : فى هذا العام ، ودخل من قابل المسجد الحرام .

وأما قولُهم : إنه قد سمّاها فى الحديث مَناما .

وقولُه فى حديث آخر : بين النائم واليَقْظان .

وقوله أيضا : وهو نائم . وقوله : ثم استيقظْتُ ـ فلا حجّةَ فيه[1] ؛ إذ قد يحتملُ أنَّ أول وصولِ الملَك إليه كان وهو نائم[2] ، أو أوّل حَمْله والإسراء به وهو نائم ، وليس فى الحديث أنه كان نائما فى القصة كلِّها إلا ما يدلُّ عليه : ثم استيقظْتُ وأنا فى المسجد الحرام ؛ فلعل قوله : استيقظْتُ بمعنى أَصبحتُ[3] ، أو استيقظ من نَوْمٍ آخر بعد وصوله بيتَه .

ويدل عليه أن مَسْرَاهُ لم يكن طولَ ليله ، وإنما كان فى بعضه .

وقد يكون قوله : استيقظتُ وأنا فى المسجد الحرام لِما كان غَمَرَه[4] من عجائب ما طالَعَ[5] مِنْ ملكوتِ السموات والأرض ، وخامَرَ باطِنَه[6] من مُشاهدةِ الملأ الأَعْلى ، وما رأى من آيات رَبِّه الكبرى ، فلم يستَفِقْ[7] ويرجع إلى حالِ البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام .

ووَجْهٌ ثالث أنْ يكونَ نومُه واستيقاظُه حقيقةً على مقتضى لَفْظِه، ولكنه أسرى بجسده وقلبُه حاضر ، ورُؤيا الأنبياء حقٌّ ، تنام أَعْيُنُهم ولا تنام قلوبُهم .

---

(١) فلا حجة فيه بأنها رؤيا منام . (٢) بدليل قوله فى الحديث : فهمزنى بعقبه . . .
(٣) أصبحت : دخلتَ فى وقت الصباح .
(٤) كان غمره : أى لأجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره .
(٥) ما طالع : ما شاهد .
(٦) خامر باطنه : مازجه وخالطه ، والمراد بباطنه : قلبه وحواسه الباطنة .
(٧) فلم يستفق : لم يتنبه ويستيقظ من نومه .

وقد مالَ بعضُ أصحابِ الإشارات[١] إلى نحوٍ من هذا . قال : تغميضُ عينيه لئلا يَشْغَلَه شيءٌ من المحسوسات عن الله تعالى .

ولا يصحُّ هذا أنْ يكون[٢] في وقت صلاته بالأنبياء[٣] ، ولعله كانت له في هذا الإسراء حالاتٌ[٤] .

ووَجْهٌ رابع ؛ وهو أنْ يعبِّرَ بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ؛ ويُقوِّيه قوله في روايةِ عَبْد بن حُميد ، عن همـام : بينا أنا نائم ـ وربَّما قال : مُضْطَجِـع .

وفي رواية هُدْبة ، عنه : بينا أنا نائم في الحَطِيم[٥] ـ وربما قال : في الحِجْر ـ مُضْطَجِـع . وقوله في الرواية الأخرى : بَيْنَ النائم واليَقْظَان .

فيكون سمَّى هيئتَه بالنوم لمَّا كانت هيئةَ النائم غالبا .

وذهب بعضُهم إلى أنَّ هذه الزيادات : من النوم ، وذِكْرِ شَقِّ البطن ، ودنُوِّ الرب عزّ وجل الواقعة في هذا الحديث[٦] إنما هي من رواية شَرِيك عن أنس ، فهي مُنْكَرة[٧] من روايته ؛ إذ شَقُّ البَطْنِ في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صِغَرِه صلى اللهُ عليه وسلم وقبل النبوّة؛ ولأنه قال في الحديث: «قبل أنْ يُبْعث» ، والإسراء

(١) أصحاب الإشارات : يعني بهم مشايخ الصوفية ؛ والمراد بالإشارة ما يأخذونه من الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها ، وهم لا يقصدون بتفسيرهم أنه صريح النص .

(٢) من أن الإسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، ليوفق بين الروايتين . وقال القاري (١ ـ ٤١٢) : هذا ؛ أي تغميض العين . (٣) لأن النائم لا يصلي، ولا تصح صلاته .

(٤) فكان في بعضها نائما غاضا لبصره تأدبا ، أو لئلا يرى سوى ربه ، وفي بعضها : مستيقظا ، ووقت صلاته بهم قائما، وفي بعضها بين النائم واليقظان، وبهذا يجمع بين الراويات.

(٥) الحطيم : بين الركن والباب . (٦) في هذا الحديث : أي حديث الإسراء .

(٧) قال في نسيم الرياض (٢ ـ ٣٠٣) : وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره ، وقالوا: ليس بثبت .

بإجماع[1] كان بعد المَبْعث ؛ فهذا كلُّه يُوَهِّن[2] ما وقع فى رواية أنس[3] ، مع أن أنساً قد بيَّن من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره ، وأنه لم يسمَعْه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال — مرّةً : عن مالك بن صَعْصَعة ، وفى كتاب مسلم[4] : لعله عن مالك ابن صَعْصَعة — على الشكّ . وقال مرةً[5] : كان أبو ذَرٍّ يحدِّث .

وأما قولُ عائشة : مافقِدَ جسَدُه ؛ فعائشةُ لم تحدِّثْ به عن مشاهدةٍ ؛ لأنها لم تـكن حينئذ زَوْجَه[6] ، ولا فى سِنٍّ من يَضْبِط[7] ، ولعلها لم تـكن وُلِدت بعدُ ، على الخلاف فى الإسراء متى كان ؛ فإنّ الإسراء كان فى أول الإسلام على قول الزُّهْرى ومَنْ وافقه بعد المبعث بعام ونصف[8] ، وكانت عائشةُ فى الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام[9] .

وقد قيل : كان الإسراء لخمْسٍ قبل الهجرة . وقيل : قبـــل الهجرة بعام . والأشْبَهُ[10] أنه لخمْسٍ .

والحجةُ لذلك تَطُول ، [٦٤] وليست مِنْ غَرضِنا ؛ فإذا لم تشاهدْ ذلك عائشةُ دَلَّ على أنها حدَّثَتْ بذلك عن غيرها ، فلم يُرَجَّحْ خَبَرُها على خبر غيرها ؛ وغَيْرُها يقول خلافَه مما وقع نصًّا فى حديث أم هانئ وغيره .

(١) فى ا : كان بإجماع . (٢) يوهن : يضعف . (٣) وهى التى رواها شريك .
(٤) صحيح مسلم : ١٥٠ (٥) صحيح مسلم : ١٤٨ (٦) فى ا : زوجة .
(٧) أى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط وإتقان لعدم تمييزها لصغرها ؛ فالرواية عنها ليست مسلمة ؛ أو هى حدثت به عن غيرها .
(٨) قال القارى (١ — ٤١٤) : وهذا مخالف لما نقله النووى من أنه بعد المبعث بخمسة أعوام ، وسيأتى .
(٩) فعلى هذا لم تـكن ولدت فى زمن الإسراء .
(١٠) الأشبه : أى القول الأصح الأولى والأحسن .

وأيضا فليس حديثُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها بالثابت، والأحاديثُ الأُخَرُ أثبتَ، ولَسْنَا[1] نَعْنِي حديثَ أم هانئ، وما ذُكِرَتْ[2] فيه خديجة.

وأيضا فقد رُوِي في حديثِ عائشة[3]: «ما فَقَدْتُ»، ولم يدخُلْ بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلّا بالمدينة.

وكُلُّ هذا يوهِّنُه[4]؛ بل الذي يدلُّ عليه صحيحُ قولِها: إنه[5] بجسده، لإنكارها أنْ تكون رؤياه لربّه رُؤيا عَيْنٍ، ولو كانت عندها مَنَاماً لم تُنْكِرْه.

فإن قيل: فقد قال تعالى[6]: ﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى﴾ — فقد جعل ما رآه للقَلْبِ، وهنا يدلُّ على أنه رُؤيا نَوْمٍ ووَحْيٍ، لا مشاهدة عَيْنٍ وحِسٍّ.

قلنا: يقابلُه قولُه تعالى[7]: ﴿ما زَاغَ البَصَرُ وما طغَى﴾ — فقد أضاف الأمرَ للبَصَرِ.

وقد قال أهلُ التفسير في قوله تعالى[6]: ﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى﴾؛ أي لم يُوهِمِ القلبُ العَيْنَ غير الحقيقة؛ بل صدق رؤيتها.

وقيل: ما أنكر قلبُه ما رأته عينُه.

(١) ضبطت هذه الكلمة في ا: بفتح اللام وسكون السين، وفي ب بفتح اللام وضم السين. وفي القاموس: اللسن — بكسر اللام وسكون السين: اللغة والكلام.

(٢) أي ولا نعني حديث عمر الذي ذكرت فيه خديجة لعدم ورودهما في الصحيح.

(٣) كما روى: مافقد — بالبناء للمجهول.

وقد تقدمت هذه الرواية صفحة ...

(٤) يوهنه: يضعفه: أي يضعف حديث: ما فقدت.

(٥) إنه: أي الإسراء.

(٦) سورة النجم، آية ١١

(٧) سورة النجم، آية ١٧

فصـــــل

وأما رُؤيته [١] ـ صلى اللهُ عليه وسلم لربّه جلّ وعزّ ـ فاختلاف السلفُ فيها ؛ فأنكرته عائشة .

حدثنا أبو الحُسين سِرَاج بن عبد الملك الحافظُ بقراءتى عليه ؛ قال : حدثنى أبى وأبو عبد الله بن عتّاب الفقيه ؛ قالا : حدثنا القاضى يونس بن مُغِيث ، حدثنا أبو الفضل الصقلّى ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ، عن أبيه وجدّه ؛ قالا : حدثنا عَبْدُ الله بن على ، قال : حدثنا محمود بن آدم ، حدثنا وَكيع ، عن ابن أبى خالد ، عن عامر ، عن مسروق [٢] ـ أنه قال لعائشة رضِىَ الله عنها ـ يا أمَّ المؤمنين ؛ هل رأى محمدٌ ربّه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شَعْرِى [٣] مما قُلْتَ . ثلاثٌ مَنْ حدَّثك بهنّ فقد كذب : من حدثك أنَّ محمدا رأى ربّه فقد كذب ، ثم قرأت [٤] : ﴿ لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير ﴾ [٥] ؛ وذكر الحديث .

وقال جماعة بقول عائشة رضى الله عنها ، وهو المشهور عن ابن مسعود .

ومثلُه عن أبى هريرة أنه [قال] [٦] : إنما رأى جبريلَ . واختُلف عنه [٧] .

---

(١) رؤيته بعينه يقظة فى إسرائه بجسده . (٢) صحيح مسلم : ١٦٠

(٣) قف شعرى : قام وانتصب ؛ واقشعر ، وإنما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى . والمراد إنكار ما قاله واستفظاعه . مما قلت : أى خفت من كلامه أن يهلك الله من قاله واستمعه ؛ لأنه أمر منكر لا يرضاه الله ، ولم يثبت عندها . (٤) ثم قرأت : أى مستدلة لما قالته .

(٥) سورة الأنعام ، آية ١٠٣ (٦) ليس فى ب . وهذه الرواية فى صحيح مسلم : ١٥٨

(٧) قال مسروق : وكنت متكئا فجلست وقلت : يأم المؤمنين ، أنظرينى ولا تعجلى ، ألم يقل الله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين . ولقد رآه نزلة أخرى . فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام . فقال : إنما هو جبريل ؛ لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ـ كما رواه مسلم : ١٥٩

وقال بإنكار هذا وامتناع رُؤيته في الدنيا جماعةٌ من المحدِّثين ، والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضِيَ الله عنهما أنه رآه بِعَيْنِه[1] .

وروى عطاء عنه ـ أنه رآه بقَلْبِه .

وعن أبى العالية ، عنه[2] : رآه بِفُؤادِه مرتين .

وذكر ابنُ إسحاق أنَّ ابنَ عمر أرسل إلى ابن عباس رضِيَ الله عنهما يسأله : هل رأى محمدٌ ربَّهُ ؟ فقال : نعم .

والأشهَرُ عنه أنه رأى ربَّه بعينه ، رُوِي ذلك عنه[3] من طُرُقٍ ، وقال : إنَّ اللهَ تعالى اختصَّ موسى بالكلام[4] ، وإبراهيم بالْخُلَّةِ[5] ، ومحمدا بالرؤية .

وحجَّتُه[6] قولُه تعالى[7] : ﴿ ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى . أفتُمارُونَه[8] على ما يَرَى . ولقد رآه نَزْلَةً أُخرَى ﴾[9] .

قال الماوردى : قيل : إنَّ اللهَ تعالى قسم كلامَه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فرآه محمدٌ مرَّتَيْنِ ، وكلَّمه موسى مرَّتَيْن .

وحكى أبو الفتح الرازى ، وأبو الليث السمرقندى الحكايةَ[10] عن كعب .

---

(١) فى صحيح مسلم (١٥٨) : عن ابن عباس ، قال : رآه بقلبه .

(٢) عنه : عن أبى هريرة ، والذى فى صحيح مسلم (١٥٨) : أن هذا عن ابن عباس : قال : ما كذب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى ؛ قال : رآه بفؤاده مرتين .

(٣) عنه : عن ابن عباس .

(٤) لقوله تعالى : وكلم الله موسى تكليما .

(٥) لقوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلا .

(٦) وحجته : أى دليله على الرؤية .

(٧) سورة النجم ، آية ١١ ، ١٢ ، ١٣

(٨) أفتمارونه : أتجادلون فى رؤيته لما رآه .

(٩) نزلة أخرى : مرة أخرى .

(١٠) الحكاية : أى التى ذكرها الماوردى .

ورَوى عَبْدُ الله بن الحارث ، قال : اجتمع ابْنُ عبـــاس وكَعْب ؛ فقال ابنُ عباس : أمّا نحن بنو هاشم فنقول: إنّ محمدا قد رأى ربَّه مرّتين؛ فكبّر كَعْب[١] حتى جاوبَتْهُ الجبَال[٢]، وقال : إنّ اللهَ قسمَ رُؤيته وكلامه بين محمد وموسى؛ فكلّمه موسى ، ورآه محمد بقلبه .

وروى شَريك [٦٥] عن أبي ذَرّ رضى الله عنه في تفسير الآية[٣]؛ قال : رأى النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم رَبَّه .

وحكى السَّمَرْقَنْدِي ، عن محمد بن كَعْب القُرَظي ، ورَبيع بن أنَس — أنّ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم سئل : هل رأيْتَ ربَّك ؟ قال : رأيته بفُؤَادِي ، ولم أرَه بعيني .

وروى مالك بن يُخَامِر ، عن مُعاذ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال[٤] : رأيتُ رَبِّي . . . وذكر كَلِمةً ، فقال : يا محمد ؛ فيم[٥] يَخْتَصِم المَلَأُ الأعْلَى . . . الحديث .

وحكى عبد الرزاق أنّ الحسن[٦] كان يحلِفُ بالله لقد رأى محمدٌ رَبَّه .

---

(١) فكبر كعب : لسروره بمقالته الموافقة لما عنده .

(٢) حتى جاوبته الجبال : أى رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال .

(٣) الآية : ما كذب الفؤاد ما رأى . . .

(٤) فى حديث رواه أحمد بن حنبل وغيره ، وهو حديث صحيح أوله : قال معاذ رضى الله عنه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغداة ثم أقبل علينا فقال : إنى سأحدثكم أنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ونعست . . .
الحديث بتمامه فى المسند: ٥—٢٤٣ ، ونسيم الرياض: ٢—٣١٢، وشرح القارى : ١—٤٢١

(٥) أى فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة إلى الله ، المكفرة للخطايا .

(٦) هو الحسن البصرى .

وحكاه أبو عُمر الطَّلَمَنْكِي[١] عن عِكْرمة .

وحكى بعضُ المتكلمين هذا المذهبَ [٢] عن ابن مسعود .

وحكى ابنُ إسحاق أنَّ مروان سأل أبا هُريرة . هل رأى محمد ربَّه ؟ فقال: نعم .

وحكى النقّاش ، عن أحمد بن حنبل — أنه قال : أنا أقولُ بحديث ابن عباس بعينه رَآه — حتى انقطع نَفَسه — يعني نَفَس أحمد .

وقال أبو عُمَر : قال أحمد بن حنبل : رآه بقلبه ، وجَبُنَ عن القول برؤيته في الدنيا[٣] بالإبصار .

وقال سَعِيد بن جُبَيْر : لا أقول رآه ، ولا لم يَرَهُ [٤] .

وقد اختلف في تأويل الآية [٥] عن ابن عباس ، وعِكْرِمة ، والحسن ، وابن مسعود ؛ فحكي عن ابن عباس وعِكْرِمة : رآه بقلبه [٦] . وعن الحسن وابن مسعود : رأى جبريل .

وحَكَى عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، أنه قال : رآه[٧] .

وعن ابن عَطَاء في قوله تعالى [٨] : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ — قال : شرح صَدْرَه للرؤية ، وشرح صَدْرَ موسى للكلام .

---

(١) في هامش ب : قوله : الطلمنكي — بفتح الطاء المهملة ، واللام والميم ، وسكون النون وكسر الكاف : الحافظ المقرئ أبو عمر .

روى عنه ابن عبد البر ، وابن حزم ، وغيرهما . وكان رأسا في علم القراءات ذا عناية تامة بالحديث ، إماما في السنة ، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة (شرح القارى : ١ — ٤٢٢) .

(٢) وهو رؤية الله بعينه . (٣) أي لم يجترئ تأدبا .

(٤) أي توقف في ذلك ، ولم يمل لأحد القولين .

(٥) يعني قوله تعالى: ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . (٦) صحيح مسلم: ١٥٨

(٧) أي بعينه ؛ لأنه المتبادر . وقد روى عنه التصريح به ، ولا ينافي ذلك ما مر من أنه جبن عن القول بذلك ؛ لأنه قد يخفيه في بعض المجالس . (٨) سورة الشرح ، آية ١

وقال أبو الحسَن على بن إسماعيل الأشْعَرى رضِىَ الله عنه وجماعةٌ من أصحابه أنه رأى اللهَ تعـالى ببصره وعينى رَأْسِه ، وقال : كلُّ آيةٍ أوتيها نبيٌّ من الأنبياء عليهم السلام فقد أُوتِى مِثْلَها نبيُّنا ، وخُصَّ من بينهم بتفضيل الرُّؤْيَة (١) .

ووقف (٢) بعضُ مشايخنا فى هذا ، وقال : ليس عليه دليلٌ واضح ؛ ولـكنه جائز أن يكون .

قال القاضى أبو الفَضْل (٣) : والحقُّ الذى لا امْتِرَاء (٤) فيه ـ أنَّ رؤيته تعالى فى الدنيا جائزةٌ عقلا ، وليس فى العقل ما يُحيلها (٥) .

والدليلُ على جَوَازها فى الدنيا سؤالُ موسى عليه السلام لهـا (٦) . ومحالٌ أَنْ يجهلَ نبيٌّ مايجوز على الله وما لايجوز عليه؛ بل لم يسأل إلا جائزا غَيْرَ مستحيل، ولـكن وقوعَه ومشاهدتَه من الغَيْبِ الذى لا يَعْلَمُه إلا مَنْ علَّمه الله ، فقال له اللهُ تعالى (٧) : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ؛ أى لن تُطِيقَ ، ولا تحتملُ رُؤْيَتِى (٨) ؛ ثم ضرب له مثلا مِمَّا هو أقوى مِنْ بِنْيَةِ مُوسى وأثبت ، وهو الجبل (٩) .

---

(١) بتفضيل الرؤية : أى بتفضيله برؤية ربه عيانا فى الدنيا ، فلم يره غيره فيها .

(٢) ووقف بعض مشايخنا : أى توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه .

(٣) هو المؤلف . (٤) لا امتراء فيه : لاشك فيه ولا شبهة .

(٥) ما يحيلها : ما يقتضى أنها مستحيلة .

(٦) سؤال موسى : بقوله : رب أرنى أنظر إليك . وموسى من أولى العزم لايسأل من الله تعالى ما لا يجوز ، فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله ، وإلا كان جهلا منه بأحوال الربوبية ، وهو مبرأ منه . (٧) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٨) لن ترانى : أى الرؤيا جائزة ، ولـكنك لاتصل إليها فى الدنيا .

(٩) فى قوله تعالى : ولـكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ـ فلما لم يثبت الأقوى علم عدم ثباته بالطريق الأولى ؛ ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكنا أيضا ؛ فعلم منه جواز الرؤية .

وكلُّ هذا ليس فيه ما يُحيل [1] رؤيتَه في الدنيا ؛ بل فيه جَوازُها على الجملة ؛ وليس في الشرع دليلٌ قاطع على استحالتها ولا امتناعها ؛ إذْ كل موجود فرؤيتُه جائزةٌ غيرُ مستحيلة .

ولا حجةَ لمن استدلَّ على مَنْعِها بقوله تعالى[2] : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبصارُ ﴾ ؛ لاختلاف التأويلات في الآية ، وإذ ليس يقتضى قولُ مَنْ قال في الدنيا[3] الاستحالةَ .

وقد استدلَّ بعضُهم بهذه الآية[4] نفسِها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة .

وقد قيل : لا تدركُه أبصارُ الكفّار . وقيل : لاتدركُه الأبصارُ : لا تُحيط به ، وهو قولُ ابن عباس . وقد قيل : لا تدركُه الأبصار ، وإنما يدْرِكُه المُبْصِرون .

وكلُّ هذه التأويلات لاتقتضى مَنْعَ الرؤية ولا استحالتَها .

وكذلك لا حجّةَ لهم بقوله تعالى[5] : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾. وقوله[5] : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[6] ــ لِما قدمناه [٦٦] ؛ ولأنّها ليست على العموم[7] ؛ ولأنَّ من قال : معناها : لن تَرَانِي في الدنيا ــ إنما هو تأويل .

وأيضا فليس فيه نَصُّ الامتناعِ ؛ وإنما جاءت في حقّ موسى ؛ وحيث تتطرّقُ التأويلاتُ وتتسلَّط الاحتمالاتُ ، فليس للقَطْعِ إليه سبيل .

---

(١) ما يحيل رؤيته : أى يقتضى استحالته فيها .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٠٣

(٣) قول من قال فى الدنيا : أى قول من قال بمنعها فى الدنيا ، بل تخصيص الدنيا يقتضى وقوعه فى الآخرة ، فيدل على الجواز فى الدنيا .

(٤) آية : لاتدركه الأبصار ــ الأنعام ، آية ١٠٣

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٦) تبت إليك من سؤال الرؤية ، لأنه محال وطلب ما لا يليق ، فهو ذنب .

(٧) ليست على العموم : بل مخصوصة بموسى عليه السلام . والضمير للآية .

وقوله : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ ؛ أى مِنْ سُؤَالى ما لم تُقَدِّرْهُ لى [١] .

وقد قال أبو بكر الهُذَلى ـ فى قوله : ﴿ لَنْ تَرَانى ﴾ ؛ أى ليس لِبَشَرٍ أَنْ يُطِيقَ أن ينظرَ إلىَّ فى الدنيا ، وإنه مَنْ نظر إلىَّ مات .

وقد رأيتُ لبعض السلَف والمتأخرين ما معناه : إن رؤيتَه تعالى فى الدنيا مُمْتَنِعة، لضَعْفِ تركيب أهلِ الدنيا ، وقُواهم ، وكونِها [٢] متغيرة غَرَضاً [٣] للآفات والفَنَاء، فلم تكُنْ لهم قوةٌ على الرؤية ؛ فإذا كان فى الآخرة ورُكِّبُوا تركيبا آخر ، ورُزِقوا قُوًى ثابتةً [٤] باقيةً ، وأُتِمَّ أنوارُ أبصارهم [٥] وقلوبهم قَوُوا بها على الرؤية .

وقد رأيتُ نحوَ هذا لمالك بن أنس رحمه الله ؛ قال : لم يُرَ فى الدنيا ؛ لأنه باقٍ ، ولا يُرَى الباقى بالفانى؛ فإذا كان فى الآخرة ورُزِقوا أبصارا باقيةً رُئِى الباقى بالباقى .

وهذا كلامٌ حسنٌ مَلِيح ، وليس فيه دَليل على الاستحالة إلّا من حيثُ ضَعْفُ القدرة [٦] ؛ فإذا قوَّى اللهُ تعالى مَنْ شاء مِنْ عباده، وأقْدَرَه على حَمْلِ أعباء [٧] الرؤية لم تمتَنع فى حقّه .

وقد تقدَّم ما ذُكر فى قوة بصَرِ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ونفوذِ إدراكهما بقوةٍ إلهيّة مُنِحاها [٨] لإدراك ما أدْركاه ، ورُؤْيةِ ما رأياه . والله أعلم .

---

(١) مالم تقدره لى : فى الدنيا فى ذلك الوقت لحكمة خفية ، لما غشيه من أنوار عظمته حتى صعق .

(٢) وكونها متغيرة : ولكون التراكيب والقوى متغيرة بالازدياد والضعف .

(٣) غرضا : هدفا . وفى ا : عرضا ـ بالعين المهملة . وفى هامش ا : وكونها متعرضة . وعليها علامة الصحة .

(٤) فى ا : ثانية . وفى ب : ثانية ، وثابتة ، وعليها « معا » .

(٥) أى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدى .

(٦) ضعف القدرة : أى البشرية فى الدنيا .

(٧) الأعباء : جمع عبء ، وهو الحمل الثقيل .

(٨) منحاها : أعطياها .

وقد ذكر القاضى أبو بكر [١] ـ فى أثناء أجوبته عن الآيتين [٢] ـ ما معناه : إن موسى عليه السلام رأى اللهَ ؛ فلذلك خَرَّ صَعِقاً [٣]، وإن الجبلَ رأى ربَّه فصار [٤] دَكًّا بإدراكٍ خَلَقَهُ الله له . واستنبط [٥] ذلك ، واللهُ أعلم ، من قوله [٦] : ﴿ وَلَـٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى ﴾ .

ثم قال [٦] : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ .

وتَجَلِّيه للجبل هو ظهورُه له حتى رآه ـ على هذا القول [٧] .

وقال جعفر بن محمد : شغَلَه بالجَبَلِ حتى تجــلّى [٨] ، ولولا ذلك لمات صَعِقًا بلا إفَاقَة [٩] .

وقولُه هذا يدلُّ على أنَّ موسى رآه [١٠] .

وقد وقع لبعض المفسِّرين ـ فى الجَبَل ـ أنه رآه ، وبرؤية الجَبَلِ له [١١] استدلَّ مَنْ قال برؤية محمدٍ نبيِّنا له [١١] ؛ إذ جعله دليلا على الجَوَاز .

---

(١) يعنى الباقلانى ، لأن القاضى أبا بكر بن العربى معاصر للمصنف ؛ إذ مولده سنة ثمان وستين وأربعمائة . ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . ومولد المصنف سنة ست وسبعين وأربعمائة، ومماته سنة أربع وأربعين وخمسمائة (هامش ب ، وشرح القارى : ١ ـ ٤٢٧) .

(٢) الآيتان هما : « لاتدركه الأبصار » . و « لن ترانى » .

(٣) صعقا : مغشيا عليه .

(٤) فصار دكا : انهد حتى صار ترابا من هيبة الله .

(٥) واستنبط : استخرج .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٧) على هذا القول : أى قول أبى بكر الباقلانى السابق بأن موسى والجبل رأياه معا .

(٨) تجلى : ظهر ظهورا تاما لموسى عليه السلام .

(٩) بلا إفاقة : من صعقته وغشيه .

(١٠) رآه : كالجبل ، لأنه معنى التجلى ؛ لأنه لايقال تجلى له إلا إذا شاهده .

(١١) له : لله عز وجل . وإنما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الأنوار .

ولا مِرْيَةَ في الجواز[1] ؛ إذ ليس في الآيات نَصٌّ بالمَنْع .

وأما وجوبُه[2] لنبينا صلى اللهُ عليه وسلم ، والقولُ بأنه رآه بعينه — فليس فيه قاطع[3] أيضا ولا نَصٌّ ؛ إذ المُعَوَّلُ فيه على آيتي «النَّجْم»[4]، والتنازعُ فيهما مأثور[5]، والاحتمالُ لهما مُمْكن ، ولا أثَرَ قاطع مُتَوَاتر عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم بذلك .

وحديثُ ابن عباس[6] خَبَرٌ عن اعتقاده لم يُسْنِدْه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فيجبَ العملُ باعتقاد مُضَمَّنه[7] .

ومثله حديثُ أبي ذَرّ في تفسير الآية[8] .

وحديثُ معاذ[9] محتملٌ للتأويل ، وهو مضطرب الإسناد والمَتْن .

وحديثُ أبي ذَرّ الآخر مختلف محتَمِلٌ مُشْكِل . فرُوِى : نورٌ أنَّى[10] أراه .

---

(١) لامرية : لاشك . في الجواز : أي جواز الرؤية .

(٢) وأما وجوبه : أي وجوب وقوع رؤيته لربه في الإسراء بعين رأسه .

قال في نسيم الرياض (٢ — ٣٢٢) : الظاهر أن يقال: إن الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحي؛ لأنه لو ورد مصرحا به في نص قطعي من القرآن أو الحديث المتواتر أو المشهور وجب علينا اعتقاده، ولا يسع أحدا من أهل الملة أن يخالف فيه . أو هو الوجوب بمعناه اللغوي ، وهو الوقوع .

(٣) فليس فيه قاطع : أي دليل قطعي .

(٤) آيتي النجم : هما : ما كذاب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى .

(٥) والتنازع فيهما مأثور : أي النزاع في المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين.

(٦) الذي ذكر فيه أنه رآه بعينه . وقد تقدم .

(٧) مضمنه : أي ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه بعينه .

(٨) الآية هي آية سورة النجم . وحديث أبي ذر الغفاري رواه مسلم (١٦١) : قال : سألته صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نورا . . .

(٩) حديث معاذ : إني رأيت ربي في أحسن صورة .

(١٠) أنى أراه : كيف أراه؟ أي رأيت نورا غشيني فكيف أرى ذات الله ، وقد حال بيني وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري العادة . وحديثه هذا في صحيح مسلم: ١٦١ هذا ما قاله الخفاجي . وقال القاري (١ — ٤٢٨) : أي قوله: رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه.

وحكى بعضُ شيوخِنا أنه رُوِى : نَوْرَ انّى أراه[(١)] .

وفى حديثه الآخر : سألتُه ، فقال: رأيتُ نورا. وليس يمكن الاحتجاجُ بواحدٍ[(٢)] منها على صحةِ الرؤية ؛ فإن كان الصحيحُ رأيتُ نورا فهو قد أخبر أنه لم يَرَ الله ؛ وإنما رأى نوراً منعه وحجَبه عن رُؤية الله .

وإلى هذا يرجِعُ قولُه: نور أنَّى أراه؛ أى كيف أراه مع حجاب النُّور المُغشِّى[(٣)] للبصر ؛ وهذا مِثلُ [١٦٧] ما فى الحديث الآخر : حجابُه النُّور[(٤)] .

وفى الحديث الآخَر : لم أره بعينى ، ولكن رأيتُه بقلبى مرتين ، وتلا[(٥)] : ﴿ ثم دَنَا فتـــدَلَّى ﴾ . واللهُ قادِرٌ على خَلْقِ الإدراكِ الذى فى البَصَر فى القلب ، أو كيف شاء ، لا إلهَ غيره .

فإنْ وَرد حديثٌ نصٌّ بَيِّنٌ فى الباب اعتُقِد ووجب المَصِيرُ إليه[(٦)] ؛ إذ لا استِحالَة فيه ، ولا مانع قطعىّ يردُّه ، والله الموفق[(٧)] .

---

(١) فى نسيم الرياض : قال المصنف فى شرح مسلم: هذه الرواية لم تثبت . وفى (ب) ضبطت النون بالضمة . (٢) فى ب : منهما . (٣) المغشى للبصر : الساتر والمانع له من الرؤية .

(٤) فى نسيم الرياض (٢ — ٣٢٥) : هذا الحديث رواه مسلم، والطيالسى ، والبخارى ، عن أبى موسى الأشعرى ؛ وهو : إن الله لاينام، ولا ينبغى له أن ينام ، ولكنه يخفض القسط ويرفعه ، ويرفع عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه أحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . وهو فى صحيح مسلم : ١٦٢

(٥) سورة النجم ، آية ٩

(٦) ووجب المصير إليه ؛ أى وجب علينا أن نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه .

(٧) قال القارى فى شرحه (١ — ٤٣٠) : أقول ، والله سبحانه وتعالى أعلم : إنه يمكن الجمع بين الأدلة فى هذه المسألة المشكلة بأن ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار تجلى الصفات ، وما جاء مما يشير إلى نفى الرؤية فهو محمول على تجلى الذات ؛ إذ التجلى للشىء إنما يكون بالكشف عن حقيقته ، وهو محال فى حق ذاته تعالى باعتبار إحاطته وحياطته ، كما يدل عليه قوله تعالى : لا تدركه الأبصار . وقوله سبحانه وتعالى : لا يحيطون به علما .

فصـــــل

وأما ما وَرد في هذه القصة[١] مِنْ مُناجاته[٢] لله تعالى وكلامه معه بقوله[٣] : ﴿ فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى ﴾ — إلى ما تضمَّنَتْه الأحاديثُ — فأكثرُ المفسرين على أنّ المُوحِيَ اللهُ عزّ وجلّ إلى جبريل، وجبريلُ إلى محمـــد صلى الله عليه وسلم إلا شُذوذا[٤] منهم ؛ فذُكِرَ عن جعفر بن محمـــد الصادق ، قال : أَوْحَى إليه بلا واسطة[٥]، ونحوُه عن الواسطي؛ وإلى هذا ذهب بعضُ المتكلمين — أنّ محمدا كلَّم ربَّه في الإسراء .

وحُكِي عن الأشعري ، وحكَوْهُ عن ابن مسعود وابن عباس ؛ وأنكره آخرون[٦] .

وذكر النقَّاش ، عن ابن عباس — في قصةِ الإسراء ، عنه صلى اللهُ عليه وسلم في قوله[٧] : ﴿ دَنَا فتدَلَّى ﴾ — قال : فارقني جبريل[٨] ، وانقطعت الأصواتُ عني ، فسمعتُ كلامَ ربي وهو يقولُ : لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ[٩] يا محمد ، ادْنُ ، ادْنُ[١٠] .

---

(١) في هذه القصة ؛ أي قصة الإسراء .

(٢) من مناجاته لله ؛ أي مخاطبته له ومحادثته .

(٣) سورة النجم ، آية ١٠

(٤) إلا شذوذا : إلا جماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوا .

(٥) أوحى إليه بلا واسطة : أي كلم الله محمدا بلا واسطة ملك أو غيره ، فالمراد بالوحي هنا الكلام .

(٦) وأنكره : أي أنكر تكليم الله له بلا واسطة قوم آخرون .

(٧) سورة النجم ، آية ٨

(٨) فارقني جبريل : أي تخلف عني في مقام معين ؛ لأن له مقاما لا يتعداه .

(٩) الروع : الخوف ؛ أي ليذهب خوفك . أوهي بضم الراء . والروع : القلب . والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف .

(١٠) ادن : أي تقدم ، وادخل إلى حظائر القدس ؛ وإنما قال له ذلك تشريفا له ، وإعلاء لمنزلته ، وتأنيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات ، ولذلك أمره باطمئنان قلبه أولا ، وكرر أمره تأكيدا .

وفى حديث أنس فى الإسراء نحوٌ منه .

وقد احتجُّوا فى هذا[1] بقوله تعالى[2] : ﴿ وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَه اللهُ إلا وَحْياً ، أومِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أويُرْسِلَ رَسُولًا فيُوحِيَ بإذْنِه مايَشَاءُ ﴾ ؛ فقالوا[3] : هى ثلاثةُ أقسام : من وراء حجابٍ[4] كتكليم موسى ؛ وبإرسال الملائكة[5] كحالِ جميع الأنبياء وأكثرِ أحوالِ نبينا صلى الله عليه وسلم . الثالث : قوله : وَحْياً[6] ، ولم يَبْقَ من تقسيمِ الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة[7] .

وقد قيل : الوَحْيُ هنا[8] : هو ما يُلْقِيه فى قَلْبِ النبى دونَ واسطة .

وقد ذكر أبو بكر البزار ، عن علىّ فى حديث الإسراء ماهو أوضَحُ فى سماع النبى صلى الله عليه وسلم لكلامِ اللهِ من الآية : فذكر فيه : فقال المَلَك : الله أكبر . الله أكبر — فقيل لى مِنْ وراء الحجاب : صدَق عَبْدِى ، أنا أكبر ، أنا أكبر . وقال فى سائر كلمات الأذان مِثْلَ ذلك[9] .

ويجىء الكلام فى مُشْكِل هذين الحديثين فى الفَصْل بعد هذا مع ما يُشْبِهه . وفى أوّل فصلٍ من الباب منه .

---

(١) احتجوا فى هذا : أى استدلوا على أنه تعالى كلمه بلا واسطة .

(٢) سورة الشورى ، آية ٥١

(٣) هى : أى أقسام الكلام المثبتة فى هذه الآية .

(٤) أى يسمع كلامه من غير واسطة ، وهو لايراه .

(٥) وبإرسال الملائكة إلى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذى أوحاه إليهم . قال القارى (١ — ٤٣١) : الأظهر « الملك » — بصيغة الإفراد ؛ لأن المشهور أن جبريل هو صاحب الوحى .

(٦) قوله : وحيا ؛ أى إلقاء فى قلبه بإلهام ونحوه .

(٧) مع المشاهدة : أى معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤية ؛ فيخص الله بها من شاء من خاص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم .

(٨) أى فى الآية السابقة.

(٩) قد تقدم : إلا قوله: حى على الصلاة . حى على الفلاح .

وكلامُ اللهِ تعالى لمحمد صلى اللهُ عليه وسلم، ومَن اختصَّه من أنبيائه، جائزٌ غيرُ ممتنع عَقْلا، ولا ورد فى الشَّرْع قاطعٌ[1] يمنعه، فإنْ صحَّ فى ذلك خبر احتُمِل[2] عليه، وكلامُه تعالى لموسى كائنٌ حَقٌّ مقطوعٌ به،نَصُّ ذلك فى الكتاب[3]،وأكَّدَه بالمصدر[4] دلالةً على الحقيقة، ورَفَع مكانه[5] على ما رود فى الحديث: فى السماء السابعة[6] بسبب كلامه[7]. ورَفَع محمدا فوقَ هذا كلّه حتى بلغ مَستوًى، وسَمِع صَرِيف الأقلام[8]؛ فكيف يستحيل فى حقّ هذا أو يَبْعُدُ سماعُ[9] الكلام؛ فسبحانَ من خَصَّ مَنْ شاء بما شاء، وجعل بعضَهم فوق بعضٍ درجات!

فصـــل

وأما ما ورد فى حديث الإسراء وظاهرِ الآية: من الدنُوّ والقُرْب من قوله[10]: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى[11]. فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[12] — وأكْثَرُ المفسرين أنّ الدنُوَّ

---

(١) قاطع: دليل قطعى يمنعه. (٢) هذا فى ا، ب. وفى هامش ب: خ: اعتمد.

(٣) فى الكتاب: فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: وكلم الله موسى تكليما.

(٤) وأكده بالمصدر: أى أكده الله تعالى. والمصدر: هو «تكليما»، والتأكيد بالمصدر فى قوله تعالى: «وكلم الله موسى تكليما» لدفع الشك.

(٥) رفع مكانه: أى مكان موسى. (٦) على بعض الروايات، وقد سبق أنه فى السماء السادسة.

(٧) بسبب كلامه: أى سبب رفعته عليه السلام على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا.

(٨) صريف الأقلام: صوتها عند الكتابة.

(٩) سماع الكلام: من كلام الله تعالى بغير واسطة.

(١٠) سورة النجم، آية ٨، ٩

(١١) الدنو: القرب. والتدلى: الامتداد من علو إلى أسفل، كما يلقى الدلو فى البئر. هذا أصله، ثم استعمل فى القرب من علو حساً، أو معنى.

(١٢) فكان قاب قوسين: القاب: ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه. ولكل قوس قابان. وقيل معناه: قدر. وقيل: هى هنا الذراع؛ لأنه يقاس به؛ فالمعنى قدر ذراعين. وكان قاب قوسين: أى الله تعالى.

والتدلى مُنْقسِم ما بين محمد وجبريل عليه السلام ، أو مختصٌّ بأحدهما من الآخَر [1] ، أو من السِّدْرَةِ المُنْتَهى [2] .

قال الرازى : وقال ابن عباس : هو محمد دنا فتدَلَّى مِنْ رَبّه .

وقيل : معنى [٦٨] دنا قَرُب ، وتدلَّى زاد فى القُرْب . وقيل : هما بمعنى واحد ، أى قَرُب [3] .

وحكى مَكّى ، والماوردى — عن ابن عباس : هو الرَّبُّ دنا محمد ، فتدلّى [4] إليه : أى أمْرُه وحُكْمُه .

وحكى النقاش عن الحسَن ، قال : دنا من عَبْدِه محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فتدلّى ؛ فقَرُبَ منه ، فأراه ماشاء أنْ يُرِيَه من قُدْرَته وعظَمته .

قال : وقال ابنُ عباس : هو مقدّم ومؤخَّر [5] : تدَلَّى الرَّفْرَفُ [6] لمحمد صلى الله وسلم ليلةَ المِعْرَاج ، فجلس عليه ، ثم رُفِع فدَنَا من ربّه .

قال : فارقنى جبريل ، وانقطعت عنى الأصواتُ ، وسمعتُ كلامَ ربى عزّ وجل .

وعن أنس فى الصحيح : عَرَج بى جبريلُ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ، ودَنَا الجبَّارُ

---

(١) أى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم ،أو بجبريل؛ والمعنى دنا وتدلى محمد من جبريل؛ أو دنا وتدلى جبريل من محمد . وفى هامش ب : دون الآخر .

(٢) أى يختص الدنو والتدلى من السدرة ، لامن الآخر .

(٣) ودنوه منه : كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه مالم يتيسر لغيره .

(٤) فتدلى إليه : أى نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم .أو نزل إليه صلى الله عليه وسلم كما قال القارى . قال (١ — ٤٣٤) : والأنسب فى معناه : قرب الرب منه فتقرب إليه .

(٥) مقدم ومؤخر : أى أصله فتدلى فدنا .

(٦) الرفرف : البساط مطلقا . وقيل : البساط الأخضر . وقيل : ما كان من الديباج والمراد به مركب له صلى الله عليه وسلم كالبراق (نسيم الرياض : ٢ — ٣٣٤)

رَبُّ العِزّة ، فتدَلَّى حتى كان[1] منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى ، فأوحى إليه بما شاء ، وأوحى إليه خمسين صلاة ... وذكر حديث الإسراء .

وعن محمد بن كَعْب : هو[2] محمد دَنَا من ربِّه ، فكان كقاب قَوْسين .

قال : وقال جعفر بن محمد : أَدْنَاهُ ربُّه منه حتى كان منه كقَاب قَوْسين[3] .

وقال جعفر بن محمد : والدنُوُّ من الله لا حدَّ له[4] ، ومن العِبَاد بالحدود[5] .

وقال أيضا : انقطعت الكَيْفِيّة عن الدنو[6] ، أَلَا ترى كيف حَجَبَ جبريل عن دُنُوِّه[7] ، ودَنَا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أُودع[8] قلبُه من المعرفة والإيمان، فتدلَّى بسكونِ قَلْبِه إلى ما أَدْنَاه[9] ، وزال عن قلبه الشكُّ والارتياب[10] .

قال القاضي أبو الفضل[11] — : اعلمْ أنَّ ما وقع من إضافةِ الدنو والقُرْبِ هنا من[12] الله ، أو إلى الله — فليس بدنوِّ مكان، ولا قُرْبِ مَدًى[13]؛ بل كما ذكرناه —

---

(١) حتى كان رب العزة .

(٢) في ا ، ب . هو ؛ أي الموصوف بأنه دنا .

(٣) أي مقدار قاب قوسين في القرب منه .

(٤) أي الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالأجسام ؛ بل دنو معنوي .

(٥) ومن العباد بالحدود المكانية الحاصرة لهم .

(٦) عن الدنو : من جانب الله ؛ أي دنوه من عباده ، ليس له كيفية مخصوصة ، وحالة معروفة ؛ لأنه أمر معنوي غير محسوس .

(٧) عن دنوه : إلى ربه .

(٨) في ا : ما أودع —بفتح الهمزة بالبناء للمعلوم وفي ب بالبناء للمعلوم، وبالبناء للمجهول وعليها « معا » .

(٩) إلى ما أدناه إلى ربه لما اطمأن قلبه .

(١٠) والارتياب في أنه هل يصل إلى حضرة القرب وينال إنافته بالإكرام والإنعام ويترقى إلى أعلى مقام ، فأنجح الله تعالى أمنيته .

(١١) هو المؤلف . (١٢) هنا : في هذه الآية . (١٣) مدى : غاية أو نهاية .

عن جعفر الصادق : ليس بدنوِّ حَدّ، وإنما دنُو النبيّ صلى الله عليه وسلم من ربه وقُرْبه منه إبانةُ [١] عظيمِ مَنْزلتِه، وتشريفُ رُتْبته، وإشراقُ أنوارِ معرفته [٢]، ومشاهدةُ أسرارِ غَيْبِه وقدرته ، ومن الله تعالى له مَبَرَّةٌ [٣] وتأنيس [٤]، وبَسْطٌ ، وإكرام [٥] ؛ ويُتَأَوَّل فيه ما يُتَأَوَّل فى قوله : ينزلُ ربُّنا إلى السماء الدنيا [٦] - على أحد الوجوه : نزول إفضالٍ وإجمال [٧] ، وقبولٍ وإحسان .

قال الواسطى : مَنْ توهَّمَ أنه بنفسه [٨] دَنَا جعل ثَمَّ مسافة [٩]، بَلْ كلما دنا [١٠] بنفسه من الحـــق تدلَّى بُعْداً [١١] - يَعْنِى عن دَرْكِ حقيقته ؛ إذ لا دنُوَّ للحق ولا بُعْدَ [١٢] .

وقوله : « قابَ قَوْسَيْنِ أو أدْنَى » - فمَنْ جعل الضمير عائدا إلى الله ، لا إلى جبريل على [١٣] هذا - كان عبارةً عن نهاية القُرْب ، ولُطْفِ المحـــل [١٤] ، وإيضاح

---

(١) إبانة : إظهار . (٢) أى إظهار آثار معرفة الله عليه . (٣) مبرة : قبول وإحسان .

(٤) وتأنيس : لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات وغاب أليفه وهو جبريل .

(٥) وبسط : توسعة ومسرة . والمراد تأنيسه بما يسره من مخاطبته صلى الله عليه وسلم .

(٦) أى كما أول النزول المسند إلى الله تعالى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتفق على صحته أنه صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له بالإقبال عليهم بإنعامه وإجابة دعائهم ، ومغفرة ذنوبهم ، ، وإفاضة مواهبه عليهم .

(٧) وإجمال : أى فعل جميل بهم على عادته .

(٨) بنفسه دنا : دنوا حقيقيا محسوسا بذاته، لا دنو لطف وإكرام . (٩) ثم : هناك .

(١٠) دنا أحد من المخلوقات . من الحق : تعالى . وفى ب : كل ما - برفع كل .

(١١) تدلى بعدا : نزل من علو إلى أسفل ، لبعده عما قصده .

(١٢) لا دنو للحق ولا بعد : بالمعنى المكانى ، لاستحالة ذلك عليه تعالى .

(١٣) على هذا التأويل السابق .

(١٤) ولطف المحل : أى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالأبصار .

المعرفة[١] ، والإشراف على الحقيقة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبارةً عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهارِ التَّحَفِّى [٢] ، وإنافةِ [٣] المنزل والمرتبة من الله له .

ويُتأوَّل فيه ما يُتأوَّل فى قوله[٤] : مَنْ تقرَّبَ مِنِّى شِبْرًا تقربت منه ذِرَاعا[٥] ، ومَنْ أتانى يَمْشِى أتيتُه هَرْوَلةً [٦] ؛ قُرْبٌ بالإجابةِ والقَبُول ، وإتيانٌ بالإحسان وتَعْجِيل المأمول[٧] .

فصـــــل

فى ذكر تفضيله فى القيامة[٨] بخصوص الكرامة

حدثنا [القاضى] [٩] ، أبو على ، حدثنا أبو الفضـــل ، وأبو الحُسَين ؛ قالا : حدثنا أبو يَعْلَى السِّنْجِى ، حدثنا ابن محبوب ، حدثنا الترمذى ، حدثنا الحُسين ابن يزيد الكوفى ، حدثنا عبد السلام ابن حرب ، عن لَيْث ، عن الربيع بن أنس ، عن أنَسٍ رضِىَ اللهُ عنه ؛ قال: قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم [٦٩] :أنا أوَّلُ

(١) وإيضاح المعرفة الإلهية لمن خصه برفعة المنزلة من خاص عباده . وفى ا : واتضاح المعرفة .

(٢) وإظهار التحفى : التحفى : المبالغة فى البر .

(٣) إنافة : إعلاء ورفع .

(٤) فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل (صحيح مسلم:٢٠٦١).

(٥) من تقرب منى : من أطاعنى وسعى فى امتثال أوامرى .

(٦) هرولة : هى المشى والجرى بسرعة . والمراد أنى أعجل لجزائى وأوصل إليه إحسانى سريعا .

(٧) هذا بعض من حديث قدسى صحيح رواه أبو هريرة رضى الله عنه . وهو بتمامه فى نسيم الرياض : ٢ — ٣٣٨

(٨) أى بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام .

(٩) ليس فى ا .

الناسِ خروجا إذا بُعثوا[١]، وأنا خطيبهم إذا وَفدوا[٢]، وأنا مبَشِّرهم إذا أيِسُوا[٣]؛ لواء الحَمْدِ بيدى[٤]، وأنا أكرمُ وَلدِ آدَمَ على رَبّى ولا فَخْر[٥].

وفى رواية ابْنِ زَحْر، عن الربيع[٦] بن أنس – فى لَفْظ هذا الحديث: أنا أولُ الناسِ خروجا إذا بُعِثوا، وأنا قائدُهم إذا وفَدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنْصتوا[٧]، وأنا شفيعُهم إذا حُبِسُوا[٨]، وأنا مُبَشِّرهم إذا أبْلِسُوا[٩]؛ لواء الكَرَمِ بيدى،

---

(١) إذا بعثوا: إذا خرجوا من قبورهم إلى المحشر.

قال فى نسيم الرياض: وهذا الحديث انفرد به الترمذى، وقال: إنه حسن غريب. سنن الترمذى: ٥ – ٥٨٥

(٢) إذا وفدوا: إذا قدموا على الله، وقاموا بين يديه للحساب. وأصل الوفد: الجماعة تقدم إلى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم. ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع فى المحشر، المأذون له فى التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب فى المجمع على عادتهم؛ إذ لكل وفد خطيب غالبا.

(٣) مبشرهم: بالخلاص من المحشر وطول موقفه. إذا أيسوا: إذا يئسوا من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله إذا أزفت الآزفة، وبلغت القلوب الحناجر.

(٤) أى يوم القيامة، ليعرفه صلى الله عليه وسلم ويتبعه كل من فى الموقف، واللواء معروف: هو لواء حقيقى؛ قال فى نسيم الرياض (٢ – ٣٣٩): سمى لواء الحمد، لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره. فهو إشارة لتقدمه صلى الله عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده. وفى الترمذى: لواء الحمد يومئذ بيدى.

(٥) ولا فخر: أى أنا لا أذكره للفخر؛ بل للتحدث بنعم الله؛ أو لا أفخر بهذا؛ إذ لى عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا.

(٦) فى ب: عن أنس.

(٧) الإنصات: السكوت؛ أى أنا المتكلم بين يدى ربى فى أمرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم.

(٨) إذا حبسوا فى الموقف، واضطربوا، وفزعوا للأنبياء؛ فقال كل منهم: نفسى، نفسى، فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى فى فصل القضاء.

(٩) مبشرهم إذا أبلسوا: مبشرهم: أى بالخلاص من هول الموقف، والحبس فيه. أبلسوا: انقطعت حجتهم، وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة. وفى ا: أبلسوا – بالبناء للمعلوم. وفى النهاية. أبلسوا: تحيروا.

وأنا أكرمُ وَلَدِ آدمَ على ربّي ولا فَخْر ؛ ويطوف عليّ ألفُ خادمٍ [١] كأنهم لؤلؤ مكنون [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه [٣] : وأُكْسَى حلّةً من حُلَلِ الجنّةِ ، ثم أقومُ عن يمين العَرْش ليس أحدٌ من الخلائق [٤] يقومُ ذلك المَقام غيري .

وعن أبي سعيد [٥] ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أنا سيّدُ وَلَدِ آدمَ يوم القيامة ، وبيدي لواء الحمد ولا فَخْر ، وما نبيّ [٦] يومئذ، آدَمُ فمَنْ سِوَاه، إلا تحت لوائي ؛ وأنا أولُ مَنْ تَنْشقُّ [٧] عنه الأرضُ ولا فَخْر .

وعن أبي هريرة [٨] ، عنه صلى اللهُ عليه وسلم: أنا سيّدُ [٩] وَلَدِ آدمَ يومَ القيامةِ ، وأول مَنْ ينشقُّ عنه القَبْرُ ، وأول شافعٍ ، وأول مُشَفَّع [١٠] .

وعن ابن عباس [١١] رضِيَ اللهُ عنهما: أنا حاملُ لواء الحمْد يوم القيامةِ ولا فَخْر ،

---

(١) أي في الجنة . قال في نسيم الرياض : رواه الترمذي وصححه .

(٢) مكنون : محفوظ مستور لم تمسه الأيدي ، فهو كناية عن كونها بكرا ذات بهاء ، لم ير مثلها .

(٣) في حديث رواه الترمذي وصححه ـ سنن الترمذي : ٥ ـ ٥٨٥

(٤) الخلائق : جمع خليقة ؛ أي جماعات من المخلوقين .

(٥) في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . سنن الترمذي : ٥ ـ ٥٨٧

(٦) هذا في ا ، ب ، والترمذي . وفي هامش ا : وما من نبي . وضطبت كلمة « آدم » بفتح الميم في ب .

(٧) تنشق عنه الأرض : أي يوم تبعثر القبور وتنشق بقدرة الله تعالى .

(٨) في صحيح مسلم : ١٧٨٢

(٩) أي أشرفهم وأقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري .

(١٠) أول شافع : يشفع للناس في الموقف . وأول مشفع : أول من يؤذن له في الشفاعة ، وتقبل شفاعته .

(١١) في حديث رواه الترمذي ، والدارمي : سنن الترمذي : ٥ ـ ٥٨٨ ، وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

وأنا أوّلُ شافعٍ ، وأول مُشَفَّع ، ولا فَخْر ؛ وأنا أولُ مَنْ يحرِّكُ حلق [١] الجنةِ ، فيُفْتَح لى فأدخلها [٢] ومعى فقراء [٣] المؤمنين ولا فَخْر ؛ وأنا أكرمُ الأوّلين والآخِرين ولا فَخْرَ .

وعن أنَس : أنا أوّلُ الناسِ يُشَفَّع فى الجنة ، وأنا أكثَرُ الناسِ تَبعاً [٤] .

وعن أنسَ رَضِىَ الله عنه [٥] ؛ قال النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم : أنَا سيِّدُ الناسِ يوم القيامة ؛ وتَدْرُون بِمَ ذلك ؟ يجمعُ اللهُ الأوّلين والآخرين – وذَكَر حديثَ الشفاعة [٦] .

وعن أبى هُريرة رضِىَ اللهُ عنه – أنه صلّى اللهُ عليه وسلم قال : أَطْمَعُ [٧] أكونَ أعظمَ الأنبياء أجْرا يومَ القيامة .

وفى حديثٍ آخر : أما ترْضَوْن أنْ يكونَ إبراهيم وعيسى فيكم [٨] يومَ القيامة! ثم قال : إنهما فى أمتى [٩] يوم القيامة ؛ أمَّا إبراهيم فيقول : أنْتَ دعوتى وذرِّيتى [١٠] ،

---

(١) حلق : جمع حلقة .

(٢) هذا فى ب . وفى ا : فيدخلها ، وفى هامشه : فأدخلها ومعى ، وعليها علامة الصحة . وفى الترمذى : فيدخلنيها .

(٣) المراد بالفقراء : الفقراء الصابرون .

(٤) يعنى أن أمته صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمم .

(٥) كما رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٤

(٦) قال فى نسيم الرياض (٢ – ٣٤٢) : ولم يذكر حديث الشفاعة هنا ، لأنه سيأتى فى باب الشفاعة .

(٧) أطمع : أرجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه لى .

(٨) فيكم : محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم .

(٩) فى أمتى : أى يعدان فيها .

(١٠) أما دعوته فقوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، وهو صلى الله عليه وسلم من نسل ولده إسماعيل ؛ فهو من ذرية إبراهيم .

فاجعلني من أمتك . وأما عيسى فالأنبياء إخوة[1] بَنُو عَلَّاتٍ ، أمهاتُهم شتّى ؛ وإنَّ عيسى أخِي ليس بيني وبينه نبيٌّ[2] ، وأنا أَولى الناسِ به[3] .

قوله[4] : أَنا سيِّدُ الناسِ[5] يوم القيامة : هو سيِّدهم في الدنيا، ويوم القيامة . ولـكن أشار[6] صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسُّوْدَدِ والشفاعة دونَ غـيره ؛ إذ لجأ الناسُ إليه في ذلك[7] ، فلم يجدوا سِوَاهُ .

والسيِّدُ : هو الذى يلجأ الناسُ إليه في حوائجهم[8] ؛ فـكان حينئذ سيِّدا مُنْفردا[9] من بين البشر، لم يُزَاحِمْه أحدٌ في ذلك، ولا ادَّعاه ؛ كما[10] قال تعالى[11] : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيومَ ؟ لله الواحدِ القهار ﴾ .

والمُلْكُ له تعالى في الدنيا والآخرة ، لـكن في الآخرةِ انقَطَعَتْ دَعْوَى المدَّعِى لذَلِك في الدنيا[12].

---

(١) أى كالإخوة . والمراد بالعلات : الزوجات الضرائر . والمراد أن الأنبياء بعثوا متفقين في أصول التوحيد مختلفين في فروع الشرائع .

(٢) لأنه لم يبعث في الفترة التي كانت بينهما أحد من الأنبياء .

(٣) وهذا من حديث رواه البخاري ومسلم ، وهو : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة ، الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد ، وليس بيننا نبي .[قال في نسيم الرياض : وهو حديث صحيح : صحيح مسلم : ١٨٣٧

(٤) في الأحاديث السابقة .

(٥) في هامش ب : خ : ولد آدم .

(٦) أشار : أى بقوله هذا — كما تقدم .

(٧) في ذلك الوقت ، أو ذلك الأمر .

(٨) أى يعتمدون عليه إذا قصدوه لقضاء مصالحهم .

(٩) حينئذ: أى في وقت التجائهم إليه. منفردا؛ أى عن جميع الناس حتى الأنبياء بهذه السيادة.

(١٠) أى إن قوله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم اليوم، كقوله تعالى: « لمن الملك اليوم » ؛ ووجه الشبه أنه خص بالملك بذلك اليوم كما خص رسوله بسيادته به .

(١١) سورة غافر ، آية ١٦

(١٢) المراد أن ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك ظنوا أن لهم ملـكا حقيقة، فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر أنهم عبيد عاجزون ليس لهم من الأمر شيء؛ فانـكشفت الدعاوى .

وكذلك لجأ إلى محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم جميعُ الناسِ في الشفاعة ؛ فكان سيِّدَهم في الأُخرى[١] دُونَ دَعْوَى .

وعن أَنَس رضيَ اللهُ عنه[٢] ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : آتى بابَ الجنةِ يومَ القيامةِ ، فأستَفْتِحُ[٣] ، فيقول الخازنُ : مَنْ أنْتَ ؟ فأقول : محمد . فيقول : بِكَ[٤] أُمرتُ ألا أفتحَ لأحدٍ قَبْلَكَ .

وعن عَبْد الله بن عَمْرو[٥] ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : حَوْضِي مسيرةُ شَهْرٍ[٦] ، وزَواياه سواء[٧] [٧٠] ، وماؤُهُ أبيضُ من الوَرِق[٨] ، وريحُهُ[٩] أطيبُ من المسكِ ، وكيزانُه كنجوم السماء[١٠] ؛ مَنْ شَرِب منه لم يَظْمَأْ أبدا .

وعن أبي ذرّ نحوُه ؛ وقال: طوله[١١] ما بين عَمّان إلى أَيْلَةَ ، يَشْخُبُ فيه مِيزابان من الجنة[١٢] .

---

(١) الأخرى : الآخرة . (٢) في حديث رواه مسلم (صحيح مسلم : ١٨٨) .
(٣) أستفتح : أطلب الفتح بتحريك الحلقة .
(٤) بك أمرت : أي بسببك أمرت بالفتح إذا قرع الباب .
(٥) حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣
(٦) الحوض : مجمع الماء ، معروف . وهذا الحوض العظيم مخصوص به .
(٧) يعني أنه مربع . (٨) الورق : الفضة . وفي هامش ا ، ب : من اللبن .
(٩) وريحه : ورائحته .
(١٠) كيزان: الكيزان: جمع كوز؛ وهو إناء صغير يتناول به الماء للشرب . والمراد بقوله: كيزانه كنجوم السماء — أي هي تشبه نجوم السماء في كثرتها ، وإشراقها ، وإضاءتها .
(١١) صحيح مسلم: ١٨٠١، طوله : طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدتين . وقد ضبطت عمان في ب بضم أوله وفتح الميم .وضبطت في ا بفتح العين وتشديد الميم . وهما بلدتان مختلفتان كما هو معروف . وأيلة : في آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة ودمشق ، بينها وبين مصر ثمان مراحل . وفي صحيح مسلم (١٨٠١) ضبطت عمان كما ضبطت في ا . (١٢) يشخب : ينصب مع صوت . والميزاب : مسيل الماء .

وعن ثَوْبان مثلُه ؛ وقال : أحدهما[1] من ذَهَب ، والآخَرُ من وَرِقٍ .
وفى روايةِ حارثة بن وَهْب : كما بين المدينة[2] وصَنْعاء .
وقال أَنَس[3] : أيلةَ وصَنْعاء .
وقال ابن عُمر : كما بين الكوفة والحجَرِ الأسود .

ورَوى حديثَ الحَوْض أيضا أَنَسٌ ، وجابر ، وسَمُرة ، وابنُ عُمر ، وعُقْبة[4] ابن عامر ، وحارثة بن وهب الخزاعى ، والمستَوْرِدُ ، وأبو بَرْزَة الأسلمى ، وحُذَيفة ابن اليمان ، وأبو أمامة ، وزيد بن أَرْقَم ، وابن مسعود ، وعبدالله بن زَيْد ، وسَهْل ابن سعد ، وسُوَيْد بن جَبَلة ، [وأبو بكر ، وعُمَرُ بن الخطاب ، وابنُ بُرَيدة][5] ، وأبو سَعِيد الخُدْرِىّ ، وعبد الله الصُّنَابِحى ، وأبو هُرَيرةَ ، والبراء ، وجُنْدَب ، وعائشة ، وأسماء بنت أبى بكر ، وأبو بَكْرة ، وخَوْلةُ بنت قَيْسٍ ، وغيرهم .

فصـــل

فى تفضيله بالمحبة والخُلة[6]

جاءت بذلك الآثارُ الصحيحة ، واختصّ على أَلسنةِ المسلمين بحبيب الله[7] ؛ أخبرنا[8] أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره ، عن كريمة بنت أحمد[9] ،

(١) أحدهما : أحد الميزابين .
(٢) صحيح مسلم : ١٨٠١ ، (٣) صحيح مسلم : ١٨٠٠
(٤) حديث عقبة فى البخارى : ٧-١١٢، وحديث أنس فى صحيح البخارى : ٥ – ٤١
(٥) مابين القوسين أمامه فى هامش ا : من غير الرواية . وقع فى الأم فى الطرة دون تعليم على موضع تخرج منه ، وكان فى الطرة تمريض على اسم سويد بن جبلة .
(٦) أى بكونه حبيب الله وخليله . والخلة : الصداقة .
(٧) أى جرى على الألسنة تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون خليل الله ، لإطلاقه على إبراهيم عليه السلام . (٨) هذا الحديث مسند عن البخارى ـ صحيح البخارى : ٥-٤،٥
(٩) عليها علامة الصحة فى ا ، وفى هامشه : محد .

حدثنا أبو الهيثم ، وحدثنا حُسين بن محمد الحافظ سماعاً عليه، حدثنا القاضى أبو الوليد، حدثنا عَبْد بن أحمد ، حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا أبوَ عَبْد الله محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل[1] ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا فُلَيْح ، حدثنا أبو النَّضْر ، عن بُسْر بن سَعِيد، عن أبى سَعِيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم — أنه قال : لو كنتُ متّخِذاً خليلا غَيْرَ رَبّى لاتّخذْتُ أبا بكر[2] .

وفى حديثٍ آخر[3] : وإن صاحِبَكم[4] خليلُ اللهِ .

ومِنْ طريقِ عبدِ الله بن مسعود : وقد اتخذ اللهُ صاحِبَكم خَلِيلا .

وعن ابن عباس[5] ، قال : جلس ناسٌ من أصحابِ النبىِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم ينتظرونه[6] ؛ قال : فخرج حتى إذا دَنَا منهم سمعَهم يتذاكرون ؛ فسمِعَ حَدِيثَهم ، فقال بعضُهم : عجَباً ! إنَّ الله اتخذَ من خلقه خليلا ، اتخذ إبراهيم خليلا .

وقال آخر : ماذا بأعجَب من كلامِ موسى ؟ كلّمه اللهُ تكليما[7] .

وقال آخر : فعيسى كلمةُ[8] اللهِ ورُوحُه .

---

(١) هو الإمام البخارى صاحب الصحيح .

(٢) فى نسيم الرياض : هذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره من طرق متعددة . والمعنى : لا أصل فى محبة أحد من الخلق إلى مرتبة الخلة ؛ فإنها مختصة بربى ، فلو فرض جعلها لأحد كان أبو بكر أليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله فى طاعته ؛ وهذا صريح فى تفضيله على غيره وتقدمه عنده .

(٣) وسنن الترمذى : ٥ — ٦٠٦ (٤) يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم .

(٥) فى رواية الدارمى ، والترمذى — سنن الترمذى : ٥ — ٥٨٧

(٦) ينتظرونه : أى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس أصحابه .

(٧) أى ليس اتخاذ الله إبراهيم خليلا أعجب من كلام موسى حين ناجاه ربه فى الدنيا وكلمه تكليما ، مع أنه تعالى لم يكلم أنبياءه إلا بواسطة ملك الوحى .

(٨) سمى عيسى كلمة الله ؛ لأن الله خلقه من دون أب بمجرد قوله : كن . والمراد : إذا ذكرتم خليل الرحمن ، وكليمه ، وتعجبتم من ذلك، فاذكروا عيسى وكونه كلمة الله وروحه.

وقال آخَرُ : وآدمُ اصطفاهُ اللهُ .

فخرج عليهم فسلَّم ، وقال : قد سمعتُ كلامَكم وعجَبَكم ؛ أنّ اللهَ تعالى اتَّخذ إبراهيم خليلا ، وهو كذلك[1] ؛ وموسى نَجِيُّ[2] الله ، وهو كذلك[3] ؛ وعيسى رُوحُ[4] اللهِ ، وهو كذلك ؛ وآدم اصطفاهُ اللهُ ، وهو كذلك ؛ ألَا وأنا حَبِيبُ[5] اللهِ ولا فخْر ؛ وأنا أولُ شافع وأولُ مُشَفَّع ولا فَخْر ، وأنا أولُ مَنْ يحرِّكُ حَلَقَ الجنةِ فيَفْتَحُ اللهُ لى فَيُدْخِلُنِيها ومعى فُقراء المؤمنين ولا فَخْر ؛ وأنا أكرمُ الأوَّلين والآخِرين ولا فَخْر .

وفى حديث أبى هريرة[6] رضى اللهُ عنه من قَوْلِ الله تعالى لنبيّه صلّى اللهُ عليه وسلم : إنى اتخذْتُكَ خليلا ، فهو مكتوبٌ فى التوراة : أسب[7] حبيبُ الرحمن .

---

(١) وهو كذلك : أى اتخذه خليلا .

(٢) نجى الله : كليمه ، والمناجاة : المكالمة .

وضبطت الياء فى كلمة « نجى » بالضمة والفتحة وعليها « معا » فى ا .

(٣) وهو كذلك : أى هو نجى الله وكليمه .

(٤) فى سنن الترمذى : وعيسى روح الله وكلمته . وقد ضبطت الحاء فى « روح » بالضمة والفتحة وعليها « معا » فى ا .

(٥) قرر أولا ما ذكروه من فضائلهم بقوله : هو كذلك ؛ ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم بقوله : وأنا حبيب الرحمن .

(٦) رواه البيهقى ، وصححه .

(٧) فى نسيم الرياض : هى لفظة عبرانية بمعنى أنت . ثم قال : وقيل : إن بعد السين تاء مثناة فوقية ، ومعناها أنت . وقال القارى (١ — ٤٤٨) : اسـ : كذا فى نسخة صحيحة من غير ضبط على هذه الصورة وهى ألف بعدها سين مهملة ثم جرة . وفى بعض النسخ مكتوب بإزائها على الطرة : ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه أن هذه اللفظة وقعت فى الأم المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمة ، فحكيتها كما وقعت .

وفى ب : انسب محمد . وفى ا : انست حبيب الرحمن ، وقال فى هامش ا : است — كذا وقعت هذه اللفظة فى طرة الأم المبيضة بخطه رحمه الله مبهمة غير جلية فخليتها كما وقعت ، قاله =

قال القاضى أبو الفضل[١] : اختُلِف فى تفسير الخُلّة ، وأصلِ اشتقاقها ؛ فقيل : الخليلُ : المنقَطِعُ إلى الله[٢] الذى ليس فى انقطاعه إليه ومحبّتِه له اختلالٌ[٣] .

وقيل : الخليلُ المختصّ[٤] ، واختار هذا القولَ غيرُ واحد .

وقال بعضُهم : أصلُ الخُلّة الاستصفاء[٥] : وسُمّى إبراهيم [٧١] خليلَ الله ؛ لأنه يُوالِى فيه ويُعادِى فيه[٦] ؛ وخُــلّةُ اللهِ له نصْرُه ، وجَعْلُه إماما[٧] لمَنْ بعده .

وقيل : الخليل : أصلُه الفقير المحتاج المنقطع[٨] ، مأخوذ من الخَلّة وهى الحاجة ؛ فسُمّى بها إبراهيم ؛ لأنه قصَر حاجتَه على ربّه[٩] ، وانقطع إليه بِهَمّه ، ولم يجعـله

= ابن جعفر — نقلت من خطه . وفى هامش ب : كذا وقعت هذه اللفظة فى طرة الأم للمبيضة فحكيت كما وقعت ، وهى بخط المصنف رحمه الله مبهمة غير جلية . قال القارى (١ — ٤٤٨) : ولا يبعد أن يكون بالتاء الفوقية فى آخر الكلمة ، وهى للربط فى الجملة بالفارسية . وفى نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة . وقيل : بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ؛ أى أنت .

(١) هو المصنف .

(٢) المنقطع إلى الله : الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله .

(٣) اختلال : خلل ونقص يحتاج إلى جبر وتكميل .

(٤) أى المختص بمن خالله ، وقال القارى (١ — ٤٤٨) : المختص ؛ أى بوصف الخلة ، سواء كان مشتقا من الخلة — بضم الخاء ، كما سبق ، أو من الخلة — بالفتح ، بمعنى الفقر والحاجة ، من الخلل ؛ إذ كل خليل محتاج إلى أن يسد خلل صديقه .

(٥) الاستصفاء : أى كون محبته ومودته صافية ؛ أى خالصة .

(٦) الموالاة : المحبة : أى لا يحب إلا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة ، ولا يبغض إلا أهل المعصية والضلال .

(٧) إماما : مقتدى به ، متبعا لجميع من بعده .

(٨) المنقطع : المنفرد .

(٩) قصر حاجته : أى لم يكن له حاجة إلا إلى ربه ؛ فلا يؤمل نفعا من غيره .

قِبلَ غيره[١] ؛ إذ جاءه جبريلُ وهو فى المَنْجَنِيق[٢] ، ليُرْمَى به فى النار ، فقال : ألكَ حاجة ؟ قال : أمَّا إليكَ فلا .

وقال أبو بكر بن فُورَك : الخُلَّة : صفاء المودّةِ التى توجِب الاختصاصَ بتخلُّل الأسرار[٣] .

وقال بعضهم : أصلُ الخُلّة المحبة ؛ ومعناها الإسعافُ ، والإلطاف ، والترفيع ، والتشفيع[٤] ؛ وقد بيَّن ذلك فى كتابه تعالى بقوله[٥] : ﴿وقالت اليهودُ والنصارى نحن أبناء اللهِ وأحبَّاؤه قلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكم بذُنوبكم بل أنتم بَشَرٌ مِمَّن خلق يَغْفِرُ لمَنْ يشاء ويعذِّبُ مَنْ يشاء ، ولله مُلْكُ السمواتِ والأرضِ وما بينهما وإليه المَصِير﴾ .

فأوجب للمحبوب ألّا يُؤَاخذَ بذنوبه .

قال : هذا ، والخُلَّة أقوى من البنوّة ؛ لأنّ البنوة قد تكون فيها العداوةُ[٦] ، كما قال تعالى[٧] : ﴿إنَّ مِنْ أزواجِكم وأولادِكم عدُوًّا لكم فاحذَرُوهم ، وإنْ تَعفُوا وتصفحوا وتَغْفِرُوا فإنَّ اللهَ غفُورٌ رحيم﴾ .

ولا يصح أن تكونَ عداوةٌ مع خلّةٍ[٨] ؛ فإذًا تسميةُ إبراهيمَ ومحمدٍ عليهما السلام

---

(١) ولم يجمله قبل غيره : لم يطلب شيئا من غيره ، ولم يؤمله .

(٢) المنجنيق — بفتح الميم وكسرها : آلة لرمى العدو ، وهو فارسى معرب .

(٣) تخلل الأسرار : دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها ، فلا يخفى عليه شىء من أحواله .

(٤) الإسعاف : الإعانة والنصرة والإمداد بكل ما أراد . والإلطاف : الإنعام والإحسان . والترفيع : بإعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة . والتشفيع : بإذنه له فى الشفاعة وقبولها .

(٥) سورة المائدة ، آية ١٨

(٦) ضبطت التاء فى كلمة « العداوة » بالفتحة ، وعليها علامة الصحة فى ا .

(٧) سورة التغابن ، آية ١٤

(٨) لأن الخلة ضد العداوة ، فلا يجتمعان ، بخلاف البنوة فإنها وإن كانت الفطرة تقتضى المحبة لكن قد تتخلف لعارض .

بالخُلَّة إمّا بانقطاعهما[1] إلى الله ووَقْفِ حوائجهما عليه ، والانقطاع عمّن دونه ، والإضراب[2] عن الوسائط والأسباب ؛ أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما[3] ، وخَفِيّ[4] أَلْطافِه عندهما ، وما خالَلَ[5] بواطنَهما من أسرارِ إلٰهيته ، ومكنونِ غُيوبه ومعرفته ، أو لاستِصْفائِه[6] لهما ، واستِصفاء قلوبهما عمّن سِوَاه[7] ، حتى لم يُخالِلْهما[8] حبٌّ لغيره ؛ ولهذا قال بعضهم : الخليل مَنْ لا يتّسعُ قَلْبه لسِوَاه[9] وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم[10] : ولو كنتُ متّخِذا خليلا لاتّخَذْتُ أبَا بكر خليلا ؛ لكِنْ أُخُوّةُ الإسلام .

واختلف العلماء وأربابُ القلوب[11] : أيُّهما أرفَعُ درجةً : الخُلّة ، أو درجة المحبةِ ؟ فجعلهما بعضُهم سواء ؛ فلا يكون الحبيبُ إلّا خليلا ، ولا الخليل إلا حبيبا ؛ لكنه خَصّ إبراهيمَ بالخُلّة ، ومحمداً بالمحبّة .

وبعضهم قال : درجةُ الخُلّة أرفَعُ ؛ واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم[10] : لو كنتُ متّخِذاً خليلا غَيْر رَبّى عزّ وجلّ . فلم يتّخِذْه .

---

(١) هذا على أن معنى الخلة : الحاجة .

(٢) الإضراب : الإعراض والترك .

(٣) وهذا على أن معنى الخلة : المحبة .

(٤) فى ا : وحفى — بالحاء المهملة . وفى ب : وحفى ، وخفى : أى بالحاء المهملة ، والخاء المعجمة ، وعليها «معا» . وخفى — بالخاء : مستور . وحفى — بالحاء : زيادة مبالغته فى إكرامه .

(٥) خالل : تخلل ودخل ، وخالط .

(٦) استصفائه : اختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة .

(٧) بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحبه . (٨) يخاللها : يدخل فى خلالها .

(٩) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله ، بحيث لايبقى فى قلبه سواه ، وسوى مراقبته .

(١٠) فى حديث البخارى — كما تقدم . صفحة ٢٨٠

(١١) أرباب القلوب : أصحاب القلوب الكاملة الصافية .

وقد أَطلقَ المحبَّةَ لفاطمة ، وابْنَيْهَا[١] ، وأُسامةَ وغيرهم[٢] .

وأكثرُهم جعل المحبّةَ أَرفعَ من الخُلَّة ؛ لأنّ درَجةَ الحبيبِ [نبيِّنا][٣] أَرفَعُ من درجة الخليل إبراهيم[٤] .

وأَصْلُ المحبةِ الميلُ إلى ما يوافقُ المحِبَّ ؛ ولكنْ هذا فى حق مَنْ يصِحُّ الميلُ منه والانتفاعُ بالوَفْق[٥] ؛ وهى دَرَجةُ المخلوق ؛ فأما الخالق – جلَّ جلالهُ – فمنزَّهٌ عن الأغراض ؛ فمحبتُه لعَبْدِه تمكينُه من سعادته[٦] ، وعِصْمتُه وتوفيقُه وتهيئةُ أسباب القُرْب[٧] ، وإفاضة رحمته[٨] عليه ؛ وقُصْواها[٩] كَشْفُ الحُجبِ عن قلبه حتى يراهُ بقَلْبه[١٠] ، وينظر إليه ببَصِيرته ؛ فيكون كما قال فى الحديث : فإذا أَحْببتهُ كنتُ سَمْعَه الذى يسمَعُ به ، وبَصَرَه الذى يُبْصر به ، ولسانه الذى ينطق به[١١] .

---

(١) وابنيها : الحسن والحسين .

(٢) فى ا : وغيرها . وفى هامشه : وغيرهم ، وعليها علامة الصحة .

(٣) ليس فى ا .

(٤) فيقتضى أن صفته – وهى المحبة – أفضل من صفة إبراهيم ، وهى الخلة .

(٥) الوفق : الموافقة . وفى ا ضبطت الواو بالضمة . ولم أقف عليه .

(٦) تمكينه من سعادته : إقداره على ما يفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته .

(٧) وعصمته : من ارتكاب الذنوب . وتوفيقه : فى أموره بجعلها على وفق رضاه . وتهيئة أسباب القرب : ييسر له كل سبب يقربه إلى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة .

(٨) إفاضة رحمته عليه : إيصال الخيرات الدنيوية والأخروية اتصالا كثيرا متواليا .

(٩) قصواها : غايتها .

(١٠) يراه بقلبه : يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة .

(١١) هذا حديث قدسى رواه البخارى : صحيح البخارى : ٨ – ١٣١ ، ومعناه : إذا صفى قلبه ، وشغل نفسه بالله أحبه الله ؛ ومحبة الله : عنايته ولطفه به ، وإفاضة نعمه على ظاهره وباطنه ، فتكون حواسه وإدراكها ، وأعضاؤه وحركاتها ، كلها متوجهة لله ، ولما فيه رضاه ، من غير تصنع ومشقة ؛ فيقويه على ذلك ؛ حتى كأن أفعالها صادرة عن الله .

ولا ينبغى أَنْ يُفْهم مِنْ هذا سوى التَّجَرُّدِ للهِ[1]، والانقطاعِ إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القَلْب لله، وإخلاصِ الحركات لله[2]، كما قالت عائشة رضى الله عنها: كان خُلُقُه[3] القرآن؛ برضاه يَرْضَى، وبِسُخْطِهِ يسخَطُ[4]؛ ومِنْ هذا عَبَّر بعضُهم عن الخُلَّة بقوله:

قد تخلَّلْتَ مسلكَ الرُّوح منى ... وبذا سُمِّىَ الخليلُ خليلا

فإذا ما نطقْتُ كنتَ حديثى ... وإذا ما سَكَتُّ كنتَ الغَليلا[5]

[٧٢] فإذاً مزيّةُ الخُلَّةِ، وخُصوصيةُ المحبّة حاصلةٌ لنبينا صلّى الله عليه وسلم بما دلّت عليه الآثارُ الصحيحة المنتشرة[6]، المتلقّاةُ بالقَبُول من الأمة، وكفى بقوله تعالى[7]: ﴿ قُلْ إِنْ كُنتُم تحبُّون الله فاتَّبِعونى يُحْبِبْكم اللهُ ويَغْفِرْ لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾.

حَكَى أَهْلُ التفسير أنَّ هذه الآيةَ لمّا نزلَتْ قال الكفّارُ: إنما يريدُ محمدٌ أنْ

---

(١) التجرد لله: أى تجريد أفعاله وإحساسه عما يشغله عن الله.

(٢) وإخلاص الحركات لله: بألا يحرك عضوا من أعضائه إلا لعبادته، أو لمايعين عليها.

(٣) أى كانت أخلاقه كلها على وفق ما أمر به فى القرآن.

(٤) بسخطه يسخط: أى يكره ما ذكر فيه أن الله يكرهه.

(٥) فى نسيم الرياض: وفى رواية: كنت الدخيلا. قال: المراد بالغليل ما كان داخل القلب، من قولهم: تغلغل الماء بين النبات، إذا جرى تحته مستترا. والمراد بالدخيل: ما هو داخل القلب والبدن، لا الأجنبى.

(٦) المنتشرة: الشائعة المشهورة.

(٧) سورة آل عمران، آية ٣١

قال فى نسيم الرياض (٢ — ٣٦٤): ووجه الدلالة فى هذه الآية أنه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم أنه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة، ومقرب تقربا لا يدانيه أحد؛ فعلم منه خلته وحبه.

نتّخذه حَنانا[١] كما اتخذت النّصارى عيسى بن مريم ؛ فأنزل اللهُ ـ غَيْظا[٢] لهم ، ورَغْما[٣] على مَقَالتهم هذه الآية[٤] : ﴿ قُـلْ أَطِيعوا اللهَ والرسولَ ﴾ ، فزاده شرفا بأَمْرِهم بطاعته ، وقرَنها بطاعته ، ثم توعّدهم على التّوَلّى[٥] عنه بقوله[٦] : ﴿ فإنْ تَوَلَّوْا فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الـكافرين ﴾ .

وقد نقل الإمامُ أبو بكر بن فُوَرك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخُلة يطولُ[٧]، جملةُ إشاراتِه إلى تفضيل مقام المحبة على الخُلّة ؛ ونحن نذكر منه طَرَفاً[٨] يهْدِى إلى ما بعده :

فمن ذلك قولهم : الخليلُ يَصِلُ بالواسطة[٩] ، من قوله تعالى[١٠] : ﴿ وكذلك نُرِى إبراهيم ملـكوت السمواتِ والأرضِ وليَـكُون من المُوقنِين ﴾ . والحبيبُ يصِلُ لحبيبه[١١] به ، من قوله[١٢] : ﴿ فـكان قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى ﴾ .

---

(١) حنانا : رحمة . والمراد : أن نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة ؛ أى نتبرك به ونتضرع .

(٢) غيظا لهم : أى ليغيظهم ويملهم بغضبه عليهم .

(٣) رغما : الرغم : الذل والخزى والإساءة ، والمراد أذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٣٢

(٥) التولى عنه : الإعراض عن طاعته .

(٦) سورة آل عمران ، آية ٣٢

(٧) فى هامش ب : ترجع . (٨) طرفا : بعضا قليلا .

(٩) بالواسطة : بتوسط آخر بينه وبين خليله .

(١٠) سورة الأنعام ، آية ٧٥

(١١) أى بذاته من غير واسطة . وفى هامش ا : إليه به . والمثبت فى ا عليه علامة الصحة .

(١٢) سورة النجم ، آية ٩

وقيل : الخليل : الذى تكون مغفرَتُه فى حدِّ الطمع[١]، من قوله[٢] : ﴿ والذى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لى خطيئتى يوم الدِّين ﴾ . والحبيبُ الذى مَغْفِرَتُه فى حدِّ اليقين[٣] ، من قوله[٤] : ﴿ ليغْفِرَ لكَ اللهُ ماتقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأَخَّر ، ويُتِمَّ نعمته عليكَ ويَهْدِيَكَ صراطا مستقيما ﴾ .

والخليلُ قال[٥] : ﴿ ولا تُخْزِنى يوم يُبْعثون ﴾ . والحبيب قيل له[٦] : ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النبىَّ ﴾ ؛ فابتدىء بالبِشَارة قَبْلَ السؤال[٧] .

والخليلُ قال فى المِحْنَة[٨] : [٩]﴿ حَسْبِىَ الله ﴾ . والحبيبُ قيل له[١٠] : ﴿ يأيُّها النبىُّ حَسْبُكَ الله ﴾ .

والخليل قال[١١]: ﴿ اجْعَلْ لى لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخرين ﴾ . والحبيب قيل له[١٢]: ﴿ ورَفَعْنَا لكَ ذِكْرَكَ ﴾ ، أُعْطِىَ بلا سؤال .

---

(١) مغفرته : أى مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا إلى عفوه عنه ـ واقعةٌ فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها ؛ لأن الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٨٢ (٣) فى حد اليقين : مستيقنة .

(٤) سورة الفتح ، آية ٢

(٥) سورة الشعراء ، آية ٨٧ ، والخليل : إبراهيم . وسيأتى : والحبيب : محمد .

(٦) سورة التحريم ، آية ٨

(٧) ابتدىء بالبشارة بنفى الخزى عنه برؤية مايكره قبل سؤاله لذلك .

(٨) المحنة : الابتلاء ، والمراد بذلك قصته مع نمرود حين ألقاه فى النار ، فكانت بردا وسلاما .

(٩) سورة الزمر ، آية ٣٨

(١٠) سورة الأنفال ، آية ٦٤

(١١) سورة الشعراء ، آية ٨٤

(١٢) سورة الشرح ، آية ٤

والخليلُ قال[1] : ﴿ واجْنُبْنِى وَبَنِيَّ أَنْ نعبُدَ الأَصنامَ ﴾ . والحبيبُ قيل له[2] : ﴿ إنما يريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ البيت ﴾ .

وفيما ذَكَرْناهُ[3] تنبيهٌ على مَقْصِدِ أصحاب هذا المقال مِنْ تفضيل المقاماتِ[4] والأحوال ؛ وكُلٌّ يعملُ على شاكلتِه[5] ؛ فربُّكم أَعْلَمُ بمن هو أَهْدَى سبيلا .

فصــــل

فى تفضيله بالشفاعةِ والمقام[6] المحمود

قال اللهُ تعالى[7] : ﴿ عسى أنْ يَبْعثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً محمودا ﴾ .

أخبرنا الشيخُ أبو علىّ الغَسّانى الجيّانى[8] فيما كتب إلىّ بخطِّه ، حدثنا سِرَاجُ ابن عبد الله القاضى ، حدثنا أبو محمد الأَصِيلى ، حدثنا أبو زَيْد ، وأبو أحمد ؛ قالا : حدثنا محمد بن يوسف ؛ قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ؛ قال : حدثنا إسماعيل بن أَبَان ، حدثنا أبو الأَحوص ، عن آدم بن علىّ ؛ قال : سمعتُ ابنَ عمر يقول[9] : إنّ الناسَ

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ (٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(٣) وفيما ذكرنا : من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف فى أيهما أرفع درجة . . .

(٤) المراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الأنبياء والأولياء يرتفع به من حضيض البشرية فى درجات العبودية حتى يرقى المقام الأعلى .

(٥) كل يعمل على شاكلته : لكل أحد طريقة يختارها .

(٦) المراد بالمقام المحمود : كل مقام يتضمن كرامة محمد .

(٧) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٨) فى ا : حدثنا الجيانى .

(٩) هذا الحديث رواه البخارى موقوفا على ابن عمر : وحديث الشفاعة فى صحيح البخارى: ٩ — ١٤٩ ، وصحيح مسلم: ١٨٠ ، وابن ماجه : ١٤٤٠ ، والترمذى : ٤ — ٦٢٨ وأبو داود : ٢ — ٢١٦

وانظر هذه الأحاديث وغيرها فى تفسير ابن كثير : ٥ — ٩٨ ، وما بعدها .

يصيرون يوم القيامة جُثى[1] ، كلُّ أُمةٍ تتبعُ نبيَّها ، يقولون : يا فلانُ ، اشفَعْ لنا ؛ يا فلانُ اشفَعْ لنا[2]، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم فذلكَ يوم يبعثُه اللهُ المقامَ المحمود .

وعن أبي هريرة : سُئل عنها[3] رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم – يعني قوله[4] : ﴿ عسى أن يبعثَكَ ربُّكَ مَقَاماً محمودا ﴾ ، فقال : هي الشفاعة[5] .

وروى كعبُ بنُ[6] مالك ، عنه صلّى اللهُ عليه وسلم : يُحْشَرُ الناسُ يوم القيامةِ فأكون أنا وأمتي على تلّ ويكسوني ربِّي حُلَّةً خَضْراء ، ثم يُؤْذَن[7] لي فأقول ماشاء اللهُ أن أقول ؛ فذلك المَقَامُ المحمود .

وعن ابن عُمر [٧٣] رضيَ الله عنه – وذكر حديثَ الشفاعةِ – قال : فيَمْشِي حتى يأخذَ بحلقَةِ الجنَّة ، فيومئذ يبْعثُه اللهُ المقامَ المحمودَ الذي وَعدَه[8] .

وعن ابن مسعود عنه صلّى الله عليه وسلم أنه[9] قِيامُه عن يمين العَرْشِ مَقَاما لا يقومُه غيْرُه ، يغبطه[10] فيه الأوّلون والآخِرون .

---

(١) بضم الجيم – مقصور منون . وجوز كسر جيمه أيضا : جمع جثوة (مثلث الأول) ، وأصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه ؛ والمراد يجتمعون جماعات ، كل أمة جماعة تابعة لنبيها .

(٢) أي تنادي كل أمة نبيها باسمه ، يسألونه أن يشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف .

(٣) عنها : عن الآية المذكورة .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٧٩

(٥) هذا الحديث رواه أحمد ، والبيهقي .

(٦) هذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا (٣ – ٤٥٦) .

(٧) يؤذن لي : يأذن الله لي في التكلم بين يديه .

(٨) الذي وعده به في القرآن في قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .

(٩) أنه : أي المقام المحمود . ورواه أحمد .

(١٠) الغبطة : تمنى المرء أن ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم ، وكل أمر محمود ، من غير أن يحب زوالها ؛ فإن أحب زوالها فهو الحسد المذموم .

ونحوُه عن كعب والحسَنِ .

وفى رواية : هو[١] المَقَامُ الذى أَشفَعُ لأُمَّتى فيه .

وعن ابن مسعود[٢] ، قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ : إنى لقائم المقامَ المحمودَ . قيل : وما هو ؟ قال : ذلكَ يومٌ يَنزِلُ اللهُ تبارك وتعالى [على كُرْسيّه][٣] . . . الحديث .

وعن أبى موسى رضى الله عنه[٤] ، عنه صلى اللهُ عليه وسلم : خُيِّرْتُ بين أن يدخُلَ نصفُ أُمتى الجنةَ وبين الشفاعة فاخْتَرتُ الشفاعةَ ؛ لأَنها أعمّ[٥] ؛ أَتُرَوْنَها[٦] للمتقين ؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطّائين[٧] .

وعن أبى هريرة[٨] رضِيَ اللهُ عنه ؛ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ؛ ماذا وَرَدَ[٩] عليكَ فى الشفاعة ؟ فقال : شفاعتى لمَنْ شَهِد أنْ لا إله إلا اللهُ مُخْلصا ، يصدِّق لسانَه قلبُه .

وعن أمّ حَبيبة[١٠] ، قالت : قال رسول اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم : أُريتُ[١١] ما تَلقَى أُمّتى من بَعْدى ، وسَفْكَ[١٢] بعضِهم دماءَ بَعْضٍ ، وسبَق لهم مِنَ اللهِ ماسبَق للأمم قَبْلَهم ؛ فسألتُ اللهَ أن يؤتينى شفاعةً يوم القيامةِ فيهم ، ففعل[١٣] .

---

(١) هو : أى المقام المحمود .

(٢) فى حديث رواه أحمد فى مسنده .

(٣) ليس فى ب .

(٤) هذا الحديث رواه ابن ماجه فى سننه : ١٤٤١

(٥) فى سنن ابن ماجه : لأنها أعم وأكفى .

(٦) أترونها : أتظنون الشفاعة خاصة للمتقين .

(٧) فى ابن ماجه : الخطائين المتلوثين .

(٨) فى حديث صحيح رواه الحاكم، والبيهقى .

(٩) ماذا ورد عليك : ورد جاء . أى ما أجابك به الله ، أو الملك ، لما سألته الشفاعة فى أمتك ؟ وفى شرح القارى (١ — ٤٦٠) : ماذا ورد ؛ من الورود ، أي نزل .

(١٠) فى حديث رواه الحاكم ، والبيهقى .

(١١) أريت : أعلمنى الله ، وأخبرنى بواسطة الملك .

(١٢) سفك الدم : إراقته وصبه .

(١٣) ففعل : أى أعطاه الله تعالى ما سأله فشفعه فى المذنبين منهم .

وقال حذيفةُ [١] : يجمعُ اللهُ الناسَ فى صعيدٍ واحدٍ [٢] حيث يُسْمِعهم الداعى ، ويُنفِذهم البصرَ ، حُفاةً عُراةً كما خُلقوا ، سُكوتا لا تَكلَّمُ نفْسٌ إلّا بإذنه ، فيُنادَى محمدٌ فيقول : لبَّيْكَ وسَعْدَيك [٣] ، والخيْرُ فى يدَيْكَ ، والشرُّ ليس إليكَ ، والمُهتدِى مَنْ هدَيْتَ ، وعَبْدُكَ [٤] بين يديكَ ، ولكَ وإليكَ [٥] ، لا مَلْجأَ ولا مَنْجى منكَ إلا إليكَ ، تبارَكْتَ وتعاليْتَ [٦] ، سبحانكَ رَبَّ البيتِ — قال : فذلكَ المقامُ المحمود الذى ذَكر الله .

وقال ابنُ عباس رضى الله عنه : إذا دخل أهلُ النارِ النارَ ، وأهلُ الجنّةِ الجنّةَ ، فتبْقى آخِرُ زُمْرةٍ [٧] من الجنةِ وآخِرُ زُمْرة من النار ؛ فتقول زمرةُ النارِ لزُمْرةِ الجنّة : ما نَفعَكُم إيمانُكم ، فيَدْعُونَ رَبَّهم ويَضِجُّون [٨] ، فيسمعهم أهلُ الجنةِ فيسألونَ آدمَ وغيره بعدَه فى الشفاعة لهم ؛ فكُلٌّ يعتذِرُ حتى يأتُوا محمدا صلى اللهُ عليه وسلم ، فيشفع لهم ، فذلك المقامُ المحمود [٩] .

ونحوه عن ابن مسعود أيضا ، ومجاهد .

وذكره علىٌّ بن الحسين عن النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى حديث رواه البيهقى ، والنسائى .

(٢) فى صعيد واحد : فى مكان يجتمعون فيه غير متفرقين . وأصل معنى الصعيد : التراب ؛ فأريد به هنا أرض المحشر .

(٣) أى أجيبك إجابة بعد إجابة ، وأساعدك بطاعتى لك ، وأنا مقيم على ذلك لا أنصرف عنه .

(٤) وعبدك : يريد نفسه الشريفة .

(٥) ولك وإليك : أى أمره كله لك ، فإنه عبدك ، وأمره موكول إليك .

(٦) تباركت وتعاليت : كثر خيرك وزاد عن كل شىء ، وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك ، وتنزهت عما لا يليق بك .

(٧) الزمرة : الجماعة القليلة .

(٨) ويضجون : ويرفعون أصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير أهل النار لهم .

(٩) هذا الحديث موقوف على ابن عباس .

وقال جابر بن عبد الله ليزيدَ الفقير [١] : سمعتَ بمقام [٢] محمد ــ يعنى الذى يبعثه اللهُ فيه ؟

قلتُ : نعم . قال: فإنه مَقامُ محمدٍ المحمودُ الذى يُخْرِجُ اللهُ به مَنْ يُخْرِج ــ يعنى من النار ــ وذكر [٣] حديثَ الشفاعة فى إخراج الجهنَّميين [٤] .

وعن أنس نحوه ، وقال : فهذا المقامُ المحمودُ الذى وُعِدَه .

[وعن سَلْمان : المقامُ المحمودُ هو الشفاعةُ فى أُمته يومَ القيامة .

ومثلُه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وقال قَتَادة : كان أهلُ العلمِ يَرونَ المقام المحمودَ هو شفاعتَه يوم القيامة ؛ وعلى أن المقامَ [٥] المحمودَ مقامُه عليه الصلاة والسلامُ للشفاعةِ مذاهبُ السلَفِ من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين .

وبذلك جاءت الشفاعةُ مفَسَّرةً فى صحيح الأخبار عنه عليه الصلاةُ والسلامُ ؛ وجاءت مقالةٌ فى تفسيرها شاذّةً عن بعض السلف [٦] ، يجبُ ألّا تثبتَ ؛ إذا لم يعضدها صحيحُ أثر ، ولا سنَد نظر .

ولو صحّتْ لكان لها تأويلٌ غيرُ مستَنْكَر ؛ لكن ما فسّره النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى صحيح الآثار يردُّه ؛ فلا يجبُ أن يُلتفَتَ إليـــه ، مع أنه لم يأتِ

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٧٩

(٢) سمعت : أى رويت فيه شيئا يفسره . ورواية مسلم : هل سمعت ؟

(٣) وذكر : أى جابر . والحديث بتمامه فى مسلم : ١٧٩

(٤) المنسوبون لجهنم ؛ لأنهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم . وهذا بعض الحديث الذى رواه مسلم كما تقدم .

(٥) وعلى أن المقام المحمود : أى وكانوا على أن المقام المحمود . . .

(٦) وهو مجاهد ؛ يقول : إنه يجلسه معه على العرش .

فى كتاب ولا سُنّةٍ ، ولا اتّفقَ على المقالِ أُمّةٌ ؛ وفى إطلاق ظاهره منكَرٌ من القول وشُنْعَةٌ][1] .

وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما[2]، دخل حديثُ بعضهم فى حديث بعض :

قال صلى اللهُ عليه وسلم: يجمعُ اللهُ الأوّلين والآخِرين يوم القيامة فيَهْتَمُّون[3] — أو قال : فيُلْهَمُون ؛ فيقولون : لو استَشْفَعْنا إلى ربِّنا[4] .

ومن طريقٍ آخَر ، عنه : ماج[5] الناسُ بعضُهم فى بعض .

وعن أبى هريرة[6] : وتَدْنو الشمس[7] ، فيبلغُ الناسَ من الغَمّ ما لا يُطيقون ولا يحتملون ؛ فيقولون : ألا تَنْظُرون مَنْ يشفَعُ لكم ؛ فيأتون آدمَ فيقولون ؛ زاد بعضُهم : أنْتَ آدمُ أبو البَشَر ، خلقك الله بيَدِه[8] ، ونفخَ فيك مِنْ رُوحِه ، وأسْكَنَكَ جنّته ، وأسْجَدَ لك ملائكتَه ، وعلّمكَ أسماءَ كلِّ شىء ، اشْفَع لنا عند ربّكَ حتى يُريحَنا مِنْ مكاننا[9] ؛ ألا تَرَى [٧٤] ما نحن فيه ؟

---

(١) ما بين القوسين ليس فى ا ، وهو فى هامش ب ، وعليه علامة الصحة ، وقد أثبت هذه الزيادة القارى فى شرحه أيضا : ١ — ٤٦٣

(٢) فى حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : وصحيح البخارى : ٩ — ١٤٩ ، وابن ماجه : ١٤٤٢

(٣) فيهتمون : من الهم والحزن ، أو من العزم والتصميم . ويلهمون : من الإلهام ؛ أى يلهمهم الله سؤال ذلك .

(٤) لو استشفعنا إلى ربنا : لو طلبنا من يشفع لنا عند الله فى أن يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته — وهذا ما تمنوه .

(٥) ماج الناس بعضهم فى بعض : دخل بعضهم فى بعض واختلطوا لاضطرابهم .

(٦) فى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ — ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠

(٧) تدنو الشمس : تقرب من رءوس أهل الموقف . وفى ا : فتدنو .

(٨) بيده : أى أوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة أم ولا أب .

(٩) من مكاننا : مكانهم هو المحشر .

فيقول : إنَّ رَبّى غَضِبَ اليومَ غَضباً لم يغضَبْ مثلَه(١) ، ولا يغضب بعده مِثْلَه ، ونهانى عن الشَّجَرةِ فعصَيْتُ ؛ نَفْسى ، نَفْسى ؛ اذهبُوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نُوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : أنتَ أولُ الرسُلِ إلى أهل الأرضِ ، وسمَّاكَ اللهُ(٢) عَبْدًا شَكُورا ، ألَا تَرَى ما نحن فيه ؛ ألَا تَرَى ما بلغَنا(٣) ! ألَا تَشْفَع لنا إلى ربِّك ؟ فيقول : إنّ رَبّى غَضِبَ اليومَ غضباً لم يغضَبْ قبله مِثْلَه ، ولا يغضبُ بعده مِثْلَه ، نفسى ! نَفْسى !

قال — فى رواية أنس : ويذكر خطيئتَه التى أصاب(٤) : سؤاله ربَّه بغير علم(٥) .

وفى رواية أبى هريرة رضِىَ اللهُ عنه : وقد كانت لى دعوةٌ دعوتُها على قَوْمى ؛ اذهَبُوا إلى غيرى . اذهبوا إلى إبراهيم ؛ فإنه خليلُ اللهِ .

فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنتَ نبىُّ اللهِ وخليلُه من أهل الأرض(٦) ، اشفَع لنا إلى ربِّكَ ، ألَا تَرى ما نحْنُ فيه ؟

فيقول : إنَّ ربى قَدْ غضِب اليومَ غضبًا . . . فذكر مثْلَه ؛ ويذكر ثلاثَ

---

(١) أى أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه ، مريدا إيقاع العذاب الذى فى الآخرة بإدخالهم النار ؛ وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده ؛ فلهذا خاف آدم عليه السلام ، وقال : ونهانى . . .

(٢) فى الآية ٣ من سورة الإسراء : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » . على الأصح من أن الضمير راجع إلى نوح . (٣) ما بلغنا : ما وصل إلينا منه .

(٤) الأنبياء عليهم السلام معصومون ، ولكن لشدة تعظيمهم لله ، وخوفهم منه ، يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا ذنبا عظيما ، والمراد بخطيئته ما فسره بقوله : سؤاله ربه . . .

(٥) سؤاله هو قوله : « رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق . . . » .

(٦) وخليله من أهل الأرض : أى انفردت من بينهم بالخلة — كما تقدم .

كلمات كَذَبَهُنّ[١] . نَفْسِي ، نَفْسِي ، لستُ لها[٢] ، ولكِنْ عليكم بمُوسى ؛ فإنّه كَلِيمُ اللهِ .

وفي روايةٍ : فإنه عَبْدٌ آتاه اللهُ التوراةَ ، وكلَّمَه وقرّبه نَجِيًّا[٣] .

قال : فيأْتُون موسى ؛ فيقول : لستُ لها ، ويذكر خَطِيئَته التى أصاب[٤] ، وقَتْلَه[٥] النفسَ ، نفسى ، نفسى ؛ ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه رُوحُ اللهِ وكلِمَتُه .

فَيأْتُونَ عيسى ؛ فيقول : لستُ لها ، ولكن عليكم بمحمد ، عَبْدٍ غفر اللهُ له ما تقدمَ من ذَنبِه وما تأَخَّرَ[٦] .

فأُوتَى[٧] ، فأقول : أَنَا لَهَا[٨] .

فأَنْطَلِقُ فأستأْذِنُ على ربّى ، فيُؤْذَنُ لى ، فإذا رأيتُه وقعْتُ ساجِدًا .

وفى روايةٍ ، فآتِي تحت العَرْشِ ، فأَخِرُّ ساجدا .

---

(١) هى قوله : إنى سقيم — لما دعى إلى الخروج مع قومه . وقوله لزوجته — لما طلبها الملك منه : إنها أختى . ولقوله فى حق الأصنام : لعله كبيرهم . وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده . وهى فى الصورة كذبات ، فقد أراد بقوله : إنى سقيم : سأسقم ؛ لأن من عاش يسقم أو يهرم ويموت . وقوله أختى : أختى فى الإسلام . وبقوله: فعله كبيرهم : التبكيت ، بدليل قوله: إن كانوا ينطقون .

(٢) لست لها : لست أهلا للشفاعة لغيرى .

(٣) قربه نجيا : أى جعله قريبا منه ، مناجيا له ، ومخاطبا . والقرب ليس مكانيا .

(٤) هى التى وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله : « وما أعجلك عن قومك ياموسى » !

(٥) هو القبطى الذى استغاثه الإسرائيلى عليه فوكزه موسى فمات .

(٦) غفر الله له كل ماصدر منه مما يعاتب عليه، وإن لم يكن معصية ؛ لعصمته من الذنوب. ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه .

(٧) فأوتى : فيأتينى أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم .

(٨) أنا لها : أنا أهل للشفاعة ، مدخر لها .

وفى روايةٍ : فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامِدَ لا أقدر عليها[1] إلّا أن يُلهِمَنيها الله[2] .

وفى روايةٍ : فيفْتَح اللهُ علىّ مِنْ محامِدِهِ ، وحُسْنِ الثناء عليه شيئا لم يفتحْهُ على أحدٍ قَبْلى[3] .

قال – فى رواية أبى هريرة : فيُقال : يامحمّدُ ، ارْفَعْ رأسَك ، سَلْ[4] ، تُعطَه ، واشفَعْ تشفَّع ؛ فأرفَعُ رَأْسى ، فأقول : يارب ، أُمتى[5] ؛ يارب ، أمتى . فيقول : أَدْخِلْ من أُمتكِ مَنْ لا حِسابَ عليه[6] من الباب الأيمن من أبواب الجنة ؛ وهم شركاء الناسِ فيما سِوَى ذلك من الأبواب .

ولم يذكُرْ فى رواية أَنَس هذا الفصلَ ، وقال – مكانه : ثم أَخِرّ ساجدا؛ فيقال لى : يا محمد ، ارفَعْ رأسك ، وقُلْ يُسْمَع لك ، واشفَعْ تشفَّع ، وسَلْ تُعْطَه . فأقول: يارَبِّ ، أمتى ، أمتى . فيقال : انطلِقْ[7] ، فمَنْ كان فى قَلْبه مِثْقَالُ حبّةٍ من بُرَّةٍ أو شَعِيرةٍ من إيمان[8] فأَخْرِجْه ، فأَنطلِقُ فأَفْعَلُ .

ثم أرجِعُ إلى ربى ، فأَحْمَدُه بتلك المحامِدِ[9] . . . وذكر مِثْلَ الأول ؛ وقال

---

(١) لا أقدر عليها : أى لا أحسنها ، ولا أعرف كيفيتها فى الدنيا .

(٢) إلا أن يلهمنيها الله : أى إلا أن يوقعها الله فى قلبى بإلهام منه .

(٣) المراد أنه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده .

(٤) سل : اسأل ما شئت من الشفاعة وغيرها .

(٥) أى ارحم أمتى ، أو أنج أمتى .

(٦) من لا حساب عليه : أى خواص أمتك المتقين الذين لاذنب لهم يحاسبون بسببه .

(٧) انطلق : اذهب من مقام الشفاعة المقرب . . .

(٨) مثقال : موازن ، مواز ، ومقابل ، مقدار؛ أى من كان فى قلبه أقل قليل من الإيمان. والبرة : حبة من البر ، وهو القمح .

(٩) بتلك المحامد التى ألهمتها .

فيه : مثقال حبّةٍ من خَرْدل[١] . قال : فأفعل ، ثم أَرجع ... وذَكَر مِثْلَ ما تقدم ، وقال فيه[٢] : مَنْ كان فى قلبه أَدْنَى أَدْنَى أَدْنى[٣] مِنْ مثقالِ حبّةٍ من خَرْدل ؛ فأَفْعَلُ .

وذَكَر فى المرة الرابعة[٤] : فيُقَال لى : ارْفَع رَأْسَك ، وقُلْ يُسْمَع ، واشْفَعْ تشفَّع ، وسَلْ[٥] تُعْطَه .

فأقـــول : يارب ؛ ائْذَنْ لى فيمن قال[٦] : لا إله إلا الله . قال : ليس ذلكَ إليك[٧] .

ولـكن وعِزَّتى وكبريائى وعظَمَتى وجِبْريائى[٨] لأُخْرِجَنّ مِنَ النار مَنْ قال : لا إله إلا الله .

ومِنْ رواية قَتَادة عنه ؛ قال : فأقول : يارب ، ما بَقِىَ فى النار إلا مَنْ حبَسه القرآنُ ، أى وجب عليه الخلود[٩] .

---

(١) حبة من خردل : حب معروف فى غاية الصغر . وهو كناية عن غاية قلة الإيمان .

(٢) كما رواه مسلم فى صحيحه : ١٨٣

(٣) أدنى : أقل ، وأصغر .

(٤) فى المرة الرابعة : من رجوعه إلى ربه ومراجعته له فى الشفاعة ، فإنه وقع مرارا فى رواية البخارى : صحيح البخارى : ٩ — ١٤٩

(٥) فى ا : واسأل .

(٦) أى من نطق بكلمة التوحيد .

(٧) ليس ذلك إليك : ليس ذلك مفوضا إليك ، بل إلى .

(٨) العزة : الغلبة والقهر . والـكبرياء : الترفع عن الانقياد . والعظمة : ظهور ذلك وزيادته ، وجبريائى : وجبروتى .

(٩) فى صحيح البخارى (٩ — ١٤٨) : ووجب عليه الخلود ؛ أى لم يبق بعد هؤلاء الخارجين إلا من حكم الله فى القرآن بخلوده فى العذاب ، ولم يؤذن فى الشفاعة لهم .

وعن أبى بكر ، وعُقبة بن عامر ، وأبى سَعِيد[1] ، وحذيفةَ مثلَه ؛ قال[2] : فيأتون [٧٥] محمدا فيُؤذَن له ، وتأتى الأمانةُ والرحِمُ فتقومان جَنْبَتَى[3] الصراط .

وذكر فى رواية أبى مالك[4] ، عن حذيفة : فيأتون محمدا فيَشْفَع ؛ فيُضْرَبُ[5] الصراطُ ، فيمرُّون : أولُهم[6] كالبَرْقِ ، ثم كالرِّيح ، والطير ، وشدّ الرِّجَال[7] ، ونبيُّكم صلَّى اللهُ عليه وسلم على الصراط يقول : اللهمّ سلِّم سلِّمْ ، حتى يَجْتاز[8] الناس . وذكر آخِرَهم جَوَازا[9] . . . الحديث .

وفى رواية أبى هريرة : فأكون أوّل من يُجيز[10] .

وعن ابن عباس، عنه صلى اللهُ عليه وسلم : يوضَعُ للأنبياء مَنَابِرُ يجلسون عليها ، ويَبْقَى مِنْبَرى لا أجلس عليه قائما[11] ، بين يَدَىْ رَبى مُنْتَصبا ، فيقول الله تباركَ وتعالى : ما تُريدُ أنْ أصنَعَ بأمّتِكَ ؟ فأقول : يا ربّ ، عَجِّل حسابَهم ؛ فيُدْعى بهم ، فيُحَاسَبُون .

(١) برواية الترمذى : ٥ ـ ٣٠٨

(٢) قال : أى كل واحد منهم .

(٣) جنبتى: ناحيتى . والأمانة: ضد الخيانة . والرحم: القرابة . يعنى أنهما يمثلان أو يجسمان بقدرة الله ، ليشهدا على الخائن ، وقاطع الرحم .

(٤) فى سنن أبى داود : ٢ ـ ٢١٦

(٥) يضرب الصراط : يوضع على متن جهنم جسرا ممدودا (شرح القارى : ١ ـ ٤٧٠).

(٦) أولهم كالبرق : فى السرعة .

(٧) قال الخفاجى : يروى بالجيم جمع رجل . وبالحاء أى بالرحال : جمع راحلة . والشد : سرعة الجرى . وقال القارى : قد خطىء من رواه بالحاء المهملة .

(٨) يجتاز الناس : يمر الناس .

(٩) وذكر آخرهم جوازا : أى سمى آخر من يمر على الصراط .

(١٠) فهو أول من يجيز أمته من الرسل .

(١١) قائما : أى تاركا جلوسى حال قيامى .

فمنهم مَنْ يدخُلُ الجنةَ برحمته ، ومنهم مَنْ يدخلُ الجنةَ بشفاعتى ، ولا أزال أشفَعُ حتى أُعْطَى صِكَاكا[(١)] برجالٍ قد أُمِرَ بهم إلى النارِ ، حتى إنّ خازنَ النارِ ليقول : يا محمد ، ما تركْتَ لغضَبِ ربِّكَ فى أمتك من نِقْمَة[(٢)] .

ومن طريق زِيَاد النُّمَيْرى ، عن أنس[(٣)] — أنّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم قال : أنا أول مَنْ تنفلِقُ الأرض[(٤)] عن جُمْجمته ولا فَخْرَ ، وأنا سيّدُ الناس يوم القيامة ولا فَخْر ، ومعى لواء الحَمْد يوم القيامة[(٥)] ، وأنا أولُ مَنْ تُفْتَحُ له الجنةُ ولا فَخْر ، فآتى فآخذ بحلْقَةِ الجنةِ ، فيقالُ : مَنْ هذا ؟ فأقول : محمدٌ ؛ فيُفتَحُ لى ، فيستقبلُنى الجبَّارُ تعالى ، فأَخِرُّ له ساجدا . . . وذكر نحو ما تقدَّم .

---

(١) صكاك : جمع صك ، وهو الورقة التى تكتب للمصالح ؛ والمراد : كتبا .

(٢) الغضب : إرادة الانتقام . والنقمة : العذاب ؛ أى لم تدع أحدا ممن استحق العذاب يعذب .

(٣) هذا الحديث رواه البيهقى ، وأبو نعيم فى الحلية .

(٤) تنفلق : تنشق . والفلق : شق الشىء وإبانة بعضه من بعض .

(٥) المراد لواء الرياسة العظمى الذى يحمده ويغبطه به سائر الخلق ، لتفرده — صلى الله عليه وسلم — به ، وهو على حقيقته ، أو كناية عن تقدمه على غيره .

وفى هامش ب : قيل إنما نفى الفخر الذى هو الكبر الواقع فى الناس المنهى عنه .

قال الخطابى — رحمه الله : وما زلت أسأل عن قوله : « لواء الحمد بيدى » حتى وجدته فى حديث روى عن عقبة بن عامر : إن أول من يدخل الجنة الحمادون لله تعالى على كل حال ؛ يعقد لهم لواؤه فيدخلون الجنة .

وقوله — صلى الله عليه وسلم : « ولا فخر » — ساكنة الخاء ؛ يريد أنه لا يذكر ذلك على مذهب الفخر الذى هو الكبر ؛ وعامة الناس يفتحون الخاء ، وهو خطأ ، وصوابه سكونها ، والله أعلم .

ومن رواية أنس[١] : سمعتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقول : لأشْفَعَنَّ يوم القيامة لأكثر مما فى الأرضِ من حَجَر وشَجَر .

فقد اجتمع من اختلافِ ألفاظِ هذه الآثار أنّ شفاعَته ـ صلى اللهُ عليه وسلم ، ومقامه المحمودَ من أولِ الشفاعات إلى آخرِها[٢] ، من حين يجتمعُ الناسُ للحَشْرِ ، وتَضِيق بهم الحناجرُ ، ويبلغُ منهم العرَقُ والشمسُ والوقوفُ مَبْلَغَه[٣] ، وذلك قبلَ الحساب ، فيشفَعُ حينئذ لإراحةِ الناس من الموقف ، ثم يُوضَعُ الصِّرَاطُ ، ويحاسَبُ الناسُ ، كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة وحُذيفةَ .

وهذا الحديثُ أتْقَنُ[٤] ؛ فيشفَعُ فى تعجيل مَنْ لا حسابَ عليه من أمتـه إلى الجنة ـ كما تقدم فى الحديث ـ ثم يشفَعُ فيمن وجب عليه العذَابُ ، ودخل النارَ منهم حَسْبَ[٥] ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ، ثم فيمن قال : لا إله إلا الله . وليس هذا لسِوَاهُ صلّى اللهُ عليه وسلم .

وفى الحديث المُنْتَشر الصحيح[٦] : لـكلّ نبيٍّ دَعوةٌ يدعُو بها ، واختبأتُ دَعْوتى شفاعةً لأُمّتى يوم القيامة .

---

(١) هكذا فى ا ، ب ، وفى هامش ا : أنيس ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى : هو الصواب . وفى الاستيعاب (١ ـ ١١٤) : أنيس : رجل من الأنصار ، روى عنه شهر ابن حوشب ، ولم ينسبه ، ولم يرو عنه غيره ـ حديثه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر ـ إسناده ليس بقوى .

(٢) الشفاعات : هى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس ؛ وشفاعته لدخول أهل الجنة الجنة ؛ وللمذنبين فى العفو عن ذنوبهم ، ولمن أمر به إلى النار ، ولمن قال : لا إله إلا الله ؛ ولإخراج من دخل النار منها ، ولرفع درجات أهل الجنة ـ كما مر جميع ذلك فى الأحاديث السابقة .

(٣) مبلغه : نهايته .

(٤) أتقن : أكثر إتقانا من غيره .

(٥) حسب : مثل .

(٦) المنتشر : الشائع . وقد رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٨

قال أهلُ العلم: معناه[1] دعوةٌ أُعْلِمَ أنها تُستجابُ لهم، ويبلغُ فيها مرغوبُهم[2]، وإلا فكم لكلّ نبيّ منهم من دَعْوةٍ مستجابةٍ، ولنبيِّنا صلّى اللهُ عليه وسلم منها ما لا يُعَدُّ؛ لكن حالهم عند الدعاء بها بَيْنَ الرجاء والخوفِ[3]، وضُمِنَتْ لهم إجابةُ دعوةٍ فيما شاءوه، يَدْعونَ بها على يقينٍ مِن الإجابةِ.

وقد قال محمد بن زِيَاد، وأبو صالح، عن أبي هُريرة في هذا الحديث[4]: لكلّ نبيّ دعوةٌ دَعَا بها في أمته[5]، فاستُجيب له؛ وأنا أُريدُ أنْ أدَّخر[6]، دَعْوَتي شفاعة لأُمتي يوم القيامة.

وفي رواية أبي صالح[7]: لكل نبيّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجّلَ كلُّ نبيّ دعوته.

ونحوه في روايةِ أبي زُرْعةَ عن أبي هُريرة [٧٦].

وعن أنس مثْلُ رواية ابن زياد، عن أبي هريرة.

فتكون هذه الدعوةُ المذكورةُ مخصوصةً بالأُمة مضمونةَ الإجابةِ؛ وإلّا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأُمته أشياءَ من أمور الدين الدنيا وأُعطِي بعضها،

---

(١) معناه: معنى هذا الحديث: المقصود منه.

(٢) مرغوبهم: مطلوبهم.

(٣) بين الرجاء والخوف: بين الرجاء لإصابتها، والخوف من عدم قبولها.

(٤) في هذا الحديث وتفسيره.

(٥) سواء كانت لهم أو عليهم.

(٦) في ا: أؤخر: والمثبت في ب.

(٧) وهذا مما رواه الشيخان عنه: صحيح مسلم: ١٨٩

ومُنِع[١] بعضَها ، وادّخر لهم هذه الدعوةَ ليوم الفاقةِ[٢] ، وخاتمةِ المِحَن[٣] ، وعظيمِ السؤالِ والرغبة .

جزاهُ اللهُ أحسنَ ما جَزَى نبيًّا عن أمته ، وصلى الله عليه وسلّم كثيرا .

فصـــــل

فى تفضيله فى الجنة بالوَسيلة والدَّرَجةِ الرفيعة والـكوثر والفضيلة[٤]

حدثنا القاضى أبو عَبْد الله محمد بن عيسى التميمى ، والفقيه أبو الوليـــد هشامُ ابن أحمد ، بقراءتى عليهما[٥] ؛ قالا : حدثنا أَبو علىّ الغَسّانى ، حدثنا النَّمَرِىّ[٦] ، حدثنا ابنُ عبد المؤْمن ، حدثنا أبو بكر التمّار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن سَلَمة ، حدثنا ابنُ وَهْب ، عن ابن لَهِيعة ، وحَيْوَةَ ، وسَعِيد بن أَبى أيوب ، عن كعب[٧] ابن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص — أنه سمع

---

(١) هذا إشارة إلى ما فى الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال : سألت الله عز وجل ثلاث خصال ؛ فأعطانى ثنتين ، ومنعنى واحدة ؛ سألته ألا يهلـكنا بما أهلك به الأمم ، فأعطانيها ؛ وسألته ألا يظهر علينا عدوا من غيرنا ، فأعطانيها ؛ وسألته ألا يلبسنا شيعا — وفى رواية : يذيق بعضنا بأس بعض ، فمنعها .

(٢) الفاقة : شدة الحاجة . والمراد به يوم القيامة .

(٣) المحن : جمع محنة ؛ وهى البلية المحيرة ؛ يعنى هول الموقف ؛ إذ لا بلية بعده إلا النار .

(٤) بالوسيلة : حقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحرى مكارم الشريعة ، والمراد بها منزلة عالية فى الجنة . والدرجة الرفيعة : المنزلة . والفضيلة : من الفضل ضد النقص .

(٥) فى ا : عليه . والمثبت فى ب .

(٦) هو ابن عبد البر .

(٧) فى ب : عن كعب ، عن علقمة : قال القارى (١ — ٤٧٤) : والمثبت فى الأصل هو الصواب .

النبيّ — صلى اللهُ عليه وسلم — يقول[١] : إذا سمعتُم المؤذِّن فقولوا مثْلَ ما يقول[٢] ، ثم صلّوا عليّ ؛ فإنه مَنْ صلّى عليّ مرةً صلّى اللهُ عليه عشرا ؛ ثم سَلُوا الله لي الوسيلة[٣] ؛ فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنْبَغي[٤] إلّا لعبدٍ مِنْ عبادِ الله ؛ وأرجو أن أكونَ أنا هو . فمَنْ سألَ الله لي الوسيلَة حلَّت[٥] عليه الشفاعةُ .

وفي حديث آخر — عن أبي هريرة[٦] : الوَسيلةُ أعلى درجةٍ في الجنّةِ .

وعن أنس[٧] : قال رسولُ اللهِ صلّى عليه وسلم : بينا أنا أسِيرُ[٨] في الجنّة إذ عَرَض لي نهرٌ حافتاه قِبابُ[٩] اللؤلؤ .

قلت لجبريل : ما هذا ! قال: هذا الكَوْثَرُ الذي أعطاكَهُ الله. قال: ثم ضرب بيده إلى طِينهِ ، فاستخرج مِسْكا[١٠] .

---

(١) صحيح مسلم: ٢٨٨ ، وصحيح البخاري ١ — ١٥٠ ، وسنن أبي داود : ١ — ٥٥ ، وسنن الترمذي : ١ — ٤٠٧

(٢) قال في نسيم الرياض (٢ — ٣٩٣): غير الحيعلتين (حي على الصلاة، حي على الفلاح) ؛ فإنه يقال عند سماعهما : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول عند قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها. وهذا الاستثناء الذي ذكره الخفاجي في حديث لمسلم: ٢٨٩ ، وصحيح البخاري: ١ — ١٥٠

(٣) أي ادعوا الله أن يؤتينيها فقولوا : اللهم آت محمدا الوسيلة . وفي ب : اسألوا .

(٤) لاتنبغي : لايليق إعطاؤها .

(٥) حلت عليه الشفاعة : وجبت . أو نزلت عليه . (٦) رواه الترمذي : ١ — ٤٠٧

(٧) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٦ — ٢١٩

(٨) الظاهر أن سيره هذا كان مناما . ويحتمل أن يكون يقظة في الإسراء (نسيم الرياض : ٢ — ٣٩٤) .

(٩) قباب : جمع قبة . وفي صحيح البخاري : حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا .

(١٠) أي أخرج من قعره — ليعرفه بفضله ، وأن طينه مسك . وفي ن : طينة ، طينة ، وعليها معاً ، والمثبت في ا .

وعن عائشة وعبد الله بن عَمْرو مثلُه؛ قال: ومَجْراه[1] على الدرِّ والياقوت، وماؤه أحلى من العَسل، وأبيضُ من الثَّلْج.

وفى رواية — عنه: فإذا هو يَجْرِى، ولم يَشُقّ شقًّا[2]، عليه حَوْض تَرِدُ عليه أُمتى[3] . . . وذكر حديثَ الحَوْضِ.

ونحوه عن ابْنِ عباس[4].

وعن ابن عباس أيضا، قال: الكوثَرُ[5] الخير الذى أعطاه اللهُ إياه.

وقال سَعِيد بن جُبَير: والنهرُ الذى فى الجنةِ من الخير الذى أعطاهُ اللهُ.

وعن حُذَيفة — فيما ذَكر صلّى اللهُ عليه وسلم عن رَبّه: وأعطانى الكوثَرَ، وهو نهر فى الجنة، يَسيلُ فى حَوْضى[6].

وعن ابن عباس — فى قوله تعالى[7]: ﴿ولسوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾؛ قال: ألفُ قصرٍ من لُؤلؤ تُرَابُهنّ المِسْكُ، وفيه[8] ما يُصْلحهنّ.

وفى روايةٍ أُخرى: وفيه ما ينبغى[9] له من الأَزْواج والخَدَم.

---

(١) أى إن طينه مسك وحصاه الدر والياقوت.

(٢) أى لا يشق الأرض بشدة جريه؛ وكذا سائر أنهار الجنة تجرى من غير أن تتخذ أخدودا.

(٣) ترد عليه أمتى: يأتونه للشرب منه.

(٤) سيأتى.

(٥) لعل ابن عباس أراد بيان المعنى اللغوى للكوثر. (نسيم الرياض: ٢ — ٣٩٦). والحديث فى صحيح البخارى: ٦ — ٢١٩

(٦) كان يفسره بالحوض، لأن ماءه منه.

(٧) سورة الضحى، آية ٥ (٨) وفيه: فى كل قصر.

(٩) ما ينبغى له: ما يناسبه ويليق به.

فصـــل

[في بيان شبهة ترد على ما تقدم][1]

فإن قلتَ : إذا تقرّر مِنْ دليلِ القرآن ، وصحيح الأثر ، وإجماع الأمة ـ كونه أكرمَ[2] البشر ، وأفضلَ الأنبياء ـ فما معنى الأحاديث الواردة بنَهْيِه عن[3] التفضيل؟ كقوله[4] ـ فيما حدثنا الأسَديُّ ؛ قال : حدثنا السَّمَرْقَنْديّ ، حدثنا الفارسيّ ، حدثنا الجُلُوديّ ، حدثنا ابنُ سفيان ، حدثنا مسلم ، حدثنا ابنُ مثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبة ، عن قَتَادة : سمعتُ أبَا العالية يقول : حدثنى ابنُ عمِّ نبيِّكم صلّى اللهُ عليه وسلم ـ يعنى ابنَ عباس ، عن النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ قال : ما ينبغى[5] لعَبْدٍ أن يقولَ : أنا خيرٌ من يونُس بن مَتّى .

وفى غير هـذا الطريق عن أبى هريرة [٧٧] قال ـ يعنى رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : ما ينبغى لعبدٍ . . . الحديث .

وفى حديث أبى هريرة[6] ـ فى اليهوديّ الذى قال : والذى اصطفى موسى على البَشَر ؛ فلطمه رجلٌ من الأنصار ، وقال : تقولُ ذلك ورسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم بين أظْهُرِنا[7] .

فبلغ ذلك النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، فقال : لا تفضّلوا بين الأنبياء .

---

(١) من نسيم الرياض (٢ ـ ٣٩٧) . (٢) أكرم البشر : أشرف بنى آدم .

(٣) عن التفضيل بين الأنبياء ، والناهية عن تفضيله عليهم .

(٤) فى حديث رواه الشيخان ، ورواه المصنف من طريق مسلم (صحيح مسلم : ١٨٤٦) .

(٥) ما ينبغى : ما يصح ، ولا يجوز .

(٦) الذى رواه الشيخان فى رجل من الأنصار تنازع مع يهودى بالمدينة (صحيح مسلم : ١٨٤٣) .

(٧) بين أظهرنا : أى مع وجود النبى صلى الله عليه وسلم بيننا ، وهو أفضل من موسى وغيره .

وفى رواية (١) : لا تخيِّرونى على موسى ـ فذكر الحديث .

وفيه : ولا أقولُ : إن أحدا أفضَلُ من يونس بن متى .

وعن أبى هريرة (٢) : مَنْ قال : أنا خيرٌ من يونس بن متّى فقد كذب .

وعن ابْنِ مسعود : لا يقولَنَّ أحَدُكم أنا خيرٌ من يونس بن متّى .

وفى حديثه الآخر (٣) : فجاءه صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال له: يا خَيْرَ البَرِيّة (٤) ؛ فقال : ذاك إبراهيم . . .

فاعلَمْ (٥) أنَّ للعلماء فى هذه الأحاديثِ تأويلاتٍ :

أحدها ـ أنَّ نَهْيَه عن التفضيل كان قَبْل أنْ يعلمَ أنه سيّدُ وَلَدِ آدمَ ؛ فنَهى عن التفضيل ؛ إذ يحتاج إلى توقيف (٦) ؛ وأنَّ مَنْ فضَّل بلا عِلْمٍ فقد كذَبَ .

وكذلك قوله : لا أقولُ إنَّ أحداً أفضلُ منه (٧) ـ لا يقتضى تفضيلَه هو ؛ وإنما هو فى الظاهر كفٌّ (٨) عن التفضيل .

الوجه الثانى ـ أنه قاله صلَّى اللهُ عليه وسلم على طريقِ التواضُع ، ونَفْى التكبُّر والعُجْب (٩) ؛ وهذا (١٠) لا يَسْلَم من الاعتراض .

---

(١) وهذه الرواية فى الصحيحين ، وسنن أبى داود ، والنسائى (صحيح مسلم: ١٨٤٤).
(٢) فى حديث رواه البخارى .
(٣) أى حديث ابن مسعود الذى رواه مسلم، وأبوداود، والترمذى (صحيح مسلم: ١٨٣٩).
(٤) البرية : الخلق كلهم .
(٥) فاعلم ـ جواب الشرط فى قوله أول الفصل : فإن قلت . . . وهو شروع من المصنف فى تحقيق المسألة والجمع بين الأحاديث المتعارضة فى التفضيل وعدمه .
(٦) توقيف : إعلام به من الله وسماع وإذن فيه .
(٧) أفضل منه : من يونس .
(٨) كف : امتناع ، أو منع لغيره .
(٩) العجب : أى عجبه وخيلاؤه بنفسه ومدحه لها . والتواضع : لين الجانب ، وخفض جناحه لغيره .
(١٠) وهذا الجواب .

الوجه الثالث : أَلَّا يُفَضَّل بينهم تفضيلا يُؤَدِّى إلى تنقُّصِ[1] بعضهم ، أو الغضّ[2] معه ، لاسيّما فى جهةِ يونس عليه السلام ؛ إذ أخبر اللهُ عنه بما أخبر[3] لئلا يقعَ فى نفسِ مَنْ لا يَعلَمُ[4] منهُ بذلك غَضَاضَةٌ[5] وانحطاطٌ من رُتبتِه الرفيعة؛ إذ قال تعالى عنه[6] : ﴿ إذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ ﴾ . ﴿ إذ[7] ذهب مُغَاضِباً فظنّ أنْ لَنْ نَقْدِر عليه ﴾ — فربما يُخَيَّل لمَنْ لا عِلْمَ عنده حَطيطَتُهُ[8] ، بذلك .

الوجه الرابع — مَنْعُ التفضيل فى حقّ النبوّة والرسالة[9] ؛ فإن الأنبياء فيها[10] على حدٍّ واحدٍ ؛ إذ هى شىءٌ واحدٌ لا يَتَفَاضَل ؛ وإنما التفاضُلُ فى زيادةِ الأحوالِ والخصوص ، والكرامات ، والرُّتب ، والألطاف[11] ؛ وأما النبوةُ فى نفسها فلا تتفاضَلُ ؛ وإنما التفاضلُ بأمورٍ أُخَر زائدة عليها ؛ ولذلكَ منهم رسلٌ ، ومنهم أولو عَزْمٍ[12] من الرسل ؛ ومنهم مَنْ رُفِعَ مكانا عليّا ؛ ومنهم مَنْ أُوتِىَ الحُكْم

---

(١) تنقص : وصفهم بما فيه نقص لهم وذم .

(٢) الغض منه : الغض : النقص والعيب .

(٣) أخبر عنه فى قوله تعالى : « ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم » .

(٤) من لا يعلم منه : من يونس وماقص من قصته .

(٥) غضاضة : نقص وحقارة يتوهمها من لا علم عنده .

(٦) سورة الصافات ، آية ١٤٠ . وأبق إلى الفلك المشحون : خرج إلى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع . والإباق : هروب العبد من سيده ، أطلق على يونس إذ خرج بغير إذن ربه .

(٧) سورة الأنبياء، آية ٨٧ : مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته. لن نقدر عليه: لن نريد عقوبته.

(٨) حطيطته : نقصه ، ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل .

(٩) فى حق النبوة والرسالة نفسهما لا الأنبياء والرسل . (١٠) فيها : فى النبوة .

(١١) الأحوال : العوارض الطارئة عليها. والخصوص : أى ماخص به بعضهم دون بعض. والألطاف : العطايا التى أعطاها الله بعضهم .

(١٢) العزم : القوة والشدة والتصميم على تنفيذ مايراه أولى به وبغيره .

صَبِيًّا[١] ؛ وأوتِيَ بعضُهم الزُّبُرُ ، وبعضُهم البيِّنات ؛ ومنهم مَنْ كلَّمَ اللهُ ؛ ورفع بعضَهم فَوْقَ بعضٍ درجاتٍ ؛ قال اللهُ تعالى[٢] : ﴿ ولقد فَضَّلْنا بعضَ النبيِّين على بعض وآتينَا داودَ زَبُورا ﴾ .

وقال[٣] : ﴿ تلكَ الرسلُ فضَّلْنَا بعضَهم على بَعْض ﴾ .

قال بعضُ أهلِ العِلْمِ : والتفضيلُ المرادُ لهم هنا في الدنيا؛ وذلك بثلاثة أحوال: أن تـكونَ آياتُه ومعجزاتُه أَبْهَرَ[٤] ، وأشهر ؛ أو تـكونَ أمتُه أَزْكَى[٥] وأكثر ؛ أو يكونَ في ذاته أفضلَ وأَظْهر[٦] ، وفضْلُه في ذاته راجعٌ إلى ما خصَّه اللهُ به من كرامتِه ، واختصاصِه من كلامٍ أو خُلّةٍ أو رُؤْية أو ما شاء اللهُ من أَلطافِه[٧] ، وتُحَفِ ولايته ، واختصاصِه .

وقد رُوِي[٨] أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلم قال: إنّ للنبوّة أثقالًا[٩]؛ وإنّ يونس تفسَّخ منها تفسُّخَ الرُّبَع[١٠] ؛ فحفِظَ رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم مَوْضِعَ الفِتْنة[١١] ،

---

(١) هو يحيى ، أو عيسى . (٢) سورة الإسراء ، آية ٥٥

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٥٣ (٤) أبهر : أقوى وأغلب .

(٥) أزكى : أنقى ، وأطهر . (٦) في ا : وأظهر .

(٧) ألطافه : الألطاف : العطايا .

(٨) وهذا رواه ابن أبي حاتم، والحاكم في مستدركه — وهو رجوع إلى تنزيه يونس عليه السلام عما ذكر من الأوهام .

(٩) أثقالا : أحمالا ثقيلة ، أي تـكاليف مثقلة .

(١٠) تفسخ : أي تقطعت أعضاؤه ، وتفـككت ، لعدم طاقته بحملها . أو انسلخ منها وتجرد عنها . والربع : الفصيل ؛ أي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع. والمراد أنه لم يطق مشاقها ، ولم يصبر عليها .

(١١) موضع الفتنة : أي ما يقع الناس بسببه في فتنة وأمر محذور ؛ من تنقيص الأنبياء عليهم السلام ، فحفظ رسول الله بنهيه عن التفضيل بينهم .

مِنْ أوهامِ مَنْ يسبقُ إليه بسببها حَرَجٌ فى نُبوّته[١] ، أو قَدْحٌ فى اصْطِفائه[٢] ، وحَطٌّ عن رُتْبته ، ووَهنٌ فى عصمته[٣] ، شفقةً منه صلّى اللهُ عليه وسلم على أُمّته[٤] .

وقد يتوجّهُ على هذا الترتيب[٥] ، وجْهٌ [٧٨] خامس ؛ وهو أن يكون « أنا » راجعا إلى القائل نَفْسِه ؛ أى لا يظنُّ أحَدٌ — وإن بلغ من الذّكاءِ والعِصْمَةِ والطهارة[٦] ، ما بلغ — أنه خَيْرٌ من يونس ، لأجل ما حَكَى اللهُ عنه[٧] ؛ فإنّ درجةَ النبوّةِ أفضلُ وأعْلَى ، وإنّ تلك الأقدارَ لم تحطّه[٨] ، عنها حبَّةَ خَرْدَلٍ ولا أدْنَى .

وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا إن شاء اللهُ تعالى .

فقد بان لكَ الغَرَضُ ، وسقط بما حرّرْناهُ شُبْهَةُ المُعْتَرِض ؛ [وبالله التوفيق ، وهو المستعانُ لا إله إلا هو][٩] .

---

(١) أى صانه مما يتوهم من يسبق إليه — بسبب الفتنة ، أو بسبب قصة يونس — حرج ؛ أى ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضى عدم العصمة .

(٢) قدح : القدح : ذكر المعايب والنقائص . والاصطفاء : الاختيار ، والتفضيل .

(٣) الحط : تنزيل له من علو مقامه . والوهن : الضعف . أى عد عصمته فيها ضعفا لما توهمه من ظاهر قصته السابقة ؛ فلذا نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه ؛ لتساويهم فى حقيقة النبوة وإن تفاوتت أحوالهم وصفاتهم .

(٤) خوفا أن يقع منهم مالا يليق بمقام النبوة ، فيكون منهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله تعالى وعقابه .

(٥) على هذا الترتيب : على ما رتبناه من الاختصاص بأمور أكرمه الله تعالى بها .

(٦) العصمة : الحفظ من الذنوب . والطهارة : البراءة من الأوزار .

(٧) ماحكى الله عنه : ما قصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه ، لتماديهم فى غيهم وعدم إجابتهم دعوته للإيمان .

(٨) الأقدار : جمع قدر ؛ أى ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة . لم تحطه : لم تنزل بيونس عن درجته .

(٩) ليس فى ا .

فصل

في أسمائه[١] : صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عِمْران موسى بن أبي تَليد الفقيه ؛ قال: حدثنا أبو عُمَر[٢] الحافظ ، حدثنا سَعيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أَصْبَغ ، حدثنا محمد بن وَضَّاح ، حدثنا يحيى ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : لي خمسةُ[٣] ، أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يَمْحُو اللهُ بي الكفْر[٤] ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قدمي[٥] ، وأنا العاقِبُ[٦] .

وقد سمّاه اللهُ تعالى في كتابه محمدًا ، وأَحمدَ[٧] .

---

(١) كان الفصل المتقدم في فضائله ؛ ولما كانت أسماؤه صلى الله عليه وسلم دالة على فضائله أيضا ذكرها عقبه .

(٢) هو ابن عبد البر .

(٣) في نسيم الرياض (٢ — ٤٠٧) : قال السيوطي في كتاب الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة : إنه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية أسمائه . وقال المصنف فيما يأتي : قيل إنها موجودة في الكتب القديمة وعن الأمم السالفة .

ورد بأن فيها أكثر ؛ فالحق أن مفهوم العدد غير معتبر ؛ فلا يفيد الحصر . وقيل : المراد خمسة سماني بها ربي ، وباقيها أوصاف .

(٤) يمحو بي الكفر : يزيله ، وقيل : يمحو به سيئات من تبعه .

(٥) على قدمي : يحشرون على أثري .

(٦) وأنا العاقب : وأنا الآتي عقب الأنبياء عليهم السلام . وفي صحيح مسلم : العاقب : الذي ليس بعده نبي. وحديث أسمائه في صحيح مسلم: ١٨٢٨ ، وصحيح البخاري :٤—٢٢٥

(٧) كتابه : هو القرآن . فقال : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » ؛ وقال : « يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

فمن خصائصه تعالى له أنْ ضَمَّنَ أسماءه ثناءه ؛ وَطَوَى[١] أثناء ذِكْره عظيم شُكْره .

فأما اسْمُه أحمد فأفعل مبالغةً مِنْ صفَةِ الحَمْد .

ومحمد : مفعَّلٌ ، مبالغة من كَثْرَة الحَمْد ؛ فهو — صلى اللهُ عليه وسلم — أجلُّ مَنْ حَمِد ، وأفضل مَنْ حُمِد ، وأكثرُ الناس حَمْدًا ؛ فهو أَحْمَدُ المحمودين ، وأَحْمَدُ الحامِدِين ، ومعه لِواء الحَمْدِ[٢] يَوْمَ القيامة ليَتِمَّ له كمالُ الحمدِ ، ويَتَشَهَّرَ[٣] في تلك العَرَصَاتِ[٤] بصفةِ الحمدِ ، ويبعثُه ربُّه هناك[٥] مقاما محمودا كما وعده[٦] ؛ يَحْمَدُهُ فيه الأوّلون والآخرون بشفاعتِه لهم ، ويُفَتح عليه فيه[٧] من المحامد — كما قال

---

(١) طوى : كتم وأخفى . والمراد أخفى داخل ذكر النبي ؛ أي في أسمائه التي سماه بها شكره العظيم . وفي ب : فطوى .

(٢) اللواء : علم الجيش، وهو أكبر من الراية : أي إنه تحت أمره أو في قبضته ، وهذا يحتمل أنه على حقيقته ؛ ليعلم أنه صلى الله عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا محمودا . ومعنى لواء الحمد أنه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ؛ ويعلم ذلك بإلهام الله ، أو بنداء الملائكة .

ويحتمل أنه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف .

قال في نسيم الرياض (٢ — ٤١٠) : وعدم التأويل أسلم .

وانظر الهامش السابق .

(٣) هذا الضبط في ا . وفي ب : ضبط بفتح الياء ، وضمها ، وكتب عليه « معا » .

(٤) العرصات : جمع عرصة ؛ وعرصة الدار : ساحتها . والمراد أرض الموقف والحشر .

(٥) هناك : في العرصات .

(٦) كما وعده في قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .

(٧) فيه : في ذلك المقام .

صلى الله عليه وسلم – مالم يُعْطَ غيرهُ ، وسَمَّى أُمَّتَه فى كتُب أنبيائه بالحمّادين[١] ؛ فحقيقٌ أن يسمَّى محمدا وأحمد[٢] .

ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه ، وبدائع آياته – فنٌّ[٣] آخر ؛ وهو أنَّ اللهَ جلَّ اسْمُه حمى[٤] أن يسمَّى بهما أَحَدٌ قبل زَمانه[٥] .

أمّا أحمـدُ الذى أتَى فى الكُتب وبَشّرت به الأنبياء فمنع اللهُ تعالى بحكمته أنْ يُسمَّى به أحدٌ غيره ، ولا يُدْعَى[٦] به مَدْعوٌّ قَبْلَه حتى لايدخلَ لَبْسٌ على ضَعِيفِ القَلْب[٧] أو شَكٌّ .

وكذلك محمـد أيضا لم يُسمَّ به أحدٌ من العرَبِ ولا غيرهم إلى أنْ شاعَ قُبَيلَ وجودِه صلى الله عليه وسلم وميلادِه أنْ نَبِيًّا يُبْعثُ اسْمُه محمد ؛ فسمَّى قومٌ قليلٌ من العرب أبناءَهم بذلك ؛ رجاءَ أن يكونَ أحدَهم هو. واللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رِسالاته؛ وهم : محمد بن أُحَيْحة بن الجُلاح الأَوْسى ، ومحمـد بن مَسْلَمة الأنصارىّ ، ومحمد

---

(١) بالحادين : المبالغين فى الحمد . كما فى حديث الدارمى عن كعب يحكى عن التوراة ؛ قال : نجد مكتوبا فيها : محمد رسول الله ، عبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ . . . . وأمته الحمادون يحمدون الله فى السراء والضراء، يحمدون الله فى كل منزل ،ويكبرونه على كل شرف، رعاة للشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها . . . . (شرح القارى : ١ – ٤٨٧) .

(٢) خليق : جدير ، وذلك لأنه إذا حمد بما لم يحمده غيره،وحمده الأولون والآخرون، وكثر حمد أمته كان جديرا بذلك .

(٣) فن آخر : نوع آخر ، غير ما تقدم .

(٤) حمى : منع ، وصان ، وحفظ .

(٥) ليعلم إذا سمى بها أنه النبى الموعود به .

(٦) يدعى : يسمى .

(٧) لبس : التباس واشتباه ، لعدم تمييزه . وضعيف القلب : من لاعقل له تام ، ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل ؛ فيتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شىء سبق له .

ابن بَرَاء[1] البكريّ ، ومحمد بن سُفْيان بن مُجاشع ، ومحمد بن حُمْران الجُعْفى ، ومحمد ابن خُزَاعيّ السُّلَمى ، لا سابعَ[2] لهم .

ويقال : أول مَنْ تسمَّى بمحمد محمد بن سُفْيان . واليمنُ تقول : بل محمد بن اليَحْمَد[3] من الأزد .

ثم حَمى اللهُ كلَّ مَنْ تسمَّى به[4] أنْ يَدَّعِيَ النبوّةَ أو يدّعيها أحدٌ له ، أو يظهر عليه سببٌ يشكِّكُ أحداً فى أمْره[5] حتى تحققت السِّمَتان[6] له صلَّى اللهُ عليه وسلم ، ولم ينازَعْ فيهما .

وأمّا قوله صلى اللهُ عليه وسلم : وأنا الماحى الذى يَمْحُو اللهُ بى الكُفْرَ ففُسِّر فى الحديث : ويكون مَحْوُ الكُفْرِ إمّا مِنْ مكّة[7] وبلادِ العرب ؛ وما زُوِى[8] له من الأرضِ ، ووُعِدَ أنه يبلغُه مُلْكُ أمته ؛ أو يكون المَحْوُ عامّا ، بمعنى الظُّهور والغَلَبة ؛ كما [٧٩] قال تعالى[9] : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه ﴾ .

[وقد ورد تفسيرُه فى الحديث أنه الذى مُحيت به سيئاتُ مَنَ اتَّبعه][10] .

---

(١) فى شرح القارى (١ — ٤٨٨) : محمد بن بداء — بباء موحدة ، فراء ممدودة . أو هو ابن بداء — بباء موحدة مفتوحة ، وتشديد دال مهملة بعدها ألف ممدودة .

(٢) قال فى نسيم الرياض (٢ — ٤١٤) : وفى سيرة مغلطاى زاد تسعة أو ثمانية . وسيأتى كلام فى هذا العدد بعد قليل .

(٣) ضبطت الميم فى ا بالفتح ، وفى ب : بالضم .

(٤) فى ا : من تسمى بمحمد . . .

(٥) أى شىء فى ذاته يكون سببا موقعا للناس فى شك أنه النبى الموعود .

(٦) السمتان : أى الصفتان اللتان هما المحمدية والأحمدية .

(٧) من مكة : بعد الفتح ؛ إذ أظهره الله تعالى عليهم ، ولم يبق بها منه عين ولا أثر .

(٨) زوى : جمع . (٩) سورة التوبة ، آية ٣٣

(١٠) ما بين القوسين كتب أمامه فى ا ، ب : من الأم ، من غير الرواية .
وروى هذا التفسير الذى ذكره المصنف للماحى — الحاكم فى مستدركه ، وأبو نعيم ، والبيهقى . =

وقوله : وأنا الحاشِرُ الذى يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمِى ؛ أى على زمانِى[1] وعَهْدى؛ أى ليس بَعْدِى نبىٌّ ، كما قال : وخاتَم النبيين .

وسُمِّى عاقِباً ؛ لأنه عَقَبَ[2] غَيْرَه من الأنبياء .

[وفى الصحيح : أنا العاقِبُ الذى ليس بعدى نبىٌّ][3] .

وقيل : معنى على قَدَمِى ؛ أى يُحْشَرُ الناسُ بمُشَاهدتى[4] ؛ كما قال تعالى[5] : ﴿ لتكونوا شُهَدَاء على الناسِ ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا ﴾ .

[وقيل على قَدَمِى : على سابِقَتِى ؛ قال الله تعالى[6] : ﴿ أَنَّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عند رَبِّهم ﴾ .

وقيل : على قَدَمِى : أى قُدَّامى ، وحَوْلى ؛ أى يجتمعون إلىّ يوم القيامة .

وقيل : على قدمِى : على سُنَّتِى][7] .

ومعنى قوله : لى خمسةُ أسماء : قيل : إنها موجودةٌ فى الكتُب المتقدمة ، وعند أُولى العِلْم من الأُمم السالفة ، [والله أعلم][8] .

= وقال ابن حجر فى شرح الشمائل: معناه أن من آمن به صلى الله عليه وسلم يمحى ذنب كفره، وما عمله فيه ؛ قال الله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفرلهم ما قد سلف » . وفى الحديث : الإسلام يجب ما قبله ؛ أى يهدم ما قبله . (نسيم الرياض : ٢ — ٤١٦) .

(١) قال السيوطى : حشر الناس فى زمان نبوته ؛ لأن ملته باقية ، لاتنسخ ، وليس بعدها شرع آخر .

(٢) عقب غيره من الأنبياء: خلفهم فى الخير. أو العاقب: الآخر، يعنى أنه لانبى بعده. وسيأتى.

(٣) ما بين القوسين ليس فى ا ، وهو فى هامش ب ، وعليه علامة الصحة .

(٤) بمشاهدتى : أى بقربى ، ومعى ، بمرأى منى .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٦) سورة يونس ، آية ٢

(٧) مابين القوسين ليس فى ب .

(٨) ليس فى ا .

وقد رُوى عنه صلى اللهُ عليه وسلم[1] : لى عشرةُ أسماء ، وذكَر منها : طه ، ويس ؛ حكاه مكّىّ .

وقد قيل فى بعض تفسير طه : إنه[2] يا طاهر ، يا هادى . وفى يس : ياسيِّدُ ؛ حكاه السُّلَمى عن الواسطى ، وجَعْفر بن محمد .

وذكر غَيْرُه : لى عشرةُ أسماء ؛ فذكر الخمسةَ التى فى الحديث الأول ؛ قال[3] : وأنا رسولُ الرحمةِ ، ورسولُ الراحةِ ، ورسولُ المَلَاحِم[4] ، وأنا المقْتَفِى ؛ قَفَّيْتُ[5] النبيين .

وأنا قَيِّم ؛ والقيِّمُ : الجامعُ الكامِلُ[6] ؛ كذا وجدتُه[7] ، ولم أَرْوِه[8] .

وأرى أنّ صوابه قُثَم ـ بالثاء[9] كما ذكرناه بَعْدُ عن الحربىّ ؛ وهو أَشْبَه بالتفسير .

---

(١) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل (١–٦٨) ، وابن مردويه فى تفسيره ، من طريق أبى يحيى التيمى . قال القارى (١ – ٤٩٠) : وهو وضاع .

(٢) أى الطاء من كلمة « طاهر » ، والهاء من كله : « هادى » .

(٣) وهذا رواه البيهقى مسندا .

(٤) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهى الحرب والقتال ، سميت بذلك لالتحام الناس فيها ؛ أى ازدحامهم فيها ؛ لأنه ـ صلى الله عليه وسلم أرسل بالسيف ، وأمر بالجهاد .

(٥) قفيت : تبعت ، والمراد أنه خاتمهم .

(٦) أى الجامع لمكارم الأخلاق الكامل فيها . أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم ؛ لأن القيم يكون بمعنى السيد ، لقيامه بأمر الناس وأمر الدين .

(٧) كذا وجدته : أى تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم .

(٨) وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس ، وفى النهاية لابن الأثير حديث : أتانى ملك فقال : أنت قيم ، وخلقك قيم ؛ أى حسن مستقيم .

(٩) فى نسيم الرياض (٢ – ٤٢١) : فى اشتقاقه معنيان : أحدهما من القثم ؛ وهو الإعطاء ، فسمى رسول صلى الله عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه . والثانى من القثم ؛ وهو الجمع ؛ وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل .

وقد وقع أيضا فى كتب الأنبياء ؛ قال داود عليه السلام : اللهم ابْعَثْ لنا محمدا مُقِيمَ السنَّة بعد الفَتْرة[(١)] ؛ فقد يكون القَيِّمُ بمعناه[(٢)] .

ورَوَى النقَّاش عنه صلى الله عليه وسلم : لى فى القرآنِ سبعةُ أسماء : محمد ، وأحمد ، ويس ، وطه ، والمدثّر ، والمزَّمِّل ، وعَبْد الله .

[وفى حديثٍ — عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضى اللهُ عنه : هى[(٣)] ستٌّ : محمد ، وأحمد ، وخاتم ، وعاقِب ، وحاشِر ، ومَاحٍ[(٤)]] [(٥)] .

وفى حديث أَبى موسى الأشعرى[(٦)] — أنه كان صلّى اللهُ عليه وسلم يُسمِّى لنا نَفْسَه أسماء ، فيقول : أنا محمد ، وأحمد ، والمُقَفِّى ، ونَبِيّ التوبة ، ونبيّ المَلْحَمة ، ونبيّ الرحمة[(٧)] .

ويروى : المَرْحَمة ، والراحة[(٨)] .

وكلٌّ صحيح إنْ شاء الله .

ومعنى المقفّى معنى العاقِب[(٩)] .

---

(١) السنة : الطريقة الشرعية ، والدين . والفترة : انقطاع الوحى والرسل ، أو الفتور فى الطاعة . وضمير « نا » للناس .

(٢) بمعناه : أى بمعنى المقيم للسنة ، أو بمعنى القثم .

(٣) هى : أى أسماؤه .

(٤) سبقت معانيها : صفحة ٣١١ ، ٣١٥

(٥) ما بين القوسين ليس فى ا ، وهو فى هامش ب ، وعليه علامة الصحة .

(٦) الحديث فى صحيح مسلم : ١٨٢٨

(٧) فى ا : ونبى المرحمة والرحمة . والمثبت فى صحيح مسلم : ١٨٢٩

(٨) فى ب : ويروى : المرحمة ، والراحة ، والرحمة .

(٩) قال فى نسيم الرياض (٢ — ٤٢٣) : الأولى تفسير كل منها بمعنى ؛ هربا من التكرار ؛ فمعنى المقفى : التابع لهدى النبيين وسننهم . والعاقب : الخاتم لباب النبوة والرسالة .

وأمّا نبيُّ الرحمة والتوبةِ ، والمَرْحَمة والراحة ـ فقال تعالى[١] : ﴿ وما أرْسَلْناكَ إلّا رحمةً لِلعالَمِين ﴾ ، وكما وصفه بأنه يُزَكِّيهم[٢] ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحِكْمةَ . ويَهْدِيهم إلى صراط مستقيم[٣] . و ﴿ بالمؤمنين[٤] رَءُوف رَحِيم ﴾ .

وقال فى صفةِ[٥] أمته : إنها أمةٌ مرحومة[٦] .

وقال اللهُ تعالى فيهم[٧] : ﴿ وتواصَوْا بالصَّبْرِ وتواصَوْا بالمَرْحَمةِ ﴾ ؛ أى يرحمُ بعضُهم بعضا ؛ فبعثه ربُّه تعالى رحمةً لأمته ، ورحمةً للعالَمِين ، ورَحِيما بهم ، ومُتَرَحِّما ومستغفراً لهم ، وجعل أمتَه أمةً مَرْحومة ، ووصفها بالرحمة .

وأمرها[٨] صلَّى اللهُ عليه وسلم بالتَّراحُم ، وأثنى عليه ؛ فقال[٩] : إنَّ اللهَ يحبُّ من عباده الرُّحَماء .

وقال[١٠] : الرَّاحِمُون يرحَمُهم الرحمن . ارحَمُوا مَنْ فى الأرضِ يرحمكم[١١] مَنْ فى السماء .

وأما رواية نَبِيّ المَلْحَمة فإشارةٌ إلى مابُعِثَ به من القتال والسيفِ ـ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ وهى[١٢] صحيحة .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٢) يزكيهم : يطهرهم من الأخلاق الذميمة والآثام المدنسة . والكتاب : القرآن . الحكمة : العلوم النافعة ، والعقائد الحقة ، وإصابة الحق قولا وفعلا .

(٣) يهديهم : يدلهم . الصراط المستقيم : الطريق الذى لا عوج فيه .

(٤) سورة التوبة ، آية ١٢٨ (٥) القائل هو الرسول .

(٦) مرحومة : فى الدنيا والآخرة ، فى الحياة والممات .

(٧) سورة البلد ، آية ١٧ (٨) وأمرها : أى أمر الأمة .

(٩) فى نسيم الرياض (٢ ـ ٤٢٤) : حديث صحيح مشهور . والحديث فى صحيح مسلم : ٦٣٦ ، وصحيح البخارى : ٢ ـ ٩٦ (١٠) سنن الترمذى : ٤ ـ ٣٢٤

(١١) ضبطت الميم فى « يرحمكم » بالضمة والسكون وكتب فوقها « معا » .

(١٢) أى الرواية .

وروَى حُذَيفةُ مِثْلَ حديثِ أبي موسى، وفيه: ونبيُّ الرَّحمة؛ ونبيّ التَّوْبة، ونبيّ الملاحم.

وروَى [1] الحَرْبي في حديثه صلّى اللهُ عليه وسلم أنه قال: أتاني مَلَكٌ فقال لي: أنتَ قُثَم؛ أي مُجْتَمِع [2]. قال: والقُثَم: الجامعُ للخير؛ وهذا اسمٌ هو في أهل [3] بيته معلوم.

وقد جاءت من ألقابه — صلى اللهُ عليه وسلم وسِمَاته [4] في القرآنِ عدّةٌ كثيرة سِوَى ما ذكرناه؛ كالنُّور، والسِّرَاج المُنِير [5]، والمُنْذِر، والنَّذِير [6]، والمُبَشِّر، والبَشِير، والشاهد، والشهيد [7]، والحقّ المُبِين، وخاتَم النَّبِيين [8]، والرءوف الرَّحِيم، والأَمين، وقَدَم الصدق [٨٠]، ورَحمة للعالمين [9]، ونعمةِ الله، والعُرْوةِ الوُثْقَى، والصِّرَاطِ المستقيم [10]، والنَّجْمِ الثَّاقب، والكريم، والنبيّ الأُمّيّ،

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل، عن يونس بن ميسرة. وفي هامش ب، ا: وقيل هو متشق من القثم، وهو الإعطاء، وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح الهابة (من كشف المشكل لابن الجوزي). (٢) مجتمع: أي مجموع فيك كل كمال وخير.

(٣) أي سمى به غيره. وهو قثم بن العباس. وقثم عم النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) سماته: صفاته.

(٥) في القرآن (المائدة: ١٥): «قد جاءكم من الله نور». وفيه (الفرقان: ٦١): «وسراجا منيرا».

(٦) قال تعالى: «إنما أنت منذر». وقال تعالى: «إني أنا النذير المبين».

(٧) قال تعالى: «إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا». وقال تعالى: «إنا أرسلناك شاهدا». وقال: «يكون الرسول عليكم شهيدا».

(٨) في قوله تعالى: «حتى جاءهم الحق، ورسول مبين». وقال: «ولكن رسول الله وخاتم النبيين».

(٩) قال تعالى: «مطاع ثم أمين». وقال: «وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم». وقال: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

(١٠) قال تعالى: «بدلوا نعمة الله كفرا». وقال: «فقد استمسك بالعروة الوثقى». وقال: «اهدنا الصراط المستقيم».

ودَاعِى اللهِ[١] ـ فى أوصافٍ كثيرةٍ ، وسِمَاتٍ جليلةٍ[٢] .

وجرَى منها فى كتُبِ اللهِ المتقدّمةِ، وكتُبِ أنبيائه ، وأحاديث رسولِه، وإطلاقِ الأمة جملةً شافيةً ؛ كتسميته بالمُصْطَفَى ، والمُجْتَبى[٣] ، وأبى القاسم ، والحبيبِ ، ورسولِ ربِّ العالمين ، والشفيعِ المُشفَّعِ ، والمُتّقِى ، والمُصْلِح ، والطاهِرِ ، والمُهَيْمِن ، والصادِقِ ، والمَصْدُوق ، والهادى ، وسيّدِ وَلَدِ آدم ، وسيّد المرسلين ، وإمامِ المتّقين ، وقائدِ الغُرِّ المحجّلين[٤] ، وحبيبِ اللهِ ، وخليلِ الرحمن ، وصاحبِ الحَوْضِ[٥] المورود ، والشفاعة ، والمقام المحمود ، وصاحب الوسيلةِ[٦] والفضيلة والدّرجةِ الرفيعة ، وصاحب التاجِ[٧] ، والمِعْراج ، واللواء ، والقضيب[٨] ، وراكبِ البُرَاقِ ، والناقةِ ، والنّجيب[٩] ، وصاحبِ الحجّةِ والسلطان ، والخاتَم ، والعلامةِ والبُرْهان ، وصاحبِ الهِرَاوةِ والنّعْلَيْن[١٠] .

---

(١) قال تعالى: « والنجم الثاقب » . وقال: « وبالنجم هم يهتدون» . وقال: « إنه لقول رسول كريم » . وقال: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمى» . وقال: «داعيا إلى الله بإذنه».

(٢) أى ورد ماذكر فى القرآن والآثار من صفات أخر كثيرة أطلقت عليه كإطلاق الاسم على مسماه .

(٣) المجتبى : المختار .

(٤) الغر : جمع أغر ، مطلق بياض الوجه . والتحجيل : بياض فى القوائم .

(٥) قال السيوطى : حديث الحوض مروى عن أكثر من خمسين صحابيا .

(٦) الوسيلة : السبب الموصل لأمر عظيم ، سمى به ؛ لأنه سبب لكل خير .

(٧) قيل المراد بالتاج هنا العمامة . والعمائم : تيجان العرب ، فكنى به عن أنه من صميم العرب وأشرفهم حسباً ونسبا .

(٨) صاحب اللواء : المراد : لواء الحمد الذى تقدم . أو اللواء الذى كان يعقده صلى الله عليه وسلم للحرب ، فهو كناية عن القتال . والقضيب: السيف ، كناية عن جهاده وكثرة قتاله .

(٩) راكب الناقة فى حجة الوداع . والنجيب : الجمل ؛ كناية عن تواضعه . أو لهجرته عليه ، أو كونه من صميم العرب .

(١٠) والعلامة: علامة النبوة، وهى الخاتم أيضا. الهراوة: العصا. قال ابن الأثير: سمى بذلك لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يمسك بيده القضيب، ويمشى بالعصا بين يديه، وتغرز له ليصلى إليها.

ومِنْ أسمائه فى الكُتب [1] : المتوكّلُ ، والمختـــار [2] ، ومُقيم السنّة [3] ، والمُقدّس [4] ، [ورُوح القُدُسِ] [5] ، ورُوح الحق؛ وهو معنى البارَقْلِيط فى الإنجيل .

وقال ثعلب : البارَقْلِيط : الذى يفرِقُ بين الحقّ والباطل [6] .

ومن أسمائه فى الكتب السالفة : ماذْ ماذْ [7] ؛ ومعنـــاه طَيِّب ، طَيِّب ، وحَمّطايا [8] ، والخاتم ، والحاتِم [9] ؛ حكاه كعب الأحبار .

قال ثعلب : فالخاتِمُ الذى خَتَمَ [الله به] [10] الأنبياء . والحاتِم : أَحسنُ الأنبياء خَلْقاً وخُلُقا .

---

(١) فى الكتب : أى الكتب الإلهية المنزلة على من قبله من الأنبياء .

(٢) سمى بهما فى التوراة . (٣) سمى به فى التوراة والزبور .

(٤) المقدس : المطهر المنقى من دنس الذنوب ، أو المفضل على غيره .

(٥) وروح القدس : الروح المقدسة المطهرة من النقائص . وما بين القوسين ليس فى ا .

(٦) قال فى نسيم الرياض (٢ — ٤٣٨) : الذى عليه أصحاب الإنجيل أن معناه المخلص. وهذا الضبط فى ا ، ب . وفى شرح القارى (١ — ٤٩٦) : البارقليط — بالباء الموحدة وبفتح الراء وتكسر وبسكون القاف ، وقد تسكن الراء وتفتح القاف ، وتكسر اللام ، بعدها ياء مثناة ساكنة فطاء مهملة . وروى بالفاء الفصيحة وبالباء غير صافية .

(٧) فى ب : بالذال المعجمة ، والدال المهملة ، وعليها « معا » .

(٨) فى نسيم الرياض (٢ — ٤٣٩) : هذا وما قبله رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس . قال : ومعناه : يمنع من الحرام ، ويحمى الحرم ؛ أى يمنع ما كان فى الجاهلية من الأنكحة وغيرها من المحرمات . وقد ضبطت الحاء فى ا بالكسرة . وضبطت فى ب : بالفتحة . وفى شرح القارى (١ — ٤٩٧) تسكن الميم وتشدد .

(٩) قال فى نسيم الرياض : الظاهر أنه من الحتم ؛ وهو الإحكام؛ لإحكام القضاء والأحكام. والحاتم : القاضى — كما فى الصحاح .

(١٠) ليس فى ا .

ويسمّى بالسريانية : مُشَفَّح [١] والمُنْحَمِنّا [٢] ؛ واسمُه فى التوراة أَحْيَد [٣] — رُوِى ذلك عن ابْنِ سِيرين .

ومعنى صاحب القضيب ؛ أى السيف ؛ وقع ذلك مفسّرا فى الإنجيل ؛ قال : معه قَضِيب مِنْ حَدِيد يقاتِلُ به ، وأُمّتُه كذلك .

وقد يحمَلُ على أنه القضيب الممشوق [٤] الذى كان يُمْسِكُه صلى اللهُ عليه وسلم ؛ وهو الآن عند الخلفاء [٥] .

وأمّا الهِرَاوة التى وُصِفَ بها فهى فى اللغة العَصَا ؛ وأُراها — واللهُ أعلم — العصا المذكورة فى حديث الحَوْضِ [٦] : أَذودُ الناسَ عنه بعَصَاى — لأهل اليمن .

وأمّا التاجُ فالمرادُ به العِمَامةُ ، ولم تكن حينئذٍ إلّا للعرب ؛ والعمائمُ تِيجَانُ العرب .

وأوصافُه ، وألقـابُه ، وسِمَاتُه فى الكتب كثيرة ؛ وفيما ذكرناهُ منها مَقْنع إن شاء الله .

[وكانت كُنْيَته المشهورةُ أبا القاسم .

ورُوِى [٧] عن أَنَس أنه لمّا وُلِدَ له إبراهيم جاءه جبريلُ فقال له : السلام عليكَ يا أبا إبراهيمَ] [٨] .

---

(١) سمى به فى كتاب شعيا . وقيل معناه محمد . وهذا الضبط فى ب . وفى ا بالقاف .

(٢) قيل معناه : محمد . وقيل : روح القدس . وهذا الضبط فى ب . وفى ا ضبطت الميم بالفتحة .

(٣) هذا الضبط فى ب . وفى ا : بفتح الهمزة وكسر الحاء المهملة .

(٤) ممشوق : طويل دقيق . (٥) عند الخلفاء : يمسكونه تبركا به .

(٦) صحيح مسلم : ١٧٩٩ ، وأذود : أدفع ، وأطرد . لأهل اليمن ؛ أى لأجلهم حتى يتقدموا . (٧) كما روى فى مسند أحمد ، والبيهقى .

(٨) فى هامش ا ، ب : من الأم بخطه ، من غير الرواية .

فصـــــل

فى تشريف الله تعالى له بما سمّاه من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العُـــلَا

قال القاضى أبو الفضل[١] وفقه الله تعالى: ماأحرى هذا الفصلَ[٢] بفصول الباب الأول؛ لانخراطه[٣] فى سِلْك مضمونها، وامتزاجه بعَذْب مَعِينها[٤]؛ لكن لم يشْرح اللهُ الصَّدْرَ للهداية[٥] إلى استِنْباطه، ولا أنارَ الفِكْرَ لاستخراج جَوْهره والْتِقاطه إلا عند الخَوْض فى الفصل الذى قبله؛ فرأينا أن نُضِيفَه إليه، ونَجْمَع به شَمْلَه[٦].

فاعلمْ أنَّ اللهَ تعالى خَصَّ كثيرا من الأنبياء بكرامةٍ خَلَعها عليهم[٧] مِنْ أسمائه؛ كتَسْمِية إسحاق، وإسماعيل بعليم، وحليم[٨]؛ وإبراهيم بحليم[٩]، ونوحٍ بشَكُور[١٠]، وعيسى ويحيى بِبَرّ[١١] وموسى بكريم، وقوىّ[١٢]؛ ويوسف بحفيظ عَلِيم[١٣]؛

(١) هو المصنف.

(٢) وهو المعقود لثناء الله عليه، وإظهار عظيم قدرته. أحرى: أحق وأولى.

(٣) لانخراطه: أى لدخوله، وانضمامه.

(٤) امتزاجه: اختلاطه. والمعين: الجارى. يريد بحلو مائها.

(٥) أى لم يفتح الله عليه به أولا بإخراجه فى محله.

(٦) نجمع به شمله: أى نضمه إليه.

(٧) بكرامة: بأمر أكرمه وشرفه بها. والأصل فى الخلعة أنها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه أو يوليه ولاية، وشاع فى عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا. يريد ألقاها عليهم.

(٨) فى قوله تعالى: «وبشروه بغلام عليم» — يعنى إسحاق. وقوله تعالى: «فبشرناه بغلام حليم» — يعنى إسماعيل. (٩) فى قوله تعالى: «إن إبراهيم لأواه حليم».

(١٠) فى قوله تعالى: «ذرية من حملنا مع نوح، إنه كان عبدا شكورا».

(١١) فى قوله تعالى: «وبرا بوالديه». «وبرا بوالدتى».

(١٢) فى قوله تعالى: «وقد جاءهم رسول كريم». وقوله: «إن خير من استأجرت القوى الأمين». (١٣) فى قوله تعالى: «اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم».

وأيوب بصابِرٍ [1] ؛ وإسماعيل بِصادقِ الوَعد [2] ؛ كما نطق بذلك [٨١] الكتابُ العزيز من مَوَاضِعِ ذِكْرِهِم [3] .

وفَضَّل نبيَّنا محمداً صلّى اللهُ عليه وسلم : بأنْ حَلّاهُ منها فى كتابه العزيز ، وعلى ألسنةِ أنبيائه بِعدَّةٍ كثيرة اجتمع لنا منها جملةٌ بعد إعمال الفِكْر ، وإحضار [4] الذِّكْرِ ، إذْ لم نَجِدْ مَنْ جمع منها فوق اسمَيْنِ ، ولا مَنْ تفرّغَ فيها لتأليف فَصْلَيْن .

وحَرَّرْنا منها فى هذا الفصل نَحْوَ ثلاثين اسماً ؛ ولعلّ اللهَ تعالى - كما أَلْهَم [5] إلى ما عَلَّم منها وحقّقه - يُتِمُّ النعمةَ بإبانةِ [6] ما لم يُظْهِرهُ لنا الآن ، ويَفْتَح غَلَقَه [7] .

فمن أسمائه تعالى : الحميد ؛ ومعناه المحمود ؛ لأنه حَمِدَ نَفْسه ، وحَمِده عبادُه ، ويكون أيضا بمعنى الحامدِ لنفسه ولأعمال الطاعات .

وسَمّى اللهُ تعالى النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم محمدا ، وأحمد ؛ فمحمَّد بمعنى محمود ، وكذا وقع اسْمُه فى زَبُورِ داود .

وأحمد بمعنى أكبر من حَمِد ؛ وأجلّ من حُمِد [8] ؛ وأشار إلى نحو هذا حسان بقوله [9] :

---

(١) فى قوله تعالى : « إنا وجدناه صابرا نعم العبد » .

(٢) فى قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد » . وذلك لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره على الذبح .

(٣) من مواضع ذكرهم : أى مستفادا من مواضع ذكرهم . وفى ب : فى مواضع . . .

(٤) بعد أن اجتهد فى جمعها ، وبذل فيها جهده وطاقته .

(٥) ألهم : يريد أرشد وهدى .

(٦) إبانة : إظهار . (٧) غلقه : ماينغلق ويقفل به .

(٨) فى ا بتشديد الميم المكسورة . وفى ب بكسر الميم غير المشددة .

(٩) هو حسان بن ثابت ، والبيت من قصيدة له يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم . فى ديوانه ٧٨ .

وشقّ له مِنْ إسْمِـــــهِ لِيُجِلَّه   فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ [١]

ومن أسمائه تعالى : الرءوف الرحيم ؛ وهما بمعنى متقارب .

وقد سمّاه فى كتابه بذلك ؛ فقال [٢] : ﴿ بالمؤمنين رءوفٌ رحيم ﴾ .

ومن أسمائه تعالى الحقّ المُبين . ومعنى الحقّ : الموجود ، والمتحقّق أَمْرُه [٣] ، وكذلك المُبين ؛ أى البيّن [٤] أمره وإلٰهيّته .

بان ، وأبان بمعنى واحد . ويكون بمعنى المُبَيِّن لعباده أَمْرَ دِينِهم ومَعَادِهم [٥] .

وسمّى النبيّ — صلّى اللهُ عليه وسلم بذلك فى كتابه ؛ فقال [٦] : ﴿ حتى جاءهم الحقّ ورسولٌ مُبين ﴾ . وقال تعالى [٧] : ﴿ وقُل إنّى أنا النّذيرُ المُبين ﴾ . وقال تعالى [٨] : ﴿ قد جاءكم الحقُّ من ربكم ﴾ . وقال [٩] : ﴿ فقد كذّبوا بالحقّ لما جاءهم ﴾ ؛ قيل : محمدٌ . وقيل القرآن . ومعناهُ هنا ضِدُّ الباطلِ ، والمتحقّقُ صِدْقُه وأَمْرُه — وهو بمعنى الأوّل .

والمُبين : البَيِّنُ أَمْرُهُ ورسالتُه ، أو المُبَيِّن عن الله ما بعثَه به ؛ كما قال تعالى [١٠] : ﴿ لِتُبَيِّنَ للناسِ ما نُزِّلَ إليهم ﴾ .

---

(١) فى شرح ديوان حسان : هذا البيت ليس من قول حسان ، وإنما هو لأبى طالب ، ضمنه حسان شعره . وفى نسيم الرياض (٢ — ٤٤٧) : والبيت المذكور رواه البخارى فى تاريخه ، وعزاه لأبى طالب ؛ وهو منقول عن على بن زيد ؛ لحسان رضى الله تعالى عنه توارد معه ، أو ضمنه ، واستعان به .

(٢) سورة التوبة ، آية ١٢٨

(٣) أى المتصف بالوجود الأزلى الأبدى . والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة .

(٤) البين : الظاهر .

(٥) معادهم : فى الآخرة .

(٦) سورة الزخرف ، آية ٢٩

(٧) سورة الحجر ، آية ٨٩

(٨) سورة يونس ، آية ١٠٨

(٩) سورة الأنعام ، آية ٥

(١٠) سورة النحل ، آية ٤٤

ومن أسمائه تعالى : النّور ؛ ومعناه ذو النّور ، أى خالقه ، أو مُنَوِّر السموات والأرض بالأنوار[1] ، ومُنَوّر قلوب المؤمنين بالهداية .

وسمّاه نورا ؛ فقال[2] : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبين ﴾ ؛ قيل محمد . وقيل القرآن .

وقال فيه[3] : « وسِرَاجاً مُنِيرا » ؛ سُمِّى بذلك لوُضوحِ أَمْرِه ، وبيان نبوّته ، وتَنْوِيرِ قلوبِ المؤمنين والعارفين بما جاء به .

ومن أسمائه تعالى : الشّهيد ؛ ومعناه العالِم[4]. وقيل : الشاهدُ على عباده يومَ القيامة .

وسمّاه شهيداً وشاهدا ؛ فقال[5] : ﴿ إنّا أرسَلْناكَ شاهِدا ﴾ . وقال تعالى[6] : ﴿ ويكونَ الرسولُ عليكم شَهيدا ﴾ ؛ وهو بمعنى الأوّل[7] .

ومن أسمائه تعالى : الكريم ؛ ومعناه الكثير الخيرِ . وقيل : المُفْضِل[8]. وقيل: العَفُوّ[9] وقيل : العَلِيّ .

وفى الحديث المَرْوِيّ[10] فى أسمائه تعالى : الأكرم[11] .

---

(١) بالأنوار الفائضة عليها بواسطة الكواكب .

(٢) سورة المائدة ، آية ١٥ (٣) سورة الأحزاب ، آية ٤٦

(٤) لأن من شاهد شيئا علمه علما تاما .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، وسورة الفتح ، آية ٨

(٦) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٧) بمعنى الأول : أى الشاهد .

(٨) المفضل : الذى يعطى عفوا بغير وسيلة وسؤال .

(٩) العفو : الذى يعفو عن السيئات ويمحوها .

(١٠) الذى رواه ابن ماجه فى سننه (١٢٧٠) فيه : الكريم . وقد جاء فى القرآن الكريم : « اقرأ وربك الأكرم» .

(١١) الأكرم : الزائد على غيره فى صفة الكرم .

وسمّاه تعالى كريما بقـــوله[١] : ﴿ إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ؛ قيل : محمد . وقيل : جبريل .

وقال صلّى اللهُ عليه وسلم : أنا أكرمُ ولدِ آدمَ .

ومعانى الاسمِ صحيحةٌ[٢] فى حقّه صلى اللهُ عليه وسلم .

ومن أسمائه تعالى : العظيمُ ؛ ومعناهُ الجليلُ الشّأنِ ، الذى كلُّ شىءٍ دونَه[٣] .

وقال فى النبى صلى اللهُ عليه وسلم[٤] : ﴿ وإنكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ووقع فى أوّل سِفرٍ[٥] من التّوْرَاة — عن إسماعيل : وستلِدُ عظيما لأُمةٍ [٨٢] عظيمة؛ فهو عظيمٌ وعلى خُلُق عظيم .

ومن أسمائه تعالى : الجبّار ، ومعناه المُصْلِح ، وقيل القاهر . وقيل العَلِيّ العظيمُ الشّأنِ . وقيل المتكبّر .

وسُمّى النبىُّ — صلّى اللهُ عليه وسلم فى كتاب داود[٦] بجَبّارٍ ؛ فقـــال[٧] : تَقَلّدْ[٨] أيُّها الجبّار سَيْفَكَ ؛ فإنّ نَامُوسك[٩] وشرائعَك مقرونةٌ بهَيْبَةِ يَمينكِ[١٠] .

(١) سورة الحاقة ، آية ٤٠ ، والتكوير ، آية ١٩

(٢) صحيحة لاتصافه بغاية الكرم .

(٣) دونه : قاصر عن بلوغ رتبته إذ لا كمال يدنو من كماله فى ذاته وصفاته .

(٤) سورة القلم ، آية ٤

(٥) سفر : كتاب . عن إسماعيل : أى سفر يصدر عن إسماعيل عليه السلام، أو المراد : فى حق إسماعيل .

(٦) كتاب داود : أى الصحف الإلهية المنزلة عليه .

(٧) فقال: أى الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه فى علمه.

(٨) تقلد السيف : إذا جعل حمائله على عاتقه وحمله كالقلادة . وفيه إشارة إلى أنه سيؤمر بالقتال .

(٩) ناموسك : الوحى المنزل عليك ؛ أو عظمتك فى قلوب الناس . وأصل معنى الناموس صاحب السر المطلع على باطن أمرك .

(١٠) بهيبة يمينك : أى بالخوف من سيفك .

ومعناه[1] فى حقّ النبىّ ـ صلى الله عليه وسلم : إمّا لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم ، أَو لقهْرِه أعداءه ، أَو لعلوِّ مَنزِلته على البَشَر ، وعظيمِ خَطَرِه[2] .

ونفى عنه تعالى ـ فى القرآن ـ جَبْرِيَّة التكبُّر التى لا تَلِيقُ به ؛ فقال[3] : ﴿ وما أنْتَ عليهم بِجَبّار ﴾ .

ومِنْ أسمائه ـ تعالى : الخَبير ؛ ومعناه المُطَّلِع بكُنْهِ الشىء[4] ، العالِم بحقيقته . وقيل معناه المُخْبِر[5] .

وقال الله تعالى[6] : ﴿ الرحمنُ فاسأَلْ به خَبيرا ﴾ .

قال القاضى بَكْر بن العَلَاء : المأمورُ بالسؤال غَيْرُ النبىّ صلى الله عليه وسلم . والمسئول الخبيرُ هو النبىُّ صلّى الله عليه وسلم .

وقال غيره : بل السائل النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم . والمسئولُ هو اللهُ تعالى ؛ فالنبىُّ خبيرٌ بالوَجْهين المذكورين[7] ؛ قيل : لأنه عالمٌ على غايةٍ مِنَ العِلْم بما أعلمه اللهُ مِن مكنونِ عِلْمه ، وعظيمِ مَعْرفته ، مُخْبِر لأُمَّته بما أَذِن له فى إعلامهم به .

ومن أسمائه تعالى : الفتّاح ؛ ومعناه الحاكم بين عِبَادِه ، أو فاتح أبواب[8]

---

(١) ومعناه : معنى الجبار . (٢) خطره : شرفه وقدره .

(٣) سورة ق ، آية ٤٥

(٤) المطلع بكنه الشىء : الواقف على حقائق الأشياء .

(٥) المخبر أنبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم . أو المخبر عباده يوم القيامة بأعمالهم ؛ فإنه لايعزب عن علمه شىء .

(٦) سورة الفرقان ، آية ٥٩

(٧) أما على الوجه الأول فظاهر لإطلاقه عليه ، ولأنه لو لم يكن خبيرا لم يأمر بسؤاله . وأما على الثانى فلأن إذنه له فى السؤال دال على إعلامه به .

(٨) بتيسير أرزاقهم لهم وتهيئة أسبابها وفتح أقفال موانعها . والرحمة : الإنعام ؛ أى المنعم عليهم ، الرازق لهم .

الرِّزقِ والرحمة ، والمُنْغَلق من أمورِهم عليهم[1] ؛ أو يَفتَحُ قلوبَهم وبَصائرهم لمعرفة الحقّ ؛ ويكون أيضا بمعنى الناصر ؛ كقوله تعالى[2] : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فقد جاءكم الفَتْح ﴾ ؛ أى إن تَسْتَنْصِروا فقد جاءكم النَّصْر ؛ وقيل : معناه مُبْتَدِئُ الفَتْح والنَّصْر .

وسَمّى اللهُ تعالى نبيَّه محمدا صلى اللهُ عليه وسلم بالفاتح فى حديث الإسراء الطويل — من رواية الربيع بن أنس ، عن أبى العالية وغيره ، عن أبى هريرة رضى اللهُ عنه ؛ وفيه[3] : من قول الله تعالى : وجعلتُك فاتحا وخاتما[4] .

وفيه[3] — من قول النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم فى ثنائه على رَبّه ، وتَعْديد مَرَاتبه[5] : ورَفَع لى[6] ذِكْرِى ، وجعلنى فاتحا وخاتماً ؛ فيكونُ الفاتحُ هنـــا بمعنى الحاكم ، أو[7] الفاتح لأبواب الرحمـــة على أمته ، أو[7] الفاتح لبصائرهم لمعْرفة الحقّ والإيمان بالله ؛ أو الناصر للحق ، أو المُبْتدِئُ بهدايةِ الأمة ، أو المُبَدأ المُقدَّم فى الأنبياء والخاتم لهم ؛ كما قال صلى اللهُ عليه وسلم : كنتُ أوّلَ الأنبياء فى الخَلْق ، وآخِرَهم فى البَعْث .

ومن أسمائه تعالى[8] فى الحديث[9] : الشَّكُور ؛ ومعناه[10] المُثِيبُ على العَمل

---

(١) فاتح المنغلق ، أى ميسر كل صعب ومسهله . (٢) سورة الأنفال ، آية ١٩

(٣) وفيه : أى فى حديث الإسراء — وقد تقدم هذا الحديث صفحة ٢٤٠

(٤) أى أول الأنبياء وخاتمهم .

(٥) وتعديد مراتبه : أى مقاماته بين يدى ربه .

(٦) رفع لى ذكرى : بجعله قرينا لذكره — كما تقدم . (٧) فى ا : والفاتح .

(٨) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة فى تعداد الأسماء الحسنى (سنن الترمذى : ٥ — ٥٣٠ ، وصحيح مسلم : ٥٠٦٢) .

(٩) وذلك فى قوله تعالى : « إن ربنا لغفور شكور » .

(١٠) ومعناه : أى فى حق الله تعالى .

القَلِيل . وقيل المُثْنِي على المُطِيعين[١] ؛ ووصف بذلكَ نبيَّه نوحا عليه السلام فقال[٢]: ﴿ إنه كان عَبْداً شَكُورا ﴾ .

وقد وصف النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم نَفْسَه بذلك ؛ فقال[٣] : أَفَلَا أكونُ عَبْداً شَكُورا ؛ أي مُعْتَرِفا بنَعِيم رَبِّي ، عارفا بقَدْرِ ذلك ، مُثْنِيا عليه ، مُجْهِدا[٤] نَفْسِي في الزيادة من ذلك ؛ لقوله تعالى[٥] : ﴿ لئن شَكَرْتُم لأَزِيدَنّكم ﴾ .

ومن أسمائه تعالى : العَلِيم ، والعَلَّام . وعالِمُ الغَيْبِ والشهادةِ[٦] .

ووصف نبيّه صلى اللهُ عليه وسلم بالعِلْمِ ؛ وخَصَّه بمَزِيَّةٍ[٧] منه ؛ فقال تعالى[٨] : ﴿ وعلّمَكَ مالم تكُنْ تَعْلَمُ ، وكان فَضْلُ اللهِ عليك عظيما ﴾ . وقال[٩]: ﴿ وَيُعَلِّمُكم الكتابَ والحِكْمَةَ ويُعَلِّمكم مالم تكونوا تَعْلَمُون ﴾ .

ومن أسمائه تعالى : الأوّل ، والآخِرُ ؛ ومعناهما السابقُ [٨٣] للأشياء قبل وجودِها ، والباقي بعد فَنَائها .

وتحقيقُه أنه ليس له أوّل ولا آخِر[١٠] .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم: كنتُ أولَ الأنبياء في الخَلْق[١١] ؛ وآخِرَهم في البَعْث ؛

---

(١) قال في نسيم الرياض (٢ — ٤٥٦) : وهذا أنسب بمعنى الشكر الحقيقي وأقرب .
(٢) سورة الإسراء ، آية ٣ (٣) والحديث في صحيح البخاري : ٦ — ١٦٩
(٤) مجهدا نفسي : باذلا جهدي وطاقتي ومتعبا نفسي . (٥) سورة إبراهيم ، آية ٧
(٦) عالم الغيب والشهادة : أحاط علمه بكل شيء مما غاب وخفي ، وما حضر وظهر ، ودق وجل .
(٧) مزية : فضيلة . (٨) سورة النساء ، آية ١١٣ (٩) سورة البقرة ، آية ١٥١
(١٠) ولا ابتداء ولا انتهاء ؛ فلا سابق عليه ، ولا باقي عنده .
(١١) يعني في عالم الذر والأرواح ؛ خلقت روحه ، ونبي قبلهم . والحديث في ابن كثير : ٦ — ٣٨٣ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن الحسن بن سفيان ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في الدلائل ، والديلمي .

وفُسِّر بهذا قوله تعالى[1]: ﴿ وإذ أَخَذْنا من النبيِّين ميثاقَهم[2] ومنكَ ومِنْ نوحٍ ﴾؛ فقدّم محمداً صلى اللهُ عليه وسلم[3].

وقد أشار إلى نحوٍ منه عُمَرُ بن الخطّاب[4] رضِيَ اللهُ عنه.

ومنه قولُه : نحن الآخِرون السابقون.

وقوله[5] : أنا أوّلُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرضُ، وأولُ مَنْ يدخلُ الجنةَ، وأول شافع، وأول مُشَفَّع؛ وهو خاتَم النبيِّين، وآخِرُ الرُّسل صلّى اللهُ عليه وسلم.

ومن أسمائه تعالى : القَوِيُّ. وذو القُوَّةِ المَتِين[6]؛ ومعناه : القادر.

وقد وصفه اللهُ تعالى بذلك؛ فقال[7] : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عند ذِي العَرْشِ مَكِين ﴾؛ قيل محمد. وقيل جبريل.

ومن أسمائه تعالى : الصادق، في الحديث المأثور[8].

ووردَ في الحديث أيضا اسْمُه صلّى اللهُ عليه وسلم بالصادق المصدوق[8].

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٧

(٢) الميثاق : هو أن يؤمنوا بالله ويوحدوه.

(٣) قال في نسيم الرياض (٢ — ٤٥٨) : قدم محمدا في الذكر لتقدمه في الخلق، بل والبعث؛ وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة رضى الله عنه؛ قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ... فقال : كنت أولهم في الخلق، وآخرهم في البعث.

(٤) في قوله — كما تقدم : لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم إذ توفى : بأبي أنت وأمي يارسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم، فقال : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ...

(٥) سنن الترمذي : ٥ — ٣٠٨، ٥٨٧

(٦) سورة الذاريات، آية ٥٨   (٧) سورة التكوير، آية ٢٠

(٨) المصدوق : المصدق بما جاء به. في الحديث المأثور المروى بسند صحيح — كما رواه ابن ماجه ١٢٧٠، وقد تقدم.

ومن أسمائه تعالى : الوَلِيّ ، والمَوْلَى ؛ ومعناهما الناصِرُ ؛ وقدقال الله تعالى[١] : ﴿ إنّما وَلِيُّكم اللهُ ورَسُولُه ﴾ .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم[٢] : أنا وَلِيُّ كلِّ مُؤمِن .

وقال الله تعالى[٣] : ﴿ النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أنفُسهم[٤] ﴾ .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم[٥] : مَنْ كنتُ مَوْلاه فعَلِيٌّ مَوْلاه[٦] .

ومن أسمائه تعالى : العَفُوُّ[٧] ؛ ومعناه الصَّفُوح .

وقد وصف اللهُ تعالى بهذا نَبيّه فى القرآنِ ، والتوراة ، وأمره بالعَفْوِ ؛ فقال تعالى[٨] : ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ .

وقال[٩] : ﴿ فاعْفُ عنهم واصْفَحْ ﴾ .

وقال له جبريلُ - وقد سأله عن قوله[٨] : ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ ؛ قال[١٠] : أَنْ تَعْفُو عمّن ظلَمَكَ .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٥٥

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ، ورواه أحمد ، وأبو داود : أنا أولى بكل مؤمن . وفى البخارى أيضا : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه . والحديث فى صحيح البخارى : ٦ - ١٤٥

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٦

(٤) أى أحق بهم من أنفسهم ؛ فإنه يتولى صلاحهم ، وينصرهم ، ويقضى ديونهم ، ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والآخرة .

(٥) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (سنن الترمذى : ٥ - ٦٣٣) .

(٦) المراد ولاء الإسلام ونصرته .

(٧) العفو : مبالغة فى العفو عن السيئات ، وهو محوها وإزالتها .

(٨) سورة الأعراف ، آية ١٩٩ (٩) سورة المائدة ، آية ١٣

(١٠) هذا التفسير على غير رأى الأكثرين من المفسرين ؛ فهم يرون أن معنى العفو : المال الفاضل عن نفقة العيال .

وقال ـ فى التوراة والإنجيـــل فى الحديث المشهور[1] ـ فى صِفَتِه : ليس بفَظٍّ ولا غَلِيظ ، ولـكن يَعْفُو ويَصْفَح .

ومن أسمائه تعالى: الهادى ؛ وهو بمعنى توفيقِ اللهِ لمَنْ أراد مِنْ عباده، وبمعنى الدّلالةِ والدُّعاء[2] . قال اللهُ تعالى[3] : ﴿ واللهُ يَدْعو إلى دَارِ السَّلَامِ ويَهْدِى مَنْ يشاء إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ﴾[4]. وأصْلِ الجميعِ[5] مِنَ المَيْل[6] . وقيل : من التقديم .

وقيل فى تفسير ﴿ طه ﴾ إنه يا طاهر ، يا هادى[7] ؛ يعنى النبى صلى اللهُ عليه وسلم.

وقال الله تعالى له[8] : ﴿ وإنكَ لتَهْدِى إلى صراطٍ مستقيم ﴾.

وقال فيه[9] : ﴿ وداعِياً إلى اللهِ بإذنه ﴾ .

فاللهُ تعالى مختصٌّ بالمعنى الأول[10] ؛ قال تعالى[11] : ﴿ إنكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ ، ولـكنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يشاء ﴾ .

وبمعنى الدلالةِ يَنطلق على غيره تعالى .

ومِنْ أسمائه تعالى : المؤمن المُهَيْمِن ؛ قيل : هما بمعنًى واحدٍ ؛ فمعنى المؤمن

---

(١) هذا الحديث تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) الدعاء : الدعوة . (٣) سورة يونس ، آية ٢٥

(٤) أى يرشدهم إلى طريق مستقيم يوصلهم إلى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وأرسل من الرسل ، ووفقهم لاتباعهم .

(٥) الجميع من معانى الهداية .

(٦) فمعنى هداه إلى كذا : صرفه إليه ، وأماله عن غيره .

(٧) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقى . فهو طاهر من كل دنس ، وهو هداية لخلقه .

(٨) سورة الشورى ، آية ٥٢

(٩) سورة الأحزاب ، آية ٤٦

(١٠) وهو التوفيق بخلق الاهتداء ؛ فإنه لا يقدر عليه سواه .

(١١) سورة القصص ، آية ٥٦

فى حقه تعالى : المُصَدِّقُ وعْدَه عبادَه[١] ، والمُصَدِّقُ قَوْلَه الحقَّ[٢] ، والمُصَدِّق لعباده المؤمنين ورُسُلِه[٣] . وقيل : المُوحِّد نَفْسَه[٤] . وقيل : المُؤَمِّن عبادَه فى الدنيا من ظُلْمِه[٥] ، والمؤمنين فى الآخرةِ من عَذَابه .

وقيل : المُهَيْمِن بمعنى الأَمين ، مصغَّر منه ، فقُلِبت الهمزةُ هاء .

وقد قيل : إنَّ قولهم فى الدعاء : آمين — إنه اسْمٌ من أسماء الله تعالى[٦] ، ومعناه معنى المُؤمن .

وقيل : المُهَيْمِن بمعنى الشاهد[٧] والحافظ .

والنبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم أَمِين ، ومُهَيْمِن ، ومُؤمن[٨] ، وقد سمّاه اللهُ تعالى أَمِينا ؛ فقال[٩] : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِين ﴾ .

وكان — صلّى اللهُ عليه وسلم — يُعْرَف بالأَمِين، وشُهِرَ به قَبْلَ النبوّة وبعدها؛ وسَمّاهُ العبَّاسُ[١٠] ، فى شعره مُهَيْمِنا فى قوله [٨٤] :

---

(١) أى ما وعد به عباده فى الدنيا من الثواب ، ونعيم الآخرة ، والنصر العزيز فى الدنيا إلى غير ذلك . . .

(٢) أى الذى صدق ما قاله من الحق .

(٣) أى يصدق ما قالوه ، أو جاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى أقوالهم وعهودهم .

(٤) الموحد نفسه بقوله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو » . وقوله : « إننى أنا الله لا إله إلا أنا » — فصدق ما نطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحيده فى ألوهيته ؛ وهذا كله على أنه من الإيمان بمعنى التصديق .

(٥) من ظلمه : لتنزهه عنه : « وما ربك بظلام للعبيد » .

(٦) قال الحسن . معناه استجب ، أو لاتخيب .

(٧) الشاهد : الحاكم ، والذى يشهد على كل نفس بما كسبت .

(٨) أي يسمى بهذه الأسماء الثلاثة . (٩) سورة التكوير ، آية ٢١

(١٠) هو فى العباس بن عبد المطلب عم النبى ، والبيت فى اللسان — نطق . وقد تقدم صفحة ٢١٩

ثم[1] احتوى بَيْتُك المُهَيْمن مِنْ خِنْدِف علياء تحتها النُّطُقُ

قيل : المراد : يأيها المُهَيْمن ، قاله القُتَبِي[2] ، والإمام أبو القاسم القُشَيْرِى .

وقال تعالى[3] : ﴿ يُؤْمِنُ بالله ويُؤْمِنُ للمُؤْمنين ﴾ ؛ أى يصدِّق .

وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أَمَنَةٌ لأَصحابى[4] ؛ فهذا بمعنى المؤَمِّن .

ومن أسمائه تعالى : القُدُّوس[5] ، ومعناه المنزَّهُ عن النقائص المطهَّر من سِمَاتِ الحدَث ؛ وسُمِّىَ بيت المقدس ، لأنه يُتَطهَّر فيه من الذنوب[6] ؛ ومنه : الوادى المقدَّس ، ورُوح القدُس[7] .

---

(١) فى اللسان : حتى احتوى . . . قال : والنطق : جمع نطاق ، وهى أعراض من جبال بعضها فوق بعض ؛ أى نواح وأوساط ، شبهت بالنطق التى يشد بها أوساط الناس ،ضربه مثلا فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال . وأراد ببيته شرفه . والمهيمن نعته ؛ أى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف .

(٢) هذا فى ا ، ب (٣) سورة التوبة ، آية ٦١

(٤) هذا طرف من حديث : النجوم أمنة فى السماء ، فإذا ذهبت أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابى ، فإذا ذهبت أتى أصحابى مايوعدون . وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى مايوعدون . يعنى أن النجوم إذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ؛ ولذا كثر سقوطها عند بعثته ؛ إشارة إلى قرب الساعة ، فهو صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه من وقوع بأسهم بينهم ووقوع الفتن ؛ فإذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك ؛ كقصة عثمان ، وعلى ، والحسين . وأصحابه صلى الله عليه وسلم أمان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر ؛ فإذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك . والحديث فى صحيح مسلم : ١٩٦١ ، والشرح من شرح الشهاب (٢–٤٦٦) . وأمنة : أمان .

(٥) القدوس : من القدس ؛ وهو الطهارة والنزاهة .

(٦) يتطهر فيه من الذنوب : بزيارته والعبادة فيه . روى النسائى بإسناد صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا : حكما يصادف حكمه . وملكا لا ينبغى لأحد من بعده . وألا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهره إلا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فأعطى جميع ذلك (شرح الشهاب : ٢–٤٦٦) ؛ قال : ولهذا تشد إليه المطى ، كما تشد إلى مكة .

(٧) الوادى المقدس : هو طوى كلم الله فيه موسى . وروح القدس : جبريل .

ووقع فى كتب الأنبياء فى أسمائه صلى الله عليه وسلم : المقَدَّس ؛ أى المطَهَّر من الذنوب ، كما قال تعالى[١] : ﴿ لِيَغْفِرَ لكَ اللهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَّر ﴾ .

أو الذى يُتَطَهَّر به من الذنوب، ويُتنَزَّه باتِّبَاعِه عنها ، كما قال[٢] : « ويُزَكِّيهم » .

وقال تعالى[٣] : ﴿ ويُخْرِجُهم من الظُّلُماتِ إلى النُّور ﴾ .

أو يكون مقدَّسا بمعنى مطَهَّرا[٤] ، من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنِيّة .

ومن أسمائه تعالى : العزيز ، ومعناه : المُمْتَنِع[٥] الغالب ، أو الذى لا نَظير له ، أو المُعِزّ لغيره ؛ وقال تعالى[٦] : ﴿ ولله العِزَّةُ ولِرَسُولِه ﴾ ؛ أى الامتناعُ وجَلَالة القَدْر .

وقد وصف اللهُ تعالى نَفْسه بالبشَارَةِ والنِّذَارة ، فقال[٧] : ﴿ يُبَشِّرهم رَبُّهم برحمةٍ منه ورِضْوَانٍ ﴾ .

وقال[٨] : ﴿ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بيحيى ﴾ : و[٩] ﴿ بكلمةٍ منه ﴾ .

وسمّاه اللهُ تعالى مُبَشِّرًا ، ونَذِيرا ؛ أىَ مُبَشِّرًا لأهل طاعته ، ونَذِيرا لأهل مَعْصِيته .

ومِنْ أسمائه تعالى فيما ذكره بعضُ المفَسِّرين : طه ، ويس . وقد ذكر بعضُهم أيضا أنهما من أسماء محمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّم وشَرَّفَ وكَرَّم .

---

(١) سورة الفتح ، آية ١

(٢) سورة البقرة ، آية ١٢٩ . ومعنى يزكيهم : يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ، ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام .

(٣) سورة المائدة ، آية ١٦ ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور : من الكفر والمعاصى إلى الإيمان وتقوى الله وطاعته بإرشادهم وتوفيق الله لهم ببركته .

(٤) فى ا : مطهر . (٥) المتنع : الذى لا ينال ولا يدرك .

(٦) سورة « المنافقون » ، آية ٨ (٧) سورة التوبة ، آية ٢١

(٨) سورة آل عمران ، آية ٣٩ (٩) سورة آل عمران ، آية ٤٥

فصل

قال القاضي أبو الفضل[١] : وفقه الله ، وها أنا[٢] أذكر نكتةً[٣] أُذيِّلُ بها هذا الفصلَ ، وأختمُ بها هذا القسم ، وأُزيحُ الإشكالَ بها فيما تقدم عن كلِّ ضعيف الوَهْمِ[٤] ، سقيم الفَهْم ، تخلِّصُه من مَهَاوِي التشبيه[٥] ، وتزحزحُه عن شُبَهِ التمويه[٦] ؛ وهو أن يعتقدَ أنَّ اللهَ تعالى جلَّ اسْمُه في عظمته وكبريائه وملكوته، وحُسْنَى أسمائه، وعَلِيِّ صفاته، لا يُشْبِهُ شيئاً من مخلوقاته، ولا يشبَّهُ به[٧] ؛ وأنَّ ما جاء مما أطلقه الشَّرْعُ على الخالقِ وعلى المخلوق ؛ فلا تشابُهَ بينهما في المعنى الحقيقي ؛ إذ صفاتُ القديم بخلاف صفات المخلوق ؛ فكما أنَّ ذاتَه لا تُشْبِه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفاتِ المخلوقين ؛ إذ صفاتُهم لا تَنْفَكُّ[٨] عن الأَغْراضِ والأَغْراضِ ؛ وهو تعالى — مُنَزَّهٌ عن ذلك ؛

---

(١) هو المؤلف : القاضي عياض . (٢) هذا في ا ، ب .

(٣) النكتة : الأمر الدقيق المحتاج إلى فكر وتأمل ، سميت بها لأن صاحبها كثيرا ما ينحث في الأرض بقضيب ونحوه .

(٤) المراد بالوهم هنا : الذهن ، والإدراك (الشهاب : ٢ — ٤٦٩) .

(٥) مهاوى : جمع مهواة ؛ وهي كالهاوية : الحفرة العميقة التي من يقع فيها يصعب طلوعه. والتشبيه : المراد به تشبيه الله وصفاته بغيرها ؛ لأن إطلاق بعض الأسماء على الله وعلى غيره قد يوهم ذلك .

(٦) والتمويه : المراد بالتمويه : زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده .

(٧) لا يشبه به : لا يمثل به شيء لكمال ذاته وجلال صفاته .

(٨) لا تنفك : لا تفارق الأعراض ، والله — تعالى — منزه عن الأعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية ، لأنها تابعة للمزاج ، المستلزم للتركيب ، المستلزم للحدوث ، المنافي لوجوب الوجود الذاتي . وأفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض ، وإن كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة ، وهي تسمى غرضا ، أيضا ، ولكنه ليس محل خلاف .

بل لم يَزَلْ [١] بصِفَاتِه وأسمائه ، وكفى فى هذا قوله [٢] : ﴿ ليس كَمِثْلِه شىء ﴾ .

ولله دَرُّ مَنْ قال من العلماء العارفين [٣] المحقّقين : التوحيدُ إثباتُ ذاتٍ غيرِ مُشْبِهةٍ [٤] للذّوات ولا معطَّلةٍ عن الصفاتِ [٥] .

وزاد هذه النُّكتةَ [٦] الواسطىُّ - رحمه الله - بيانا ؛ وهى [٧] مقصودُنا ؛ فقال : ليس كذاته ذاتٌ ، ولا كاسْمِه اسْمٌ ، ولا كفِعْله فِعْلٌ ، ولا كصِفَتِه صِفةٌ ، إلا مِنْ جهة مُوَافقةِ اللفظِ اللفظَ ؛ وجلَّتِ الذّاتُ القديمةُ أنْ تكون لها صِفةٌ حديثةٌ ، كما استحال أن تكون للذّاتِ المُحْدَثة صفةٌ قديمةٌ .

وهذا كلُّه مَذْهبُ أهلِ الحقّ والسنّةِ والجماعةِ رضِىَ اللهُ عنهم .

وقد فسَّرَ الإمامُ أبو القاسمِ القُشَيْرىّ رحمه اللهُ - قوله [٨] [٨٥] هذا ، ليَزِيده بيانا ؛ فقال : هذه الحكايةُ [٩] تشتَمِلُ على جوامِع مسائِل التوحيد [١٠] ، وكيف تُشْبِهُ ذاتٌ ذاتَ [١١] المحْدَثات ؛ وهى بوجودها [١٢] مستَغْنِية ؛ وكيف يُشْبِهُ فِعْلُه فِعْلَ

---

(١) لم يزل موجودا أبدا بصفاته وأسمائه الدالة على ذاته وصفاته ؛ فهى قديمة .

(٢) سورة الشورى ، آية ١١

(٣) يقال : لله دره : للثناء عليه والتعجب من محاسنه .

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٤٧٢) : أراد بالعارفين مشايخ الصوفية .

(٤) هذا الضبط فى ا ، وفى ب ضبطت بضم الميم وسكون الشين ، وبضم الميم وفتح الشين وتشديد الباء ، وكتب عليها « معا » .

(٥) المراد غير منفي عنها الصفات . (٦) النكتة : يريد معنى التوحيد الذى قاله المشايخ .

(٧) وهى : أى الزيادة . (٨) قوله : أى الواسطى المتقدم .

(٩) هذه الحكاية : أى المحكى المنقول عن الواسطى .

(١٠) وهو اعتقاد أن الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته لا مثل له ولا ضد، ولا ند ولا شريك له فى ألوهيته واستحقاقه للعبادة .

(١١) فى ب : ذوات . (١٢) مستغنية : مستقلة غير محتاجة لغيرها .

الخَلْق ، وهو لغير جَلْبِ[١] أُنْسٍ ، أو دَفْعِ نَقْصٍ حَصَل ، ولا لخواطرَ وأغراضٍ[٢] وُجِد ، ولا بمُباشرةٍ ومُعالجةٍ ظَهَر ؛ وفِعْلُ الخَلْقِ لا يخرجُ عن هذه الوجوه[٣] .

وقال آخر – مِنْ مشايخنا[٤] : ما تَوَهَّمْتُمُوه بأوهامكم ، أو أدْرَكْتُمُوه بعقولكم فهو مُحْدَث مِثْلكم .

وقال الإمامُ أبو المعالي الجُوَيْني : مَنِ اطمأَنَّ إلى موجودٍ انتهى إليه فِكْرُه ؛ فهو مُشَبِّهٌ[٥] ، ومَنِ اطمأنَّ إلى النَّفْي المحْض فهو معطِّل[٦] وإن قطع بموجودٍ[٧] اعترف بالعَجْزِ عن دَرْك حقيقته فهو مُوَحِّدٌ[٨] .

وما أَحسَنَ قولَ ذي النُّونِ المصري[٩] : حقيقة التوحيد أن تَعْلَمَ أنَّ قدرةَ اللهِ تعالى

---

(١) جلب : تحصيل . والأنس : دفع الوحشة .

(٢) أي ليس شيء من أفعاله لدفع نقص حصل له ، أو لخاطر ، أو غرض ، وجد في نفسه .

(٣) هذه الوجوه هي : جلب النفع ، ودفع الضرر ، والأغراض ، والمباشرة ، والمعالجة .

(٤) أي يخاطب مريديه .

(٥) اطمأن إلى موجود : تيقن أمرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه أنه الله . فهو مشبه : معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما في خزانة فكره ؛ وهو خطأ ، لأنه ليس كمثله شيء ، وفكره إنما هو مدركاته المشاهدة ؛ فيأتيه التشبيه منها .

(٦) المحض : الخالص ؛ بأن نفى ذات الباري حقيقة أو حكما . معطل : ناف للصانع .

(٧) قطع : جزم . بموجود : بإله واجب الوجود .

(٨) فهو موحد : لأنه عرف الله ووحده ، واعترف بأنه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف .

(٩) هو الزاهد الواعظ ؛ كان أبوه نوبيا ، وصار عالما فصيحا حكيما ، توفي سنة ٢٤٥هـ .

فى الأشياء بلا عِلَاج [١] ، وصُنْعَهُ لها بلا مِزَاجٍ [٢] ؛ وعلةُ كلِّ شىء صُنْعُه [٣] ، ولا عِلّةَ لصُنْعِه ، وما تُصوِّر فى وَهْمِك فالله بخلافه [٤] .

وهذا كلامٌ عجيبٌ نَفِيس محقَّق ، والفَصْلُ الآخر [٥] ، تفسير لقـوله [٦] : « ليس كَمِثْلِه شىء » .

والثانى [٧] ، تفسير لقوله [٨] : « لا يُسأَل عما يَفعل وهم يُسأَلون » . والثالث [٩] ، تفسير لقوله [١٠] : « إنما قَوْلُنا لِشىء إذا أردناه أنْ نقولَ له كُنْ فيـكُون » .

ثبَّتنا اللهُ وإياكَ على التوحيد والإثباتِ [١١] ، والتّنزيه ، وجنَّبنا طرَفى الضَّلالة والغَوايةِ من التعطيل والتّشبيه بمَنّه ورَحمته .

---

(١) فى الأشياء : أى فى إيجادها وإبداعها . بلا علاج : بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة .

(٢) بلا مزاج : المراد أن إيجاده لها لا يحتاج إلى مادة ومعاونة ؛ بل قدرته تعالى العلية أوجدته ابتداء من العدم بعد أن لم تـكن ، بمجرد قوله : « كن فيكون » .

(٣) صنعه : أى بمجرده ، وبمجرد قدرته . وفى ا : ضبطت التاء فى « علة » بالفتحة والضمة ، وكتب عليها « معا » .

(٤) فإن ذاته لاتشبه الذوات ، وأفعاله لا تشبه أفعال غيره ؛ فهو منزه عن أن تتصوره الأوهام .

(٥) من كلام « ذو النون » وهو قوله : وما تصوره وهمك .

(٦) سورة الشورى ، آية ١١

(٧) والثانى : أى الفصل الثانى ؛ وهو قوله : وعلة كل شىء صنعه .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ٢٣

(٩) والثالث هو قوله : حقيقة التوحيد . . .

(١٠) سورة النحل ، آية ٤٠

(١١) والإثبات : أى إثبات مايليق بذاته .

الباب الرابع

فيما أظهره اللهُ تعالى على يديه من المعجزات[1]
وشرّفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضى أبو الفضل : حَسْبُ المتأمِّلِ أنْ يُحقِّق أن كتابَنا هذا لم نجمَعْه لمُنْكِرِ نبوّةِ نبيّنا صلّى اللهُ عليه وسلم ، ولا لطاعنٍ فى معجزاتِه ؛ فنحتاجَ إلى نَصْبِ[2] البراهينِ عليها ، وتحْصِين حَوْزَتِها[3] ، حتى لا يتَوَصَّلَ الطاعِنُ إليها[4] ، ونذكُرَ شروطَ المعجزِ[5] والتحدّى[6] وحَدَّه ، وفسادَ قولِ مَنْ أبطلَ نَسْخَ الشرائع ، وردَّه ؛ بل ألْفَيْنَاه لأهلِ مِلَّتِه[7] ، المُلَبِّين لدعْوَتِه ، المصدِّقين لنبوّته ؛ ليكونَ تأكيدا فى محبَّتِهم له ، ومَنْماةً لأعمالهم[8] ؛ وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم .

ونِيَّتُنا أنْ نثبتَ فى هذا الباب أُمهاتِ[9] معجزاته ، ومَشاهير آياته؛ لتَدلَّ[10] ،

---

(١) المعجزات : هى الأمور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه لإلزام من كذبهم إذا عجزوا عن الإتيان بالمثل .

(٢) نصب البراهين :أى إقامة البراهين وإيضاحها وإثبات الأدلة القاطعة الملزمة لمن أنكرها أو طعن فيها .

(٣) الحوزة : الناحية والجانب . وتحصينها: جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنا يحميها.

(٤) الطاعن: جمع مطعن ،وهو الطعن،والرد بالأباطيل الفاسدة التى تصدر عن أهل الإلحاد. والضمير فى « إليها » للحوزة ، أو للمعجزة (شرح الخفاجى : ٢ — ٢٧٦) . وفى ب ، وشرح القارى : الطاعن . (٥) فى ب : المعجزة . (٦) حده : تعريفه .

(٧) أى إنما ألفناه لأهل ملة محمد من المؤمنين به .

(٨) منماة : زيادة ؛ أى يزيدهم رغبة فى أعمالهم الصالحة ، أو من نميت الحديث إذا بلغته ، ويكون المعنى : يبلغ أعمالهم إلى الله تعالى .

(٩) أمهات معجزاته : كبارها وعظامها .

(١٠) فى ب : لندل — بالنون .

على عظيم قَدْره عند ربه . وأتينْنا منها بالمحقّق والصحيح الإسنادِ ؛ وأكثرُه مما بلغ القَطْع[1] ، أو كاد ؛ وأضَفْنا إليها بعضَ ما وقع فى مشاهير كتُب الأئمة[2] .

وإذا تأمّلَ المتأمّلُ المُنصف ماقدمناه مِنْ جميل أثره ، وحَميدِ سِيَره ، وبراعةِ[3] عِلْمه ، ورَجَاحةِ عَقْلِه وحِلْمه ، وجُمْلةِ كمالِه ، وجميع خِصالِه ، وشاهِدِ حالِه ، وصوابِ مقالِه — لم يَمْتَرِ[4] فى صحّة نُبوّته ، وصِدْق دَعْوته .

وقد كفى هذا غيرَ واحدٍ فى إسلامه والإيمانِ به .

فرَوَيْنا عن التّرْمذى[5] ، وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم — أنّ عبدَ الله بن سَلَام ؛ قال : لما قدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ جِئْتُه لأنْظُرَ إليه ؛ فلما استَبَنْت[6] وجْهَه عرفتُ أنَ وَجْهَه ليس بوَجْه كذّاب .

حدثنا به القاضى الشهيدُ أبو علىّ رَحِمَه اللهُ ؛ قال : حدثنا أبو الحُسين الصَّيْرفى ، وأبو الفضل بن خَيْرون ، عن أبى يَعْلَى البغدادى ، عن أبى على [٨٦] السِّنْجِىّ ، عن ابن محبوب ، عن التّرْمِذى ؛ حدثنا محمد بن بشّار ، حدثنا عبدُ الوهاب الثّقَفى ، ومحمد بن جعفر ، وابنُ أبى عدىّ ، ويحيى بن سَعيد ، عن عَوْف بن أبى جَمِيلَة الأعرابىّ ، عن زُرَارة بن[7] أوفى ، عن عبد الله بن سلَام . . . الحديث .

---

(١) أى وصل إلى رتبة القطع ، بحيث لايقبل التشكيك .

(٢) الأئمة : يريد أئمة الحديث الذين تلقى الأئمة كتبهم بالقبول ؛ كدلائل النبوة للبيهقى ، والسنن ، وغيرها .

(٣) براعة علمه : علمه الفائق به على غيره .

(٤) لم يمتر : لم يشك ، ويقع له تردد .

(٥) الحديث فى سنن الترمذى : ٤ — ٦٥٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٦) استبنت وجهه : رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سريرته وباطنه . وفى الترمذى استثبت .

(٧) هذا فى ا ، ب ، وسنن الترمذى (٤ — ٦٥٢) . وفى هامش ب : ابن أبى أوفى .

وعن أبي رِمْثَةَ التَّيْمي : أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، ومعي ابنٌ لي ، فأريتُه[1] ؛ فلما رأيتُه قلتُ : هذا نبيُّ الله[2] .

ورَوَى مسلم[3] وغَيْرُه أنَّ ضِمَاداً لمّا وفَد عليه ، فقال له النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم : إنَّ الحَمْدَ للهِ ، نَحْمَدُهُ ونستعينُه ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ[3] له ؛ ومَنْ يُضْلِل فلا هاديَ له ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لاشَريكَ له ، وأنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُه ـ قال له : أعِدْ عليَّ كلماتِكَ هؤلاء ، فلقد بلَغْنَ قاموسَ البَحْرِ[4] ، هاتِ يَدَكَ أُبايِعكَ[5] .

وقال جامع بن شدّاد[6] : كان رجلٌ منا يُقالُ له طارق ، فأخبر أنه رأى النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلم بالمدينة ، فقال : هل معكم شيء تَبيعونَه؟ قلنا : هذا البَعِير .

---

(١) أرانيه بعض من يعرفه ، وعرفني به غيري .

(٢) أي بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته لما شاهده من عظمته ونور نبوته ، فأوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم .

(٣) الحديث في صحيح مسلم : ٥٩٣ ، فلا مضل له : أي لايقدر أحد على إضلاله .

(٤) قاموس البحر : وسطه ، أو لجته ، أو قعره . يريد اشتهرت مقالتك هذه في جميع أقطار الأرض شرقا وغربا . يقال : قال فلان قولا بلغ قاموس البحر ؛ أي سمعه كل ذي روح حتى دواب البحر ، وهو مبالغة في شيوعه . وفي هامش ا ، ب :قاموس البحر : وسطه ومعظمه.

وفي صحيح مسلم (٥٩٣) : ولقد بلغن ناعوس البحر . وفي هامشه : ناعوس البحر : ضبطناه بوجهين : أحدهما ـ ناعوس ، وهذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا . والثاني ـ قاموس . وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير مسلم .

وقال القاضي عياض : أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها قاموس .قال أبو عبيد :قاموس البحر : وسطه . وقال ابن دريد : لجته . وقال صاحب كتاب العين : قعره الأقصى .

(٥) وجه استشهاد المصنف به أنه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله عليه وسلم آمن به من غير تردد ، وليس في كلامه مايدل على صدق مدعاه ، ولكنه لمارأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به .

(٦) في حديث رواه البيهقي .

قال : بكم ؟ قُلْنا : بكذا وكذا وسْقًا[١] من تَمْر ؛ فأخذ بخِطَامه[٢]، وسار إلى المدينة؛ فقُلْنا : بعْنَا من رجل لا نَدْرِى مَنْ هو ؛ ومعنا ظَعِينَةٌ[٣] ، فقالت : أنا ضامِنَةٌ لِثَمَن البَعِير ؛ رأَيْتُ وَجْهَ رجلٍ مِثْلَ القمرِ ليلةَ البَدْرِ لا يَخِيس[٤] فيكم .

فأصبحْنَا ، فجاء رَجلٌ بتَمْرٍ فقال : أنا رسولُ رسولِ اللهِ إليكم ، يَأْمرُكم أنْ تأْكُلوا من هذا التَّمْرِ ، وتَكْتَالُوا حتى تستَوْفوا[٥] . ففعَلْنا .

وفى خَبَرِ الجُلَنْدَى مَلكِ عُمَانَ[٦] ـ لمَّا بلغه أنَّ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ـ قال الجُلَنْدَى[٧] : واللهِ ؛ لقد دَلَّنِى على هذ النبيِّ الأُمِّىِّ أنه لا يأْمُرُ بخَيْرٍ إلّا كان أولَ آخِذٍ[٨] به ، ولا يَنْهى عن شيء[٩] إلّا كان أولَ تارِكٍ له ، وأنه يغلِبُ فلا يَبْطَرُ[١٠] ويُغْلَبُ فلا يَضْجَرُ[١١] ، ويَفِى بالعَهْد ، ويُنْجِزُ[١٢] الموعود ؛ وأشهَدُ أنه نبىٌّ[١٣] .

---

(١) وسقا من تمر : الوسق : ستون صاعا مما يكال .

(٢) الخطام : الزمام الذى يقاد به . (٣) الظعينة : المراد امرأة .

(٤) لا يخيس : لا يغدر ، ويكذب ، فينكس وعده ، ويخلف عهده . فالمراد أن حسن صورته يدل على حسن سيرته ؛ فمثله لا يصدر عنه ماظننتموه .

(٥) وتكتالوا : أى تكيلوا منه ثمن البعير . وتستوفوا : تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا غير ما أكلتموه ؛ فإنه هبة منه لكم . وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى .

(٦) هذا الضبط فى ب . وفى ا : بضم العين وتشديد الميم . وفى هامش ب : غسان .

(٧) فى حديث رواه ابن إسحاق . (٨) أول آخذ به : أول عامل بما أمر به .

(٩) فى ا : عن شر . (١٠) لا يبطر : لا يطغى ولا يفتر ويظهر الفرح .

(١١) فلا يضجر : فلا يقلق ولا يجزع ؛ بل يصبر ويتحمل ما أصابه فى سبيل الله احتسابا لأجره ورضاه بما قدره الله تعالى . (١٢) ينجز الموعود : يعجل ما وعد به لكرمه .

(١٣) لما تحقق من أخلاقه وكمال صفاته . وهذا شاهد لما عقد له الفصل من أن من تأمل صفاته صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته وإن لم يشاهد معجزة .

وقال نِفْطَويه ـ فى قوله تعالى [1] : ﴿ يكادُ زَيْتُها يُضِىء ، ولو لم تَمْسَسْهُ نارٌ ﴾ : هذا مثَلٌ ضربه اللهُ تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : يكادُ مَنْظَرُه يَدُلّ على نبوّته وإن لم يَتْلُ قُرْآنا [2] كما قال ابن رَوَاحة [3] :

لو لَمْ تَكُنْ فيه آياتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكان مَنْظرُه [4] يُنْبيكَ بالخَبَر

وقد آنَ أَنْ نَأخذَ فى ذِكْرِ النبوّةِ والوَحى والرسالةِ ، وبعده فى معجزة القرآن ، وما فيه من بُرْهان ودَلالة .

فصــــل

اعلَمْ أنّ اللهَ جلّ اسْمُه قادرٌ على خَلْقِ المعرفةِ فى قلوبِ عِبادِه ، والعِلْمِ بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته [5] ابتداء دونَ واسطةٍ لوشاء؛ كما حُكِىَ عن سُنّتِه [6] فى بعض الأنبياء ، وذَكره بعضُ أهلِ التفسير فى قوله [7] : ﴿ وما كان لبَشَرٍ أَنْ يكلّمَه اللهُ إلّا وَحْياً ﴾ .

وجائزٌ أَنْ يُوصِلَ إليهم جميع ذلك بواسطةٍ تبلّغُهم كلامَه ، وتكونُ تلك [8] الواسطة ؛ إمّا مِنْ غير البَشَر ، كالملائكة مع الأنبياء ؛ أو مِنْ جِنْسهم ، كالأنبياء مع الامم ، ولا مانِعَ لهذا مِنْ دَليلِ العَقْل .

(١) سورة النورة ، آية ٣٥

(٢) وإن لم يتل قرآنا : المراد : وإن لم يظهر معجزة . وخص القرآن لأنه أعظم معجزاته .

(٣) البيت فى الإصابة : ٤ — ٨٦

(٤) منظره : مرآه وظاهره . ينبيك : ينبئك ويخبرك .

(٥) تكليفاته : التى ألزمهم بها من الأمور الشرعية والعبادات .

(٦) سنته : عادته وطريقته . عن بعض الأنبياء : إذ عرفهم بعض الأمور السابقة بدون واسطة ؛ فأوقع ذلك فى قلوبهم وكشفه لهم ؛ أو ألهمهم ، أو أراهم ذلك فى مناماتهم الصادقة .

(٧) سورة الشورى ، آية ٥١

(٨) فى ا ، ب : ذلك . ونراه تحريفا .

وإذا جاز هذا ولم يَسْتَحِلْ [١]، وجاءت الرسلُ بما دَلَّ على صِدْقِهم من مُعْجزاتِهم ـ وجب تصديقُهم فى جميع ما أَتَوْا به ؛ لأَنَّ المعجزَةَ مع التحدِّى [٢] من النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم قائمٌ مقامَ قولِ الله : صَدَقَ عَبْدِى فأَطِيعُوه واتَّبِعوه ، وشاهدٌ على صِدْقه فيما يقولُه ؛ وهذا كافٍ . والتطويلُ فيه خارج عن الغَرَضِ [٨٧] ؛ فمَنْ أَرادَ تتبُّعَه وجده مستوفى فى مصنَّفاتِ أَئمتنا رحمهم الله .

فالنبوَّةُ فى لغة مَنْ همز مأخوذة من النَّبأ ، وهو الخبَر ، وقد لا تُهْمَزُ على هذا التأويل تَسْهيلا .

والمعنى أَنَّ اللهَ تعالى أَطْلَعه على غَيْبِه ، وأَعْلَمه أنه نبيُّه ؛ فيكون نبىٌّ [٣] مُنَبَّأً فَعِيل بمعنى مَفْعول ؛ أَو يكون مُخْبِراً عمّا بعثه اللهُ تعالى به ، ومُنَبِّئًا بما أطلعه الله عليه فَعِيل بمعنى فاعل ؛ ويكونُ عِنْدَ مَنْ لم يَهْمِزهُ من النَّبْوَةِ ؛ وهو ما ارتفع من الأرض؛ ومعناهُ أَنَّ له [٤] رُتْبَةً شريفةً ، ومكانةً نبيهةً [٥] عند مولاه [٦] مُنِيفةً [٧] ؛ فالوصفان فى حقِّه مُؤْتَلِفان [٨] .

وأما الرسولُ فهو المُرْسَل ، ولم يأْتِ فَعُول بمعنى مُفْعَل فى اللغة إلا نادرا . وإرسالُه أَمْرُ اللهِ له بالإبلاغ [٩] إلى مَنْ أَرسلَه إليه ؛ واشتقاقُه من التتابع [١٠] ؛

(١) لم يستحل : أى لم يعد محالا عقلا .

(٢) أى إظهار النبى معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الإتيان بما يماثلها .

(٣) هذا فى ا ، ب .   (٤) له : عند الله .   (٥) نبيهة : عالية مشهورة .

(٦) عند مولاه : ربه الذى تولى أمره .   (٧) منيفة : عالية .

(٨) الوصفان : أى وصفه بمعنى المخبر ، أو بمعنى المرتفع . مؤتلفان : متوافقان بحسب المعنى ؛ لأن من بعثه الله وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية . ومن له مقام عال يطلع على ذلك .

(٩) أى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة .

(١٠) التتابع : التوالى والتكرار لتبليغه .

ومنه قولهم : جاء الناسُ أَرْسَالا[١] ، إذا تبِعَ بعضُهم بعضا ؛ فكأنه أَلزِمَ تكريرَ التبليغ ، أو أَلزِمت الامَّةُ اتِّبَاعه .

واختلف العلماء: هل النبيُّ والرسولُ بمعنى، أو بمعنيين ؟ فقيل: هما سواء، وأَصْلُه من الإنباء وهو الإعلامُ ؛ واستدلُّوا بقوله تعالى[٢] : ﴿ وما أرسلْنَا مِنْ قَبْلك مِنْ رَسُولٍ ولا نبيّ ﴾ ؛ فقد أثبتَ لهما معا الإرسالَ ، قال : ولا يكون النبيُّ إلا رسولا، ولا الرسولُ إلا نبيّا[٣] .

وقيل : هما مُفْتَرِقان مِنْ وجْه ؛ إذ قد اجتمعا فى النبوةِ التى هى الاطِّلاعُ على الغَيْب[٤] ، والإعلامُ بخواصِّ النبوّةِ أو الرفعةِ لمعرفةِ[٥] ذلك ، وحَوْزِ[٦] دَرَجتها؛ وافترقا فى زيادةِ الرِّسالة[٧] للرسول،وهو الأمرُ بالإنذار والإعلام كما قُلْنا.

وحجّتُهم من الآية نَفْسِها التفريقُ بين الاسمين[٨] ، ولو كانَا شيئا واحدا لما حَسُنَ تكرَارُهما فى الكلام البليغ ، قالوا : والمعنى : ما أرسلنا من رَسول إلى أمة أو نبيّ ليس بمُرْسَل إلى أحد .

وقد ذهب بعضُهم إلى أنَّ الرسولَ مَنْ جاء بشَرْعٍ مبتدأ[٩]، ومَنْ لم يأتِ به[١٠] نبيٌّ غَيْرُ رسولٍ ، وإنْ أُمِرَ بالإبلاغ والإنذار .

والصحيحُ ، والذى عليه الجَمَّاء الغَفِير[١١] ، أنَّ كلَّ رسولٍ نبى ، وليس كلُّ نبى رسولا .

---

(١) أرسالا : فرقة بعد فرقة متتابعين ، يتبع بعضهم بعضا .

(٢) سورة الحج ، آية ٥٢ (٣) أى على هذا المعنى .

(٤) أراد به مالم يعلمه من أوامر الله تعالى ، وتشريعه له ما يختص به ، أو به وبغيره .

(٥) فى ب : بمعرفة . (٦) حوز درجتها : حيازتها وتحصيلها .

(٧) الرسالة : الأمر بالتبليغ . (٨) بين الاسمين : النبى ، والرسول .

(٩) أى إن شرعه لم يسبق إليه . (١٠) به : بالشرع المبتدأ الذى لم يسبق إليه .

(١١) الجماء الغفير : الجماعة الكثيرة .

وأولُ الرسلِ آدم ، وآخِرُهم محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى حديث أبى ذرٍّ[1] رضى الله عنه : إنَّ الأنبياء مائةُ ألف وأربعةٌ وعشرون ألف نبيّ .

وذَكَر أنَّ الرسلَ[2] ، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر[3] ؛ أولهم آدم عليه السلام .

فقد بانَ لكَ معنى النبوة والرسالة، وليستا عند المحقِّقين ذاتاً للنبى ، ولا وَصْفَ[3] ذاتٍ ، خلافا للكَرّامِيّة[4] ، فى تطويلٍ لهم ، وتَهْويلٍ[5] ، ليس عليه تَعْويل .

وأما الوَحْيُ فأصلُه الإسراعُ ، فلما كان النبى يتلَقَّى ما يأتيه من ربه بعَجَل سُمِّىَ وَحْيا[6] ، وسُمّيت أنواعُ الإلهامات[6] وَحْياً ، تشبيها بالوَحْى إلى النبى ، وسُمِّىَ الخَطّ وَحْيا ، لسرعةِ حرَكةِ يَدِ كاتبِه؛ وَوحْى الحاجب واللَّحْظ سرعةُ إشارَتِهما[7] ومنه قوله تعالى[8] : ﴿فأَوْحَى إليهم أَنْ سَبِّحُوا بُكْرةً وَعَشِيًّا﴾ ؛ أى أَوْمأَ وَرمَز[9] .

وقيل : كتب ؛ ومنه قولهم : الوَحا[10] ، الوَحَا ؛ أى السرعة .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (المسند : ٥ — ٢٦٦) ، وابن حبان ، والحاكم فى مستدركه . وقال الحاكم فى مستدركه : إنه طعن فى بعض رواته . وقيل إنه منكر . وقال القرطبى : أنه أصح حديث ورد فى عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام . (نسيم الرياض : ٢ — ٤٩١) .

(٢) منهم : من الأنبياء . وفى المسند : ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .

(٣) ولا وصف ذات : أى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه — صلى الله عليه وسلم — قبل الوحى إليه .

(٤) فهؤلاء قالوا : إنهما أمران غير الوحى ، وأمر الله بتبليغ شريعته ؛ فصاحبهما متصف بهما وإن لم يوح إليه . والكرامية ينسبون إلى محمد بن كرام .

(٥) وتهويل : أى تخويف وتفزيع لمن عدل عن مذهبهم فى هذا .

(٦) كقوله تعالى : وأوحى ربك إلى النحل . والإلهام : إلقاء أمر فى الروع باعث على الفعل أو الترك .

(٧) أى حركتهما بسرعة للإشارة بهما .

(٨) سورة مريم ، آية ١١

(٩) رمز : أشار بالعين أو بأحد أعضائه .

(١٠) فى ا : الوحاء — ممدودا . وفى ب : الوحا — مقصور . وهو يمد ، ويقصر .

وقيل أصل الوَحْيِ السرُّ والإخفاء ، ومنه سُمِّى الإلهامُ وَحْياً ، ومنه قوله[١] : ﴿ وإنَّ الشياطينَ ليوحُونَ إلى أَوْليائهم ﴾ ، أى يُوَسْوِسُون فى صدورهم ؛ ومنه قوله[٢] : ﴿ وأَوْحَيْنَا إلى أمِّ مُوسى ﴾ ؛ أى أُلْقِىَ فى قلبها .

وقد قِيل ذلك فى قوله تعالى[٣] : ﴿ وما كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَه اللهُ إلا وَحْياً ﴾ [٨٨] ؛ أى ما يُلْقيه فى قلبه دونَ وَاسِطَةٍ[٤] .

فصل

اعلم أنّ معنى تَسْمِيتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة ، هو أنّ الخَلْقَ عجزُوا عن الإتيانِ بمثلها ؛ وهى[٥] على ضَرْبين ؛ ضرب هو مِنْ نوع قُدْرةِ البشَر ؛ فعجزوا[٦] عنه ، فتعجيزُهم عنه فِعْلٌ لله دلَّ على صِدْقِ نبيّه ؛ كصَرْفِهم عن تمنِّى الموت[٧] .

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢١ . إلى أوليائهم : من يوالونهم ويصادقونهم من المشركين . والمراد بالشياطين مردة الجن . وبالأولياء : كفرة قريش .

(٢) سورة القصص ، آية ٧ (٣) سورة الشورى ، آية ٥١

(٤) قال فى نسيم الرياض (٢ — ٤٥٣) : والذى رجحوه فى هذه الآية أن المراد بالوحى فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وكلامه لموسى عليه السلام . وحديث أبى ذر المشار إليه بتمامه فى نسيم الرياض (٢ — ٤٩٣) ، وشرح القارى (١ — ٥٣٠)

(٥) وهى : أى المعجزة .

(٦) أى مقدورهم الذى يمكنهم الإتيان بما يماثله من نوعه . فعجزوا عنه : أى فطلب منهم فعجزوا عنه .

(٧) أى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ وقالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » ؛ فكذبهم الله تعالى ، وألزمهم بقوله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ثم أخبر عنهم بقوله : ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم : لو تمنى اليهود الموت لماتوا ، ورأوا مقاعدهم من النار .

وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم(١) ، ونحوه .

وضَرْبٌ هو خارجٌ عن قدرتهم ؛ فلم يقدروا على الإتيانِ بمثله ؛ كإحياء الموتى ، وقَلْبِ العَصا حيّة(٢) ، وإخراج ناقةٍ من صَخرةٍ(٣) ، وكلام شجرةٍ ، ونَبْع الماء من الأصابع ، وانشقاقِ القَمر(٤) ، مما لا يُمْكِنُ أَنْ يفعلَه أحد ، إلا الله ؛ فيكونُ ذلك على يَدِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ فِعْل اللهِ تعالى(٥) وتحدّيه مَنْ يُكذِّبُه أَنْ يَأْتِي بمثله تعجيزٌ له .

واعلَمْ أنّ المعجزاتِ التي ظهرَتْ على يدِ نبيّنا صلى اللهُ عليه وسلم دلائلَ نبوّته وبراهينَ صِدْقِه ـ من هذَيْنِ النوعين(٦) معاً ؛ وهو أكثَرُ الرسُلِ معجزةً ، وأبهرهم آيةً(٧) ،

= أى قل لهم يا محمد : إن كنتم أحباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت ؛ فإن من أحب الله أحب لقاءه ، ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها ؛ فلم يتمنه أحد منهم ولو بلسانه . لصرف الله لهم عن ذلك .

قال فى نسيم الرياض (٢ — ٤٩٥) : وهذا أعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم — كما قاله المفسرون .

(١) هذا البعض هو القائل بأن إعجازه بالصرفة ؛ أى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رءوس الأشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف إلى مجالدة السيوف .

(٢) كإحياء الموتى الذى وقع لإبراهيم ولعيسى عليهما السلام . وقلب العصا حية معجزة لموسى .

(٣) اقترح على صالح جندع بن عمرو سيد قومه أن يخرج لهم من صخرة ناقة عشراء ، فصلى ودعا ربه ، فتمخضت تمخض النتوج بولدها ، فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ؛ فآمن جندع فى جمع من قومه ، وتمادى غيرهم فى الكفر حتى عقروا الناقة ، فأخذتهم الرجفة . . .

(٤) وهذه الثلاثة من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وستأتى مفصلة .

(٥) من فعل الله تعالى : أظهره على يده بقدرته .

(٦) أى ما هو من نوع قدرة البشر ، وما هو خارج عنها .

(٧) الآية : المعجزة . وأبهر : من بهر ؛ أى ظهر وغلب . والمعنى أن معجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر وأظهر وأقوى .

وأظهرهم بُرْهانا ؛ كما سنُبَيِّنُه ؛ وهى ـ فى كَثْرتها ـ لا يحيطُ بها ضَبْطٌ[١] ؛ فإنّ واحداً منها ـ وهو القرآن، لا يُحصى عدَدُ معجزاتِه بألفٍ ولا ألفَيْن، ولا أكثر[٢]؛ لأنّ النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم قد تحدَّى بسورةٍ منه فعُجِزَ عنها .

قال أهلُ العِلْم : وأقصَرُ السُّوَر : إنَّا أعطيناكَ الكَوْثَر . . . فكلُّ آيةٍ أو آيات منه بعَدَدِها[٣] وقَدْرِها مُعْجِزةٌ ؛ ثم فيها نَفْسِها مُعْجزاتٌ على ما سنفصِّلُه فيما انطوى[٤] عليه من المعجزات .

ثم معجزاته صلّى اللهُ عليه وسلم على قسمين : قسمٌ منها عُلِمَ قَطْعا ، ونُقِلَ إلينا متواتِرا كالقرآن ؛ فلا مِرْيةَ[٥]، ولا خلافَ بمجىء النبىِّ به ، وظهورِه من قِبَله[٦]؛ واستدلاله بحُجّتِه ؛ وإنْ أنكر هذا مُعانِدٌ جاحِدٌ[٧] ، فهو كإنكاره وجودَ محمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلم فى الدُّنيا[٨] .

وإنما جاء اعتراضُ الجاحدِين فى الحجَّة به[٩] ؛ فهو فى نَفْسِه وجميع ما تضمَّنه من مُعْجِز معلوم ضرورةً .

ووَجْهُ إعجازِه معلوم ضرورةً ونَظَراً ، كما سنَشْرحُه .

---

(١) لا يحيط بها ضبط : لايحيط بها حصر ، أو عد ، أو حفظ .

(٢) لما فى ألفاظه من البلاغة وفنونها ، كالتوكيد ، والتلميح ، والتشبيه ، والاستعارة ، والإيجاز ، وحسن الفواتح والخواتم ، والفواصل إلى غير ذلك مما لا يحصى .

(٣) بعددها : أى بعدد سورة الكوثر آيات وحروفا وكلمات .

(٤) فيما انطوى : اشتمل القرآن .

(٥) فلا مرية : المرية : الشك ، والتردد ، والشبهة .

(٦) من قبله : من جهته وجانبه . (٧) جاحد : منكر له عنادا مع علمه به .

(٨) فهو إنكار للمحسوسات ؛ وذلك لايصدر من عاقل .

(٩) فى الحجة به : أى الاحتجاج به وأنه كلام الله ؛ كقول المشركين : هذا سحر مبين. وأساطير الأولين .

قال بعضُ أئمتنا [١] : ويَجْرِى هذا المَجْرى [٢] على الجملة أنه قد جَرَى على يَدَيْهِ صلّى اللهُ عليه وسلم آياتٌ وخَوَارقُ عادَاتٍ إنْ لم يَبْلُغْ واحدٌ منها معيَّناً القَطْعَ فيبلغه جميعُها ؛ فلا مِرْيَةَ فى جرَيانِ معانيها على يَدَيْهِ ؛ ولا يختلفُ مؤمنٌ ولا كافر — أنه جرَتْ على يديه عجائبُ [٣] ؛ وإنما خلافُ المُعَانِدِ فى كَوْنِها مِنْ قِبَلِ الله .

وقد قدَّمْنا كونَها مِنْ قِبَلِ اللهِ ، وأنّ ذلك بمثَابة قوله [٤] : صدَقْتَ .

فقد عُلِمَ وقوعُ مثلِ هذا أيضا مِنْ نبيِّنا ضرورةً لاتّفاقِ مَعَانيها [٥] ، كما يُعْلَم ضرورةً جودُ حاتمٍ ، وشجاعةُ عَنْترةَ ، وحِلْمُ أحْنَف ، لاتِّفَاقِ الأخبارِ الواردة عن كل واحدٍ [٦] منهم على كرمِ هذا ، وشجاعةِ هذا ، وحِلْمِ هذا ، وإنْ كان كلُّ خَبَرٍ بنفسه [٧] لا يُوجِبُ العلمَ ، ولا يُقْطَعُ بصحَّته [٨] .

والقسمُ الثانى [٩] ما لم يَبْلُغ مَبْلَغَ الضرورة والقَطْعِ ؛ وهو على نوعين : نوعٍ مُشْتَهِرٍ مُنْتَشِرٍ ، رواهُ العدَدُ ، وشاعَ الخَبَرُ به عند المحدِّثين والرُّواةِ ونَقَلَةِ السِّيَرِ والأخبارِ ؛ كنَبْعِ الماء من بين الأصابع ، وتكثيرِ الطعام [١٠] .

---

(١) بعض أئمتنا : أى علماء الحديث والتفسير ، وفى شرح القارى (١ — ٥٣٦): بعض أئمتنا : أى أئمة المالكية .

(٢) يجرى هذا المجرى : يقارب ما تقدم ويشبهه ؛ أى مجرى القسم الأول من معجزاته لذى علم قطعا ونقل إلينا تواترا .

(٣) عجائب : أى أمور خارقة للعادة حيرت أبصارهم وألبابهم حتى يتعجب المتعجب منها .

(٤) قوله : قول الله . وقد تقدم صفحة ٣٤٦

(٥) لاتفاق معانيها : لتوفيقها كلها فى معنى واحد .

(٦) حاتم الطائى المعروف بالكرم فى الجاهلية . وعنترة العبسى المشهور بشجاعته فى الجاهلية أيضا . وأحنف بن قيس المشهور بالحلم — فى الجاهلية والإسلام .

(٧) بنفسه : أى وحده ، وبانفراده .

(٨) ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده .

(٩) والقسم الثانى من المعجزات .

(١٠) الذى رواه أنس وغيره . وسيأتى بعد .

ونوعٌ منه اختصَّ به(١) الواحدُ والاثنان ؛ ورَوَاهُ العَدَدُ اليَسِيرُ ، ولم يَشْتهِر اشتهارَ غيره ، لكنه إذا جُمِعَ إلى مِثْلِه اتّفقا(٢) في المعنى ، واجتمعا على الإتيان بالمُعْجِز ، كما قدَّمناه(٣) .

قال القاضي أبو الفَضْل(٤) [٨٩] : وأنا أقولُ صَدْعا بالحق : إنّ كثيراً من هذه الآياتِ المأثورة عنه صلى اللهُ عليه وسلم معلومةٌ بالقَطْع(٥) :

أمّا انشِقَاقُ القَمرِ فالقرآنُ نَصَّ بوقوعهِ ، وأخبر عن وجوده(٦) ، ولا يُعْدَلُ عن ظاهرٍ إلّا بدليل ، وجاء برَفْع(٧) احتماله صحيحُ الأخبار من طرق كثيرة(٨) ، ولا يُوهِنُ عَزْمَنا(٩) خلافُ أَخْرَقَ(١٠) مُنْحلِّ عُرَى الدِّين(١١) ، ولا يُلتفَت إلى

---

(١) اختص به : أي بروايته .

(٢) اتفقا في المعنى : في أصل الإعجاز وثبوته .

(٣) كما قدمناه : أي من جريانها على يديه ، وانضمام بعضها إلى بعض المقوى له .

(٤) هو المصنف .

(٥) المأثورة : المروية . معلومة بالقطع : لتواترها .

(٦) في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » : سورة القمر ، آية ١

(٧) برفع احتماله : أي بدفع احتمال خلاف الظاهر .

(٨) في نسيم الرياض (٢- ٥٠١):قال خاتمة الحفاظ ابن حجر:إن ماروى في الصحيحين يفيد علما قطريا وإن لم يتواتر .

(٩) يوهن : يضعف . عزمنا : ما عزمنا عليه وقصدناه من إثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل .

(١٠) خلاف أخرق : مخالفة أحمق: والمراد : جاهل لادراية له ، ولا معرفة بالأحاديث.

(١١) المراد أنه غير متمسك بالدين .

سخافة مُبْتَدِعٍ يُلْقِي الشكَّ على قلوب ضُعَفاء المؤمنين ؛ بل نُرْغِم بهذا أنفَه [١] ، ونَنْبِذ بالعَرَاء سُخْفَه [٢] .

وكذلك قصة نَبْعِ الماء ، وتكثير الطعام — رَوَاها الثِّقاتُ والعَدَد الكثير عن الجَمّاء الغَفِير ، عن العدد الكثير من الصحابة [٣] .

ومنها ما رَوَاه الكافةُ عن الكافَّةِ مُتَّصلا عمَّن حدَّث بها مِنْ جُمْلة الصحابة وإخبارهم أنَّ ذلكَ كانَ في مَوْطنِ اجتماعِ الكثيرِ منهم في يوم الخَنْدق ، وفي غزوة بُوَاط [٤] ،

(١) بل نرغم بهذا أنفه : أي نرد ما قاله ، ونظهر جهله وسخافة عقله ، حتى يفتضح ويذل ويخزى . (٢) ننبذ : نطرح ونلقى .

قال في نسيم الرياض (٢ — ٥٠٢) : وحاصله أن انشقاق القمر في الآية على ظاهره ، لوروده في الأحاديث الصحيحة من طرق متعددة ، فمن حمله على أن المراد أنه سينشق إذا قامت القيامة يوم تشقق السماء — لم يأت بشيء ؛ وإن ارتضاه جمع ؛ لأنه لو وقع شاع وذاع وملأ الأسماع لأنه آية عظيمة . وقيل معناه : ظهر الأمر ؛ لأن العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح ؛ كما قال الشنفرى في لامية العرب :

فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وأرحل

وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه ، كما يقال : انفلق الصبح وانشق ، كما قال النابغة :

فلما أدبروا ولهم دوى ... دعانا عند شق الصبح داعى

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ماورد في السنة والفهم لأقوال الحكماء الذاهبين إلى امتناع الخرق والالتئام في الأجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية .

(٣) كالشيخين عن أنس ، والبخارى عن ابن مسعود . وستأتى هذه الأحاديث بعد .

(٤) بواط : اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة أربعة برد بقرب رضوى ؛ وهو جبل أيضا .

وأشار بالأول إلى قصة جابر رضى الله عنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه ، فأتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير ، وكان دعاه وحده فأكلوا وشبعوا ؛ وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو ألف وأشار بالثانى إلى قصة بواط ؛ وهى أنه وضع عنده صلى الله عليه وسلم ماء قليل للوضوء ، فقال لجابر : ادع الناس ، فلما أتوا وضع يده الشريفة فى الماء فنبع من بين أصابعه حتى توضئوا كلهم . وسيأتى كل هذا بعد .

وعُمْـــرة الحُدَيبية ، وغَزْوة تَبُوك[١] ، وأمثالِها مِنْ مَحافِلِ المسلمين[٢] ومَجْمَع العساكر ، ولم يُؤْثَر[٣] عن أحدٍ من الصحابةِ مخالفةٌ للراوى فيما حكاهُ ، ولا إنكارٌ لِمَا ذُكر عنهم أنهم رأَوْه كما رآه[٤] ، فسكوتُ الساكتِ منهم كَنُطْقِ الناطقِ ؛ إذ هم المنزَّهون عن السكوت على باطل ، والمداهنة[٥] فى كَذِب ، وليس هناك رغبةٌ ولا رهبةٌ تمنعهم[٦] ، ولو كان ما سمعوه مُنْكَرا عندهم وغَيْرَ معروف لديهم

(١) الآية التى كانت فى عمرة الحديبية أنه — صلى الله عليه وسلم — خرج من المدينة معتمرا ، فلما وصل إليها صده المشركون عن البيت ، وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها ، وماء البئر قليل جدا نزحه الناس ، وشكوا العطش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزع سهما من كنانته وأعطاه لناجية بن عميرة ، فغرزه فى البئر ؛ فجاش ماؤها ، وجاءت جارية من الأنصار معها دلو ، فأقبلت به على ناجية ، وهو فى القليب ، وقالت :

يأيها المائح دلوى دونكا إنى رأيت الناس يحمدونكا
يثنون خيرا ويمجدونكا أرجوك للخير كما يرجونكا

أما فى تبوك . اسم موضع بين الشام والمدينة ، سميت بعين ماء : فقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يمسوا ماءها ، فسبق رجلان بسهمين جملاهما فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله ، وقال لهما : مازلتما تبوكانها ؛ أى تحفرانها ليخرج ماؤها .

وأشار المصنف إلى آية فيها رواها أبو هريرة ؛ وهى أن الناس أصابتهم مجاعة ، فقال عمر — رضى الله عنه : يارسول الله ، ادع بفضل الأزواد ، فدعا بنطع وبسطه ، ودعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجىء بكف من ذرة ، والآخر بكف من تمر ، والآخر بكف من شعير ؛ فجمع ذلك وبرك عليه ، ثم قال : خذوا ؛ فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما فى العسكر وعاء إلا ملئوه ، وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة .

(٢) المحافل : جمع محفل ، من حفل القوم ؛ إذا اجتمعوا وكثروا .

(٣) لم يؤثر : لم ينقل .

(٤) أى لم ينقل إنكار أنهم رأوا من النبى صلى الله عليه وسلم كما رآه منهم الآخر ، بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة أنه شاهد بعض آياته صلى الله عليه وسلم .

(٥) المداهنة : المطاوعة . (٦) تمنعهم : أى الصحابة .

لأنكروه ، كما أنكر بعضُهم على بعض أشياء روَاها من السُّنن والسِّيَرِ وحروف القرآن[١] . وخطَّأ بعضُهم بعضا ، ووهَّمَهُ في ذلك ، مما هو معلوم ؛ فهذا النوع[٢] كلُّه يلحَقُ بالقَطْعي من معجزاته لما بيناه .

وأيضا فإنَّ أمثالَ الأخبارِ التي لا أصلَ لها ، وبُنِيت على باطل ، لابد بعد مرور الأزمانِ وتداوُلِ الناسِ وأهلِ[٣] البَحْثِ من انكشاف ضعفها ، وخمول ذِكْرِها[٤] ، كما يشاهد في كثير من الأخبارِ الكاذبة ، والأَرَاجِيف[٥] الطارئة . وأعلامُ[٦] نبيِّنا هذه الواردةُ من طريق الآحادِ لا تزدادُ مع مرورِ الزمان إلّا ظهورا[٧] ، ومع تداول الفِرَق[٨] ، وكثرةِ طَعْنِ العدو ، وحِرْصِه على توهينها ، وتَضْعيفِ أصلها ، واجتهاد المُلْحِدِ[٩] على إطفاء نورها إلا قوة وقَبُولا ، وللطاعنين عليها إلا حسرة وغَليلا[١٠] .

وكذلك إخبارُه عن الغيوب ، وإنباؤه بما يكون[١١] وكان[١٢] مَعلوم من آياته على الجملة بالضَّرُورة .

---

(١) وحروف القرآن : يريد قراءاته المتعددة .

(٢) هذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الآحاد، ولم يشتهر اشتهارا يقرب من التواتر .

(٣) وأهل البحث : المراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواه الحديث صحة وضعفا .

(٤) وخمول ذكرها : بأن تنسى ، ولا يشتهر لها ذكر ، لكونها لا أصل لها .

(٥) والأراجيف : الأكاذيب . (٦) أعلام نبينا : المراد معجزاته المعلومة المشهورة .

(٧) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا .

(٨) تداول الفرق : تكلم الناس بها فرقة بعد فرقة .

(٩) الملحد : الإلحاد : الميل عن الاستقامة ، والعدول عن الحق . وفي ا : وإجهاد .

(١٠) غليلا : حقدا .

(١١) الغيوب : جمع غيب ، وهو ماخفي علمه عن الناس ، كالدجال والمهدي وغير ذلك ، وإنباؤه بما يكون في المستقبل من أشراط الساعة ، ومما يقع بين أمته من الفتن وغيرها .

(١٢) وكان : أي حصل في الماضي .

وهذا حقٌّ لا غِطاءَ عليـــه[1] ؛ وقد قال به من أئمتنا القاضى[2] ، والأستاذ أبو بكر[3] وغيرهما ، رحمهم اللهُ ؛ وما عِنْدى أوجبَ قولَ القائل : إنّ هذه القصصَ المشهورةَ من بابِ خَبَرِ الواحدِ إلّا قلّةُ مطالعته[4] للأخبار ورواياتِها ، وشُغْلُه بغير ذلك من المعارف؛ وإلّا فمن اعتنى بطُرق النّقْل،وطالعَ الأحاديثَ والسِّيَرَ لم يرْتَبْ[5] فى صحة هذه القِصص المشهورةِ على الوجْهِ الذى ذكرناه .

ولا يَبْعُد أنْ يحصلَ العِلْمُ بالتواتُر عند واحدٍ ولا يحصلُ عند آخر ؛ فإنّ أكثرَ الناس يعلمون - بالخبَرِ - كونَ بغداد موجودةً ؛ وأنها مدينةٌ عظيمةٌ ، ودارُ الإمامةِ والخلافةِ ؛ وآحادٌ من الناس لا يعلمون اسْمَها ؛ فَضْلًا عن وصْفِها ؛ وهكذا[6] يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورةِ وتواتُرِ النّقْل عنه - أنّ مذْهبَه إيجابُ قراءةِ [٩٠] أمّ[7] القرآن فى الصلاةِ للمُنْفَرِدِ والإمامِ ، وإجْزَاءُ النيةِ[8] فى أولِ ليلةٍ من رمضان عمّا سِوَاهُ ؛ وأنّ الشافعيّ يرى تجْديدَ النيّةِ كلَّ ليلة ؛ والاقتصارَ فى المَسْح على بَعْضِ الرأس ، وأنّ مَذْهبَهما القِصَاصُ فى القَتْلِ بالمُحدَّدِ[9] وغيره ، وإيجابُ النيةِ فى الوضوء ، واشتراطُ الولىّ فى النّكاح ؛ وأنّ أبا حنيفةَ يخالِفُهما فى هذه المسائل ؛ وغَيْرُهم مِمّن لم يَشْتغِل بمذاهبهم ولا رَوَى أقوالَهم لا يعرفُ[10] هذا مِنْ مَذَاهبهم فَضْلًا عمّن[11] سِوَاه .

وعند ذِكْرِنا آحادَ هذه المعجزات نزيد الكلامَ فيها بيانًا إنْ شاء الله تعالى .

(١) لاغطاء عليه : ظاهر ، منكشف ، من غير لبس وشبهة ، وخفاء .

(٢) هو أبو بكر الباقلانى . (٣) أبو بكر : هو ابن فورك من الشافعية .

(٤) وما عندى : فى اعتقادى وحكمى . وأوجب : اقتضى واستلزم وألجأ ؛ أى لم يلجئه لذلك إلا قلة مطالعته للأخبار النبوية . ومطالعتها : الاطلاع عليها .

(٥) لم يرتب لم يشك . (٦) وهكذا : أى مثل أمر بغداد .

(٧) أم القرآن : الفاتحة . (٨) إجزاء النية : نية صوم رمضان كله .

(٩) بالمحدد : الذى له حد جارح كالسيف ونحوه .

(١٠) فى ا : لا يعلم . (١١) فى ب : عما .

فصـــــل
فى إعجاز القرآن

[قال القاضى أبو الفضل رَحِمَه الله] [١] :

اعلم ـ وفقّنا اللهُ وإيّاكَ ـ أن كتاب الله العزيز [٢] مُنْطَوٍ [٣] على وُجوهٍ من الإعجازِ كثيرةٍ ، وتحصيلُها من جهة ضَبْطِ أنواعِها فى أربعة وجوه :

أولها ـ حُسْنُ تأليفه ، والْتِئَامُ كَلِمه [٤] ، وفصاحتُه، ووجوهُ إيجازه ، وبلاغتُه الخارقة عادةَ العرب ؛ وذلك أنهم كانوا أربابَ هذا الشأن [٥]، وفُرْسانَ الكلامِ ؛ قد خُصُّوا من البلاغة والحِكَمِ [٦] بما لم يُخَص به غيرهم من الأمم ، وأُوتُوا من ذَرَابةِ اللسان [٧] ما لم يُؤْتَ إنسان ، ومِنْ فَصْلِ الخطابِ ما يُقَيِّدُ الألباب [٨] ؛ جعل اللهُ لهم ذلك طَبْعاً وخِلْقة ، وفيهم غريزةً وقوة ، يأتون منه على البَدِيهة بالعَجَب [٩] ،

---

(١) من ب . (٢) العزيز : القوى الغالب ، أو الذى لا نظير له .

(٣) منطو : مشتمل ومحتو .

(٤) حسن تأليفه : أى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة . والتئام كلمه : كونها متناسبة بحسب الدلالة ومقتضى مقاماتها .

(٥) الشأن : الأمر العظيم ، والمراد به البلاغة ، وجعلهم أربابها ، أى أصحابها المالكين لها ، الذين بيدهم أزمتها . وفى معترك الأقران: الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

(٦) أى خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تضمنته من الحكم ؛ أى المعانى المحكمة المتقنة ، وما يحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

(٧) الذرابة : أصل معناها حدة السيف والسنان ، والمراد طلاقة اللسان مع خلوه عن اللكنة .

(٨) من فصل الخطاب : الخطاب البين الفاصل عند الحاجة الذى لا لبس فيه ولا خفاء . والألباب : جمع لب ، وهو العقل . ويقيد الألباب: يحيرها إذا سمعته ، حتى كأنها قيدت ومنعت عن الإتيان بمثله لدهشتها من حسنه وبراعته .

(٩) البديهة: الفجاءة . والعجب: الأمر الذى يعد عجيبا لحسنه وسمو معناه ، فكأنه لم يعهد.

ويُدْلُونَ به إلى كل سبب[1]؛ فيخطبون بَدِيهاً في المقامات[2]، وشديدِ الخَطْب[3]، ويرتجزون[4] به بين الطعن والضرب، ويمدحـــونَ ويَقْدَحون[5]، ويتوسَّلُون ويتوصَّلُون، ويرفعون ويَضَعُون[6]، فيأتون من ذلكَ بالسحْرِ الحلال، ويطوِّقُون من أوصافهم أجملَ مِنْ سِمْطِ اللآل[7]، فيَخْدَعون الألبابَ، ويذلِّلُون الصعابَ، ويذهبون الإحَنَ[8]، ويُهيجون الدِّمَن، ويجرِّئُون الجبانَ، ويَبْسطون يَدَ الجعْدِ البنَانِ[9]، ويُصَيِّرون الناقِصَ كاملا، ويتركونَ النّبيه[10] خاملًا.

---

(١) ويدلون به: يتوصلون. سبب: طريق ووسيلة إلى تحصيل مهمات أمورهم؛ كإلزام الخصوم، وجلب محبة القلوب، واستعطاف الملوك والرؤساء.

(٢) بديها: من غير تصنع ولا تكلف. والمقامات: محافل الناس ومجامعهم.

(٣) الخطب: الأمر العظيم الشأن الذي من شأنه أن تقع فيه المخاطبات والمنازعات؛ فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم.

(٤) ويرتجزون به: أي ينشدون رجزا، وهو نوع من الشعر.

(٥) يقدحون: يذمون ويهجون.

(٦) يرفعون من مدحوه بمدائحهم، فيصير نابه الذكر بعد أن كان خاملا، ويضعون مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم.

(٧) أجمل: أزين وأحسن. وأصل السمط: السلك ما دام فيه الخرز. واللآل: اللآلئ. وقد ضبطت سين كلمة السمط بالفتحة والكسرة وكتب عليها معا في ب. وفي ا: ضبطت بالفتحة، وكأنها جمع سمط مع أن القاموس قال: جمع سمط سموط. وضبط السين بالكسر.

(٨) الإحن: جمع إحنة، وهي الحقد. ويهيجون: يحركون ويظهرون. والدمن: جمع دمنة؛ وهي في الأصل ما في مبارك الإبل من بعرها المتلبد بما عليه من أبوالها، والمراد الحقد المضمر المجتمع في الباطن.

(٩) يبسطون يد الجعد البنان: يمدون، ويذهبون جمودتها، وهي انقباضها. والمعنى أنهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما.

(١٠) النبيه: الشريف المشهور.

منهم البَدَوِيُّ ذو اللفظِ الجَزْلِ (١) ، والقولِ الفَصْلِ (٢) ، والكلامِ الفَخْمِ ، والطَّبْعِ الجوْهرى (٣) ، والمَنْزَعِ القَوِىّ (٤) .

ومنهم الحضَرِىّ ذُو البلاغةِ البارعة ، والألفاظ الناصعَة (٥) ، والكلماتِ الجامعة ، والطبْعِ السّهْل ، والتصرُّفِ فى القولِ القليلِ الكُلْفَةِ (٦) ، الكثير الرّوْنق ، الرقيقِ الحاشية (٧) .

وكِلَا البابَيْنِ (٨) لهما فى البلاغةِ الحجّةُ البالغة ، والقوةُ الدامغةُ (٩) ، والقِدْحُ الفالج (١٠) ، والمَهْيَعُ الناهج (١١) ، لايَشُكّون أنّ الكلامَ طَوْعُ مُرادِهم ، والبلاغةَ مِلْكُ قِيادِهم ، قد حَوَوْا فُنونَها ، واسْتَنْبطوا عُيونَها (١٢) ، ودخلوا مِنْ كلِّ بابٍ من

---

(١) اللفظ الجزل : اللفظ المحكم القاطع الفاصل .

(٢) الفصل : الذى يفصل بين الحق والباطل . (٣) الجوهرى : النفيس .

(٤) والمنزع القوى : أى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام بطبائعهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شفى غليله .

(٥) الناصعة : الخالصة من الألفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة .

(٦) والتصرف فى القول القليل الكلفة : القليل صفة للتصرف ؛ أى يخرج من نوع إلى نوع من غير تكلف لكونه سجية له . وقد تكون « القليل » صفة للقول : أى لايورد فى كلام مايعسر فهمه على السامع لغرابته أو تعقيده .

(٧) الرونق : الحسن واللطافة . والحاشية : أصل الحاشية : طرف البرد والثوب . ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه ، وسهولته وسلاسته .

(٨) وكلا البابين : أى كلام البدوى ، والحضرى .

(٩) الدامغة : الغالبة لغيرها .

(١٠) القدح : واحد قداح الميسر ؛ وهو سهم بغير ريش ، وقداح الميسر : كانوا يقامرون بها فى الجاهلية ، منها ماله نصيب ، ومنها ما لا نصيب له . والفالج : الفائز ؛ أى لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها .

(١١) المهيع : الطريق الواسع . الناهج : البين الواضح المسلوك .

(١٢) استنبطوا عيونها : استخرجوا خيارها ومحاسنها .

أبوابها ، وعَلَوْا صَرْحا لبلوغ أسبابها [١] ؛ فقالوا في الخطير والمَهِين [٢] ، وتفنَّنُوا في الغَثِّ والسَّمِين [٣] ، وتقاوَلوا في القُلِّ والكُثْر [٤] ، وتساجَلُوا في النظم والنَّثْر [٥] ؛ فما راعَهم [٦] إلّا رسولٌ كريمٌ ، بكتاب عَزِيز لا يَأْتِيه الباطِلُ مِنْ بَيْن يَدَيْه ولا مِنْ خَلْفِهِ ، تنزيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيدٍ ؛ أُحكمتْ آياتُه، وفُصِّلت كَلِماتُه ، وبَهَرتْ [٧] بلاغتُه العقولَ ، وظهــرت فصاحتُه على كل مَقُولٍ ، وتظافَر إيجازُه وإعجازُه ، وتظاهرَتْ حقيقتُه ومجازُه، وتبارَتْ في الحُسن مطالعُه ومَقَاطعُه [٨] [٩١]، وحوَتْ كُلَّ البيانِ جوامِعُه [٩] وبدائعُه ، واعتدلَ مع إيجازه حُسْنُ نَظْمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختارُ لَفْظِه [١٠] ، وهم أفسَحُ ما كانوا في هذا البابِ مَجالا ، وأشهر

---

(١) وعلوا صرحا : علوا : صعدوا . والصرح : البيت العالى المزخرف بناؤه ، والبيت المنفرد . لبلوغ أسبابها؛ أى علوا قصر البلاغة ، ليصلوا إلى ما فيه من الأسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة .

(٢) الخطير : الأمر العظيم الذى له خطر ؛ أى شرف ومزية . والمهين : الحقير .

(٣) تفننوا : أتوا بكل فن من فنون الكلام . والغث : أصله المهزول ، والمراد به القبيح والفاسد . وضده السمين .

(٤) تقاولوا : أداروا الكلام بينهم . القل : القليل . والكثر : الكثير .

(٥) تساجلوا : المراد أنهم تناوبوا أو تفاخروا وتمارضوا فى عد المآثر ، كما هو معروف عندهم .

(٦) فما راعهم : أى بينماهم كذلك جاءهم أمر بغتة لم يكن لهم علم به، ولم يطرق مسامعهم مثله .

(٧) بهرت : غلبت ، وأدهشت .

(٨) تبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه : تشابهت وتساوت أوائله وأواخره . والمعنى أن مطلعه ــ وهو مبدؤه كفواتح السور ، ومقطعه ــ وهو منتهاه وغايته كخواتم السور ــ يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى . والمراد تشابههما .

(٩) جوامعه : أى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة .

(١٠) انطبق : وافق ، واحتوى . كثرة فوائده : معانيها التى تفيدها. مختار لفظه : لفظه المهذب الذى كأنه انتخب ونقى .

فى الخطابة رِجَالا ، وأكثر فى السجع والشعر سِجَالا [1] ، وأوسعُ فى الغريب واللغةِ مَقَالا [2] ؛ بلُغَتِهم التى بها يتحاوَرُون ، ومَنَازِعِهم التى عنها يتناضلون [3] ، صارِخاً بهم فى كل حين ، ومُقَرِّعا لهم بِضْعاً [4] وعشرين عاما على رءوس الملأ أجمعين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ [5] افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بسورةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين ﴾ [6] .

﴿ وإِنْ كُنْتُمْ [7] فى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنا فَأْتُوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِنْ دُونِ اللهِ إِن كُنْتم صادِقين . فإنْ لم تَفْعَلُوا ولَنْ تَفْعَلُوا . . . ﴾ .

و ﴿ قُلْ [8] لَئِنِ اجتمعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هــــذا القرآنِ لا يأتون بِمِثْلِهِ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

و ﴿ قُلْ [9] فأْتُوا بعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ . وذلكَ أنَّ المُفْتَرى أَسْهل ، وَوَضْع الباطلِ والمُخْتَلَقِ على الاختيارِ أقْرَب [10] ، واللفظُ إذا تبِعَ المعنى الصحيح كان أَصْعب ؛ ولهذا قيل : فلان يكتبُ كما يقالُ له ، وفلان يكتب كما يُرِيد .

---

(١) سجالا : المراد بالسجال هنا المحاورة . أو المفاخرة . أو سجالا ؛ أى تارة ، تارة ، باعتبار المناوبة والمغالبة . وفى ا : ارتجالا ، وفى هامشه : سجالا . وفى ب : سجالا ، وفى هامشه : ارتجالا .

(٢) مقالا : قولا .

(٣) المناضلة : المفاخرة ، أو المغالبة بالكلام من النظم والنثر .

(٤) ومقرعا لهم : أى معيرا وموبخا لهم . والبضع : من الثلاث إلى التسع من كسور العدد .

(٥) سورة يونس ، آية ٣٨

(٦) وادعوا من استطعتم : ادعوا كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه .

(٧) سورة البقرة ، آية ٢٣ ، ٢٤

(٨) سورة الإسراء ، آية ٨٨

(٩) سورة هود ، آية ١٣ . ومفتريات : محض كذب واختلاق منكم .

(١٠) المراد بالاختيار ضد الإلجاء والاضطرار ؛ فإن الصادق مضطر إلى اتباع الحق ، وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فإنه يجد مجالا واسعا .

وللأوَّلِ[١] على الثانى فَضْل ، وبينهما شَأْوٌ بعيد[٢] .

فلم يزَلْ يُقرِّعُهم صلى الله عليه وسلم أشدَّ[٣] التقريع ، ويوبِّخهم غايةَ التوبيخ ، ويسَفِّهُ أحلامَهم[٤] ، وَيحُطّ أعلامَهم[٥] ، ويشتِّتُ نظامَهم[٦] ، ويذمُّ آلهتَهم وآباءَهم ، ويستبيحُ أرضَهم وديارَهم وأموالَهم ، وهم فى كل هذا ناكِصُونَ[٧] عن معارضتِه ، مُحْجِمون عن مُماثلته[٨] ، يُخادِعُون أنفسهم بالتشْغيب والتكذيب ، والإغراء بالافتراء[٩] ، وقولهم[١٠] : ﴿ إنْ هذا إلّا سِحْرٌ يُؤْثَر ﴾ ، و ﴿ سِحْرٌ[١١] مستَمِرّ ﴾ ، و﴿ إفْكٌ[١٢] افْتَرَاهُ ﴾ ، و ﴿ أساطِير[١٣] الأوَّلين ﴾ ؛ والمباهتة والرضا

(١) الأول : الذى يكتب كما يقال له . والثانى : الذى يكتب ما يريد . والمراد بالكتابة هنا : الكلام ، وإن لم يكتب . (٢) شأو : غاية وأمد . والمراد التفاوت الزائد .

(٣) فى ا : غاية . وفى هامشه : أشد ، وعليها علامة الصحة .

(٤) يسفه أحلامهم : السفه : الخفة . والأحلام : العقول ؛ أى يصفهم بالسفه وقلة العقل .

(٥) يحط أعلامهم : ينكس راياتهم ،ويذل سادتهم ،ويزرى بألبابهم .والمراد أنه يحقرهم، ويقهرهم بطعنه فيهم ، وإظهار ضلالهم وسوء حالهم .

(٦) ويشتت نظامهم : يفرق جمعهم ، ويبطل آراءهم بجداله وجلائه .

(٧) ناكصون : نكص : أحجم وتأخر . والمراد أنهم لم يعارضوه فيما فعله ، وفيما أتى به ، ولم يأتوا بمثله .

(٨) عن مماثلته : عن الإتيان بشىء يماثل أقصر سورة منه لما تحداهم .

(٩) التشغيب : تهييج الشر والفتن . والتكذيب : أى بادعائهم كذب رسول الله فيما جاء به من الحق الذى لامرية فيه . وفى ا : بالتكذيب . وفى هامشه : بالأكاذيب . والإغراء الحث والتحريض . وفى ا : والاغتراء .

(١٠) سورة المدثر ، آية ٢٤ ، يؤثر : ينقل .

(١١) سورة القمر آية ٢ ، وسحر مستمر : دائم باق ، أومحكم متقن .

(١٢) سورة الفرقان ، آية ٤ ، وإفك افتراء : كذب اخترعه واختلقه . والإفك : أسوأ الكذب .

(١٣) سورة الأنعام ، آية ٢٥ وغيرها. وأساطير الأولين : شىء أخذه مما سطره الأولون وزخرفوه . وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة .

بالدَّنيّة[1] ؛ كقولهم[2] : ﴿ قُلُوبُنا غُلْف ﴾ . و ﴿ في[3] أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إليه ، وفى آذانِنا وَقْر ، ومِنْ بيننا وبَيْنِك حِجَاب ﴾ ؛ و ﴿ لا تَسْمَعُوا[4] لهذا القُرْآنِ والْغَوْا فيه لعلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ .

والادّعاء مع العَجْز بقولهم[5] : ﴿ لو نَشَاء لَقُلْنا مِثْلَ هذا ﴾ .

وقد قال لهم الله : ﴿ولَنْ تفْعَلوا ؛ فما فعلوا ولا قَدَروا . ومَنْ تعاطَى ذلك من سُخَفائهم[6] — كمُسَيْلمة — كشفَ عُواره[7] جميعهم ؛ وسلبهم اللهُ ما أَلِفُوه[8] ،

---

(١) المباهتة : الكذب الذى يبهت ويدهش سامعه . والدنية : الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التى لايرضى بها من له عقل ومروءة .

(٢) سورة البقرة ، آية ٨٨ ، والنساء ، آية ١٥٥ ، وظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم؛ وهو أمر مذموم لايرتضيه العقل . وغلف : جمع أغلف ، أى فى غلاف .

(٣) سورة فصلت ، آية ٥

والأكنة : جمع كنان ؛ أى غطاء ؛ يريد مغطاة ؛ أى لاتفهم ما تقول ، ولا يصل إليها الدعوة . وما يدعوهم إليه القرآن والإيمان . والوقر : الصمم ، وأصل معناه الثقل .

(٤) سورة فصلت ، آية ٢٦

لاتسمعوا لهذا القرآن: لاتصغوا ولا تنصتوا إليه . والغوا فيه : المراد رفع الصوت بأى كلام كان ، حتى يشوس على قارئه ، فيقطع قراءته ، أو يمنع من استماعه . لعلكم تغلبون قارئه بقطع قراءته ؛ فغلبتهم إنما هى بالجهل والسفه ، كما هو شأن العاجز المعاند .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٣١ ، وقائل هذا هو النضر بن الحارث .

قال فى نسيم الرياض (٢ — ٥٢٦) : وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ؛ولو استطاعوا مامنعهم أن يشاءوا ، وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ،ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم من أن يغلبوا ، خصوصا فى الفصاحة .

(٦) من سخفائهم : ممن فيه طيش وقلة عقل .

(٧) عواره — بفتح العين وضمها : عيبه وحماقته . وقد ضبطت كذلك فى ب ، وكتب عليها « معا » .

(٨) ما ألفوه : ما اعتادوه بطباعهم .

من فصيح كلامِهم ، وإلَّا فلم يَخْفَ على أهـــل المَيْز منهم أنه ليس من نَمَط فصاحتهم [١] ، ولا جِنْس بلاغتهم ؛ بل وَلَّوْا عنه مُدْبِرين ، وأتَوْا مُذْعِنين مِنْ بين مُهْتَدٍ وبين مَفْتُون [٢] .

ولهذا لما سَمِع الوليدُ بنُ المغيرة مِن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنَّ [٣] اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عن الفَحْشَاء والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكم لَعَلَّكم تَذَكَّرُون ﴾ . قال : واللهِ ، إنَّ له لحَلَاوة [٤] ، وإنّ عليه لَطلاوةً ، وإن أسْفَلَه لَمُغْدِق ، وإنّ أعلاه لَمُثْمِر ، ما يقولُ هذا بَشَر [٥] .

وذكر أبو عُبيد [٦] أنَّ أعرابيا سمِع رجلا يقرأ [٧] : ﴿ فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ ، وأعْرِض عن المُشْرِكين ﴾ - فسجد ، وقال : سجدْتُ لفصاحته .

وسمع آخرُ رجلا يقرأ [٨] : ﴿ فلما اسْتَيْأَسُوا منه خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ، فقال : أشهد أنَّ مخلوقا لا يقدِرُ على مثْلِ هذا الكلام .

---

(١) الميز : التمييز والعقل . ونمط فصاحتهم : نوع فصاحتهم ، وطريقتها .

(٢) مذعنين : منقادين . والمفتون : المتحير في أمره المنكر لإعجازه .

(٣) سورة النحل ، آية ٩٠ (٤) في ا : حلاوة .

(٥) طلاوة : حسن وقبـــول ورونق . مغدق : من الغدق ، وهو كثرة الماء . لمثمر : له ثمر طيب كثير . والمراد أن كلامه أصله قوى ، ليس من جنس كلام البشر . ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة . وأراد بأسفله : ماتضمنه من المعانى ، كما يقال : تحت هذا الكلام معان غزيرة . وأراد بأعلاه : ماينتجه من الفوائد والعوائد التى تظهر من فهم معانيه وتيقنها . ما هذا يقول بشر : لايشبه كلام البشر بوجه من الوجوه . وفى هامش ب أمام هذه الجملة : وكذلك قال خالد بن عتبة . (٦) فى هامش ب : خ : أبو عبيدة .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٤ . واصدع بما تؤمر : اجهر بما أمرت بتبليغه ، ولا تبال بما يقولونه .

(٨) سورة يوسف ، آية ٨٠ ، استيأسوا : يئسوا من يوسف . وخلصوا : اعتزلوا وانفردوا . نجيا : متناجين فى تدبير أمره .

وحُكِيَ أنّ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يوما نائما فى المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهّدُ شهادةَ الحق ؛ واستخبره، فأعلمه أنه من بَطَارقة[١] الروم ممن يُحْسِنُ كلامَ العرب وغيرها ، وأنه سمعَ رجلا من أسْرَى[٢] المسلمين [٩٢] يقرأ آيةً من كتابكم فتأمَّلْتُها ، فإذا [هى][٣] قد جُمِعَ فيها ما أُنْزِل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة ؛ وهى قوله تعالى[٤] : ﴿ ومَنْ يُطعِ اللهَ ورسولَه ويَخْشَ اللهَ ويتَّقْهِ فأولئكَ هم الفائزون ﴾ .

وحَكَى الأصمعىُّ أنه سمِعَ كلامَ جارية ؛ فقال لها : قاتلكِ اللهُ ما أفْصحك ! فقالت : أوَ يُعَدُّ هذا فصاحةً بعد قول الله تعالى[٥] : ﴿ وأوْحينا إلى أمِّ موسى أنْ أرْضِعِيهِ ، فإذا خِفْتِ عليه فألْقِيهِ فى اليمِّ ولا تَخَافِى ولا تَحْزَنى إنَّا رَادُّوهُ إليكِ وجاعلُوه من المرسلين ﴾ ؛ فجمع فى آيةٍ واحدة بين أمرين ونَهْيَيْنِ ، وخَبَرين ، وبِشَارَتَيْن[٦] .

فهذا[٧] نوعٌ من إعجازه مُنْفرد بذاته ، غَيْرُ مضَافٍ إلى غيره على التحقيق والصحيح من القوْلَيْن[٨] .

---

(١) البطارقة : جمع بطريق ، ومعناه الرئيس وقائد الجيش ، وجمعه بطارقة .

(٢) فى ب : قوما من أسرى المسلمين يقرءون .
(٣) من ب .

(٤) سورة النور ، آية ٥٢
(٥) سورة القصص ، آية ٧

(٦) الأمرين : أرضعيه، وألقيه . والنهيين : لا تخافى، ولا تحزنى . والخبرين : أوحينا، وخفت عليه . والبشارتين : رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين .
(٧) فهذا الجمع .

(٨) قال فى نسيم الرياض (٢ ـ ٥٣١) : الظاهر أن مراده بالقولين هنا ـ كما قاله بعضهم : القول بأن إعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته وأسلوب نظمه ؛ أو هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده ، بدون إضافة أحدهما إلى الآخر ؛ فإن كلا منها خارق للعادة ، خارج عن طوق البشر .

وقيل : المراد بالقولين : القول بأن إعجازه ببلاغته التى لا يرتقى أحد إلى مرتبتها ؛ والقول بأنه معجز بغير ذلك كالصرفة ، والإخبار بالمغيبات . والأول هو المتبادر من سياقه .

وكونُ القرآنِ مِنْ قِبَلِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنه أتى به ـ معلوم ضرورة ، وكونُه ـ عليه السلام ـ مُتَحَدِّياً به معلوم[1] ضرورة ، وعَجْزُ العربِ عن الإتيانِ به معلوم ضرورة ، وكونُه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوهِ البلاغة ؛ وسبيل[2] مَنْ ليس مِنْ أهلها عِلم[3] ذلك بعَجْزِ المفكِّرين من أهلها عن مُعَارضته واعترافِ المُفسِّرينَ بإعجاز بلاغته .

وأنتَ إذا تأملت قوله تعالى[4] : ﴿ ولَكُمْ في القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وقوله[5] : ﴿ ولو تَرَى إذ فَزِعُوا فلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مكانٍ قَرِيب ﴾ . وقوله[6] : ﴿ ادْفَعْ بالتي هي أَحْسَنُ فإذا الذى بينكَ وبينَهُ عداوةٌ كأنه وَلِيٌّ حَمِيم ﴾ .

وقوله[7] : ﴿ وقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ، ويا سَمَاءُ أَقْلِعِي وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأَمْرُ واستَوَتْ على الجُودِيّ ، وقِيلَ : بُعْدًا للقَوْمِ الظالمين ﴾ .

وقوله[8] : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بذَنْبِهِ ، فمنهم مَنْ أَرسلنا عليه حاصِباً ، ومنهم مَنْ

---

(١) في هامش ا : التحدى : التعمد لمنازعة الغلبة .

(٢) سبيل : طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة إعجازه ، كالمولدين والعجم .

(٣) في ب : فعل مبنى للمعلوم ، وللمجهول ، وكتب عليه معا . وفي ا : علم ـ بكسر العين وسكون اللام .

(٤) سورة البقرة آية ١٧٩

(٥) سورة سبأ ، آية ٥١ ، فزعوا : من حلول الأجل ، أو من بعثهم من القبور ، أو في يوم بدر . وأخذوا من مكان قريب : من ظهر الأرض إلى بطنها . أو من الموقف إلى النار ، أو من صحراء بدر إلى قليبها .

(٦) سورة فصلت ، آية ٣٤ ، أى ادفع سيئة من أساء إليك بالحسنة التي هي أحسن من كل شيء حسن ، أو بأحسن دفع ممكن .

(٧) سورة هود ، آية ٤٤ ، والإقلاع : الإمساك .

(٨) سورة العنكبوت، آية ٤٠ . حاصبا : أى ريحا عاصفة فيها حصباء ، وهى الحجارة الصغيرة ـ وهم قوم لوط . ومنهم من أخذته الصيحة : هم قوم ثمود ومدين . ومن خسفنا به الأرض : قارون . ومن أغرقنا : قوم نوح وفرعون .

أخذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، ومنهم مَنْ خَسَفْنَا به الأرضَ ، ومنهم مَنْ أغْرَقْنَا ﴾ .

وأشباهَها مِن الآيِ ، بل أكثر القرآن ـ حقّقتَ ما بيَّنتُه من إيجار ألفاظها؛ وكَثْرَة معانيها ، ودِيْبَاجَةِ[1] عبارتِها، وحُسْنِ تأليفِ حروفِها، وتَلَاؤُم كَلِمِها[2]، وأنَّ تحتَ كلِّ لفظة منها جُمَلًا كثيرة ؛ وفُصولا جَمَّة[3]، وعلوما زواخِرَ، مُلِئَت[4] الدواوين[5] مِنْ بَعْضِ ما استُفِيد منها ، وكَثُرَت المقالاتُ في المستَنْبَطاتِ[6] عنها .

ثم هو[7] في سَرْدِ القِصص الطِّوالِ ، وأخبار القرون السوالِف[8] ، التي يضعفُ في عادةِ الفُصحاء عندها الكلامُ ، ويذهبُ ماءُ البَيانِ[9] ـ آيةٌ[10] لمتأمِّلِه ؛ مِنْ رَبْط الكلام بعضِه ببعض، والتئامِ سَرْدِه[11]، وتناصُفِ وجُوهِه[12]؛ كقصَّةِ يوسف على طُولها .

---

(١) المراد حسن عبارتها .

(٢) تلاؤم كلمها : تناسب وموافقة .

(٣) وفصولا جمة : أنواعا كثيرة من محاسن الكلام .

(٤) زواخر : كثيرة ، كالبحار الزواخر ؛ من زخر البحر ؛ إذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه .

(٥) الدواوين : الدفاتر ؛ يريد كتب التفسير وغيره من الفنون .

(٦) في المستنبطات عنها : أي في المعاني والأحكام المستخرجة بطريق الإشارة والدلالات .

(٧) هو : أي القرآن .

(٨) المراد بالقرون السوالف : الأمم المتقدمة على عصر النبوة . والقرن : مدة من الزمان مختلف فيها ـ والمراد أهله .

(٩) ماء البيان : رونقه وحسنه .

(١٠) آية : علامة .

(١١) والتئام سرده : أي مناسبة كلماته المسرودة المتتابعة مع فصاحتها ، وحسن تأليفها .

(١٢) وتناصف وجوهه: المراد بالوجوه بلاغته . وتناصف تفاعل ـ من النصفة والإنصاف، يقال أعضاؤه متناصفة حسنا ؛ أي لاينقص حسن بعضها عن بعض .

ثم إذا[١] تردّدت قِصَصُه اختلفت العباراتُ عنها على كثرة تردُّدِها حتى تكادَ كلُّ واحدةٍ تُنَسِّى فى البيانِ صاحبتَها، وتُناصِفُ فى الحُسْنِ وَجْهَ مُقابِلتها، ولا نفورَ للنفوسِ مِنْ تَرْديدها، ولا معاداةَ لِمُعادِها[٢].

فصل

الوَجْه الثانى من إعجازه صورةُ نَظْمِه العَجيب، والأسلوبُ الغريبُ المخالفُ لأساليب كلامِ العربِ ومَناهِجِ[٣] نَظْمِها ونَثْرِها الذى جاء عليه، ووقفَتْ مقاطِعُ آيِه، وانتهت فواصِلُ كلماته إليه[٤]؛ ولم يوجَد قَبْلَه ولا بَعْدَه نظيرٌ له، ولا استطاعَ أحَدٌ مُماثلةَ شَىْءٍ منه؛ بل حارَتْ فيه عقولُهم، وتدلّهَتْ دونَه أحلامُهم[٥]، ولم يهتدوا إلى مِثْله فى جِنْس كلامهم من نَثْر أو نَظْم، أو سَجْع أو رَجَز، أو شِعْر.

ولما سمع كلامَهَ صلّى الله عليه وسلّم الوليدُ بن المغيرةِ، وقرأ عليه القرآنَ ـ رَقّ؛ فجاءه أبو جَهْل مُنْكِراً عليه [٩٣] ـ قال: واللهِ ما منكم أحدٌ أعلمُ بالأشعارِ منى، واللهِ ما يُشْبِهُ الذى يقولُ شيئا مِنْ هذا.

---

(١) ترددت: تكررت.

(٢) أى لاتكره، ولا تعادى الطباع المعاد فى القرآن والمكرر من قصصه.

(٣) المناهج: جمع منهج، وهو الطريق؛ أى لايشبه كلامهم المنظوم، وهو الشعر، ولا المنثور من الخطب وغيرها.

(٤) المقاطع: جمع مقطع؛ وهو آخر الكلام الذى يقف عليه القارئ. والمراد انتهت ووصلت. والفواصل: جمع فاصلة؛ وهى الكلمة الأخيرة من الفقرة ونحوها.

(٥) تدلهت: دهشت وتحيرت فى شأنه. والأحلام: جمع حلم؛ وهو العقل. يعنى أن عقولهم لم تصل إليه؛ إذ تحيرت فيما هو أقل منه، فكيف به! وفى ب: وتولهت.

وفى خبره الآخَر – حين جمع قُريشا عند حضور المَوْسِم [١]، وقال: إنّ وفُودَ العرب تَرِدُ [٢] فأجمِعُوا فيه رَأيا [٣]، لايكذِّبُ بعضُكم بعضا؛ فقالوا: نقولُ كاهن. قال: واللهِ ما هُوَ بكاهِن. ما هُوَ بزَمْزَمَتِه [٤] ولا سَجْعِه.

قالوا [٥]: مجنون. قال: ما هُوَ بمَجْنون، ولا بخَنَقِه [٦] ولا وَسْوَسَتِه.

قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر. قد عرَفْنا الشِّعرَ كلَّه، رَجَزَه، وهَزَجه، وقَرِيضَه، ومَبْسوطَه ومَقْبوضَه، ماهو [٧] بشاعر.

قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هُوَ بساحِر، ولا نَفْثِه ولا عَقْدِه [٨].

قالوا: فما نقولُ: قال: ما أنتم بقائلين مِنْ هذا شيئا، إلا وأنا أعرفُ أنه باطل، وإنَّ أقربَ القَوْلِ أنه ساحر؛ فإنه سِحْرٌ يفرّقُ بين المرء وابنه [٩]، والمرء وأخيه، والمرء وزَوْجِه، والمرء وعَشِيرته [١٠].

---

(١) الموسم: المراد موسم الحج. وهذا الخبر فى دلائل أبى نعيم: ١ – ٣٠٢

(٢) ترد: أى يقدمون من غير البلاد.

(٣) فأجمعوا فيه: أى فى النبى؛ أى دبروا وتداركوا. رأيا: أى أمرا يعتقدون أن له فائدة ونتيجة. وفى ا: فاجمعوا – بهمزة وصل.

(٤) الزمزمة: صوت خفى لايكاد يفهم؛ أى ليس كلامه مشبها زمزمة الكاهن، ولاسجعه.

(٥) فى ا: فقالوا.

(٦) الخنق – بفتح النون وكسرها: الجنون. وقال القارى (١ – ٥٥٨): أى ليس ممن أصابه الجن وخنقه، ولا وسوس له فى صدره.

(٧) الهزج: اسم بحر من بحور الشعر. والقريض: الشعر، ولعله يريد المقطوعات الشعرية. ومبسوطه: مطولات قصائده. ومقبوضه: المراد به مختصر أوزانه.

(٨) النفث: النفخ مع ريق. والعقد: عقد حبال أو شعر مضفور ونحوه؛ وكنى به عن أنه ليس له علم بما يعمله السحرة.

(٩) فى ب: وأبيه، وابنه، وعليها «معا». وفى ا: وابنه، وعليها علامة الصحة.

(١٠) وعشيرته: أى أقاربه الأدنون المعاشرون له.

فتفرَّقُوا وجلسوا على السُّبُل[1] يحذِّرُون الناسَ؛ فأنزل الله تعالى في الوليد[2]: ﴿ ذَرْنِي[3] ومَنْ خَلَقْتُ وحيداً . وجعَلْتُ له مالًا مَمْدُودًا . وبَنِينَ شُهودا . ومَهَّدْتُ له تمهيدا . ثم يَطْمَعُ أنْ أزيدَ . كلَّا إنه كان لآياتنا عَنِيداً . سأُرْهِقُه صَعُودا . إنه فكَّرَ وقدَّرَ . فقُتِلَ كيف قدَّر . ثم قُتِلَ كيف قَدَّرَ . ثم نظر . ثم عَبَس وبَسر . ثم أدْبر واسْتَكْبَر . فقال : إنْ هذَا إلَّا سِحْرٌ يُؤْثَر ﴾ [4] .

وقال عُتْبَةُ بن ربيعة حين سَمِع القرآنَ : يا قوم ؛ قد علمتُم أنى لم أترك شيئا إلَّا وقد علمتُه وقرأتُه وقلْتُه ؛ والله لقد سمعتُ قَوْلا واللهِ ما سمعتُ مثلَه قطُّ ؛ ماهو بالشِّعْر ، ولا بالسِّحْر ، ولا بالكَهانة[5] .

وقال النَّضْر بن الحارث نحوه .

وفي حديث إسلام أبى ذَرّ[6] ووصفَ أخاهُ أُنيْساً ، فقال: واللهِ ماسمعتُ بأشْعر من أخِي أُنيس ؛ لقد ناقَضَ[7] اثنى عشر شاعرا في الجاهليـــة[8] ، أنا أحدُهم ، وإنه انطلق إلى مكة، وجاء إلى أبى ذَرّ بخَبَر النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم . قلت: فما يقولُ الناس؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعْتُ قولَ الكَهَنة فما هو

(١) السبل : الطرق . (٢) خبر الوليد في الدلائل لأبى نعيم : ١ — ٣٠٣

(٣) سورة المدثر ، من آية ١١ — ٢٤

(٤) ذرنى ومن خلقت وحيدا : دعنى معه ، فأنا أكفيه من كيد أعدائه وإن كان وحيدا منفردا عن أهله وعترته لتركهم له .

(٥) ضبطت الكاف بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(٦) الغفارى الصحابى ، وهو جندب بن جنادة . وحديث إسلامه في صحيح مسلم: ١٩١٩

(٧) نقائض الشعر في الجاهلية : إذا قال أحدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم على قوم غيره ، أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ؛ فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله ؛ فيسمى ذلك مناقضة . ويقال للقصائد نقائض .

(٨) أى عارضهم في قصائدهم ، فأتى بمثلها ؛ وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر .

بِتَوْلهم ، ولقد وضعتُه على(١) أقراء الشِّعْر فلم يلتئم ، وما يَلْتَئم على لسان أحدٍ بعدى أنه شِعْر (٢) ؛ وإنه لصادقٌ ، وإنهم لَـكاذِبُون .

والأخبارُ فى هذا صحيحةٌ كثيرة .

والإعجازُ بكل واحدٍ من النوعين : الإيجاز والبلاغة بذاتها (٣) ؛ أو الأسلوب الغريب بذاته (٤) ، كلٌّ واحدٍ منهما نوعُ إعجازٍ على التحقيق ، لم تَقْدِر العربُ على الإتيان بواحدٍ منهما (٥) ؛ إذ كلٌّ واحدٍ خارِجٌ عن قُدْرَتها ، مُبَايِن(٦) لفَصَاحَتها وكلامها ؛ وإلى هذا ذهب غيرُ واحدٍ من أئمةِ المُحَقِّقين .

وذهب بعضُ [المحقِّقين] (٧) المُقْتَدَى بهم إلى أنَّ الإعجازَ فى مجموع البلاغة والأسلوبِ (٨) ، وأتى على ذلك بقَوْلٍ تمجُّه الأسماعُ ، وتَنْفِرُ منه القلوبُ .

والصحيحُ ما قدَّمناهُ(٩) ، والعلمُ بهذا كلِّه ضرورة قطعاً .

ومَنْ تفنَّن فى علوم البلاغةِ ، وأرهف (١٠) خاطِرَه ولسانَه أدَبُ هذه الصناعةِ لم يَخْفَ عليه ما قلناه .

---

(١) وضعته على أقراء الشعر : أقراء الشعر : أنواعه وأنحاؤه وأمثاله ، أو قوافيه التى يختم بها ، أى وضعت قوله ، وقابلته ، وقسته بالشعر .

(٢) فلم يلتئم: فلم يتيسر ويتفق. والمعنى: لايلتئم لأحد غيرى أن يقول إنه شعر ؛ لأنه ليس أحد بأعلم بالشعر وأقدر عليه منى ؛ فلو أمكن لأحد أن ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت ، فحيث لم يتيسر لى لايتيسر لغيرى . والمراد إبطال كونه شعرا .

(٣) هذا فى ا ، ب .

(٤) يعنى كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور .

(٥) فى ب : منها .   (٦) مباين : مخالف .

(٧) من ب .   (٨) أي لا بكل واحد منهما .

(٩) من أن لـكل واحد وجها فى الإعجاز كافيا فيه .

(١٠) أرهف خاطره : أرهف : حدد ، ودقق، وسن .خاطره : فـكره . ولسانه :نطقه.

وقد اختلف أئمةُ أهلِ السنّةِ في وَجْهِ عَجْزهم عنه؛ فأكثرُهم يقول: إنّه ما جُمِعَ في قوةِ جَزالته، ونَصاعةِ ألفاظه[1]، وحُسْنِ نَظْمه، وإيجازه، وبديعِ تأليفه وأسلوبه لا يصحُّ أن يكونَ في مَقْدُورِ البَشَرِ، وأنه مِنْ باب الخوارقِ الممتَنِعة عن إقدارِ الخلْقِ عليها[2]؛ كإحياء المَوْتَى، وقَلْبِ العَصَا، وتسبيح الحصَى.

وذهب الشيخُ أبو الحسن[3] إلى أنه مما يمكنُ أن يدخلَ مِثْلُه تحت مقدور البَشَر، ويُقدرهم اللهُ عليه؛ ولكنه لم يكُن هذا ولا يكون؛ فمنعهم اللهُ هذا [٩٤]، وعجّزَهم عنه.

وقال به جماعةٌ من أصحابه[4].

وعلى الطريقين[5] فعَجْزُ العربِ عنه ثابتٌ، وإقامةُ الحجةِ عليهم بما يصحُّ[6] أن يكونَ في مقدور البَشَر، وتحدّيهم بأن يأتُوا بمثله — قاطعٌ[7]؛ وهو أبلغُ في التعجيز، وأحْرَى[8] بالتقريعِ، والاحتجــاجُ بمجيء بشَرٍ مِثْلهم بشيء ليس مِنْ قدرة البشَر لازمٌ؛ وهو أبْهَرُ آية، وأقمَعُ دلالة[9].

---

(١) الجزالة: الصلابة والقوة. والمراد إحكام نظمه، وعدم ركاكته. ونصاعة ألفاظه: وضوحها وخلوصها.

(٢) من باب الخوارق: من جنسها ونوعها. الممتنعة عن إقدار الخلق عليها: أي التي لايقدرون عليها، كأنها امتنعت عليهم، وأبت مطاوعتهم.

(٣) هو أبو الحسن الأشعري: إمام أهل السنة.

(٤) قال القاري (١ — ٥٦١): وهذا هو القول بالصرفة، وهو مرجوح عند أكابر الأئمة.

(٥) الطريقين: إعجازه ببلاغته وأسلوبه؛ أو بتعجيزه سبحانه وتعالى إياهم عن معارضته.

(٦) أي بتكليفهم بأقل قليل منه، وهو ما يمكن أن يكون...

(٧) قاطع: أي بتعجيزهم. (٨) أحرى: أحق، وأولى.

(٩) وهو: أي المذكور من عدم قدرتهم. أبهر آية: أظهر. وأقمع: من قمعه؛ إذا قهره، وردعه، وأذله بعجزه عن معارضته.

وعلى كلٍّ حال فما أَتَوْا فى ذلك بمقال ؛ بل صبَرُوا على الجَلَاء[١] ، والقَتْل ، وتجرَّعُوا كاساتِ الصَّغَار والذُّلّ ؛ وكانوا من شُمُوخِ الآنُفِ ، وإبَايَةِ الضَّيْم[٢] ، بحيث لا يُؤْثِرُون ذلك اختياراً[٣] ، ولا يرضَوْنه إلا اضطرارا ، وإلَّا فالمعارضَةُ لو كانت من قُدَرهم ، والشُّغْلُ بها أهونُ عليهم ، وأسرعُ بالنُّجْحِ وقَطْعِ العُـذْر وإفحامِ الخصْم لديهم[٤] ، وهم مِمَّنْ لهم قُدْرةٌ[٥] على الـكلام ، وقدوةٌ فى المعرفةِ به لجميع الأنام ؛ وما منهم إلا مَنْ جَهَدَ جَهْدَه[٦] ، واستَنْفد ما عنده فى إخفاءِ ظهوره ، وإطفاءِ نُورِه ، فما جَلَوْا فى ذلك خَبِيئةً مِنْ بنات شِفاههم[٧] ، ولا أتَوْا بنُطْفة مِنْ مَعين مِياههم[٨] ، مع طُولِ الأمَدِ ، وكَثْرَةِ العَدَد ، وتَظاهُرِ[٩] الوالدِ وما وَلدَ ؛ بل أَبْلَسُوا فما نَبَسُوا[١٠] ، ومُنِعُوا فانقَطَعُوا[١١] ؛ فهذان نوعان من إعجازه[١٢] .

---

(١) الجلاء : ترك الوطن والمال .

(٢) الآنف : جمع أنف . شموخ الأنف : كناية عن غاية التـكبر . والضيم : الذل والتحقير .

(٣) لا يؤثرون : لا يرضون ، ولا يختارون .

(٤) النجح : الظفر والفوز بمطلوبهم . وإفحام الخصم : إسكاته .

(٥) فى ا : اقتدار .

(٦) جهد جهده : بذل ما عنده من الجهد ، فلم يقدر على شىء منه .

(٧) جلوا : أظهروا . خبيئة : مخبأة فى ضمائرهم ، مستورة خلف أستار سرائرهم . من بنات شفاههم : أى كلمة يتلفظون بها .

(٨) بنطفة : بقطرة قليلة . والمعين : الماء الجارى ظاهرا ، والمراد من أنهار بلاغتهم وأسرار فصاحتهم ؛ أى لم يقدروا على شىء مما طلب منهم .

(٩) مع طول الأمد : أى اتساع زمن التحدى وطول وقته . تظاهر : تعاون ومساعدة .

(١٠) أبلسوا : يئسوا . نبسوا : نطقوا .

(١١) فانقطعوا عن المعارضة لعجزهم .

(١٢) أراد إعجازه بنص كلامه وخواص تراكيبه ، وبصورة نظمه وأسلوبه . ولم يلتفت إلى الصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم . وقال القارى (١ — ٥٦٣) : نوعان من إعجازه ؛ أى اجتماعا وانفرادا .

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى[1] عليه من الإخبار بالمغيّبات، وما لم يكن ولم يقع؛ فوُجد؛ كما ورد، وعلى الوجه الذى أخبر به؛ كقوله تعالى[2]: ﴿ لتدخُلُنّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنين ﴾.

وقوله تعالى[3]: ﴿ وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُون ﴾.

وقوله[4]: ﴿ لِيُظْهِرَه على الدِّينِ كلِّه ولو كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾.

وقوله[5]: ﴿ وعدَ اللهُ الذين آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهم فى الأرض كما استَخْلَفَ الذين مِنْ قَبْلِهم، وليُمَكِّنَنَّ لهم دِينَهم الذى ارْتَضَى لهم، وليُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْناً، يَعْبُدُونَنى لا يُشْرِكُونَ بى شيئا، ومَنْ كفَر بعد ذلك فأولئك هم الفاسِقُون ﴾.

وقوله[6]: ﴿ إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ. ورأيتَ الناسَ يدخُلونَ فى دِينِ اللهِ أفواجا. فسبِّحْ بحَمْدِ ربِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إنه كان توّاباً ﴾.

---

(١) ما انطوى عليه: ما اشتمل عليه.

(٢) سورة الفتح، آية ٢٧، رأى النبى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه، وأخبرهم بذلك، فظنوا أنه سيقع فى ذلك العام، فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك، فأخبرهم الله بأنه سيقع بعد ذلك، وكان كما أخبر.

(٣) سورة الروم، آية ٣، أخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة، وكان كما أخبر الله فى كتابه.

(٤) سورة التوبة، آية ٣٣، وعد الله بأن دين رسول الله سيظهر وتغلب أمته جميع الأمم، وكان كما قال.

(٥) سورة النور، آية ٥٥، ليستخلفنهم: أى يجعلهم خلفاء فى أرضه، مالكين لها منصورين على أعدائهم وكان كما قال.

(٦) سورة النصر، نزلت مبشرة بفتح مكة؛ وكان الفتح.

فكان جميعُ هذا ، كما قال ؛ فغَلبت الرومُ فارسَ فى بِضْع سنين، ودخل الناسُ فى الإسلام أفواجا[1] ؛ فما مات صلى اللهُ عليه وسلم وفى بلاد العرب كلِّها موضعٌ لم يدخله الإسلامُ .

واستخلف [الله][2] المؤمنين فى الأرض ، وَمكَّنَ فيها[3] دينَهم ، وملَّكَهم إياها من أقْصى المشارقِ إلى أقْصى المَغَارِب[4] ؛ كما قال عليه السلام[5] : « زُوِيتَ لى[6] الأرضُ، فأُرِيت مشارقَها ومغارِبَها، وسيَبْلُغُ مُلْكُ أُمتى ما زُوِيَ لى منها ».

وقوله[7] : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لحافِظُون[8] ﴾ ؛ فكانَ كذلك ، لا يكادُ يُعَدُّ مَنْ سَعَى فى تَغْييره وتَبْديل مُحْكَمِه من المُلْحِدَةِ والمُعَطِّلَة ، لاسيّما القرامطة[9] ؛ فأَجمعوا كَيْدَهم وحَوْلَهم[10] وقوتَهم ، اليومَ نَيِّفاً على[11] خمسمائة عام ، فما قدَرُوا على إطفاء شىء من نُوره ، ولا تَغْيير كلمةٍ مِنْ كلامِه[12] ، ولا تَشْكيكِ المسلمين فى حَرْفٍ من حروفه ، والحمدُ لله .

---

(١) أفواجا : جماعات كثيرة ، بعد جماعات كثيرة .

(٢) ليس فى ا .

(٣) فيها : فى الأرض .

(٤) من أقصى المشارق ... أى أبعد مكان من جانب المشرق إلى أبعده من جانب المغرب .

(٥) فى حديث صحيح رواه مسلم: ٢٢١٥

(٦) زويت لى الأرض : جمعت وطويت .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩

(٨) أخبر الله تعالى أنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الزمان .

(٩) الملحدة : من الإلحاد ، وهو الميل عن الحق، سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة، وتأويلها بأمور سخيفة ، ويسمون باطنية : (نسيم الرياض : ٢ — ٥٥٣) .
والمعطلة : الذين نفوا الصانع . والقرامطة : طائفة من الملحدين أيضا . قال السمعانى فى الأنساب : القرمطى — بكسر القاف نسبة لطائفة خبيثة ، وهم من أهل هجر والحسا ، وأصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط ، وقيل حمدان بن قرمط .

(١٠) حولهم : حيلهم ، وجهدهم .

(١١) أى مدة تزيد على خمسمائة عام ، أى بالنسبة لتاريخ زمن المصنف .

(١٢) فى ب : من كلمه .

ومنه[1] قوله[2] : ﴿ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .

وقوله[3] : ﴿ قاتِلُوهم يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بأيديكم ويُخْزِهم ويَنْصُرْكم عليهم ويَشْفِ صدورَ قومٍ مُؤْمِنين ﴾ .

وقولُه[4] : ﴿ هو الذى أرسلَ رسُولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّين كلِّه ولو كَرِهَ المشركون ﴾ .

وقوله[5] : ﴿ لن يَضُرُّوكم إلّا أذًى ، وإنْ يُقاتِلوكم يُوَلُّوكم الأَدْبارَ[6] ثم لا يُنْصَرون ﴾ . فكان كلُّ ذلكَ .

وما فيه[7] مِنْ كَشْفِ أسرارِ المنافقين واليهودِ ، ومَقَالِهم وكَذِبِهِمْ فى حَلِفِهم ، وتَقْرِيعِهم بذلك ؛ كقوله[8] : ﴿ ويَقُولون فى أنْفُسِهم لولا يُعَذِّبُنا اللهُ بما نقول ﴾ .

وقوله[9] : ﴿ يُخْفُونَ فى أنفسِهم ما لا يُبْدُونَ لكَ ، يقولون : لو كانَ لنا من الأَمْرِ شَىْءٌ ما قُتِلْنا هاهنا ، قُلْ لو كُنْتُم فى بُيوتِكم لبرزَ الذين كُتِبَ عليهم القَتْلُ إلى مَضاجِعِهم ، ولِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فى صُدوركم ولِيُمَحِّصَ ما فى قلوبكم ، واللهُ عليمٌ بذاتِ الصدور[10] ﴾ .

---

(١) ومنه : أى مما أخبر به من المغيبات المعجزة .

(٢) سورة القمر ، آية ٤٥ ، أى سيهزم كفار قريش ، وسيجعلهم المسلمون يولون أدبارهم بالطعن والضرب ؛ فعبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٤

(٤) سورة التوبة ، آية ٣٣

(٥) سورة آل عمران ، آية ١١١

(٦) لن يضروكم إلا أذى ؛ أى لا يقدرون عليكم إلا بأذية يسيرة ، كالطعن والتهديد . وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار : أخبر أنهم كلما قاتلوهم غلبوا ، وكان النصر للمسلمين عليهم .

(٧) وما فيه : ما فى القرآن .

(٨) سورة المجادلة ، آية ٨

(٩) سورة آل عمران ، آية ١٥٤

(١٠) هذا بيان لحال المنافقين ومكرهم ، والذى أخفوه يوم أحد .

وقوله[1] : ﴿ ومِنَ الذين هادُوا سمَّاعون للكذب سَمَّاعُونَ لقوم آخَرِين . لَمْ يأْتُوكَ يحرِّفونَ الكَلِمَ من بَعْد مواضِعِه يقولون : إنْ أُوتيتُم هذا فخُذُوه ، وإنْ لم تُؤْتَوْهُ فاحذَرُوا ، ومَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَه فلن تملك له من الله شيئا ، أولئك الذين لم يُرِدِ الله أنْ يُطَهِّرَ قلوبَهم لهم فى الدُّنيا خِزْىٌ ولهم فى الآخرة عذابٌ عظيم ﴾ .

وقوله[2] : ﴿ مِنَ الذين هادُوا يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضِعِه [٩٥] ويقولون : سمِعْنَا وعصَيْنا واسمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ، ورَاعِنَا ليًّا بألسنتهم وطَعْناً فى الدين[3] ﴾ .

وقد قال مُبْدِياً[4] ، ما قدَّرَهُ اللهُ واعتقدَهُ المؤمنــون يوم بَدْر[5] : ﴿ وإذْ يَعِدُكم اللهُ إحْدَى الطَّائفتَيْنِ أنها لكُمْ وتَوَدُّونَ أنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ[6] تكونُ لكم ﴾ .

ومنه قولُه تعالى[7] : ﴿ إنّا كفَيْنَاكَ المستهزئين ﴾ .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٤١ ، والذين هادوا : اليهود .

(٢) سورة النساء ، آية ٤٦

(٣) راعنا : كانوا يقولون: راعنا ؛ وصفا له صلى الله عليه وسلم بالرعونة ، موهمين التماس نظره ورعايته لهم ، مكرا منهم وليا بألسنتهم وكلامهم ، وطعنا فى الدين بالتكذيب والاستهزاء والسخرية .

(٤) مبديا : مظهرا . (٥) سورة الأنفال ، آية ٧

(٦) إحدى الطائفتين : العير ، أو النفير . وغير ذات الشوكة : يريد العير ، وكانوا يودون أخذ العير لما فيها من المال ، ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٥ ، وهؤلاء المستهزئون كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم أشد الأذى ، ويسخرون منه ؛ وهم : الأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمى ، وعدى بن قيس . وقيل : منهم الحارث بن عيطلة ، وفكيهة بن عامر الفهرى ، والحارث بن الطلاطلة ، فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعا ، وكفايته أمرهم قبل وقوعه ؛ فكان كما قال .

ولما نزلتْ بشَّر النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم بذلكَ أصحابَه بأنَّ اللهَ كفاهُ إياهم ؛ وكان المستهزئون نفَرا بمكَّة ينفِّرونَ الناسَ عنه ويُؤذُونَه فهلَكُوا .

وقوله[1] : ﴿ واللهُ يَعْصِمُكَ من الناس ﴾ ؛ فكان كذلك على كَثْرة مَنْ رامَ ضُره[2] ، وقَصَد قَتْلَه ؛ والأخبارُ بذلك معروفةٌ صحيحة .

فصـــــل

الوَجْه الرابع[3] ما أنبأَ به مِنْ أخبارِ القرون[4] السالفة ، والأمم البائدة[5] ، والشرائع الدَّائرَة[6] ، مما كان لا يُعلَمُ منه القصَّةَ الواحدة إلا الفَذُّ مِنْ أحْبَار[7] أهْل الكتابِ الذى قطع عُمْره فى تعلُّمِ ذلك ؛ فيُورِدُه النبيُّ صلّى الله عليه وسلم على وَجْهِه ، ويأتى به على نَصِّه ؛ فَيَعْتَرِفُ العالِمُ بذلك بصحّتِه وصِدْقِه ، وأنَّ مِثْلَه[8] لم يَنَلْهُ بتعليم .

وقد علِمُوا أنه صلّى اللهُ عليه وسلم أُمِّيٌّ لا يَقْرأُ ولا يكتب ، ولا اشتغلَ بمُدارسةِ

---

(١) سورة المائدة ، آية ٦٧ (٢) رام : قصد ضرره .

(٣) من وجوه إعجاز القرآن .

(٤) القرون : جمع قرن ، وهم أهل كل عصر وزمان ؛ أى أخبار الأمم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة .

(٥) البائدة : الهالكة (هامش ب) .

(٦) الدائرة : الدارسة ، التى لم يبق لها أثر . فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التى نسيت ونسخت أحكامها .

(٧) الفذ : الفرد والشاذ . والأحبار : جمع حبر ، وهو العالم الحافظ الواسع علمه . والعرف يخصه بعلماء أهل الكتاب .

(٨) مثله : مثل النبى ، أو مثل هذا الكلام لم يصل إليه النبى صلى الله عليه وسلم بتعليم من البشر ، بل بوحى من الله تعالى .

ولا مُثَافَنةٍ [١]، ولم يَغِبْ عنهم، ولا جَهِل حالَه أحدٌ منهم.

وقد كان أهلُ الكتابِ كثيراً ما يسألونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عَنْ هذا، فينزِل عليه من القرآنِ ما يَتْلُو عليهم منه ذِكراً [٢]؛ كقِصَص الأنبياء مع قَوْمِهم، وخَبَرِ موسى والخَضِر، ويوسفَ وإخوته، وأصحابِ الكهف، وذِي القَرْنين، ولُقْمان وابنِه، وأشباه ذلك من الأنبياء [والقصص] [٣]، وبَدْءِ الخَلْق، وما في التَّوْرَاة، والإنجيل، والزَّبُور، وصُحُفِ إبراهيم وموسى؛ ممّا صَدَّقه فيه العلماء بها، ولم يَقْدِرُوا على تكذيب ما ذكر منها؛ بل أَذْعَنُوا لذلك [٤]، فمِنْ مُوَفَّقٍ آمَنَ بما سبَق له مِنْ خَيْر، ومِنْ شَقِيٍّ مُعانِدٍ حاسِدٍ؛ ومع هذا لم يُحْكَ عن واحدٍ [٥] من النصارى واليهود على شدّةِ عداوتِهم له، وحِرْصِهم على تكذيبِه، وطُولِ احتجاجه عليهم بما في كُتُبِهم، وتَقْرِيعِهم [٦] بما انطوَتْ عليه مصاحِفُهم [٧]، وكثرةِ سؤالِهم له صلى الله عليه وسلم، وتَعْنِيتِهم [٨] إياه ـ عن أخبارِ أنبيائهم، وأسرارِ علومِهم، ومستَوْدَعات سِيَرِهم [٩]، وإعلامِه لهم بمكتُوم شرائعِهم ومضَمَّنَات كُتُبِهم؛ مثلُ

(١) بمدارسة: بحفظ وتلق من الأفواه. مثافنة: مداومة طلب، ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك، وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع أهل العلم بالأخبار والشرائع للتعلم عنهم. وفي ب: مثاقبة؛ قال القاري (١ ـ ٥٦٧): ولعلها مصحفة، أو يراد بها المزاحمة في المعرفة، من ثقوب الذهن، وهو وصوله إلى الصواب.

(٢) المراد بالذكر القرآن المذكر لهم.

(٣) من ب.

(٤) بل أذعنوا لذلك: أقروا واعترفوا منقادين له.

(٥) في ا: عن أحد.

(٦) وتقريعهم: توبيخهم وتفضيحهم.

(٧) مصاحفهم: يريد كتبهم، وصحفهم.

(٨) تعنيتهم إياه: أي تكليفهم بما هو شاق.

(٩) مستودعات سيرهم: أي سؤالهم عما أودع في مصاحفهم من سير أنبيائهم.

سؤالهم عن الرُّوح ، وذِى القرْنَيْن ، وأصحابِ الكَهْفِ ، وعيسى ، وحُكْمِ الرَّجْمِ ، وما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسه ؛ وما حُرِّمَ عليهم من الأنعام ، ومِنْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لهم فحُرِّمَتْ عليهم ببَغْيِهِم[١].

وقوله[٢] : ﴿ ذلكَ مَثَلُهم في التوراةِ ومَثَلُهم في الإنجيل كزَرْعٍ أَخرج شَطْأَه ، فآزَرَه فاستَغْلَظَ فاستوى على سُوقِه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ليَغِيظَ بهم الكُفَّار ﴾ .

وغيرِ ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآنُ ؛ فأجابهم وعرَّفَهم بما أُوحى إليه من ذلك[٣] أنه أنكر ذلكَ أو كذبه ؛ بل أكثرُهم صرّحَ بصحةِ نبوّته ، وصِدْقِ مقالَتِه ، واعترف بعِنَادِه وحَسَدِهم إياه ؛ كأَهْلِ نَجْرَانَ ، وابن صُوريا ، وابنى أَخْطَب وغيرهم[٤] .

ومن باهَتَ في ذلك بعْضَ المُباهَتة[٥] ، وادَّعَى أنّ فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفةَ — دُعِيَ إلى إقامةِ حجّتِه ، وكَشْفِ دعوته[٦] ؛ فقيل له[٧] : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بالتوراةِ فاتْلُوها إنْ كنتم صادِقين . فمن افْتَرى على اللهِ الكذِبَ من بَعْدِ ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾ .

---

(١) فحرمت عليهم ببغيهم : أى حرمت عليهم عقوبة لهم بسبب ظلمهم .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٩ ، والإشارة إلى قوله فى الآية نفسها : سيماهم فى وجوههم من أثر السجود .

(٣) من ذلك : من السابق ذكره . وفى ب : فما سمع عن أحد منهم أنه أنكر . . .

(٤) هو عبد الله بن صوريا : حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة . وابنا أخطب : هما حيي ، وأبو ياسر ؛ وهما يهوديان من يهود المدينة .

(٥) بهته وباهته : إذا كذبه ونسبه للبهتان ، أى من لم يقر بأن ما جاء به محمد صدق ، وادعى أنه كذب ؛ مكابرة منه .

(٦) فى ب : وكشف عورته . (٧) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، ٩٤

فقرَّع ووبَّخ ، ودَعا إلى إحضار مُمْكن غـير مُمْتنِع [١] ؛ فمِنْ مُعْترِف بما جَحَده ، ومُتَواقح [٢] يُلْقِي على فَضِيحته مِنْ كتابه يَدَه .

ولم يُؤْثَر [٣] أنَّ واحداً منهم أظْهر خلافَ قوله مِنْ كتُبه [٤] ، ولا أبْدَى صحيحا ولا سقيما [٥] من صُحُفِه ؛ قال اللهُ تعالى [٦] : ﴿ يأهْلَ الكتاب قد جاءكُمْ رسولُنا يُبيِّن لكم كثيراً مما كنْتُم تُخْفُونَ مِنَ الكتاب ويَعْفُو عن كثير ،قد جاءكم مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مُبين . يَهْدِي به اللهُ مَنِ اتَّبع رِضْوانَه سُبُلَ السَّلام ويُخرجُهم من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بإذْنِه ويَهْدِيهم إلى صِراط مُسْتقِيم ﴾ .

فصـــل

هذه الوُجوه الأربعة من إعجازه بَيِّنَةٌ لا نِزَاعَ فيها ولا مِرْيَة [٧] .

ومن الوجُوهِ البيِّنَةِ في إعجازه من غيرهذه الوجوه : آيٌ وردَتْ بتعجيز قوم في قضايا [٨] ، وإعلامِهم أنهم لا يَفْعَلُونها فما فَعَلُوا ولا قَدَرُوا على ذلك ؛ كقوله لليهود [٩] : ﴿ قُلْ إنْ كانت لكم الدارُ الآخرةُ عنْدَ اللهِ خالصةً [١٠] مِنْ دونِ الناسِ

(١) إحضار ممكن غير ممتنع : وهو أمرهم بالإتيان بالتوراة ، وهى حاضرة بين أيديهم .

(٢) جحده : أنكره . ومتواقح : متكلف للوقاحة ؛ وهى قلة الحياء ، وصلابة الوجه ، حتى لايبالى بافتضاحه . والمراد به ابن صوريا الذى وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام : ارفع يدك يا أعور . . . وذلك يفسر مايأتى بعد فى العبارة .

(٣) ولم يؤثر : لم ينقل . (٤) فى ا : من كتابه .

(٥) ولاسقيما : محرفا لفظه أو مؤولا معناه .

(٦) سورة المائدة ، آية ١٥ ، ١٦ . ويعفو عن كثير : لحلمه وستره عليهم ، رجاء هدايتهم بتوفيق الله . (٧) مرية : شبهة وشك .

(٨) قضايا : جمع قضية ؛ وهى الحادثة الواقعة فى حكم قضاه الله تعالى وقدره .

(٩) سورة البقرة ، آية ٩٤ ، قال لهم ذلك لما ادعوا دعاوى باطلة ؛ كقولهم : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . . . (١٠) خالصة : خاصة بكم .

فتمنَّوا الموتَ إنْ كنتُم صادقين[1] . ولَنْ يتمنَّوْه أبداً بما قدمَتْ أيديهم . . . ﴾ .

قال أبو إسحاق الزجّاج : فى هذه الآيةِ أعظمُ حجَّةٍ وأظهرُ دَلَالةٍ على صحةِ الرسالة ؛ لأنه قال : ﴿ فتمَنّوا الموتَ ﴾ ؛ وأعلمهم أنهم لن يَتَمَنَّوْهُ أبداً ، فلم يتمنَّه واحدٌ منهم .

وعن النبيّ صلى اللهُ عليـــه وسلم : والذى نَفْسِى بيده لا يَقُولُها رَجلٌ منهم إلَّا غَصَّ بريقِه[2] — يعنى يموتُ مَكانَه .

فصرفهم اللهُ عن تمنِّيهِ وجزّعهم ؛ ليُظْهِرَ صِدْقَ رسُولِه ، وصحةَ ما أُوحِىَ إليه ، إذ لم يتمنَّه أحَدٌ منهم ؛ وكانوا على تكذيبه أحرصَ لو قَدَرُوا ؛ ولكنّ الله يفعلُ ما يريد ؛ فظهرت بذلكَ معجزتُه ، وبانَتْ حُجّتُه .

قال أبو محمد الأَصِيلىُّ : مِنْ أعْجبِ أمْرِهم أنه لا يوجدُ منهم جماعةٌ ، ولا واحدٌ ، من يومَ أمَرَ اللهُ بذلك نبيَّه — يُقْدِمُ عليه[3] ، ولَا يُجيبُ إليه .

وهذا موجودٌ مشاهدٌ لمَنْ أرادَ أنْ يمتحنَه منهم .

وكذلك آيةُ المُبَاهلةِ[4] ، مِنْ هذا المعنى ، حيث وفَد عليه أساقفةُ نَجْران وأبَوا الإسلامَ ؛ فأنْزَل اللهُ تعالى عليه آيةَ المُبَاهَلَةِ بقوله[5] : ﴿ فمَنْ حاجَّكَ فيه من بَعْد ماجاءكَ من العلم فقل تعالَوْا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونِساءكم وأنفسنا وأنفسكم ؛ ثم نَبْتهل فنَجْعَل لعنةَ اللهِ على الكاذبين ﴾[6] .

---

(١) إن كنتم صادقين فى قولكم : إنكم من أهل الجنة ، وإنها مخصوصة بكم ؛ لأن من تيقن دخول الجنة اشتاق لها ، وأحب التخلص من هذه الدار الدنيا وأكدارها .

(٢) تفسير ابن كثير : ١ — ١٨٢ ، الغصة : ما تقف فى الحلق ، فتمنع النفس حتى تهلكه . وغص بريقه : وقع الموت به سريعا .

(٣) يقدم عليه : على تمنى الموت . ولا يجيب إليه : أى إلى تمنيه ، إذا قيل له : تمنه .

(٤) المباهلة : الملاعنة ، أى الدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين .

(٥) سورة آل عمران ، آية ٦١

(٦) وأنفسنا وأنفسكم : ليدع بعضنا بعضا ، فالإنسان لا يدعو نفسه .

فامتنعوا منها[١]، ورَضُوا بأدَاء الجِزْية؛ وذلك أنّ «العاقب» عظيمَهم قال لهم: قد علمتُمْ أنه نبيٌّ، وأنه ما لاعَنَ قوماً نبيٌّ قَطّ فبَقِي كبيرهم ولا صغيرُهم.

ومثلُه قوله[٢]: ﴿وإنْ كُنتُم في رَيْبٍ مما نزّلْنَا على عَبْدنا فأْتوا بسورةٍ من مثله، وادعُوا شُهداءَكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تَفْعَلُوا ولَنْ تَفْعَلُوا...﴾.

فأخبرهم أنهم لا يَفْعَلُون؛ كما كان.

وهذه الآية أدخَلُ في باب الإخبارِ عن الغيبِ، ولكنْ فيها من التعجيز ما في التي قبلها.

فصل

ومنها الرَّوْعَةُ[٣] التي تلحقُ قلوبَ سامعِيه وأسماعَهم عند سَمَاعه، والهيبةُ التي تَعْتَرِيهم[٤] عند تلاوته لقوة[٥] حاله، وإنَافَة خَطَره[٦]؛ وهي[٧] على المكذِّبين به أعظَمُ، حتى كانوا يَسْتَثْقِلُون سَمَاعَه، ويزيدُهم نفوراً؛ كما قال تعالى[٨]؛ ويَوَدُّون انقطَاعَه لِكَرَاهَتِهم له.

---

(١) منها: من المباهلة.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣، ٢٤

(٣) الروعة: المرة من الروع، وهو الفزع والخوف الذي يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته.

(٤) الهيبة: الخوف. أو الإجلال. تعتريهم: تطرأ عليهم وتغشاهم.

(٥) لقوة حاله: لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والإنذار.

(٦) وإنافة خطره: علو مرتبته على غيره من الكلام.

(٧) وهي: أي الروعة والهيبة.

(٨) قال تعالى: «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا»؛ أي ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه.

ولهذا قال صلى اللهُ عليه وسلم: إنَّ القرآن صَعْبٌ مستَصْعَب[١] على مَنْ كَرِهَه؛ وهو الحَكَم[٢]، وأمّا المؤمنُ فلا تزالُ رَوْعتُه به، وهيبتُه إياه، مع تِلاوته ـ تُولِيه انجذابا[٣]، وتكسبُه هَشَاشةً[٤]، لمَيْلِ قَلْبه إليه، وتصديقِه به؛ قال تعالى[٥]: ﴿ تَقْشَعِرُّ منه جُلُودُ الذين يخشَوْنَ ربهم، ثم تَلِين جلودُهم وقُلوبُهم إلى ذِكْرِ اللهِ[٦] ﴾.

وقال[٧]: ﴿ لو أنزلْنا هذا القرآنَ على جَبَل لرأيتَه خاشعا مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْية اللهِ، وتلكَ الأمثالُ نضرِبُها للناس لعلهم يتفكرون ﴾.

ويدلُّ على أنَّ هذا[٨] شيء خُصَّ[٩] به ـ أنه يَعْتَرِي[١٠] مَنْ لا يفهم معانيه، ولا يعلم [٩٦] تفاسيره، كما رُوِيَ عن نَصْراني ـ أنه مرَّ بقارِئٍ ـ فوقف يبكي؛ فقيل له: مِمَّ بكيتَ؟ قال: للشَّجَا والنظم[١١].

---

(١) صعب: أى لايقدر أحد على محاكاته، أو شديد. مستصعب: يعسر فهمه وتفسيره بالرأى، ولا يمكن تغييره وتحريفه، لأنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنه ليس من جنس كلام البشر.

(٢) وهو الحكم: أى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل، بما تضمنه من الأحكام.

(٣) فى هامش: خ: انجباذا.

(٤) هشاشة: مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشارة السارة والمعانى التى تجعل المؤمن فى نشاط.

(٥) سورة الزمر، آية ٢٣

(٦) أى يعرض لجلود أبدانهم قشعريرة، أى قيام، من الخوف من هيبته؛ فإذا تأملوه وتدبروه لانت قلوبهم وجلودهم لأنسهم وسرورهم به.

(٧) سورة الحشر، آية ٢١

(٨) هذا: أى مايحدث فى القلوب والأسماع من الروعة والمهابة.

(٩) به: أى القرآن دون غيره من الكلام.

(١٠) يعترى: يطرأ ويصيب.

(١١) الشجا: الطرب، أو الحزن. والنظم: المراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه. فأثر ذلك فى نفسه، وهو لايفهمه حتى أبكاه.

وهذه الروعةُ قد اعترتْ جماعةً قبل الإسلام وبعده ؛ فمنهم مَنْ أسلم لها لأول وَهْلَة وآمَنَ به ، ومنهم مَنْ كفر (١) .

فحُكِيَ فى الصحيح (٢) ، عن جُبير بن مُطْعِم ، قال : سمعتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطُّور ، فلما بلغ هذه الآية (٣) : ﴿ أم خُلِقُوا من غير شيء أم هُمُ الخالقون . أم خَلقوا السموات والأرضَ بل لا يُوقنون . أم عندهم خزائنُ ربِّك أم هُمُ المُصَيْطِرُون ﴾ ـ كاد قلبى أنْ يَطِيرَ للإسلام .

وفى رواية : وذلك أول ما وَقَر (٤) الإيمانُ فى قلبى .

وعن عُتْبَة بن ربيعة (٥) أنه كلَّم النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلافِ قومه ، فتلا عليهم (٦) : ﴿ حمٓ . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتاب فُصِّلَتْ آياتُه قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بَشِيراً ونَذِيرا فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبُنا فى أكِنَّة مما تَدْعُونا إليه وفى آذاننا وَقْرٌ ومِنْ بيننا وبينك حِجَابٌ فاعْمَل إننا عاملون . قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحَى إلىَّ أنما إلهكم إلهٌ واحد فاسْتَقِيموا إليه واستَغْفِروه وويلٌ للمشركين . الذين لا يُؤْتُون الزكاةَ وهم بالآخرة هم كافرون . إنّ الذين آمَنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ لهم أجرٌ غيرُ مَمْنُون . قل أئِنَّكم لتَكْفُرُونَ بالذى خلق الأرضَ فى يومين وتجعلونَ له أندادًا ذلكَ ربُّ العالمين . وجعل فيها رواسِيَ

(١) ومنهم من كفر : أى ومنهم من دام واستمر على كفره ، لإصراره على عناده .

(٢) رواه الشيخان مسندا .

(٣) سورة الطور ، آية ٣٥ – ٣٧ . من غير شىء : من غير خالق لهم ، أم هم الخالقون لأنفسهم . والمصيطرون: المدبرون للأشياء كما يريدون. والحديث فى صحيح مسلم :٦–١٧٥، وصحيح البخارى : ٦ – ١٧٥ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم : ١ – ٣٠٨

(٤) وقر : ثبت .

(٥) هذا الحديث رواه ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ١ – ٣١٤

(٦) سورة فصلت ، من آية ١ إلى ١٣

من فوقها وبارَكَ فيها وقدَّرَ فيها أقواتَها فى أربعةِ أيامٍ سواءً للسائلين . ثم استوى إلى السماءِ وهى دُخانٌ فقال لها وللأرضِ ائتيا طَوْعا أو كَرْها قالتا : أتينا طائعين. فقَضاهُنَّ سَبْعَ سموات فى يومين ، وأَوْحَى فى كل سماء أَمْرَها وزَيَّنَّا السماءَ الدنيا بمصابيحَ وحِفْظاً ذلك تَقْديرُ العزيزِ العليمِ . فإنْ أعرضُوا فقل أَنْذَرْتُكُم صاعِقَةً مِثْلَ صاعقَةِ عادٍ وثَمُود ﴾ .

فأمسكَ عُتْبةُ بيده على فِي النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وناشَدَهُ الرَّحِمَ أن يكفَّ[١] .

وفى رواية[٢] : فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقرأ وعُتْبَةُ مُصْغٍ مُلْقٍ يديه خَلْفَ ظَهْره ، مُعْتَمِدٌ عليهما ، حتى انتهى إلى السجدة[٣] ؛ فسجد النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وقام عُتْبةُ لا يَدْرى بما يُراجعه[٤] ، ورجع إلى أَهْلِهِ ، ولم يخرجْ إلى قومه حتى أَتَوْهُ ؛ فاعتذَرَ لهم ، وقال: واللهِ لقَدْ كلَّمنى بكلامٍ واللهِ ما سمِعَتْ أُذناىَ بمثله قطُّ ؛ فما دَرَيْتُ ما أقولُ له .

وقد حُكِى عن غَيْرِ واحدٍ ممَّن رامَ مُعارَضتَه[٥] أنه اعترَتْه رَوْعَةٌ وهَيْبَةٌ كَفَّ بها عن ذلك .

فحُكِى أنَّ ابْنَ المُقَفَّع طلبَ ذلكَ ورَامَهُ ، وشرع فيه ؛ فمرَّ بِصَبِيٍّ يقرأ[٦] :

---

(١) أن يكف : أى سأله مقسما عليه بالقرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم أن يكف عن القراءة ويمتنع عنها .

(٢) وهى لابن إسحاق أيضا فى سيرته عن كعب القرظى .

(٣) السجدة فى الآية رقم ٣٧ من سورة فصلت : «لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » .

(٤) بما يراجعه : بأى شىء يكلمه بعد تلاوته ؛ لروعته التى أدهشته بما سمع منه .

(٥) رام : طلب وقصد . معارضته : أن يأتى بكلام يماثله فى البلاغة .

(٦) سورة هود ، آية ٤٤

﴿وقِيلَ ياأرضُ ابْلَعِى ماءَكِ﴾ ـ فرجَع فَمحا ما عَمِل؛ وقال: أشْهَدُ أنّ هذا لا يُعارَضُ، وما هو مِنْ كلامِ البشر؛ وكان مِنْ أفْصحِ أهْلِ وَقْته.

وكان يحيى بن حَكَم[١] الغزّال بَليغ الأندلس فى زَمَنِه؛ فحُكِى أنه رَامَ شيئا من هذا، فنظر فى سُورة الإخلاص لِيَحْذُوَ على مِثَالها[٢]، ويَنْسُجَ ـ بزَعْمِه ـ على مِنْوَالها ـ قال: فاعتَرَتْنى خَشْيَةٌ ورِقّةٌ حَمَلَتْنى على التَّوْبَةِ والإنابة[٣].

فصــــل

ومن وجُوهِ إعجازه المعدودة كونُه آيةً باقيةً لا تُعْدَمُ ما بَقِيَت الدُّنْيا مع تكفُّلِ الله بحفْظه؛ فقال[٤]: « إنَّا نَحْنُ نزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنّا لَهُ لحافِظُون ».

وقال[٥]: « لا يَأْتيه الباطلُ مِنْ بين يديه ولا مِنْ خَلْفِه[٦]، تنزيل من حَكِيم حَمِيد ».

وسائرُ مُعْجِزاتِ الأنبياء انقضَتْ بانقضاء أوقاتها، فلم يَبْــــق إلا خَبَرُها؛ والقرآنُ العَزيزُ، الباهِرَةُ آياتُه، الظاهرةُ معجزاتُه على ما كان عليه اليومَ[٧] ـ مدةَ خمسمائة عامٍ وخمسٍ[٨] وثلاثين سنةً لأولِ[٩] نزولِه إلى وَقْتنا هذا ـ حجّتُه

---

(١) فى المشتبه: ابن حكيم. (٢) ليحذو على مثالها: ليقول مثلها.

(٣) الإنابة: الرجوع عن ذلك. وفى ب: والأوبة.

(٤) سورة الحجر، آية ٩ (٥) سورة فصلت، آية ٤٢

(٦) من بين يديه ولا من خلفه: لا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات يبطله، ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه أو ينسخه.

(٧) على ما كان عليه اليوم: أى إلى يومنا هذا، والمراد باليوم عصر المؤلف.

(٨) فى ب: وسبع. وفى هامشه: والظاهر: وخمس.

(٩) لأول نزوله: أى من ابتداء الوحى ونزول القرآن إلى وقت تأليف المصنف لهــذا الكتاب.

قاهرةٌ[١] ، ومعارَضَتُه مُمتنِعَة ، والأعصارُ كلُّها طافحةٌ[٢] بأَهْلِ البيانِ ، وحَمَلةِ عِلْمِ اللسان ، وأئمةِ البلاغة ، وفُرْسانِ الكَلام ، وجَهابذةِ[٣] البراعةِ ؛ والمُلْحِدُ[٤] فيهم كثيرٌ ، والمُعادِي للشّرْع عَتِيد[٥] ؛ فما منهم مَنْ أتى بشيء يُؤْثَرُ[٦] في مُعارَضَتِه ، ولا ألّفَ كلمتين في مناقَضَتِه ، ولا قَدَر فيه على مَطْعنٍ صَحِيح ، ولا قَدح المتكلِّفُ مِنْ ذِهْنِه في ذلك إلا بزَنْدٍ شَحِيح[٧] ؛ بل المأثورُ عَنْ كلّ مَنْ رامَ ذلك إلقاؤه في العَجْزِ بيدَيْهِ ، والنّكوصُ[٨] على عَقِبَيْه .

فصـــل

وقد عَدّ جماعةٌ من الأئمة ومُقَلِّدِي الأمّة في إعجازه وجوهاً كثيرةً ؛ منها أن قارئَه لا يملُّه ، وسامِعَه لا يَمُجُّه[٩] ؛ بل الإكبابُ على [٩٧] تلاوتِه[١٠] يزيدُه حلاوةً ، وترْدِيدُه يوجب له محبةً ؛ لا يزال غضًّا طريًّا[١١] ، وغيرُه من الكلام — ولو بلغ[١٢] في الحسنِ والبلاغةِ مَبْلَغه —

(١) قاهرة : غالبة . وفي ب : ظاهرة .

(٢) والأعصار : جمع عصر . طافحة : تفيض وتتدفق .

(٣) جهابذة : جمع جهبذ ، والجهبذ : العالم النحرير ، والنقاد البصير ، والصانع الماهر الخبير .

(٤) الملحد : المائل عن الحق .

(٥) عتيد : مهيأ حاضر باذل جهده في عداوته .

(٦) يؤثر : يحفظ وينقل .

(٧) الشحيح : البخيل ؛ أي لم يفده قدحه شيئا غير الخيبة .

(٨) النكوص : الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه .

(٩) لا يمله : لا يسأم من كثرة قراءته ، ولو أعاده مرارا . لا يمجه : لا يكره تكراره على مسامعه .

(١٠) الإكباب على تلاوته : ملازمة قراءته وتكراره .

(١١) لا يزال : كلما كرر . غضا : جديدا . طريا : رطبا ناعما ، فلا تتغير بهجته ونضارته .

(١٢) أي لو فرض ذلك .

يَمَلُّ مع الترديد، ويُعادَى إذا أُعيد؛ وكتابُنا[1] يُستَلَذُّ به في الخلوات، ويُؤنَس بتلاوته في الأَزَمات[2]؛ وسِوَاه مِنَ الكُتُب لا يُوجدُ فيها ذلك؛ حتى أحدثَ أصحابُها لُحوناً وطُرُقاً يستجلِبُونَ[3] بتلكَ اللُّحُون تَنْشيطَهم على قراءتها.

ولهذا وَصَفَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم القرآنَ بأنه لا يَخْلَقُ على كثرةِ الرّدِّ[4]، ولا تَنقَضِي عِبَرُه[5]، ولا تَفْنَى عجائبُه؛ هو الفَصْلُ ليس بالهَزْلِ[6]، لا يَشْبَعُ[7] منه العلماء، ولا تَزِيغُ[8] به الأهواء، ولا تَلْتَبِسُ به الأَلْسِنَة[9]؛ هو الَّذى لم تَنْتَهِ الجنُّ حين سَمِعَتْه أنْ قالوا[10]: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قرآناً عجَباً . يَهْدِى إلى الرُّشْدِ ﴾ .

ومنها جَمْعُه لعلومٍ ومعارفَ لم تعْهَد[11] العربُ عامّةً ولا محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلم قَبْلَ نُبوّته خاصّة، بمعرفتها، ولا القيام بها؛ ولا يُحيطُ بها أَحَدٌ من علماء الأُمم، ولا يشتملُ عليها كتابٌ مِنْ كتبهم؛ فجُمِعَ فيه مِنْ بيان عِلْمِ الشرائع،

---

(١) أى القرآن . (٢) الأزمات : جمع أزمة ؛ وهى الشدة .

(٣) يستجلبون : يطلبون وجودها ، أو يجلبونها لهم ولمن يسمعهم .

(٤) لايخلق : لايبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان . والرد : الترديد والتكرار .

(٥) عبره : المراد بها عجائبه ، أو مواعظه التى بها يعتبر .

(٦) هو الفصل : الحد الفاصل بين الحق والباطل . ليس بالهزل : أمره جد كله .

(٧) فى ب : ولا يشبع . (٨) لاتزيغ : لاتميل وتعدل عن منهجه .

(٩) ولا تلتبس به الألسنة : المعنى أنه لا يشبه غيره من الكلام ، فلا يمكن اختلاطه به وإدخاله فيه ؛ لأن أسلوبه ونظمه لايشبه غيره ؛ فالمراد أنه لا يمكن أن يدس فيه دسيسة .

(١٠) سورة الجن ، آية ١ ، ٢ . يهدى إلى الرشد : يدل على الصواب ، من الإيمان والتوحيد . والحديث فى صحيح الترمذى ، من طريق على بن أبى طالب : ٥ — ١٧٢ . وفى هامش ب : وقد خرج هذا الحديث الترمذى من طريق على بن أبى طالب ، وفى سنده الحارث الأعور . هذا من غير النسخة المنقول عنها . وهى نسخة معتمدة .

(١١) لم تعهد العرب : أى لم تعرفه فى زمانها وعهدها .

والتنبيهِ على طُرُق الحجَج العَقْليات (١)، والردِّ على فِرَقِ الأُمم؛ ببراهينَ قويّةٍ، وأدِلةٍ بيّنةٍ سَهْلَةِ الألفاظِ، موجَزةِ المقاصدِ، رامَ المُتحَذْلِقُون بَعْدُ ـ أنْ ينصِبُوا (٢) أدلَّةً مِثْلَها فلم يَقْدِرُوا عليها؛ كقوله تعالى (٣): ﴿أَوَ لَيْسَ الذى خَلَقَ السموات والأرضَ بقادرٍ على أنْ يَخْلُقَ مِثلَهم﴾.

و(٤): ﴿قل يُحْيِيها الذى أنشأها أولَ مرة﴾.

و(٥): ﴿لو كان فيهما آلِهَةٌ إلّا اللهُ لفَسَدَتا﴾.

إلى ما حَوَاهُ من علُومِ السِّيَرِ، وأنْباءِ الأُمم، والمواعظِ، والحِكَم، وأخبارِ الدارِ الآخرةِ، ومحاسِنِ الآدابِ والشِّيَم (٦).

قال الله ـ جَلّ اسْمُه (٧): ﴿ما فرَّطْنا فى الكتاب من شىء﴾.

و(٨): ﴿ونَزَّلْنا عليك الكتابَ تِبْيَاناً لكلّ شَىْء﴾.

و(٩) ﴿ولقد ضَرَبْنَا للناس فى هذا القرآن من كُلِّ مَثَل﴾.

---

(١) والتنبيه على طرق الحجج العقليات: أى تنبيه الناس وإرشادهم إلى نصب الأدلة العقلية وكيفية إلزام الخصم بها. وفى هامش ا: خ: العقلية.

(٢) المتحذلقون: هم أهل الحذق الباحثون عن الأمور (هامش ب). وقال الشهاب: المتحذلقون: الذين يدعون الحذق، وهو سرعة الفهم؛ أى قصد الذين يدعون الذكاء فى العلم وإقامة البراهين أن ينصبوا أدلة؛ أن يقيموا أدلة.

(٣) سورة يس، آية ٨١ (٤) سورة يس، آية ٧٩

(٥) سورة الأنبياء، آية ٢٢

(٦) الشيم: جمع شيمة، وهى الطبيعة، والخلق.

(٧) سورة الأنعام، آية ٣٨، أى لم نترك شيئا يحتاج إليه إلا بيناه فى القرآن، على أن المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ.

(٨) سورة النحل، آية ٨٩، تبيان لكل شىء: مبينا لكل شىء يحتاج إليه.

(٩) سورة الروم، آية ٥٨، من كل مثل: أى أتينا لكل أمرمهم بمثال يوضحه.

وقال ـ صلّى اللهُ عليه وسلم [١] : إنّ اللهَ أنزلَ هذا القرآنَ آمِراً وزاجراً [٢]، وسنةً خاليةً [٣]، ومَثَلًا مَضْرُوبا ، فيه نَبَؤُكم [٤]، وخَبَرُ ما كان قَبْلَكم ، ونَبأُ ما بَعْدَكم ، وحُكْم ما بينكم [٥]، لا يُخْلِقُه طُولُ الردِّ ، ولا تَنْقضى عجائبُه ؛ هو الحَقُّ ليس بالهَزْلِ ؛ مَنْ قال به صدق ، ومَنْ حَكَم به عَدَل ، ومَنْ خاصم به فَلَجَ [٦]، ومَنْ قَسَمَ به أقسط [٧]، ومَنْ عمِلَ به أُجِرَ [٨]، ومَنْ تمسّكَ به هُدِىَ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ؛ ومَنْ طلب الهُدَى من غيره أَضلّه اللهُ ؛ ومَنْ حَكم بغيره قَصَمه [٩] اللهُ ؛ هو الذِّكْرُ الحكيم ، والنُّورُ المُبِين ، والصِّرَاطُ المستقيمُ ، وحَبْلُ اللهِ المتين [١٠]، والشِّفَاءُ النافعُ ، عِصْمةٌ لِمَنْ تمسّكَ به ، ونَجَاةٌ لِمَن اتّبَعه ، لا يَعْوَجُّ فيقوَّمَ [١١]، ولا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَب [١٢]، ولا تَنْقَضِى عجائبُه ، ولا يَخْلَقُ على كَثْرة الرَّدِّ .

---

(١) فى حديث رواه الترمذى : ٥ ـ ١٧٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفى الحارث مقال . (٢) وزاجرا : مانعا وناهيا .

(٣) وسنة خالية : طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الأمم . (٤) النبأ : الخبر .

(٥) وحكم ما بينكم : أى بيان للأحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الأمة المحمدية .

(٦) من خاصم به : من خاصم بحجة وأدلة مأخوذة منه . فلج : غلب ، وفاز بالنصر . وفى هامش ب : فلج : انتصر .

(٧) أقسط : عدل . أى من تولى قسمة فقسمها بما فى كتاب الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها عدل . (٨) أجر : نال الأجر والثواب الجزيل .

(٩) قصمه الله : قتله وأهلكه هلاكا شديدا .

(١٠) حبل الله المتين : عهده وأمانه الذى يؤمن به العذاب ، وكل ما يكره ويشق على النفس ، ويتوصل به إلى ماينجى ويوصل إلى المطالب . والمتين : القوى المحكم .

(١١) لا يعوج : ليس فيه خلل لفظا ولا معنى . فيقوم : فيحتاج إلى تقويم يزيل عوجه ؛ فليس كغيره من الكلام المحتاج للإصلاح .

(١٢) لا يزيغ : لا يميل عن الحق والصواب . فيستعتب : لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة .

ونحوُه عن ابن [١] مسعود ؛ وقال فيه : ولا يختلِف ، ولا يُتَشَانَأ [٢] ، فيه نَبأُ الأولين والآخرين .

وفى الحديث [٣] : قال اللهُ تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : إنّى منزِّلٌ عليكَ توراةً [٤] حديثةً ، تفتحُ بها أعينا عُمياً ، وآذانا صُمًّا ، وقُلوباً غُلفا [٥] ، فيها ينابيعُ العِلمِ [٦] ، وفَهْمُ الحِكْمة ، ورَبيعُ القلوب [٧] .

وعَنْ كَعْب : عليكم بالقرآنِ ، فإنه فَهْمُ العقولِ [٨] ، ونورُ الحِكمةِ .

وقال الله تعالى [٩] : ﴿ إنَّ هذا القرآنَ يقُصُّ على بنى إسرائيلَ أَكْثَرَ الذى هم فيه يَخْتَلِفون ﴾ .

وقال [١٠] : ﴿ هذا بَيَانٌ للناسِ وهُدًى وموعظةٌ للمُتَّقِين ﴾.

---

(١) قال السيوطى : رواه الحاكم من ابن مسعود .

(٢) لايختلف : لايقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله . وفى ا : لايختلق — بالقاف . يتشانأ : المراد خلوه من تنافر الكلمات وعدم تناسبها ؛ فهو لايكره ولا يمل. وفى هامش ا : صوابه : ولا يتشان — بالتشديد ؛ أى لايخلق على الرد ، مأخوذ من الشن ، وهو الجلد اليابس البالى ؛ أى لا تذهب طلاوته ، ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته ، لما أودع فيه من بدائع الكمال ، وروائع الجمال .

(٣) قال الشهاب : رواه ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب الأحبار .وهو حديث قدسى .

(٤) توراة حديثة : أى كتابا سماويا شبيها بالتوراة .

(٥) غلفا : لايصل إليها مايهديها إلى السعادة ، كأنها فى غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق إليها .

(٦) فيها ينابيع العلم : فيها : فى التوراة الحديثة — يعنى القرآن . ينابيع . جمع ينبوع ، وهو العين التى ينبع منها الماء الجارى ؛ فشبه العلم بالماء الذى تحيا به النفوس .

(٧) ربيع القلوب : الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر ؛ أى فيها ماتحيا به القلوب ، وتنمو وتخصب ، وتمرح وتسرح ، وتفرح .

(٨) فهم العقول : أى مفهم للعقول مايخفى عليها .

(٩) سورة النحل ، آية ٧٦

(١٠) سورة آل عمران آية ١٣٨

فجُمِع [٩٨] فيه مع وَجازةِ ألفاظِه، وجَوامع كَلِمِه[١] أضعافُ ما فى الكتب قَبْله التى ألفاظُها على الضِّعْف منه مراتٍ .

ومنها[٢] جَمْعُه فيه بين الدليل ومَدْلُوله[٣] ؛ وذلك أنه احتجَّ بنظم القرآن، وحُسْنِ رصْفِه[٤] وإيجازه وبلاغته ؛ وأثناء هذه[٥] البلاغة أَمْرُه ونَهْيُه ، ووَعْدُه ووعيده ؛ فالتالى[٦] له يفْهَمُ موضعَ الحجّة والتكليف معا مِنْ كلامٍ واحد، وسورةٍ منفردة .

ومنها[٧] أَنْ جعله فى حَيِّز المنظوم الذى لم يُعْهَدْ[٨] ، ولم يكن فى حَيِّز المنثور ؛ لأنَّ المنظومَ أسهلُ على النفوس ، وأَوْعَى للقلوب ، وأَسْمَحُ[٩] فى الآذان ، وأَحْلى على الأفهام ، فالناسُ إليه أَمْيَلُ ، والأهواءُ إليه أسرع .

ومنها تيسيرُه تعالى حِفْظَه لمُتَعلّميه ، وتَقْرِيبُه على متحفِّظِيه[١٠] ؛ قال اللهُ تعالى[١١] : ﴿ ولقد يَسَّرْنَا القرآنَ للذِّكر ﴾ .

---

(١) جُمِع فيه : فى القرآن . مع وجازة لفظه : اختصارها وقلتها مع كثرة معانيه . وجوامع كلمه : الجامع للمعانى الجمة فى ألفاظ قليلة واضحة .

(٢) ومنها : من وجوه الإعجاز التى ذكروها .

(٣) الدليل : هو الدال المرشد ؛ أى يمكن التوصل بالنظر فيه إلى مطلوب خبرى . والمدلول : هو المطلوب بالدليل هنا .

(٤) حسن رصفه : المراد حسن نظمه وتأليفه .

(٥) وأثناء هذه البلاغة : فى خلالها .

(٦) التالى له : القارىء له بفهم وتدبر لمعانيه .

(٧) ومنها : ومن وجوه إعجازه .

(٨) لم يعهد : لايشابه شيئا من كلامهم المنظوم .

(٩) وأسمح : من السماح ، أى أسهل قبولا ، وأقرب وصولا .

(١٠) على متحفظيه : أى تسهيل حفظه لمن يريد .

(١١) سورة القمر ، آية ١٧

وفى الكشاف (٢ — ٤٢١) : معنى الآية : سهلناه للادكار والاتعاظ ، بأن شحناه بالمواعظ الشافية ، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد . وقيل : سهلناه للحفظ ، وأعنا عليه من أراد حفظه .

وسائرُ الأُمم لا يَحْفَظُ كُتُبَها الواحدُ منهم ، فكيف الجمّاء[1] على مُرور السنين عليهم . والقرآنُ مُيَسَّرٌ حِفْظُه للغِلْمان فى أَقْرب مُدّة .

ومنها مُشَاكَلَةُ بَعْضِ أجزائه بعضا[2] ، وحُسْنُ ائتلافِ أنواعِها ، والتئام أقسامها[3] ؛ وحُسْنُ التخلُّص من قِصَّةٍ إلى أخرى ، والخروج من بابٍ إلى غيره على اختلافِ مَعَانيه ، وانقسام السُّورَة الواحدةِ إلى أمرٍ ونَهْى ، وخَبَر واستخبار[4] ، ووَعْدٍ ووَعيد ، وإثبات نُبوَّةٍ ، وتوحيد وتفريد[5] ، وتَرْغيبٍ وتَرْهيب[6] ، إلى غير ذلك من فوائده ، دونَ خَلَل يَتخلَّلُ فصُولَه[7] .

والكلامُ الفصيحُ إذا اعْتَورهُ مِثْلُ هذا ضعفَتْ قُوّتُه ، ولانَتْ جَزَالتُه ، وقلَّ رَوْنقُه[8] ، وتقَلْقَتْ ألفاظُه .

فتأمَّلْ أولَ « ص » ، وما جُمِعَ فيها مِنْ أخبار الكفّار وشِقَاقِهم وتَقْريعهم بإهلاكِ القرونِ مِنْ قَبْلِهم ، وما ذُكِرَ مِنْ تَكْذِيبهم بمحمد صلى اللهُ عليه وسلم ، وتعجّبهم مما أَتَى به ، والخبَر عن اجتماع مَلَئهم[9] على الكُفْر ، وما ظهر من الحسَدِ فى كلامهم ، وتعجيزِهم وتَوْهينِهم[10] ، ووعيدِهم بخزْىِ الدنيا والآخرة ، وتكذيبِ الأُمَمِ قَبْلَهم ،

---

(١) الجماء : الكثير . وفى ب : الجم ، وهو بمعناه .

(٢) مشاكلة بعض أجزائه بعضا : مشابهة بعضه لبعض .

(٣) التئام أقسامها : توافقها ، وانضمام كل قسم إلى مشاكله .

(٤) استخبار : استفهام . (٥) فى ا : وتقرير .

(٦) ترهيب : تخويف .

(٧) دون خلل : أى أمر يخل به وينقصه يكون فى أثناء كلامه .

(٨) اعتوره : ورد وطرأ عليه . مثل هذا : يريد إذا تضمن أنواعا من المقاصد . جزالته : صلابته وقوته . رونقه : صفاؤه .

(٩) الملأ : جماعة الأشراف والرؤساء .

(١٠) توهينهم : إظهار ضعفهم .

وإهْلاكِ اللهِ لهم، ووَعيدِ هؤلاء مِثْلَ مُصابِهم[١]، وتَصْبيرِ النبيِّ على أذاهم، وتَسْليتِه بكل ما تقدّم ذِكْرُه؛ ثم أخَذَ في ذِكْرِ داود وقِصَص الأنبياء؛ كلٌّ هذا في أوْجزِ كلامٍ وأحسنِ نظام.

ومنه[٢] الجملةُ الكثيرة[٣] التي انطوَتْ عليها الكلماتُ القليلةُ؛ وهذا كلُّه وكثيرٌ مما ذَكَرْنا أنه ذُكِرَ في إعجاز القرآن، إلى وجوهٍ كثيرة ذَكَرها الأئمةُ لم نَذْكُرْها؛ إذ أكثرُها داخلٌ في باب بلاغته؛ فلا يَجب[٤] أنْ يُعَدَّ فنًّا منفردا في إعجازه؛ إلا في باب تفصيل فنون البلاغة؛ وكذلك كثيرٌ مما قدمنا ذِكْره عنهم يُعَدُّ في خواصِّه وفضائله، لا إعجازِه.

وحقيقةُ الإعجاز الوجوهُ الأربعةُ التي ذَكَرْنا؛ فليُعْتَمد عليها، وما بعدها من خواصِّ القرآنِ وعجائبه التي لا تَنْقَضِي. واللهُ وليُّ[٥] التوفيق.

فصل
في انشقاقِ القمَرِ وحَبْسِ الشَّمْسِ[٦]

قال الله تعالى[٧]: ﴿ اقتربت الساعةُ وانشقَّ القَمَرُ. وإنْ يَرَوْا آيةً يُعْرِضُوا ويقولوا: سِحْرٌ[٨] مستمرٌّ ﴾.

(١) بقوله تعالى: وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق.
(٢) من وجوه إعجازه. (٣) الكثيرة — يريد الكثيرة المعاني.
(٤) في ا: فلا نحب. (٥) في ا: وبالله التوفيق.
(٦) هذا الفصل في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق القمر له، وجعله فلقتين. وفي منع الشمس عن مسيرها للغروب، كما سيأتي بيانه.
(٧) سورة القمر، آية ١
اقتربت: صارت قريبة من بعثته صلى الله عليه وسلم؛ كما في ورد في الحديث: بعثت أنا والساعة كهاتين — وأشار بإصبعه الوسطى والسبابة.
(٨) سحر مستمر: دائم، أو محكم.

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي ، وإعراض الكفرة عن آياته[1]؛ وأجمع المفسرون وأهلُ السنّة على وقوعه [2] :

أخبرنا الحُسَيْن بن محمد [٩٩] الحافظ من كتابه ، حدثنا القاضي سِرَاجُ ابن عَبْد الله ، حدثنا الأَصِيلي ، حدثنا المروزيُّ ، حدثنا الفِرَبْري ، حدثنا البُخَاري ، حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن شُعْبَة ، وسُفْيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي مَعْمَر ، عن ابن مسعود رضِيَ اللهُ عنه ؛ قال : انْشَقَّ القَمَرُ على عَهْدِ [3] رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم فِرقتيْنِ[4] : فرقةً فوقَ الجَبَل ، وفرقةً دونه[5] ؛ فقال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم : اشْهَدُوا [6] .

وفي رواية مجاهد [7] : ونحن مع النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم .

وفي بعض طرقِ الأعمش [8] : ونحنُ بِمِنَى .

---

(١) آياته : المراد معجزاته التي لا يمكن البشر الإتيان بمثلها .

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ — ٣) : قال السبكي : إنه متواتر لا يجوز إنكاره ، وردوا قول الماوردي : إن الجمهور على خلافه ، وتأويل ينشق بمعنى سينشق ، فإنه لو وقع لم يبق أحد إلا رآه .

ولم يعتد المصنف بهذه المقالة ، وهي لا تخرق إجماع السلف من أهل السنة ؛ ومثله ليس من أهل التفسير ، بل من أهل التأويل عنده .

(٣) على عهد رسول الله : في زمانه وحياته . (٤) فرقتين : المراد نصفين .

(٥) الجبل : هو حراء ، أو أبو قبيس . ودونه : أي في مقابلته .

(٦) وذلك بمكة قبل الهجرة — رواه ابن الجوزي في « الوفا » عن ابن عباس . واشهدوا : أي اشهدوا على معجزتي ونبوتي ، ووقوع ما طلبوه ، لأنهم أهل بهتان وجحد .

(٧) سنن الترمذي : ٤ — ٤٧٧

(٨) رويت أحاديث انشقاق القمر في الصحيحين : صحيح البخاري : ٤ — ٢٥١ ، ٦ — ١٧٨ ، وصحيح مسلم : ٢١٥٨ ، ومسند الإمام أحمد : ٣ — ١٦٥

ورواهُ أيضا ـ عن ابن مسعود ـ الأَسودُ، وقال : حتى رأيتُ الجبــلَ بين فُرْجَتَى القَمر [١] .

ورواه عنه مسروق ـ أنه كان بمكة ـ وزادَ : فقال كفّارُ قُريش : سحَركم ابنُ أبي كَبْشَة [٢] !

فقال رجلٌ منهم : إنّ محمدا إنْ كان سحَرَ القَمر فإنه لا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِه أن يَسْحَر الأرضَ كلَّها ، فاسألوا [٣] مَنْ يأتيكم من بلدٍ آخَر : هل رأَوْا هذا ؟ فأَتَوْا ، فسألُوهم فأخبروهم أنهم رأَوْا مِثْلَ ذلك .

وحكى السَّمَرْقَندى عن الضحاك نَحْوَه ، وقال : فقال أَبُو جهل : هذا سِحْرٌ ؛ فابعثوا إلى أهل الآفاق [٤] حتى تنظرُوا : أرَأَوْا ذلك أم لا ؟

فأخبر أَهلُ الآفاقِ أنهم رَأَوْه مُنْشقًّا ؛ فقالوا ـ يَعْنى الكفّارَ : هذا سِحْرٌ مستمرّ .

ورَوَاه أيضا ـ عن ابن مسعود ـ علقمةُ ؛ فهؤلاء أربعةٌ عن عبد الله [٥] .

وقد رواهُ غَيْرُ ابْنِ مسعود ، كما رواه ابنُ مسعود ؛ منهم أَنَس ، وابنُ عباس ، وابنُ عُمر ، وحُذَيفةُ ، وعلىّ ، وجُبير بن مُطْعِم ؛ فقــال عَلِيّ ـ من رواية أبي حُذيفة الأَرْحَبي [٦] : انشقّ القمرُ ونَحْنُ مع النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم .

(١) فرجتى القمر : أى فلقتيه وقطعتيه ؛ لبعد ما بينهما .
(٢) ابن أبي كبشة : يعنون النبي صلى الله عليه وسلم . وأبو كبشة : اسم رجل تأله قديما، وفارق دين الجاهلية ، وعبد الشعرى، فشبه المشركون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ به . وقيل: بل كانت للنبي صلى الله عليه وسلم أخت من الرضاعة تسمى « كبشة » ؛ وكان أبوه من الرضاعة يكنى بها . وقيل : بل كان فى أجداده لأمه من يكنى بذلك (شرح القارى : ١ ـ ٥٨٦)
(٣) فى ا : فسلوا .
(٤) الآفاق : جمع أفق ، ومعناه هنا الناحية .
(٥) عن عبد الله بن مسعود . وفى هامش ب : الأربعة .
(٦) فى ب : الأزجى .

وعن أَنَس : سأَل أَهلُ مكةَ النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلّم أَنْ يُرِيَهم آيةً ، فأراهم انشقاقَ القَمَرِ فرقتين [(١)] حتى رأَوْا حِراء بينهما .

رواه عن أَنَس قتادة .

وفى رواية مَعْمَر وغيره، عن قتادة ، عنه : أَراهم القَمَرَ مرّتَيْن انشقاقَه، فنزلت: ﴿ اقتربت الساعَة وانشقّ القَمَرَ ﴾ .

ورواه [(٢)] عن جُبَير بن مُطْعِم ابنهُ محمّد ، وابنُ ابنه جُبَير بن محمد .

ورواه عن ابن عباس عبيدُ الله بن عبد الله [(٣)] بن عُتْبَة .

ورواه عن ابن عُمَر مُجاهد ، ورواهُ عن حُذَيفَة أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ ومسلمُ ابن أَبى عمْرَان الأَزْدِى .

وأَكثرُ طُرقِ هذه الأَحاديثِ صحيحةٌ ؛ والآيةُ مُصرِّحَةٌ ، ولا يلتفتُ إلى اعتراضِ مخذول [(٤)] ، بأنه لو كان هذا لم يخْفَ على أهلِ الأَرض ؛ إذْ هو شىءٌ ظاهرٌ لجميعهم ؛ إذ لم يُنْقَلْ لنا عن أهلِ الأَرض أَنهم رصَدُوه [(٥)] تلك الليلةَ فلم يَرَوْه انشقّ؛ ولو نُقِل إلينا عمَّنْ لا يجوزُ تَمالُؤُهم ـ لكَثْرتهم ـ على الكذب [(٦)] ، لَمَا كانت

---

(١) فى ا : مرتين .

(٢) فى نسيم الرياض (٣ ـ ٦) : وهذه الروايات كلها فى الكتب الستة وغيرها مخرجة؛ فرواية أنس وابن عباس فى الصحيحين ،ورواية ابن عمر فى صحيح مسلم والترمذى ،ورواية حذيفة بن اليمان فى الدلائل وغيرها ، ورواية ابن مطعم فى مسند أحمد والبيهقى .

(٣) فى ب : بن عبيد الله بن عتبة .

(٤) مخذول : المراد من لم يكن على الحق وطريق الهداية ، ومن أنكر هذا بقصد الطعن فى المعجزة .

(٥) رصدوه : ترقبوه ، ونظروا إلى مطلعه .

(٦) ولو نقل إلينا : أنهم رصدوه فلم يروه انشق . تمالؤهم على الكذب : اجتماعهم على الكذب فى خبرهم .

علينا به حجّة ؛ إذ ليس القمرُ فى حدّ واحدٍ لجميعِ أهلِ الأرضِ ؛ فقد يطلعُ على قومٍ قبل أن يطلُعَ على آخَرين ؛ وقد يكون مِنْ قومٍ بِضدِّ ما هو من مُتابليهم من من أقطار الأرضِ ، أو يحُولُ بين قومٍ وبينه سحابٌ أو جبالٌ ؛ ولهذا نجدُ الكسوفاتِ فى بعض البلادِ دونَ بَعْض ، وفى بعضها جُزْئيّة ، وفى بعضها كلّيّة ، وفى بعضها لا يعرفها إلا المدعوون لعِلْمها ؛ ذلكَ تقديرُ العزيز العليم .

وآيةُ القمر كانَتْ ليلًا ، والعادةُ من الناس بالليل الهدوُّ والسكونُ وإيجافُ[1] الأبوابِ ، وقَطْعُ التصرّف ، ولا يكاد يَعْرِفُ من أمور [١٠٠] السماء شيئا ، إلّا مَنْ رَصَدَ ذلك ، واهْتَبل[2] به .

ولذلك ما يكونُ الكسوفُ القَمرى كثيرا فى البلاد ، وأكثَرُهم لا يعلمُ به حتى يُخْبَر ، وكثيرا ما يحدِّثُ الثقاتُ بعجائبَ يشاهدونها من أنوارٍ ونجومٍ طَوَالع عظَامٍ تظهرُ فى الأحيان بالليل فى السماء ، ولا عِلْمَ عند أحد منها .

وخرّج الطحاوى — فى مشكل الحديث[3] ، عن أسماء بنت عُمَيس من طريقين — أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يُوحَى إليه ، ورأسُه فى حِجْر علىّ ، فلم يصلِّ العصر حتى غَرُبت الشمسُ ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصلّيْتَ ياعلىّ ؟ قال : لا .

فقال : اللهم إنه كان فى طاعتكَ وطاعةِ رسولك فارْدُدْ عليه الشَمس[4] .

---

(١) إيجاف الأبواب : إغلاقها . (٢) اهتبل به : بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء .

(٣) مشكل الحديث كتاب للطحاوى . وهذا الحديث ، فى رد الشمس أو حبسها ، رواه الطبرانى بأسانيد مختلفة . والطحاوى : مصرى من أكابر علماء الحنفية ، توفى سنة ٣٢١ هـ .

وفى نسيم الرياض (٣ — ١١) : قال ابن الجوزى : هذا الحديث موضوع بلا شك ، ورواياته مضطربة ، وفى روايته رجال متهمون بالكذب والوضع . وقال القارى (١ — ٥٩٠): وتبعه ابن القيم ، وشيخه ابن تيمية ، وذكروا تضعيف رجال الطحاوى ونسبوا بعضهم إلى الوضع .

(٤) اردد عليه الشمس : أعدها لمكانها الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها . وفى هامش ب : فاردد عليه الشمس مشرقها . وفى هامش ا : فاردد عليه الشمس شرقها . ومشرقها : فى محل شروقها .

قالت أسماء : فرأيتُها غربت،ثم رأيتُها طلعت بعد ما غربَتْ ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصَّهْبَاء[1] في خَيْبَر .

قال : وهذانِ الحديثان ثابتان ورُوَاتُهما ثقات[2] .

وحكى الطَّحَاوِى أنَّ أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن [يكون][3] سبيله العلْم التخلّفُ عن حفْظِ حديثِ أسماء ؛ لأنه من علامات النبوّة[4] .

ورَوَى يونُس بن بُكير في زيادةِ المغازي في روايته عن ابن إسحاق: لمّا أُسْرِيَ برسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم ، وأخْبَرَ قَومَه بالرُّفْقةِ والعلامةِ التي في العِير[5] قالوا : متى تَجِيءُ ؟ قال: يوم الأربعاء؛ فلما كان ذلكَ اليومُ أشرفتْ قُرَيش ينظرُون وقد ولّى النهارُ ولم تجيءْ ؛ فدعا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فزِيدَ له في النهارِ ساعة ، وحُبِسَتْ عليه الشمسُ[6] .

---

(١) الصهباء : قلعة بخيبر . وخيبر : أرض بقرب المدينة ، فيها قلاع وقرى ، كان بها مساكن اليهود ، ثم خربت .

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ — ١٢) : اعترض عليه بعض الشراح ؛ وقال : إنه حديث موضوع ، ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون .

ثم قال: وهذا الحديث صححه المصنف، وأشار إلى أن تعدد طرقه شاهد صدق على صحته. وقد صححه قبله كثير من الأئمة كالطحاوى. وأخرجه ابن شاهين، وابن منده ، وابن مردويه، والطبرانى في معجمه ؛ وقال: حسن . وحكاه العراقى في التقريب . وارجع في هذا الحديث إلى بحث قيم في نسيم الرياض (٣ — ١٢ ، ١٣) إن أردت .

(٣) من ب .

(٤) أى من الآيات الدالة على النبوة . وهذا — في رأيه — مؤيد لصحته .

(٥) الرفقة : جمع رفيق ؛ أى أخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين ؛ والعلامة : هى قوله صلى الله عليه وسلم إنه يقدمها جمل أورق .

(٦) قال في نسيم الرياض (٣ — ١٤) : الذى ذكر هنا من حبس الشمس ، وأن العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من أنها قدمت صباحا، وعليه اقتصر المفسرون؛ =

فصل

فى نَبْع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته [1]

[قال المؤلف رحمه الله] [2] :

أمّا الأحاديث فى هذا فكثيرةٌ جدا [3] .

روَى حديثَ نَبْع الماء من أصابعه صلى اللهُ عليه وسلم جماعةٌ من الصحابة ؛ منهم أَنَس ، وجابر ، وابن مسعود :

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتى عليه ، حدثنا القاضى عيسى ابن سَهْل ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو عُمَر [4] بن الفَخّار ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا يحيى ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طَلْحَة ، عن أَنَس بن مالك رضِيَ الله عنه [5] : رأيتُ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم ، وحانَتْ صلاةُ [6] العَصْرِ ؛ فالتمسَ الناسُ الوَضوء [7] فلم يجدوه ، فأُتِى رسولُ اللهِ صلى الله

= كالزمخشرى والبيضاوى فى أول سورة الإسراء . وقال القارى (١–٥٩١) : وقد قال بعضهم : حديث رد الشمس له صلى الله عليه وسلم ليس بصحيح . وقال ابن تيمية : العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته ، وناقلا ثبوته ، موثقا رجاله .

(١) فى نسيم الرياض (٣ – ١٥) : وقد كان هذا مرات كثيرة ، ورويت بطرق متعددة فى الصحيحين وغيرهما . (٢) من ب . (٣) قال النووى : إنها بلغت مرتبة التواتر .

(٤) قال فى نسيم الرياض (٣ – ١٦) : فى كلام المصنف رحمه الله سهو من وجهين : إذ سماه أبو عمر ، وهو أبو عبد الله . وفى قوله : حدثنا أبو عيسى ، حدثنا يحيى ؛ إذ أسقط راويا بين أبى عيسى ويحيى ، وهو عبيد الله أبو مروان .

(٥) الحديث فى صحيح البخارى : ٤ – ٢٣٣ ، وصحيح مسلم : ١٧٨٣ ، وسنن الترمذى : ٥ – ٥٩٦ ، وقال : حديث أنس حديث حسن صحيح .

(٦) حانت : قربت ، أو دخل وقتها .

(٧) التمس الناس : طلبوا . والوضوء – بفتح الواو : الماء الذى يتوضأ به .

عليه وسلم بوَضُوء ، فوضع رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى ذلك الإناء[1] يدَه ، وأمر الناسَ أن يتوضئوا منه .

قال : فرأيتُ الماءَ ينبع من بين أصابعه ، فتوضّأ الناسُ حتى توضّئُوا من عند آخرهم[2] .

ورواه أيضا — عن أنس — قتادة[3] ، وقال : بإناء فيه ماء يغمر[4] أصابعَه أولا يكاد يَغْمر .

قال : كم كنتم ؟ قال : كنّا زُهاء[5] ثلاثمائة .

وفى روايةٍ عنه : وهم بالزَّوْرَاء[6] عند السوق .

ورواهُ أيضا حُمَيد ، وثابت ، والحسن ، عن أنس .

وفى رواية حُمَيد : قلتُ : كم كانوا ؟ قال : ثمانين .

ونحوُه عن ثابت عنه .

وعنه أيضا : وهم نحوٌ من سبعين رجُلا .

وأما ابنُ مسعود ففى الصحيح من رواية عَلْقمة : بينما نحن مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس معنا ماء ، فقال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى ا : فى ذلك يده . والمثبت فى صحيح مسلم أيضا ، وصحيح البخارى : ٤ — ٢٣٣

(٢) من عند آخرهم : جميعهم . قال النووى : « من » هنا بمعنى « إلى » ، وهى لغة .
قال فى نسيم الرياض : قالوا : إنه يحتمل أن الماء خرج من أصابعه صلى الله عليه وسلم حقيقة، وهو الظاهر . ويحتمل إنه كثر من غير نبع منها ؛ وإنما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لايروه فيفتتن بعضهم به ، وتأدبا مع الله الذى لايوجد المعدوم سواه .

(٣) كما فى صحيح مسلم : ١٧٨٣ ، وصحيح البخارى : ٤ — ٢٣٣

(٤) يغمر أصابعه : يسترها . (٥) زهاء : مقدار .

(٦) فى صحيح مسلم ١٧٨٣ ، وقال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما هناك.

اطلبوا مَنْ معه فَضْلٌ[1] ماء ؛ فأُتِيَ بماء فَصَبّهُ فى إناء ، ثم وضَع كفَّه فيه ، فجعل الماء [١٠١] ينبُعُ مِنْ بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيح[2] ، عن سالم بن أبى الجعْدِ ، عن جابر رضِيَ اللهُ عنه : عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبية ورَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم بين يدَيْه رَكْوَة[3] ، فتوضّأ منها ، وأقبل الناسُ نَحْوَه ؛ وقالوا : ليس عندنا ماء إلّا ما فى رَكْوَتك ؛ فوضع النبىُّ صلّى اللهُ عليه وسلم يدَهُ فى الرَّكْوَة ؛ فجعل الماء يَفُورُ[4] من بين أصابعه كأمثال العُيُون .

وفيــــه : فقلْتُ : كم كنتُم ؟ قالوا : لو كنّا مائةَ ألفٍ لكفانا ؛ كُنّا خَمْسَ عشرة مائة .

ورُوِى مِثلُه عن أنَس ، عن جابر ؛ وفيه أنه كان بالحُدَيْبِيَة .

وفى رواية الوَليد بن عُبادة بن الصّامِت عنه ، فى حديث مُسلم الطّويل فى ذِكْر غَزْوة بُوَاط[5] قال[6] :

قال لى رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم : يا جابرُ ، نادِ ، الوَضوء[7] . . . وذكر الحديث بطوله ، وأنه لم يجدْ إلّا قَطْرَةً فى عَزْلَاء شَجْب[8] ؛ فأُتِيَ به النبىّ صلى

---

(١) فضل ماء : بقية من ماء . أو زيادة منه على حاجته .

(٢) فى صحيح البخارى : ٤ — ٢٣٤

(٣) ركوة : إناء للماء من جلد .

(٤) فى صحيح البخارى : يثور بين أصابعه .

(٥) هى ثانى غزواته . وبواط : اسم لجبال جهينة على أبراد من المدينة .

(٦) الحديث فى صحيح مسلم : ٢٣٠٣

(٧) ناد ، الوضوء ؛ ناد الناس وقل لهم : أعطوا ، أو ناولوا الوضوء ؛ وهو الماء الذى يتوضأ به ، وفيه حث لهم عليه . وفى صحيح مسلم : ناد بوضوء .

(٨) قطرة : يسيرا . عزلاء : فم الراوية ومصب الماء منها . شجب — بفتح الشين المعجمة وقيل بكسرها ، وسكون الجيم ، وباء موحدة : القديم من القرب ، أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها .

وفى هامش ا : الشجب : القربة البالية ، وسميت بذلك لأنها جلد قد شجب ؛ أى عطب.

اللهُ عليه وسلم ، فغمزه وتكلّم بشيء لا أدرى ما هو ، وقال : نادِ بجَفْنَة الرَّكْب ، فأتيتُ بها ، فوضعتُها بين يدَيْهِ ، وذكر أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بسط يدَه فى الجَفْنَةِ (١) ، وفرّق أصابعَه ، وصبَّ جابرٌ عليه ، وقال : بسم الله [كما أمره صلى الله عليه وسلم] (٢) ؛ قال : فرأيتُ الماءَ يفورُ من بين أصابعه ، ثم فارت الجَفْنَةُ واستدارت (٣) حتى امتلأت ، وأمر الناسَ بالاستقاء ، فاستَقَوْا حتى رَوُوا .

فقلت : هل بَقِيَ أحد له حاجة ؟ فرفع رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم يدَه من الجَفْنَة وهى مَلْأَى .

وعن الشَّعْبيّ : أُتِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره بإدَاوَةٍ (٤) ماء ، وقيل : ما معنا يا رسولَ الله ماءٌ غيْرُها ، فسكبها فى رَكْوَةٍ ، ووضع إصبعه وسطها ، وغمسها فى الماء ، وجعل الناسُ يجيئون ويتوضَّئُون ثم يقومون .

قال التِّرمذى : وفى الباب ، عن عمران بن حُصَيْن .

ومِثْلُ هذا فى هذه المواطن الحَفِلَة (٥) والجموعِ الكثيرة لا تتطرّقُ التهمةُ إلى المحدِّثِ به ؛ لأنهم كانوا أسرعَ شيء إلى تكذيبه ، لِما جُبِلت عليه النفوسُ من ذلك ؛ ولأنهم كانوا ممن لا يسكتُ على باطل ؛ فهؤلاء قد رَوَوْا هذا ، وأشاعوه ، ونسبوا حضورَ الجَمَّاء الغَفِير (٦) له ، ولم يُنْكِرْ أحد من الناس عليهم ما حدّثوا به عنهم أنهم فَعَلُوا (٧) وشاهدوه ، فصار كتصديق جميعهم له .

---

(١) الجفنة : القصعة التى تشبع عشرة فأكثر . والركب : جمع راكب ، والمراد الناس .
(٢) من ب . (٣) فى صحيح مسلم : ودارت .
(٤) الإداوة — بكسر الهمزة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، ويسمى المطهر .
(شرح القارى : ١ — ٥٩٦) .
(٥) الحفلة : الممتلئة المجتمعة الغزيرة . وفى ب : الحفيلة ، وهى بمعنى الحفلة .
(٦) الجماء الغفير : الجمع الكثير . (٧) فى هامش ب : خ : فعلوه .

فصل

ومما يُشْبِهُ هذا مِنْ معجزاته تفجيرُ الماءِ ببَرَكته، وانبعاثُه[1] بمَسِّه ودعْوَته فيما رَوَى[2] مالك فى الموطّأ[3] عن مُعَاذ بن جَبَل فى قصةِ غَزْوةِ تَبُوك، وأنهم وَرَدُوا العَيْنَ وهى تَبِضُّ بشىءٍ من ماءٍ مِثْلَ الشِّراكِ[4]، فغَرَفُوا من العَيْنِ بأيديهم حتى اجتمع فى شىء، ثم غَسَل رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم فيه وَجْهَهُ ويَدَيْه، وأعادَهُ فيها؛ فجرَتْ بماءٍ كثيرٍ، فاسْتَقَى الناسُ[5].

قال — فى حديث ابن إسحاق: فانخرقَ مِن الماءِ مالَهُ حِسٌّ كحِسِّ الصَّوَاعق.

ثم قال: يُوشِكُ يا مُعَاذ؛ إنْ طالَتْ بك حياةٌ أنْ ترى ها هنا قد مُلِئَ جِنَانًا[5].

وفى حديث البَرَاء[6]، وسَلَمَة بن الأَكْوَع — وحديثُه أَتَمُّ — فى قصةِ الحُدَيبية، وهم أرْبَع عشرةَ مائة، وبئْرُها لاتَرْوِى خمسين شاةً، فنزَحْنَاها فلم نَتْرُكْ فيها قَطْرَةً، فقعد رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على جَبَاهَا[7].

قال البراء: وأُتِىَ بدَلْوٍ منها، فبصَقَ [١٠٢] فدعا.

وقال سلَمَة: فإمّا دعَا، وإمَّا بصَقَ فيهـا، فجاشَتْ[8]؛ فأَرْوَوْا أنفُسَهم وركَابَهم[9].

---

(١) انبعاثه: ثورانه وجريانه. (٢) فى ا: مما روى. (٣) الموطأ: ١٤٤

(٤) تبض: تسيل. والشراك: سير النعل، ومعناه: ماء قليل جدا.

وفى هامش ب: تبض — بالضاد المعجمة، والصاد المهملة: تقطر.

(٥) الحديث فى صحيح مسلم أيضا: ١٧٨٤

(٦) صحيح البخارى: ٤ — ٢٣٤

(٧) جباها: الجبا: ماحول البئر (النهاية). وفى هامش ب: جبا البئر: جانبها.

(٨) جاشت؛ أى فارت البئر. (٩) ركابهم: دوابهم.

وفى غير هـــــذه[1] الروايتين ـ فى هذه القصة ـ من طريق ابن شهاب [فى الحُدَيْبِيَة][2] : فأخرج سَهْما من كِنَانته ، فوضع فى قَعْرِ قَلِيبٍ ليس فيه ماء؟ فَرَوِى الناسُ حتى ضربوا بِعَطَن [3] .

وعن أبى قتادة [4] ـ وذكر أن الناسَ شَكَوْا إلى رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الْعَطَش فى بعض أسفاره ، فدعا بالمِيْضَأَة[5]، فجعلها فى ضِبْنِه[6] ، ثم الْتَقَم فَمَهَا ، فالله أعلمُ ـ نفثَ [7] فيها أم لا ؛ فشَرِبَ الناسُ حتى رَوُوا وملئوا كلَّ إناء معهم؛ فخُيِّل إلىَّ أنها كما أخذها منى ، وكانوا اثنين وسبعين رجلا .

ورَوَى مِثْلَه عِمْران بن حصَين .

وذكر الطبرى حديثَ أبى قتادة على غير ما ذكره أهلُ الصحيح ـ وأن النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم خرج سهم مُمِدًّا لأهل مُؤْتَة [8] عند ما بَلَغَهُ قَتْلُ الأمراء [9] :

وذكر حديثاً طويلا فيـــه مُعجزاتٌ وآياتٌ للنبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم ؛ وفيه إعلامُهم أنهم يَفْقِدون الماء فى غَدٍ .

وذكر حديثَ المِيْضَأَة[10] ؛ قال : والقومُ زُهاء[11] ثلاثمائة .

---

(١) هذا فى ا ، ب . (٢) ليس فى ا .

(٣) العطن : منزل الإبل حول الماء لتبرك فيه إذا شربت لتعاد إلى الشرب مرة أخرى . والمراد : حتى رووا ورويت إبلهم .

(٤) قال القارى (١ ـ ٥٩٨) : رواه البيهقى عنه .

(٥) الميضأة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها .

(٦) ضبنه : حضنه بين كشطه وإبطه . (٧) نفث : نفخ .

(٨) ممدا : معينا . ومؤتة : قرية بين تبوك وحوران من الشام .

(٩) الأمراء : هم زيد بن حارثة مولاه ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة .

(١٠) فى هامش ا : الميضأة: مطهرة يتوضأ منها، مفعلة من الوضوء . وقد تقدم تفسيرها .

(١١) ضبطت الهمزة فى «زهاء» بالفتحة فى ب، وبالضمة فى ا . وقال القارى (١-٥٩٩): زهاء : قدر ، تخمينا . قال المزى : الوجه نصب « زهاء » ، ولكن أهل الحديث يرفعونه .

وفى كتاب مسلم[1] أنه قال لأبى قَتَادة : احفَظْ علىّ[2] مِيضَأتك ، فإنه سيكونُ لها نَبَأٌ[3] . . . وذكر نحوه[4] .

ومن ذلك حديثُ عِمْـــران بن حُصَين حين أصابَ النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم وأصحابَه عَطَشٌ فى بعض أسفارهم ؛ فوجَّه رجُلين[5] من أصحابه ، وأعلمهما أنهما يجِدَان امرأةً بمكانٍ كذا معها بَعيرٌ عليه مَزَادتان[6] . . . الحديث ؛ فوجداها وأتيَا بها إلى النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فجعل فى إناء من مَزَادَتَيْها[6] ، وقال فيه ما شاء اللهُ أن يقولَ ؛ ثم أعاد الماء فى المزَادَتَين ، ثم فتحَتْ عَزَالِيَهما[7] ؛ وأمر الناسَ فملئوا أسقيَتَهم[8] حتى لم يَدَعُوا شيئا إلّا ملئوه .

قال عِمْران : وتَخَيَّل إلىَّ أنهما لم تَزْدَادا إلا امتلاء ، ثم أمر فجُمِع للمرأةِ من الأزوادِ[9] حتى ملأ ثَوْبها . وقال : اذهبى ؛ فإنَّا لم نأخُذْ[10] من مائك شيئا ؛ ولكنّ الله سقانا . . . الحديث بطوله .

وعن سلَمة بن الأكْوع[11] : قال نبىُّ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : هل مِنْ وَضوء؟

---

(١) صحيح مسلم : ٤٧٣ (٢) فى صحيح مسلم : احفظ علينا .

(٣) نبأ : خبر عظيم .

(٤) وذكر ، أى الطبرى . نحوه ؛ أى نحو ما سبق مما ذكر غيره .

(٥) قال القارى (١ — ٥٩٩) : هما على بن أبى طالب ، وعمران بن حصين .

(٦) المزادة : ظرف من جلد يحمل فيه الماء ، أكبر من القربة .

(٧) فى ب : عزاليها ، وعزاليهما — معا — وعزاليها — بفتح العين المهملة والزاى : تثنية عزلاء ، وهو فمها الأسفل .

(٨) أسقيتهم : جمع سقاء ، وهو إناء من جلد يتخذ للماء .

(٩) الأزواد : جمع زود ؛ أى من جملتها .

(١٠) فى ا : لم نرزأ ، وفى هامشه : نأخذ .

(١١) صحيح مسلم : ١٣٥٤

فجاء رجلٌ بإدَاوَةٍ فيها نُطْفَةٌ [١] فأفرغَها فى قَدَحٍ ، فتوضَّأنا كُلُّنا نُدَغْفِقُه [٢] دَغْفَقةً أربع عشرةَ مائة . . . [الحديث بطوله] [٣] .

وفى حديث عُمر ـ فى جَيْش العُسْرَةِ [٤] : وذكر ما أصابهم من العَطش ، حتى إنَّ الرجلَ ليَنْحَرُ بعيرَه ، فيعْصر فَرْثَه [٥] فيشرَبُه ؛ فرغِبَ [٦] أبو بكر إلى النبىِّ صلّى اللهُ عليه وسلم فى الدعاء [٧] ، فرفَع يَدَيه فلم يَرْجعهما حتى قالَت [٨] السماء فانسكبَتْ ؛ فملئُوا ما معهم من آنيَةٍ ، ولم تجاوِز العسكر [٩] .

وعن عَمْرو بن شُعيْبٍ ـ أنَّ أبا طالب قال للنبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، وهو رَدِيفُه بذى المَجاز [١٠] : عَطِشْتُ وليس عندى ماء ؛ فنزل النبىُّ صلّى اللهُ عليه وسلم ،

(١) نطفة : قليل من الماء .

(٢) فى هامش ا : الدغفقة : الصب الشديد ، ويقال : فلان فى نعيم دغفق ، أى واسع .

(٣) ليس فى ب .

(٤) جيش العسرة ؛ أى الضيق والشدة ، وهى غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة ، وكانت فى نهار حر ، وقلة الثمار . . .

(٥) فرثه : ما فى كرشه . (٦) فرغب أبو بكر : الرغبة : طلب ما يحبه .

(٧) فى الدعاء : فى دعائه صلى الله عليه وسلم ، وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذى علمه منهم .

(٨) قالت السماء : غيمت وظهر فيها سحاب . وفى هامش ب : العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام ، فتقول : قال بيده ؛ أى أخذ ؛ وقال برجله ؛ أى مشى ، وقال بالماء على يديه ؛ أى قلبه ؛ وقال بثوبه ، أى رفعه ؛ قال الشاعر :

* وقالت العينان سمعا وطاعة *

أى أومأت ، وكل ذلك على المجاز والاتساع . وارجع فى ذلك إلى النهاية لابن الأثير .

(٩) فانسكبت : انسكب ماؤها . ولم تجاوز العسكر : أى لم تجاوز السماء ، أو السحاب أو المطر ـ المعلوم من السياق ـ العسكر .

(١٠) رديفه : راكب خلفه . ذو المجاز : اسم سوق بقرب عرفة ، كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية ، كما كانوا يجتمعون بعكاظ . وهذا الحديث رواه ابن سعد عن إسحاق بن الأزرق .

وضربَ بقَدَمِه الأَرْضَ ، فخرج الماء ، فقال : اشرب .

والحديثُ في هذا الباب كثيرٌ ؛ ومنه الإجابةُ بدعاء الاستسقاء وماجانسَه[١] .

فصــــل

ومن معجزاته تكثيرُ الطعام ببركته ودُعائه :

حدثنا القاضي الشهيدُ أبو عليّ رحمه الله؛حدثنا العُذْرى ، حدثنا الرازى، حدثنا الجُلودى، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا سَلَمَة بن شَبيب ، حدثنا الحسَن بن أَعْيَن ، حدثنا مَعْقِل ، عن أَبى الزُّبير ، عن جابر — أَنَّ رجلًا أَتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم [١٠٣] يَسْتَطْعِمُه[٢] ، فأَطْعمه[٣] شَطْر وَسْق شَعير[٤] ؛ فما زال يأكل منه وامرأَتُه وضَيْفُه حتى كالَه[٥] ، فأَتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأَخبره ، فقال : لو لم تَكِلْهُ لأَكلتم منه ولقام بكم[٦] .

ومن ذلك حديثُ[٧] أَبى طَلْحَةَ المشهور ، وإطعامُه صلّى اللهُ عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص مِنْ شَعِير جاء بها أَنَس تحت يدِه ؛ أى إبطِه ؛ فأمر بها ففُتِّتْ ،وقال فيها ماشاء اللهُ أنْ يَقُولَ .

---

(١) وما جانسه : وما شابه الاستسقاء .

(٢) يستطعمه : يطلب منه طعاما له ولأهله ، لشدة احتياجه .

(٣) فأطعمه : أى أعطاه الطعام الذى يطلبه .

(٤) شطر وسق شعير : الشطر : النصف ، أو البعض . والوسق — بفتح الواو وكسرها: الحمل ، أو مقدار ستين صاعا .

(٥) حتى كاله : أى استمر أكلهم منه من غير نقص شىء منه إلى أن كاله، فظهر نقصه بعد الكيل مما يأخذه منه ، فكانت البركة فى ترك كيله حتى لولم يكله لم ينفد .

(٦) لأكلتم منه : لاستمر أكلكم منه إلى غير النهاية . ولقام بكم : لكفاكم مدة حياتكم، وكان فيه قوام لكم من غير نقص . والحديث فى صحيح مسلم : ١٧٨٤

(٧) هذه القصة فى صحيح البخارى : ٤ — ٢٣٤

وحديثُ جابر [١] في إطعامِه صلّى اللهُ عليه وسلم يوم الخندَق ألفَ رجُلٍ من صاعِ شَعِير وعَناق [٢] .

وقال جابر : فأُقسِمُ باللهِ لأَكلوا حتى تركوه وانحرفوا [٣] ، وإنَّ بُرْمَتَنا لتغطُّ كما هي [٤] ، وإنَّ عجِينَنا ليُخْبَزُ [٥] .

وكان رسولُ صلى الله عليه وسلم بَصقَ في العَجِين والبُرْمَة ، وبارَكَ [٦] .

رواهُ [٧] عن جابر سَعِيد بن مِينَاء [٨] ، وأَيْمَنُ .

[وعن ثابت مثلُه ، عن رجل من الأنصار وامرأته، ولم يسمِّهما ؛ قال : وجِيءَ بمثلِ الكفِّ [٩] ، فجعل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَبْسُطُها في الإناء ويقولُ ما شاء اللهُ ، فأكل منه مَنْ في البيت والحُجْرةِ والدَّارِ ؛ وكان [١٠] ذلك قد امتلأ ممَّنْ قَدِم معه صلى الله عليه وسلم لذلك ؛ وبَقِي بعد ما شَبِعُوا مِثْلَ ما كان في الإناء] [١١] .

---

(١) في صحيح البخاري : ٥ — ١٣٨ ، وسنن الترمذي : ٥ — ٥٩٥

(٢) عناق : العناق : الأنثى من أولاد المعز ، لم يتم لها سنة . وقيل : هي التي قاربت الحمل ولم تحمل.

(٣) وانحرفوا : أي أكلوا حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا . وفي البخاري : تركوه .

(٤) البرمة — بضم الباء الموحدة وسكون الراء : القدر مطلقا ؛ أو من حجارة . وتغط : تغلي غليانا شديدا يسمع لها صوت . وفي ب : تغط : تفور . كما هي : لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها .

(٥) وإن عجيننا ليخبز : أي إنهم استمروا على خبز العجين وإيصاله شيئا فشيئا لمن يأكل منه ، ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم . وفي ب : بعجينتنا . والمثبت في صحيح البخاري أيضا .

(٦) وبارك : دعا فيهما بالبركة ، والزيادة والنمو .

(٧) رواه : روى هذا الحديث .

(٨) في ا : ابن مينا — مقصور . والمثبت في تهذيب التهذيب : ٤ — ٩١ ، وقال القاري (١ — ٦٠٣) : ميناء — بكسر الميم ، ممدودا ويقصر .

(٩) بمثل الكف من العجينة .

(١٠) وكان ذلك : الإشارة إلى ما ذكر من الثلاثة ، وهي البيت والحجرة والدار .

(١١) ما بين القوسين ساقط في ا . والحديث في طبقات ابن سعد : ١ — ١١٧

وحديثُ أبى أيوب [١] أنه صنع لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر من الطعام زُهاءَ[٢] ما يكفيهما ؛ فقال له النبىُّ صلى الله عليه وسلم : ادْعُ ثلاثين من أشراف الأنصار ؛ فدعاهم فأكلوا حتى تركوا[٣] ؛ ثم قال : ادعُ ستّين ؛ فكان مِثلُ ذلك[٤] ؛ ثم قال : ادْعُ سَبْعين فأكلوا حتى تركوا ، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسلم[٥] وبايَع . قال أبو أيوب : فأكلَ مِنْ طعامى مائةٌ وثمانون رجلا .

وعن سَمُرةَ بن جُنْدُب : أُتِيَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم بقَصْعَةٍ فيها لَحْمٌ ، فتعاقَبُوها [٦] من غُدْوة حتى الليل ؛ يقومُ قومٌ ويَقْعُدُ آخرون .

ومن ذلك [٧] حديثُ عبد الرحمن بن أبى بكر : كُنّا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ؛ وذكر فى الحديث أنه عُجِن صاعٌ من طعام ، وصُنِعت [٨] شاةٌ ، فشُوِى سَوَادُ بَطْنِها[٩] ؛ قال : وايْمُ [١٠] اللهِ ؛ ما مِن الثلاثين ومائةٍ إلا وقد حَزَّ له حُزَّةً[١١] من سوادِ بَطْنِها ؛ ثم جعل منها قَصْعَتَيْنِ ، فأكلْنا [منهما][١٢] أجمعون ، وفضَل فى القَصْعَتَيْنِ ، فحملتُه على البَعِير .

---

(١) رواه عنه الطبرانى ، والبيهقى . (٢) زهاء : مقدار .

(٣) حتى تركوا : أى شبعوا وتركوا الطعام ، أو الأكل منه .

(٤) اللام فى « مثل » ضبطت فى ا بالفتحة ، وفى ب بالضمة .

(٥) أسلموا وبايعوا لما رأوا من تلك المعجزة ، ولطفه بهم .

(٦) فتعاقبوها : دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة .

(٧) هذا الحديث رواه الشيخان فى صحيحيهما : صحيح مسلم : ١٦٢٧ ، وصحيح البخارى : ٤ – ٢٣٦ (٨) صنعت شاة : طبخت .

(٩) سواد بطنها : المراد به الكبد خاصة ، أو حشوها مطلقا ، والأول أظهر .

(١٠) وايم الله : قسم .

(١١) حز له حزة : الحز : القطع بالسكين . والحزة – بفتح الحاء ، وتضم : القطعة من اللحم . وفى صحيح مسلم : إلا حز له رسول الله حزة . . . (١٢) من صحيح مسلم .

ومِنْ ذلك حديثُ (١) عبد الرحمن بن أبى عَمْرةَ الأنصارى ، عن أبيه ، ومِثْلُه لِسَلَمَة بن الأكوع ، وأبى هُريرة ، وعُمَر بن الخطاب رضِىَ اللهُ عنه ؛ فذكروا مَخْمَصةً (٢) أصابت الناسَ مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض مَغَازِيه ، فدعا ببقيّة الأزوادِ (٣) ، فجاء الرجلُ بالحَثْيَةِ (٤) من الطعام ، وفَوْقَ ذلك ؛ وأعلاهم الذى أتى بالصّاعِ من التمر ؛ فجمعه على نِطْعٍ (٥) .

قال سلمةُ : فَحزَرْتُه كرَبْضَةِ (٦) العَنْزِ ؛ ثم دعا الناسَ بأوعيتهم ، فما بقِىَ فى الجيش وِعاءٌ إلّا ملَئُوه وبقِىَ منه (٧) .

وعن أبى هريرة (٨) : أمرنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم أن أدْعُوَ له أهْلَ الصُّفَّة (٩) ، فتتبّعتهم حتى جمعْتُهم ، فوضِعَتْ بين أيدينا صحفة (١٠) ، فأكلْنَا ما شِئْنَا ، وفرغْنَا وهى مِثْلُها حين وُضِعَتْ إلّا أنَّ فيها أثَرَ الأصابع .

---

(١) رواه ابن سعد ، والبيهقى ، وصححاه . طبقات ابن سعد : ١ — ١١٩

(٢) مخمصة : المخمصة : الجوع ، والمجاعة .

(٣) ببقية الأزواد : أى طلب من كل رجل منهم أن يأتى بما بقى عنده من زاده .

(٤) الحثية : ما يملأ اليدين معا .

(٥) على نطع : النطع : بساط من جلد . وقد ضبطت النون فى كلمة « نطع » بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » فى ب .

(٦) فحزرته كربضة العنز : حزرته : قدرته بطريق الحدس والتخمين . كربضة العنز : مقدار جثة عنز باركة على الأرض .

(٧) فى هامش ب : ح : قدر ماجعل وأكثر ، ولو ورده أهل الأرض لكفاهم .

(٨) فى حديث رواه ابن أبى شيبة والطبرانى بسند جيد .

(٩) الصفة : محل مرتفع فى الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه ؛ وكان فى مسجده صلى الله عليه وسلم محل لذلك ، فيه المنقطعون عنده صلى الله عليه وسلم من فقراء الصحابة الأعراب وغيرهم ؛ كسلمان ، وأبى ذر .

(١٠) صحفة : إناء بين الصغير والكبير يعد للطعام .

وعن عليّ بن أبى طالب[١] ، رضى الله عنه : جمع رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب ، وكانوا أربعين ، منهم قومٌ يأكلونَ الجَذَعةَ، ويشربون الفَرْق[٢]؛ فصنع لهم مُدًّا من طعام ، فأكلوا حتى شَبِعوا ، وبقِيَ كما هو ؛ ثم دعا بعُسٍّ[٣] ، فشربُوا حتى رَوُوا ، وبقِى كأنه لم يُشْرَبْ منه .

وقال أنس[٤] : إنّ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم حين ابْتَنَى بزينب أمَره[٥] أنْ يَدْعُوَ له قوما سمّاهم ، وكلّ من لقيتَ ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، وقدّمَ إليهم تَوْرا[٦]، فيه قدْرُ [٤١] مُدٍّ مِن تمْرٍ جُعِلَ حَيْساً[٧]، فوضعه قُدّامَه، وغمس ثلاثَ أصابِعه ، وجعل القومُ يتغدّون ويخرجون ، وبَقِيَ التَّوْرُ نحواً مما كان[٨] ، وكان القوم أحدا ، أو اثنين وسبعين .

[وفى رواية أخرى فى هذه القِصّةِ أو مِثْلها : إنّ القوم كانوا زُهاءَ ثلاثمائة[٩]، وأنهم أكلوا حتى شَبِعُوا . وقال لى : ارفَعْ ، فلا أدرِى حين وَضَعْتُ كانت أكثر أم حين[١٠] رَفَعْتُ .

---

(١) فى حديث رواه أحمد ، والبيهقى بسند جيد .

(٢) الجذعة من البقر والغنم : ماتم له سنة . والفرق – بفتح الراء ، وسكونها : مكيال . وفى هامش ب : الفرق : اثنا عشر مدا . وقال أبو الهيثم : هو إناء يأخذ ستة عشر رطلا ، وتلك ثلاثة آصع .

(٣) ثم دعا بعس: العس : قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة. وفى هامش ب : العس: الإناء الصغير ، والمراد بعس من لبن طلبه من أهله لهم .

(٤) فى حديث رواه الشيخان ؛ واللفظ لمسلم ؛ وقريب منه الحديث الآتى عن أنس ، وهو فى سنن الترمذى : ٥ – ٣٥٧

(٥) ابتنى بزينب : تزوج بها . أمره : أمر أنسا .

(٦) وقدم إليهم تورا : التور : إناء من صفر أو حجارة ، كالإجانة ، أو القدح الذى يشرب منه .

(٧) جعل حيسا : الحيس : تمر خلط بسمن وأقط ودقيق .

(٨) نحوا مما كان : لم ينقص نقصا كثيرا .

(٩) زهاء ثلاثمائة : مقدار .

(١٠) هذا حديث طويل فى مسلم اختصره المصنف اقتصارا على محل الشاهد منه .

وفى حديث جَعْفَر بن محمد ، عن أبيه ، عن علىٍّ رضِىَ الله عنه[١] ـ أنَّ فاطمةَ طبخَتْ قِدْرا لغَدَائها ووَجَّهَتْ عَلِيًّا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ليتغدَّى معهما ، فأمرها فغَرَفَتْ منها لجميع نسائه صَفْحةً صفحةً[٢] ، ثم لَهُ صلّى اللهُ عليه وسلم ولعلىّ ، ثم لها ، ثم رَفَعت القِدْرَ ، وإنها لتَفِيضُ[٣] ؛ قالت : فأكَلْنا منها ما شاء الله][٤] .

وأمرَ[٥] عُمَرَ بن الخطاب أن يُزَوِّدَ أربعمائة راكب من أَحْمَس[٦] ؛ فقال : يارسُولَ الله ، ما هِىَ إلّا أَصْوُعٌ[٧] . قال : اذهَبْ ؛ فذهبَ فزوَّدهم منه ، وكان قَدْرَ الفَصِيلِ الرابضِ[٨] ، من التَّمْرِ ، وبَقِى بحاله .

مِن[٩] ، رواية دُكَيْن الأحْمَسِى ، ومن رواية جرير .

ومثلُه[١٠] مِن رِوَاية النعمان بن مُقَرِّن الخبَرَ بعَيْنه ، إلا أنَّه قال[١٠] : أربعَمائة راكب من مُزَينة .

---

(١) رواه ابن سعد (الطبقات : ١ ـ ١٢٤) .

(٢) الصفحة : إناء صغير للطعام .

(٣) وإنها لتفيض : المراد بعد ما غرف من القدر بقيت مملوءة بطعام كثير يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم .

(٤) فى هامش ا : من الأم بخطه ، وليس من الرواية . وفى هامش ب : هذا المعلم عليه من الأم بخطه ، وليس من الرواية .

(٥) فى ب : وأمر ـ وضبط بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليه « معا » .

(٦) يزودهم : يعطيهم من الزاد ما يكفيهم . أحمس : اسم قوم من العرب ، وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو أحمس .

(٧) أصوع : جمع صاع : إناء يشرب فيه ، ومكيال . أى قال عمر : ليس التمر الذى عندى يكفى ، فإنه أصوع قليلة .

(٨) وكان قدر الفصيل : وكان التمر قدر ولد الناقة الصغير البارك الرابض على الأرض .

(٩) من رواية : أى هذا الحديث من رواية . . . وقد رواه أبو داود فى الأدب .

(١٠) أخرجه أحمد ، والبيهقى .

ومن ذلك حديثُ جابر[١] في دَيْن أبيه بعد مَوْتِه ، وقد كان بذَلَ لغُرَماء أبيه أَصْلَ ماله[٢] ، فلم يَقْبَلوه ، ولم يكن في تمرِها[٣] سنين كَفَافَ[٤] دَيْنِهم ؛ فجاءهُ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم بعدأنْ أمَرهُ بجدِّها[٥] ، وجَعْلِها بيَادِرَ في أصولها[٦] ، فمشى فيها ، ودعا ، فأَوْفَى منه جابرٌ غُرَماء أبيه ، وفضلَ مِثْلَ ما كانوا يَجُدُّون[٧] كلَّ سنةٍ .

وفي رواية مِثْلُ ما أعطاهم ؛ قال : وكان الغُرماء يهودَ ؛ فعجبوا من ذلك .

وقال أبو هريرة[٨] رضي اللهُ عنه : أصاب الناسَ مَخْمَصةٌ[٩] ، فقال لي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم : هل مِنْ شَيْء ؟ قلتُ : نعم ؛ شيء من التمر في المِزْوَد[١٠] . قال : فأْتني به . فأدخل يدَه فأخرج قَبْضةً ، فبسطها ودعا بالبَرَكةِ ؛ ثم قال : ادْعُ عشرةً . فأكلوا حتى شَبِعوا ، ثم عشرةً كذلكَ ، حتى أطعَم الجيشَ كلَّهم وشَبِعُوا . قال : خُذْ ما جِئْتَ به ، وأدخلْ يدَكَ ، واقبِضْ منه ولا تكبّه . فقبضْتُ على أكثر مما جِئْتُ به ؛ فأكلتُ منه وأطعمتُ حياةَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعُمر ، إلى أنْ قُتِل عثمان ، فانتُهِبَ مني[١١] ، فذهب .

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٤ — ٢٣٥ ، ٥ — ١٢٣

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ — ٤٠) : أراد بأصل ماله : بستانا ونخلا له كان يتقوت منه.

(٣) في تمرها : أي في تمر النخيل .

(٤) كفاف : مايفي به ويكفيه .

(٥) بجدها : بقطع الثمار وجمعها .

(٦) بيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر لينشف ، والبر ونحوه ليخلص من تبنه ، والكوم من الطعام والحنطة . والبيدر : الجرن . في أصولها : أي جعلها كوما كوما في أصول الثمار ، وهي النخل ، والمراد أنه كومه في حديقة نخله . وفي ا : جعلها — فعل ماض .

(٧) ماكانوا يجدون : ماكانوا يقطعون من ثمارها .

(٨) في حديث رواه البيهقي مسندا .

(٩) مخمصة : جوع ، أو مجاعة .

(١٠) في المزود : المزود : وعاء الزاد .

(١١) انتهب مني : أي نهبه الناس ، وأغاروا عليه في زمن الفتنة ، وسلبوه .

وفى رواية[1]: فقد حملتُ من ذلك التّمْرِ كذا وكذا مِنْ وَسْقٍ[2] فى سبيلِ اللهِ.

وذكرَتْ مِثْلُ هــذه الحكايةِ فى غَزْوَةِ تَبُوك، وأَنَّ التَّمْرَ كان بِضْعَ عشرَةَ تمرة.

ومنه أيضا حديثُ أبى هريرة[3] حين أصابه الجوعُ، فاستَتْبَعَهُ[4] النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم، فوجد لبناً فى قَدَحٍ قد أُهدِىَ إليه، وأمره أن يَدْعُو أهلَ الصُّفَّةِ.

قال: فقلتُ: ما هذا اللبنُ فيهم[5]؟ كنتُ أحقَّ أنْ أُصِيبَ منه شَرْبةً أتقوَّى بها. فدعَوْتُهم.

وذكر أَمْرَ النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم له أن يسقيَهم، فجعلتُ أُعطِى الرجلَ فيشربُ حتى يَرْوَى، ثم يأخذُه الآخر حتى رَوِىَ جميعُهم.

قال: فأخذ النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم القَدَح، وقال: بقيتُ أنا وأنْتَ، اقعُدْ فاشْرَبْ فشربتُ، ثم قال: اشْرَبْ، وما زال يَقُولُها وأَشْرَبُ حتى قلتُ: لا، والذى بعثكَ بالحق، ما أَجِدُ له[6] مسْلَكاً [١٠٥]؛ فأخذ القَدَحَ فحمِدَ الله وسَمَّى وشَرِب الفَضْلَةَ.

---

(١) رواها الترمذى فى سننه وحسنها، عن أبى هريرة: سنن الترمذى ٥ — ٦٨٥

(٢) الوسق: حمل بعير. فى سبيل الله: أى فى أسفارى غازيا.

(٣) رواه البخارى صحيح البخارى: ٦ — ١٢٠

(٤) فاستتبعه: طلب منه أن يتبعه.

(٥) ما هذا اللبن فيهم: ما مقداره القليل كاف لهم.

(٦) لا أجد له مسلكا: أى لم يبق فى جوفى محلا خاليا يدخله. وفى ب: ما أجد. وفى هامشه: لا أجد.

وفى حديث[1] خالد بن عبد العزّى أنه أجْزرَ[2] النبىَّ صلى اللهُ عليه وسلم شاةً ، وكان عِيال خالدٍ كثيرا يذبحُ الشاةَ فلا تُبِدُ[3] عِياله عَظْمًا عَظْمًا[4] ؛ وإنَّ النبىَّ صلى اللهُ عليه وسلم أكل من هذه الشاةِ وجعل فَضْلَتَها فى دَلْوِ خالدٍ[5] ، ودعا له بالبركةِ ، فنثر ذلكَ لعياله ، فأكلوا وأفْضَلوا[6] — ذكر خبره الدُّولابىّ .

وفى حديث الآجُرِّى فى إنكاحِ النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم لعلىٍّ فاطمةَ — أن النبىَّ صلّى اللهُ عليــه وسلّم أمرَ بلالًا بقَصْعةٍ[7] من أربعة أمدادٍ أو خمسةٍ ، ويَذْبَح جَزُورا[8] لوَليمتِها[9] — قال : فأتيتُه بذلك فطعن فى رأسها ، ثم أدخلَ الناسَ رُفقةً رُفقةً[10] يأكلونَ منها حتى فرَغوا ، وبقيتْ منها فَضْلةٌ ؛ فبرّكَ فيها ، وأمر بحَمْلها إلى أزواجه ؛ وقال : كُلْنَ وأطْعِمْنَ مَنْ غَشِيَكُن[11] .

وفى حديث أنس[12] : تزوّج رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم ، فصنعتْ أمّى

---

(١) رواه البيهقى مسندا عنه ، ولم يذكره أصحاب الكتب السنة .

(٢) أجزره : أعطاه جزرة ، وهى شاة أو نعجة أو كبش أو عنز ، تعطى لتجزر ؛ أى تذبح .

(٣) لاتبد عياله : يعنى أن الشاة إذا فرقت عليهم لاتكفيهم . وفى هامش ا : أبد الطعام، إذا أعطى كل واحد نصيبه على حدة .

(٤) عظما عظما : أى إذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعدعظمة لاتكفيهم لكثرتهم .

(٥) دلو خالد : الدلو : وعاء من أدم يستقى به الماء .

(٦) وأفضلوا : أى أبقوا بقية زادت على كفايتهم .

(٧) بقصعة : أن يأتى بقصعة .

(٨) الجزور : رأس من الإبل ناقة أو جملا .

(٩) الوليمة : الدعوة لطعام يصنع فى النكاح خاصة .

(١٠) رفقة رفقة : جماعة بعد جماعة .

(١١) من غشيكن : أى كل من يأتى إليكن من غير أهل البيت .

(١٢) سنن الترمذى : ٥ — ٣٥٧

أمُّ سُلَيْم حَيْسا ، فجعلَتْه فى تَوْرٍ[1] ، فذهبْتُ به إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ضَعْهُ ، وادْعُ لى فلانا وفلانا ، ومَنْ لقيتَ .

فدعوتُهم ، ولم أَدَعْ أحدا[2] لقيتُه إلّا دعوتُه ؛ وذكر أنهم كانوا زُهاء[3] ثلاثمائة حتى مَلئُوا الصُّفَّةَ والْحجْرة[4] ، فقال لهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم : تحلَّقُوا عشرة عشرة[5] ، ووضع النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدَه على الطعام ، فدعا فيه ، وقال ما شاء اللهُ أن يقول ؛ فأكلوا حتى شَبِعُوا كلُّهم ، فقال لى : ارفَعْ ، فما أدرى حين وُضِعت[6] كانت[7] أكثر أم حين رُفِعَتْ .

وأكثرُ أحاديث هذه الفصولِ الثلاثة فى الصحيح[8] . وقد اجتمع على معنى حديثِ هذا الفصلِ بضعةَ عشر من الصحابة ، رواه عنهم أضعافُهم من التابعين ، ثم مَنْ لا يَنْعدُّ بعدهم .

وأكثرُها فى قصص مشهورة ، ومَجامِعَ مشهودة ؛ ولا يمكنُ التحدُّث عنها إلا بالحق ، ولا يسكُت الحاضرُ لها على ما أُنكِرَ منها .

---

(١) الحيس : طعام من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس ؛ أى يخلط بعضه ببعض . والتور : إناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر .

(٢) ولم أدع أحدا : لم أترك أحدا .

(٣) زهاء : مقدار .

(٤) الصفة : موضع مظلل قدام البيت ، أو دكة علية فيه . والحجرة : البيت الصغير المفرز من الدار

(٥) تحلقوا : استديروا حول الطعام كالحلقة ، طائفة بعد طائفة من غير ازدحام . وفى الترمذى : ليتحلق عشرة عشرة .

(٦) هذا الضبط فى ا ، وفى ب ضبط بفتح الواو وضم التاء .

(٧) فى ب : كان .

(٨) الفصول الثلاثة : أى نبع الماء من بين أصابعه ، وانفجاره بدعوته ، وتكثير الطعام ببركته ــ فى الصحيح : من الأحاديث وكتبها المعتمدة .

فصــــل

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

حدثنا [١] أحمــد بن محمد بن غَلْبُون الشيخُ الصالح فيما أجازَنيه عن أبي عُمَر الطَّلَمَنْكِيّ [٢]، عن أبي بكر بْن المُهَنْدس، عن أبي القاسم البغَوي، حدثنا أحمد ابن عمران الأَخْنَسي، حدثنا أبو حيان التَّيْمِي - وكان صدوقاً - عن مجاهد، عن ابن عُمر، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفَرِه، فدنا منه أعرابيٌّ، فقال: يا أعرابيّ، أين تريد؟ قال: إلى أهلي. قال: هل لكَ إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: تَشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأنّ محمداً عبْدُه ورسولُه. قال: مَنْ يشهدُ لكَ على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة السَّمُرة [٣]، وهي بشاطئ الوادي [٤]، وادعها فإنها تُجيبك [٥].

فأقبلَتْ تخُدُّ الأرضَ [٦] حتى قامت بين يديه، فاستشهدها [٧] ثلاثاً، فشهدَتْ أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها.

وعن بُرَيْدَةَ [٨]: سألَ أعرابيٌّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم آيةً، فقال له: قل لتلك الشجرةِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوكِ.

---

(١) رواه البيهقي، والبزار، والدارمي مسندا عن ابن عمر.

(٢) هذا الضبط في شرح الشهاب: ٣ — ٤٧، ولب اللباب: ١٦٩، قال السيوطي: بفتحات وسكون النون، نسبة إلى طلمنكة: مدينة بالأندلس. وقال القاري (١ — ٦١٥): الطلمنكي: بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة.

(٣) السمرة: شجرة عظيمة ذات شوك.

(٤) شاطيء الوادي: جانبه وطرفه. والوادي: الأرض الواسعة المستوية.

(٥) هذا في ب؛ وفي ا: فادعها فإنها تجيب.

(٦) تخد الأرض: تشقها.

(٧) استشهدها ثلاثا: طلب منها أن تشهد ثلاث مرات.

(٨) في حديث رواه البزار مسندا.

قال: فمالت الشجرةُ عن يَمِينِهَا وشمالِها وبين يَدَيْها وخَلْفَها، فتقطَّعَتْ عروقُها، ثم جاءت [١٠٦] تخدُّ الأرضُ تجرُّ عروقَها مُغْبَرَّةً[١] حتى وقفت بين يَدَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يا رسولَ الله.

قال الأعرابيُّ: مُرْها فلترجِعْ إلى مَنْبِتِها، فرجعت، فدلَّت عروقَها فاستوَتْ[٢].

فقال الأعرابى: ائذَنْ لى أسجدُ لكَ.

قال: لو أَمَرْتُ أحدا أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزَوْجِها.

قال: فأْذَن لى أَنْ أُقبِّل يَدَيْكَ ورِجْليك؛ فأذِنَ له.

وفى الصحيح ـ فى حديث جابر بن عبد الله الطويل[٣]: ذهب رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقْضِى حاجتَه، فلم يَرَ شيئا يستَتِرُ به، فإذا بشجرتين فى شاطئ الوادى، فانطلق رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى إحداهما، فأخَذَ بغُصْنٍ من أغصانها، فقال: انقَادِى علىّ[٤] بإذن الله؛ فانقادَتْ معه كالبعير المَخْشُوشِ[٥] الذى يُصانِعُ قائدَه[٦].

وذكر أنه فَعَل بالأخرى مِثْلَ ذَلِكَ، حتى إذا كان بالمَنْصَفِ[٧] بينهما قال: الْتَئِمَا علىّ بإذْنِ الله؛ فالتأَمَتَا[٨].

---

(١) بتشديد الراء. وفى ب: بتشديد الباء.

(٢) دلت عروقها: أدخلتها فى الأرض. فاستوت: انتصبت قائمة من غير ميل بها.

(٣) هذا الحديث فى صحيح مسلم: ٢٣٠٦ (٤) انقادى على: طاوعينى وميلى على.

(٥) كالبعير المخشوش: الذى يوضع فى أنفه خشاش. والبعير الذى يعسر قوده يخرق أنفه ويوضع فيه شىء يذلل به؛ فإن كان عودا من خشب فهو خشاش، وإن كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام، وإن كان من نحاس ونحوه فهو برة.

(٦) يصانع قائده: المراد به الملاينة وسهولة الانقياد.

(٧) بالمنصف: أى فى وسط المكان، أى نصف المسافة. والضبط فى ب، وصحيح مسلم. وضبط فى ا بضم الميم. (٨) التئما: انضما واجتمعا.

وفي روايةٍ أخرى : فقال : يا جابرُ ؛ قُلْ لهذه الشجرةِ : يقول لكِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الحَقِي بصاحبتِك[1] حتى أجلِسَ خَلْفَكما . ففعلتُ ، فرجعَتْ حتى لَحِقَتْ بصاحبتها فجلس خَلْفَهما ، فخرجتُ أُحضِرُ[2] ؛ وجلستُ أُحدِّثُ نفسي ، فالتفتُّ فإذا برسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم مُقْبِلًا والشجرتان قد افترقتا ، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ ، فوقفَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَقْفَةً ، فقال برأسه هكذا[3] يميناً وشمالا .

ورَوَى أُسامةُ[4] بن زَيْد نَحْوَه ؛ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في بعض مَغَازِيه ، هل تَعْنِي[5] مكانا لحاجةِ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ؟ فقلتُ : إن الواديَ ما فيه موضعٌ بالناس[6] . فقال : هل ترى من نَخْلٍ أو حجارة ؟ قلت : أرى نخلات متقاربات . قال : انطلق وقل لهنَّ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمركُنَّ أنْ تأْتِين لمَخْرَجِ رسولِ الله[7] صلى الله عليه وسلم ، وقلْ للحجارة مِثْلَ ذلك .

فقلتُ ذلك لهنّ ؛ فوالذي بعثه بالحق ، لقد رأيتُ النخلاتِ يتقاربن حتى اجتمعنَ ، والحجارةَ يتعاقَدْنَ حتى صِرْنَ رُكاما[8] خَلْفَهنّ .

(١) الحقي بصاحبتك : تحركي واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الأخرى .
(٢) أحضر : أسرع في العدو . وفي هامش ب : أحضر : معناه : أسرع في المشي .
(٣) فقال برأسه : حركه هكذا .
(٤) في حديث أخرجه البيهقي في الدلائل ، وأبو يعلى بسند حسن . (٥) تعني : تقصد .
(٦) مافيه موضع بالناس : أي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس ؛ فهو مملوء بهم . وقال القاري : (١ — ٦١٧) : إن الوادي ما فيه موضع بالناس ؛ أي ليس فيه مكان مستقر بهم ؛ بل كله خال عنهم . (٧) لمخرج رسول الله : أي لمكان يخرج إليه الرسول لقضاء حاجته .
(٨) يتعاقدن : ينضم بعضها إلى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض . ركاما : بعضها فوق بعض . خلفهن : خلف النخلات ؛ يعني أن الحجارة اجتمعت مع النخل .

فلما قضى حاجتَه قال لى : قل لهنّ يفترقن ، فوالذى نَفْسِى بيـــده لرأيتهنّ والحجارةَ ـ يفترقن حتى عُدْنَ إلى مواضعهن .

وقال يَعْلَى بن سِيَابة[1] : كنتُ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم فى مَسِير . . . وذكر نحوا من هذين الحديثين ، وذكر : فأمر وَدِيّتَيْنِ [2] فانضمتا . وفى رواية : أشَاءَتين [3] .

وعن غَيْلَان بن سلمة الثقفى مثلُه : فى شجرتين .

وعن ابن مسعود ، عن النبى صلى اللهُ عليه وسلم مثله فى غَزاة حُنَين .

وعن يَعْلَى بن مُرّةَ ـ وهو ابن سِيَابة[1] ـ أيضا ، وذكر أشياء رآها من رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلم ؛ فذكر أنَّ طلحةً أو سَمُرَةً [4] جاءت فأطافَتْ [5] به ،

---

(١) فى حديث صحيح رواه أحمد (مسند أحمد : ٤ ـ ١٧٠) ، والبيهقى ، والطبرانى. وقد ضبطت السين فى سيابة بالفتحة والكسرة فى ا ، وعليها «معا» . وفى الإكمال (٣ـ٢٩٠): سيابة ـ بسين مهملة بعدها ياء مفتوحة معجمة باثنتين من تحتها وبعد الألف باء معجمة بواحدة. وفى الاستيعاب : ٦٩١ ، والإصابة ٢ ـ١٠١ ، بكسر أوله والتخفيف ، وبعد الألف موحدة. وفى التبصير (١٣٤) : بمهملة مكسورة . وكذلك ضبطت السين فى المؤتلف لعبد الغنى بن سعد بالكسر . وضبطه فى القاموس بفتح أوله .

ويعلى بن سيابة أبوه اسمه مرة ، أما سيابة فهو اسم أمه .

(٢) الودية : من صغار النخل التى تخرج من أصول كبارها ، فتنقل وتغرس ، وتسمى فسيلا وفراخا . وفى هامش ا : الودى : صغار النخل ، واحدتها ودية ، وكذلك الأشاء ، واحدتها أشاءة .

(٣) أشاءتين : مثنى أشاءة ؛ وهى من صغار النخل أيضا ، لكنها أكبر من الودية (شرح الشهاب) .

(٤) طلحة ، أو سمرة : نوعان من شجر البرية ذات شوك .

(٥) فأطافت به : دارت حوله ، وألمت به .

ثم رجعَتْ إلى مَنْبِتِها[١] ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إنها استأذَنَتْ أَنْ تسلِّمَ[٢] عليّ .

وفى حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عنه[٣] : آذَنَتِ[٤] النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلم بالجنّ ليلةَ [١٠٧] استمعوا له ـ شجرةٌ .

وعن مجاهد ، عن ابن مسعود فى هذا الحديث[٥] : إن الجنّ قالوا : مَنْ يشهدُ لك ؟ قال : هذه الشجرةُ . تعالَيْ يا شجرةُ ؛ فجاءت تجرُّ عُروقَها لها قَعَاقِع[٦] . . .

وذكرَ مِثْلَ الحديثِ الأول أو نحوه .

قال القاضى أبو الفضل[٧] : فهذا ابنُ عُمر ، وبُرَيدةُ ، وجابرٌ ، وابن مسعود ، ويَعْلَى بن مُـــرّةَ ، وأسامة بن زيد ، وأَنَسُ بن مالك ، وعلىّ بن أبى طالب ، وابنُ عبّاس ، وغَيْرُهم ـ قد اتّفقوا على هذه القصّةِ نَفْسِها أو معناها .

وقد رواها عنهم من التابعين أضعافُهم ؛ فصارت فى انتشارِها من القوةِ حيثُ هى[٨] .

---

(١) إلى منبتها : موضعها الأول الذى نبتت فيه .

(٢) قال فى نسيم الرياض : المعنى أنها طلبت من الله تعالى أن يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشى إليه والسلام عليه .

(٣) رواه الشيخان مسندا ـ صحيح مسلم : ٣٣٣

(٤) آذنت : أعلمت ، والفاعل كلمة شجرة الآتية بعد . بالجن : أى بحضورهم عنده صلى الله عليه وسلم ، واستماعهم منه القرآن ، فى الليلة التى استمعوا قراءته .

(٥) رواه الشيخان ـ صحيح مسلم : ٣٣٣

(٦) قعاقع : صوت قوى كصوت الرحا ؛ وهو جمع قعقة ؛ وهى حكاية صوت الحركة من الأجرام الصلبة .

(٧) هو المصنف . وفى ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٨) حيث هى : صارت فى مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء .

وذكر ابن فُورَك أنه صلى اللهُ عليه وسلم سار في غَزْوةِ الطائف [1] ليلا ، وهو وَسِنٌ [2] ، فاعترضَته سِدْرَةٌ ، فانفرجَتْ له نِصْفَين حتى جاز [3] بينهما ، وبقيَتْ على ساقين إلى وقتنا [هذا] [4] ؛ وهي هناكَ معروفة مُعَظَّمة .

ومن ذلك [5] حديثُ أنَس رضِيَ اللهُ عنه ـ أنَّ جبريلَ عليه السلام قال للنبيّ صلى اللهُ عليه وسلم ـ ورآه حَزِينا [6] : أتُحِبُّ أن أُرِيكَ آية ؟ قال : نعم. فنظر رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم إلى شجرةٍ مِنْ وراء الوادِي ، فقـال : ادْعُ تلك الشجرةَ ، فجاءت [7] تمشي حتى قامت بين يديه .

قال : مُرْها فلترجِع ، فعادَتْ [8] إلى مكانها .

وعن عليٍّ نَحْوُ هذا [9] ؛ ولم يذكُرْ فيها جبريل ؛ قال : اللهمّ أرِني آيةً لا أُبالي مَنْ كذّبني بَعْدَها ، فدعا شجرة . . . وذكر مِثْلَه .

---

(١) الطائف : اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والأشجار ، وهذه الغزوة كانت في السنة الثامنة من الهجرة .

(٢) وسن : الوسن : قريب من النعاس .

(٣) جاز : مر ، وسار .

(٤) في ب عليها علامة الصحة ، وهي ساقطة في ا .

(٥) ومن ذلك : ومن معجزاته . وحديث أنس رواه الدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي. والحديث في سنن ابن ماجه : ١٣٣٦

(٦) حزينا : كان حزينا لعدم إطاعة قومه له في أول البعثة ، إذ عرض نفسه على القبائل . وفي ابن ماجه : وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ، قد ضربه بعض أهله مكة ، فقال : مالك؟ قال : فعل بي هؤلاء وفعلوا . قال : أتحب . . .

(٧) في سنن ابن ماجه : فدعاها فجاءت . . .

(٨) في سنن ابن ماجه : فقال لها فرجعت .

(٩) في نسيم الرياض (٣ ـ ٥٨) : قال السيوطي : لم أجده عن علي ، وإنما هو عن جابر رضي الله عنه .

وحُزْنُه صلى اللهُ عليه وسلم لتَكْذِيب قومِه وطلبِه الآيةَ لهم لا له[١] .

وذكر ابنُ إسحاقَ[٢] أنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أرى رُكَانةَ مِثْلَ هذه الآية في شجرةٍ دعاها فأتَتْ حتى وقفَتْ بين يديه ؛ ثم قال : ارجعي ، فرجعتْ .

وعن الحسنِ[٣] أنه صلى الله عليه وسلم شكا إلى ربِّه من قَوْمِه وأنهم يخوِّفونه[٤] ؛ وسأله آيةً يَعْلَمُ بها ألّا مخافةَ عليه ؛ فأوْحَى إليه ائتِ وادِي كذا فيه شجرةٌ ، فادْعُ غُصْناً منها يأتِك . ففعل ؛ فجاء يخطُّ الأرضَ خطًّا[٥] حتى انتصب بين يَدَيْه[٦] ، فحبسه ما شاء الله ، ثم قال له : ارجِعْ كما جئتَ ، فرجع ؛ فقال : يا ربِّ ؛ علمتُ أن لا مخافةَ عليَّ .

ونحوٌ منه عن عُمَر[٧] ؛ وقال فيه : أَرِنِي آيةً لا أُبالي مَنْ كذَّبني بعدها . . . وذكر نحوه .

وعن ابن عباس[٨] رضيَ اللهُ عنهما أنه صلَّى الله عليه وسلم قال لأعْرابيّ : أرأيتَ إنْ دعوت هذا العِذْقَ[٩] من هذه النخلةِ أتشهَدُ أني رسولُ الله ؟ قال : نعم ،

---

(١) لهم : أي لقومه المكذبين . لا له : لأنه على يقين من أمره ، وعلمه بقدرة ربه . وانظر الهامش رقم ٦ في الصفحة السابقة .

(٢) مما رواه في السيرة ، ورواه أبو نعيم ، والبيهقي .

(٣) في حديث رواه البيهقي .

(٤) إنما شكا ذلك لأنه خاف القصور في تبليغ ما أرسل به . وكان ذلك قبل الهجرة ، وقبل نزول قوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » .

(٥) يخط الأرض : يشقها شقا .

(٦) انتصب بين يديه : قام منتصبا عنده .

(٧) رواه البزار ، وأبو يعلى ، والبيهقي بسند حسن . وفي ب : عن عمر . وفي ا : عن عمرو .

(٨) في حديث رواه البخاري في تاريخه ، والدارمي ، والبيهقي مسندا .

(٩) العذق : هو العرجون من النخلة وشماريخها .

فدعاه فجعل يَنْقُزُ[1] حتى أتاه . فقال : ارجِعْ ؛ فعادَ إلى مكانه .

وخرّجه الترمذيُّ[2] ، وقال : هذا حديثٌ صحيح .

فصل
في قِصّة حَنِين الجِذْع

ويَعْضُد[3] هذه الأخبارَ حديثُ أنينِ[4] الجِذْعِ ، وهو[5] في نفسه مشهورٌ مُنْتَشِر ، والخبرُ به متواترٌ ، قد خرّجه أهلُ الصحيح[6] ، ورَواهُ من الصحابة بضعةَ عشَر ؛ منهم أُبَيُّ بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبدُ الله ابن عُمَر ، وعبدُ اللهِ بن عباسٍ ، وسَهْلُ بن سعد ، وأبو سعيد الخُدْرِيّ ، وبُرَيْدَة ، وأُمّ سَلَمَة ، والمطَّلِب بن أبي وَدَاعَة ، كلُّهم يُحَدِّث بمعنى هذا الحديث .

قال الترمذيّ : وحديثُ أنس[7] صحيح .

قال جابر بنُ عبـد الله [١٠٨] : كان المسجدُ[8] مسقوفا على جُذوعِ نَخْلٍ ؛ فكان النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم إذا خطب يقومُ[9] إلى جِذْعٍ منها ؛ فلما صُنِع له المِنْبَر سمعنا لذلكَ الجِذْع صوتاً كصوت العِشَار[10] .

(١) ينقز : يثب صعدا . وروى هذا الحديث مفصلا البيهقي ؛ وقال : إن هذا الأعرابي من بني عامر . (٢) في سنن الترمذي : ٥ — ٥٩٤ (٣) ويعضد : يقوى ويؤيد .

(٤) الأنين : صوت المريض ، والأنين والحنين متقاربان . وقيل : الأنين فيه زيادة امتداد الصوت . (٥) وهو : أي حديث الجذع . والجذع : أصل الشجرة .

(٦) كالبخاري ، ومسلم : صحيح البخاري: ٤—٢٣٧ (٧) سنن الترمذي : ٥—٥٩٤

(٨) كان المسجد : أي مسجد الرسول بالمدينة . والحديث في ابن ماجه : ٤٥٥ ، وصحيح البخاري : ٤ — ٢٣٧ (٩) يقوم مستندا .

(١٠) كصوت العشار : العشار : الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر ، وزال عنها اسم المخاض ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها أيضا . والمراد خوارها حين وضعها أو عقبه ، نزاعا لولدها إذا لم تره .

وفى رواية أنس : حتى ارتجَّ المسجدُ بخُواره [١] .

وفى رواية سَهْل : وكثُرَ بُكاء الناسِ لِمَا رأَوْا به .

وفى رواية المطّلب [وأُبىّ] [٢] : حتى تصدَّع وانشقّ ، حتى جاء النبىُّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، فوضع يَدَهُ عليه فسكتَ .

زاد غَيْرُه : فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذا بكى لِمَا فَقَد مِنَ الذِّكْرِ [٣] .

وزَادَ غَيْرُه : والذى نَفْسى بيده : لو لم أَلتزِمْه [٤] لم يزَلْ هكذا إلى يوم القيامة ؛ تحزُّناً على رسولِ اللهِ [٥] صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فأمر به صلّى اللهُ عليه وسلم فدُفِنَ تحتَ المنبر .

كذا فى حديث المطلب ، وسَهْل بن سَعْد ؛ وإسحاق ؛ عن أنس .

[وفى بعض الروايات عن سهل : فدُفِنَتْ تحت مِنْبَره ، أو جُعلت فى السقف] [٦] .

وفى حديث أُبَىّ : فكان إذا صلّى النبىُّ صلى الله عليه وسلم صلّى إليه [٧] ؛ فلما هُدِمَ المسجدُ [٨] أخذه أُبَىٌّ ، فكان عنده إلى أن أكلَتْه الأرضُ ، وعاد رُفاتا [٩] .

وذكر الإسْفَرَاينىّ [١٠] أنّ النبى صلّى اللهُ عليه وسلم دعاه إلى نَفْسه ، فجاء يخرِقُ الأرضَ [١١] ، فالتزمه [١٢] ، ثم أمره فعادَ إلى مكانه .

---

(١) الخوار فى الأصل يختص بصياح البقر ، ثم توسعوا فيه فى أصوات جميع البهائم .

(٢) ليس فى ا .

(٣) من الذكر : المراد بالذكر ذكر الله ، أو الموعظة ، أو القرآن . وفى ا : لجؤاره ، لخواره ، وكتب عليها فيهما « معا » . والجؤار : رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة .

(٤) التزمه : إذا اعتنقه وضمه .

(٥) على رسول الله : على مفارقته .

(٦) كتب أمام هذه العبارة فى هامش ا ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

(٧) صلى إليه : استقبله ، وجعله كالسترة للمصلى من المارين .

(٨) هدم المسجد : هدمه كان فى زمن عمر رضى الله عنه .

(٩) وعاد رفاتا : عاد : صار . رفاتا : متكسرا متفرقا .

(١٠) واللباب .

(١١) يخرق الأرض : يشقها بمشيه فيها .

(١٢) فالتزمه : اعتنقه وضمه .

وفى حديث بُرَيْدَةَ : فقال – يَعْنى النبيّ صلى الله عليه وسلم : إن شئْتَ أَرُدُّك إلى الحائط (١) الذى كنْتَ فيه تنبتُ لك عروقُك ، ويَكْمُل خَلْقُك ، ويُجدَّد لك خوصٌ وثمرة(٢) ؛ وإنْ شئت أغرسك فى الجنّة ، فيأكل أوْلياء الله من ثَمَرك ؛ ثم أصغَى له النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يسمَعُ مايقول .

فقال : تَغْرِسنى فى الجنّة ، فيأكل منى أَوليـــاء الله ، وأكونُ فى مكانٍ لا أَبْلَى فيه .

فسمعه مَنْ يَليه (٣) .

فقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : قد فعلتُ ؛ ثم قال : اختارَ دارَ البقاء على دار الفنـــاء .

فكان الحسَنُ (٤) إذا حدَّثَ بهذا بكى ، وقال : يا عبادَ الله ؛ الخشبةُ(٥) تحِنُ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم شوقاً إليه لمكانه؛ فأنتم أحقُّ أنْ تَشْتاقُوا إلى لقائه.

رواه – عن جابر – حَفْص بن عُبيد الله ، ويقال : عُبيد الله بن حفص ، وأيمن، وأبو نَضْرَة ، وابن المسيِّب ، وسَعيد بن أبى كَرِب ، وكُرَيْب ، وأبو صالح .

ورواه عن أنس بن مالك الحسَنُ ، وثابتٌ ، وإسحاقُ بن أبى طلحة .

ورواهُ عن ابن عُمر : نافع ، وأبو حَيَّةَ ؛ ورواه أبو نَضْرَةَ ، وأبو الودَّاك ، عن أبى سَعيد ، وعَمّار بن أبى عَمّار ، عن ابن عباس ، وأبو حازم ، وعباس بن سَهْل ، عن سهل بن سعد ، وكَثيرُ بن زَيْد عن المطّلب ، وعبدُ الله بن بُرَيْدَة عن أبيه ، والطُّفَيْل بن أُبىّ عن أبيه .

---

(١) الحائط : البستان الذى فيه الشجر والنخل .
(٢) أى تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها .
(٣) من يليه : من يقرب منه . (٤) الحسن : هو الحسن البصرى .
(٥) الخشبة : يريد هذا الجذع .

قال القاضي أبو الفضل (١) : فهذا حديثٌ كما تراه خرّجه أهلُ الصحة ، ورواه من الصحابة مَنْ ذكرنا ، وغيرُهم من التابعين ضِعْفُهم ، إلى مَنْ لم نذكره ؛ وبمَن (٢) دونَ هذا العددِ يقعُ (٣) العلمُ لِمَنْ اعتنى بهذا البابِ . واللهُ المثبِّتُ على الصواب .

فصـــل

ومِثْلُ هذا في سائر الجمادات (٤) :

[١٠٩] حدثنا القاضي أبو عبـــد الله محمد بن عيسى التَّميمي ، حدثنا القاضي أبو عَبْد الله محمد بن المُرَابط ، حدثنا المهلب ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا أبو الحسَن القابِسي ، حدثنا المَرْوَزيّ ، حدثنا الْفِرَبْرِيّ ، حدثنا البُخَاري ، حدثنا محمد بن المُثَنّى ، حدثنا أبو أحمد الزُّبَيْري ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عَنْ عَلْقَمة ، عن ابن مسعود ، قال : لقد كنّا نسمَعُ تسبيحَ الطَّعَام وهو يؤكل (٥) .

وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود (٦) : كُنَّا نأكلُ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم الطعامَ ونحن نسمعُ تسبيحَه .

وقال أنس (٧) : أخذ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم كفًّا من حصًى ، فسبَّحْنَ في يدِ رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم حتى سَمِعْنا التسبيحَ ، ثم صبَّهُنَّ في يدِ أبي بكر رضِيَ اللهُ عنه فسبَّحْنَ ، ثم في أيدينا فما سبَّحْنَ .

---

(١) هو عياض المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٢) وفي هامش ا : وبدون .

(٣) يقع العلم : يوجد العلم وتتفق صحته .

(٤) الجماد : ما لا روح فيه .

(٥) وهو يؤكل : أي في حال أكلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) هي رواية الترمذي (٥ – ٥٩٧) . والأولى رواية البخاري .

(٧) في حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه .

وروَى مثلَه [١] أبو ذَرّ ، وذكر أنهنّ سبّحْنَ فى كفّ عُمر وعثمان .

وقال على [٢] كنّا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نخرج إلى بعضِ نواحيها فما استقْبله شجرةٌ ولا جَبَلٌ إلا قال له : السلامُ عليك يا رسولَ الله .

وعن جابر بن سَمُرة [٣] عنه صلّى اللهُ عليه وسلم : إنى لأَعْرِفُ حجراً بمكة كان يسلِّمُ علىّ ؛ قيل : إنه الحجرُ الأسود .

وعن عائشة [٤] رضِيَ اللهُ عنها : لما استقبلنى جبريلُ عليه السلام بالرسالة جعلْتُ لا أمرُّ بحَجَرٍ ولا شجَرٍ إلا قال : السلام عليكَ يا رسولَ الله .

وعن جابر بن [٥] عبد اللهِ : لم يكن النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم يمرُّ بحجَرٍ ولا شجَرٍ إلا سجد له .

وفى حديث العباس [٦] ؛ إذ اشتمل [٧] عليه النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم وعلى بَنيه بملاءةٍ ، ودعا لهم [٨] بالسِّتْر من النار كسَتْرِه إياهم بملاءته ؛ فأمّنَتْ أُسْكُفَّةُ الباب [٩] وحوائطُ البيت : آمين آمين .

---

(١) رواه الطبرانى ، والبيهقى ، والبزار .

(٢) فى حديث رواه الدارمى ، والترمذى ، بسند حسن (سنن الترمذى : ٥ — ٥٩٣)

(٣) فى حديث صحيح رواه مسلم ، وهو فى سنن الترمذى : ٥ — ٥٩٣

(٤) فى حديث صحيح رواه البزار فى مسنده . وانظر فى ذلك أيضا : طبقات ابن سعد : ١ — ١٠٢

(٥) فى حديث رواه البيهقى . (٦) رواه البيهقى أيضا .

(٧) اشتمل عليه : ضمه . بملاءة : هى الإزار والملحفة . وفى ب : وهى على بنيه . وفى هامش ب : الملاءة : الملحفة .

(٨) قال : يا رب ؛ هذا عمى وصنو أبى ؛ وهؤلاء بنوه ، فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه .

(٩) أسكفة الباب : عتبته . وفى هامش ا : الأسكفة ، والأسكوفة : العتبة .

وعن جعفر بن محمد[١]، عن أبيه : مَرِضَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فأتاه جبريلُ بطَبَق فيه رُمَّانٌ وعِنَبٌ ، فأكل منه النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فسبَّح .

وعن أنس[٢] : صَعِدَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعُمر ، وعثمان ، أُحُدا ، فرَجَف[٣] بهم ؛ فقال : اثْبُتْ أُحُد ؛ فإنما عليكَ نبيٌّ وصِدِّيق ، وشهيدان .

ومِثْلُه عن أبي هريرة[٤] في حِرَاء[٥] ، وزاد معه : عليٌّ وطلحةُ ،والزبير ؛ وقال : فإنما عليكَ نبيٌّ ، أو صِدِّيق ، أو شَهِيد .

والخَبَرُ في حِرَاء[٥] أيضا عن عثمان ؛ قال : ومعه عشر من أصْحابه أنا فيهم .

وزاد عَبْدَ الرحمن وسَعْداً ، قال : ونسيتُ الاثنين[٦] .

وفي حديث[٧] سَعِيد بن زيد أيضا مِثْلُه ؛ وزاد عشرةً ؛ وزاد نَفْسَه .

---

(١) في نسيم الرياض (٣ - ٧٣) : قال السيوطي : لم أجد هذا في كتب الحديث-يعني المشهورة ، فلا ينافي اطلاع المصنف عليها . وقال القاري (١ - ٦٢٩) : قال الدلجي : لم أدر من رواه . قلت : يكفي أنه رواه المصنف ، وهو من أكابر المحدثين ، ولولا أن الحديث له أصل لما ذكره .

(٢) في حديث رواه أحمد ، والبخاري ، والترمذي ، وابن ماجه. سنن ابن ماجه :٤٨. وفيه : اثبت حراء. والحديث في مسند الطيالسي: ٢- ١٣٩ أيضا، وسنن الترمذي: ٥-٦٢٤.

(٣) رجف بهم : تحرك حركة شديدة واضطرب .

(٤) رواه مسلم . وهو سنن ابن ماجه:٤٨ ، ومسند الطيالسي:٢- ١٣٩، وسنن الترمذي: ٥ - ٦٢٤ ، ٦٢٥

(٥) حراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة .

(٦) رواه الترمذي ، والنسائي عن عثمان .

(٧) أي تتمة العشرة ؛ وهما : طلحة ، والزبير .

(٨) رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه .

وقد رُوِيَ أنه حين طلبَتْه[1] قُرَيش قال له ثَبِير[2] : اهْبِطْ يا رسولَ الله ؛ فإني أخافُ أنْ يقتلوكَ على ظَهْرِي فيعذبني الله[3] .

فقال حِرَاء : إليَّ[4] يا رسولَ الله .

ورَوَى ابنُ عُمر[5] رضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم قرأ على المِنْبر : ﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِه ﴾[6] ؛ ثم قال : يُمجِّدُ الجبّارُ نفْسَه[7] ؛ أنا الجبّار ، أنا الجبّار ، أنا الكبيرُ المتعال ؛ فرجَفَ[8] المِنْبَر حتى قُلْنَا : ليَخِرَّنَّ عنه[9] .

وعن ابن عباس[10] : كان حولَ البيتِ ستّون وثلاثُمائة صَنَم [١١٠] مُثَبَّتَةُ الأرجُلِ بالرَّصاص في الحجارة ؛ فلما دخل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المسجِدَ عامَ الفَتْحِ جعَـل يُشِير بقَضِيبٍ[11] في يده إليها ولا يمسُّها ، ويقول : جاء الحقُّ وزهق

---

(١) طلبته قريش لما خرج مهاجرا ، وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم .

(٢) ثبير : جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب إلى منى . اهبط : انزل من على ظهري ، واذهب إلى مكان آخر تختفي به عنهم .

(٣) قال في نسيم الرياض (٣ — ٧٥) : إنما خاف العذاب بسبب قتله ، لأنه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بأنه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به العذاب ؛ أو لأنه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذي يقع فيه مثل هذا الأمر العظيم ؛ كما غضب على أرض ثمود .

(٤) إلي : أقبل .

(٥) في حديث رواه مسلم ، والنسائي ، وأحمد في مسنده (مسند أحمد : ٢ — ٧٢ ، ٨٨) .

(٦) ما قدروا الله حق قدره : ماعظموه حق تعظيمه ، وما عرفوه حق معرفته .

(٧) يمجد الجبار نفسه : يعظم وينزه ذاته .

(٨) رجف المنبر : اهتز واضطرب من مهابة مقال النبي .

(٩) ليخرن عنه : ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من فوقه ، أو لينهد المنبر .

(١٠) في حديث أخرجه الشيخان ، والبزار ، والطبراني ، وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود . والحديث في مسند الطيالسي : ٢ — ١٠٧

(١١) بقضيب : بعصا .

الباطِلُ إنّ الباطلَ كان زهوقا[1]؛ فما أشار إلى وَجْه صنَمٍ إلّا وَقع لِقفَاهُ ، ولا لِقفَاهُ إلّا وقَع لوَجْهِه ، حتى ما بَقِيَ منها صَنَم .

ومثلُه فى حديث ابن[2] مسعود ؛ وقال : فجعـــل يَطْعَنُها ويقول : جاء الحقُّ وما يبدئُ الباطل وما يُعيد[3] .

ومن ذلك[4] حديثُه مع الراهب فى ابتداء أمْرِه ؛ إذ خرج تاجرا مع عمّه ؛ وكان الراهبُ لا يخرجُ لأحَدٍ ؛ فخرج وجعل يتخلّلُهم[5] ، حتى أخذَ بيدِ رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فقال : هذا سيِّدُ العالَمِين ؛ يَبْعثُه اللهُ رحمةً للعالَمين .

فقال له أشياخٌ مِنْ قُرَيش : ما عِلْمُكَ ؛ فقـــال : إنه لم يبْقَ شجرٌ ولا حجَرٌ إلا خَرّ ساجدا له ، ولا تسجدُ إلا لنبيّ . . . وذكر القِصّةَ ، ثم قال : فأقبل صلى اللهُ عليه وسلم وعليه غَمَامةٌ تُظِلُّه ؛ فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فَيْء[6] الشجرة ؛ فلما جلس مال الفَيْءُ إليه .

فصـــــل

فى الآيات فى ضروبِ الحيوانات

حدثنا سراجُ بن عبد الملك ، [حدثنا][7] أبو الحسين الحافظ ، حدثنا أبى ، حدثنا القاضى يونس ، قال : حدثنا أبو الفضل الصّقَلِّى ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ،

---

(١) الحق : التوحيد ، والإسلام . والباطل ضده . وزهوقه : زواله واضمحلاله .

(٢) رواه الشيخان ؛ صحيح البخارى : ٥ — ١٨٨

(٣) الحق : الدين الحق ، أو التوحيد ، أو وعد الله بفتح مكة . الإبداء : الإيجاد ابتداء من غير سبق إيجاد آخر . والإعادة : الإيجاد مرة بعد مرة أخرى ؛ أى إن الشرك هلك واضمحل .

(٤) من ذلك : مما ذكر من أمر الجمادات . والحديث رواه الترمذي والبيهقى . والراهب هو بحيرا . سنن الترمذى : ٥ — ٥٩٠ ، وطبقات ابن سعد : ١ — ٩٩

(٥) يتخللهم : يدخل فى خلالهم ، ويدور بينهم ينظرهم واحدا واحدا .

(٦) الفىء : الظل . والغمامة : السحابة .   (٧) ليس فى ب .

من أبيه وجدّه ؛ قالا : حدثنا أبو العلاء أحمد بن عِمْران ، حدثنا محمد بن فُضَيْل ، حدثنا يونس بن عمرو ، حدثنا مُجاهد ، عن عائشة رضِيَ الله عنها ؛ قالت : كانَ عندنا دَاجِنٌ[1] ، فإذا كان عنـدنا رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم قَرّ[2] وثبتَ مكانَه ؛ فلم يجئْ ولم يذهَبْ ؛ وإذا خرج رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم جاء وذَهَبَ.

ورُوِى عن عُمَر[3] أنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كان في مَحْفِلٍ[4] من أصحابِه إذ جاء أعرابيٌّ قد صادَ ضَبًّا[5] ؛ فقال : ما هذا[6] ؟ قالوا : نبيُّ اللهِ . فقال : واللّاتِ والعُزّى[7] ، لا آمَنْتُ بكَ أو يُؤْمِنَ هـذا الضَّبُّ ؛ وطَرَحه بين يدى النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : يا ضَبُّ ؛ فأجابه بلسانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ القومُ جميعا : لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ[8] يا زَيْنَ مَنْ وَافَى القيامة[9] .

---

(١) داجن : شاة تألف البيوت وتعلف فيها ، وتطلق على غيرها من الحيوانات التى تربى فى البيوت ، كالناقة ، والحمام . وفى هامش ب : دواجن البيوت : ما ألفها من الطير والشاء وغيرها . والمراد بقولها « عندنا » منزلها الذى تسكنه .

(٢) قر وثبت مكانه : وقف ، أو ربض فى مكانه لايتحرك .

(٣) فى حديث رواه الطبرانى ، والبيهقى .

(٤) محفل : مكان يجتمع فيه ناس كثيرون .

(٥) الضب : حيوان برى ، والأعراب تصيده وتأكله .

(٦) هذا فى ا ، ب . وفى هامش ا : من هذا .

(٧) اللات والعزى : صنمان عبدا فى الجاهلية . واللات : كان بنخلة والطائف لقريش وثقيف . والعزى : شجرة من السمر كانت لغطفان .

(٨) لبيك وسعديك : لبيك : إجابة لك بعد إجابة . وسعديك : مساعدة وطاعة لك بعد طاعة ، وهما عبارة عن سرعة الإجابة والانقياد والطاعة .

(٩) من وافى القيامة : الموافاة : الحضور والمجىء . وإنما جعله زينا ؛ أى مزينا لأهلها ومن بها ، لأنه سيدهم وقائدهم ، والشفيع لهم . والعرب تقول : يازين القوم ــ لأشرفهم وأحسنهم .

قال : مَنْ تَعْبُدُ ؟ قال : الذى فى السماء عَرْشُه ، وفى الأرضِ سُلْطانُه ، وفى البحر سبيلُه[١] ، وفى الجنة رَحْمَتُه ، وفى النار عِقابُه .

قال : فمَنْ أنا ؟ قال : رسولُ ربِّ العالمين ، وخاتَم[٢] النبيِّين ، وقد أفلَح مَنْ صَدَّقَك ، وخابَ مَنْ كذَّبك .

فأسلم الأعرابىّ[٣] .

ومن ذلك[٤] قصةُ[٥] كلام الذِّئب المشهورةُ عن أبى سعيد الخُدْرِىّ :

بَيْنا راعٍ يرْعَى غَنَماً له عرَضَ الذئبُ لشاةٍ منها ، فأخذها الرّاعى منه ، فأقْعَى[٦] الذئبُ ، وقال للرّاعى : ألا تتّقِى اللهَ ! حُلْتَ بينى وبَيْنَ رِزْقِى !

قال الرّاعى : العَجَبُ من ذِئبٍ يَتَكلَّمُ بكلام الإنْس ! فقال الذّئبُ : ألا أُخْبِرك بأعجَب من ذلك ؟ رسولُ اللهِ بين الحَرَّتَيْنِ[٧] يُحَدِّث الناسَ بأنباء[٨] ما قد سَبَق .

فأتَى الرّاعى النبىَّ صلّى اللهَ عليه وسلم فأخبره ؛ فقال النبىُّ : قُمْ فحَدِّثْهم ؛ ثم قال : صَدَق .

والحديث فيه قصةٌ ، وفى بعضه طُول .

ورُوِى حديثُ الذئبِ[٥] عن أبى هُرَيرة .

---

(١) سبيله : طريقه التى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لايقدر عليه غيره .

(٢) ضبطت التاء فى ا بالكسرة ، وفى ب : بالفتحة . وهو بالفتح بمعنى ختموا به ، وبكسرها بمعنى ختمهم .

(٣) هذا الحديث طويل رواه البيهقى .

(٤) من ذلك : من معجزاته فى تسخير الحيوانات وإنطاقها .

(٥) رواها أحمد ، والبزار ، والبيهقى ، وصححها . وهى فى طبقات ابن سعد : ١-١١٤

(٦) فأقعى الذئب : قعد على عقبيه ناصبا يديه .

(٧) الحرة : ثنية مرتفعة ذات حجارة سود ، كأنها اسودت من الحر . والحرتان بالمدينة .

(٨) بأنباء ماسبق : الأنباء : الأخبار .

وفى بعضِ الطُّرُقِ عن أبى هُرَيرة رضى اللهُ عنه ، فقال الذِّئبُ : أنتَ أعجَبُ ! واقفاً على غَنَمِك ، وتركْتَ نبيًّا لم يَبْعَثِ اللهُ نبيًّا قَطُّ أعظمَ منه عنــده [١١١] قَدْراً[١] ، قد فُتِحَت له أبوابُ الجنَّة ، وأَشرف[٢] أهلُها على أصحابِه ، ينظرون قِتالَهم[٣] ، وما بينكَ وبينه إلا هذا الشِّعْبُ[٤] ، فتَصِير من جنود الله .

قال الرَّاعى : مَنْ لى بغَنَمى ؟ قال الذئبُ : أنا أرعاها حتى ترجِعَ .

فأسلم الرجلُ إليه غَنَمه ومضَى .

وذَكَرَ قصتَه وإسلامَه ووجودَه النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم يُقاتل ؛ فقال له النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم : عُدْ إلى غَنَمك تجدْها بوَفْرِها[٥] .

فوجدها كذلك ، وذبح للذئب شاةً منها .

وعن أُهْبان[٦] بن أَوْسٍ : وأنه[٧] كان صاحبَ القصَّة ، والمحدِّثَ بها ، ومكلِّمَ الذئبِ .

وعن سلمةَ بن عَمْرو بن الأَكوع : وأنه[٨] كان صاحبَ [هذه][٩] القصة أيضا ، وسببَ إسلامِه بِمِثْلِ حديث أبى سَعيد .

وقد رَوَى ابنُ وَهْب مِثْلَ هذا أنه جَرَى[١٠] لأبى سُفْيانَ بن حَرْب ، وصَفْوانَ

---

(١) قدرا : منزلة .

(٢) الإشراف : النظر من مكان عال .

(٣) ينظرون قتالهم : ينظرون إليهم وهم صفوف واقفون فى القتال كصفوف الملائكة .

(٤) الشعب : منفرج بين جبلين ؛ يعنى أنه قريب منك لاعذر لك فى التخلف عنه . يريد: فتخلفك منه هذا أعجب من نطقى الذى تعجبت منه .

(٥) بوفرها : بتمامها وكمالها ، لم ينقص منها شىء .

(٦) هذا الحديث رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه .

(٧) وأنه ؛ أى أهبان بن أوس . (٨) وأنه ؛ أى سلمة .

(٩) ليس فى ب . (١٠) جرى : وقع واتفق .

ابن أُمَيَّة ، مع ذئبٍ وَجَدَاه أَخَذَ ظَبْياً ، فدخل الظَّبْيُ الحَرَم ؛ فانصرفَ الذئبُ ؛ فعَجِبا من ذلك ، فقال الذئبُ : أَعجبُ من ذلك محمدُ بنُ عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجَنَّةِ وتدعونه إلى النار[١] .

فقال أبو سُفْيان : واللاتِ والعُزَّى، لئن ذكرتَ[٢] هذا بمكة لتتركنَّها خُلُوفا[٣] .

وقد رُوِى مِثْلُ هذا الخبَرِ ، وأنه جَرَى لأبي جَهْل وأصحابه .

وعن عباس بن مِرْدَاس لمّا تعجَّب من كلام ضِمَار صَنَمِه[٤] ، وإنشادِه[٥] الشّعر الذى ذكر فيه النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا طائرٌ سقطَ ، فقال : يا عباس ؛ أَتعجبُ من كلام ضِمَار ، ولا تعجب من نَفْسِك ؟ إنَّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم يَدْعُو إلى الإسلام وأنتَ جالسٌ ؛ فكان سببَ إسلامه[٦] .

(١) يدعونه إلى النار بقولهم له : لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود فى النار .

(٢) لئن ذكرت : أبو سفيان يخاطب صفوان بن أمية .

(٣) خلوفا : المراد تركها خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا ، ويرتحلوا إلى النبى بالمدينة ، لأن من سمع مثل هذا لايتردد فى صحة رسالته . أو المراد : يدعها وأهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة وفى شرح القارى (١ـ٦٣٥): خلوفا: بلا راع ولا حام؛ وكذلك فى النهاية . وفى هامش ب : الحى الخلوف : الذى رحل رجاله وبقى نساؤه .

(٤) الصنم : اسمه ضمار . وكان هذا الصنم يعبده مرداس ورهطه . وفى ب : ضماد — بالدال المهملة . وفى تاج العروس — ضمر : وضمار : صنم عبده العباس بن مرداس السلمى ورهطه . وفى التبصير (٨٥٧) : وضمار : اسم صنم عباس بن مرداس .

(٥) فى نسيم الرياض (٣ — ٨٥) : هذا الشعر هو :

أودى ضمار وكان يعبد مرة ... قبل البيان من النبى محمد
وهو الذى ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتد
قل للقبائل من سليم كلها ... أودى ضمار وعاش أهل المسجد

وهذا الشعر أيضا فى شرح القارى (١ — ٦٣٥) . وفيه : كان يعبد مدة .

(٦) قال القارى (١ — ٦٣٥) : وهذا الحديث كما فى الطبرانى الكبير بسند لابأس به قريب مما هنا .

وعن جابر[1] بن عَبْد الله رضِيَ اللهُ عنهما ، عن رجل أَتَى النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم وآمنَ به وهو على بعض حصونِ خَيْبَرَ ، وكان فى غَنَمٍ يرعاها لهم[2] ؛ فقال : يارسول الله ، كيف بالغنم[3] ؟ قال : احْصِبْ وجُوهَها[4] ؛ فإنَّ الله سيؤدِّى عنكَ أمانتَكَ ، ويردُّها إلى أهلها .

ففعلَ ، فسارَتْ كلُّ شاةٍ حتى دخلَتْ إلى أهلها .

وعن أَنَسٍ[5] رضى الله عنه : دخل النبىُّ صلّى الله عليه وسلم حائطَ[6] أنصاريٍّ وأبو بكر وعُمر ورجلٌ من الأنصار رضِيَ اللهُ عنهم ، وفى الحائط غَنَم فسجدَتْ له . فقال أبُو بكر : نحن أحقُّ بالسجود لكَ منها . . . الحديث .

وعن أبى هريرة[7] رضى اللهُ عنه : دخل النبىُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم حائطا ، فجاء بعيرٌ فسجد له ، وذكر مِثْلَه .

ومِثْلُه فى الجَمَلِ[8] — عن ثعلبة بن مالك ، وجابر بن عبد الله[9] — ويَعْلى ابن مُرّة[10] ، وعبد الله بن جعفر[11] ؛ قال : وكان لا يدخلُ أحدٌ الحائطَ إلّا شدَّ

---

(١) فى حديث رواه البيهقى . (٢) لهم : لأهل خيبر .

(٣) كيف بالغنم : كيف أفعل بالغنم إذا أسلمت ، وهى ملك لغيرى ، وأنا أجير .

(٤) احصب وجوهها : ارمها فى وجوهها بالحصباء ؛ وهى صغار الحجارة ودقاقها .

(٥) فى حديث صحيح مسند ، رواه أحمد ، والبزار .

(٦) حائط : المراد به بستان .

(٧) فى نسيم الرياض (٣ — ٨٧) : هذا الحديث رواه البزار بسند حسن . وكذلك قال القارى (١ — ٦٣٦) .

(٨) رواه أبو نعيم .

(٩) رواه أحمد ، والدارمى ، والبزار ، والبيهقى .

(١٠) رواه أحمد ، والحاكم ، والبيهقى .

(١١) رواه مسلم ، وأبو داود — الحديث فى مسند الطيالسى : ٢ — ١٣٤

عليه الجَمَلُ[١] ؛ فلما دخل عليه النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلّم دَعَاه ، فوضع مِشْفَرَه[٢] ، على الأَرض ، وبَرَكَ بين يديه ، فخطَمه[٣] ، وقال : ما بين السماء والأَرض شيء إلّا يَعْلَمُ أني رسولُ الله إلّا[٤] عاصي الجنّ والإنس[٥] .

ومِثْلُه[٦] عن عَبْد الله بن أبي أَوْفى .

وفي خبر آخر في حديثِ الجَمَل أَنّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم سألهم عن شأْنِه ، فأخبروه أنهم أرادوا ذَبْحَه .

وفي رواية أن النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلم قال لهم : إنه شَكَا كَثْرةَ العملِ ، وقلّةَ العلف من صِغَره ، فقالوا : نَعَمْ .

وقد رُوِي [١١٢] في قصة العَضْبَاء[٧] وكلامِها النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، وتعريفها له بنفسها ، ومبادرةِ العُشْبِ إليها في الرَّعْي ، وتجنُّبِ الوحوشِ عنها[٨] ، وندائهم[٩] لها : إنكِ لمحمّد ، وأنها لم تأْكل ولم تشرب بعد موته حين ماتَتْ .

ذكره الإسْفَرايني[١٠] .

---

(١) شد عليه الجمل : أسرع وحمل عليه . يعني أن هذا الجمل كان عقورا هائجا .

(٢) المشفر في الإبل كالشفة للإنسان .

(٣) خطمه : فوضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وعلى فمه ، وقد انقاد للنبي متذللا بعد أن كان لا يطاق .

(٤) في ا : لا يعلم .

(٥) أي إلا من عصى الله ورسوله وكفر ، فإنه ينكر معرفتي .

(٦) رواه أبو نعيم ، والبيهقي .

(٧) العضباء : اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم . ومعناها المشقوقة الأذن .

(٨) أي عدم أذيتها وأكلها لها .

(٩) عليها علامة الصحة في ا ، وفي هامشه : وقولهم .

(١٠) في شرح القاري (١–٦٣٧) : قال الدلجي : وأما قصة العضباء فلم أدر من رواها ، ولا حديث حمام مكة .

وروى ابنُ وَهْبٍ[١]، أنّ حمامَ مكةَ أظلّت النبيّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ فَتْحِها، فدعا لها بالبركة .

ورُوى عن أنس[٢] ، وزيد بن أَرْقَم ، والمغيرة بن شعبة — أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : ليلة الغارِ أمر اللهُ شجرةً[٣] ، فنبتت تُجاهَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر حمامتَيْنِ فوقَفَتا بفَمِ الغار .

وفى حديثٍ آخر[٤] : وأنّ العنكبوتَ نسجت على بابه ؛ فلما أتى الطالبون له ، ورأوا ذلكَ قالوا : لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتانِ ببابه ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يسمَعُ كلامَهم ؛ فانصرفوا .

وعن عبد الله بن قُرْط[٥] : قُرِّبَ إلى رسول[٦] الله صلى الله عليه وسلم بَدَناتٌ[٧] خَمْس أو ستٌّ أو سبع ، ليَنْحَرَها يوم عيد ، فازْدَلفن[٨] إليه بِأَيّهن يبدأ .

وعن أُمِّ سلَمة[٩] : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم فى صحراء ، فنادَتْه ظَبْيةٌ ،

---

(١) فى نسيم الرياض (٣-٨٩) : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٢) رواه عنه ابن سعد ، والبزار ، والطبرانى ، والبيهقى ، وأبو نعيم .

(٣) الغار هو غار ثور الذى اختفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر .

(٤) رواه ابن سعد ، والبزار ، والطبرانى ، والبيهقى ، وأبو نعيم .

(٥) هذا الحديث رواه الحاكم ، والطبرانى ، وأبو نعيم مسندا .

(٦) فى ا : إلى النبى . . .

(٧) بدنات : جمع بدنة ؛ وهى مايعد للنحر من الإبل خاصة . وقال ابن الأثير : إنها من الإبل والبقر ؛ وسميت بدنة لعظم بدنها .

(٨) ازدلفن إليه : تقدمت كل واحدة منهن إليه رغبة فى أن يذبحها ، انقيادا له بإلهام من الله .

(٩) فى حديث رواه الطبرانى ، والبيهقى ، وصححه ابن حجر . وقال ابن كثير : إنه لا أصل له ، لأن فى سنده مجاهيل .

يارسولَ الله . قال : ما حاجُتك ؟ قالت : صادَنى هذا الأعرابىّ ، ولى خِشْفَان[1] فى ذلك الجَبَل ، فأَطْلِقْنى حتى أذهبَ فأُرْضِعهما وأَرْجِعَ .

قال : و تَفْعلين ؟ قالت : نعم . فأطلقها ، فذهبت ورجعت ، فأوثقها[2] ، فانْتَبه الأعرابىُّ وقال : يارسولَ الله ؛ أَلكَ حاجةٌ ؟ قال : تُطلِق هـــذه الظَّبْيَة . فأطلقها فخرجَتْ تَعْدُو[3] فى الصحراء ، وتقول : أشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله ، وأنك رسولُ الله.

ومِنْ هذا البـــاب[4] ما رُوى[5] مِنْ تسخير الأَسَدِ لسفينةَ مولى رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم ؛ إذ وجَّههُ إلى مُعاذٍ باليَمن ، فلَقِى الأَسدَ فعرّفه أنه مَوْلَى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، ومعه كِتابُه ، فهَمْهَم[6] وتنحّى[7] عن الطريق ، وذكر فى مُنْصَرفه مِثْلَ ذلك .

وفى روايةٍ[8] أُخرى عنـــه ـ أن سفينةً تَـكسَّرَت به ، فخرج إلى جزيرةٍ فإذا الأَسدُ ؛ فقلتُ له : أنا مَوْلَى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل يَغْمِزنى[9] بمَنْـكِبه حتى أقامنى على الطريق[10] .

---

(١) الخشف : الظبى الصغير الذى ولدته أمه .

(٢) أوثقها : ربطها كما كانت . (٣) تعدو : تجرى .

(٤) من هذا الباب : من باب المعجزات بإطاعة الحيوانات .

(٥) فى نسيم الرياض (٣ ــ ٩٢) : قال السيوطى : لم أقف على هذا الحديث هـكذا . وأخرج البيهقى أنه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بأرض الروم ، إلا أن البخارى ذكره فى تاريخه ، كما قال المصنف فلا اعتراض عليه .

(٦) الهمهمة : صوت لايفهم .

(٧) تنحى عن الطريق : تأخر عنه فى ناحية متباعدة عن الطريق إذهابا لخوفه .

(٨) وهذه الرواية هى التى رواها البيهقى والبزار وصححها السيوطى فى تخريجه .

(٩) يغمزنى : يدفعنى دفعا خفيفا . والمنـكب : مابين الـكتف والعنق .

(١٠) أقامنى على الطريق : دلنى على الطريق .

وأخذ — عليه السلام — بأُذُنِ شاةٍ لقومٍ من عبد القيس بين إصبَعيه ، ثم خلّاها[(١)] فصار لها مِيْسما[(٢)] ، وبقِيَ ذلك الأثرُ فيها وفى نَسلها بعدُ[(٣)] .

وما رُوِيَ عن[(٤)] إبراهيم بن حَمّادٍ بسنَده من كلام الحمار الذى أصابه[(٥)] بخَيْبَر ، وقال له : اسمى يزيدُ بن شهاب .

فسمّاه النبىُّ صلّى اللهُ عليه وسلم يَعْفُورا ، وأنه كان يوجِّهُهُ إلى دُور أصحابه ، فيضرب عليهم البابَ برأسه ، ويَستدْعِيهم ؛ وأنَّ النبىَّ صلى اللهُ عليه وسلم لما مات تردَّى[(٦)] فى بئرٍ جَزَعاً وحُزْناً ، فمات .

وحديثُ الناقةِ[(٧)] التى شهِدتْ عندالنبىِّ صلَّى اللهُ عليهوسلم لصاحِبها أنه ماسرقها ، وأنها مِلْكُه .

وفى العَنْز[(٨)] : التى أتتْ رسولَ اللهِصلى اللهُ عليه وسلم فىعسكره ، وقد أصابهم عَطَش ، ونزلوا علىغير ماء ، وهم زُهاء[(٩)] ثلاثمائة ، فحلبها رسولُ اللهِ صلىاللهعليهوسلم ، فأرْوى الُجندَ ، ثم قال لرافع : أمْلِكْها وما أُراكَ[(١٠)] . فربطها فوجدهاقد انطلقت .

(١) خلاها : نحى إصبعه عنها وتركها .

(٢) ميسما : علامة ؛ أى صار أثر إصبعيه لها علامة .

(٣) قال فى نسيم الرياض (٣ — ٩٣) : وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين .

(٤) هذا الحديث رواه ابن حبان ، لكنهم قالوا : إنه ضعيف : وقال ابن الجوزى : إنه كذب موضوع .

(٥) أصابه بخيبر : وجده بها لما فتحها . أو أصابه : كان فى سهمه .

(٦) تردى : ألقى نفسه وطرحها فى بئر .

(٧) رواه الطبرانى عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل ، والحاكم عن ابن عمر . وقال الذهبى : إنه موضوع .

(٨) أخرجه ابن سعد ، والبيهقى ، وابن عدى ، عن سعد مولى أبى بكر رضى الله عنه.

(٩) وهم زهاء : أى قريب عددهم من ذلك .

(١٠) أملكها: خذها واتخذها ملكا لك، لأنها لا صاحب لها ،إذوجدت بأرض العدو. ويحتمل أن يكون معناه : شدها وأوثقها ، واربطها . وما أراك : ماأظنك تملكها وتحفظها .

راوه ابنُ قانع وغَيْرُه [1] ؛ وفيه : فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إنّ الذى جاء بها هو الذى ذهب بها [2] [١١٣] .

وقال لفرسه — عليه السلام — وقد قام إلى الصلاة فى بعضِ أسفاره : لا تَبْرحْ [3] ، باركَ اللهُ فيك حتى نَفْرَغَ من صلاتنا ، وجعله قِبْلَتَه ، فما حرّكَ [4] عُضْواً حتى صلى صلى اللهُ عليه وسلم .

[ويلتحقُ بهذا ما راوه الواقدى — أنّ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم لما وجّهَ رسُلَه إلى الملوك ، فخرج ستّةُ نفرٍ منهم فى يوم واحد ، فأصبح كلُّ رجلٍ منهم يتكلم بلسانِ القوم الذين بعثه إليهم] [5] .

والحديثُ فى هذا الباب كثير، وقد جئنا منه بالمشهور، وماوقع فى كتبِ الأئمة .

فصـــل

فى إحياء الموتى وكلامهم ، وكلام الصبيان والمراضع [6]
وشهادتِهم له بالنبوة صلّى الله عليه وسلم

حدثنا أبو الوليد هِشَام [7] بن أحمد الفقيه بقراءتى عليه ، والقاضى أبو الوليد محمد ابن رُشْد ، والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى ، وغَيْرُ واحدٍ سماعا وإذْناً ؛

---

(١) رواه أيضا البيهقى ، وابن عدى ، عن جماعة من الصحابة .

(٢) يعنى الله ، أو الملك .

(٣) لاتبرح : لاتزل من مكانك الذى أوقفتك فيه ، ولا تفارقه .

(٤) قبلته : جعله فى جهة قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه .

(٥) فى هامش ا ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

(٦) الصبيان : الذين فى المهد ، الذين لم يصلوا إلى سن يتكلم فيه مثلهم . والمراضع : جمع مرضع اسم مفعول ؛ وهو الولد الصغير . وقال القارى (١ — ٦٦٢) : جمع راضع ، على خلاف القياس .

(٧) هذا الحديث أورده أبو داود مسندا عن أبى هريرة .

قالوا : حدثنا أبو على الحافظ ، [قال :][1] حدثنا أبو عُمر[2] الحافظ ، حدثنا أبوزيد عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سَعِيد ، حدثنا ابنُ الأعرابى . . .

حدثنا أبو داود[3] ، حدثنا وهْب بن بَقِيَّة ، عن خالد - هو الطَّحان ، عن محمد ابن عَمْرو ، عن أبى سلَمة ، عن أبى هريرة رضىَ الله عنه - أنَّ يهوديَّةً أهْدت للنبى صلى الله عليه وسلم بخَيْبَر شاةً مَصْلِيَّة[4] سَمَّتْهَا ، فأكل رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم منها ، وأكل القَوْمُ ، فقال : ارفَعُوا أيدِيَكم ، فإنها أخبرتنى أنها مسمومة .

فمات بِشْر بن البراء .

وقال لليهودية : ماحملكِ على ما صَنَعْتِ ؟ قالت : إنْ كنتَ نبيًّا لم يَضُرّك الذى صنعتُ ، وإنْ كنتَ ملكا أرحْتُ الناسَ منك .

قال : فأمر بها فقُتِلت .

وقد رَوى هذا الحديثَ أنس ، وفيه : قالت : أردتُ قَتْلَك . فقال : ما كان اللهُ لِيُسلِّطكِ[5] على ذلك . فقالوا : نقتلها ؟ قال : لا .

وكذلك رُوى عن أبى هريرة - من رواية غير وهب ، قال : فما عَرضَ[6] لها .

ورواه أيضا[7] جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرتنى هذه الذِّرَاعُ - قال : ولم يعاقِبْها .

---

(١) من ب . (٢) هو ابن عبد البر .

(٣) الإمام صاحب السنن . وحديث الشاة المسمومة فى سنن أبى داود : ٢ - ١٥٩ ، وصحيح البخارى : ٣ - ٢٠٢ ، وصحيح مسلم : ١٧٢١ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١١٣

(٤) مصلية : مشوية . سمتها : وضعت فيها السم . وفى النهاية : شاة مصلية بفتح الميم : مشوية ، يقال : صليت اللحم - بالتخفيف ؛ أى شويته ، فهو مصلى . وهذا الضبط فى ب . وفى ا ضبطت الميم بالضمة .

(٥) ليسلطك : يقدرك ويمكنك . (٦) فما عرض لها : أى إنه تركها .

(٧) كما فى سنن أبى داود ، والبيهقى .

[وفى رواية الحسن أنّ فَخِذَها تكلمنى أنها مسمومة .

وفى رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن قالت : إنى مسمومة][١] .

وكذلك ذكر الخبرَ ابنُ إسحاق ، وقال فيه : فتجاوز[٢] عنها .

وفى الحديث الآخر[٣] ، عن أنس ، قال : فما زلْتُ أعرِفُها فى لَهَواتِ[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى حديث أبى هُريرةَ[٥] ـ أنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم قال ـ فى وجَعِه الذى مات فيه: ما زالَتْ أُكْلَةَ[٦] خَيْبَر تُعادُّنى[٧] ؛ فالآن أوَانَ قطعَتْ أبْهَرى[٨].

وحكى ابن إسحاق : إنْ كان المسلمون ليَرَوْنَ أنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مات شهيدا[٩] مع ما أكرمَهُ اللهُ به من النبوّة .

وقال ابْنُ سُحْنون : أجمع أهلُ الحديث أنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قتلَ اليهوديّة التى سمَّتْهُ .

---

(١) فى هامش ا ، ب : من أصله بخطه من غير الرواية .

(٢) فى سيرته . وتجاوز عنها: عفا عنها ولم يقتلها فى أول الأمر . ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به . وفى شروح البخارى اختلاف فى هذا .

(٣) رواه الشيخان .

(٤) لهوات : جمع لهاة ، وهى لحمة فى أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان ، وأول الحلق . وكأنه يريد بها الفم ؛ أى كان لها أثر ظاهر فى فمه . وقيل المراد بها أنها أثرت فى صوته تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله . والحديث فى البخارى كما تقدم .

(٥) رواه عنه ابن سعد بسند صحيح .   (٦) أكلة : مايؤكل .

(٧) تعادنى : تعود إلى مرة بعد مرة فى أوقات معلومة . أو تعتادنى .

(٨) الأبهر : عرق كبير متصل بالقلب . وفى هامش ب : الأبهر : العرق الذى فى وسط الظهر إذا انقطع لايتصور معه حياة . وفى شرح القارى (١ – ٦٤٤) : الأبهر : عرق يكتنف الصلب والقلب إذا قطع لم تبق معه حياة .

(٩) مات شهيدا : أى بسم الشاة .

وقد ذكرنا اختلافَ الرِّواياتِ في ذلك عن أبي هريرة، وأنس، وجابر.

[وفي رواية ابنِ عباس (١) رضى الله عنهما — أنه دفَعَها لأولياء بشْرِ بن البراء فقتلوها.

وكذلك قد اختلف في قَتْلِه للذى سحَره (٢)؛ قال الواقدى: وعَفْوُهُ عنه أثبتُ عندنا.

ورُوِى عنه أنه قتله] (٣).

وروَى الحديثَ (٤) البزّارُ، عن أبي سَعِيد، فذكر مثْلَه، إلا أنه قال في آخره: فبسط يدَه وقال: كلُوا بسم اللهِ، فأكلْنا، وذكر اسم الله؛ فلم تضرّ منا أحدا (٥).

قال القاضى أبو الفضل (٦): وقد خرّج حديثَ الشاةِ المسمومة أهلُ الصحيح، وخرّجه الأئمة، وهو حديثٌ مَشْهُورٌ (٧).

واختلف أئمةُ النظَرِ في هذا الباب؛ فمِنْ قائل يقول: هو كلامٌ يخلقُه اللهُ تعالى في الشاةِ [١١٤] الميّتة (٨)، والحجر، أو الشجَرِ، وحروفٌ وأصواتٌ يُحْدِثُها اللهُ فيها، ويُسمِعها منها دونَ تغيير أشكالها، ونَقْلِها عن هيئتها.

---

(١) رواها ابن سعد.

(٢) الذى سحره يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم.

(٣) في هامش ا: من الأم، من غير الرواية.

(٤) أى حديث الشاة المسمومة السابق.

(٥) في نسيم الرياض (٣ — ١٠٣): قال السيوطى؛ نقلا عن الشيخ ابن حجر: إن هذا الحديث منكر. وقال القارى (١ — ٦٤٥): ولعل وجه الإنكار عموم نفي الإضرار، مع أنه ثبت في الصحيح موت البراء منه، كما سبق بالتصريح؛ وكذلك تقدم أنه — صلى الله عليه وسلم تضرر منها حتى إنها كانت لتعاوده.

(٦) هو مصنف الكتاب. (٧) تقدم تخريجه.

(٨) في ا: في الشاة والميتة. والمثبت في ب.

وهو مَذْهَبُ الشيخ أبي الحسَنِ (١) ، والقاضي أبي بكر (٢) رحمهما اللهُ .

وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياةِ بها ، ثم الكلامِ بعده .

وحُكِيَ هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن (١) ؛ وكلٌّ محتمَل ، واللهُ أعلم ؛ إذ لم نجْعلِ الحياةَ شرطا لوجود الحروف والأصوات ؛ إذ لا يستحيلُ وجودُها مع عدم الحياة بمجرّدها . فأمّا إذا كانت عبارةً عن الكلام النفسيّ فلا بُدّ من شَرْط الحياة لها ؛ إذ لا يوجَدُ كلامُ النفْس إلا مِنْ حَيٍّ ، خلافا للجُبّائي (٣) من بين سائر متكلّمي الفِرَق في إحالة (٤) وجودِ الكلامِ اللفظيّ والحروف والأصواتِ إلا مِنْ حيٍّ مركَّبٍ على تركيبِ مَنْ يصِحُّ منه النطقُ بالحروف والأصوات .

والتزم ذلك في الحصى ، والجِذْعِ ، والذّراع ؛ وقال : إنَّ اللهَ خلق فيها حياةً ، وخَرَقَ لها فماً – ولسانا ، وآلةً أمكنها بها من الكلام .

وهذا لو كان لكان نَقْلُه (٥) والتهمّمُ (٦) به آكدُ من التهمّم بنَقْل تسبيحه أو حنينه ، ولم ينقُلْ أحدٌ من أهل السِّيَر والرِّوَاية شيئا من ذلك ؛ فدلّ على سقوط دَعْوَاه ، مع أنه لا ضرورةَ إليه في النَّظر ؛ والموفّق الله .

ورَوَى وَكيعٌ – رَفْعَه عن فَهْد (٧) بن عطية – أنّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم أُتِيَ بصبيٍّ قد شبَّ (٨) لم يتكلّم قطُّ ؛ فقال : مَنْ أنا ؟ فقال : رسولُ الله .

---

(١) هو الأشعري . (٢) هو الباقلاني . (٣) شيخ المعتزلة توفي سنة ثلاث وثلاثمائة .

(٤) إحالة : عده محالا عقلا وعادة . (٥) لكان نقله : لوجد نقله وسمع .

(٦) التهمم به : الاهتمام والاعتناء به .

(٧) هذا في ا ، ب . وفي هامش ب : فهر . وقال القاري (١ – ٦٤٧) : فهد – بالدال في آخره، وفي نسخة بالراء ، وكلاهما لا يعرف، على ما ذكره الدلجي. وفي المواهب : عن مهد – بالميم والدال ، ولعله تصحيف ؛ وإنما روى البيهقي عن سمر بن عطية – بكسر السين المهملة وسكون الميم ، في آخره راء ، عن بعض أشياخه .

(٨) شب : كبر ، وصار شابا .

ورُوى عن مُعَرِّض[1] بن مُعَيْقيب : رأيتُ مِنَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم عَجَباً ؛ جِئ بصبيٍّ يوم وُلِد . . . فذكر مثْلَه .

وهو حديثُ مُبارَك اليمامةِ ، ويُعرف بحديث شاصُونة : اسم رَاويه ، وفيه :

فقال له النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم : صدقْتَ ، باركَ اللهُ فيك[2] .

ثم إنّ الغلَامَ لم يتكلّم بعدها حتى شبّ ، فكان يسمّى مُبارَك اليمامة .

وكانت هذه القصةُ بمكة فى حجةِ الوداع .

وعن الحسن : أتى رجلٌ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر أنه طرحَ[3] بُنَيَّة له فى وادِى كذا ، فانطلق معه إلى الوَادى ، وناداها باسمها : يافلانةُ ، أَجيبى بإذنِ الله ؛ فخرجت وهى تقول : لَبّيْك وسَعْدَيْكَ[4] ! فقال لها : إنّ أَبَوَيْكِ قد أَسْلَما ؛ فإنْ أَحْبَبْتِ أن أردّكِ عليهما ؟ قالت : لاحاجةَ لى فيهما ؛ وَجَدْتُ اللهَ خيرا منهما[5] .

وعن أنس[6] أنّ شابًّا من الأنصار تُوفّيَ وله أمٌّ عجوزٌ عَمْياء ، فسجَّيْناهُ[7] ،

---

(١) فى ب : ضبطت الراء المشددة بالفتحة والكسرة ، وكتب عليها « معا » . وقال القارى (١ — ٦٤٧) : وروى معرض — بكسر أوله ، كأنه آلة .

(٢) فى نسيم الرياض (٣ — ١٠٦) : قال السيوطى : قد وقعت روايته من طرق ؛ فهو حديث حسن . وقد وقع فى حجة الوداع ، وكانت سنة ست عشرة من الهجرة ، مع كثرة الناس ؛ فكان حقه أن يشتهر .

(٣) طرح بنية له : رماها فماتت . وقيل : إنه وأدها على عادة الجاهلية .

(٤) لبيك وسعديك : إجابة لك بعد إجابة ، وإسعادا لك بعد إسعاد . ومعناه سرعة الإجابة والانقياد .

(٥) قال فى شرح القارى (١ — ٦٤٩) : والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه .

(٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن عدى ، مسندا ورواه أيضا ابن أبى الدنيا ، وأبو نعيم .

(٧) سجيناه : غطيناه .

وعزَّ بناها، فقالت : مات ابني ؟ قُلْنَا: نعم . قالت: اللهمّ إنْ كنت تعلمُ أني هاجرتُ إليك وإلى نبيّك رجاء أن تُعيِنَني على كل شدة فلا تَحْمِلَنَّ عليَّ هذه المصيبة .

فما برحْنَا أنْ كشفَ الثوبَ عن وَجْهِه ، فطَعِمَ وطَعِمْنَا (١) .

ورُوِى(٢) عن عَبْد اللهِ بن عُبَيد الله الأنصارى: كنتُ فيمن دفَن ثابت بن قيس ابن شماس ، وكان قتِل باليمامة(٣) ؛ فسمِعْنَاهُ حين أدخلناهُ القَبْرَ يقول : محمدٌ رَسُولُ اللهِ ، أبو بكر الصدِّيقُ ، عُمَر الشهيدُ ، عثمانُ البَرُّ(٤) الرحيمُ ؛ فَنَظَرْنا فإذا هو ميّت.

وذُكِر(٥) عن النُّعْمانِ بن بشير أن زَيْد بن خارجة خَرَّ ميّتاً(٦) فى بعض أزِقَّةِ المدينة(٧) ؛ فرُفِع وسجِّى(٨) إذ سمعوه بين العشاءَيْن(٩) والنساء يَصْرُخْنَ حولَه يقول: أنْصِتُوا ، أنصتوا ؛ فَحَسر عن(١٠) وجْهِهِ ؛ فقال : محمدٌ [١١٥] رسولُ اللهِ ، النبيُّ الأمِّيُّ ، وخاتَمُ النبيّين ؛ كان ذلك فى الكتاب الأوّل ؛ ثم قال : صَدَّق ، صدَّق(١١) ؛ وذَكَر أبا بكر ، وعُمر ، وعثمان ؛ ثم قال : السلام عليكَ يا رسولَ اللهِ ، ورحمة الله وبركاتُه ؛ ثم عاد ميتا كما كان(١٢) .

---

(١) قال فى شرح القارى (١ – ٦٤٩) : هذا ليس فيه صريح دلالة على إحيائه بعد إماتة ، لاحتمال إغمائه ، لكن زال الغم بدعاء الأم.

(٢) الراوى له هو البيهقى .

(٣) كانت وقعة اليمامة سنة ١٢ فى خلافة الصديق أبى بكر .

(٤) البار لقومه عامة . وفى ا : وعثمان . . . .

(٥) وهذا مما رواه الطبرانى ،وأبو نعيم ،وابن منده ؛ورواه ابن أبى الدنيا عن أنس أيضا.

(٦) خر ميتا : سقط ميتا .

(٧) أزقة : جمع زقاق ؛ وهو الطريق .

(٨ - : غطى .

(٩) العشاءين : المغرب والعشاء .

(١٠) حسر عن وجهه : كشف غطاءه .

(١١) هذا الضبط فى ا .

(١٢) ذكر صاحب الاستيعاب (٥٤٧) أن زيد بن خارجة بن زيد هو الذى تكلم بعد الموت ، لا يختلفون فى ذلك . وقال فى أسد الغابة (٢ – ٢٣٧) : وهو الذى تكلم بعد الموت فى أكثر الروايات . وهو الصحيح .

فصل

فى إبراء المَرْضى وذَوِى العاهات [1]

أخبرنا أبو الحسَن علىّ بن مُشَرَّف فيما أجازَنيه وقرأتُه على غيره ؛ قال : حدثنا أبو إسحاق الحبّال ، [قال][2] : حدثنا أبو محمد بن النحاس ، حدثنا ابن الوَرْد ، عن البَرْقىّ ، عن ابن هشام ، عن زيادٍ البَكّائى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنا ابنُ شهاب ، وعاصمُ بن عُمر بن قَتَادة وجماعةٌ ذكرهم بقضية أُحُد[3] بطولها ؛ قال: وقالوا[4] : قال سعد بن أبى وقاص : إنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لَيُناولنى السَّهْمَ لا نَصْلَ[5] له ، فيقول : ارْمِ به ؛ وقد رَمَى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عن قَوْسه حتى اندقّت[6] ، وأُصيب يومئذ عَيْنُ قتَادةَ – يعنى ابن النعمان – حتى وقعَتْ على وجْنَتهِ[7] ، فردّها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فكانت أحسنَ عَيْنيه .

ورَوَى قصّةَ قتَادةَ عاصِمُ بنُ عُمَر بن قتادةَ ، ويزيد بن عياض بن[8] عُمر ابن قتَادة .

ورَوَاها أبو سَعِيد الخُدْرىّ[9] عن قتادة .

---

(١) إبراء المرضى : زوال مرضهم ، وحصول الشفاء لهم . والعاهات : جمع عاهة ، وهى الآفة . (٢) من ا (٣) يريد غزوة أحد .

(٤) فى ب : قالوا . وهذا الخبر فى سيرة ابن هشام : ٣ – ٣٠

(٥) النصل : حديدة فى طرف السهم والرمح .

(٦) عن قوسه : بقوسه . اندقت : انكسرت .

(٧) الوجنة : أعلى الخد ، وما يلى العين من الوجه ، ويطلق على الخد كله .

(٨) هذا فى ا ، ب . وقال القارى (١ – ٦٥٢) : لم يعرف فى رواة الحديث ، بل ولا فى حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض بن عمر بن قتادة . وقال الحلبى : الصواب يزيد ابن عياض ، عن ابن عمر بن قتادة .

(٩) روى ذلك البيهقى ؛ وهى فى الاستيعاب : ١٢٧٦ ، والإصابة : ٥ – ٤١٧

وبَصَق[١] على أثرِ سَهْمٍ في وَجْهِ أبي قَتَادة في يوم ذي قَرَد[٢] ؛ قال : فما ضَرب عليّ ولا قاح[٣] .

وروَى النّسائي[٤] ، عن عثمان بن حُنَيف — أنّ أعمَى قال : يا رسُولَ الله ؛ ادْعُ اللهَ أن يكشفَ لي عن بَصَرى .

قال : فانطلِقْ فتوضَّأْ : ثم صَلِّ ركعتين ؛ ثم قل : اللهم إنّى أسألكَ وأتوجّهُ إليك بنَبِيِّ محمدٍ نبيّ الرحمةِ ؛ يا محمدُ ؛ إني أتوَجّهُ بكَ إلى ربّك أنْ يكشفَ عن بَصَرى ، اللهمّ شفِّعْهُ فيّ[٥] .

قال : فرجَع وقد كشَف اللهُ عن بصره .

ورُوِى[٦] أنّ ابنَ مُلَاعب الأسنّة أصابه استِسْقاء[٧] ، فبعثَ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم[٨] ، فأخذ بيده حَثْوَةً[٩] من الأرض ، فتفَل عليها ؛ ثم أعطاها رسولَهُ ،

---

(١) على أثر سهم : أى جعل ريقه على جراحة في وجه أبي قتادة .

(٢) ذى قرد : اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر .

(٣) ما ضرب علي : ما آلمني ، ولا أوجعني . ولا قاح : ماسال منه قيح ومدة . والقيح : الصديد ، وهو شيء كالماء أصفر يخالطه قليل دم .

قال في نسيم الرياض (٣ — ١١٣) : وهو حديث حسن صحيح ، رواه الترمذي والبيهقي .

(٤) والترمذي ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححوه .

(٥) اللهم شفعه في : أى اقبل شفاعته في .

(٦) الراوى هو الواقدى ، وأبو نعيم عن عروة . وملاعب الأسنة : هو عامر بن مالك . والخبر في الواقدى : ١ — ٣٥٠

(٧) في نسيم الرياض (٣ — ١١٥) : هو اسم مرض ، وهو أن يقع الماء الأصفر في بطنه .

(٨) أى أرسل إليه من يلتمس له الدعاء ليشفيه الله ببركته .

(٩) حثوة : ملء يده أو يديه من التراب . وقد ضبطت بالضم في ا ، وفي ب ضبطت بالضمة والفتحة ، وعليها « معا » . وفي الواقدى : حبوبة .

فأخذها متعجِّبا ؛ يَرَى أنْ قد هُزِئَ به ؛ فأتاه بها ، وهو على شفاً [١] ، فشربها ، فشفاهُ اللهُ .

وذكر العُقَيْلى [٢] ، عن حَبيب بن فُدَيك ؛ ويقال فُرَيك [٣] - أنَّ أباه ابيضَّتْ عيناه ؛ فكان لا يُبْصِر بهما شيئا ، فنفث [٤] رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى عَيْنَيْه ، فأبصر ، فرأيتُه يُدْخِلُ الخيْطَ فى الإبْرَة ؛ وهو ابْنُ ثمانين .

ورُمِيَ كُلْثُوم بن الحُصَيْن يومَ أُحُدٍ فى نَحْرِه [٥] ؛ فبصق رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فيه ، فبرأ [٦] .

وتَفَل [٧] على شَجَّةِ [٨] عَبْدِ الله بن أُنيس فلم تُمِدَّ [٩] .

وتَفَل فى عينَيْ علىّ [١٠] يوم خَيْبَر ، وكان رَمِداً ، فأصبح بارئا .

ونفث على [١١] ضَرْبةٍ بساقِ سلَمَةَ بن الأكْوَع يوم خَيْبَر فبرئت ؛ وفى رِجْل زَيْد بن مُعَاذ حين أصابها السيف إلى الكَعْب، حين قتل ابْنَ الأشرف، فبرئت . وعلى ساقِ علىّ [١٢] بن الحَكَم يوم الخندق إذ انكسرت ، فبرِئَ مكانه ، وما نزل عن فرسه .

---

(١) وهو على شفا : أى قريب من الموت .
(٢) أخرج هذا الحديث البيهقى ، والطبرانى ، وابن أبى شيبة ، فى مسنده .
(٣) فى ب : فويك .
(٤) نفث : تفل ريقه . وفى هامش ا : النفث بالفم : شبيه بالنفخ ، وأما التفل فلا يكون إلا ومعه شىء من الريق .
(٥) فى نحره : فى مقدم عنقه .
(٦) فى شرح القارى (١ — ٦٥٤) : قال الدلجى : لا أدرى من رواه .
(٧) رواه الطبرانى .
(٨) الشجة : جراحة ضربة فى الوجه أو الرأس .
(٩) لم تمد : أى لم يكن فيها مدة وقيح .
(١٠) فى حديث رواه الشيخان: صحيح مسلم: ١٤٤١ ،وصحيح البخارى :٥ — ١٧١
(١١) فى صحيح البخارى : ٥ — ١٧٠ ، ومسند الطيالسى : ٢ — ١٢٤
(١٢) هذا الحديث أخرجه البغوى فى معجمه، كما قال السيوطى (نسيم الرياض:٣—١١٨).

واشتكى علي[1] بن أبي طالب، فجعل يدعو؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: اشفه، أو عافه؛ ثم ضرب برجله، فما اشتكى ذلك الوجع بعدُ.

وقطع أبو جهل يوم بدرٍ يدَ مُعوِّذ بن عفراء [١١٦]، فجاء يحملُ يدَه، فبصق عليها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وألصقها فلصقت. رواه ابنُ وهب.

ومن روايته[2] أيضا أنّ خُبَيْب بن يساف أُصيبَ يوم بدر مع رسول اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم بضربةٍ على عاتقِه[3] حتى مال شِقُّه؛ فردّه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ونفثَ عليه حتى صحّ.

وأتته[4] امرأةٌ مِنْ خَثْعم، معها صبيٌّ به بَلاءٌ لا يتكلّم؛ فأُتي بماء فمضمض فاهُ، وغسل يديْه، ثم أعطاها[5] إيّاه، وأمرَها بسَقْيِه ومَسِّه به، فبرأ الغلام، وعقَل عقلًا يفضلُ عقولَ الناس.

وعن[6] ابن عبّاس: جاءت امرأةٌ بابنٍ لها به جنونٌ؛ فمسح صَدْرَه، فثَعّ[7] ثَعّةً فخرج من جَوْفه مِثْلُ الجِرْوِ[8] الأسودِ؛ فشفي[9].

وانكفأت[10] القِدْرُ على ذراعِ محمد بن حاطب وهو طفلٌ، فمسح عليه ودعا له، وتفَل فيه فبرأ لحينه[11].

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل.

(٢) أي رواية ابن وهب التي رواها ابن إسحاق، والبيهقي عنه، كما نقله السيوطي.

(٣) عاتقة: كتفه. (٤) رواه ابن أبي شيبة.

(٥) أي أعطى المرأة ذلك الماء الذي رده في إنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه.

(٦) وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده بسند متصل بابن عباس (المسند: ١ — ٢٥٤). وكذلك رواه البيهقي، وابن أبي شيبة. (٧) ثع ثعة: أي قاء مرة واحدة. وقيل ثع: سعل. قال في نسيم الرياض (٣ — ١٢١): وروى هذا الحديث من طرق متعددة.

(٨) الجرو: ولد الكلب والسبع. (٩) في ا: فسعى.

(١٠) في حديث رواه البيهقي، والنسائي، والطيالسي، مسندا مصححا فيه.

(١١) لحينه: من غير بطء.

وكانت فى كفّ شُرَحْبِيـــل الجُعْفىّ سلعَةٌ (١) تمنعُه القَبْضَ على السيفِ وعِنَانِ الدابّةِ (٢) ؛ فشـكاها للنبىِّ صلّى اللهُ وسلم ، فما زال يَطْحَنُها بكفّه حتى رفعها(٣) ، ولم يبْقَ لها أثرٌ .

وسألتْهُ(٤) جاريةٌ طعاماً ، وهو يأْكلُ ، فناولهـــا مِنْ بين يديه(٥) ، وكانت قليلةَ الحياء ؛ فقالت : إنما أُريدُ من الذى فى فِيكَ ؛ فناوَلها مافى فِيهِ ؛ ولم يكن يُسْأَل شيئا فيَمْنَعَه .

فلما استقرَّ فى جَوْفِها أُلْقِىَ عليها من الحيـــاء ما لم تـكن امرأةٌ بالمدينةِ أشدَّ حياءً منها .

فصـــــل

فى إجابة دعائه صلى اللهُ عليه وسلم

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا ؛ وإجابةُ دعوةِ (٦) النبىّ صلى اللهُ عليـــه وسلم لجماعةٍ بما دعا لهم وعليهم متواترٌ على الجملةِ ، معلومٌ ضرورةً .

وقد جاء فى حديث حُذَيفة(٧) رضِىَ اللهُ عنه : كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجلٍ أدْرَكت (٨) الدعوةُ ولدَه وولدَ ولدِه .

(١) سلعة : زيادة بين الجلد واللحم كالغدة . وتفتح سينه ؛ وتحرك لامه . وفى هامش ا : السلمة : الشجة — بفتح السين واللام .

(٢) عنان الدابة : ما تقاد به .

(٣) يطحنها : يدير كفه عليها بقوة كما تدور الرحا . حتى رفعها : حتى أزالها من كفه .

(٤) فى حديث رواه الطبرانى .

(٥) من بين يديه : أى من طعامه الذى كان بين يديه .

(٦) أى دعائه للناس وعليهم .

(٧) رواه أحمد بن حنبل .

(٨) أدركت : وصلت وأثرت .

حدثنا (١) أبو محمد العتّابىّ بقراءتى عليه ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القابسىّ ، حدثنا أبو زَيْد المَرْوَزىّ ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن (٢) إسماعيل ، حدثنا عَبْدُ الله بن أبى الأسود ، حدثنا حَرَمىٌّ ، حدثنا شُعْبة ، عن قتادةَ ، عن أنَس رضِىَ اللهُ عَنْهُ ؛ قال : قالت أُمِّى : يا رسولَ الله ، خادِمُك أنَس ؛ ادْعُ اللهَ له . قال : اللهمّ أكْثِر مالَه ووَلَده ، وبارِكْ له فيما آتيْته (٣) .

ومِنْ رواية (٤) عِكْرِمة : قال أنَس : فواللهِ ، إنَّ مالى لكثير ؛ وإنّ وَلَدِى وولدَ ولدى ليعادُّون (٥) اليومَ على نحو المائة .

وفى رواية (٦) : وما أعلمُ أحداً أصاب مِنْ رَخَاء العيش ما أصبْتُ ، ولقد دفنْتُ بيدَىَّ هاتين مائةً من ولدى ، لا أقولُ سِقْطاً (٧) ولا وَلدَ ولدٍ .

ومنه دعاؤه (٨) لعبد الرحمن بن عَوْف بالبركة ؛ قال عبد الرحمن : فلو رفعتُ حجراً لرجَوْتُ أنْ أُصِيبَ تحته ذهبا ، وفتح اللهُ عليه ، ومات فحُفِرَ الذهبُ من تركته بالفئوس (٩) حتى مَجَلَت (١٠) فيه الأيْدِى ، وأخذت كلُّ زوجةٍ ثمانين ألفا وكُنَّ أرْبعا .

---

(١) من حديث فى الصحيحين عن أنس . صحيح مسلم : ١٩٢٨

(٢) هو البخارى .

(٣) فيما آتيته : فيما أعطيته من المال والولد . والحديث فى الترمذى أيضا : ٥ — ٦٨٢

(٤) أخرجه مسلم (صحيح مسلم : ١٩٢٩) .

(٥) يعادون : يزيدون .

(٦) فى نسيم الرياض (٣ — ١٢٤) : قالوا : هذه الرواية لا يعرف من رواها .

(٧) سقطا : ماسقط من بطن أمه قبل مدة تمام حمله ، وأوان ولادته .

(٨) رواه البيهقى .

(٩) كان عنده من الذهب قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت .

(١٠) مجلت : المجل : تنفط يكون فى اليد من كثرة العمل . فيه : فى الحفر ؛ أى حتى خرج فى أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم . وقد ضبطت الجيم بالفتحة والكسرة فى ا .

وقيل مائة ألف . وقيل : بل صُولحت إحداهنّ ؛ لأنه طلّقها فى مرَضِه على نَيِّف[١] وثمانين ألفا، وأوْصَى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية[٢] فى حياته، وعَوَارِفِه[٣] العظيمة: أعتق يوما ثلاثين عَبْدًا ، وتصدّقَ مرةً بعير فيها سبعمائة بَعير[٤] ، وردَتْ عليه تَحْمِلُ من كل شىء [١١٧] ، فتصدّقَ بها وبما عليها ، وبأقْتَابِها وأَحْلَاسِها[٥] .

ودعا لمعاوية بالتمكين فى البلاد ، فنال الخلافة . ولسعد بن أبى وقّاص رضى الله عنه أنْ يجيبَ اللهُ دعوتَه ، فما دَعَا عَلَى أحدٍ إلّا استُجيبَ له .

ودعا[٦] بعِزِّ الإسلامِ بعُمر رضى الله عنه ، أو بأَبِى جَهْـــل ، فاستُجِيب له فى عُمر .

قال ابنُ مسعود رضِىَ الله عنه : مازلنا أعِزّةً منذ أسلم عُمر .

وأصاب الناسَ[٧] فى بعض مَغَازِيه عَطَشٌ ، فسأله عُمَرُ الدعاء ؛ فدعا ؛ فجاءت سحَابةٌ ، فسقتهم حاجتَهم ، ثم أقْلَعَتْ[٨] .

ودعا[٩] فى الاستسقاء ، فسُقُوا ، ثم شَكَوْا إليه المطَرَ ؛ فدعا ، فصَحَوْا[١٠] .

---

(١) النيف : مازاد على العقد إلى أن يبلغ مافوقه من العقود .

(٢) الفاشية : الظاهرة المشهورة .

(٣) عوارفه : جمع عارفة ؛ وهى ما يعتاد الإنسان من الإحسان والعطايا .

(٤) العير : الجمال التى تحمل الميرة ، يعنى قافلة .

(٥) الأقتاب : جمع قتب ؛ وهو إكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الأذى . والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء يوضع تحت الإكاف على ظهر البعير .

(٦) فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر (سنن الترمذى : ٥ – ٦١٧) .

(٧) رواه البيهقى ، والحاكم ، وصححه عن عمر .

(٨) أقلعت : انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من الماء الذى يزيل عطشهم .

(٩) فى حديث رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه . وأحاديث الاستسقاء فى صحيح مسلم : ٦١٢ – ٦١٥ ، وصحيح البخارى : ٢ – ٣٣

(١٠) فصحوا : أى صحت السماء وانكشف غيمها .

[وقال لأَبِي قَتَادة : أَفْلَحَ وَجْهُك[1] ، اللهم بارِكْ له في شَعره وَبَشَره[2] ، فمات وهو ابنُ سبعين سنةً ، وكأنه ابن خمس عشرة[3] سنة][4] .

وقال للنابغة[5] : لا يَفْضُض الله فاك[6] ؛ فما سقطت له سنّ .

وفي رِوَايةٍ : فكان أحسنَ الناسِ ثَغْرًا[7] ؛ إذا سقطتْ له سِنٌّ نَبَتَتْ له أخرى ، وعاش عشرين ومائة سنة ؛ وقيل : أكثر من هذا .

ودعا لابْن عبَّاس[8] : اللهم فقِّهه[9] في الدين ، وعلِّمْه التأويل[10] . فسُمِّي بعْدُ الحَبْرَ وتَرْجُمان القرآن[11] .

ودَعَا لعبد الله[12] بن جعفر بالبَرَكةِ في صَفْقَةِ يَمِينه[13] ، فما اشْتَرَى شيئا إلّا رَبِح فيه . ودعا[14] للمقْدادِ بالبركة ؛ فكانت عنده غَرَائرُ المالِ[15] .

---

(١) الفلاح : الظفر وإدراك البغية .

(٢) البشر : ظاهر الجلد والبدن ، وكنى بذلك عن جملته ، وجميع بدنه ؛ فدعا له صلى الله عليه وسلم بأن يبقى معمرا على أحسن تقويم ، كاملا جميع أعضائه .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) في هامش ا : من الأم بخطه ، من غير الرواية . وفي هامش ب : المعلم عليه من الأم بخطه .

(٥) للنابغة الجعدي .

(٦) لايفضض الله فاك : تقول العرب في الدعاء عليه : فض الله فاه . وفي الدعاء له : لايفضض الله فاه .

(٧) الثغر : ماتقدم من الأسنان ، ويطلق الثغر على الفم أيضا .

(٨) في حديث صحيح رواه الشيخان:صحيح مسلم :١٩٢٧، صحيح البخاري:٥-٣٤

(٩) فقهه في الدين : فهمه وعلمه .

(١٠) التأويل : التفسير .

(١١) الحبر — بكسر الحاء وفتحها : العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده . والترجمان : من يفسر لسانا بلسان ، ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام .

(١٢) في حديث رواه البيهقي .

(١٣) صفقة يمينه : في بيعه وشرائه ومعاملته .

(١٤) في حديث رواه البيهقي في الدلائل ، وأبو نعيم .

(١٥) غرائر : جمع غرارة .

ودعا بمثله[١] لعُرْوة بن أَبى الجَعْد ؛ فقال : فلقد كنتُ أقومُ بالكُناسة[٢] ، فما أرْجِع حتى أربحَ أربعين ألفا .

وقال البخارى فى حديثه : فكان لو اشترى التراب رَبِحَ فيه .

ورُوِى مِثْلُ هذا لفَرْقدة أيضا .

وندّت له ناقة[٣] ، فدعا فجاءهُ بها إعصارُ[٤] رِيحٍ ، حتى ردّها عليه .

ودعا[٥] لأُمِّ أبى هريرة فأسلمت .

ودعا[٦] لعلىّ أن يُكفَى الحرّ والقُرّ[٧] ؛ فكان يلبسُ فى الشتاء ثيابَ الصيفِ ، وفى الصيف ثيابَ الشتاء ، ولا يصيبه حَرٌّ ولا بَرْد .

ودعا[٨] لفاطمة ابْنَتِه اللهَ ألّا يُجِيعها ؛ قالت : فما جُعْتُ بعد .

وسأله[٩] الطُّفَيل بن عَمْرو آيةً لقومه ؛ فقال : اللهمّ نوِّرْ له ؛ فسطَع نورٌ بين عَيْنَيْه ؛ فقال: أخاف أنْ يقولوا : مُثْلَةٌ[١٠] ؛ فتحوّل[١١] إلى طَرَفِ سَوْطِه ؛ فكان يُضىء فى الليلة المظلمة ؛ فسمِّىَ ذا النُّور .

(١) فى حديث رواه البخارى ، والدارقطنى ، وأحمد فى مسنده .

(٢) الكناسة : القمامة ، ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة . وقيل : يجوز أن يراد به حقيقته ؛ أى أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب فى مثله ، فما أعود . . .

(٣) ندت : نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها . له :للنبى صلى الله عليه وسلم.

(٤) الإعصار : ريح شديدة تثير غبارا يرتفع إلى السماء كأنها عمود .

قال فى نسيم الرياض : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٥) فى حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٣٨ ، وهو حديث طويل .

(٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن ماجه ، بسند صحيح : سنن ابن ماجه : ٤٣

(٧) القر : البرد . (٨) فى حديث رواه البيهقى ، عن عمران بن حصين .

(٩) فى حديث رواه ابن إسحاق بلا سند، والبيهقى عنه،وابن جرير من طريق الكلبى.

(١٠) المثلة : التنكيل والعقوبة ؛ أى خشى أن يعدوه عارا لتوهم أنه برص ونحوه .

(١١) فتحول ذلك النور .

ودَعَا[١] على مُضَر فأُقْحِطوا[٢] ، حتى استَعْطَفَته قريش ، فدعا لهم فسُقُوا[٣] .

ودعا[٤] على كِسرى حين مزَّق كتابَه أن يمزِّق اللهُ مُلْكَه ؛ فلم تَبْق له باقية، ولا بقِيَتْ لفارسَ رِياسةٌ في أقطار الدنيا .

ودعا[٥] على صبيٍّ قطع عليه الصلاةَ أن يقطَعَ اللهُ أثَره ، فأُقْعِد .

وقال[٦] لرجل رآه يأكل بشماله : كُلْ بيمينِكِ . فقال : لا أستطيعُ . فقال : لا استَطَعْتَ . فلم يرفَعْها إلى فِيه[٧] .

وقال[٨] لعُتْبَةَ بن أبي لهب: اللهمّ سلِّطْ عليه كَلْبا[٩] من كلابِك؛ فأكله الأسَد.

[وقال لامرأةٍ : أكَلكِ الأسد . فأكلها][١٠] .

وحديثُه المشهور[١١] ، من رواية عَبْد الله بن مسعود رضى الله عنه ، في دعائه

---

(١) في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائى، عن ابن عباس، والبيهقى عن ابن مسعود.

(٢) أقحطوا : أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم .

(٣) فسقوا : سقاهم الله تعالى وأمطر أرضهم ، فزال عنهم القحط بدعائه .

(٤) في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس. ونص الكتاب في نسيم الرياض (٣-١٣٦). وصحيح البخارى : ٦ — ١٠

(٥) في حديث رواه أبو داود ، والبيهقى . وقال الذهبي : أظنه موضوعا ؛ لأنه أشكل عليه بأن الصغير غير مكلف فكيف يدعو عليه صلى الله عليه وسلم مع رأفته به ؟ وقطع عليه صلاته : بمروره بين يديه . فأقعد : صار مقعدا لا يمكنه المشى .

(٦) في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع . صحيح مسلم : ١٥٩٩

(٧) لأنها شلت وبطل عمله بها .

(٨) في حديث رواه الحاكم ، والبيهقى ، وابن إسحاق من طرق صحيحة مسندة . وكان عتبة هذا عنده ابنة للنبى صلى الله عليه وسلم فطلقها فآذاه فدعا عليه فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشام .

(٩) الأسد يسمى كلبا ؛ لأنه يشبهه في بعض أحواله .

(١٠) في هامش ا : من الأم بخطه ، من غير الرواية .

(١١) الذى رواه مسلم ، والبخارى : صحيح البخارى : ٤ — ٥٣

على قُريش حين وضَعُوا السَّلَا(١) على رقَبته وهو ساجدٌ مع الفَرْث(٢) والدم ، وسمّاهم. قال : فلقد رأيتُهم قُتِلُوا يوم بَدْر .

ودعا (٣) على الحَكَم بن أبى العاص ، وكان يَخْتَلِج بوجهه ، ويغمزُ (٤) عند النبى صلى اللهُ عليه وسلم ؛ أى لا ؛ فرآه ؛ فقال : كذلك كُنْ(٥) ، فلم يزَلْ يختلِجُ إلى أن مات .

ودعا على مُحَلِّم(٦) بن جَثَّامة فمات لسَبْعٍ ، فلفظَتْهُ الأرض(٧) ؛ ثم وُورِى فلفظَتْه مرّاتٍ ، فألقَوه بين صُدَّين(٨) ، ورضَمُوا(٩) عليه بالحجارة .

والصُّدّ : جانِبُ الوادى [١١٨] .

وجحده(١٠) رجلٌ بَيْع فرس — وهى التى شهِدَ فيها خُزَيمةُ للنبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فردّ الفرسَ بعدُ(١١) النبىُّ صلى الله عليه وسلم على الرجل ، وقال : اللهم إنْ كان كاذبا فلا تبارِكْ له فيها . فأصبحَتْ شاصِيةً برِجْلِها ؛ أى رافعةً .

وهذا البابُ أكثَرُ مِنْ أن يُحَاط به .

---

(١) السلا : جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه .
(٢) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .
(٣) فى حديث رواه البيهقى مسندا من طرق صحيحة .
(٤) يختلج بوجهه : يحرك وجهه . ويغمز : يحرك عينيه مشيرا بهما وهو جالس .
(٥) دعا عليه بأن لايزال وجهه يختلج .
(٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن جرير .
(٧) لفظته الأرض : قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لعدم قبولها له .
(٨) صدين : مثنى صد ؛ وهو ناحية الوادى ، أو الشعب ، أو الجبل .
(٩) رضموا : الرضم : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء ، أى كوموا عليه .
(١٠) جحده رجل بيع فرس : أنكره : وكان النبى اشتراها منه .
(١١) بعد : بعد جحده .

فصل

فى كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمدُ بن محمد، حدثنا أبو ذَرّ الهَرَوِى، إجازةً؛ حدثنا القاضى أبو علىّ سماعا، والقاضى أبو عَبْد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرُهما؛ قالوا: حدثنا أبو الوليد القاضى، حدثنا أبو ذَرّ، حدثنا أبو إسحاق، وأبو الهَيْثَم؛ قالوا: حدثنا الفِرَبْرى، حدثنا البخارى، حدثنا يزيد بن زُرَيع [(١)]، حدثنا سَعيد، عن قتادة، عن أَنَس ابن مالك رضى الله عنه — أن أَهْلَ المدينةِ فَزِعُوا [(٢)] مرةً، فركبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَرَسا لأبى طَلْحَةَ كان يَقْطِف، أو به قِطَاف [(٣)]. وقال غيره: يُبَطَّأ [(٤)]؛ فلما رجع قال: وجَدْنا فَرَسَك بَحْراً [(٥)]؛ فكان بَعْدُ لا يُجارَى [(٦)].

ونَخَسَ [(٧)] جَمَلَ جابر، وكان قد أَعْيَا [(٨)]، فَنَشِطَ حتى كان ما يُمْلَكُ [(٩)] زِمَامُه.

---

(١) فى نسيم الرياض (٣ — ١٤٤) : كذا فى النسخ هنا؛ وصوابه: حدثنا البخارى، حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زريع، وهكذا هو فى صحيح البخارى؛ فسقط منه راو من قلم المصنف. وفى هامش ا: سقط بين البخارى ويزيد بن زريع رجل؛ وهو عبد الأعلى بن حماد النرسى، قاله يحيى بن على القرشى، عفا الله عنه.

(٢) فزعوا: وقع بهم فزع. والفزع: أشد الخوف.

(٣) يقطف: يبطىء. أو هو الضيق المشى؛ وهو عيب فى الخيل.

(٤) قال فى نسيم الرياض (٣ — ١٤٥) : الظاهر أن المراد به هنا أنه كان يوصف بالبطء وينسب إليه ذلك.

(٥) بحرا: كالبحر فى شدة جريه وعدوه بسهولة.

(٦) لا يجارى: لا يسبق. وهذا الحديث رواه البخارى: صحيح البخارى: ٤ — ٣٧

(٧) رواه الشيخان. والنخس: أن يطعنه فى جنبه بعود أو نحوه. والحديث فى صحيح مسلم: ١٢٢٣، وصحيح البخارى: ٧ — ٢٦

(٨) أعيا: تعب وقلت حركته.

(٩) معناه أنه لا يقدر على ضبطه وحبسه لأنه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه.

وصنع [1] مِثْلَ ذلك بفرس جُعَيْل الأشجعى ؛ خفقها بِخَفْقَة [2] معه ، وبرّك [3] عليها ، فلم يملك رأسها نَشَاطاً [4] ؛ وباع من بَطْنها باثنى عشر ألفا .

[وركب [5] حماراً قَطوفا لسعد بن عُبَادة فردّه هِمْلاجا [6] لا يُسايَرُ] [7] .

وكانت [8] شَعرات مِنْ شعره فى قَلَنْسوة خالد بن الوليد ، فلم يشهد بها قِتَالا إلا رُزِق النَّصْر .

وفى الصحيح [9] — عن أسماء بنت أبى بكر رضِىَ اللهُ عنها — أنها أخرجت جُبّة [10] طَيَالِسةٍ ، وقالت : كان رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُها ، فنحن نَغْسِلها للمرضى يُسْتَشْفَى بها [11] .

وحدثنا القاضى أبو على ، عن شَيْخه أبى القاسم بن المأمون : قال : وكانت عندنا قَصْعةٌ من قِصاع النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فكُنَّا نجعلُ فيها الماء للمرضى ، فيستشفون بها .

---

(١) وهذا الحديث رواه عنه عبد الله بن أبى الجعد . والخبر فى الاستيعاب : ٢٤٦

(٢) خفقها : ضربها . والمخفقة : الدرة ، أو العصا . وهذا رواه النسائى .

(٣) برك عليها : دعا مرارا بالبركة فيها .

(٤) أى لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له .

(٥) فى حديث رواه ابن سعد .

(٦) قطوفا : قليل السير متقارب الخطا . والهملاج من البراذين : مايسرع فى مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة ، والعامة يسمونه « الرهوان » .

(٧) فى هامش ا : مابين القوسين من الأم من غير الرواية .

(٨) رواه البيهقى .

(٩) هذا الحديث رواه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه : صحيح مسلم : ١٦٤١

(١٠) الجبة : ثوب مخيط . طيالسة : جمع طيلسان . والطيالسة : نوع من الأكسية ، وقيل : إنها ذات أعلام خضر . وقيل : الطيلسان : كساء أخضر . وقيل : رداء صوف تستعمله العجم .

(١١) بها : بمائها ، بأن يشرب منه ويمسح به الأبدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم ، فيرزقهم الله الشفاء ببركته .

وأخذ جَهْجَاهُ الغِفَارى القَضِيبَ [١] من يد عثمانَ رضِىَ اللهُ عنه لِيَكْسِرَه على ركبته؛ فصاح الناسُ به ، فأخَذَتْهُ فيها الآكِلَةُ فقطعها [٢] ، ومات قبل [٣] الحوْل .

وسكب [٤] مِنْ فَضْلِ وَضُوئه فى بئر قُبَاء فما نَزَفَتْ [٥] بعد .

وبزق [٦] فى بئر كانت فى دار أنس ، فلم يكن بالمدينة أعذب منها .

ومَرّ على ماء ، فسأل عنه ؛ فقيل له : اسْمُه بَيْسان [٧] ، وماؤه مِلْح ، فقال : بل هو نَعْمان [٨] وماؤه طيّب . فطاب .

وأُتِىَ [٩] بدَلْوٍ من ماء زمزم ، فمجّ فيه ، فصارت أطيبَ من المِسْك .

وأعطى [١٠] الحسنَ والحسين لسانَه فمصّاه ، وكانا يبكيان عَطَشا ، فسكتا .

وكان لأُم [١١] مالك عُكّةٌ [١٢] تُهْدِى فيها للنبى صلى اللهُ عليه وسلم سَمْناً ؛ فأمرها النبى صلّى اللهُ عليه وسلّم ألّا تَعْصِرَها [١٣] ؛ ثم دفعها إليها ، فإذا هى مملوءةٌ سَمْناً ؛ فيأتيها

---

(١) القضيب : عصا قصيرة . وقال القارى (١ – ٦٦٨) : القضيب : عصا النبى التى كان الخلفاء يتداولونها .

(٢) الآكلة : داء يصيب بعض الأعضاء فيتآكل ؛ أى يتفتت ويتقطع . فقطعها ؛ أى ركبته .

(٣) هذا الخبر رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٢٦٩

(٤) رواه البيهقى ، عن أنس بن مالك .

(٥) بئر قباء : قرب المدينة . فما نزفت البئر ؛ أى ما انقطع ماؤها .

(٦) رواه أبو نعيم فى دلائله .

(٧) بيسان : موضع بالحجاز .

(٨) نعمان : من النعمة — بكسر أولها ، أو بفتحه .

(٩) رواه ابن ماجه ، والبيهقى : سنن ابن ماجه ٢١٦

(١٠) رواه الطبرانى .

(١١) فى حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٦١٢

(١٢) العكة : وعاء من جلد يوضع فيه السمن غالبا .

(١٣) العصر : الضغط للظرف ليخرج مافيه مما قل .

بَنُوها يسألونها [1] الأُدْم ، وليس عندهم شيء ، فتَعْمِدُ [2] إليها ، فتجدُ فيها سَمْناً ؛ فكانت تُقيم أُدْمَها [3] حتى عَصَرَتْها .

وكان يَتْفُلُ في [4] أفواهِ الصبيان المراضع فيجزئهم رِيقُه إلى الليل [5] .

ومن ذلك بركةُ يده فيما لمسه وغرسَه ، ولسَلْمان رضيَ اللهُ عنه حين [6] كاتبَه مَوَاليه على ثلاثمائة [7] وَدِيّةٍ يَغْرِسُها لهم ، كلُّها تَعْلَقُ وتُطْعِم [8] . وعلى أربعين أُوقية من ذهب ؛ فقام صلى اللهُ عليه وسلم وغَرسها له بيده إلا واحدة [١١٩] غرسها غَيْرُه ؛ فأَخذت [9] كلُّها إلا تلك الواحدة ، فقلعها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وردَّها ، فأَخذت .

وفي كتاب البزّار : فأَطعم النخلُ مِنْ عامه إلا الواحدة ، فقلعها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم وغرسها فأطعمت مِنْ عامها .

وأعطاه [10] مِثْلَ بَيْضَة الدَّجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه ، فوَزَن منها لمواليه أربعين أوقية ، وبقِيَ عنده مِثْلُ ما أعطاهم .

---

(١) الأدم : جمع إدام ، وهو ما يؤتدم به مع الخبز ، كالسمن والعسل .

(٢) فتعمد : فتقصد .

(٣) فكانت تقيم أدمها : أى تجعله قائما ، أى باقيا على حاله ، أى تديم ذلك الإدام .

(٤) فى حديث رواه البيهقى .

(٥) فيجزئهم : أى يكفيهم عن الرضاعة النهار كله .

(٦) رواه البيهقى . (٧) الودية : صغار النخل .

(٨) تعلق : تنبت بعد غرسها ، ويتم غراسها . وتطعم : يوجد فيها ما يؤكل ؛ يعنى تعطى الثمرة ، أو تدرك .

(٩) فأخذت كلها : أى طلعت وأدركت .

(١٠) وأعطاه : وأعطى سلمان .

وفى حديث حنَش بن عَقِيل [1] : سقانى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم شَرْبةً من سَويق [2] شربَ أوّلَها وشربتُ آخرها ، فما برحت أَجدُ شِبَعَها إذا جُعْتُ ، وريها إذا عطِشتُ ، وبَرْدَها إذا ظمئتُ .

وأعطى [3] قتادةَ بن النعمان ، وصلَّى معه العشاءَ فى ليلة مُظْلمةٍ مَطِيرةٍ — عُرْجونا ، وقال : انطلق به ؛ فإنه سُيضِيءُ لك مِنْ بين يديْكَ عَشْرا [4] ومن خَلْفِك عَشْرا ؛ فإذا دخَلْتَ بيتَك فسترى سواداً [5] فاضْرِبه حتى يخرجَ ، فإنه الشيطانُ .

فانطلق فأضاء له العُرجونُ حتى دخل بيتَه ، ووجد السّوَاد فضربه حتى خرج .

ومنها [6] دَفعُه لعُكّاشة جِذْل حطَب [7] ، وقال : اضْرِبْ به حين انكسر سيفُه يوم بَدْر ، فعاد فى يده سيفاً صارِماً [8] ، طويلَ القامة ، أَبيَضَ ، شديدَ المَتْنِ ، فقاتل به ، ثم لم يزَلْ عنده يشهَدُ به [9] المواقِفَ إلى أن استُشهد فى قِتَالِ أهل الردّة [10] .

وكان هذا السيف يسمى « العَوْن » .

---

(١) هذا الحديث رواه قاسم بن ثابت فى الدلائل . وضبطت العين فى عقيل بالفتحة فى ا ، وبالضمة فى ب . وقال فى شرح القارى (١ — ٦٧١) : ولم أر له أثرا فى كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبرا ، فعلى من رآه أن يرسمه هنا .

(٢) السويق : قمح يقلى ويطحن ثم يجعل فى ماء ونحوه من المائعات ويشرب ؛ فهو طعام وشراب .

(٣) فى حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده (المسند : ٣ — ٦٥) .

(٤) أى مقدار عشرة أذرع فى طريقك حتى تبصرها .

(٥) سوادا : المراد جسم أسود . (٦) من كراماته .

(٧) الجذل : عود غليظ ، أو أصل من أصول الشجر . والحطب : مايبس من أغصان الشجر .

(٨) صارما : قاطعا . (٩) المواقف : قتال الكفرة .

(١٠) رواه البيهقى . وهو فى الاستيعاب : ١٠٨٠

ودَفْعُه[1] لعبد الله بن جَحْش يوم أُحُد، وقد ذهب سيفُه - عَسِيبَ[2] نخلٍ؛ فرجع فى يده سيفا.

ومنه بركتُه فى دُرُور الشِّياه الحوائل[3] باللبن الكثير؛ كقصّةِ شاةِ أمّ معبد، وأَعْنُز معاوية[4] بن ثَوْر، وشاةِ أنس[5]، وغَنَم حليمة[6] مرضعته وشارِفِها[7]، وشاةِ[8] عبد الله بن مسعود؛ وكانت لم يَنْزُ عليها فَحْل[9]؛ وشاةِ المِقْداد[10].

ومن ذلك تَزْوِيدُه أصحابَه سقاءَ ماء بعد أن أَوْكَاه[11]، ودعا فيه، فلما حضرتهم الصلاةُ نزلوا فحلُّوه، فإذا به لبَنٌ طيب وزُبدة فى فمه[12] - من رواية حمّاد بن سلمة.

ومسح على رَأْسِ عُمير بن سَعْد، وبرّك، فمات وهو ابنُ ثمانين، فما شاب.

ورُوِى مِثْلُ هذه القِصص عن غير واحدٍ؛ منهم السائبُ بن يزيد، ومَدْلوك.

وكان[13] يوجَدُ لعُتْبَة بن فَرْقَد طِيبٌ يغلبُ طِيبَ نسائه؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بَطْنِه وظَهْرِه.

---

(١) أى من كراماته دفعه . . . والخبر فى الاستيعاب : ٨٧٩

(٢) عسيب نخل : قيل : هى جريدة النخل لاخوص عليها . وقيل : العسيب من السعف ما فوق الكرب لم ينبت عليه خوص.

(٣) درور الشياه الحوائل : درت الشاة : سال لبنها من ضرعها بكثرة . والدر : اللبن . والحوائل : جمع حائل؛ وهى التى لم تحمل مطلقا.

(٤) وقصته رواها ابن سعد.

(٥) لم يذكرها السيوطى فى تخريجه لعدم الوقوف عليها.

(٦) رواها أبو يعلى، والطبرانى، وغيرهما بسند حسن.

(٧) الشارف : الناقة المسنة.

(٨) روى قصتها البيهقى، وابن مسعود.

(٩) نزا الذكر على الأنثى إذا علاها . يريد لم تلقح، ولم تلد.

(١٠) قصتها رواها مسلم، والبيهقى.

(١١) أوكاه : شده بالوكاء، وهو مايربط به القربة ونحوها . وقد رواه ابن سعد، عن سالم بن أبى الجعد.

(١٢) فى فمه : فى فم ذلك السقاء.

(١٣) رواه الطبرانى، والبيهقى . ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٠٢٩

وسلَتَ[١] الدَّمَ عن وَجْهِ عائذ بن عَمْرو ، وكان خرج يوم حُنَين ، ودعا له ، فكانت له غُرّة[٢] كغُرَّةِ الفرس .

ومَسح على رأْس قَيْس بن زَيْد الُجذَامى ، ودعا له ، فهلك وهو ابنُ مائة سنة، ورأسُه أبيض، وموضِـعُ كفِّ النبى صلى اللهُ عليه وسلم وما مَرّت يَدُه عليه من شعره أسودُ ؛ فكان يُدْعى الأغرّ[٣] .

ورُوِى[٤] مِثْلُ هذه الحكاية لعَمْرِو بن ثعلبة الُجهَنى .

ومسحَ وَجْه آخر ، فما زال على وجْهه نُور .

ومسحَ وَجْهَ قَتَادةَ بن مِلْحان ، فكان لوجْهه بَرِيق حتى كان يُنْظَرُ فى وجهه كما يُنْظَرُ فى المرآة .

ووضع يدَه على رأْس حنظلة بن حِذْيم[٥] ، وبَرّك عليه ؛ فكان حنظلة يُؤْتَى بالرجُل قد وَرِمَ وَجْهُه ، والشاةِ قد وَرِمَ ضَرْعُها ، فيوضَعُ[٦] [١٢٠] على موضع كفّ النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم فيذهبُ الوَرَم .

ونضح[٧] فى وَجْه زينب بنت أمِّ سَلَمة نَضْحة[٨] مِنْ ماء ، فما يُعْرَف كان فى وَجْه امرأةٍ من الجمال مابها .

---

(١) سلت الدم : أى مسح النبى صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم .

(٢) الغرة : بياض منتشر طولا وعرضا فى وجهه .

(٣) يدعى الأغر لما فى وجهه من البياض .

(٤) الذى رواه البيهقى . ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١١٦٨

(٥) فى حديث رواه البيهقى .

(٦) فيوضع : أى محل الورم من الوجه والضرع . وفى ب : فيضع .

(٧) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٨٥٥

(٨) نضح : رش بالماء ونحوه .

ومسح على رَأْس صبيّ به عاهة[١] ، فَبَرأ ، واستوى شعره[٢] ، وعلى غيرواحدٍ من الصِّبْيان والمرضى والمجانين ، فبرءوا .

وأتاه[٣] رجل به أُدْرَةٌ[٤] ، فأمره أن يَنْضَحَها[٥] بماء من عَيْنٍ مَجَّ فيها ، ففعل ؛ فَبَرأ .

وعن طاوس[٦] : لم يُؤْتَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم بأحدٍ به مَسٌّ ، فصكّ[٧] في صَدْره إلا ذهب .

والمَسُّ : الجنونُ .

ومَجَّ في دَلْوٍ من بئر ، ثم صبّ فيها[٨] ، ففاح منها ريحُ المِسْكِ .

وأخذ[٩] قَبْضَةً من تُرابٍ يوم حُنَين ، ورَمى بها في وجوه الكفّار ، وقال : شاهَتِ[١٠] الوجوهُ ، فانصرفُوا يمسحون القَذَى[١١] عن أَعْيُنِهم .

---

(١) عاهة : آفة ومرض ، والمراد أنه كان أقرع .

(٢) استوى شعره : نبت وتم وحسن .

قال في نسيم الرياض (٣ — ١٦٤) : وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره .

وفي شرح القارى (١ — ٦٧٥) : هذا الحديث لايعرف من رواه بهذا اللفظ .

(٣) في حديث لم يخرجوه . وفي شرح القارى (١ — ٦٧٥) : قال الدلجى : لا أعلم من رواه .

(٤) الأدرة : انتفاخ في الخصيتين . (٥) ينضحها : يرشها .

(٦) روى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وغيرهما .

(٧) صك في صدره : ضرب صدره بيده المباركة .

(٨) مج : صب من فيه . ثم صب فيها : أي في البئر الذي مج فيه ريقه . وقال القارى : رواه أحمد عن وائل بن حجر . (مسند أحمد : ٤ — ٣١٥) .

(٩) في حديث مشهور رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٤٠٢

(١٠) شاهت الوجوه : جملة دعائية معناها قبحت وقبحها الله .

(١١) القذى : مايقع في العين من التراب .

[وشكا إليه أبو هريرة رضى اللهُ عنه النِّسيانَ ، فأمره ببَسْطِ[١] ثوبه ، وغَرف بيده فيه[٢] ؛ ثم أمره بضَمّه ، ففعل ؛ فما نَسِيَ شيئا بعد .

وما يُرْوَى عنه فى هذا كثير .

وضرب صَدْرَ[٣] جَرِير بن عَبْدالله ، ودَعَا له ؛ وكان ذُكِرَ له أنه لا يثْبُتُ على الخيل ، فصار من أفرس[٤] العرب وأثبتهم .

ومسح على رَأْس عبد الرحمن[٥] بن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دَميما ، ودعاله بالبركة ، ففَرع الرجالَ[٦] ، طُولا وتمَامَاً][٧] .

فصــــل

ومن ذلك[٨] ما أُطْلِعَ عليه من الغيوب وما يكون[٩] . والأحاديثُ فى هذا الباب بَحْرٌ لا يُدْرِكُ قَعْرُه[١٠] ، ولا يُنْزَفُ[١١] غَمْرُه .

وهذه المعجزَةُ من جملة معجزاته المعلومة على القَطْعِ الواصلِ إلينا خَبَرُهـــا على التواتُر ، لكَثْرةِ رُواتها ، واتفاق مَعَانيها على الاطلاع على الغيب :

حدثنا الإمامُ أبو بكر محمد بن الوليد الفِهْرِى إجازةً ، وقرأته على غيره : قال

---

(١) ببسط ثوبه : أى بأن يضعه على الأرض ويفرشه .

(٢) أى فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شىء مايضعه فى الآخر . وضمير « فيه » للثوب .

(٣) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٢٣٨

(٤) أفرس العرب : أقواهم . (٥) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٨٣٤

(٦) فرع الرجال : زاد عليهم فى الطول .

(٧) فى هامش ا ، ب ــ أمام مابين القوسين : من الأم من غير الرواية .

(٨) ومن ذلك : ومن خصائصه وكراماته .

(٩) وما يكون : وما يحصل فى المستقبل .

(١٠) لايدرك قعره : لا يصل أحد إلى نهايته . وقمره : قراره وأرضه .

(١١) لا ينزف : لايفنى ، ولا ينفد .

أبو بكر : حدثنا أبو على التُستَرى ، حدثنا أبو عُمر الهاشمىّ ، حدثنا اللؤلؤى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عثمان بن أبى شَيْبة ، حدثنا جَرير ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حُذَيفة ، قال[١] : قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَقَــامًا[٢] ؛ فما ترك شيئًا يكونُ فى مَقَامه ذلك إلى قيام الساعة إلا[٣] ، حدَّثه ؛ حفِظَه من حفظَه، ونَسِيَه مَنْ نَسِيَه، قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكونُ منه الشىء[٤] فأعرفُه فأذكرُه كما يذكر الرجلُ وَجْهَ الرجل إذا غاب عنه ؛ ثم إذا رآهُ عرفه .

ثم قال حُذَيفة : ما أدرى ، أنسِيَ أصحابى أم تناسَوْه[٥] . والله ما ترك رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ قائد فِتْنَة إلى أن تَنقَضِى الدنيا يبلغ مَنْ معه ثلاثمائة فصاعِدًا إلا قد سمّاه لنا باسْمِه ، واسْمِ أبيه ، وقَبيلته[٦] .

وقال أبو ذَرّ[٧] : لقد تركَنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وما يحرِّك طائرٌ جناحَيْه فى السماء[٨] ، إلّا ذكَرنا منه عِلمًا[٩] .

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم : ٢٢١٧ ، وسنن أبى داود : ٢ — ١٣٠

(٢) قام فينا مقاما : المراد أنه خطبهم يوما .

(٣) هذا فى ا ، ب . وفى صحيح مسلم : إلا حدث به . والمثبت فى سنن أبى داود .

(٤) ليكون منه الشىء : أى يوجد شىء مما حدثنا به فى ذلك المقام فى الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه ، فأراه بعينى بعد ما وجد .

(٥) تناسوه : أظهروا نسيانه . وفى سنن أبى داود : أم تناسوا .

(٦) وهذا الحديث روى من طريق آخر ذكره ابن الجوزى وغيره . وفى سنن أبى داود: واسم قبيلته .

(٧) فى حديث رواه أحمد (المسند : ٥ — ١٥٣) ، والطبرانى ، وغيرهما، بسند صحيح .

(٨) كناية عن بيان كل شىء .

(٩) أى تذكرنا وفهمنا من طيرانه علما يتعلق به ، فكيف بغيره مما يهمنا فى الأرض ؛ وهذا تمثيل لبيان كل شىء تفصيلا تارة وإجمالا أخرى . وفى المسند : أذكرنا .

وقد خرَّج أهلُ الصحيحِ والأئمةُ ما أعلمَ به أصحابَه صلى اللهُ عليه وسلم ممّا وَعدهم به من الظهور على أعدائه ، وفَتْحِ مكةَ ، وبيتِ المَقْدس ، واليمن ، والشام ، والعراق ، وظهورِ الأَمْنِ ، حتى تَظْعَنَ المرأةُ من الحِيرة إلى مكّة[(١)] ، لا تخافُ إلا الله . وأنَّ المدينةَ[(٢)] ستُغْزَى ، وتُفْتَح خَيْبر على يدى علىّ فى غَدِ يومه[(٣)] ، وما يفتحُ اللهُ على أُمَّته من الدنيا[(٤)] ، ويُؤْتَوْن من زَهْرَتها ، وقِسْمَتِهم كنوزَ كسرى وقيصر ، وما يَحْدُث بينهم من الفُتُون[(٥)] والاختلاف والأهواء ، وسلوكِ سبيل مَنْ قَبْلَهم ، وافتراقهم [١٢١] على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ؛ الناجيةُ منها واحدةٌ ، وأنها ستكونُ لهم أنماطٌ[(٦)] ؛ ويَغْدُو أحدُهم فى حُلّةٍ ، ويروحُ فى أُخرى[(٧)] ، وتُوضَع بين يديه

(١) تظعن : تسافر وحدها وترحل ؛ وذكر المرأة للمبالغة فى الأمن ؛ لأنها مع ضعفها وشدة خوفها إذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الأولى .

(٢) قال فى نسيم الرياض : هو إشارة إلى وقعة الحرة ؛فإنها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة فى الحرم ، والحرة : أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سود . والحديث فى صحيح مسلم (١٠٠٩) . وفى شرح القاري (١ -٦٧٨) : ستغزى من الغزو ، أى ستحارب وتقاتل . وفى رواية بمهملتين ؛ قال الحافظ المزى : الرواية فى الحديث بالعين المهملة والراء ، يعنى من العرى ، أى تصير عراء . والمعنى: ستخرب ، ليس فيها أحد . فقد رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ : يتركون المدينة على خير ما كانت لايغشاها إلا العوافى. وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووى ، وتفسيره: وإنما يقع قرب الساعة. صحيح مسلم: ١٠٠٩

(٣) لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه ، فدعا عليا . . . وفتحها الله على يديه : صحيح البخارى : ٥ — ١٧١

(٤) بكثرة المال والعزة .

(٥) الفتون : جمع فتنة ؛ تطلق على كل مايقع بين الناس من النزاع والحروب . وفى ب : من الفتن .

(٦) أنماط جمع نمط ، وهو البساط . يعنى أن أمته صلى الله عليه وسلم يتوسعون فى الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة .

(٧) من حديث رواه الترمذى عن على وحسنه : سنن الترمذى : ٥ — ٥٢٦

صَحْفَةٌ[١] وتُرْفَعُ أُخرى ، ويستُرونَ بيوتَهم كما تُسْتَرُ الكعبة[٢] .

ثم قال آخرَ الحديث[٣] : وأنتم اليومَ خيرٌ منكم يومئذ ، وأنهم إذا مشَوْا المُطَيْطاء[٤] وخدَمَتْهم بناتُ فارسَ والروم[٥] ردّ اللهُ بأسَهم[٦] بينهم ، وسلَّط شِرارَهم على خِيارهم .

وقتالهم[٧] الفُرْس، والخُزْرَ[٨]، والرُّوم، وذَهابَ كسرى وفارس حتى لا كسْرى ولا فارس بعده ، وذهابِ قَيْصَر حتى لا قَيْصر بَعْدَه[٩] .

وذكر أنَّ الرومَ ذاتُ قُرونٍ إلى آخر الدّهر[١٠] .

---

(١) الصحفة : إناء الطعام .

(٢) وهذا كما تفعله الأمراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران .

(٣) الحديث الذي رواه الترمذي وغيره .

(٤) ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر ، إلا أن الذهبي قال في ميزانه : إنه لم يصح . والمطيطاء : مشية فيها مد اليدين ، والمراد به التبختر .

(٥) أي اتخذوا الجواري والخدم منهم .

(٦) البأس : الخوف الشديد ، والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم ؛ لأن الله كان أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم النصرة بإيقاع الرعب في قلوب أعدائه الكفرة ، وبقي من ذلك أثر فيمن اقتدى به من الخلفاء ؛ فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الأعداء وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الآخر .

(٧) وأخبرهم بقتالهم الفرس . وجاء ذلك في حديث رواه الشيخان .

(٨) قيل المراد بهم الأكراد . وقيل هم من الترك ، أو من العجم ، أو التتار . وقد ضبطت الزاي في ا بالفتحة .

(٩) وهذا مما رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢٣٧ ، وسنن الترمذي : ٥ — ٤٩٧

(١٠) قرون : جمع قرن ، وهو الجماعة في عصر واحد . أي كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم . وقيل القرن : السيد ؛ أي كلما هلك ملك ملك بعده غيره . وقيل : المراد بهم قرون شعورهم التي كانوا يطولونها ويعرفون بها .

وبذهابِ الأَمْثَلِ فالأمثل من الناس[١] ، وتقارُبِ الزمان[٢] ، وقَبْضِ[٣] العِلْمِ ، وظهورِ الفِتَن ، والهَرْج[٤] .

وقال[٥] : ويلٌ للعرب مِنْ شرٍّ قد اقترب .

وأنه زُوِيَتْ[٦] له الأرضُ فأُرِيَ مَشَارِقَها ومَغَارِبَها ، وسيبلغُ مُلْكُ أُمّتِه ما زُوِيَ له منها .

وكذلك كان[٧] ؛ امتدّت[٨] في المشارق والمغارب مما بين أرضِ الهند أقصى المَشرق إلى بَحْر طَنْجَة حيث لا عِمارة وراءه ؛ وذلك ما لم تملكْه أُمّةٌ من الأمم ، ولم تمتدّ في الجنوب ولا في الشّمال مِثْلَ ذلك .

---

(١) الأمثل هنا : الأشرف ؛ لأنه أكثر مماثلة ومشابهة لأهل الحق ، والصدر الأول .

(٢) في حديث رواه الترمذي عن أنس: السنن: ٤ – ٥٦٧ ؛ والمراد قصره وقلته . وقيل: المراد أنهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ، ويكونون مسرورين ، وما زال الناس يصفون الأيام الهنية بالقصر. أو المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان. وقال البيضاوي : المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها .

قال في نسيم الرياض (٣ – ١٧٥) : وهنا وجه قريب من الأول ؛ وهو أنه لكثرة الظلم والأحزان والاشتغال بأمور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن أوقاتهم ولا يشعرون بها .

(٣) قبض العلم : أخذه ونزعه من الناس ، وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى إلا أناس جهلة إذا استفتوا أفتوا بغير علم . وحديثه في ابن ماجه : ٨٣

(٤) الهرج: القتل .أو اختلاط الناس بعضهم ببعض .وحديثه في مسلم: ٢٢١٥، وصحيح البخاري : ٨ – ٦١ ، وسنن الترمذي : ٥ – ٤٨٩

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢٠٧، وصحيح البخاري: ٨–٦٠، ٧٦

(٦) زويت : جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها : صحيح مسلم : ٢٢١٥

(٧) كان : وقع . وفي ا : فكذلك .

(٨) امتدت ؛ أي مملكتهم ، واتسعت .

وقوله[١] : لا يزال أهلُ الغَرْب ظاهرين على الحقّ حتى تقومَ الساعةُ ـ ذهب ابن المديني إلى أنهم العرَبُ ؛ لأنهم المختصّون بالسّقى بالغَرْب ـ وهى الدّلو . وغَيْرُه يذهبُ إلى أنهم أهلُ المَغْرِب ؛ وقد ورد المغرب كذا فى الحديث بمعناه[٢] .

وفى حديثٍ آخر[٣] ، مِنْ رواية أبى أُمَامَةَ : لا تزالُ طائفةٌ من أُمّتى ظاهرين على الحق ، قاهرين لِعدُوِّهم ، حتى يأتيَهم أَمْرُ اللهِ وهم كذلك .

قيل : يا رسولَ الله ؛ وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس .

وأَخْبَر بمُلْكِ بنى أُمية[٤] ، وولاية مُعَاوِية ؛ ووصّاهُ[٥] ؛ واتّخاذِ بنى أُمّية مالَ اللهِ[٦] دُوَلا ، وخروج ولدِ العباسِ بالرايات السُّودِ[٧] ، ومُلْكِهم أضعافَ ما ملكوا ، وخروج[٨] المهدىّ ، وما ينالُ أهلَ بيتهِ وتَقْتيلهم وتَشْريدهم ؛ وقَتْلِ علىّ ، وأنّ[٩]

---

(١) فى حديث رواه مسلم : صحيح مسلم ١٣٧

(٢) قال القارى (١ ـ ٦٨٢) : لكن فيه أنه لايعلم من رواه .

(٣) رواه الطبرانى ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل (المسند : ٥ ـ ٢٦٩) . ورواه أيضا الترمذى فى سننه : ٥-٥١٤ (٤) رواه البيهقى .

(٥) ووصاه : وصى معاوية ، إذا تملك ، بالعدل والرفق ، لما قال له : إذا ملكت فانصح .

(٦) فى حديث رواه الترمذى ، والحاكم ، والبيهقى .

دولا : يتداولونه ويأخذونه واحدا بعد واحد . والمراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا .

(٧) فى حديث رواه أحمد ، والبيهقى بسند فيه ضعف وانظر أيضا سنن الترمذى : ٥-٥٣١

(٨) خروج المهدى فى آخر الزمان ، كما ورد فى حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة إلا أنه قيل إن أسانيده لاتخلو من ضعف : سنن أبى داود : ٢ ـ ١٣٥ ، وسنن الترمذى : ٥ ـ ٥٠٦

(٩) أى مما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن أشقاها ؛ أى أشقى الخلائق . أو الدنيا . . . و«هذه» الأولى إشارة إلى لحيته . و«من هذه» إشارة إلى رأسه ؛ أى يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته . والحديث فى مسند أحمد : ١ ـ ٩١

أَشْقاهَا الذى يَخْضِبُ هذه من هذه؛ أى لحيته من رَأْسه؛ وأنّه قسيمُ النار[١]، يَدْخُل أولياؤه النار؛ فكان فيمَنْ عاداه الخوارجُ والناصِبَة[٢]؛ وطائفةٌ مِمّن يُنْسَبُ إليه من الروافِضِ كفَّروه[٣].

وقال: يُقْتَل عثمانُ وهو يقرأ فى المصحف؛ وأن الله عسى أنْ يُلْبِسَه قَميصا، وأنهم يُرِيدون خَلْعَه، وأنه سيَقْطُر دمُه على قوله: «فسيكفيكَهُم الله»[٤]؛ وأن الفِتَن لا تَظْهَر ما دامُ عُمَرُ حيّا[٥].

وبمحاربة الزُّبَيْرِ لعلىّ[٦]؛ وبِنُبَاحِ كلاب الحَوْأَب على بعض أزواجِه[٧]،

---

(١) وأنه؛ أى على كرم الله وجهه. قسيم النار: معناه: على ومن معه قسيم لأهل النار؛ أى مقابل لهم؛ لأنه من أهل الجنة.

وقال الخفاجى (٣ — ١٨٢): ظاهر كلامه أن هذا مما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم؛ إلا أنهم قالوا: لم يروه أحد من المحدثين، إلا أن ابن الأثير قال فى النهاية: ألا إن عليا رضى الله عنه قال: أنا قسيم النار — يعنى أراد أن الناس فريقان: فريق معى؛ فهم على هدى، وفريق على؛ فهم على ضلال؛ فنصف معى فى الجنة، ونصف فى النار.

قلت: ابن الأثير ثقة.

(٢) الخوارج: الذين خرجوا على على عند التحكيم. والناصبة: قوم تدينوا ببغض على كرم الله وجهه؛ وهم من الخوارج أيضا.

(٣) الروافض: من الرفض، وهو الترك؛ سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة. كفروه: نسبوه إلى الكفر.

(٤) وهذا رواه المحب الطبرى فى كتابه الرياض النضرة، ورواه الحاكم عن ابن عباس؛ وقال الذهبى: إنه موضوع، وتبعه السيوطى.

(٥) روى البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر، والشيخان عن حذيفة.

(٦) فى حديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة، من طرق؛ وهو مما أخبر به من المغيبات.

(٧) الحوأب: موضع بين البصرة والكوفة، نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين على ومعاوية فلم تقدر، فكانت وقعة الجمل. قال الخفاجى (٣ — ١٨٥): وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس.

وأنه يُقْتَل حولَها[١] قتلى كثيرٌ ؛ وتنجُو بعد ما كادت[٢] ؛ فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البَصْرة . وأنَّ عمّارا تقتلُه الفئةُ الباغيةُ ، فقتله أصحابُ معاوية[٣].

وقال لعبد الله بن الزُّبير[٤] : ويلٌ للناس مِنْكَ ، وويلٌ لكَ من الناسِ [١٢٢].

وقال فى قُزْمان[٥] ـ وقد أَبْلَى مع المسلمين : إنه من أهْلِ النار ؛ فقتل نَفْسَه[٦].

وقال[٧] ـ فى جماعة فيهم أبو هريرة ، وسَمُرَة بن جُنْدُب ، وحُذَيفة : آخركم موتا فى النار[٨] ؛ فكان بعضهم يسألُ عن بعض ؛ فكان سَمُرة آخرَهم موتا ؛ هَرِم وخَرِف ، فاصطلى بالنارِ فاحترقَ فيها .

[وقال فى حَنْظلة الغَسيل[٩] : سلُوا زوجتَه عنه ؛ فإنى رأيتُ الملائكةَ تغسِّلُه ؛ فسألوها فقالت : إنه خرج جُنُباً ، وأعجلَه الحالُ عن الغُسْلِ .

قال أبو سَعيد رضى الله عنه : ووجَدْنا رَأْسَه يَقْطُر ماءً][١٠] .

---

(١) حولها : حول بعض الأزواج ، وهى عائشة رضى الله عنها .

(٢) بعد ما كادت : بعد ما قاربت عدم النجاة .

(٣) عمار بن ياسر الصحابى المشهور . الباغية : من البغى ، وهو الخروج بغير حق على الإمام . والحديث فى صحيح مسلم : ٢٢٣٦ . فقتله أصحاب معاوية وهو مع على بصفين .

(٤) قال له هذا لما شرب دما من فضل دمه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان النبى قد احتجم ، وأعطاه دمه ، وقال له : أرقه فى محل لا يرى ، فلما رجع قال له النبى : لعلك شربته ؟ فقال : نعم ، فقال له ذلك .

(٥) قزمان : مولى لبعض الأنصار ، وكان شجاعا ، لكنه منافق ، وكان قاتل قتالا شديدا أعجب الصحابة .

(٦) قال الخفاجى (٣ ـ ١٨٦) : هذا الحديث متفق على صحته لرواية الشيخين له عن أبى هريرة . وقد روى ذلك الواقدى فى المغازى : ١ ـ ٢٦٣ (٧) رواه الطبرانى ، والبيهقى.

(٨) رجح للسيوطى أن المراد أنه يحترق فى الدنيا حريقا يموت به، لأنه يدخل نار جهنم. وقال الشهاب : إن سمرة احترق من ماء حار كان يستدفئ به ، وسيأتى .

(٩) فى حديث رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام : ٣ ـ ٢٠) . وسمى الغسيل ، لأن الملائكة غسلته لما استشهد بأحد . وهو حنظلة بن أبى عامر الأنصارى. ورواه الواقدى أيضا فى المغازى : ١ـ٢٧٤ (١٠) فى هامش ا ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

وقال[1] : الخلافةُ فى قُريش .

ولن يزالَ هذا الأمْرُ فى قُريش ما أقاموا الدِّين[2] .

وقال[3] : يكون فى ثَقِيف كذّاب ومُبِير ؛ فرأوهما : الحجاجُ ، والمختارُ[4] .

وأن مسيلمةَ[5] يعقرهُ الله .

وإنّ فاطمة أولُ أهلِه لحوقاً[6] به .

وأَنْذَرَ[7] بالردّة ، وبأنّ الخلافةَ بَعْده ثلاثون[8] سنة ، ثم تكون مُلْكا ؛ فكانت كذلك بمدّةِ الحَسَنِ بن علىّ .

وقال[9] : إنّ هذا الأمْرَ بدَا[10] نُبوّةً ورحمةً ، ثم يكون رحمةً وخلافةً ،

---

(١) فى حديث رواه أحمد ، والترمذى . سنن الترمذى : ٥-٥٠٣

(٢) فى حديث آخر رواه البخارى : صحيح البخارى : ٤ - ٢١٨

(٣) فى حديث رواه مسلم ، والبيهقى : صحيح مسلم : ١٩٧٢ ، وسنن الترمذى:٥-٤٩٩

(٤) مبير : مهلك ، يكثر القتل بغير حق . والحجاج : هو ابن يوسف ، وهو المبير . وأما الكذاب فهو المختار بن أبى عبيد الثقفى بن مسعود ؛ وكان يزعم أن جبريل يأتيه ،وكان يظهر مدح ابن الزبير ، ومحمد بن الحنفية ، واستحوذ على الكوفة ، وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون ،وطلب الأخذ بثأر الحسن ،فقتل كثيرا من قتلته، وعظم أمره . وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى إليه .

(٥) رواه الشيخان عن ابن عباس . وفى النهاية : أنه قال لمسيلمة الكذاب؛ ولئن أدبرت ليعقرنك الله ؛ أى ليهلكنك . والحديث فى صحيح مسلم : ١٧٨٠

(٦) أى أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم .
فماتت بعده بستة أشهر ، وقيل بثمانية ،وقيل مائة يوم .والحديث فى صحيح مسلم:١٩٠٥

(٧) وهو مما رواه الشيخان عن ابن عمر .

(٨) رواه أصحاب الكتب الستة مسندا .

(٩) فى حديث رواه البزار ، والبيهقى .

(١٠) بدا : ظهر وبرز .

ثم يكون مُلْكاً عَضُوضاً(١) ، ثم يكون عُتُوًّا وجَبَروتاً وفساداً فى الأُمة(٢) .

وأخبر بشَأْنِ(٣) أُوَيْسٍ القَرَنى ؛ وبأمَرَاء يؤخِّرون الصــلاةَ عن وَقْتِها ، وسيكونُ فى أُمته ثلاثون كذَّابا فيهم أربعُ نسوةٍ .

وفى حديث آخر(٤) : ثلاثون دجَّالا كذَّابا ، آخِرهم الدجّال الكذاب ، كلُّهم يَكْذِبُ على الله ورسوله .

وقال(٥) : يوشِكُ أن يكثُرَ فيكم العَجَم ، يأكلون(٦) فيئَكم ، ويَضْرِبُون رِقابَكم .

ولا(٧) تقومُ الساعةُ حتى يسوقَ الناسَ بعصاهُ رجلٌ من قَحْطان .

وقال : خَيْرُكم قَرْنى ، ثم الذين يلُونَهم ، ثم الذين يَلُونَهم . ثم يأتى بَعْدَ كذلك قومٌ يشهَدُون ولا يُسْتَشْهدون(٨) ، ويخونون ولا يُؤتَمنون ، ويُنْذِرون ولا يُوفُون ، [ويظهر فيهم السِّمَنُ](٩) .

وقال(١٠) : لا يأتى زمانٌ إلّا والذى بعده شرٌّ منه .

---

(١) عضوضا : سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية ؛ فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه عضا ، حرصا على الملك ، ويعض بعضهم بعضا بسببه .

(٢) عتوا : العتو : الخروج عن طاعة الله تعالى . والجبرية ــ بفتح الجيم والموحدة ، وتسكن أيضا ؛ من الجبر ؛ وهو الإكراه والقهر .

(٣) فى حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٦٨ . وأويس هذا خير التابعين مطلقا بشهادة النبى له . وكان أدرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر أمه .

(٤) رواه الشيخان عن أبى هريرة ، صحيح البخارى : ٨-٧٤ ، وصحيح مسلم : ٢٢٤٠

(٥) فى حديث رواه البزار ، والطبرانى بسند صحيح .

(٦) الفىء : أصله الغنيمة من الكفار بغير قتال ، ويطلق على مطلق الغنيمة . والأكل فيه مجاز عن الاستيلاء عليه وأخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه .

(٧) فى حديث رواه الشيخان: صحيح البخارى : ٨ ــ ٧٣ ، ٤ ــ ٢ ، وسنن الترمذى: ٥ ــ ٥٠١ ، وصحيح مسلم : ٢٢٣٢

(٨) أى يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم .

(٩) ليس فى ا .

(١٠) فى حديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٨ ــ ٦٢

وقال : [١] هلاكُ أُمتي على يَدى أُغَيْلِمةٍ [٢] من قُريش .

قال أبو هريرة راويه [١] : لو شئتُ سمَّيْتُهم لكم : بنُو فلان ، وبنو فلان .

وأخبر [٣] بظهور القَدَرِيّة والرافِضَة [٤] ، وسَبِّ [٥] آخرِ هذه الأمةِ أولَها ، وقلّةِ الأنصارِ حتى يكونوا كالمِلْحِ في الطعام ، فلم يزَلْ أمْرُهم يتبدَّدُ حتى لم يَبْقَ لهم جماعةٌ .

وأنهم سيلْقَوْن بعده أثَرَةً [٦] .

وأخبر بشأن الخوارجِ [٧] وصِفَتِهم ، والمُخْدَجِ الذى فيهم ، وأن سِيماهم التحليق [٨] .

---

(١) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ — ٦٠

(٢) أغيلمة : تصغير أغلمة ، وهو جمع قلة ، يجوز فيه التصغير على لفظه ، وهو فى حكم المفرد . وفى القاموس : جمع غلام غلمة وأغلمة وغلمان . والغلام : الشاب قد طر شاربه ، وهو المراد . قال الشهاب (٣ — ١٩٦) : والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم .

(٣) فى حديث رواه الترمذى ، وأبو دواد ، والحاكم .

(٤) القدرية : قال الشهاب (٣ — ١٩٦) : سموا قدرية ، لإثباتهم للعبد قدرة ، لا لإنكار قدرة الله على أفعاله . وشبههم بالمجوس ؛ لأنهم أثبتوا خالقين : خالق الخير ، وهو النور . وخالق الشر ، وهو الظلمة .

والرافضة : التاركون لحب جل الصحابة (شرح القارى : ١ — ٦٩٤) .

(٥) فى حديث رواه البغوى .

(٦) أثرة : استبدادا . والحديث فى الصحيحين : صحيح البخارى : ٩ — ٥٩

(٧) الخوارج : الذى خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب . وحديثهم رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٧٥٠

(٨) مخدج اليد : ناقص اليد . التحليق : أى يحلقون شعور رءوسهم ؛ ولم يكن فى الصدر الأول حلق الرءوس إلا فى النسك . وقيل : المراد جلوسهم حلقا حلقا . قال الخفاجى : وليس بشىء .

ويُرَى رِعاء الغنم رءوسَ الناس[1] ، والعراةُ الحُفاةُ يتبارَوْن فى البُنْيان . وأَنْ تلِدَ الأَمَةُ رَبّتها[2] .

وأنّ قريشا والأحزاب لا يَغْزُونَه أبداً ؛ وأنه هو يغزوهم[3] .

وأخبر[4] بالمُوتان الذى يكونُ بعد فَتْحِ بيت المقدس[5] .

وما وعَد[6] من سُكْنَى البَصْرة ، وأنهم يَغْزُونَ فى البحـــر كالملوكِ على الأَسِرّةِ[7] . . .

(١) رءوس الناس : رؤساؤهم ، والحديث فى الصحيحين بمعناه وبعض ألفاظه . وهو فى صحيح مسلم : ٣٩

(٢) ربتها : سيدتها . وهو من حديث مشهور رواه الشيخان (صحيح مسلم : ٣٩) وغيرهما ؛ وهو من المغيبات ، وأشراط الساعة التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم . وفى مسلم: ربها ـ بدل ربتها . وفى رواية أخرى له : بعلها .

(٣) رواه الشيخان: (صحيح البخارى : ٥ ـ ١٤١) وأنه هو الذى يغزوهم بعد إخباره بذلك فى الأحزاب ، وهى غزوة الخندق ، وبعد أحد والخندق لم تغزه قريش ، وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة . قال الواقدى : إنه صلى الله عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذى القعدة .

(٤) فى حديث رواه الشيخان أيضا . والموتان ـ بضم الميم ، بوزن بطلان . وبفتحها وسكون الواو ، وهو مصدر بمعنى الموت الكثير .

(٥) وكان ذلك فى خلافة عمر بعمواس : قرية بين الرملة وبيت المقدس ؛ إذ كان أول طاعون فى الإسلام . وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة .

(٦) فى حديث رواه أبو داود . والحديث فى شرح الخفاجى أيضا : ٣ ـ ٢٠١

(٧) الأسرة: جمع سرير؛ وهو مقعد يعد للملوك يجلسون عليه ترفها وتعظما. قال الخفاجى (٣ ـ ٢٠١) : ومؤخر المراكب المعدة للغزو الذى يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بعينه ، كما يعرفه من شاهد ذلك ؛ فهو من الأعلام العجيبة ؛ لأنه لم يكن ذلك بديار العرب ، ولم يره أحد منهم ؛ فتوصيفه صلى الله عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليــه ممــا تحار فيه العقول .

وأن الدِّين [1] لو كان مَنُوطاً بالثريّا لناله رجالٌ من أبناء فارس .

وهاجَتْ [2] ريح في غَزَاةٍ ، فقال : هاجَتْ لموتِ منافقٍ [3] ؛ فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك .

وقال [4] لقومٍ من جلسائه : ضِرْسُ أحدِكم في النار أعظمُ من أُحُد [5] .

قال أبو هريرة [6] : فذهب القومُ - يعنى ماتُوا ؛ وبقيتُ أنا ورجلٌ ، فقُتِل مرتدًّا يوم اليمامة .

وأعْلَمَ [7] بالذى غَلّ خَرَزاً من خَرَزِ يَهُودَ ، فَوُجِدتْ فى رَحْله . وبالذى غلَّ [8] الشَّمْلَةَ ، وحيثُ هى [9] .

وناقته [10] حين ضلّتْ ، وكيف تعلّقت [١٢٣] بالشجرة بخِطَامها [11] .

---

(١) من حديث رواه الشيخان أيضا . منوطا : معلقا ورواه الترمذى فى سننه: ٥-٣٨٤، وفيه لتناوله .

(٢) رواه مسلم ، عن جابر بن عبد الله : صحيح مسلم : ٢١٤٥

(٣) أى لرجل من المنافقين ؛ وهو رفاعة بن زيد . وقيل غيره .

(٤) فى حديث رواه الطبرانى بسند صحيح وجلساؤه هم :أبو هريرة الدوسى ،وفرات ابن حيان العجلى ، والرحال بن عنفوة اليمامى . وهو المراد بقوله : أحدكم .

(٥) وهو عبارة عن أن أحدهم يموت كافرا ؛ لحديث : ضرس الكافر فى النار مثل أحد (رواه مسلم : ٢١٨٩)

(٦) وقد كان من جلسائه كما تقدم، وهو أبو هريرة الدوسى .

(٧) هذا الحديث رواه أبو داود ، والنسائى ، عن زيد بن خالد الجهنى . وغل : من الغلول ؛ أى السرقة خفية . سنن أبى داود : ١ - ٢٦٩

(٨) الشملة : كساء صغير يشتمل به الإنسان . وهذا بعض من حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة : صحيح مسلم : ١٠٨

(٩) وحيث هى : أى وبالمكان الذى هى فيه .

(١٠) رواه البيهقى .

(١١) الخطام : الزمام .

وبشأنِ كتاب حاطب إلى أهل مكة [١] .

وبقضيَّة عُمَيْر مع صَفْوَان حين سارّه وشارَطه [٢] على قَتْل النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم . فلما جاء عُمير للنبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلم قاصدا لقَتْلِه ، وأطْلَعَهُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم على الأمر والسرّ أسلم [٣] .

وأخبر [٤] بالمالِ الذى تركه عمُّه العباسُ رضىَ اللهُ عنه عند أم الفَضْل بعد أن كتمه ؛ فقال : ما عَلِمَه غيرى وغيرُها ، فأسلم .

وأعلم بأنه سيَقْتُل أُبىّ بن خلف [٥] .

وفى عُتبة بن أبى لهب يَأكله كلب من كلاب الله [٦] .

وعن [٧] مَصارع أهلِ بَدْر ، فكان كما قال .

وقال [٨] فى الحسَنِ : إن ابنى هذا سيّدٌ ، وسيُصْلِح اللهُ به بين فئتَيْن [٩] .

---

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة . وكان حاطب كتب إليهم بمكة يخبرهم بأن النبى توجه إليهم بجيش . . . وأعطى الكتاب امرأة من مزينة ، وجعل لها جملا على أن توصله قريشا . وخبر كتاب حاطب فى المغازى (١ – ١٩٧) .

(٢) شارطه : جعل له جعلا .

(٣) والحديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقى ، والطبرانى . والخبر فى مغازى الواقدى : ١٢٦ ، وروى أيضا فى سنن الترمذى : ٥ – ٤١٠

(٤) والحديث رواه أحمد ، عن ابن عباس ، والحاكم وصححه ، والبيهقى عن الزهرى . وأم الفضل : هى زوجة عمه العباس .

(٥) رواه البيهقى . وقد جرحه النبى بأحد فى عنقه ، فمات بسرف .

(٦) فأكله الأسد ، وهو ذاهب إلى الشام . والأسد يسمى كلبا . وفى ب : عتيبة .

(٧) وأصل هذا الحديث فى صحيح مسلم : ٢٢٠٣

(٨) فى حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما . صحيح البخارى : ٩ – ٧١

(٩) الفئة : الجماعة . والمراد بالفئتين : من كان معه ومن كان مع معاوية .

ونَسْعْدٍ [١] : اعلك تُخلَّفُ حتى ينتفِـعَ بكَ أقوام ويستضرّ بك آخرون .

وأخبر [٢] بقَتْلِ أهل مُؤْتة [٣] يوم قُتِلُوا وبينهم مسيرةُ شهرٍ أو أزْيد .

وبموت [٤] النجاشيّ يوم مات بأرضه .

وأخبر [٥] فَيْرُوز إذ ورد عليه رَسُولًا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم ، فلما حقّق فيروزُ القصةَ أسلم .

وأخبر [٦] أبا ذرّ رضِي اللهُ عنه بتَطْرِيدِه [٧] كما كان ، ووجده فى المسجد نائما ، فقال له : كيف بكَ إذا أُخرِجْتَ منه ؟ قال : أسكُن المسجدَ [٨] الحـــرام . قال : فإذا أُخرِجْتَ منه . . . الحديث .

وبعَيْشِه وَحْدَه ، ومَوْته وحْدَه .

وأخبر [٩] أنّ أسرعَ أزواجه به لحوقاً أطولُهنّ يداً [١٠] ؛ فكانت زينب لطُول يدها بالصدقة .

---

(١) فى حديث رواه الشيخان (صحيح البخارى : ٥ — ٨٧) وهو سعد بن أبى وقاص . وتخلف : تبقى بعد هذا الزمان . قال الخفاجى (٣ — ٢٠٩) : فكان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة ونفع الله به المسلمين ، لما كان على يديه من الفتوح ، وهدى الله به أناسا أسلموا على يديه ، وغنموا معه ؛ وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم ، وسبى .

(٢) فى حديث صحيح رواه البخارى ، عن أنس . صحيح البخارى : ٥ — ١٨٢

(٣) مؤتة : اسم موضع بالشام كانت فيه غزوة مشهورة . وفى هامش ا : مؤتة — بالهمز : أرض بالشام . وموتة — بغير همز : شبه الجنون . وموتة — بفتح الميم : الواحدة من الموت .

(٤) رواه الشيخان ، عن أبى هريرة .

(٥) فى حديث رواه البيهقى .

(٦) رواه أحمد فى مسنده . والحديث فى شرح الخفاجى (٣ — ٢١٢)

(٧) لطريده : نفيه من المدينة .

(٨) يعنى مكة .

(٩) فيما رواه مسلم . صحيح مسلم : ١٩٠٧

(١٠) قال الخفاجى (٣ — ٢١٣) : وهذا يحتمل أن يكون من الطول : ضد القصر ؛ وأن يكون من الطول — بالفتح ؛ وهو الجود والإنعام .

وأخبر[١] بقَتْل الحُسين بالطَّف[٢]، وأخرج بيده تُرْبة، وقال: فيها مَضْجَعُه.

وقال[٣] فى زيد بن صُوحان: يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة؛ فقُطعت يَدُه فى الجهاد.

وقال[٤] فى الذين كانوا معه على حِرَاء[٥]: اثْبُتْ، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيق وشَهيد؛ فقُتِل عليٌّ، وعُمَر، وعثمانُ، وطلحةُ، والزُّبيرُ؛ وطُعِن سعدٌ.

وقال[٦] لسُرَاقةَ: كيف بكَ إذا أُلْبستَ سُوَارَيْ كِسْرى؟ فلما أُتِيَ بهما عُمَرُ ألبسهما إياه، وقال: الحمدُ لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سُراقةَ.

وقال[٧]: تُبْنى مدينةٌ بين دِجْلَة ودُجَيْل وقُطْرُبُلّ والصَّرَاة، تُجْبَى إليها خزائنُ الأَرْض، يُخْسَف بها - يعنى بغداد[٨].

وقال[٩]: سيكونُ فى هذه الأمة رَجلٌ يقال له الوليدُ[١٠]؛ هو شَرٌّ لهذه الأمة من فرعونَ لقومه.

---

(١) فى حديث رواه البيهقى. (٢) الطف: مكان بناحية الكوفة.

(٣) فى حديث رواه ابن عدى، والبيهقى مسندا. والخبر فى الاستيعاب: ٥٦٦، وقال: أصيبت يد زيد يوم جلولاء، ثم قتل يوم الجمل مع على.

(٤) فى حديث رواه مسلم: صحيح مسلم: ١٨٨٠

(٥) حراء: اسم جبل معروف بقرب مكة. قال فى صحيح مسلم: وعليه النبى، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص.

(٦) فى حديث رواه البيهقى. وسراقة: هو سراقة بن مالك. وهو الذى كان قد خرج فى طلب النبى صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه. وقد أسلم بعد، وتوفى سنة أربع وعشرين.

(٧) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل، والخطيب فى تاريخه.

(٨) قال القارى (١-٧٠٣): لكن قال أحمد بن حنبل: لم يحدث بحديث بغداد ثقة، ومداره على عمار بن سيف. وقال الذهبى - فى ميزانه (٣ - ١٦٥): له حديث منكر جدا، وذكر حديث بغداد هذا. (٩) فى حديث رواه الإمام أحمد، والبيهقى، عن سعيد بن المسيب.

(١٠) يقال: إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الأمة، وكان ماجنا سفيها (شرح الخفاجى: ٣ - ٢١٧).

وقال (١) : لاتقومُ الساعةُ حتى تَقْتَتِلَ فئتان دَعْواهما واحدةٌ (٢) .

وقال (٣) لعمَرَ فى سُهَيْل بْنِ عَمْرٍو : عسى أَنْ يَقُومَ مقاماً يَسُرُّك يا عُمر! فكان كذلك ؛ قام بمكّة مقامَ أبى بكر (٤) يوم بلغهم مَوْتُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وخطب بنحو خُطْبتِه ، وثبَّتهم وقوَّى بصائرهم .

وقال (٥) لخالد حين وجَّهه لأُكَيْدِر : إنك تجدُه يَصِيد البقَر ؛ فوُجِدت هذه الأمورُ كلُّها فى حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم .

إلى ما أخبر به جُلساءه من أسرارهم وبَوَاطِنهم ، واطّلَع عليه من أسرار المنافقين وكُفْرهم ، وقولهم فيه وفى المؤمنين ، حتى إنْ كان بعضُهم ليقولُ لصاحبه : اسكُتْ ، فوالله لو لم يكُنْ عنده مَنْ يُخْبِره لأخبرَتْه حِجارةُ البَطْحاء (٦) .

وإعلامُه بصفة السِّحر الذى سَحره به لَبِيد (٧) بن الأَعْصَم ، وكونه فى مُشْطٍ ومُشَاقةٍ (٨) ، فى [١٢٤] جُفِّ (٩) طَلْعِ نخلة ذَكَرٍ ، وأنه أُلقِىَ فى بئر ذَرْوَان (١٠) ؛ فكان كما قال ، ووُجِد على تلك الصِّفَة .

---

(١) فى حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢١٤

(٢) قال الخفاجى : وقد وقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية .

(٣) فى حديث رواه البيهقى ، والحاكم .

(٤) أى مثل مقام أبى بكر فى المدينة ، وخطب خطبة مثل خطبته .

(٥) رواه ابن إسحاق ، والبيهقى .

(٦) البطحاء : أرض مستوية يسيل فيها الماء . والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء .

(٧) لبيد بن الأعصم : يهودى من بنى زريق . وقد سبق حديث سحره .

(٨) هذا فى ا ، ب . وفى هامشهما: ومشاطة هوالصحيح . والمشاطة : الشعر الذى يسقط من اللحية عند التسريح . والحديث فى صحيح مسلم : ١٧٢٠ ، وفيه أيضا : ومشط ، ومشاطة .

(٩) الجف : وعاء الطلع الذى عليه كالغشاء .

(١٠) بئر بالمدينة . وفى صحيح مسلم : ذى أروان .

وإعلامُه(١) قُريشًا بأكْلِ الأَرَضَةِ(٢) ما في صحيفتهم التي تظاهَرُوا(٣) بها على بني هاشم، وقطعوا بها رَحِمَهُم، وأنها أبقَتْ فيها كلَّ اسمٍ للهِ؛ فوجدوها كما قال.

ووصفُه(٤) لكفارِ قريش بيتَ المقدس حين كذّبوه في خَبَرِ الإسراء، ونَعْتُه إياه نَعْتَ مَنْ عرفَهُ.

وأعلمهم بِعِيرِهم(٥) التي مرَّ عليها في طريقه؛ وأنذَرَهم بوقْتِ وصولها؛ فكان كلُّه كما قال.

إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم يَأْتِ بعدُ(٦)؛ منها ما ظهرَتْ مُقَدِّماتها(٧)؛ كقوله(٨): عُمْرانُ بيت المقدس خَرَابُ يَثْرِب(٩)؛ وخَرابُ يَثْرِب خروجُ المَلْحمة(١٠)، وخروجُ الملحمة فتحُ القسطنطينية(١١).

---

(١) رواه البيهقي، عن الزهري، في الدلائل.

(٢) الأرضة: دودة تأكل الورق، ومنها ما تأكل الخشب. (٣) تظاهروا بها: تعاونوا.

(٤) في حديث الإسراء. وقد تقدم. (٥) بعيرهم: بقافلتهم.

(٦) أي لم يقع عقب إخباره، بل بعده بأزمان متباعدة، بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لما تظهر؛ فإذا جاء الإبان تجيء؛ فإن خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف.

(٧) علاماتها المتقدمة عليها.

(٨) في حديث رواه أبوداود في سننه: سنن أبي داود: ٢–١٣٦ (٩) يثرب: اسم المدينة.

(١٠) خروج الملحمة: خروج: ظهور. والملحمة: موضع المعركة والقتال، وتكون بمعنى الحرب. وفي الصحاح: الملحمة: الوقعة العظيمة في الفتنة؛ والمراد الفتن العظيمة، والهرج الذي يكون في آخر الزمان.

(١١) قال في نسيم الرياض (٣ – ٢٢٣): والمذكور في هذا الحديث كله يكون إذا قرب نزول عيسى عليه السلام، وكذا ما معه من الأشراط.

وبقية الحديث – كما في سنن أبي داود: وفتح القسطنطينية خروج الدجال، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدث أو منكبه. ثم قال: إن هذا لحق كما أنك هاهنا، أو كما أنك قاعد – يعني معاذ بن جبل.

ومِنْ أشراط(١) الساعة وآيات حلولِها ، وذِكْرِ النَّشْرِ(٢) والحَشْرِ ، وأخبارِ الأبرار والفجّار ، والجنة والنار ، وعرَصات(٣) القيامة .

وبحَسْب هـذا الفصل أن يكون ديوانا(٤) مُفْرَدا يشتملُ على أجزاء وحْدَهُ ؛ وفيما أشرْنا إليه من نُكت(٥) الأحاديث التي ذكرنا كفايةٌ ، وأكثرُها في الصحيح ، وعند الأئمة .

فصــــل

في عصمة(٦) الله تعالى له من الناس وكفايته مَنْ آذاه

قال اللهُ تعالى(٧) : ﴿ واللهُ يَعْصِمكَ من الناس ﴾ .

وقال تعالى(٨) : ﴿ واصْبِرْ لحكْمِ ربِّك فإنّكَ بأعْيُننا ﴾ .

وقال(٩) : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بكافٍ عَبْدَه ﴾ .

---

(١) الأشراط : العلامات والمقدمات .

(٢) النشر للميت أن يحيا فيقوم من قبره . والحشر : سوق الناس إلى المحشر للحساب .

(٣) عرصات : جمع عرصة : كل موضع واسع لابناء فيه ؛ أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ماورد في الحديث من بيان مواقف القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها .

(٤) ديوانا : كتابا مدونا مستقلا .

(٥) نكت الأحاديث : لطائفها ودقائقها النفيسة .

(٦) العصمة : أصل معناها التمسك ، ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ عن نيل المضرة من الأعداء ؛ والمراد هنا المعنى الأخير .

(٧) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٨) سورة الطور ، آية ٤٨ ، أمره بالصبر على أعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ، ثم سلاه بأنه لايخاف من أحد ، فإنه محفوظ بعين العناية من الله . وإنك بأعيننا : أي بمرأى منا ، ومرعى في حفظنا .

(٩) سورة الزمر ، آية ٣٦

وقيل : بكاف محمداً صلّى اللهُ عليه وسلم أعداءه المشركين . وقيل غَيْر هذا [١] .
وقال [٢] : ﴿ إنّا كفيْنَاكَ المستَهْزئين ﴾ .

وقال [٣] : ﴿ وإذ يَمْـكُرُ بكَ الذين كفرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يقتلوكَ أو يُخرِجوكَ ، ويَمْـكُرُونَ ويمكرُ اللهُ ، واللهُ خَيْرُ الماكرين ﴾ .

أخبرنا القاضي الشهيدُ أبو عليّ الصَّدَفي بقراءتي عليه ، والفقيهُ الحافظ أبُو بكر محمد عبد الله المَعَافِريّ [٤] ؛ قالا : حدثنا أبو الُحسين الصَّيْرفي ؛ قال : حدثنا أبو يَعْلَى البَغْدَادي ، حدثنا أبو عليّ السِّنْجيّ ، حدثنا أبو العباس المَرْوزي ، حدثنا أبو عيسى الحافظ ، حدثنا عَبْد بن حُميد ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عُبيد ، عن سَعِيد الُجرَيْري ، عن عَبْد الله بن شَقِيق ، عن عائشة رضِيَ الله عنها ؛ قالت : كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يُحْرَس [٥] حتى نزلت هذه الآية [٦] : ﴿ والله يَعْصِمُكَ من الناس ﴾ ـ فأخرج رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم رَأْسَه من القُبَّة [٧] ؛ فقال لهم : يأيُّها الناس ، انصرفوا ؛ فقد عصمني رَبِّي عزّ وجلّ .

---

(١) قيل : المراد أنه تعالى تـكفل بارزاق جميع عباده . أو غير هذا : غير القول بقصر الـكفاية على محمد ؛ بل كافيه ، ولا كافى غيره ، فتـكون الإضافة للجنس قال القارى (١ ـ ٨ ـ ٧٠٨) : ويؤيده قراءة حمزة والـكسائي : أليس الله بكاف عباده ـ بصيغة الجمع .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩٥ . والهزؤ : السخرية والتهـكم على سبيل التحقير . والمراد نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزءون به ، فأهلـكهم الله لما اشتدت أذيتهم ، ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠ والمـكر : الحيلة والخداع ، ولا يوصف به الله سبحانه ـ إلا على طريق المشاكلة . وهو إشارة إلى ما كان منهم بدار الندوة .

(٤) هذا في ا ، ب . وانفرد الشهاب بالنص على أنه بغين معجمة ، ولم نعثر على ما يؤيده فيما لدينا من المراجع . والمعافرى هذا هو ابن العربي . وقد توفى بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

(٥) كان يحرسه الصحابة . (٦) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٧) القبة : كل مرتفع من البناء أو الخيمة والخباء . والمراد هنا : خباء كان فيه النبي صلى =

وروى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل مَنْزلا اختار له أصحابُه شجرةً يَقِيلُ (١) تحتها ، فأتاهُ أعرابيٌّ فاخترط (٢) سيْفَه ثم قال : مَنْ يمنعُك منّى ؟ فقال : اللهُ عزّ وجل ؛ فرُعِدَتْ (٣) يَدُ الأعرابيّ ، وسقط سيفُه ، وضرب برأسه الشجرة (٤) حتى سال دِماغُه ؛ فنزلت الآية (٥) .

وقد رُوِيت هذه القصةُ في الصحيح (٦) ، وأنْ غُورَثَ بن الحارث صاحبُ هذه القصة ، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عَفا عنه ؛ فرجع إلى قومه ، وقال : جئتُكم من عند خَيْرِ الناس .

وقد حُكِيت مِثْلُ هذه الحكايةِ ، وأنها جرت له يوم بَدْر ؛ وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجتِه ، فتبعه رجلٌ من المنافقين . . . وذكر مِثْلَه .

= الله عليه وسلم في بعض أسفاره . وقيل: إنه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب . والحديث رواه الترمذى: ٥ – ٢٥١، وابن كثير : ٣ – ١٤٤ ، وقال :هذا حديث غريب فيه نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضى أنها مكية . وقال الترمذى في سننه (٥ – ٢٥١) . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(١) يقيل : ينزل وقت القائلة ، وهى الظهيرة وما قاربها للاستراحة ، سواء نام أم لا .

(٢) اخترط سيفه : سله وأخرجه من قرابه ليضربه به .

(٣) أصابتها رعدة ، وهى اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف . وفى ا: فأرعدت .

(٤) إنما فعل ذلك لما اعتراه من ذهاب عقله ، فلم يزل ينطحها .

(٥) قال في نسيم الرياض (٣ – ٢٢٩) : وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا : لم يوجد في الكتب المعتبرة عند أهل الأثر ، ولم يذكروه فى أسباب النزول .وقال القارى (١ – ٧١٠): وما رواه من الزيادة فغير معروف عند أرباب الدراية .

(٦) وهذا الحديث رواه البخارى : ٥ – ١٤٧ ، ٤ – ٧٤ . ورواه ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام : ٣ – ٣١٦

وقد رُوِىَ [١] أنه وقَع له مِثْلُها فى غزوة غَطَفان بذى أَمَر [٢] ، مع رجل اسمه دُعْثُور بن الحارث ، وأن [١٢٥] الرجلَ أَسْلَم ؛ فلما رجع إلى قومه الذين أَغْرَوْه ـ وكان سيِّدَهم وأشجَعهم ـ قالوا له : أين ما كنْتَ تقولُ ، وقد أمكنك [٣] ؟ فقال : إنّى نظرتُ إلى رجل أبيضَ طويلٍ دَفَع فى صَدْرِى ، فوقعتُ لظَهْرِى ، وسقط السيفُ ، فعرفتُ أنه مَلَك ، وأسلمتُ [٤] .

وفيه نزلت [٥] : ﴿ يأيّها الذين آمَنُوا اذْكُروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ هَمَّ قومٌ أَنْ يَبْسُطوا إليكم أيديَهم ، فكفَّ أيديَهم عنكم ، واتَّقُوا اللهَ وعلى الله فليتوكّلِ المؤمنون ﴾ .

وفى رواية الخطَّابى أنَّ غُورثَ بن الحارث المُحَارِبى أراد أَنْ يَفْتِكَ [٦] بالنبىّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فلم يَشْعُر به إلّا وهو قائم على رَأْسِه مُنْتَضِياً سيفَه [٧] ، فقال : اللهم اكْفِنيه بما شئْتَ [٨] ، فانكبَّ [٩] مِنْ وَجْهه من زُلَّخة [١٠] زُلِّخَها بين كتفيه ، وندَر سيْفُه [١١] من يده .

---

(١) رواه ابن إسحاق فى سيرته : سيرة ابن هشام : ٣ ـ ٢١٦

(٢) ذو أمر : موضع غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورويت هذه الحادثة فى الواقدى أيضا : ١ ـ ١٩٥

(٣) أمكنه الأمر : إذا لم يمنعه مانع ، فصار ممكنا له . أو المراد : تمكنت منه لمصادفته له وحده ، ومعه سيف مسلول فى يده .

(٤) أسلم لما شاهده مما يدل على نبوته .

(٥) سورة المائدة ، آية ١١ ، وانظر فى ذلك أيضا تفسير ابن كثير : ٢ ـ ٥٩

(٦) يريد أن يقتله .

(٧) منتضيا سيفه : جرد سيفه وسله ، ليضربه به .

(٨) بما شئت : بالأمر والسبب الذى شئته وأردته ، والمراد تفويض أمر كفايته إلى الله وتسليم أمره له .

(٩) انكب : سقط لوجهه : سقط على وجهه .

(١٠) زلخة : وجع فى الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته (النهاية) . زلخها : أوجدها الله حين سل السيف .

(١١) ندر سيفه : سقط .

الزُّلَّخَة : وجع الظهر .

وقيل فى قصته غيرُ هذا، وذُكِر فيه[١] نزلت[٢]: ﴿ يأيُّها الذينَ آمنوا اذْكُرُوا نِعْمةَ اللهِ عليكم إذْ هَمَّ قَوْمٌ أنْ يَبْسُطُوا إليكم أيديَهم ، فكفَّ أيديَهم عنكم ، واتقوا الله وعلى اللهِ فَلْيتوكَّلِ المؤمنون ﴾ .

وقيل : كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يخافُ قريشا ، فلما نزلت هذه الآيةُ استَلْقَى[٣] ، ثم قال : مَنْ شاء فليَخْذُلْنى[٤] .

وذكر عَبْد بن حُميد ، قال : كانت حَمَّالَة الحطَب[٥] تضَعُ العِضَاهَ[٦] — وهى جَمْرٌ — على طريق رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يَطَؤُها كَثِيبا أهْيَل[٧] .

وذكر ابنُ إسحاق عنها أنها لمّا بلغها نزولُ[٨] : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وتَبَّ﴾ ، وذِكْرُها بما ذَكَرها اللهُ مع زَوْجها من الذم — أتَتْ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه أبو بكر ، وفى يَدِها فِهْرٌ[٩] من الحجارة .

---

(١) فيه : فى غورث .

(٢) سورة المائدة ، آية ١١

(٣) استلقى : نام واضعا ظهره على الأرض ، لأمنه أعداءه واطمئنان قلبه .

(٤) الخذلان : ترك النصرة . يريد أنى غنى عن المعين والحرس ، لأن الله حمانى وضمن لى ألا يضرنى أحد يصل إلى . ولذلك استلقى على ظهره ، وأظهر هيئة الآمن ، والمتبرى من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله .

(٥) حمالة الحطب : هى أم جميل زوجة أبى لهب .

(٦) العضاه : شجر له شوك إذا أوقد كان شديد الاحتراق .

(٧) كانت تقصد بذلك أن يمشى الرسول عليه فيؤذيه ويؤثر فى قدميه ، فكان النبى يضع قدمه على تلك العضاه فيجدها كثيبا — رملا مجتمعا — أهيل : سائلا . أى يجده سهلا لا يؤذيه .

(٨) سورة المسد ، آية ١

(٩) الفهر : حجر ملء الكف .

فلما وقفَتْ عليهما لم ترَ إلا أبا بَكر ، وأخذ اللهُ تعالى ببصَرِها[١] عن نبيه صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فقالت : يا أبا بكر ، أينَ صاحِبُكَ ؟ فقد بلغنى أنه يَهْجُونى[٢]، واللهِ لو وجدتُه لضربتُ بهذا الفِهْر فاه[٣].

وعن[٤] الحَكَم بن أبى العاصى : تواعَدْنا[٥] على النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خَلْفَنَا ما ظننَّا أنه بَقِى بتهامةَ أحدٌ[٦] ؛ فوقَعْنا مَغْشِيّا علينا ، فما أفَقْنا حتى قضى صلاتَه ورجع إلى أهله .

ثم تواعَدْنا ليلةً أخرى ، فجِئْنَا حتى إذا رأيناه جاءت[٧] الصَّفَا والمَرْوةُ ، فحالت بيننا وبينه .

وعن عُمر رضِىَ اللهُ عنــه : تواعَدْتُ[٨] أنا وأبو جَهْم بن حُذَيفة ليلةً قَتْلَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فجِئْنَا منزلَه ، فسمعنا له ، فافتتح وقرأ[٩] : ﴿ الحاقّة . ما الحاقّة . . . ﴾ إلى : ﴿ فهل ترَى لهم مِنْ باقِية ﴾ .

فضرب أبوجَهْم على عَضُد عُمر ، وقال : انْجُ ؛ وفرّا هاربين ؛ فكانت من متقدّمات إسلام عُمر رَضِى اللهُ عنه .

---

(١) أخذ الله ببصرها : قبض وحبس نظرها . (٢) يهجونى : يذمنى .

(٣) خصت الفم ، لأنه محل النطق بذمها . وهذا رواه البيهقى ، كما رواه ابن إسحاق . وارجع إليه أيضا فى تفسير ابن كثير : ٨ — ٥٣٧

(٤) رواه أبو نعيم فى الدلائل ، والطبرانى ، بسند جيد .

(٥) أى تواعد هو وبعض الكفرة على قتله والفتك به فى بعض الليالى .

(٦) أى لم يبق بتهامة أحد إلا وقد هلك بتلك الصيحة . أو أراد أن جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا . فالمعنى أنا تيقنا وجودهم خلفنا .

(٧) المراد بمجىء الصفا والمروة تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبين النبى .

(٨) فى نسيم الرياض (٣ — ٢٣٥) : هذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ إلا فى مسند أحمد بما يقرب منه . (٩) سورة الحاقة ، الآيات من ١ — ٨

ومنه [١] العِبْرةُ المشهورة ، والكفاية التامة [٢] عندما أخافته قُريش ، وأجمعت على قَتْله وبيَّتُوه [٣] ؛ فخرج عليهم من بيته ؛ فقام على رءوسهم ، وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم [٤] ، وذَرّ الترابَ على رءوسهم ، وخلص [٥] منهم .

وحِمايتُه [٦] عن رؤيتهم في الغار بما هيَّأ اللهُ له من الآيات ، ومن العنكبوت الذى نسج عليه ، حتى قال أُميّةُ بن خَلَف — حين قالوا : ندخُل الغار : ما أَرَبُكم [٧] فيه ، وعليه من نَسْج العنكبوتِ ما أُرى [٨] أنه قَبْل أَنْ يولَد محمد .

ووقعت حَمامتان على فمِ الغارِ ، فقالت قريش : لو كان فيه أحدٌ لما كانت هناك الحَمام .

وقصته [٩] مع سُراقَة بن مالك بن جُعْشُم حين الهجرة ، وقد [١٢٦] جعلت قُريش فيه وفى أبى بكر الجَعَائل [١٠] ، فأُنذِر به [١١] ، فركب فرسَه واتّبعه حتى إذا قرُب منه دعا عليه النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فساخت [١٢] قوائمُ فَرَسِه ، فخرّ عنها [١٣] ،

---

(١) ومنه : مما يشهد لأن الله تعالى عصمه من أعدائه .

(٢) العبرة : الأمر العجيب الذى يعتبر به ويتعظ . والكفاية التامة : أى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره .   (٣) بيتوه : قصدوا قتله ليلا فى خفية .

(٤) ضرب الله على أبصارهم : لم يحسوا به ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه ؛ وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه .

(٥) ذر التراب : نثره . خلص منهم : نجا منهم . وفى ب : ذرأ .   (٦) حمايته : حفظه .

(٧) الأرب : الحاجة المطلوبة ؛ أى ليس لكم مطلوب ولا حاجة .

(٨) ما أرى : ما أظن وأعتقد .

(٩) القصة فى الصحيحين : صحيح مسلم : ١٥٩٢ ، وفى سيرة ابن هشام : ٢ — ١٠٢

(١٠) الجعائل : الجعل : الأجرة على الشىء فعلا أو قولا (النهاية) .

(١١) أنذر به : أعلم سراقة بالنبى .

(١٢) ساخت قوائم فرسه : غاصت فى الأرض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها .

(١٣) خر عنها : سقط من فوق ، ورمى نفسه عنها خوفا من أن تخسف به الأرض فيهلك .

واستقْسم(١) ، بالأزلام ؛ فخرج له ما يكره .

ثم ركب ودَنَا حتى سمع قراءةَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو لا يلتفتُ(٢) ؛ وأبو بكر رضى الله عنه يلتفتُ ، فقال(٣) للنبى صلى اللهُ عليه وسلم : أُتينا(٤) . فقال : لا تحزَنْ إنّ اللهَ معنا . فساخت ثانيةً(٥) إلى رُكْبتها ، وخرّ عنها ؛ فزجرها(٦) فنهضَتْ ولقوائمها مِثْلُ الدُّخَان(٧) ؛ فناداهم بالأَمان(٨) ؛ فكتب له النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أمانًا ؛ كتبه ابن فُهيرة(٩) ، وقيل أبو بكر ؛ وأخبرهم بالأخبار(١٠) ؛ وأمره النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ألا يترك أحدا يلحقُ بهم .

فانصرف يقولُ للناس : كُفِيتُم ما هاهنا(١١) ،

---

(١) الأزلام : جمع زلم ؛ وهى قداح ، أى سهام لا ريش لها ولا نصل ، كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها أفعل ، وعلى بعضها لا أفعل ، ويضعونها فى متاعهم إذا سافروا ، فإذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلما يتفاءلون به فيفعلون أو يتركون . ومعنى الاستقسام : طلب ما قسم وقدر له . (٢) وهو لايلتفت : والنبى لايلتفت إليه لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه .

(٣) القائل : هو أبو بكر وفى ا : وقال .

(٤) أتينا : أتانا العدو ، وأدركنا من يطلبنا .

(٥) فساخت ؛ أى قوائم فرس سراقة .

(٦) زجرها : صاح عليها .

(٧) ولقوائمها مثل الدخان : أى غبار مرتفع فى الجو كأنه دخان .

(٨) بالأمان : أى رفع صوته قائلا لهم : الأمان . الأمان . والمراد تأمينهم منه ، وأنه لايلحقهم منه ضرر وخوف بإخباره الأعداء . أو طلب منهم الأمان ؛ أى أن يعطوه أمانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ــ صلى الله عليه وسلم ، ومن دعائه عليه .

(٩) ابن فهيرة : عامر بن فهيرة ؛ وكان يرعى غنما لأبى بكر رضى الله عنه ويجىء لهما كل ليلة فى الغار باللبن يتغذيانه .

(١٠) وأخبرهم : أى أخبر سراقة النبى وأبا بكر وابن فهيرة ــ بالأخبار . أى بأخبار قريش ، وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعائل . . .

(١١) كفيتم ما هاهنا : معناه ارجعوا كفيتم الطلب ؛ فإنى لم أجدهم .

وقيل : بل قال لهما[1] : أَرَاكُما دعوتما علىّ ، فادْعُوَا لى .

فنجا ، ووقع فى نَفْسه ظهورُ النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم[2] .

وفى[3] خبر آخر : أنّ راعياً عرفَ خَبَرهما ، فخرج يشتَدّ[4] ، يُعلِمُ قريشا ؛ فلما ورد مكةَ ضُرِب[5] على قَلْبِه ، فما يَدْرى ما يَصْنع ؛ وأُنْسِىَ ما خرج له حتى رجع إلى موضعه .

وجاءه[6] ـ فيما ذَكر ابنُ إسحاقَ وغَيْرُه ـ أبو جهل ، بصَخْرةٍ وهو ساجدٌ ، وقريش ينظرون ، ليَطْرَحَها عليه ، فلزقَتْ بيده ، ويَبِستْ يدَاهُ إلى عُنقه ، وأقبل يرجعُ القَهْقرى إلى خَلْفِه ؛ ثم سـألهُ أنْ يدعُوَ له ؛ ففعل ؛ فانطلقت يَدَاه ؛ وكان قد تواعد مع قُريش بذلك ، وحلف لئن رآهُ ليَدْمَغنّه[7] ؛ فسألوه عن شـأنه ، فذكر أنه عرَضَ لى دونه فَحْلٌ[8] ، ما رأيتُ مِثْلَه قطّ ، همَّ بى أن يأكلنى .

فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : ذاكَ جِبْريل ، لو دَنَا لأَخذَه[9] .

وذكر السَّمَرْقَنْدى أنّ رجلا من بنى المُغِيرة أتَى النبىَّ صلى الله عليه وسلم لِيَقْتُلَه ، فطَمَس اللهُ على بَصَرِه[10] ؛ فلم يرَ النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وسمعَ قولَه ، فرجع إلى أصحابه فلم يَرهم حتى نادَوْه .

---

(١) لهما : للنبى وأبى بكر . (٢) سيرة ابن هشام : ٢ — ٩٩

(٣) قيل : إنه لايعرف من رواه (نسيم الرياض: ٣ — ٢٤١) . وقال القارى(١—٧١٥): غير معروف عند أهل الأثر .

(٤) يشتد : يسرع فى مشيه .

(٥) ضرب على قلبه : منع من الإدراك وذهل عما جاء له .

(٦) وهذا فى دلائل أبى نعيم عن ابن عباس .

(٧) ليدمغنه : ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه ؛ يقال : دمغه ، إذا أصاب دماغه فقتله . (٨) فحل : جمل عظيم هائج .

(٩) لأخذه : لأهلكه . (١٠) طمس الله على بصره : غطاه وغشاه حتى لم يره .

وذكر أنَّ في هاتين القصتين(١) ، نزلت(٢) : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ(٣) . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

ومن ذلك ما ذكره ابنُ إسحاق(٤) ، وغيره في قِصَّته ، إذْ خرج إلى بني قُرَيْظَةَ(٥) ، في أصحابه ، فجلس إلى جِدارِ بَعْضِ آطامهم(٦) ، فانبعث عَمْرُو(٧) بن جِحَاش أحدُهم لِيَطْرَحَ عليه رَحًى ، فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم فانصرفَ إلى المدينة وأعلمهم بِقِصَّتِهم(٨) .

وقد قيل : إنّ قولَه تعالى(٩) : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ في هذه القصة نزلت .

---

(١) القصتين : يريد قصة أبي جهل ، وقصة هذا الرجل . والخبران في تفسير ابن كثير ٦ : ٥٥٠ – (٢) سورة يس ، آية ٨ ، ٩

(٣) الإقماح : رفع الرأس وغض البصر .

(٤) ذكره ابن إسحاق في : سيرة ابن هشام : ٢ – ١٩٢

(٥) من يهود خيبر . (٦) الآطام : جمع أطم ، وهو الحصن هنا .

(٧) انبعث : توجه ، أو أسرع واندفع ، وعمرو بن جحاش : من بني قريظة .

(٨) أي أخبر بني قريظة في نبذ عهدهم .

قال في نسيم الرياض (٣ – ٢٤٣) : وقد اعترض على المصنف بأن هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير ، وسيأتي أيضا في هذا الكتاب – وإنما هي مع بني النضير ، وسبب غزوة بني النضير .

وأما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعـــة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد . وهو الصواب .

(٩) سورة المائدة ، آية ١١

وحكى السَّمَرْقَنْدِى أنه خرج إلى بنى النَّضِير يستعينُ فى عَقْلِ الكِلَابِيَّيْنِ[١] اللَّذَيْنِ قتلهما عَمْرُو بن أمية ؛ فقال له حُيَىّ بن أَخْطَب : اجلس يا أبا القاسم حتى نُطْعِمَك ونُعْطيك ما سألتَنا .

فجلس النبىُّ صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وعُمر رضِىَ اللهُ عنهما ، وتَوامَر[٢] حُيَىّ معهم على قَتْلِهِ ، فأعلم جبريلُ عليه السلام النبىَّ صلى اللهُ عليه وسلم بذلك ؛ فقام كأنه يريدُ حاجتَه حتى دخل المدينة[٣] .

وذكر أهلُ التفسير والحديث[٤] ، عن أبى هريرة رضِىَ اللهُ عنه ـ أن أبا جَهْل وعَد قُريشا لئن رأى محمدا يصلِّى ليَطَأَنَّ[٥] رقَبَتَه .

فلما صلَّى النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم أَعْلَمُوه[٦] ؛ فأقبل ؛ فلما قَرُب منه وَلى هاربا ناكصا على [١٢٧] عَقِبَيه ، متقِّيا بيَدَيْه[٧] ؛ فسئل فقال : لما دَنَوْتُ منه أشرَفْتُ[٨] على خَنْدق مملوء نارا كِدْتُ أَهْوِى فيه[٩] ، وأبصرتُ هَوْلا عظيما[١٠] ، وخفْقَ أجنحةٍ[١١] قد ملأت الأرضَ .

---

(١) يستعين : يطلب أن يعينوه فى الدية . عقل الكلابيين : ديتهما .

(٢) توامر : تشاور .

(٣) ثم سار إليهم وحاصرهم ست ليال ، وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم .

(٤) رواه مسلم ، والنسائى صحيح مسلم : ٢١٥٤ . وفى ا : ومعنى الحديث . . .

(٥) ليطأن رقبته : أى يدوس على عنقه الشريف برجله . (٦) أى أعلموا أبا جهل .

(٧) ناكصا : متأخرا راجعا الخلف . والعقب : مؤخر القدم . ونكص على عقبيه : ولى يخاف العاقبة . متقيا بيديه : مادا يديه كمن يدفع أمرا يتقيه .

(٨) أشرفت : اطلعت قريبا منى .

(٩) أهوى : أقع وأسقط . (١٠) هولا عظيما : أمرا مخوفا عظيما لم أر مثله .

(١١) خفق أجنحة : أجنحة تضطرب لها أصوات هائلة .

فقال النبيُّ صلّى اللهَ عليه وسلم : تلك المــــلائـكةُ ، لودَنا لاختطفتْهُ عُضْواً عضْوا[1] .

ثم أُنزل على النبي صلى الله عليه وسلم[2] : ﴿ كلّا إنّ الإنسانَ ليَطْغَى[3] . أنْ رآه استغْنَى . إنّ إلى ربّكَ الرُّجْعَى . أرأيْتَ الذى يَنْهَى . عبداً إذا صلّى . أرأيتَ إنْ كان على الهُدَى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إنْ كذّب وتولّى . ألمْ يَعلَمْ بأنّ اللهَ يرى . كلا لئن لم يَنْتهِ لنَسفعاً بالناصيةِ . ناصيةٍ كاذِبةٍ خاطئــــة . فليَدْعُ نادِيَه . سنَدْعُ الزَّبَانية . كلا لا تُطِعْهُ واسجُدْ واقترب ﴾ .

ورُوى[4] أنَّ شَيْبة بن عثمان الحَجَبى أدركه[5] يوم حُنَيْن ، وكان حمزةُ قد قتَل أباه وعمّه ، فقال : اليومَ أدْركُ ثأرى من مُحَمد .

فلما اختلط الناسُ أتاهُ من خَلْفِه ، ورفع سيفَهُ ليَصُبّه عليه[6] ؛ قال : فلما دنوتُ منه ارتفع إلىّ شواظٌ[7] من نارٍ أسرعُ من البرقِ ، فولّيتُ هاربا ؛ وأحَسّ بى النبيُّ صلى الله عليه وسلم فدعانى ، فوضع يــدَهُ على صَدْرى ، وهو أبغَضُ الخَلْق إلىّ ؛ فما رفعها إلّا وهو أحبُّ الخَلْقِ إلىّ ؛ [وقال لى : ادْنُ[8] فقاتِلْ ؛ فتقدمتُ أمامَه أضربُ بسيفى وأقيه بنفسى[9] ، ولو لقيتُ أبى تلكَ الساعةَ لأوقعتُ به[10] دونه][11] .

---

(١) عضوا عضوا : أى مزقته وفرقت أعضاءه . والأثر فى تفسير ابن كثير : ٨ — ٤٦١ ، وتفسير الطبرى : ٣٠ — ١٦٥

(٢) سورة العلق من آية ٦ إلى آخر السورة . (٣) ليطغى : طغيانه : تجاوز حده .

(٤) الراوى هو أبو نعيم فى الدلائل . (٥) أدركه : أدرك النبى ولحق به .

(٦) ليصبه عليه : ليضرب به ويقتله ويأخــذ بثأره ويشفى غليله ممن كان سببا فى قتــل أبيه وعمه . (٧) شواظ : لهب . (٨) ادن : من العدو أو منى .

(٩) أقيه بنفسى : أجعل نفسى وقاية له . (١٠) لأوقعت به سيفى وقتلته .

قال فى نسيم الرياض (٣ — ٢٤٨) : والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح .

(١١) ما بين القوسين كتب أمامه فى هامش ا : صح ، من الأم ، من غير الرواية .

وعن فَضَالة بن عَمْرو[١] : أردتُ قتْلَ النبيّ صلى الله عليه وسلم عامَ الفتح ، وهو يطوفُ بالبيت ؛ فلما دنـوتُ منه قال : أفَضَالة ؟ قلتُ : نعم . قال : ما كنتَ تحدِّثُ به نَفْسَك ؟ قلتُ : لا شيْء . فضَحِكَ واستغفر لى ، ووضع يدَه على صَدْرى ، فسكن قلبى ، فوالله مارفعها حتى ما خلق الله شيئا أحبّ إلىّ منه .

ومن مشهورِ[٢] ذلك خَبَرُ عامر بن الطُّفَيل ، وأرْبد بن قيس – حين وفَدا على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان عامرٌ قال له : أنا أشغَلُ عنك وَجْه محمد[٣] فاضرب به أنت . فلم يرَهُ فعل شيئا ؛ فلما كلَّمه فى ذلك قال له : والله ما هَمَمْتُ أنْ أضربَهَ إلا وجدتُك بينى وبينه ؛ أفأَضْرِبك !

ومن عصمته له تعالى أن كثيرا من اليهود والكَهنَة أنْذَروا به[٤] وعيَّنوه لقُريش ، وأخبروهم بسطوَتِه بهم[٥] ، وحضُّوهم على قتْله ؛ فعصَمَهُ اللهَ تعالى حتى بلغ فيه أمْرَه[٦] .

ومن ذلك نَصْرُه بالرُّعْب[٧] أمامَهُ مَسيرةَ شَهْر ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم[٨] .

---

(١) رواه ابن إسحاق ، وابن سيد الناس . وفى سيرة ابن هشام : فضالة بن عمير الليثى . والخبر فى سيرة ابن هشام : ٤ – ٣٧

(٢) رواه ابن إسحاق ، والبيهقى ، وأبو نعيم فى الدلائل : سيرة ابن هشام : ٤ – ٢٣٣

(٣) أشغل عنك وجه محمد : ألهيه حتى تبطش به .

(٤) أنذروا به : أخبروا وأعلموا .

(٥) بسطوته بهم : أى إنه يغزوهم ويقتلهم .

(٦) بلغ فيه أمره : حفظه ، ونصره ؛ وأظهر دينه على جميع الأديان .

(٧) بالرعب : بإلقاء الخوف منه فى قلوب أعدائه ، وفى قلوب من لم يتبعه .

(٨) هو فى الصحيحين ، وفى مسند أحمد : صحيح مسلم : ٣٧١ ، ٣٧٢

فصل

[من معجزاته الباهرة]

ومن معجزاته الباهرة[١] ما جَمعه اللهُ له من المعارف والعلوم، وخصّه به من الاطّلاع على جميع مصالح الدُّنيا والدِّين، ومعرفته بأمُور شرائعه[٢]، وقوانين دِينه، وسياسةِ عِبادِه، ومصالِح أمته، وما كان فى الأمم قَبْلَه، وقصَص الأنبياء والرُّسُل والجبابرة[٣] والقرونِ الماضية من لَدُنْ آدم إلى زمَنه، وحِفْظ شرائعهم وكتبهم، وَوَعِى[٤] سِيرَهم، وسَرْدِ أنبائهم، وأيام اللهِ[٥] فيهم، وصفاتِ أعيانهم[٦]، واختلافِ آرائهم، والمعرفةِ بمُدَدِهم وأعمارهم، وحِكَم حُكمائهم، ومُحاجّةِ كلِّ أمّةٍ من الكفَرة[٧]، ومُعارَضة كلِّ فِرْقة[٨] من الكتابِيين بما فى كُتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومُخبَّآت علومها، وإخبارهم بما كتَمُوا من ذلك وغيَّرُوه.

إلى الاحتواء[٩] على لغات العرَب، وغريبِ ألفاظِ فِرَقها، والإحاطةِ بضروب فصَاحاتها[١٠]، والحفظِ لأيّامِها وأمثالها، وحِكَمها ومعانى أشعارها، والتخصيص[١١] بجَوامِع كَلِمِها.

---

(١) الباهرة: البالغة الظاهرة على غيرها.

(٢) شرائعه: التى شرعها الله له ولعباده على لسانه.

(٣) الجبابرة: الجبار — فى صفة الإنسان: الذى يجبر نقصه بادعاء منزلة من التعالى لا يستحقها. ويقال للقاهر لغيره جبار.

(٤) الوعى: الحفظ، والجمع.

(٥) أيام الله فيهم: أى وقائعهم التى قدرها الله لهم. والأيام تطلق على الوقائع والحروب كأيام العرب.

(٦) أعيانهم: كبارهم ورؤساؤهم. وقيل: ذواتهم.

(٧) محاجة كل أمة من الكفرة: أى ذكر حجته وبرهانه، وما حاج به غيره.

(٨) معارضته: مخالفته ورده.

(٩) الاحتواء: الاشتمال والحفظ.

(١٠) هذا فى ا، ب.

(١١) والتخصيص: أى تخصيص الله إياه بنطقه بجوامع كلام العرب؛ أى بالألفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة.

إلى المعرفة بضَرْبِ الأمثالِ الصحيحة ، والحِكَم البيّنة لتقريب التفهيم للغامض، والتبيين المُشكل ، إلى تمهيد[1] قواعدِ الشَّرْعِ الذى لا تناقُضَ فيه ولا تخاذُل ، مع اشْتِمال شَرِيعته على محاسِنِ الأخلاقِ ومحامِدِ الآداب [١٢٨] وكلِّ شىء مُستحسن مُفَضَّل ، لم يُنْكِرْ منه مُلْحِدٌ[2] ذو عَقْل سليم شيئًا إلّا مِنْ جهة الخِذْلان[3] .

بل كلُّ جاحدٍ له وكافر من الجاهلية به إذا سَمِع ما يَدْعُو إليه صَوَّبه[4] ، واستحسنه دونَ طلبِ إقامةِ بُرْهانٍ عليه .

ثم ما أُحِلَّ لهم من الطيبات، وحُرِّمَ عليهم من الخبائث[5] ، وصانَ به أنفُسَهم وأعراضَهم وأموالَهم من المُعاقَبات والحدودِ[6] عاجلا ، والتخويفِ بالنار آجلا [ممّا لا يعلمُ عِلْمَه، ولا يقوم به ، إلا مَنْ مارس الدَّرْسَ[7] والعُكوفَ على الكُتب، ومُثَافَنة[8] بعضِ هذا][9] .

إلى الاحتواء[10] على ضُروبِ العلوم ، وفُنُونِ المعارفِ ؛ كالطب ، والعِبارة[11] ، والفرائض[12] ، والحِسابِ ، والنَّسَب ، وغير ذلك من العلوم مِمّا اتخذَ أهلُ هذه المعارفِ كلامَه صلى الله عليه وسلم فيها قُدْوةً وأُصولا فى علمهم ؛

---

(١) تمهيد : بسطه والتوطئة له . (٢) ملحد : مائل عن الحق زنديق .

(٣) أصل الخذلان : عدم النصر ، والمراد به عدم التوفيق .

(٤) صوبه : اعتقد أنه صواب .

(٥) الخبائث : كالميتة والدم ، ولحم الخنزير .

(٦) المعاقبات والحدود ؛ كالحد ، والتعزير، والحبس، وكحد الزنا والسرقة ، والقذف ، وشرب الخمر .

(٧) مارس الدرس : لازم دراسة الكتب واجتهد فيها . والعكوف : الإقبال على الشىء وملازمته . (٨) ومثافنة : ومتابعة . (٩) ما بين القوسين ساقط فى ا .

(١٠) إلى الاحتواء : أى مع اشتمالها أو مضموما إلى الاشتمال .

(١١) العبارة : أى تعبير الرؤيا .

(١٢) الفرائض : جمع فريضة ؛ وهو النصيب من الميراث .

كقوله صلى الله عليه وسلم(١) : الرُّؤيا لأول عابر(٢) . وهى(٣) على رِجْلِ طائر(٤) .

وقوله : الرؤيا ثلاث ؛ رُؤيا حقٌّ ، ورُؤيا يحدِّثُ بها الرجلُ نفسَه ، ورؤيا تحزين من الشيطان(٥) .

وقوله(٦) : إذا تقارب الزمانُ لم تَكَدْ رُؤيا المؤمن تَكْذِب .

---

(١) فى حديث رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه : ١٢٨٨) .

(٢) الرؤيا : ما يرى من المنام من الأحلام . لأول عابر : أى مصادفة وموافقة لأول تفسير تفسر به . والعابر : هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه (سنن الترمذى : ٤ — ٥٣٦) . ومسند الطيالسى : ١ — ٣٤٩ .

(٤) رجل طائر : أى إنها على رجل قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر ؛ وإن ذلك هو الذى قسمه الله لصاحبها . وكل حركة من كلمة أو شىء يجرى لك فهو طائر . والمراد أن الرؤيا التى يعبرها المعبر الأول فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بأدنى حركة (النهاية) . وفى هامش ا : قوله عليه السلام: على رجل طائر : على رجل قدر جار ، وقضاء ماض من خير أو شر (من الغريبين) . وقال ابن قتيبة : أرى أنها غير مستقرة . يقال للشىء إذا لم يستقر : هو على رجل طائر . وبين مخالب طائر ، وعلى قرن ظبى .

(٥) تحزين من الشيطان : بأن يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته .
قال السيوطى : هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما (صحيح مسلم : ١٧٧٣) .

(٦) فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندا (صحيح مسلم : ١٧٧٣) .
تقارب الزمان : قال فى نسيم الرياض (٣ — ٢٥٩) : اختلف فى المراد به هنا ؛ فقيل: المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى ، وهو زمان تدرك فيه الثمار ، وتتفتح الأزهار ويرق النسيم ، فتعتدل الطباع البشرية فيه ، فتقوى على تلقى ما يفاض عليها . ولذا قال أهل التعبير : أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع .
وقيل : المراد به آخر الزمان إذا قربت الساعة ، وتقاربه قصره ، والقصر إما حقيقة كما فى الحديث : فى أيامه السنة كشهر ، والشهر كجمعة ، والجمعة كيوم ، واليوم كساعة .
وقيل : إنه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم أو لغير ذلك .

وقوله (١) : أَصْلُ كلِّ داء البَرَدَة .

وما رُوِى (٢) عنه فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه من قوله : المَعِدَةُ حَوْضُ البَدَن ، والعروقُ إليها واردةٌ . وإن كان هذا حديثا لا نصَحِّحُه لضعفه وكَوْنه موضوعا تكلّم (٣) عليه الدارَقُطْنى .

وقوله (٤) : خَيْرُ ما تداوَيْتُم به السَّعُوط واللَّدُود ، والحِجَامة ، والمَشِىّ .

وخَيْرُ الحِجَامة يوم سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين (٥) .

وفى العُودِ الهِنْدِى سبعةُ أَشْفِية (٦) ، [منها ذاتُ الجَنْبِ] (٧) .

وقوله (٨) : ما ملأ ابْنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بَطْنٍ ، فإنْ كان لا بُدّ فثُلث للطعام ، وثُلث للشراب ، وثلث للنَّفَس .

وقوله (٩) – وقد سُئل عن سبَأ : أرجل هو أم امرأة ؟ أم أرض ؟ فقال : رجل وَلَد عشرةً : تَيامَن (١٠) منهم ستةٌ ، وتشاءم أربعة . . . . الحديث بطوله .

---

(١) فى حديث رواه الدارقطنى وضعفه .
والبردة : الإكثار من الطعام ، حتى لا تقدر المعدة على هضمه .
والمراد بكونه أصلا لذلك أنه منشؤه ومبدؤه فى الغالب .

(٢) الراوى له الطبرانى فى الأوسط . (٣) تكلم عليه الدارقطنى ؛ أى ضعفا له .

(٤) فى حديث رواه الترمذى . (سنن الترمذى : ٤ – ٣٨٨) .
والسعوط : ما يجعل فى الأنف ويستنشق به . واللدود : ما يجعل فى أحد شقى الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالبا . والمشى : المسهل .

(٥) وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه ، وأبو داود عن أبى هريرة (سنن أبى داود : ٢ – ٩٩) .

(٦) الأشفية : جمع شفاء . والحديث فى صحيح البخارى : ٧ – ١٦٥

(٧) ما بين القوسين ليس فى ا ، ب ، وهو فى صحيح البخارى .

(٨) رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم : سنن الترمذى ٤ – ٥٩٠

(٩) فى حديث رواه الترمذى : ٥ – ٣٦١ ، وفى اضبطت همزة « سبأ » بالفتحة ممنوعا ، وبكسرتين ، وعليها « معا » . (١٠) تيامن : سكن اليمن . تشاءم : سكن الشام .

وكذلك (١) جوابه فى نَسب قُضَاعة ، وغير ذلك مما اضطرت العربُ على شُغْلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه (٢) من ذلك .

وقوله (٣) : حِمْير رأْسُ العَرب ونابُها (٣) . ومَذْحِج هامَتُها وغَلْصَمَتها (٤) . والأَزْد كاهِلُها وجُمْجُمَتها (٥) ، وهَمْدان غارِبُها وذِرْوَتُها (٦) .

وقوله (٧) : إنَّ الزمانَ قد استدار كهيئته يومَ خَلق اللهُ السمواتِ والأرضَ .

وقوله (٨) فى الحوض : زَوَاياه سَوَاء .

وقوله (٩) ـ فى حديث الذِّكْر : وإنَّ الحسنةَ بعشر أمثالها ؛ فتلك مائةٌ وخمسون على اللسان ، وألفٌ وخمسمائة فى الميزان (١٠) .

---

(١) فى حديث رواه أحمد ، والطبرانى .

(٢) أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم .

(٣) فى حديث رواه البزار . رأس العرب : منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الرأس من الجسد . ونابها : أى هم عمدتهم ، ومن أشدهم .

(٤) هامتها : رأسها . وغلصمتها : الغلصمة : لحمة بين الرأس والعنق . أو رأس الحلقوم .

(٥) الكاهل : ما يلى العنق من أعلى الظهر . والجمجمة : المراد بها الرأس .

(٦) الغارب : ما بين السنام والعنق . وذروتها : أعلاها وسنامها .

(٧) فى حديث رواه الشيخان . صحيح البخارى : ٦ ـ ٨٣ . استدار : عاد لما كان عليه .

(٨) فى حديث راه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣

سواء : متساوية ؛ معناه طوله كعرضه .

(٩) فى حديث رواه أبو داود ، وابن ماجه ، سنن ابن ماجه : ٢٩٩ ، وسنن الترمذى : ٥ ـ ٤٧٨

(١٠) وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة ، وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : تسبح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ، وتحمده عشرا ، وتكبره عشرا ؛ قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ؛ فهى مائة باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان . فإذا أوى إلى فراشه سبح وحمد ، وكبر مائة؛ فتلك مائة باللسان وألف فى الميزان فأيكم يعمل فى اليوم ألفين وخمسمائة سيئة !

وقوله(١) وهو بموضع : نِعْمَ موضِعُ الحَمَّام هذا .

وقوله (٢) : ما بين المشرق والمغرب قِبْلَةٌ .

وقوله (٣) لعُيَيْنة ، أو الأقرع : أنا أفرسُ بالخَيْلِ مِنك .

وقوله لكاتبه(٤) : ضَعِ القلمَ على أُذُنك ، فإنه أذكر للمُمِلّ .

هذا مع أنه صلّى اللهُ عليه وسلم كان لا يكتب ؛ ولكنه أوتى عِلْمَ كلِّ شيء، حتى قد وردَتْ آثارٌ بمعرفته حروفَ الخطّ وحُسْنَ تصويرها :

كقوله : لا تمـــدُّوا بسم(٥) الله الرحمن الرحيم ، رواهُ ابنُ شعبان من طريق ابن عباس (٦) .

وقوله فى الحديث الآخر الذى يُرْوَى عن مُعاوية أنه كان يكتبُ بين يديه صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال له : أَلِقِ الدَّوَاةَ ، وحَرِّف القلمَ ، وأَقِمِ الباء ، وفَرِّقِ السين ، ولا تُعَوِّرِ الميمَ (٧) ، وحَسِّنِ اللهَ ، ومُدّ الرحمن ، وجَوِّدِ الرحيم (٨) .

---

(١) فى حديث رواه الطبرانى .

(٢) فى حديث رواه الترمذى، وصححه. سنن الترمذى: ٢–١٧١ ، وابن ماجه: ١ – ٣٢٣

(٣) فى حديث ذكره ابن الأثير فى النهاية ، ولم يخرجه السيوطى لأنه لم يقف عليه . أفرس بالخيل : أبصر ، وأعرف .

(٤) فى حديث رواه الترمذى (سنن الترمذى : ٥ – ٦٧) وفيه : أذكر للمملى ، وهما بمعنى .

(٥) لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لأسنانها .

(٦) فى نسيم الرياض (٣ – ٢٦٧) : وضعفه ابن حزم . وقال السيوطى: حديث ابن عباس رضى الله عنه : لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم — لم أجده .

(٧) ضبطت السين فى أ بالسكون والواو بالكسرة من غير تشديد .

(٨) ألق الدواة : اجعل لها ليقة ، وأصلح مدادها . وحرف القلم : اجعل قطه محرفا ، وطرف شقه الأيمن أزيد من الطرف الآخر قليلا ، فإنه أعون على تصوير السنات . وأقم الباء: اجعلها مستقيمة ، أو طولها قليلا ، لأنها عوض عن ألف اسم . وفرق السين : اجعل أسنانها منفصلا بعضها من بعض . ولا تعور الميم : لا تجعل دائرتها مطموسة . وحسن الله : أى كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه . وجود الرحيم : حسن كتابته .

وهذا ، وإنْ لم تصحّ الروايةُ أنه صلى اللهُ عليه وسلم كتبَ فلا يبعد [١٢٩] أن يُرزقَ عِلْمَ هذا ويُمْنَعَ القراءةَ والكتابة .

وأمّا عِلْمُه صلى اللهُ عليه وسلم بلغاتِ العربِ ، وحِفْظُه معانِي أشعارها ، فأمْرٌ مشهورٌ ، قد نبّهْنَا على بعضه أول الكتاب .

وكذلك حفْظُه لكثيرٍ من لغاتِ الأُمم ؛ كقوله في الحديث[١] : سَنَهْ ، سَنَهْ . وهي حسَنَةٌ بالحبشيّة .

وقوله[٢] : ويكثر الهَرْجُ ، وهو القَتْل بها[٣] .

وقوله - في حديث أبي هريرة[٤] : أَشْكَمْتِ دَرْدْ ؛ أي وجَعُ البَطْن بالفارسية .

إلى غير ذلك مما لا يعلمُ بَعْضَ هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا مَنْ مارَس الدّرْسَ والعُكوفَ على الكتُبِ ومثافنة أهلها عُمْرَه[٥] .

وهو رجلٌ كما قال[٦] الله تعالى - أُمّيٌّ ، لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عُرِف بصُحْبَة مَنْ هذه صِفَتُه ، ولا نشأ بين قَوْمٍ لهم عِلْمٌ ولا قراءةٌ لشيء من هذه الأمور ، ولا عُرِف

---

(١) الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ٨

(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٨ - ١٧ ، وفيه : قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل . القتل . وهو في الترمذي أيضا : ٤ - ٤٨٩

(٣) بها : أي بلغة الحبشة .

(٤) رواه ابن ماجه . سنن ابن ماجه : ١١٤٤ ، وهو فيه : اشكمت درد . وقال في شرحه : بالفارسية : اشكم ، أي بطن . درد ؛ أي وجع . والتاء للخطاب ، والهمزة همزة وصل . كذا حققه الدكتور حسين الهمداني . ومعناه : أتشتكي بطنك ؟ ولكن جاء في تكملة مجمع بحار الأنوار صفحة ٧ : اشكنب درم ، وفي رواية بسكون الباء ، وفي ا : اشكنب دردم - بضم الدالين ، وفي ب : بفتح الدالين .

(٥) العكوف على الكتب : ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها .
مثافنة أهلها : مجالستهم وملازمتهم . وفي ب : مثاقبة . والمثاقبة : المباحثة .

(٦) في قوله تعالى : فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي . . . (سورة الأعراف ، آية ١٥٨) .

هو – قَبْلُ بشيء منها ؛ قال الله تعالى [١] : ﴿ وما كنتَ تتلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كتابٍ ولا تخُطُّهُ بيمينك إذاً لارتابَ[٢] المُبْطلون ﴾ .

إنما كانت غايةُ معارفِ العربِ النسبَ وأخبارَ أوائلها ، والشعرَ ، والبيانَ ؛ وإنما حصل ذلكَ لهم بعد التفرُّغ لِعلْمِ ذلك ، والاشتغالِ بطلبه ، ومباحثة أهلِه عنه.

وهذا الفنُّ[٣] نُقْطةٌ من بَحْرِ عِلْمِهِ صلّى اللهُ عليه وسلم .

ولا سبيل إلى جحد المُلْحدِ لشيء مما ذكرناه [٤] ، ولا وجدَ الكفرةُ حيلةً فى دَفْعِ ما نصصْناهُ [٥] إلّا قولَهم : أساطير الأولين: ﴿ إنما يعلّمُهُ بَشَرٌ[٦] ﴾ .

فردّ اللهُ قولَهم بقوله [٧] : ﴿ لسانُ الذى يُلْحِدونَ إليه أعجمىٌّ ، وهذا لسانٌ عربىٌّ مبين ﴾ [٨] .

ثم ما قالوه مكابرة العِيَان [٩] ؛ فإنّ الذى نسبُوا تعليمَه إليه إمّا سَلْمان ، أو العبد الرُّومى [١٠] ؛ وسَلْمان إنما عرفه بعد الهِجْرة ؛ ونزولِ الكثير من القرآن ، وظهورِ ما لا يَنْعَدُّ من الآيات .

---

(١) سورة العنكبوت ، آية ٤٨

(٢) ارتاب المبطلون : شكوا ، وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه .

(٣) الفن : النوع من العلم الذى كانت العرب تعرفه وتعتنى به .

(٤) أى لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم إنكاره .

(٥) نصصناه : حكيناه وبيناه . (٦) أى هى أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب .

(٧) سورة النحل ، آية ١٠٣

(٨) الذى يلحدون إليه : لسان من ادعوا أنه تعلم منه لسان عجمى فكيف يمكن تعليمه أو التعلم منه ؟ ومعنى يلحدون : يميلون عن الحق بمقالتهم هذه .

(٩) المكابرة : الإنكار من غير دليل . والعيان : المعاينة والمشاهدة .

(١٠) سلمان : هو سلمان الفارسى . والعبد الرومى : هو غلام حويطب بن عبد العزى ، أسلم وكان ذا كتب .

وأما الرُّومىّ فكان أسلم وكان يقرأُ على النبى صلى اللهُ عليه وسلم[١]، واختُلف فى اسمه .

وقيل : بل كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يجلسُ عنده عند المَرْوَة[٢] ، وكلاهما أعجمىُّ اللسان ؛ وهم الفصحاء اللُّدُّ[٣] ، والخطباء اللُّسْن[٤] ، قد عجزوا عن مُعارضةِ ما أتى به[٥] ، والإتْيانِ بمثله ؛ بل عن فَهْم وَصْفِه ، وصُورَة تأليفه ونَظْمه ؛ فكيف بأعجمىّ ألْكن[٦] !

نعَمْ ، وقد كان سَلْمانُ ، أو بَلْعَامُ الرومىُّ[٧] ، أو يَعِيش ، أو جَبْر ، أو يَسار — على اختلافهم فى اسمه — بين أَظْهُرِهم[٨] يكلِّمونه مَدَى أعمارهم ؛ فهل حُكِىَ عن واحدٍ منهم شىء مِنْ مِثْل ما كان يجىء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ؟ وهل عُرِف واحدٌ منهم بمعرفة شىء من ذلك ؟ وما منع العدوَّ حينئذ على كثْرة عددِه، ودُءوب[٩] طلبه ، وقوةِ حَسَدِه — أن يجلسَ إلى هذا فيأْخذ عليه أيضا ما يُعارِضُ به ويتعلَّمُ منه ما يحتجُّ به على شَغَبِه[١٠] ؛ كفِعْل النضْر بن الحارث بما كان يُمَخْرِقُ[١١] به من أخبار كُتبه .

---

(١) أى ويتعلم منه . (٢) أى مع الناس فكيف قالوا إنه تعلم منه وهو لم يخل به ؟

(٣) اللد : جمع ألد ؛ وهو الشديد الخصومة .

(٤) اللسن : جمع لسن ؛ وهو الفصيح اللسان ، الطلق البيان .

(٥) معارضة ما أتى به : مقابلته بكلام يحكيه .

(٦) ألكن : من اللكنة ؛ وهى العجمة فى اللسان ، والعى فى النطق والبيان .

(٧) اسم الغلام الأعجمى . وقد سبق أنه مختلف فى اسمه ، فهذه هى الأسماء التى قيل إنه يسمى بها . (٨) بين أظهرهم : مقيما بينهم يعرفونه.

(٩) دءوب طلبه : من الدأب وهو الجد والتعب .

(١٠) شغبه : عناده فى خصومته . وفى ا : على شيعته .

(١١) يمخرق : يكذب . والمخرقة : افتعال الكذب يتلهى به . وقال القارى (١-٧٣٢): هى كلمة مولدة ، كما ذكره الجوهرى ؛ أى يزخرف .

ولا غابَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم عن قَوْمِهِ ، ولا كثُرت اختلافاتُه[1] إلى بلادِ أهل الكتابِ ؛ فيُقال : إنه استمد منهم ؛ بل لم يزَلْ بين أَظْهُرِهم يرْعَى فى صِغَرِه وشَبَابِه ، على عادةِ أبنائهم ؛ ثم لم يخرج عن بِلَادِهم إلا فى سَفْرَةٍ أو سَفْرَتين[2] ، لم يَطُلْ فيهما مُكْثُه مدّةً يُحْتَمل فيها تعليمُ القليل ، فكيف الكثير !

بل كان فى سفَرِه فى صُحْبَة قومه ورَفَاقَةِ[3] عَشِيرتِه ، لم يغِبْ عنهم ، ولا خالف[4] حالَه [١٣٠] مدةَ مُقَامِه بمكة من تعليم واختلاف[5] إلى حَبْرٍ أو قَس[6] ، أو منجمٍ أو كاهن .

بل لو كان[7] هذا بعدُ كلُّه لكان مَجِيء ما أتى به فى مُعْجِز القرآنِ قاطعاً لكل عُذْر ، ومُدْحِضاً لكل حجّةٍ ، ومُجْلِياً[8] لكل أمر .

---

(١) اختلافاته : رواحه ومجيئه مرارا عديدة .

(٢) سافر مرة إلى بلاد الشام مع عمه أبى طالب، ورده من الطريق بإشارة بحير الراهب. ثم سافر مرة أخرى فى تجارة لأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن أهل بلدته أبدا سفرا وإقامة .

(٣) رفاقة : مرافقة .

(٤) ولا خالف حاله : أى حاله التى نشأ عليها وعرف بها .

(٥) واختلاف : أى مجىء وذهاب .

(٦) الحبر : العالم من علماء اليهود . والمنجم : العالم بالنجوم وأحكامها . والقس : رئيس علماء النصارى . والكاهن من العرب : من يخبر عن الغيبيات بواسطة جن ونحوه .
فاستوفى أقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس .

(٧) لوكان هذا : أى لو فرض خلاف ما ذكر من حاله بأن فرضنا أسفارا كثيرة له ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا للقسيسين والأحبار . . .

(٨) مدحضا : مزيلا ومبطلا . ومجليا : موضحا وكاشفا .

فصـــل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وكراماته ، وباهر آياته أنباؤه[١] مع الملائكة والجنّ ، وإمْدَادُ[٢] اللهِ له بالملائكة ، وطاعةُ[٣] الجـنِّ له ، ورؤيةُ كثير من أصحابهم لهم ؛ قال اللهُ تعالى[٤] : ﴿ وإنْ تَظَاهَرَا عليه فإنَّ اللهَ هو موْلاهُ وجبريلُ وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعد ذلك ظَهِير ﴾ .

وقال[٥] : ﴿ إذْ يُوحِي ربُّك إلى الملائكة أنّي معكم ؛ فثَبِّتوا الذين آمَنُوا ﴾ .

وقال[٦] : ﴿ إذْ تَسْتَغِيثُونَ ربَّكم فاستجابَ لكم أنى مُمِـدُّكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين. وما جعلَهُ اللهُ إلّا بُشْرَى ولتَطْمئِنَّ به قلوبُكم وما النَّصْرُ إلّا مِنْ عِند اللهِ إنَّ اللهَ عَزيزٌ حَكِيم ﴾ .

وقال[٧] : ﴿ وإذ صَرَفْنَا إليكَ نَفراً من الجنّ يستمعُونَ القرآنَ ، فلما حضروه قالوا : أنصِتُوا فلما قُضِيَ ولَّوْا إلى قومهم مُنْذِرِين ﴾ .

---

(١) أنباؤه : جمع نبأ ، وهو الخبر .

(٢) إمداد الله : إرسال الله الملائكة مددا له صلى الله عليه وسلم ، وإعانة .

(٣) طاعة الجن له : بانقيادهم وإسلامهم .

(٤) سورة التحريم ، آية ٤ . وإن تظاهرا : تتعاونا . هو مولاه : ناصره .

(٥) سورة الأنفال ، آية ١٢ ، فثبتوا الذين آمنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم ، وهذا كان ببدر .

(٦) سورة الأنفال ، آية ٩ ، ١٠

تستغيثون ربكم : تطلبون غوثه وإعانته . فاستجاب لكم : أجاب دعاءكم وأنجز وعده لكم . مردفين : متتابعين .

(٧) سورة الأحقاف ، آية ٢٩

صرفنا إليك : أملناهم وأوصلناهم إليك. والنفر : مادون العشرة . وهؤلاء جن نصيبين، وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف .

حدثنا سُفْيان بن العاص الفقيه بسماعى عليه، حدثنا أبو الليث السَّمَرْقندى؛ قال: حدثنا عبد الغافر الفارسى، حدثنا أبو أحمد الجلودى، حدثنا ابنُ سفيان، حدثنا مُسلم، حدثنا عُبَيْدُ الله بن معاذ، حدثنا أبى، حدثنا شُعبة، عن سليمان الشَّيْبَانى، سمع زِرّ بن حُبَيْش، عن عَبْد الله؛ قال: لقد رأى من آياتِ ربّه الكُبْرَى ـ قال[1]: رأى جبريلَ عليه السلام فى صورتِه، له ستّمائة جَنَاح.

والخَبَرُ فى محادثتِه مع جِبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة، وما شاهده من كَثْرتهم وعِظَمِ صُوَرِ بعضهم ليلةَ الإسراء مشهورٌ.

وقد رآهم بحَضْرَته[2] جماعةٌ من أصحابه فى مَوَاطِن مختلفة؛ [فرأى أصحابُه جبريل عليه السلامُ فى صُورةِ رجُلٍ يسأله عن الإسلام والإيمان][3].

ورأى ابنُ عباسٍ، وأُسامةُ بن زيد، وغيرُهما عنده جبريلَ فى صورة دِحْية[4].

ورأى سعدٌ[5] عن يمينه ويسارِه جبريلَ وميكائيل فى صورةِ رجُلين عليهما ثيابٌ بيض.

ومِثْلُه عن غَيْرِ واحد.

وسمِعَ بعضُهم زَجْرَ[6] الملائكة خَيْلَها يوم بَدْرٍ.

وبعضُهم رأى تَطَايُرَ الرءوس[7] من الكفار، ولا يرَوْن الضارب.

---

(١) قال: أى مسعود. والحديث فى البخارى: ٦ ـ ١٧٦

(٢) بحضرته: فى مجلسه.

(٣) ما بين القوسين أمامه فى ا: من غير الرواية.

(٤) هو دحية بن خليفة الكلبى الصحابى الجليل المشهور.

(٥) فى حديث رواه الشيخان: صحيح البخارى: ٥ ـ ١٢٤

(٦) زجر الملائكة: حسها خيلها على الجرى بصوت.

(٧) تطاير الرءوس: سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره. وهذا رواه البيهقى.

ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ(١) رجالا بيضا على خيلٍ بُلْقٍ(٢) بين السماء والأرض ، مايقومُ لها(٣) شيء .

وقد كانت الملائكةُ تصافِحُ عِمْران بن الحُصَيْن .

وأرى(٤) النبيُّ صلى الله عليه وسلم لحمزةَ جبريلَ في الكعبة ، فخر مغشيّا عليه .

ورأى(٥) عبدُ الله بن مسعود الجنّ ليلة الجنّ ، وسمع كلامَهم ، وشبَّههم برجال الزُّطّ(٦) .

وذكر ابنُ سعد(٧) أنّ مُصْعَب بن عُمير لما قُتِل يوم أحد أخذ الرايةَ ملَكٌ على صورته ، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول له : تقدَّمْ يامُصْعَب ؛ فقال له المَلَك : لستُ بمُصْعَب ، فعلِم أنه ملك .

وقد ذكر غَيْرُ(٨) واحدٍ من المصنّفين عن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه — أنه قال : بينا نحن جلوسٌ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إذ أقْبَل شيخٌ بيده عصا ، فسلّم على النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فردّ عليه ، وقال(٩) — صلى اللهُ عليه وسلم : نَغْمةُ الجنّ(١٠) !

---

(١) يومئذ : يوم بدر .

(٢) خيل بلق : فيها بياض ولون آخر . أو فيها سواد وبياض .

(٣) ما يقوم لها شيء : أى لا يمكن أن يقاوم شدتها وقتالها شيء غيرهم قل أو كثر لما رآه من بطشها وسرعتها .

(٤) في حديث رواه البيهقى عن عمار بن ياسر .

(٥) في حديث رواه البيهقى .

(٦) الزط : قوم من السودان طوال . وقيل : إنهم جيل بالهند .

(٧) الطبقات : ٢ — ٢٩

(٨) كالبيهقى ، وابن ماكولا في إكماله .

(٩) في ب : فقال .

(١٠) نغمة الجن : أى هذه نغمة الجن . أو نغمتك نغمة الجن وصوتهم .

مَنْ أنْتَ؟ قال: أنا هامةُ بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس؛ فذكر أنه لَقِيَ نوحا ومَنْ بَعْدَه .... في حديث طويل[١]؛ وأنّ النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلم علَّمه سُوَراً من القرآن[٢].

وذكر[٣] الواقدى قَتْل خالدٍ عند هَدْمه العُزّى للسوداء التى خرجَتْ له ناشِرةً شَعرها عُرْيانةً، فجزَلها[٤] بسيفه، وأعلم النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم؛ فقال له: تلك العُزّى.

وقال[٥] صلّى اللهُ عليه وسلم: إنّ شيطاناً [١٣١] تفلَّتَ[٦] البارحةَ ليقطعَ علىّ صلاتى؛ فأمْكَنَنى اللهُ منـــه، فأخذتُه فأردْتُ أن أرْبطه إلى سارية[٧] من سَوَارِى المسجدِ حتى تنظروا إليه كلُّكم؛ فذكرتُ دعوةَ أخى سليمان[٨]: ﴿ ربّ

---

(١) فى شرح القارى (١ – ٧٣٧): قال بعضهم إنه موضوع.

(٢) والحديث عن عمر.

قال فى نسيم الرياض (٣ – ٢٨٧): واعلم أنهم اختلفوا فى هذا الحديث؛ فقال ابن الجوزى: إنه حديث موضوع لا أصل له. وخالفه فيه غيره، وقال: إن تعدد أطرافه تدل على صحته. وابن الجوزى له مجازفة فى موضوعاته أكثرها مردودة. وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقى، وابن عساكر وغيرهما.

(٣) وهذا حديث صحيح رواه البيهقى، والنسائى وغيرهما، وهو مذكور فى أكثر التفاسير. والخبر فى « المغازى » للواقدى: ٨٧٢، والبداية والنهاية: ٤ – ٣١٦، والطبقات: ٢ – ١٠٥

(٤) جزلها: جعلها جزلين؛ أى قطعتين.

(٥) فى حديث صحيح رواه الشيخان عن أبى هريرة: صحيح البخارى: ٦ – ١٥٦

(٦) تفلت: وثب بسرعة بغتة.

(٧) سارية: عمود، أو أسطوانة من عمد المسجد.

(٨) سورة ص، آية ٣٥. لا ينبغى لأحد من بعدى: لا يتيسر لأحد غيرى.

قال فى نسيم الرياض (٣ – ٢٨٨): وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا، وإنما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة، دالة على نبوته، مقدرة له على تنفيذ أوامر ربه وإظهار دينه.

اغْفِرْ لِى وهَبْ لِى مُلْكاً لا يَنْبَغِى لأَحَدٍ من بَعْدِى ، إنكَ أنتَ الوهَّابُ ﴾ . فردّه الله خاسئا [١] .

وهذا بابٌ واسِع .

فصـــل

ومن دلائل نبوّته وعلاماتِ رسالته ما ترادفت [٢] به الأخبارُ عن الرهبان والأحبار [٣] وعلماء أهلِ الكتاب ، من صفتِهِ وصفةِ أمّته ، واسْمِه وعلاماته [٤] ، وذِكْرِ الخاتَم [٥] الذى بين كتفيه ، وماوُجِد من ذلك فى أشعار الموحّدين المتقدمين؛ من شِعْرِ تُبَّع [٦] ، والأَوْسِ بن حارثة ، وكعب بن لؤَى ، وسُفْيان بن مُجاشع ، وقُسّ ابن ساعدة .

---

(١) فرد الله ذلك الشيطان بإقدارى عليه ، وتمكنى منه خاسئا : خائبا حقيرا مطرودا . وفى صحيح البخارى : قال روح : فرده الله خاسئا .

(٢) ترادفت : تتابعت ، فجاء بعضها يتبع بعضه بعضا من غير انفصال .

(٣) الأحبار : جمع حبر : وهو العالم من أهل الكتاب ، واشتهر فى علماء اليهود .

(٤) ففى التوراة — عن كعب : محمد رسول الله عبدى المختار . . . وأمته الحمادون . وفى الزبور — عن وهب بن منبه : سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمد أو محمدا ، أمته مرحومة ، أعطيتهم مثل ما أعطيت الأنبياء ، إلى غير ذلك مما نقله الثقات ؛ كقوله فى علامته فى الإنجيل : صاحب المدرعة والعمامة والهراوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبين . إلى آخر ماذكره من حليته فيه .

(٥) الخاتم : يعنى خاتم النبوة .

(٦) تبع : اسم لملك اليمن . ومن الشعر :

شهدت على أحمد إنه ... نبى من الله بارئ النسم
فلو مد عمرى إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور ... وأمته هى خير الأمم

وماذُكِر عن سَيْف بن ذِي يَزَن[1] وغيرهم ، وعَرَف به من أمْرِه زَيد بن عَمْرو ابن نُفَيْل ، ووَرَقَة بن نَوْفل ، وعَشْكَلانُ[2] الحِمْيَرى ، وعلماء يهُود ، وشامُول عالِمُهم صاحب تُبَّع — مِنْ صِفَتِه وخَبَره .

وما ألْفِيَ[3] مِنْ ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبَيَّنُوه ، ونقله عنهما ثِقَاةُ مَنْ أسْلَم منهم ؛ مثل ابن سلَام ، وابنى سَعْيَة ؛ وابن[4] يامين ؛ ومُخَيْرِيق ؛ وكَعْب ، وأشباههم ممَّنْ أسلم من عُلماء يَهُود ، وبَحِيرا ، ونَصْطُور الحبشة[5] ، وصاحب بُصْرى[6] ، وضَغَاطر[7] ، وأسقُفّ الشام ، والجارود ، وسَلْمان ، والنَّجاشى ، ونصارى الحبشة ، وأساقف[8] نَجْران ، وغيرهم ممّن أسْلَم من علماء النصارى .

وقد اعترفَ بذلك[9] هِرَقْل ، وصاحبُ رُومَة عالِمَا النصارى ، ورَئيساهم ، ومُقَوْقِس[10] صاحب مِصْر ، والشيخ[11] صاحبُه ، وابن صُورِيا[12] ، وابن أخْطب ،

---

(١) سيف بن ذى يزن : من ملوك حمير .

(٢) قصة عشكلان رواها ابن عساكر . وانظر نسيم الرياض : ٣ — ٢٩٦ إن شئت تجدها .

(٣) ما ألفى : ما وجد .

(٤) من بنى النضير . وفى شرح القارى (١ — ٧٤٤) : وبنيامين .

(٥) نسطور — بالسين والصاد .

(٦) بصرى : بلدة بالشام ؛ وهى بين المدينة والشام ؛ وقيل إنها حوران . وصاحب بصرى : ملكها الذى أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه .

(٧) ضغاطر : أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل .

(٨) أساقف : جمع أسقف ؛ أى علمائهم ورؤسائهم .

(٩) بذلك : ببعثته ، وأنه بشر به فى الكتب القديمة . هرقل : ملك الروم .

(١٠) صاحب مصر : ملكها .

(١١) صاحبه : أى صاحب المقوقس . قال القارى (١ — ٧٤٥) : وهذا لا يعرف اسمه .

(١٢) يهودى لم يكن فى زمانه أعلم منه بالتوراة . وفى ا : صورياء — ممدودا . والمثبت فى ب . وهو يمد ويقصر .

وأخوه ، وكعب بن أسد ، والزَّبير بن باطِيا ، وغيرهم مِنْ علماء اليهود ، ممَّنْ حمله الحسَدُ والنفَاسَة[1] على البقاء على الشقاء[2] .

والأخبارُ فى هذا كثيرة لا تَنْحصر .

وقد قرَع[3] أسماعَ اليهودِ والنصارى بما ذكَر أنه فى كتُبهم من صفته وصفةِ أصحابه ، واحتج عليهم بما انْطَوَتْ عليه من ذلك صحُفُهم ، وذمَّهم بتحريفِ ذلكَ وكِتْمانِه ، وليِّهم[4] ألْسِنَتهم ببيانِ أمره ، ودعوتِهم إلى المُباهَلة[5] على الكاذب ؛ فما مِنْهم إلّا مَنْ نفَر[6] عن معارضته ، وإبداء ما ألزمهم مِنْ كتُبهم إظهارَه .

ولو وجدوا خلافَ قوله لكان إظهارُه أهونَ عليهم من بَذْلِ النفوس والأموالِ وتخريب الدِّيار[7] ونَبْذِ القتال[8] ، وقد قال لهم[9] : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بالتوراة فاتْلُوهَا إنْ كنْتُم صادِقين ﴾ .

---

(١) النفاسة : المنافسة .

(٢) أى إصراره على كفره أو ارتداده عنادا .

(٣) القرع : الضرب والصدم بما يسمع له صوت . ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير .

(٤) ليهم ألسنتهم : صرفها إلى غيرها حسدا وبغيا ، فتركوا بيانه وعدلوا عنه إلى غيره . ويقال : لوى لسانه بكذا : أى كذب .

(٥) المباهلة : الملاعنة ؛ بأن يقول كل منهما : لعنة الله على الظالم والكاذب منا .

(٦) نفر : أعرض وهرب . وفى ب : فر .

(٧) وتخريب الدار : كما وقع ليهود خيبر وبنى النضير .

(٨) نبذ القتال : تركه .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، وقد قال لهم ذلك لما قرع أسماعهم بقوله تعالى: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » ؛وقوله تعالى : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ؛ فقالوا : لسنا بأول من حرمت عليه ، فقد حرم على إبراهيم ومن معه حتى انتهى الأمر إلينا ، فقال لهم : قل فأتوا بالتوراة . . . ليظهر أنها لم تحرم إلا عليهم لظلمهم وبغيهم .

إلى ما أَنْذَرَ به الكُهّان؛ مِثْلُ شافع بن كُلَيب[1]، وشِقٍّ، وسَطِيح[2]، وسَوَاد ابن قارب، وخُنافِر، وأفعى نجْرَان[3]، وجِذْل بن جِذْل الكِنْدى[4]، وابن خَلَصة الدَّوْسى، وسُعْدَى بنت كُريز، وفاطمة بنت النعمان، ومَنْ لا يَنْعَدّ كَثْرةً.

إلى ما ظهر على أَلسنةِ الأَصنام من نبوّته، وحُلُولِ وقتِ رسالتِهِ؛ وسُمِعَ مِنْ هواتفِ[5] الجان، ومن ذبائح النُّصُب[6]، وأجوافِ الصُّوَر[7]؛ وما وُجِد من اسْمِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم والشهادةِ له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبُورِ بالخطِّ القديم ما أَكثرُهُ مشهورٌ؛ وإسلامُ مَنْ أَسْلَمَ بسبب ذلك معلوم مذكور.

فصل

ومِنْ ذلك ما ظهر من الآيات [١٣٢] عند مَوْلِدِه، وما حكَتْه أُمُّه ومَنْ حضره من العجائب، وكونُه رافعا رأسَه عند ما وضعَتْه شاخصاً ببَصَره إلى السماء[8]؛ وما رأتْهُ من النُّور الذى خرج معه عند ولادته[9]، وما رأَتْه إذ ذاكَ أُمُّ

---

(١) شافع بن كليب: كاهن من كهان العرب، أخبر تبعا بخبر النبى صلى الله عليه وسلم، وبمهاجرته إلى المدينة. (٢) شق وسطيح: وسواد بن قارب، من كهان العرب.

(٣) أفعى نجران: ملك من ملوك نجران. (٤) جذل: ضبطت الجيم فى ا بالفتحة.

(٥) الهواتف: جمع هاتف، من الهتف؛ وهو الصوت العالى مطلقا، ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه؛ ولذا خص بالجن عند العرب.

(٦) ومن ذبائح النصب: ماسمع منها إذا قربت للذبح. والذبائح: جمع ذبيحة؛ وهى مايذبح من بقر ونحوه. والنصب: جمع نصب؛ وهو ماينصب من الحجارة والأصنام للعبادة. وذلك مثل ماسمع عمر رضى الله عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا لصنم؛ فقال: يا آل ذريح. أمر نجيح. رجل فصيح. يقول: لا إله إلا الله...

(٧) وأجواف الصور: أى ماسمع من الأصنام التى كانوا يصورونها والمراد أجواف التماثيل.

(٨) شاخصا ببصره إلى السماء: هذا إشارة إلى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى وتوجهه لذلك من أول أمره. (٩) رواه أحمد، والبيهقى.

عثمان بن أبي العاص مِنْ تَدَلِّي النجوم[١]، وظهورِ النُّور عند ولادتِه ، حتى ما تَنْظُرُ إلا النّور[٢].

وقول الشِّفَاء أمِّ عبد الرحمن بن عَوْف : لما سقطَ صلّى اللهُ عليه وسلم على يدىّ واستهلّ[٣] سمِعتُ قائلا يقول : رحِمَكَ اللهُ ؛ وأضاءَ لي ما بين المَشْرِقِ والمغرب حتى نظرتُ إلى قُصورِ الرُّوم[٤].

وما تعرّفتْ به حَلِيمةُ وزَوْجُها ظِئْراه[٥] مِنْ برَكتِه ، ودُرُورِ لَبَنِها له ، ولبنِ شارِفها[٦] وخِصْبِ غَنَمِها[٧] ، وسُرْعةِ شَبَابه[٨]، وحُسْنِ نَشْأته ؛ وما جرى من العجائب ليلةَ مولده ؛ من ارْتجاج إيوان كسرى ، وسقوطِ شُرُفاته[٩] ، وغَيْضِ بحيرة طبريّة[١٠] ، وخمودِ نارِ فارس ، وكان لها[١١] ألفُ عام لم تَخْمُد .

---

(١) روى عنها أنها شهدت مولده ، ورأت مارأته .

(٢) أى لاترى شيئا غير النور . ورواه أيضا البيهقي والطبراني ، ودلائل النبوة لأبي نعيم: ١٦٨

(٣) لما سقط على يدى : لما وضعته أمه فنزل على يديها . واستهل : رفع صوته بأن عطس .

(٤) رواه أبو نعيم فى الدلائل : ١٦٩ ، وفيه : حتى نظرت إلى بعض قصور الشام ، وكذلك فى طبقات ابن سعد : ١ — ٩٦

(٥) الظئر : المرضعة . وقد يطلق على أبى الرضاعة أيضا كما هنا .

(٦) الشارف : الناقة المسنة . وانظر فى ذلك دلائل النبوة لأبى نعيم: ١ — ١٩٨

(٧) كناية عن سمنها وكثرة لبنها . (٨) سرعة شبابه : سرعة نمو خلقه ونمو قامته .

(٩) شرفات : جمع شرفة : أعاليه . أو هى مايبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض: دلائل النبوة لأبى نعيم : ١٧٤

(١٠) غيض: مصدر غاض :إذا قل وذهب .وطبرية :بالشام معروفة من الأرض المقدسة: دلائل النبوة : ١٧٤

وفى نسيم الرياض (٣ — ٣١٤) : قال البرهان : المعروف بالغيض بحيرة ساوة. ثم قال: أقول ما قاله غير صحيح ، والعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره . وساوة : بلدة أخرى بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا. والجواب الحق أن المراد بحيرة طبرية .وقد روى الحديث البيهقى ، وابن أبى الدنيا ، وابن السكن ، كما نقله السيوطى وغيره . وكذلك رواه أبو نعيم فى الدلائل (١٧٤) وفيه : بحيرة ساوة . (١١) وكان لها : لتلك النار : دلائل أبى نعيم: ١٧٤

وأنه كان[1] إذا أكل مع عمّه أبى طالب وآلِهِ وهو صغير شبِعُوا ورَوُوْا ؛ فإذا غاب فأكلوا فى غَيْبَته لم يَشْبَعُوا .

وكان سائرُ وَلَدِ أبى طالب يُصبِحون شُعْثًا[2] ويُصْبِح صلَّى اللهُ عليه وسلم صَقِيلا دَهِينا كَحِيلا[3] .

[قالت أمُّ أيمن حاضِنَتُه[4] : ما رأيتُه صلى اللهُ عليه وسلم شَكَا جُوعاً قطُّ ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا][5] .

ومن ذلك حراسةُ السماء بالشُّهُب[6] ، وقَطْعُ رَصَدِ الشياطين[7] ، ومنْعُهم استِراقَ السَّمْعِ[8] .

وما نشأ عليه مِن بُغْضِ[9] الأصنام ، والعفَّةِ عن أمور الجاهلية ؛ وما خصّه اللهُ به مِنْ ذلك وحَمَاهُ حتى فى سَتْرِه[10] فى الخبر المشهورِ عند بناء الكعبة ؛ إذ أخذ

---

(١) رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس : طبقات ابن سعد : ١ — ١١١ .

(٢) شعثا : جمع أشعث ، وهو المغبر المتغير لونه .

(٣) صقيلا : رائق اللون غير متغير البشرة . دهينا : أى كأن وجهه دهن بما جعل وجهه يبرق . كحيلا : مكحل العين . وهذا كله من غير صنع أحد .

(٤) حاضنته : هى التى كانت تربيه طفلا ، واسمها بركة .

(٥) فى هامش ا : من غير الرواية .

(٦) الشهب : شعل النار المرئية فى نجوم السماء . جمع شهاب .

(٧) رصد الشياطين : ترصدهم وترقبهم لسماع ماتقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة .

(٨) استراق السمع : أن يختفى أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه ، فكأنه يسرق الكلام الذى سمعه .

(٩) بغض : كره .

(١٠) فى ستره : أى ستر بدنه حتى لايرى أحد منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغى رؤيته كالعورة ؛ فكان لا يتعرى عند أحد .

إزارَه[1] ليجعَلَه على عاتِقِه[2]، ليحملَ عليه الحجارةَ وتعرَّى ؛ فسقط إلى الأرض حتى ردَّ إزارَه عليه .

فقال له عمّه : ما بالُك[3] ؟ فقال : إنى قد نُهيتُ عن التعرّى .

ومن ذلك إظلالُ الله له بالغَمَام فى سفره[4] .

وفى[5] روايةٍ أنّ خديجةَ ونساءها رأَيْنَهُ لمّا قَدِم[6]، ومَلَكَانِ يُظِلّانه ؛ فذكرتْ ذلك لمَيْسَرة ؛ فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفَره .

[وقد رُوِى[7] أنّ حليمةَ رأتْ غمامةً تُظلّه ، وهو عندها .

ورُوِى ذلك عن أخيه من الرَّضَاعةِ][8] .

ومن ذلكَ أنه نزَلَ فى بعض أسفاره قبل مَبْعَثِه تحت شجرةٍ يابسة ، فاعْشَوْشَبَ[9] ما حولها وأَيْنَعَتْ[10] هى فأشرقَتْ[11] وتدلّتْ عليه أغصانُها بمَحْضَر مَنْ رآه[12] .

---

(١) إزاره : ملحفته التى كان مؤتزرا بها . والحديث فى صحيح البخارى : ٥ — ٥١

(٢) عاتقه : مابين المنكب والعنق الذى يضع عليه الحجارة حتى لاتؤذيه .

(٣) ما بالك : ما شأنك ؛ وما حالك الذى عرض لك حتى سقطت ؟ وهذا الخبر فى الطبقات : ١ — ٩٣

(٤) كما رآه بحيرا لما سافر إلى الشام مع عمه ، ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه إلى الشام .

(٥) لابن سعد : فى الطبقات : ١ — ٨٣

(٦) لما قدم من سفره إلى الشام فى تجارة لها .

(٧) الذى رواه الواقدى ، وابن سعد ، وابن عساكر فى تاريخه .

(٨) فى هامش ا : من غير الرواية .

(٩) يابسة : ليست مخضرة ، وليس لها ورق . اعشوشب : ظهر به عشب لم يكن قبله .

(١٠) أينعت : ظهرت خضرة ورقها وزهرها ؛ أو ثمرها .

(١١) فأشرقت : نمت وعات أغصانها .

(١٢) فى شرح القارى (١ — ٧٥٣) : قال الدلجى : لم أدر من رواه .

ومَيّلَ فَىْءُ(١) الشجرةِ إليه فى الخَبرِ الآخر حتى أظلّتْه .

وما ذُكِر مِنْ أنه كان لاظِلّ لشَخْصِه فى شمسٍ ولا قمر ؛ لأنه كان نُوراً .

وأنّ الذُّبابَ كان لا يَقَع على جَسدِه ولا ثيابِه(٢) .

ومن ذلك تَحْبِيبُ الخَلْوَة(٣) إليه حتى أُوحِيَ إليه ؛ ثم إعلامُه بموته ودُنُوِّ(٤) أجَلِه ، وأنّ قبْره فى المدينة وفى بَيْتِه ، وأنّ بين بَيْتِه ومِنْبَره(٥) رَوْضةٌ من رياض الجنّة(٦)؛ وتَخْيِيرِ اللهِ له عند مَوْته(٧) ؛ وما اشتمل عليه حديثُ الوفاةِ من كراماته ؛ وتشريفُه ، وصلاةُ الملائكةِ على جَسده على ما رَوَيْناهُ فى بعضها(٨) .

واستِئْذَانُ مَلَكِ الموتِ عليه ، ولم يستأذِنْ على غيره قَبْلَه . ونداؤهم(٩) الذى سمعوه ألاّ ينْزِعوا القميصَ عنه عند غُسْله .

وما رُوِى من تَعْزِيةِ الخَضِر والملائكةِ(١٠) أهلَ بيتِه عند موته .

إلى ما ظهر على أصحابه من كرامتِه وبركتِه فى حياتِه وموتِه ، كاستِسْقاءِ عُمر بعَمّه(١١)، وتبرُّك غيرِ واحدٍ بذرّيته [١٣٣] .

---

(١) الفيء : الظل .

(٢) فى شرح القارى (١ – ٧٩٣) : قال الدلجى : لا علم لى بمن رواه . وفى شرح الخفاجى : وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس .

(٣) الخلوة : الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة .

(٤) دنو : قرب . وهذا مما رواه الشيخان .

(٥) فى ا : وأن بين بيته وبين منبره ...

(٦) كما رواه أبو نعيم .

(٧) أى لما قرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة . وقد رواه البيهقى فى دلائله .

(٨) فى بعضها : فى بعض طرق حديث الوفاة .

(٩) ونداؤهم : نداء الملائكة لهم .

(١٠) رواه البيهقى فى دلائله .

(١١) بعمه : أى العباس ؛ أى تقديمه فى دعاء الاستسقاء ، رواه البخارى (صحيح البخارى : ٢ – ٣٣) .

فصل

قال القاضى أبو الفضل[١] : قد أتينا فى هذا الباب على نُكَتٍ مِنْ مُعجزاته واضحةٍ ، وجُمَلٍ[٢] من علامات نبوَّتِه مُقْنِعَةٍ ، فى واحدٍ منها الكفاية والغُنْيَة[٣] ، وتركنا الكثير سِوَى ما ذكَرْنا ، واقتصَرْنا من الأحاديث الطوال على عَيْنِ الغَرَض وفَصّ[٤] المَقْصد ، ومن كثير الأحاديثِ وغَرِيبها على ما صَحّ واشتهر إلا يسيرا من غَرِيبه[٥] مما ذكره مشاهيرُ الأئمة ، وحذَفْنا الإسناد فى جُمهورها[٦] ، طلبا للاختصار .

وبحَسْب هذا الباب لو تُقُصِّيَ[٧] أن يكونَ ديوانا جامعا[٨] يشتمل على مجلّدات عدة .

ومعجزاتُ نبيّنا صلى الله عليه وسلم أظهرُ من سائر معجزات الرسل بوَجْهين :

أحدهما — كَثْرتُها ، وأنه لم يُؤْتَ نبيٌّ معجزةً إلا وعند نبيّنا مثلُها ، أو ما هو أبلغُ[٩] منها .

وقد نبّه الناسُ على ذلك ؛ فإن أرَدْتَه فتأمَّلْ فصولَ هذا الباب ، ومعجزاتِ مَنْ تقدّم من الأنبياء — تقِفْ على ذلك إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو المصنف . وفى ب : قال المؤلف أبو الفضل رحمه الله .

(٢) النكت : جمع نكتة ، وهى الأمر الدقيق الذى يحصل بفكر يقارنه . وجمل : جمع جملة ، وهى الأمر المجمل .

(٣) الغنية : الاستغناء ، والاكتفاء عن غيره ؛ لأنه يدل دلالة قوية .

(٤) فص المقصد : الفص : الأصل ، والمقصد : الأمر المقصود والمراد زبدة المقصود .

(٥) وغريبها : مما انفرد رواتها بها . من غريبه : أى ما يعد مستغربا غير معهود ، أو غير مشهور .

(٦) جمهورها : فى معظم الأحاديث وأكثرها .

(٧) تقصى : استوفى ، واستقصى .

(٨) ديوانا جامعا : كتابا مستقلا مدونا .

(٩) أبلغ منها : أعظم وأقوى .

وأما كونُها كثيرة فهذا القرآن ، وكلُّه مُعْجزٌ ؛ وأقلُّ ما يقعُ الإعجازُ فيه عند بعض أئمة المحققين سورةٌ : ﴿ إِنَّا أَعطيناكَ الكَوْثَر ﴾ ؛ أو آيةٌ[1] في قَدْرِها .

وذهب بعضُهم إلى أنَّ كلَّ آية منه كيف[2] كانت معجزةٌ .

وزاد آخرون أنَّ كلَّ جملةٍ مُنْتظمةٍ[3] منه معجزةٌ ، وإن كانت من كلمة أو كلمتين .

والحقُّ ما ذكرناه أولا[4] ؛ لقوله تعالى[5] : ﴿ قل فَأْتُوا بِسُورةٍ مثلِه ﴾ ؛ فهو أقلُّ ما تحدَّاهُمْ به ، مع ما ينصُر[6] هذا من نَظَر[7] وتحقيقٍ يطولُ بسْطُه .

وإذا كان[8] هذا ففي القرآنِ من الكلماتِ نحوٌ من سبعةٍ وسبعين ألفَ كلمة ونَيِّف[9] على عددِ بعضهم ، وعدَدُ كلماتِ : « إنَّا أَعطيناكَ الكَوْثَرَ » — عَشْرُ كلماتٍ ، فتجزّؤ[10] القرآنِ على نسبة عددِ « إنّا أعطيناكَ الكوثر » أَزيدُ من سبعة آلافِ جُزْء ، كلُّ واحدٍ منها مُعْجِزٌ في نفسه .

ثم إعجازُه — كما تقدّم — بوَجْهَين : طريقِ بلاغتِه ، وطريقِ نَظْمِه[11] ؛ فصار

---

(١) آية في قدرها : أى مساوية لها في الحروف والكلمات .

(٢) كيف كانت : طويلة بمقدار سورة أم لا . (٣) كل جملة منتظمة : مفيدة تامة .

(٤) ما ذكرناه أولا : من أن المعجز أقصر سورة أو مقدارها .

(٥) سورة يونس ، آية ٣٨ . والضمير في « مثله » للقرآن .

(٦) ينصر هذا : يقويه ويؤيده . (٧) من نظر : أى من فكر وتدبر .

(٨) وإذا كان هذا : وإذا ثبت أن ماتحداهم به هو هذا المقدار الأقل .

(٩) ونيف : وزيادة . (١٠) هذا في ا ، ب .

(١١) طريق بلاغته : أى مافيه من مراعاة الوجوه التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال . وطريق نظمه : أى أسلوبه وكونه على نسق لايشبه غيره من الكلام نظما وسجما ونثرا ، وتناسب كلماته وجمله ، وإيتاء كل كلمة منه مااستحقه ، وتنزيلها في محل لايليق بها غيرم ، كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة ؛ فقارئه لايمله وإن كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ، ونظر فيه بنور الإيمان .

فى كلِّ جُزْء من هذا العدد مُعْجِزَتان ، فتضاعفَ العددُ من هذا الوَجْهِ .

ثم فيهِ وجوهُ إعجازٍ أُخَر من الإخبارِ بعلوم الغيب ؛ فقد يكونُ فى السورة الواحدة مِن هذه[١] التجزئةِ الخَبَرُ عن أشياء من الغيبِ ، كلُّ خَبَرٍ منها بنفسه معجزٌ ؛ فتضاعفَ العددُ كرّةً أخرى .

ثم وجوهُ الإعجازِ الأُخَر التى ذكرناها[٢] توجبُ التضعيفَ ، هذا فى حقّ القرآنِ ، فلا يكادُ يأخذُ العدُّ[٣] معجزاتِه ، ولا يَحْوِى الحَصْرُ بَرَاهِينَه .

ثم الأحاديثُ الواردةُ ، والأخبارُ الصادرةُ عنه صلى الله عليه وسلم فى هذه الأبواب[٤] وعما دلّ على أمره[٥] مما أشرنا إلى جُمَلِه يبلغُ نحوا من هذا .

الوَجْه الثانى - وضوحُ معجزاته صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فإنَّ معجزاتِ الرُّسلِ كانت بِقَدْرِ هِمَم أهلِ زمانهم ، وبحَسَب الفنّ الذى سما فيه قَرْنه[٦] .

فلما كان زمنَ موسى غايةُ عِلْمِ أهـلِهِ السِّحْرَ بُعِث إليهم موسى بمعجزة تُشْبِه مايدّعون قُدْرَتَهم عليه ، فجاءهم منها ما خرق عادتَهم ، ولم يكن فى قُدْرتِهم[١٣٤] ، وأَبْطَل سِحْرَهم .

وكذلك زمَنُ عيسى أَغْنَى[٧] ما كان الطبُّ ، وأوفر ما كان أهلُه[٨] ؛ فجاءهم

---

(١) من هذه التجزئة : أى الأجزاء المذكورة المضاعفة من جهتى الإعجاز .

(٢) التى ذكرناها : وهى ذكر المغيبات .

(٣) فى ا : العدد .

(٤) فى هذه الأبواب :أى أبواب إعجاز القرآن والتحدى به، وأبواب معجزاته عليه السلام.

(٥) على أمره : على نبوته وعلو شأنه .

(٦) وبحسب الفن : بمقدار النوع . سما : اشتهر . قرنه : عصره . والمراد به أهله .

(٧) أغنى ماكان الطب : أى أوفى وأعظم ماكان فى عصره وعهد رسالته علم الطب .

(٨) وأوفر ماكان : أى أكثر ماكان فى زمانهم .

أمرٌ لا يقدرون عليه ، وأتاهم مالم يحتسبوه[1] من إحياء الميّت ، وإبراء الأكمه[2] والأبرص دونَ معالجةٍ ولا طِبّ .

وهكذا سائرُ معجزاتِ الأنبياء .

ثم إنَّ الله تعالى بعثَ محمداً صلّى الله عليه وسلم ، وجملةُ معارفِ العرب وعلومها أربعة : البلاغةُ ، والشِّعرُ ، والخبرُ[3] ، والكِهَانة[4] ؛ فأنزل عليه القرآنَ الخارق لهذه الأربعة فصول[5] من الفصاحة ، والإيجاز ، والبلاغةِ الخارجة عن نَمَطِ[6] كلامهم ؛ ومن النظم الغريب ، والأسلوب العجيب الذى لم يهتدُوا فى المنظوم إلى طَريقه ، ولا علموا فى أساليب الأوزان مَنْهَجه ؛ ومن الأخبار عن الكوائن[7] والحوادثِ والأسرارِ والمخبّآت والضمائر[8] ؛ فتوجَدُ على ما كانت ، ويعترفُ المُخْبَرُ عنها بصحةِ ذلك وصدْقه ، وإن كان أعْدَى العدوّ .

فأبطلَ الكِهَانةَ التى تصدُقُ مرةً وتكذب عَشْرًا ؛ ثم اجتثَّها[9] من أصْلِها برَجْم الشُّهُب[10] ، ورَصَدِ النجوم .

---

(١) مالم يحتسبوه : ما لم يخطر ببالهم ، وقدرة حسابهم ، وما لم يترقبوه ، ويظنوه لديه .

(٢) الأكمه : الذى ولد أعمى مطموس العين .

(٣) والخبر : أى الخبر عما سلف ، وما لهم من الوقائع والأيام والأنساب والمنازل .

(٤) الكهانة : معاناة علم الغيب بتلقيها عن الجن . وتكسر الكاف ، وتفتح . وفى ا ، ب كتب عليها « معا » .

(٥) الخارق : المخالف . والأربعة فصول : هى المتقدمة ، وهى البلاغة ، والشعر ، والخبر ، والكهانة .

(٦) النمط : الجنس والطريقة ؛ أى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم .

(٧) الكوائن : جمع كائن ؛ أى عما سيكون فى المستقبل من المغيبات .

(٨) والضمائر : أى ما أضمروه فى أنفسهم كقصة مسجد الضرار .

(٩) اجتثها : اقتلعها بعد إبطالها ؛ أى أزالها بالكلية .

(١٠) برجم الشهب : أى برمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع .

وجاء[١] من الأخبار عن القرون السالفة ، وأنباء الأنبياء ، والأُمم البائدة[٢] ، والحوادث الماضية ـ ما يُعْجِزُ مَنْ تفرَّغَ لهذا العِلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها وبيَّنا المُعْجِزَ فيها .

ثم بقِيَتْ هذه المعجزةُ[٣] الجامعةُ لهذه الوجوهِ إلى الفصول الأُخَر التى ذكرناها فى معجزاتِ القرآن ثابتةً إلى يوم القيامة بيِّنةَ الحجةِ لكل أمة تأتى ، لا يَخْفَى وجوهُ ذلك على مَنْ نظَر فيه ، وتأمَّل وجوهَ إعجازه .

إلى ما أخبر به[٤] من الغيوب على هذه[٥] السبيل ؛ فلا يمرّ عَصْر ولا زَمَن إلا ويظهر فيه صدْقُه بظهور مُخْبَرِه[٦] على ما أخبر ؛ فيتجدَّدُ الإيمانُ ، ويتظاهر[٧] البُرْهان ؛ وليس الخبَر كالعِيان[٨] كما قيل .

والمشاهدة زيادةٌ فى اليقين ، والنفسُ أشدُّ طمأنينةً[٩] إلى عَيْن اليقين منها إلى علم اليقين ؛ وإن كان كلٌّ عندها حقًّا .

وسائر معجزاتِ الرسلِ انقرضت بانقراضهم ، وعُدِمت بعَدَم ذَوَاتها[١٠] ؛

---

(١) وجاء : أى فى القرآن .
(٢) البائدة : الهالكة الفانية فى الزمن السابق .
(٣) هذه المعجزة : أى القرآن .   (٤) أى مع ما أخبر به من المغيبات .
(٥) فى ا ، ب : هذه . والسبيل يذكر ويؤنث .
(٦) صدقه : أى صدق القرآن ، أو النبى . مخبره : ما أخبر به ، أو خبره .
(٧) ويتظاهر البرهان : ويقوى الدليل ويزيد قوة .
(٨) العيان ـ بكسر العين : المعاينة والمشاهدة .
(٩) النفس أشد طمأنينة إلى ما تتيقنه بالمعاينة والمشاهدة منها إلى العلم المتيقن بالبرهان القاطع .
(١٠) انقرضت : انقطعت ، وذهبت معهم بسبب ذهابهم . بعدم ذواتها : أى تلك المعجزات تعدم فتنقرض عند ذهاب الأنبياء من الدنيا .

ومعجزةُ نبيِّنا صلى اللهُ عليه وسلم لاتَبِيد[1] ولا تنقطع، وآياتُه تتجدَّدُ ولا تضمَحِلُّ؛ ولهذا أشار صلى اللهُ عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضى الشهيد أبو علىّ، حدثنا القاضى أبو الوليد، حدثنا أبو ذرّ، حدثنا أبو محمد، وأبو إسحاق، وأبو الهَيْثَم؛ قالوا: حدثنا الفِرَبْرِى، حدثنا عبد العزيز بن عَبْد الله، حدثنا الليثُ، عن سَعِيد، عن أبيه، عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه، عن النبى صلى اللهُ عليه وسلم؛ قال[2]: ما مِن الأنبياء نبىٌّ إلا أُعْطِى من الآيات ما مثلُه آمَنَ عليه البَشَر؛ وإنما كان الذى أُوتيتُ وَحْياً أوحاه[3] اللهُ إلىّ؛ فأرجو أنّى أكثرهم تابِعاً يوم القيامة.

هذا معنى الحديث عن بعضهم؛ وهو الظاهر والصحيحُ إن شاء الله.

وذهب غيرُ واحدٍ من العلماء فى تأويل هذا الحديث وظهور معجزة[4] نبيِّنا صلى اللهُ عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وَحْياً وكلاما لايمكن التخييلُ فيه، ولا التحيُّل عليه، ولا التشبيه[5]؛ فإنّ غيرها من معجزاتِ الرسل قد رَامَ[6] المعاندون لها بأشياء طمِعُوا فى التخييل بها على الضّعَفاء كإلقاء السَّحَرة حِبَالَهم وعِصِيّهم [١٣٥] وشِبْهُ هذا مما يخيِّلُه الساحرُ، أو يتحيَّل فيه.

---

(١) لاتبيد: لاتفنى.

(٢) فى حديث رواه البخارى، ومسلم، والنسائى. واللفظ المروى هنا للبخارى: صحيح البخارى: ٩ — ١١٣

(٣) أى ليس نبى منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئا ألجأ من شاهده إلى الإيمان به.

(٤) يعنى القرآن المعجز.

(٥) التخييل: من الخيال. والتحيل: من الحيلة. أى لايمكن الواقف عليه أن يقول إنه تخييل وتمويه لا أصل له، ولا أن يعمل حيلة فى الإتيان بمثله، كما فعل سحرة موسى بحبالهم إذ جعلوها تتحرك كعصاه.

(٦) رام: قصد، وطلب.

والقرآنُ كلامٌ ليس للحيلةِ ولا للسِّحْر، ولا التخييل فيه عملٌ[1] ؛ فكان من هذا الوجه عندهم[2] أظهرَ من غيره من المعجزات[3] ، كما لا يتمُّ لشاعرٍ ولا لخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضَرْبٍ من الحِيَل والتَّمْوِيهِ[4] .

والتأويلُ الأول أخلصُ وأرضى[5] .

وفى هذا التأويل الثانى مايغمِّض عليه الجَفْنُ ، ويُغْضى[6] .

ووَجْهٌ ثالث[7] على مَذْهبِ مَنْ قال بالصَّرْفَة[8] ، وأنَّ المعارضةَ[9] كانت

---

(١) عمل : تأثير . فإن ساحرا لوأتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ، ثم سحره بجميع أنواع سحره ، لايمكنه أن يقوم فى ناد منشدا أو خطيبا ؛ فذلك أمر لا يمكن إيجاده لغير خالق القوى ؛ فنجد الجلف الأعرابى يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لايمكنه أن يأتى بشىء منه .

(٢) عندهم : عند المفسرين لهذا الحديث .

(٣) وذلك لعدم قبول التخييل والتمويه .

(٤) التمويه : مأخوذ من قولهم : موه النحاس بذهب أو فضة ليوهم من رآه أنه ذهب أو فضة .

(٥) الأول : الذى قال إنه الظاهر الصحيح . وأخلص: أصفى من الكدر، أى الإشكال. أو المراد : أجود ، وأكثر سلامة . وأرضى : أكثر رضا وقبولا عند العقول السليمة .

(٦) مايغمض : ضبطت فى ا بفتح الميم، وفى ب بفتحها مشددة ، أى ينطبق . ويغضى : من أغضى الجفن ، إذا أطبقه ، أو بمعنى سكت .

(٧) ووجه ثالث : فى إعجاز القرآن ، وأنه أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم . وفى هامش ا : رابع .

(٨) بالصرفة : أى إن إعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته ، مع أنهم بحسب الجبلة قادرون على الإتيان بمثله لولا ما ذكر .

وإلى ذلك ذهب النظام ، وكثير من المعتزلة ، والشريف المرتضى من الشيعة .

(٩) المعارضة له : الإتيان بمثله .

فى مقدور البَشر ؛ فصُرِفوا عنها[١]، أو على أحدِ مذهبى أهلِ السنةِ من أنَّ الإتيانَ بمثله مِنْ جنْس مقدورهم ؛ ولكن لم يكن ذلك قَبْلُ ، ولا يكون بعدُ؛ لأن الله تعالى لم يُقْدِرهم ، ولا يُقدِرهم عليه .

وبين المذهبين فرقٌ بَيِّن[٢] ، وعليهما جميعا[٣] فترْكُ العرب الإتيانَ بما فى مقدورهم ، أو ماهو من جِنْس مقدورهم[٤]، ورِضَاهم بالبلاء والجَلَاء، والسِّبَاء[٥] والإذلال ، وتغيير الحال ، وسَلْبِ النفوسِ والأموالِ[٦] ، والتقريعِ والتوبيخ ، والتعجيز والتهديد والوعيد أَبْيَنُ آيةٍ للعَجْزِ عن الإتْيان بمثله ، والنكُولِ[٧] عن معارضته ؛ وأنهم مُنِعوا عن شىء هو من جِنْس مقدورهم .

وإلى[٨] هذا ذهب الإمامُ أبو المعالى الُجوينى[٩] وغيره ؛ قال : وهذا عندنا

---

(١) فصرفوا عنها : إما بسلب قدرتهم ودواعيهم ، أو بسلب علمهم بتأليف كلام مثله وتمكنهم منه .

(٢) هذا الفرق ظاهر لتمكنهم على الأول من الإتيان بمثله ، لكن صرفوا عنه . ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع أنه من جنس مقدورهم ، ومثله فى الجملة .

(٣) وعليهما جميعا : على هذين القولين ، والمذهبين .

(٤) الإتيان بما فى مقدورهم على المذهب الأول ؛ وتركهم ما هو من جنس مقدورهم على المذهب الثانى .

(٥) البلاء : ماابتلوا به من المحن بسبب عنادهم ، والجلاء : إخراجهم من ديارهم وأوطانهم . والسباء : سبى أولادهم وأهلهم واسترقاقهم .

(٦) سلب النفوس : بالقتل والفتك بهم ، وأخذ الأموال فى الغنائم .

(٧) النكول : النكوص ، والرجوع ، والإعراض ، والامتناع .

(٨) وإلى هذا المذهب ؛ وهو أنهم قادرون على شىء من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة .

(٩) الإمام الجوينى : هو عبد الملك بن عبدِالله بن يوسف النيسابورى الشافعى إمام الحرمين أعلم أئمة الشافعية ، وهو إمام أهل السنة عربا وعجما ، فرد الأمة . توفى سنة ٤٧٨هـ .

أبلغُ فى خَرْقِ العادةِ بالأفعال البديعة فى أنفسها[١] ، كقَلْبِ العصا حيَّةً ونحوها ، فإنه قد يسبِقُ إلى بالِ الناظرِ بِدَارًا[٢] أنَّ ذلك من اختصاصِ صاحبِ ذلك بمزيةِ معرفةٍ[٣] فى ذلك الفنّ ، وفَضْلِ علمٍ إلى أنْ يَرُدّ ذلك صحيحُ[٤] النَّظَرِ .

وأما التحدِّى للخلائق مِئِين من السنين بكلامٍ مِنْ جِنْسِ كلامهم ليأْتُوا بمثله فلم يَأْتُوا ، فلم يَبْقَ بعد توفُّرِ الدَّوَاعِى[٥] على المعارضة ثم عَدَمِها إلاّ مَنْعُ اللهِ الخَلْقَ[٦] عنها بمَثَابةِ[٧] ما لو قال نبىٌّ : آيتى أنْ يَمْنَعَ اللهُ القيامَ عن الناس مع مقدرتهم عليه ، وارتفاعِ الزَّمَانَةِ[٨] عنهم ؛ فكان ذلك ؛ وعَجَّزَهُم اللهُ تعالى عن القيام — لكان ذلك من أَبْهَرِ[٩] آيةٍ ، وأظهر دلالةٍ . وبالله التوفيق .

وقد غاب عن بعضِ العلماء وَجْهُ ظهورِ آيتِهِ على سائرِ آياتِ الأنبياء ، حتى احتاج للعُذْرِ عن ذلكَ بدقَّةِ أفهامِ العَرَبِ ، وذكاءِ ألبابِها[١٠] ، ووفُورِ عقولها ، وأنهم أدركوا المُعْجِزَةَ فيه بفِطْنَتِهِم[١١] ، وجاءهم[١٢] مِنْ ذلك بحسب إدْرَاكِهِم ، وغَيْرُهم

(١) البديعة : المبتدعة الغريبة . فى أنفسها : أى فى حد ذاتها .

(٢) بدارا : أول نظرة .

(٣) صاحب ذلك الأمر الذى ظهر على يديه . بمزية معرفة : بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليه .

(٤) صحيح النظر : أى يرده بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم إعجازه .

(٥) توفر الدواعى : كثرة مايدعوهم إلى معارضته ويحثهم عليها، من الحمية الجاهلية . . .

(٦) منع الله الخلق عنها : بالصرفة ، أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه كما تقدم فى المذهبين .

(٧) بمثابة : بمنزلة .

(٨) ارتفاع الزمانة عنهم : ألا يكونوا مقعدين ؛ وهو بيان لقدرتهم على القيام .

(٩) أبهر آية : أقوى وأظهر معجزة .

(١٠) ألبابها : عقولها .

(١١) بفطنتهم : قوة ذكائهم .

(١٢) وجاءهم من ذلك : أى حصل فى نفوسهم من معرفة إعجازه وظهوره على غيره ، على مقدار إدراكهم وقوته .

مِنَ القِبْطِ وبنى إسرائيل وغيرهم لم يكونُوا بهذه السبيل ؛ بل كانوا من الغَبَاوَةِ وقِلَّةِ الفِطْنَةِ بحيث جَوَّزَ عليهم فرعونُ أنه ربُّهم ، وجوَّز عليهم السامرىُّ[1] ذلك فى العِجْل بعد إيمانهم ، وعبَدُوا المَسِيحَ مع إجماعهم على صَلْبه ؛ وما قتلوه وما صَلَبُوه ولـكن شُبِّهَ[2] لهم ؛ فجاءتهم من الآيات الظاهرة البيِّنة للأبصار بقَدْرِ غِلَظ أفهامهم مالا يشكّون فيه ، ومع هذا[3] فقالوا[4] : « لن[5] نؤمنَ لكَ حتى نَرَى الله جَهْرَةً[6] » . ولم يصبروا على المنّ والسَّلْوَى[7] ؛ واستبدلوا الذى هو أَدْنى[8] بالذى هو خير .

والعربُ على جاهليتها أكثرها يعترفُ بالصانع[9] ، وإنما كانت تتقرّب بالأصنام إلى الله زُلْفَى[10] .

ومنهم مَنْ آمنَ[11] بالله وَحْدَه من قَبْلِ الرسول صلى الله عليه وسلم [١٣٦] بدليل عَقْله وصفاء لُبِّه .

---

(١) السامرى : رجل من بنى إسرائيل . وقد أوهمهم أن العجل ربهم فعبدوه . قال القارى (١ — ٧٦٣) : واسمه موسى بن ظفر .

(٢) شبه لهم : ألقى شبهه على رجل إسرائيلى ، فظن اليهود أنه عيسى ؛ فصلبوه ؛ أى صلبوا من ألقى عليه الشبه .

(٣) ومع هذا : ومع هذا الظهور .

(٤) هذا فى ا ، ب .

(٥) سورة البقرة ، آية ٥٥

(٦) جهرة : معاينة بأبصارنا ، لشكهم فيما أتاهم به .

(٧) المن : طل كالعسل ينزل على الأشجار فيجمع ويؤكل . والسلوى : طائر كالسمانى . وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى : أخرجتنا من العمران للقفر ، فادع الله أن يرزقنا ، فرزقهم المن . ثم سألوه أن يطعمهم من اللحوم ، فأتاهم بالسلوى ، فكانوا يأخذونها بأيديهم ؛ ثم قالوا : لن نصبر على طعام واحد .

(٨) الذى هو أدنى : أى طلبوا بدلا أدنى مما عندهم ، وهو الفول والعدس والبصل .

(٩) بالصانع : أى بوجوده تعالى .

(١٠) زلفى : قربى ؛ أى لتتقرب إلى الله .

(١١) كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وأمية بن أبى الصلت .

ولما جاءهم الرسولُ بكتاب الله فهموا حكمته ، وتبيّنوا بفضل إدراكهم لأول وهلة[1] معجزته ؛ فآمنوا به ، وازدادوا كلّ يوم إيمانا ، ورفضوا الدُّنيا كلَّها في صحبته[2]، وهجروا ديارَهم وأموالهم ، وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نُصْرته ، وأنّى[3] في معنى هذا بما يلوحُ له رَوْنَقٌ ، ويُعجِبُ منه زِبْرِج[4] لو احتيج إليه [وحُقِّق][5] ؛ لكنّا[6] قدَّمْنا مِنْ بيان معجزة[7] نبينا صلى اللهُ عليه وسلم وظهورها ما يُغنى عن ركوب بُطون هذه المسالك وظُهورها[8].

وبالله أستعين . [وهو حَسْبي ، ونعم الوكيل][9] .

آخر القسم الأول ، ويليه القسم الثاني

---

(١) لأول وهلة : في أول نظرة بالبديهة ؛ يقال: لقيته أول وهلة : أى أول شيء .

(٢) في صحبته : أى لاختيار صحبته على كل شيء ، أو ببركة متابعته .

(٣) وأنى : أى هذا القائل الذى غاب عنه ماتقدم .

(٤) يلوح : يظهر . رونق : لفظ حسن . والزبرج : الزينة والوشى الذى هو كالطلاء .
وفى هامش ا : الزبرج : الزينة . وهو أيضا الذهب .

(٥) حقق : بينت حقيقته . وليس مابين القوسين فى ب .

(٦) فى ب : ولكنا .

(٧) فى ب : معجزات .

(٨) يريد مايغنى عن ادعاء مثل هذه الأمور .

(٩) ليس فى ا .

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩٦٦ / ١٩٧٧

١ — فهرس الأبواب والفصول

الباب الثانى :

القسم الثانى